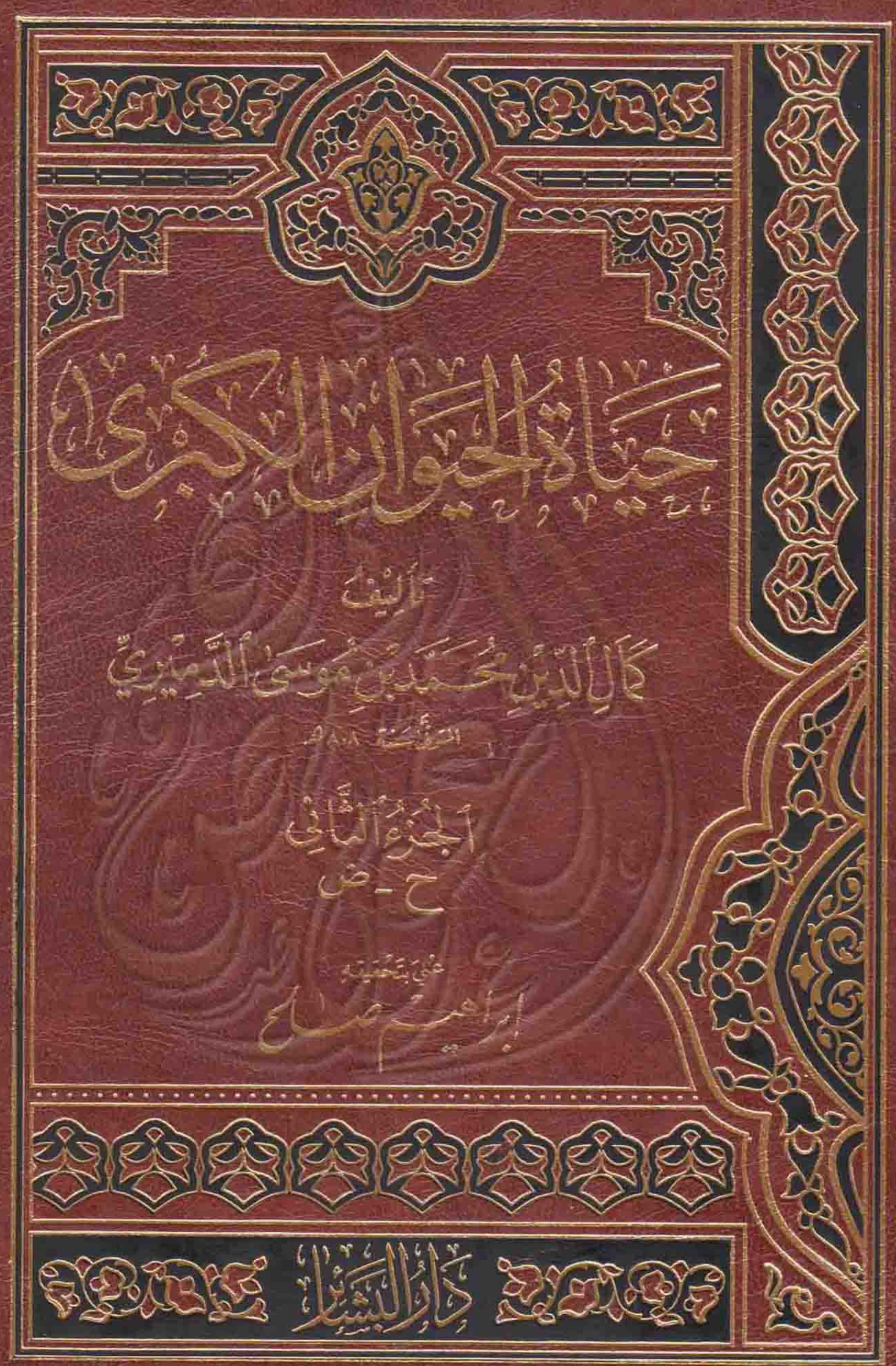


حياة الحيوان الكبرى
تأليف
كمال الدين محمد بن موسى الدميري
المتوفى سنة ٨٠٨ هـ
الجزء الثاني
ح - ض
عُني بتحقيقه
إبراهيم صالح
دار البشائر


حياة الحيوان الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان : حياة الحيوان الكبرى

تأليف : كمال الدين محمد بن موسى الدميري

تحقيق : إبراهيم صالح

الجزء : الثاني

عدد الصفحات : ٧٥٢ صفحة

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

التنضيد والإخراج : زياد ديب السروجي



دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كرجية حداد

هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩

ص. ب ٤٩٢٦ سورية - فاكس ٢٣١٦١٩٦

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



حياة الحيوان الكبرى

تأليف

كمال الدين محمد بن موسى الدميري

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

الجزء الثاني

ح - ض

عني بتحقيقه

إبراهيم صالح

دار البشائر


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بابُ الحاءِ المُهْمَلَةِ

١٨٧ **حاتِمٌ** : هُوَ الغُرابُ الأَسْوَدُ ، لأَنَّهُ يَحْتِمُ عِنْدَهُمْ بِالفِراقِ[١] ؛ قَالَ المُرَقِّشُ[٢] : [من مجزوء الكامل]

وَلَقَـدْ غَـدَوْتُ وَكُنْـتُ لا أَغْـدُو علـى واقٍ وحـاتِـمْ
فـإِذا الأَشـائِـمُ كَـالأَيـا مِـنِ وَالأَيـامِـنُ كَـالأَشـائِـمْ
وكَـذَاكَ لا خَيْـرٌ ولا شَـرٌّ علـى أَحَـدٍ بِـدائِـمْ

وَسَتَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى هذهِ الأَبْيَاتُ في أَوَّلِ « بابِ الواوِ » .

وَيُسَمَّى غُرابَ البَيْنِ ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ » .

١٨٨ **الحارِيَةُ** : نَوْعٌ مِنَ الأَفْعَى[٣] ؛ وَقدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ » .

١٨٩ **الحُبابُ** : الحَيَّةُ . قَالَ الجَوْهَرِيُّ[٤] : وإِنَّما قِيلَ لَها ذَلِكَ ، لأَنَّ الحُبابَ اسْمُ شَيْطانٍ ؛ وَالحَيَّةُ يُقَالُ لَها : شَيْطَانٌ .

● رُوِيَ عَنْ سَعِيْدِ بن المُسَيِّب ، أَنَّهُ قَالَ[٥] : بَلَغَنِي أَنَّ النَّبيَّ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ

---

(١) المخصَّص ٨/ ١٥٢ .

(٢) هو المرقِّش الأكبر ، والأَبيات في ديوان المرقِّشين ٧٦ ـ ٧٧ .

(٣) في القاموس « حرى » ٤/ ٣١٨ : الحارِيَةُ : الأَفعى التي كَبِرَت ونَقَصَ جسمُها ، ولم يبقَ إلاَّ رأْسُها ونَفَسُها وسَمُّها .

(٤) الصِّحاح « حبب » ١/ ١٠٦ .

(٥) النِّهاية ١/ ٣٢٦ .

رَجُلٍ مِنَ الأَنْصارِ كَانَ اسْمُهُ الحُبابُ ، وَقَالَ : « الحُباب اسْمُ شَيْطَانٍ » .

● وَقالَ « أَبُو داود » في « بابِ تَغْيِيْرِ الاسْمِ القَبِيحِ »(١) : وَغَيَّرَ النَّبيُّ ﷺ اسْمَ العاصِ وَعَزيز وَعَتلة وَشَيْطان والحَكَم وَغُراب وَشِهاب وَحُباب .

وَالرَّجُلُ(٢) الَّذِي غَيَّرَ النَّبيُّ ﷺ اسْمَهُ، هُوَ عَبْدُ اللهِ بن عبدِ اللهِ بن أُبيّ بن سَلُول، كَانَ اسْمُهُ الحُبابَ، فَسَمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ عبدَ اللهِ، وَأَبُوهُ كَانَ يُكْنَى أَبا الحُبابِ .

١٩٠ الحَبْتَرُ : الثَّعْلَبُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في « بابِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ » .

١٩١ الحبث(٣) : حَيَّةٌ بَتْراءُ ، ذاتُ سَمٍّ قاتلٍ ، وَسَيأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى لَفْظُ « الحَيَّةِ » في آخِرِ هَذَا البابِ .

١٩٢ حُباحِبُ : كَهُداهِدُ : حَيوانٌ لَهُ جَناحانِ كَالذُّبابِ ، يُضِيءُ بِاللَّيْلِ كَأَنَهُ نَارٌ(٤) .

وَقَدْ ضَرَبَتِ العَرَبُ بِهِ المَثَلَ ، فَقَالُوا : « أَضْعَفُ مِنْ نَارِ الحُباحِبِ »(٥) .

---

(١) أبو داود (٤٩٥٦) .

(٢) أَسد الغابة ٣/ ٢٩٦ والإصابة ٤/ ١٣٣ رقم (٤٨٠٢) .

(٣) لم أَقف على اسم حيَّةٍ بهذا الاسم ؛ وفي المخصَّص ٨/ ١٠٧ و ١١٠ : الحَفِثُ : حَيَّةٌ خبيثٌ من حيَّاتِ شِقِّ السَّراة . وفي صحاح الجوهري « حفث » ١/ ٢٨٠ : والحُفَّاثُ : حيَّةٌ تنفخُ ولا تُؤْذِي .

(٤) في الحباحب وناره أَقاويل مختلفة ، تجدها في : ثمار القلوب ٢/ ٨٣٢ وشروح سقط الزِّند ٢/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧ والأَوائل ٤٢ وحيوان الجاحظ ٤/ ٤٨٦ والمحاسن والمساوىء ١/ ٤٠٧ وخزانة البغدادي ٧/ ١٥٠ « نار اليراعة » وشرح شواهد المغني للسيوطي ٣٠٩ والبغدادي ٢/ ٢٨١ والمرصع ١٣٦ والميداني ١/ ٢٥٣ و ٢/ ١٤٩ والعسكري ١/ ٢٤٦ و ٤٣٤ و ٢/ ٢٧٩ و ٣١٠ والزَّمخشري ١/ ١٠٨ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ١٦٩ و ١٧٦ و ٢/ ٤٧ و ٤٧٣ .

(٥) في كتب الأَمثال : أَخلف من نار الحباحب ، وأَخلف من وقود أَبي حباحب . وأَبخل من حباحب .

وَقِيلَ : الحُباحِبُ : اسْمُ رَجُلٍ مِنْ مُحارِبِ بْنِ خَصَفَةَ ، مَشْهُورٌ بِالبُخْلِ ، كَانَتْ لَهُ نَارٌ ضَعِيفَةٌ يُوقِدُها مَخافَةَ الضِّيْفَانِ ، فَضَرَبُوا بِهِ المَثَلَ لِذَلِكَ .

● قَالَ الجَوْهَرِيُّ[1] : وَرُبَّما قِيلَ : نَارُ أَبِي الحُباحِبِ ، وَهُوَ ذُبابٌ .

● وَقَالَ فِي « المُرَصَّع »[2] : يُقالُ لِلنَّارِ القَلِيْلَةِ التي لا يُنْتَفَعُ بِها ، وَلِلذُّبابِ الطَّائِرِ فِي اللَّيْلِ : أَبُو حُباحِب ، غَيْرَ مَصْرُوفٍ .

قُلْتُ : وَهَذَا الطَّائِرُ يُسَمَّى القُطْرُبُ ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ البِيْطَارِ وَغَيْرُهُ[3] .

وَقَالَ فِي « الصِّحاح »[4] : القُطْرُبُ : طائِرٌ .

وَحُكْمُهُ : تَحْرِيْمُ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ مِنَ الحَشَرَاتِ .

١٩٣ الحُبَارَى : بِضَمِّ الحاءِ المُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الباءِ المُوَحَّدَةِ : طائِرٌ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى ؛ واحِدُهُ وَجَمْعُهُ سَواءٌ ؛ وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ في الجَمْعِ : حُبارَيَاتٌ ؛ قَالَ الجَوْهَرِيُّ : وَأَلِفُ حُبارَى لَيْسَتْ لِلتَّأْنِيثِ وَلا لِلإِلْحَاقِ ؛ وَإِنَّما بُنِيَ الاسْمُ عَلَيْها ، فَصَارَتْ كَأَنَّها مِنْ نَفْسِ الكَلِمَةِ ، لا تَنْصَرِفُ في مَعْرِفَةٍ ولا نَكِرَةٍ ؛ أَي لا تُنَوَّنُ[5] .

قُلْتُ : وَهَذَا سَهْوٌ منهُ ، بَلْ أَلِفُها لِلتَّأْنِيْثِ كَسُمانى ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ

---

(١) الصِّحاح « حبب » ١/ ١٠٧ .

(٢) المرصع ١٣٦ .

(٣) لم يقل ابن البيطار هذا الكلام ٢/ ٤ ونصُّ كلامه : حباحب : هو حيوان له جناحان كالذُّباب ، يضيءُ ، وقال داود ١/ ١١٥ : هو الطَّيبوث ، ويُسمَّى بالشَّام : سراج القطاب ، وهو حيوان كالذُّباب الكبير ، له جناحان ، وإذا طار في اللَّيل أضاءَ مثل السِّراج .
قلت : ونسي المؤلِّف خواصّه ، فانظره فيهما .

(٤) الصِّحاح « قطرب » ١/ ٢٠٤ .

(٥) كلُّ ما مضى من كلام الجوهريّ « حبر » ٢/ ٦٢١ وعنه اللِّسان ٢/ ٧٥٠ ـ ٧٥١ .

لانْصَرَفَتْ[1] .

وَأَهْلُ مِصْرَ يُسَمُّونَ الحُبارَى : الحُبْرجُ .

وَهِيَ[2] مِنْ أَشَدِّ الطَّيْرِ طَيَراناً ، وَأَبْعَدِها شَوْطاً ؛ وَذَلِكَ أَنَّها تُصادُ بالبَصْرَةِ ، فَيُوجَدُ فِي حَواصِلِها الحَبَّةُ الخَضْراءُ التي شَجَرُها البُطْمُ ، وَمَنابِتُها تُخُومُ بِلادِ الشَّامِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا في المَثَلِ[3] : « أَطْلَبُ مِنَ الحُبَارَى » .

وإِذا نُتِفَ رِيْشُها ، أَوْ تَحَسَّرَ ، وَأَبْطَأَ نَباتُهُ ، ماتَتْ كَمَداً[4] ؛ وَالكَمَدُ : الحُزْنُ المَكْتُومُ .

وَهُوَ طائِرٌ طَوِيْلُ العُنُقِ ، رَمادِيُّ اللَّوْنِ ، فِي مِنْقَارِهِ بَعْضُ طُولٍ[5] .

● وَقَالَ الجاحِظُ[6] : الحُبَارَى لَها خِزَانَةٌ في دُبُرِها وَأَمْعائِها ، لَها أَبَداً فِيها سَلْحٌ رَقِيقٌ ، فَمَتَى أَلَحَّ عَلَيْها الصَّقْرُ سَلَحَتْ عَلَيْهِ ، فَيُنْتَفُ رِيْشُهُ كُلُّهُ ، وَفِي ذَلِكَ هَلاكُهُ ؛ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعالى سَلْحَها سِلاحاً لَها ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[7] : [من الوافر]

---

(١) وافقه صاحب القاموس « حبر » ٢/٢ وشارحه ١٠/٥٠٩ ـ ٥١٠ .

(٢) حيوان الجاحظ ٧/ ٦٠ و ٥/ ٤٥٢ وثمار القلوب ٢/ ٧٠٥ .

(٣) المثل « أَطْيَرُ من حُبارى » في : الحيوان والثِّمار والميداني ١/٤٣٨ والعسكري ٢/ ٢٣ والزَّمخشري ١/ ٢٣٠ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٨٨ .

(٤) الحيوان والثِّمار وشرح النَّهج ٩/ ١٨٦ ونضرة الإغريض ٣٦ والميداني ٢/ ١٧٠ و ٢٧١ والعسكري ٢/ ١٧٦ والزَّمخشريّ ١/ ٢٩٦ والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٣٦١ و ٣٦٦ « أكمد من الحُبارى » وعجائب المخلوقات ٢٧٢ .

(٥) عن مفردات ابن البيطار ٢/ ٥ . وانظر تذكرة داود ١/ ١١٥ .

(٦) الحيوان ٥/ ٤٤٦ و ٣٧٣ و ٧/ ٦٠ وثمار القلوب ٢/ ٧٠٤ وعجائب المخلوقات ٢٧٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٦٧ . وفي نقل المؤلف نقص وقصورٌ ؛ ونصُّ الجاحظ ٥/ ٤٤٦ : وللحُبارى خزانة بين دُبُره وأَمعائه ، له فيها أَبداً سَلْحٌ رقيقٌ لزجٌ ، فمتى أَلَحَّ عليها الصَّقر ، وقد علمت أَنَّ سُلاحَها من أَجودِ سِلاحها ، وأَنَّها إذا ذَرَقَتْهُ بقي كالمكتوف أَو المُدَبَّق المقيّد ، فعند ذلك تجتمع الحباريات فَيَنتفنَ ريشهُ كلّه طاقةً طاقةً ، وفي ذلك هلاك الصَّقر .

(٧) البيت لأَوس بن غلفاء يهجو يزيد بن عمرو بن الصَّعق ، في : المفضليّات ٣٨٨ والأَصمعيّات=

وَهُـمْ تَـرَكُـوكَ أَسْلَـحَ مِـنْ حُبـارَى رَأَتْ صَقْــراً وأَشْــرَدَ مِــنْ نعــامِ

وَمِنْ شَأْنِها أَنَّها تُصادُ ولا تَصِيدُ .

● رَوَى البَيْهَقِيُّ في « الشُّعَبِ »[1] مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بن أَبي كَثير ، عَنْ أَبي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ : إِنَّ الظَّالِمَ لا يَضُرُّ إلاَّ نَفْسَهُ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَذَبَ ؛ والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ الحُبَارَى لَتَمُوتُ هُزالاً مِنْ خَطَايا بَنِي آدَمَ .

وَهُوَ كَذَلِكَ في « تَفْسِيرِ الثَّعْلَبيّ » في آخِرِ « سُورَةِ فاطِر » : يَعْنِي إذا كَثُرَتْ الخَطَايا ، مَنَعَ اللهُ القَطْرَ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، وإِنَّما يُصِيبُ الطَّيْرُ مِنَ الحَبِّ والثَّمَرَةِ على قَدْرِ المَطَرِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [مِن الخفيف]

يَسْقُـطُ الطَّيْـرُ حَيْـثُ يُلْتَقَـطُ الحَبْـ ـــبُ وَتُغْشَــى مَنــازِلُ الكُــرَمــاءِ

وَهِيَ مِنْ أَكْثَرِ الطَّيْرِ حِيْلَةً في تَحْصِيلِ الرِّزْقِ ، وَمَعَ ذَلِكَ تَمُوتُ جُوعاً لِهَذَا السَّبَبِ ، فَسُبْحانَ القادِرِ على مَا يَشاءُ .

وَوَلَدُها يُقَالُ لَهُ : نَهارٌ ؛ وَفَرْخُ الكَرَوانِ يُقالُ لَهُ : لَيْلٌ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ[3] : [من الخفيف]

وَنَهــاراً رَأَيْــتُ مُنْتَصَــفَ اللَّيْـ ــلِ وَلَيْــلاً رَأَيْـتُ وَسْـطَ النَّهــارِ

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُها ، لأَنَّها مِنَ الطَّيِّباتِ .

= ٢٣٣ وكامل المبرد ٢/ ٦٠٠ وثمار القلوب ٢/ ٦٤٨ والنَّقائض ٢/ ٩٣٣ وخزانة البغدادي ٦/ ٥٢١ . ونسبة الرَّاغب في المحاضرات ١/ ١٨٧ إلى عبد قيس بن خفاف . برواية : × . . . من ظليم . وبلا نسبة في الميداني ١/ ٣٨٨ .

(١) لَمْ أَقف عليه في شعب الإيمان .

(٢) البيت لبشار بن برد ، في ديوانه ١/ ١٣٦ .

(٣) البيت بلا نسبة ، في الاقتضاب ٢/ ٨٤ . وسيأتي في مادَّة « النَّهار » .

● رَوَى « أَبُو داود » و« التِّرْمذيُّ »[1] : عَنْ بُرَيْه بن عُمر بن سَفينة مَولى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ أَبيهِ ، عَنْ جدِّهِ ، أَنَّهُ قَالَ : أَكَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُبارَى . قَالَ التِّرمذيُّ : غَرِيبٌ ، لا نَعْرِفُهُ إلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا : « أَكْمَدُ مِنَ الحُبَارَى » كمَا تَقَدَّمَ .

وَقَالَ عُثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2] : « كُلُّ شَيْءٍ يُحِبُّ وَلَدَهُ حَتَّى الحُبارَى » . وإِنَّما خَصَّها بالذِّكْرِ ، لأَنَّها يُضْرَبُ بِها المَثَلُ في الحُمْقِ ؛ فَهِيَ عَلَى حُمْقِها تُحِبُّ وَلَدَها ، فَتُطْعِمُهُ ، وَتُعَلِّمُهُ الطَّيَرَانَ ، كَغَيْرِها مِنَ الحَيْوَانِ .

وَقَالُوا[3] : « أَسْلَحُ مِنَ الحُبارَى حَالَةَ الخَوْفِ ، وَأَسْلَحُ مِنَ الدَّجاجِ حَالَةَ الأَمْنِ » .

وَقَالُوا[4] : « الحُبَارَى خَالَةُ الكَرَوانِ » .

وَقَالُوا[5] : « أَقْصَرُ مِنْ إِبْهامِ الحُبَارَى ، وَمِنْ إِبْهامِ القَطَاةِ » .

الخَوَاصُّ[6] : لَحْمُ الحُبَارَى ، بَيْنَ لَحْمِ الدَّجاجِ وَلَحْمِ البَطِّ في الغِلَظِ ، وَهُوَ أَخَفُّ مِنْ لَحْمِ البَطِّ لأَنَّهُ بَرِّيٌّ ؛ وَهُوَ حَارٌّ رَطْبٌ جِدّاً ، وَأَجْوَدُهُ المَخالِيفُ المَكْدُودَةُ قَبْلَ الذَّبْحِ ؛ هُوَ نافِعٌ لِتَسْكِينِ الرِّياحِ ، لَكِنَّهُ يَضُرُّ بالمَفاصِلِ والقُوْلَنْجِ ، وَيَدْفَعُ ضَرَرَهُ الدَّار صِيْني والزَّيْتُ والخَلُّ ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ دَمٌ بَلْغَمِيٌّ ،

---

(١) أَبو داود (٣٧٩٧) والتِّرمذيّ (١٨٢٨) ومختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٦٠ .

(٢) الميداني ٢/ ١٤٦ والزَّمخشري ٢/ ٢٢٧ وعجائب المخلوقات ٢٧٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٦٧ .

(٣) الحيوان ٥/ ٤٤٦ و ٦/ ٣٧٣ و ٧/ ٦٠ وثمار القُلُوب ٢/ ٧٠٤ .

(٤) الميداني ١/ ٢١٥ .

(٥) الحيوان ٦/ ١٣٧ وثمار القلوب ٢/ ٧٠٣ والميداني ٢/ ١٢٨ والزَّمخشريّ ١/ ٢٨٣ والعسكري ٢/ ١١٥ والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٣٥١ .

(٦) مفردات ابن البيطار ٢/ ٥ وتذكرة داود ١/ ١١٥ .

وَيُوافِقُ أَصْحابَ الأَمْزِجَةِ البارِدَةِ مِنَ الشُّبَّانِ ، لا سِيَّمَا إذا أُكِلَ في الشِّتَاءِ وَفِي البِلادِ البارِدَةِ .

وَقَالَ صاحِبُ « تَقْوِيمِ الصِّحَّةِ » : يُكْرَهُ لَحْمُ الحُبَارَى ، لِغِلَظِهِ وَعُسْرِ انْهِضامِهِ ، وَأَجْوَدُهُ مَا طُبِخَ بَعْدَ أَنْ يَمْضِي عَلَيْهِ يَوْمان ، ثُمَّ يُغْرَزُ في صَدْرِهِ وَأَفخَاذِهِ الثُّومُ الكَثِيرُ والفُلْفُلُ ، وَيُعْمَلُ بِالأَبازِيرِ ، وَهُوَ إذا انْهَضَمَ وَلَّدَ غِذَاءً كَثِيراً ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مُخْلَفاً خَيْرٌ مِمَّا كَانَ عَتِيقاً ؛ وَيَجِبُ أَنْ يُتَنَاوَلَ بَعْدَهُ حَلَواءُ العَسَلِ . انتهى .

وَقَالَ القَزْوِيني[(١)] : يُوجَدُ في حَوْصَلَتِهِ حَجَرٌ إذا عُلِّقَ على الإِنْسَانِ ، لا يَحْتَلِمُ مَا دامَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ بِهِ إِسْهالٌ ، حَبَسَ بَطْنَهُ ؛ وإِذا عُلِّقَ قَلْبُهُ عَلَى مَنْ يُكْثِرُ النَّوْمَ ، قَلَّ نَوْمُهُ .

وَقَالَ أَرسطاطاليس في « النُّعوتِ »[(٢)] : بَيْضُ الحُبَارَى : مَا كَانَ مِنْهُ ذَكَراً ، يُسَوِّدُ الشَّعْرَ ، وَيَبْقَى صِبْغُهُ سَنَةً لا يَنْصَلُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ أُنْثَى ، لا يُسَوِّدُ الشَّعْرَ ؛ وَيُعْرَفُ مَا يُسَوِّدُ ، بِأَنْ يُؤْخَذَ خَيْطٌ ، فَيُدْخَلَ في إِبْرَةٍ ، وَيُدْخَلَ في بَيْضَةٍ ، فإِذا اسْوَدَّ الخَيْطُ ، صُبِغَ بها ، وإِلاَّ فَلا .

التَّعبيرُ[(٣)] : الحُبَارَى في المَنامِ : رَجُلٌ سَخِيٌّ ، ، صاحِبُ دَخْلٍ وَخَرْجٍ بِلا مَنْفَعَةٍ ، كَثِيرُ الأَكْلِ والتَّعَبِ ، لا يَفْتُرُ لَيْلاً ولا نَهاراً .

١٩٤ الحُبْرُجُ : ذَكَرَ الحُبَارَى ؛ لَحْمُهُ[(٤)] بَطِيءُ [الانهِضامِ] ، يُوَلِّدُ المِرَّةَ السَّوْدَاءَ[(٤)] .

واليَحْبُور : وَلَدُها ، وقيل : اليَحْبورُ : من طَيْرِ الماءِ .

---

(١) لم يرد هذا القول في عجائب المخلوقات ؛ وهو في مسالك الأبصار ٢٠/ ٦٧ .

(٢) وكذا قال ابن سينا ، كما في عجائب المخلوقات ٢٧٢ .

(٣) تفسير الواعظ ٢٩٦ .

(٤) ما بينهما من ب . والزِّيادة من ابن البيطار ٢/ ٥ فالعبارة من مفرداته .

١٩٥ الحَبَرْكى : القُرادَةُ . قَالَتِ الخَنْسَاءُ[١] : [من الوافر]

فَلَسْتُ بمُرْضِعِ ثَدْيي حَبَرْكى ... أَبُوهُ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ

والأُنْثى حَبَرْكاةٌ . قَالَ أَبُو عَمرِو الجَرْميّ : قَدْ جَعَلَ بَعْضُهم الأَلِفَ في حَبَرْكى لِلتَّأْنِيثِ ، فَلَمْ يَصْرِفْهُ ؛ وَرُبَّما شُبِّهَ بِهِ الرَّجُلُ الغَلِيظُ ، الطَّوِيلُ الظَّهْرِ ، القَصِيرُ اليَدَيْنِ .

١٩٦ الحَبَلَّقُ : كَعَمَلَّس : غَنَمٌ صِغارٌ لا تَكْبُرُ ، وَقِيلَ : قِصارُ الغَنَمِ ، وَدِقاقُها .

١٩٧ حُبَيْشٌ : قَالَ الجَوْهَرِيُّ[٢] : هُوَ طائِرٌ [مَعْرُوفٌ] ، جَاءَ مُصَغَّراً ، كَالكُمَيْتِ والكُعَيْتِ . انتهى .

وَالكُعَيْتُ : البُلْبُلُ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

١٩٨ الحِجْرُ : الأُنْثَى مِنَ الخَيْلِ ؛ لَمْ يُدْخِلُوا فِيهِ الهَاءَ ، لأَنَّهُ اسْمٌ لا يَشْرَكُها فِيهِ الذَّكَرُ ؛ والجَمْعُ أَحْجَارٌ [وَحُجُورَةٌ] وَحُجُورٌ ، وَقِيلَ : أَحْجَارُ الخَيْلِ : مَا يُتَّخَذُ مِنْها لِلنَّسْلِ[٣] ، وَلَيْسَ بِقَوِيٍّ .

● وَفِي « كامِلِ ابْنِ عَدِيّ »[٤] في تَرْجَمَةِ محمَّد بن عُبيدِ اللهِ العَرْزَميّ ، عَنْ عَمرو بن شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ فِي حَجْرَةٍ وَلا بَغْلَةٍ زَكاةٌ » وَهَذَ يَدُلُّ على أَنَّهُ يُقَالُ لَها : حَجْرَةٌ بِالهاءِ .

● لَكِنْ في « المُسْتَدْرَكِ »[٥] مِنْ حَدِيثِ أَبي حَيَّان التَّيْمِيّ ، عَنْ أَبي

---

(١) البيت في ديوانها ٣٧٢ برواية مختلفة : وبهذه الرِّواية في اللِّسان والتَّاج « حبرك » .

(٢) الصِّحاح ٣/ ١٠٠٠ « حبش » . والزِّيادة منه .

(٣) عن اللِّسان « حجر » ٢/ ٧٨٤ ، والزِّيادة منه .

(٤) الكامل في الضُّعفاء ٧/ ٢٤٧ .

(٥) المستدرك ٢/ ١٤٤ .

زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُسَمِّي الأُنْثَى مِنَ الخَيْلِ : فَرَساً .

وَحُكْمُها وخَواصُّها : كَالخَيْلِ ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ في « بابِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ » و« الفاءِ » .

التَّعْبيرُ[1] : الحَجْرَةُ في المَنامِ : امرأَةٌ شَرِيْفَةٌ مُبَارَكَةٌ ، لِقَوْلِه ﷺ[2] : « ظُهُورُها عِزٌّ ، وَبُطونُها كَنْزٌ » .

فَمَنْ رَكِبَ حَجْرَةً في مَنامِهِ بِآلَةِ الرُّكُوبِ : فإِنَّهُ يَنْكَحُ امرأَةً شَرِيْفَةً مُبَارَكَةً ، في عَقْدٍ صَحِيْحٍ .

وَمَنْ رَكِبَ حَجْرَةً بِلا سَرْجٍ ولا لِجامٍ : فإِنَّهُ يَنْكَحُ امرأَةً في غَيْرِ عِصْمَةٍ ، أَوْ يَرْكَبُ أَمْراً لا يَثْبُتُ عَلَيْه .

وَرُبَّما دَلَّتِ الحَجْرَةُ البَيْضَاءُ ، على امرأَةٍ ذَاتِ حَسَبٍ ونَسَبٍ ؛ وَالحَمْرَاءُ على امْرَأَةٍ ذَاتِ زِيْنَةٍ ، والصَّفْرَاءُ على امْرَأَةٍ ذَاتِ مَرَضٍ ؛ والسَّوْدَاءُ على امْرأَةٍ ذَاتِ مُلْكٍ وَسُؤْدَدٍ ؛ وَالدَّهْمَاءَ كَذَلِكَ .

وَرُبَّما دَلَّتِ الحَجْرَةُ على السَّنَةِ ، فَالسَّمِيْنَةُ خِصْبٌ ، والضَّعِيْفَةُ جَدْبٌ ؛ وَقَدْ تَكُونُ ضَعْفَ الجَاهِ والقُوَى والحِيَلِ ؛ واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

١٩٩ الحُجْرُوفُ : دُوَيْبَّةٌ طَوِيْلَةُ القَوائِمِ ، أَعْظَمُ مِنَ النَّمْلِ ؛ حَكَاهُ ابْنُ سِيْدَهْ[3] .

٢٠٠ الحَجَلُ : بِالفَتْحِ : الذَّكَرُ مِنَ القَبَجِ ، الوَاحِدَةُ حَجَلَةٌ ، واسْمُ جَمْعِهِ : حِجْلَى ، وَلَمْ يَأْتِ جَمْعٌ على فِعْلَى بِكَسْرِ الفاءِ إِلاَّ حَرْفان : حِجْلَى ،

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧١ وتفسير الواعظ ٢٦٦ .

(٢) برواية « ظهورها حِرْزٌ ، وبُطونُها كَنْزٌ » في المجازات النَّبويّة ١٤ والإعجاز والإيجاز ٣٤ .

(٣) المخصَّص ٨/ ١٢٠ .

وَظِرْبَى جَمْع ظِرْبَانٍ ، وَهُوَ دُوَيْبَّةٌ مُنْتِنَةُ الرِّيْحِ ؛ وَسَتَأْتي في « بابِ الظَّاءِ المُشالَةِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

وَالحَجَلُ : طائِرٌ على قَدْرِ الحَمامِ كَالقَطا ، أَحْمَرُ المِنْقَارِ والرِّجْلَيْنِ ، وَيُسَمَّى دَجَاجَ البَرِّ ؛ وَهُوَ صِنْفانِ : نَجْدِيٌّ وتِهامِيٌّ ؛ فَالنَّجْدِيُّ : أَخْضَرُ اللَّوْنِ ، أَحْمَرُ الرِّجْلَيْنِ ؛ والتِّهامِيُّ : فِيهِ بَيَاضٌ وخُضْرَةٌ .

وَفِراخُ هَذَا الطَّائِرِ تَخْرُجُ كاسِيَةً ؛ وَمِنْ شَأْنِها إذا لَمْ تَلْقَحْ ، أَنْ تَتَمَرَّغَ في التُّرابِ ، وَتَصُبُّهُ على أُصُولِ رِيْشِها ، فَتَلْقَحُ ؛ وَيُقالُ : إِنَّها تَبِيضُ مِنْ سَمَاعِ صَوْتِ الذَّكَرِ ، أَوْ بِرِيْحٍ تَهُبُّ مِنْ قِبَلِه ؛ وإذا باضَتْ مَيَّزَ الذكَرُ الذُّكُورَ مِنْها فَحَضَنَها ، وَهِيَ تَحْضِنُ الإناثَ ؛ وَهُمَا كَذَلِكَ في التَّرْبِيَةِ .

قَالَ التَّوحيديُّ[1] : وَيَعِيشُ الحَجَلُ عَشْرَ سِنِيْنَ ، وَيَصْنَعُ عُشَّيْنِ ، يَجْلِسُ الذَّكَرُ على واحِدٍ والأُنْثَى على واحِدٍ .

وَمِنْ طَبْعِ الحَجَلِ أَنَّهُ يَأْتِي أَعْشَاشَ نُظَرائِهِ ، فَيَأْخُذُ بَيْضَها وَيَحْضُنُهُ ؛ فإذا طارَتِ الفِراخُ لَحِقَتْ بِأُمَّهاتِها التي باضَتْها .

وَفِي تَرْكِيْبِه قُوَّةُ الطَّيَرانِ ، حَتَّى أَنَّ الإِنْسَانَ إذا لَمْ يَرَهُ يَظُنُّهُ حَجَراً خَرَجَ مِنْ مِقْلاعٍ .

وَالذَّكَرُ شَدِيدُ الغَيْرَةِ على الأُنْثَى ، فَلِذَلِكَ إذا اجْتَمَعَ ذَكَرَانِ اقْتَتَلا على الأُنْثَى ، فَأَيُّهُما غَلَبَ ذَلَّ الآخَرُ ، وَتَبِعَتِ الأُنْثَى الغالِبَ مِنْهُما .

وَفِي طَبْعِ الذَّكَرِ أَنْ يَخْدَعَ أَمْثالَهُ بِقَرْقَرَتِه ؛ وَلِهَذَا يَتَّخِذُهُ الصَّيَّادُونَ في أَشْراكِهِم[2] ، لِيُكْثِرَ القَرْقَرَةَ ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَبْناءُ جِنْسِه ، فَيَقَعْنَ مَعَهُ ؛ وَهُوَ

---

(١) في الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٦٢ : والحجل يعيش عشرين عاماً . وقال الجاحظ في الحيوان ٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣ : وكلُّ واحدٍ منهما يعيش خمساً وعشرين سنةً .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥ .

يَفْعَلُ ذَلِكَ كَالحاسِدِ لَها والمُنْتَقِمِ مِنْها .

والأُنْثَى إِذا أُصِيبَ بَيْضُها ، قَصَدَتْ عُشَّ غَيْرِها ، وَغَلَبَتْها على بَيْضِها أَوْ تَسْرِقُهُ وَتَحْضُنُهُ .

فائِدَةٌ : ذُكِرَ في كِتابِ « النَّشْوارِ » و« تارِيخِ ابْنِ النَّجّارِ »[1] : عَنْ أَبي نَصْرٍ مُحَمَّد بن مَرْوان الجَعْدِيّ ، أَنهُ أَكَلَ مَعْ بَعْضِ مُقَدَّمي الأَكْرادِ ، على سِماطٍ فِيهِ حَجَلَتانِ مَشْوِيَّتانِ ، فأَخَذَ الكُرْدِيُّ بِيَدِهِ واحِدَةً وَضَحِكَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقالَ : قَطَعْتُ الطَّرِيقَ في عُنْفُوانِ شَبابي على تاجِرٍ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ قَتْلَهُ تَضَرَّعَ إِلَيَّ ، فَلَمْ أَقْبَلْ تَضَرُّعَهُ ، وَلَمْ أُقِلْهُ ؛ فَلَمَّا رَأَى الجِدَّ مِنِّي ، الْتَفَتَ إِلى حَجَلَتَيْنِ كانَتا في الجَبَلِ ، وَقالَ : اشْهَدا لِي عَلَيْهِ أَنَّهُ قاتِلِي ظُلْماً ؛ فَقَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ هاتَيْنِ الحَجَلَتَيْنِ ، تَذَكَّرْتُ حُمْقَهُ في اسْتِشْهادِهِما عَلَيَّ ؛ فَقالَ ابْنُ مَرْوانَ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ منهُ : قَدْ شَهِدَتا ـ واللهِ ـ عَلَيْكَ عِنْدَ مَنْ يُقَيِّدُكَ بالرَّجُلِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ .

الحُكْمُ : أَكْلُها حَلالٌ اتِّفاقاً .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « النُّحّام » في « بابِ النُّونِ » عَنْ « كامِلِ ابن عَدِيّ » : أَنَّ الطَّيْرَ المَشْوِيَّ الَّذِي أُهْدِيَ للنَّبِيِّ ﷺ كانَ حَجَلاً[2] ؛ وَقِيلَ : كانَ نُحاماً .

وَصَحَّ أَنَّهُ ﷺ كانَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ خاتِمٌ مِثْلُ زِرِّ الحَجَلَةِ .

قالَ التِّرمذيُّ[3] : المُرادُ بالحَجَلَةِ : هَذا الطَّائِرُ ، وَزِرُّها : بَيْضُها .

---

(١) لَم أَقف على الخبر في المطبوع من نَشوار المحاضرة ، ولا في المطبوع من تاريخ ابن النجار ؛ وهو في المستطرف ٢/ ٤٦٥ .

(٢) الكامل ٢/ ٣٨٥ وميزان الاعتدال ١/ ٤١١ .

(٣) الترمذيّ (٣٦٤٣) .

قُلْتُ : والصَّوابُ : أَنَّها حَجَلَةُ السَّرِيرِ ، واحِدَةُ الحِجَالِ . وَزِرُّها الذِي يَدْخُلُ في عُرْوَتِها .

● وَرَوَى البَيْهَقِيُّ في « دَلائِلِ النُّبُوَّةِ »[1] : عَنِ الواقِدِيِّ ، عَنْ شُيُوخِهِ ، أَنَّهُمْ قَالُوا : لَمَّا شُكَّ في مَوْتِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ بَعْضُهم : قَدْ مَات . وَقَالَ بَعْضُهُم : لَمْ يَمُتْ ؛ فَوَضَعَتْ أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ يَدَها بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَدْ رُفِعَ الخاتمُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ . فَكَانَ هَذَا هُوَ الَّذِي عُرِفَ بِهِ مَوْتُهُ ﷺ .

وَأَسْمَاءُ بنتُ عُمَيْسٍ[2] : كانَتْ زَوْجَةَ جَعْفَرَ بن أَبِي طالِبٍ ، ثُمَّ تَزَوَّجَها الصِّدِّيْقُ فَأَوْلَدَها مُحَمَّداً ، ثُمَّ تَزَوَّجَها عليُّ بن أَبي طَالِبٍ بَعْدَ وَفَاةِ الصِّدِّيقِ ؛ وَكَانَ مُحمَّد بن أَبي بَكْرٍ صَغِيْراً فَرَبَّاهُ عَليٌّ ، فَهُوَ رَبِيبُ عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم أَجْمَعِينَ .

فائِدَةٌ أُخْرَى : في « المُسْتَدْرَكِ »[3] عَنْ وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ ، أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيّاً إِلاَّ وَقَدْ كانَتْ عَلَيْهِ شامَةُ النُّبُوَّةِ في يَدِهِ اليُمْنَى ، إِلاَّ نَبِيَّنا محمَّداً ﷺ فإِنَّ شامَةَ النُّبُوَّةِ كانَتْ بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

● وَقَالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه لأَهْلِ العِراقِ[4] : يا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ولا رِجال ، يا عُقُولَ رَبَّاتِ الحِجَالِ .

---

(١) دلائل النُّبوَّة للبيهقي ٧/ ٢١٩ والطَّبقات الكبير لابن سعد ٢/ ٢٣٧ .

(٢) ترجمتها في : طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٦٥ وسير أَعلام النُّبلاء ٢/ ٢٨٢ والمردفات من قريش ١/ ٧٧ (ضمن نوادر المخطوطات) ، وكتب الصَّحابة .

(٣) المستدرك ٢/ ٥٧٧ .

(٤) من خطبة للإمام عليّ ، في : كامل المبرّد ١/ ٣١ وبيان الجاحظ ٢/ ٥٤ وشرح نهج البلاغة ٢/ ٧٥ .

وربَّات الحجال : النِّساء . والحجال : جمع حَجَلَةٍ ، وهي بيتٌ يُزَيَّن بالسُّتور والثِّياب والأَسِرَّة .

● وَقَالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ[1] : [مِنَ الطَّويل]

وَأَنْـتِ الـتـي حَبَّبْـتِ كُـلَّ قَصِيْـرَةٍ ... إِلَـيَّ ولا تَـدْرِي بِـذاكَ القَصَـائِـرُ

عَنَيْتُ قَصِيْرَاتِ الحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ ... قِصَارَ الخُطَا ، شَرُّ النِّسَاءِ البَحاتِرُ

وَسَيَأْتِي الكَلامُ عل خاتمِ النُّبُوَّةِ في « باب الكافِ » في لَفْظِ « الكُرْكِيّ » .

الأَمْثَالُ : ضَرَبَ النَّبيُّ ﷺ المَثَلَ بالحَجَلِ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُو قُرَيْشاً ، وَقَدْ جَعَلُوا طَعامِي كَطَعامِ الحَجَلِ » يُرِيدُ أَنَّهُ يَأْكُلُ الحَبَّةَ بَعْدَ الحَبَّةِ ، لا يَجِدُّ في الأَكْلِ .

وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ : أَرادَ أَنَّهُمْ غَيْرُ جادِّيْنَ في إِجابَتِي ، فَلا يَدخلُ منهم في دِيْنِ اللهِ إِلاَّ النَّادِرُ القَلِيلُ[2] .

● وَرَوَى الحافِظُ أَبُو القاسِمِ الأَصْبَهانِيّ ، في كِتابِ « التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ »[3] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أَوَّلُ مَا يُحاسَبُ العَبْدُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ صَلاتُهُ ، فإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سائِرُ عَمَلِهِ ، وإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائِرُ عَمَلِه » .

قال : وَكَانَ يَقُولُ : « حاذُوا المَناكِبَ في الصَّلاةِ ، فإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَخَلَّلُ الصُّفُوفَ كَمَا يَتَخَلَّلُ الحَجَلُ ؛ والصَّفُّ الأَيْمَنُ خَيْرٌ مِنَ الصَّفِّ الأَيْسَرِ » .

قَالَ : قَوْلُهُ : حاذُوا : مِنَ الحِذَاءِ ؛ وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ المَنْكِبُ بِجَنْبِ المَنْكِبِ .

---

(١) ديوانه ٣٦٩ . وروايته في ط : وأَنت الذي . . . × إِليّ فلا تدرك نداك القصائر .
والمثبت من أ ، ب .
والبحاتر : جمع بُحْتُرٍ ، وهو القصير المجتمع الخَلْقِ . (الصِّحاح « بحتر ») .

(٢) عن النِّهاية ١/ ٣٤٦ . وعنه اللِّسان « حجل » ٢/ ٧٨٧ .

(٣) ورواه المنذريّ في « التَّرغيب والتَّرهيب » ١/ ٢٤٥ و ٢٤٦ .

الخَواصُّ : لَحْمُها مُعْتَدِلٌ جَيِّدٌ ، سَرِيعُ الهَضْمِ .

إذا ابْتُلِعَ مِنْ كَبِدِها وَهِيَ حارَّةٌ قَدْرَ نِصْفِ مِثْقَالٍ ، نَفَعَ مِنَ الفَزَعِ .

وَمَرارَتُها تَنْفَعُ الغَشَاوَةَ المُظْلِمَةَ في العَيْنِ اكْتِحالاً ؛ وإذا سُعِّطَ بِمَرارَتِها إنْسَانٌ في كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، احْتَدَّ ذِهْنُهُ ، وَقَلَّ نِسْيَانُهُ ، وَقَوِيَ بَصَرُهُ .

وَقَالَ المُخْتَارُ بن عَبْدُونَ : بَيْضُ الحَجَلِ ، أَلْطَفُ مِنْ بَيْضِ الدَّجاجِ ، وَهُوَ نافِعٌ لِلمُتَرَفِّهِينَ ، وَضَارٌّ بِأَصْحابِ الكَدِّ ؛ وَيُوَلِّدُ غِذاءً مُعْتَدِلاً ، وَيُوافِقُ أَصْحَابَ الأَمْزِجَةِ المُعْتَدِلَةِ ؛ وَهُوَ أَجْوَدُ هَضْماً مِنْ بَيْضِ الدَّجاجِ ، وَأَجْوَدُ مَا يُعْمَلُ أَنْ يُلْقَى في المَاءِ وهو يغلي وَفِيهِ مِلْحٌ أَوْ خَلٌّ ، وَيَكُونُ المَاءُ مُتَساوياً عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ بَيْضٍ .

وَأَمَّا المُطَجَّنُ مِنْ كُلِّ بَيْضٍ ، فَرَدِيءٌ جِدَّاً ، يُوَلِّدُ حِجارَةً في المَثَانَةِ ، وَيُحْدِثُ غَمَّاً وَقُوْلَنْجاً . والمَغْلِيُّ في المَاءِ أَهْضَمُ مِنْهُ ، وَأَنْفَعُ مِنَ المَقْلِيِّ في الأَذْهَانِ أَيْضاً . انتهى .

وَقَالَ غَيْرُهُ : بَيْضُ الحَجَلِ ، إذا طُبِخَ في المَاءِ المَغْلِيِّ في الكَمُّونِ والمِلْحِ ، أَوْ بِخَلِّ عُنْصُلٍ ، وَأُكِلَ ، نَفَعَ مِنَ المَغْصِ وَسَائِرِ أَوْجَاعِ البَطْنِ .

وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ في المَنامِ(١) : فَالحَجَلَةُ تَدُلُّ على امْرأَةٍ غَيْرِ آلِفَةٍ ؛ وَرُبَّما تَدُلُّ رُؤْيَتُها عَلَى مَحَبَّةِ الأَوْلادِ .

٢٠١ الحِدَأَةُ : بِكَسْرِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ : أَخَسُّ الطَّيْرِ ؛ وَكُنْيَتُهُ : أَبُو الخَطَّافِ ، وأَبُو الصَّلْتِ ؛ وَلا تَقُلْ : حَدَأَةُ بِفَتْحِ الحَاءِ ، لأَنَّها الفَأْسُ التي لَها رَأْسَانِ .

وَقَدْ جَاءَ : في الحَدِيثِ : الحُدَيَّا ، على وَزْنِ الثُّرَيَّا ؛ كَذَا قَيَّدَهُ الأَصِيْليّ ؛

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٣ وتفسير الواعظ ٢٩٦ .

وَقَدْ جاءَ الحُدَياةُ ، بِغَيْرِ هَمْزٍ ؛ وَفِي بَعْضِ الرِّوَاياتِ : الحُدَيْئَةُ ، بالهَمْزَةِ ؛ كَأَنَّهُ تَصْغِيرٌ . ذَكَرَهُ الصَّاغانيّ . قَالَ : وَصَوابُ تَصْغِيرِهِ : الحُدَيْئَةُ بِالهَمْزِ ، وإِنْ أَلْقَيْتَ حَرَكَةَ الهَمْزَةِ على الياءِ ، شَدَّدْتَها ، وَقُلْتُ : الحُدَيَّةُ ، على مِثَالِ عُلَيَّةَ .

● وَفِي الحَدِيثِ[1] : « لا بَأْسَ بَقَتْلِ الحِدَوْ والإِفْعَوْ » .

قَالَ الأَزْهَرِيُّ : هِيَ لُغَةٌ فِيهِما . وَقَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ : بَلْ هِيَ على مَذْهَبِ الوَقْفِ ، لا عَلَى هَذِهِ اللُّغَةِ ، قَلَبَ الأَلِفَ واواً على لُغَةِ مَنْ قَالَ : حِدا وَكَذَا أَفْعَى . انتهى .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : جَمْعُ الحِدَأَةِ : حِدَأٌ كَلِبَأٍ . وَزاد ابْنُ قُتَيْبَةَ : وَحِدْآنٌ .

قَالَ الجَوْهَرِيُّ[2] : هِيَ مِثْلُ عِنَبَةٍ وَعِنَبٍ ؛ وَقَدْ قَالَ في « ع ن ب »[3] : الحَبَّةُ مِنَ العِنَبِ : عِنَبَةٌ ، وهُوَ بناءٌ نادِرٌ ، لأَنَّ الأَغْلَبَ على هَذَا البِنَاءِ الجَمْعُ ، نَحْوَ : قِرْدٍ وَقِرَدَةٍ ، وَفِيْلٍ وَفِيَلَةٍ ، وَثَوْرٍ وَثِوَرَةٍ ، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ جاءَ للواحِدِ ، وَهُوَ قَلِيلٌ ، نحو : العِنَبَةِ ، والتِّوَلَةِ ، والطِّيَبَةِ ، والخِيَرَةِ ، والطِّيَرَةِ ؛ ولا أَعْرِفُ غَيْرَهُ . انتهى .

وَهُوَ قَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ في حِدَأَةٍ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

وَالطِّيَبَةُ : المَغْنَمُ الهَنِيءُ . والتِّوَلَةُ : مَا تَحَبَّبُ بِهِ المَرْأَةُ لِزَوْجِها . والخِيَرَةُ والطِّيَرَةُ : مَعْرُوفَتانِ .

قُلْتُ : وَقَدْ يَرِدُ عَلَيْهِ : ثِوَمَةٌ جَمْعُ ثُومٍ[4] . وَذِبَحَةٌ ، وَهُوَ وَجَعٌ فِي

---

(١) النِّهاية ١/ ٣٥٥ واللِّسان « حدأ » ٢/ ٧٩٤ .

(٢) الصِّحاح « حدأ » ١/ ٤٣ .

(٣) الصِّحاح « عنب » ١/ ١٨٩ .

(٤) كذا في الأَصول ، وهو غير صحيح ؛ فالثُّومُ مُفردُهُ ثُومَةٌ . أَمَّا الثِّوَمَةُ ـ كَعِنَبَةٍ ـ : شجرةٌ=

الحَلْقِ . وَمِنَةٌ ، وَهُوَ العَنْكَبُوتُ ، وَرِمَخَةٌ ، وَهِيَ البَلَحَةُ . وَضِمَخَةٌ ، وَهِيَ السَّمِيْنَةُ . وهِنَنَةٌ ، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ القَنافِذِ . وَتِيَمَةٌ ، وَهِيَ شَجَرَةٌ بوادِي إِبْراهِيمَ بِالحِجَازِ .

والحِدَأَةُ تَبِيضُ بَيْضَتَيْنِ ، وَرُبَّما باضَتْ ثَلاثاً ، وَخَرَجَ مِنْها ثلاثَةُ أَفْراخ ، وَتَحْضنُ عِشْرِينَ يَوْماً ؛ وَمِنْ أَلْوانِها السُّودُ وَالرُّمْدُ ؛ وَهِيَ لا تَصِيدُ وإِنَّما تَخْطِفُ .

وَمِنْ طَبْعِها أَنَّها تَقِفُ في الطَّيَرَانِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِها مِنَ الكَواسِرِ .

وَزَعَمَ ابْنُ وَحْشِيَّةَ وابْنُ زُهْرٍ : أَنَّ العُقَابَ والحِدَأَةَ يَتَبَدَّلانِ ، فَيَصِيرُ العُقابُ حِدَأَةً ، وَالحِدَأَةُ عُقاباً ـ وَفِي نُسْخَةٍ : الغُرابُ بَدَلَ العُقَابِ ـ فَسُبْحانَ القادِرُ على مَا يَشَاءُ ! .

وَيُقَالُ : إِنَّها أَحْسَنُ الطَّيْرِ مُجاوَرَةً لِما جاوَرَها مِنَ الطَّيْرِ ، فَلَوْ ماتَتْ جُوعاً لا تَعْدُو على فِراخِ جارِها .

وَتَزْعُمُ رُواةُ الأَخْبَارِ وَنَقَلَةُ الآثَارِ : أَنَّها كانَتْ مِنْ جَوارِح سُلَيْمانَ بنِ داودَ عَلَيْهِما الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وإِنَّما امْتَنَعَتْ مِنَ أَنْ تُؤْلَفَ أَوْ تُمْلَكَ ، لأَنَّها مِنَ المُلْكِ الَّذي لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ .

● وَالسَّبَبُ في صِياحِها عِنْدَ سِفادِها : أَنَّ زَوْجَها قَدْ جَحَدَ وَلَدَها منهُ ، فَقَالَت : يا نَبِيَّ اللهِ ، قَدْ سَفَدَنِي ، حَتَّى إِذا حَضَنْتُ بَيْضِي ، وَخَرَجَ مِنْهُ وَلَدِي ، جَحَدَنِي ؛ فَقَالَ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السَّلامُ للذَّكَرِ : مَا تَقُولُ ؟ فَقَالَ : يا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّها تَحُومُ البَرارِي ، ولا تَمْتَنِعُ مِنَ الطَّيْرِ ، فَلا أَدْرِي أَهُوَ مِنِّي أَوْ مِنْ غَيْرِي ؟ .

= عظيمةٌ بلا ثَمَرٍ ، أَطيبُ رائحةً من الآسِ ، تُتَّخَذُ منها المساويك . (القاموس) .

قَالَ : فَأَمَرَ سُلَيمانُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِإِحْضَارِ الوَلَدِ ، فَوَجَدَهُ شِبْهَ والِدِهِ ، فَأَلْحقَهُ به ، ثُمَّ قَالَ لها سُلَيمانُ عَلَيْهِ السَّلامُ : لا تُمَكِّنِيْهِ أَبداً ، حَتَّى تُشْهِدِي عَلَيْهِ الطَّيْرَ ، لِئلاَّ يَجْحَدَ بَعْدَها . فَصَارَتْ إِذا سَفَدَها صَاحَتْ ، وَقَالَتْ : يا طُيُورُ ، اشْهَدُوا فإِنَّهُ سَفَدَنِي . ا هـ .

● وَتَقُولُ في صِياحِها : كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ؛ وَهِيَ طَرْشَاءُ .

وَلَوْ كانَتْ مِمَّا يُصادُ بها ، لَمَا كَانَ مِنَ الكَواسِرِ أَحْسَنَ صَيْداً مِنْها ، وَلا أَجَلَّ ثَمَناً .

وَمِنْ طَبْعِها : أَنَّها لا تَخْطَفُ إلاَّ مِنْ يَمِينِ مَنْ تَخْطَفُ منهُ دُونَ شِمالِهِ ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ ، يَقُولُ : إِنَّها عَسْراءُ ، لأَنَّها لا تخطَفُ مِنْ شمالِ إِنْسَانٍ شَيْئاً .

● وَقَالَ القَزْوِينيُّ : إِنَّها تكُونُ سَنَةً ذَكَراً ، وَسَنَةً أُنْثَى .

● وَفِي « صَحِيحِ البُخاريّ » وَغَيْرِهِ[1] : أَنَّ أَعْرابِيَّةً كانَتْ تَخْدِمُ نِساءَ النَّبيِّ ﷺ ، وَكانَتْ كَثِيراً مَا تَتَمَثَّلُ بِهَذَا البَيْتِ : [من الطَّويل]

وَيَوْمُ الوِشَاحِ مِنْ أَعاجِيْبِ رَبِّنا ... على أَنَّهُ مِنْ ظُلْمَةِ الكُفْرِ نَجَّانِي

فَقَالَتْ لَها عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها : ما هَذَا البَيْتُ الَّذِي أَسْمَعُهُ مِنْكِ ؟ فَقَالَتْ : شَهِدْتُ عَرُوساً لَنا تُجْلَى ، إِذْ دَخَلَتْ مُغْتَسَلاً لَنا وَعَلَيْها وِشَاحٌ ، فَوَضَعَتْهُ ، فَجاءَتِ الحُدَيَّا ، فَأَبْصَرَتْ حُمْرَتَهُ فَأَخَذَتْهُ ، فَفَقَدُوا الوِشَاحَ فاتَّهَمُونِي بِهِ ، فَفَتَّشُونِي حَتَّى قُبُلِي ، فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُبَرِّئَنِي ، فَجاءَتِ الحُدَيَّا بالوِشَاحِ ، حَتَّى أَلْقَتْهُ بَيْنَهُمْ .

---

(١) البخاري ١/ ١١٣ و ٤/ ٣٣٥ والحيوان ٥/ ١٥٢ ـ ١٥٣ . والبيت في النِّهاية ٥/ ١٨٨ واللِّسان ٣/ ١٩٦٢ والتَّاج ٣/ ٤٥ « سخب » .

وروايته في ب : . . . من تعاجيب ربِّنا × .

كَذَا قَيَّدَهُ الأَصيليُّ الحُدَيَّا ، على وَزْنِ الثُّرَيَّا ، وَرُوِيَ مِنْ طَرِيقِ الصَّاغانيّ وَغَيْرُهُ : الحُدَياةُ بِغَيْرِ هَمْزٍ ، والحُدَيْئَةُ بالهَمْزِ[١] .

وَفِي رِوايَةٍ : فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَقُلْتُ : يا غِياثَ المُسْتَغِيْثِينَ ؛ فَما أَتْمَمْتُهُنَّ حَتَّى جَاءَ غُرابٌ فَرَمَى الوِشَاحَ ؛ أَوْ قَالَتْ : فَأَلْقَى الوِشَاحَ بَيْنَنا ، فَلَوْ رَأَيْتِنِي ـ يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ ـ وَهُنَّ حولي يَقُلْنُ : اجْعَلِيْنا في حِلٍّ ؛ فَنَظَمْتُ ذَلِكَ في بَيْتٍ ، فَأَنا أُنْشِدُهُ لِئَلاَّ أَنْسَى النِّعْمَةَ ، فَأَتْرُكَ شُكْرَها .

● وَرَوَى الحافِظُ النَّسفيُّ في كِتابِ « فَضَائِلِ الأَعْمَالِ »[٢] بِإِسْنادِهِ إِلى حَمَّاد بن سَلَمَة ، أَنَّ عاصِمَ بنَ أَبي النَّجود شَيْخَ القُرَّاءِ في زَمانِه ، قَالَ : أَصابَتْنِي خَصاصَةٌ ، فَجِئْتُ إِلى بَعْضِ إِخْوانِي فَأَخْبَرْتُهُ بِأَمْرِي ، فَرَأَيْتُ في وَجْهِهِ الكَرَاهَةَ ، فَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِه إِلى الجَبَّانَةِ ، فَصَلَّيْتُ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ وَضَعْتُ وَجْهِي على الأَرْضِ وَقُلْتُ : يا مُسَبِّبَ الأَسْبَابِ ، يا مُفَتِّحَ الأَبْوابِ ، يا سَامِعَ الأَصواتِ ، يا مُجِيبَ الدَّعَواتِ ، يا قاضِيَ الحاجاتِ ؛ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرامِكَ ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ .

قَالَ : فَواللهِ ، مَا رَفَعْتُ رَأْسِي حَتَّى سَمِعْتُ وَقْعَةً بِقُرْبِي ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذا حِدَأَةٌ طَرَحَتْ كِيْساً أَحْمَرَ ، فَأَخَذْتُ الكِيْسَ ، فَإِذا فِيهِ ثَمانُونَ دِيْناراً ، وَجَوْهَرَةٌ مَلْفُوفَةٌ في قُطْنَةٍ مَنْدُوفَةٍ .

قَالَ : فَبِعْتُ الجَوْهَرَةَ بِمالٍ عَظِيْمٍ ، وَفَضَلَتِ الدَّنانِيرُ ، فاشْتَرَيْتُ بِها عَقاراً ، وَحَمِدْتُ اللهَ على ذَلِكَ . انتهى .

● وَحَكَى القُشَيْرِيُّ في « الرِّسَالَةِ »[٣] في آخِرِ « بابِ كَراماتِ الأَوْلِيَاءِ » عَنْ

---

(١) مضى هذا القول في بداية المادَّة .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٦٦ .

(٣) الرِّسالة القشيرية ٧٠٩ .

شِبل المَرْوَزِيّ : أَنَّهُ اشْتَرَى لَحْماً بِنِصْفِ دِرْهَمٍ ، فاسْتَلَبَتْهُ مِنْهُ حِدَأَةٌ ، فَدَخَلَ شِبْلٌ مَسْجِداً يُصَلِّى فِيهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلى مَنْزِلِهِ ، قَدَّمت لَهُ زَوْجَتُهُ لَحْماً ، فَقَالَ لَها : مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : تَنازَعَ حِدَأَتانِ ، فَسَقَطَ هَذَا مِنْهُما . فَقَالَ شِبْلٌ : الحمدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَنْسَ شِبْلاً ، وإِنْ كَانَ شِبْلٌ يَنْسَاهُ .

● وَفِي كِتابِ « المُجالَسَةِ »[1] للدِّينوريّ ، في الجُزْءِ الثَّالِثِ : عَنْ عُثْمانَ ابن عَفَّان[2] رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ، قَالَ : كَانَ سَعْدُ بن أَبي وَقَّاص بَيْنَ يَدَيْهِ لَحْمٌ ، فَجاءَتْ حِدَأَةٌ فأَخَذَتْهُ ، فَدَعا عَلَيْها سَعْدٌ ، فاعْتَرَضَ عَظْمٌ في حَلْقِها ، فَوَقَعَتْ مَيِّتَةً . انتهى .

● وَرَوَيْنا بِالسَّنَدِ الصَّحِيحِ ، أَنَّ الشَّيْخَ عبدَ القادِرِ الجِيْليّ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ، جَلَسَ يَوْماً يَعِظُ النَّاسَ ، وَكانَتِ الرِّيْحُ عاصِفَةً ، فَمَرَّتْ على مَجْلِسِهِ حِدَأَةٌ طائِرَةٌ ، فَصَاحَتْ ، فَشَوَّشَتْ على الحاضِرينَ مَا هُمْ فِيهِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : يا رِيْحُ ، خُذِي رَأْسَ هَذِهِ الحِدَأَةِ . فَوَقَعَتْ لِوَقْتِها في ناحِيَةٍ ، وَرَأْسُها في ناحِيَةٍ ؛ فَنَزَلَ الشَّيْخُ عَنِ الكُرْسِيِّ ، وَأَخَذَها بِيَدِهِ ، وأَمَرَّ يَدَهُ الأُخْرَى عَلَيْها ، وَقَالَ : بِسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ ؛ فَحَيِيَتْ وَطَارَتْ ، وَالنَّاسُ يُشَاهِدُونَ ذَلِكَ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُها ، لأَنَّها مِنَ الفَواسِقِ الخَمْسِ المَأْمُورِ بِقَتْلِها .

قَالَ الخَطَّابِيُّ : المُرادُ بِفِسْقِها : تَحْرِيْمُ أَكْلِها ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الفاءِ » في لَفْظِ « الفَأْرِ » بَيَانُ ذَلِكَ .

---

(١) المجالسة ٢/ ٢٣٠ ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٥ .

(٢) كذا في الأُصول ، وهو غير صحيح ؛ وفي تاريخ دمشق ومختصره وأَصل المجالسة : عثمان ابن عثمان ، ثمَّ بدَّله ناسخ المجالسة إِلى عمر بن أَبي عثمان ، فاعتمده محقّقه ! . وأَرى أَنَّ صواب الاسم : عثمان بن غياث الرَّاسبي ، لأَنَّهُ هو الَّذِي يروي عنه يحيى بن أَبي الحجَّاج كما في سنده في المجالسة . والله أَعلم .

● وَفِي « الصَّحيحين »[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمر وعائِشَةَ وحَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم أجمَعِين ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « خَمْسٌ فواسِقُ يُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَمِ » .

وَفِي رِوايَةٍ : « لَيْسَ على المُحْرِمِ في قَتْلِهِنَّ جُناحٌ : الحِدَأَةُ ، والغُرابُ الأَبْقَعُ ، والعَقْرَبُ ، والفَأْرَةُ ، والكَلْبُ العَقُوُر » .

نَبَّهَ ﷺ بِذِكْرِ هَذِهِ الخَمْسَةِ على جَوازِ قَتْلِ كُلِّ مُضِرٍّ ، فَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ الفَهْدَ والنَّمِرَ والذِّئْبَ والصَّقْرَ والشَّاهِينَ والباشِقَ والزُّنْبُورِ والبُرْغُوث والبَقَّ والبَعُوضَ والوَزَغَ والذُّبابَ والنَّمْلَ إِذا آذاهُ .

فَقَالَ الرَّافعيُّ : وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الخَمْسَةِ : الحَيَّةُ والذِّئْبُ والأَسَدُ والنَّمِرُ والنَّسْرُ وَالعُقَابُ ؛ فَهَذِهِ الأَنْوَاعُ يُسْتَحَبُّ قَتْلُها لِلْمُحْرِمِ وَغَيْرِهِ .

وَقَال في « بابِ أَطْعِمَةِ مَا يُخالِفُ ذَلِكَ » ، وَهُوَ أَنَّ قَتْلَها على سَبيلِ الوُجُوبِ ؛ وَسَيَأْتِي بَيَانُ هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الصَّادِ » في الكَلامِ على « الصَّيْدِ » .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[2] : « حِدأَ حِدأَ ، وَرَاءَكِ بُنْدُقَة » ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يُرادُ بِذَلِكَ هَذِهِ الحِدَأَةَ التي تَطِيرُ ، والبُنْدُقَةُ : مَا يُرْمَى بِهِ ؛ يُضْرَبُ للتَّحْذِيرِ .

الخَواصُّ : مَرارَتُها تُجَفَّفُ فِي الظِّلِّ ، وَتُنْقَعُ في إِناءٍ زُجاجٍ ، فَمَنْ لَسَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الهَوامِّ ، قُطِّرَ منهُ في المَوْضِعِ الَّذِي لُسِعَ فِيهِ ، واكْتُحِلَ مُخالِفاً ، إِنْ

---

(١) البخاري ٤/ ٩٩ ومسلم (١١٩٨ ـ ١١٩٩) وأبو داود (١٨٤٨) والتّرمذيّ (٨٣٨) والنَّسائي (٢٨٢٨ ـ ٢٨٢٩) و (٢٨٨١) و (٢٨٨٧ ـ ٢٨٩١) وابن ماجه (٣٠٨٧ ـ ٣٠٨٩) .

(٢) الميداني ١/ ٢٠١ والعسكري ١/ ٣٧٨ والزّمخشريّ ٢/ ٦٠ والفاخر ٤٦ .
ويُقالُ : « أَخطف من حدأَة » [الدُّرَّة الفاخرة ١/ ١٧٠] و « أَشَدُّ اختطافاً من حدأَة » [الدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٤٣٨] .

لُسِعَ في الجانِبِ الأَيْمَنِ ، اكْتُحِلَ في العَيْنِ اليُسْرَى ؛ وَإِنْ لُسِعَ في الجانِبِ الأَيْسَرِ ، اكْتُحِلَ في العَيْنِ اليُمْنَى ثَلاثَةَ أَمْيَالٍ ، فإِنَّهُ يُنْجِيهِ .

وإِنْ سُحِقَتْ وَطُرِحَتْ في سَلَّةِ الحاوِي ، ماتَتِ الحَيَّاتُ كُلُّها .

وَدَمُها إِذا خُلِطَ بِقَلِيلِ مِسْكٍ وَمَاءِ وَرْدٍ ، وَشُرِبَ على الرِّيْقِ ، نَفَعَ مِنْ ضِيْقِ النَّفَسِ .

وَإِنْ عُلِّقَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ في بَيْتٍ ، لَمْ يَدْخُلْهُ حَيَّةٌ ولا عَقْرَبٌ .

التَّعْبِيرُ[1] : الحِدَأَةُ تَدُلُّ رُؤْيَتُها على الحَرْبِ والقِتالِ ، لِما قِيلَ : حِدَأَ حِدَأَ ، وَرَاءَكِ بُنْدُقَةٌ .

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ[2] : إِنَّ حِدَأَةَ وَبُنْدُقَةَ كانَتا قَبِيلَتَيْنِ مِنْ سَعْدِ العَشِيْرَةِ ، فأَغارَتْ حِدَأَةُ وَتَغَلَّبَتْ ، وَكانَتْ تَنْزِلُ بالكُوفَةِ ، على بُنْدُقَةَ وكانَتْ تَنْزِلُ بِاليَمَنِ ، فَنالَتْ منهم ؛ ثُمَّ كَسَرَتْ بُنْدُقَةُ حِدَأَةَ ، وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمْ .

وَقِيلَ : هِيَ الطَّائِرُ المَعْرُوفُ ، وَبُنْدُقَةُ الرَّامِي ، كَمَا تَقَدَّمَ .

وَرُبَّما دَلَّتْ عَلَى الرَّجُلِ المُتَجَرِّمِ ، أَوِ المَرْأَةِ الزَّانِيَةِ .

وَجَماعَةُ الحِدَأَةِ : تَدُلُّ على قُطَّاعِ الطَّرِيقِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُها على مَنْ يَحِلُّ قِتالُهُ ، لِكُفْرِهِ وَشِرْكِهِ ؛ فإِنَّ قَتْلَهُمْ مُباحٌ في الحِلِّ والحَرَمِ وَكَذلِكَ الحِدَأَةُ ؛ قَالَهُ ابْنُ الدَّقَّاقِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : الحِدَأَةُ في المَنامِ : مَلِكٌ خامِلُ الذِّكْرِ ، ظالِمٌ ، وَذلِكَ لِقُوَّةِ سِلاحِهِ ، وَقُرْبِهِ مِنَ الأَرْضِ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٠ وتفسير الواعظ ٣٠٣ .

(٢) ومصادر المثل .

وَمَنْ أَصَابَ حِدَأَةً : وُلِدَ لَهُ غُلامٌ ، وَيَنالُ قَبْلَ البُلُوغِ مُلْكاً ؛ فإِنْ طَارَتْ مِنْهُ : ماتَ الوَلَدُ .

وَقَالَ أَرطاميدورس : الحِدَأَةُ فِي المَنامِ : تَدُلُّ على اللُّصوصِ والخَطَّافِينَ ؛ وَتَدُلُّ عَلَى النِّسَاءِ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٢٠٢ الأَحْقَبُ[١] : حِمارُ الوَحْشِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِبَيَاضٍ فِي حَقْوَيْهِ ؛ والأُنْثَى حَقْبَاءُ .

٢٠٣ الحَذَفُ : بِفَتْحِ الحَاءِ والذَّالِ المُعْجَمَةِ : غَنَمٌ سُودٌ صِغارٌ ، مِنْ غَنَمِ الحِجَازِ ؛ الواحِدَةُ حَذَفَةٌ[٢] .

● وَفِي حَدِيثِ الصَّلاةِ[٣] : « لا يَتَخَلَّلُكُمُ الشَّياطِينُ كَأَنَّها [بَناتُ] حَذَفٌ » .

وَفِي رِوايَةٍ : « كَأَوْلادِ الحَذَفِ » . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا أَوْلادُ الحَذَفِ ؟ قَالَ : « ضَأْنٌ سُودٌ جُرْدٌ صِغارٌ ، تكُونُ باليَمَنِ » .

٢٠٤ الحُرُّ : الفَرَسُ العَتِيقُ ، وَفَرْخُ الحَمامَةِ ـ وَقِيلَ : الذَّكَرُ مِنْها ـ وَوَلَدُ الظَّبْيَةِ ، وَوَلَدُ الحَيَّةِ ، والصَّقْرُ والبازِي .

وَقَالَ ابْنُ سِيْدَه[٤] : الحُرُّ طائِرٌ صَغِيرٌ ، أَنْمَرُ أَصْقَعُ ، قَصِيرُ الذَّنَبِ ، عَظِيمُ المَنْكِبَيْنِ والرَّأْسِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ يَضْرِبُ إِلى الخُضْرَةِ ، وَهُوَ يَصِيدُ .

٢٠٥ الحِرْبَاءُ : كُنْيَتُهُ : أَبُو جُخادِب ، وأَبُو الزِّنْدِيقِ ، وأَبُو الشَّقِيقِ ،

---

(١) المادَّة من زيادات ب . وهي عن الصِّحاح « حقب » ١/ ١١٤ .

(٢) عن الصِّحاح « حذف » ٤/ ١٣٤٢ .

(٣) مسند أَحمد ٤/ ٢٩٧ و ٥/ ٢٦٢ و ٣/ ٢٦٠ و ٢٨٣ وأَبو داود (٦٦٧) والنَّسائيّ (٨١٥) والنِّهاية ١/ ٣٦٥ . والزِّيادة من النِّهاية .

(٤) وعنه اللِّسان « حرر » ٢/ ٨٣١ .

وَأَبُو قادِمٍ[1] ؛ وَيُقَالُ لَهُ : جَمَلُ اليَهُودِ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

● قَالَ الإِمامُ القَزوينيّ في « كِتابِ عَجائِبِ المَخْلُوقاتِ »[2] : لَمَّا كَانَ الحِرْبَاءُ خَلْقاً بَطِيْءَ النَّهْضَةِ ، وَكَانَ لا بُدَّ لَهُ مِنَ القُوتِ ، خَلَقَهُ اللهُ على صُورَةٍ عَجِيبَةٍ ؛ فَخَلَقَ عَيْنَيه تَدُورانِ إِلى كُلِّ جِهَةٍ مِنَ الجِهَاتِ ، حَتَّى يُدْرِكَ صَيْدَهُ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ في يَدَيْهِ ، ولا قَصْدٍ إِلَيْهِ ، وَيَبْقَى كَأَنَّهُ جامِدٌ ، أَوْ كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الحَيْوانِ ؛ ثُمَّ أُعْطِيَ مَعَ السُّكُونِ خاصِّيَّةً أُخْرَى ، وَهُوَ أَنَّهُ يَتَشَكَّلُ بلَوْنِ الشَّجَرَةِ التي يَكُونُ عَلَيْها ، حَتَّى يَكادَ يَخْتَلِطُ لَوْنُهُ بلَوْنِها ، ثُمَّ إِذا قَرُبَ منهُ مَا يَصْطَادُهُ مِنْ ذُبابٍ وَغَيْرِهِ ، أَخْرَجَ لِسانَهُ ، وَيَخْطِفُ ذَلِكَ بِسُرْعَةٍ كَلُحُوقِ البَرْقِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلى حالِهِ كَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الشَّجَرَةِ .

وَخَلَقَ اللهُ لِسانَهُ بِخِلافِ المُعْتادِ ، لِيَلْحَقَ مَا بَعُدَ عَنْهُ بِثَلاثَةِ أَشْبَارٍ وَنَحْوِها ، يَصْطَادُ بِهِ على هَذِهِ المَسَافَةِ .

وإِذا رَأَى ما يُرَوِّعُهُ وَيُخَوِّفُهُ ، تَشَكَّلَ وَتَلَوَّنَ على هَيْئَةٍ وَشَكْلٍ يَفِرُّ مِنْهُ كُلُّ مَنْ يُرِيدُهُ مِنَ الجَوارِحِ ، وَيَكْرَهُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ التَّلَوُّنِ . انتهى .

والحِرْباءُ أَكْبَرُ مِنَ العَظايَةِ ، وَهِيَ تَسْتَقْبِلُ الشمْسَ ، وَتَدُورُ مَعَها كَيْفَما دَارَت[3] ، وتَتَلَوَّنُ بحَرِّ الشَّمْسِ ـ كَمَا قَالَ الإمامُ الغَزاليُّ ـ أَلْواناً مُخْتَلِفَةً ، فَتَتَلَوَّنُ إِلى حُمْرَةٍ وَصُفْرَةٍ وخُضْرَةٍ وَمَا شَاءَتْ ؛ وَهُوَ ذَكَرُ أُمِّ حُبَيْنٍ ؛ والجَمْعُ : الحَرابي ، وَالأُنْثَى حِرباءَةٌ .

● قَالَ رَجُلٌ : خاصَمْتُ ابْنَ أَخِي إِلى مُعاوِيَةَ ، فَجَعَلْتُ أَحُجُّهُ ، فَقَالَ :

---

(١) المرضع ١١٨ و ١٩٤ و ٢٧٣ وقال في ٢١٠ : أَبُو شقيق : كنية الحمار ! ؛ وكذا في المنى في الكُنى للسُّيوطيّ ١٥٥ .

(٢) لَمْ يرد هذا النَّصُّ في عجائب المخلوقات ٢٩١ .

(٣) ينظر لتعليل ذلك : ديوان المعاني ٢/١٤٦ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٥/٢٩٢ وشرح المقامات للشريشي ٤/٢٠٢ .

أَنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [من البسيط]

أَنَّــى أُتِيْــحَ لَــهُ حِــرْبَــاءُ تَنْضُبَــةٍ لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلاَّ مُمْسِكاً سَاقا

أَرادَ بِالسَّاقِ هُنا : الغُصْنَ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرِ ؛ وَالمَعْنى : أَنَّهُ لا تَنْقَضِي لَهُ حُجَّةٌ حَتَّى يَتَمَسَّكَ بِأُخْرَى ، تَشْبِيهاً بِالحِرْبَاءِ .

قَالَ الجَوْهَرِيُّ[2] : وَيُقالُ : حِرْبَاءُ تَنْضُبٍ ، كَمَا يُقَالُ : ذِئْبُ غَضىً . والتَّنْضُبُ : شَجَرٌ يُتَّخَذُ منهُ السِّهامُ ، والتَّاءُ زائِدَةٌ ، لأَنَّهُ لَيْسَ في الكَلامِ فَعْلَلٌ ، وَفِي الكَلامِ تَفْعُلُ مِثل تَقْتُلُ وَتَخْرُجُ ، والواحِدَةُ : تَنْضُبَةٌ .

وَيُقَالُ لَها أَيْضاً : حِرْباءُ الظَّهِيْرَةِ ؛ وَهِيَ دُوَيْبَّةٌ غَبْراءُ مَا دامَتْ فَرْخاً ، ثُمَّ تَصْفُو ؛ وَهِيَ أَبَداً تَطْلُبُ الشَّمْسَ ، فَحِينَ تَبْدُو تَنْحُو بِوَجْهِها إِلَيْها ، حَتَّى إِذا اسْتَوَتِ الشَّمْسُ ، عَلَتْ رَأْسَ شَجَرَةٍ وَمَا يَجْرِي مَجْراها ، فَإِذا صارَ قُرْصُ الشَّمْسِ فَوْقَ رَأْسِها بِحَيْثُ لا تَراها ، أَصابَها مِثْلُ الجُنُونِ ، فَلا تَزَالُ طالِبَةً لَها ، وَلاَ تَفْتُرُ إِلى أَنْ تَتَصَوَّبَ إِلى جِهَةِ الغَرْبِ ، فَتَرْجِعُ بِوَجْهِها إِلَيْها مُسْتَقْبِلَةً لَها ، وَلا تَنْحَرِفُ عَنْها إِلى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ ، فَإِذا غابَتِ الشَّمْسُ ، طَلَبَ هَذا الحَيْوانُ مَعاشَهُ لَيْلَهُ كُلَّهُ إِلى أَنْ يُصْبِحَ ؛ حَتَّى إِنَّ طائِفَةً مِنَ المُتَكَلِّمِينَ على طَبائِعِ الحَيْوانِ يَقُولونَ : إِنَّهُ مَجُوسيٌّ .

وَلِسانُهُ طَوِيلٌ جِدّاً ، مِقْدارُ ذِراعٍ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ على أَنَّهُ يَكُونُ مَطْوِيّاً في حَلْقِهِ ، وَهُوَ يَبْلُغُ بِهِ مَا بَعُدَ عَنْهُ مِنَ الذُّبابِ .

---

(١) البيت لأَبي دُواد الإياديّ ، في ديوانه ٣٢٦ (ضمن دراسات في الأدب العربي لغرونباوم) . ونسب في شرح المقامات ٤/٢٠٣ إلى قيس بن الحداديَّة ، وهو في ديوانه ٢١٤ (ضمن مجلَّة المورد العراقيَّة مج ٨ ع ٢) . وإلى كعب بن زهير في فصل المقال ٣٥٠ وليس في ديوانه . وإلى الحارث بن دوسر في المستقصى ٢/٢٦٩ .

(٢) الصِّحاح « حرب » ١/١٠٩ . و« نضب » ١/٢٢٦ .

والأُنْثى مِنْ هَذَا النَّوْعِ تُسَمَّى : أُمَّ حُبَيْنٍ . وَسَتَأْتِي في آخِرِ البابِ .

وَقَدْ سَمَّى أَبُو النَّجْمِ في بَعْضِ شِعْرِهِ الحِرْباءَ بالشَّقِيِّ[١] ، وَلَيْسَ الشَّقِيُّ باسْمٍ لِلْحِرْبَاءِ ، وإِنَّما سَمَّاهُ بِهِ لاسْتِقْبَالِهِ الشَّمْسَ . كَذَا ذَكَرَهُ في « المُحكم » في « العَيْنِ والنُّونِ والباءِ » .

وَهَذَا الحَيْوَانُ يُوصَفُ بِالحَزْمِ ؛ لأَنَّهُ مَع تَقَلُّبِهِ مَعَ الشَّمْسِ ، لا يُرْسِلُ يَدَهُ مِنْ غُصْنٍ حَتَّى يُمْسِكَ غَيْرَهُ .

وَهُوَ يُشْبِهُ رَأْسَ العِجْلِ ، وَعَلَى هَيْئَةِ السَّمَكَةِ الصَّغِيْرَةِ ، وَلَهُ أَرْبَعَةُ أَرْجُلٍ كَسَامٍّ أَبْرصَ .

● وَذَكَرَ الشَّيْخُ جَمالُ الدِّينِ ابن هِشام ، في « شَرْحِ بانت سَعادٍ »[٢] : أَنَّ لِلْحِرْبَاءِ سَناماً كَسَنام البَعِيرِ ، وَأَنَّهُ يَتَلَوَّنُ أَلْواناً ، وَيُكْنَى أَبَا قُرَّةَ .

وَهِيَ تَتَلَوَّنُ بلَوْنِ الشَّجَرِ التي يَكُونُ عَلَيْها ، حَتَّى تكادَ تَخْتَلِطُ بلَوْنِها ، فإِذا قَرُبَ مِنْها الذُّبابُ وَنَحْوُهُ اخْتَطَفَتْهُ بِلِسانِها ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ القَزوينيّ نَظِيرُ ذَلِكَ .

الحُكْمُ : قَالَ في « الرَّوْضَةِ » : إِنَّها نَوْعٌ مِنَ الوَزَغِ غَيْرُ مَأْكُولَةٍ ، لَكِنَّ مُقْتَضَى مَا قَالَهُ الجاحِظُ والجَوْهَرِيُّ[٣] ، مِنْ أَنَّها ذَكَرُ أُمِّ حُبَيْنٍ ، أَنَّها تُؤْكَلُ ، لأَنَّ أُمَّ حُبَيْنٍ مَأْكُولَةٌ ، كَما سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

لَكِنْ قَالُوا : إِنَّ الحِرْبَاءَ مِنْ ذَوَاتِ السُّمُومِ ، فَيَكُونُ هَذَا عِلَّةَ تَحْرِيمِها ،

---

(١) قال أَبو النَّجم العجلي من قصيدة طويلة في مدح هشام بن عبد الملك ، يصف راحلته : [الفصوص ٣/ ٣٢٣ وليست في ديوانه]

ولا تُغَــوِّرُ إلاَّ تَحْــتَ هــاجِــرَةٍ ... إِذا الشَّقِــيُّ ارْتَقَــى فـي العُــودِ وانْتَصَبَـا

قال صاعد : وأَراد بالشَّقيّ : الحرباء .

(٢) شرح بانت سعاد لابن هشام ٢٤٣ والمستطرف ٢/ ٤٦٧ .

(٣) الحيوان ٦/ ٣٨٨ .

لا أَنَّها نَوْعٌ مِنَ الوَزَغِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « فُلانٌ يَتَلَوَّنُ تَلَوُّنَ الحِرْبَاءِ » يُضْرَبُ لِمَنْ لا يَثْبُتُ على حالَةٍ .

وَقَالُوا[2] : « أَجْرَدُ مِنْ عَيْنِ الحِرْبَاءِ » ، و « أَحْزَمُ مِنَ الحِرْبَاءِ »[3] لِمَا تَقَدَّمَ ؛ وَالحَزْمُ : الاحْتِراسُ والنَّظَرُ في الأَمْرِ قَبْلَ الإِقْدامِ عَلَيْهِ .

الخَواصُّ[4] : دَمُها : إذا نُتِفَ الشَّعْرُ النَّابِتُ في أَجْفَانِ العَيْنِ ، وَجُعِلَ في أُصُولِهِ ، لَمْ يَنْبُتْ أَبَداً .

وَمَرارَتُها : إذا اكْتُحِلَ بِها ، أَزالَتْ غِشَاوَةَ البَصَرِ .

وَشَحْمُها : إذا جُعِلَ على حَدِيدَةٍ ، وأُحْرِقَ بالنَّارِ ، وَخُلِطَ بالدَّمِ مع شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ المَاءِ ، وَجُدِّدَ عَلَيْهِ الدَّمُ والشَّحْمُ ، وَطُلِيَ بِهِ قُرُوحُ الرَّأْسِ والأَبْثَارِ ، فإِنَّهُ يُبْرِئُها مِنْ أَوَّلِ طَلْيَةٍ .

التَّعْبِيرُ[5] : الحِرْبَاءُ فِي المَنام : وَزِيرُ مَلِكٍ أَوْ خَلِيْفَةٍ ، لا يَكَادُ يُفارِقُهُ ؛ لأَنَّها تَدُورُ أَبَداً مع الشَّمْسِ ولا تُفارِقُها ، كَمَا تَقَدَّمَ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ على الخِدْمَةِ لِلسُّلْطَانِ ، أَوِ الفِتْنَةِ في الدِّيْنِ ، أَوِ المَرْأَةِ المَجُوسِيَّةِ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ على لحَرْبِ ، وَالنَّدْبِ على المَيِّتِ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٢٠٦ الحِرْذَوْنُ : بِكَسْرِ الحَاءِ ، وبِالذَّالِ المُعْجَمَةِ : دُوَيْبَّةٌ شَبِيهَةٌ

---

(١) لَم يرد هذا المَثَلُ في كتب الأَمثال .

(٢) الميداني ١/ ٤١٣ والعسكري ١/ ٥٨٥ والزَّمخشري ١/ ٢٠٨ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٦٣ و ٢٦٧ و ٥٦٧ ـ ٥٦٨ . وفي ط : أجود . . . وفي أ : أصول . والمثبت من ب ومصادر المثل .

(٣) الميداني ١/ ٢٢١ و ٢٦١ والعسكري ١/ ٣٤٣ و ٤٠٨ والزَّمخشري ١/ ٦٥ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ١٣٤ و ١٦٦ و ١٩٦ .

(٤) مفردات ابن البيطار ٢/ ١٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٠٤ وعجائب المخلوقات ٢٩١ .

(٥) تفسير الواعظ ٣١٢ .

بالضَّبِّ ؛ وَقِيلَ : هُوَ ذَكَرُ الضَّبِّ ، لأَنَّ لَهُ ذَكَرَيْنِ مِثْلَهُ ؛ وهُوَ مِنْ ذواتِ السُّمُومِ ، يُوْجَدُ في العمْرانِ المَهْجُورَةِ كَثِيراً ؛ لَهُ كَفٌّ كَكَفِّ الإنْسَانِ ، مَقْسُومَةُ الأَصابعِ إلاَّ الأَنامِلَ ؛ وَجِلْدُهُ لا بَرَصَ فِيهِ بِخِلافِ سامٍّ أَبْرَصَ ؛ والحَقُّ أَنَّهُ غَيْرُ الوَرَلِ ، خِلافاً لَعَبْدِ اللَّطِيفِ البَغداديّ .

وَحُكْمُهُ : تَحْرِيمُ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ مِنْ ذَواتِ السُّمُومِ .

الخَواصُّ[1] : قَالَ أَرسطو : مَنِ اطَّلَى بِشَحْمِ الحِرْذَوْنِ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ على التِّمْسَاحِ ، لَمْ يَضُرَّهُ التِّمْسَاحُ ؛ وإذا شَمَّ رائِحَتَهُ ، خَدِرَ وانْقَلَبَ على ظَهْرِهِ .

وإِنْ أُحْرِقَ جِلْدُهُ ، وَطُلِيَ بِهِ إِنْسَانٌ ، لَمْ يحسَّ بأَلَمْ الضَّرْبِ والقَطْعِ ، وَلَوْ فُرِّقَ بَيْنَ رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ ؛ وَالعَيَّارُونَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، فَيَظهرُ منهُمُ الثَّباتُ على الضَّرْبِ وغَيْرِهِ .

والحِرْذَوْنُ يَقْتُلُ العَقْرَبَ .

وإذا عُلِّقَ شَحْمُهُ على صاحِبِ حُمَّى الرِّبْعِ في خِرْقَةٍ سَوْداءَ ، أَبْرَأَهُ وَأَزَالَها .

وَقَالَ مهراريس : إِنَّما يُعَلَّقُ قَلْبُهُ على الوَصْفِ الَّذِي تَقَدَّم .

وَرُؤْيَتُهُ في المَنام : تَدُلُّ على الطَّمَعِ وَالشَّرَهِ في الكَسْبِ ، واخْتِلافِ المِزاجِ ، والذُّهُولِ والنِّسْيَانِ ، واللهُ تعالَى أَعْلَمُ .

٢٠٧ الحَرْشَافُ أَوْ الحَرْشُوفُ : الجَرادُ المَهْزُولُ ، الكَثِيرُ الأَكْلِ ؛ الواحِدَةُ حَرْشَافَةٌ .

● وَفِي حَدِيث[2] خَوْلَةَ بنتِ ثَعلبةَ ، زَوْجِ أَوْسِ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ

---

(١) تذكرة داود ١/ ١٢٢ ومفردات ابن البيطار ٢/ ١٨ .

(٢) مسند أحمد ٦/ ٤١٠ وأُسد الغابة ٨/ ٩١ ـ ٩٢ والإصابة ٨/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم (١١١٨) .

تَعالَى عَنْهُما ، لَمَّا قَالَ لَها : أَنْتَ [عَلَيَّ] كَظَهْرِ أُمِّي ؛ جاءَتْ تَسْتَفْتِي لَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَتَشْتَكِي إِلى اللهِ ، فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَعَلا فِيها : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة : ١] إلى آخِرِ الآياتِ . قَالَ لَها النَّبيُّ ﷺ : « مُرِيْه أَنْ يُعْتِقَ رَقَبَةً » قَالَتْ : واللهِ ما يَجِدُ رَقَبَةً ، وَمَا لَهُ خادِمٌ غَيْرِي . قَالَ : « مُرِيْهِ فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابعَيْنِ » . قَالَتْ : واللهِ يا رَسُولَ اللهِ ما يَقْدِرُ على ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَيَشْرَبُ في اليَوْمِ كَذَا كَذَا مَرَّةً ، قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ مع ضَعْفِ بَدَنِه ، وإِنَّما هُوَ كَالحَرْشَافَةِ » . شَبَّهَتْهُ بالجَرادِ المَهْزُولِ الكَثِيرِ الأَكْلِ .

٢٠٨ الحُرْقُوصُ : بِضَمِّ الحَاءِ المُهْمَلَةِ ، وَبالقَافِ المَضْمُومَةِ ، وبِالصَّادِ المُهْمَلَةِ في آخِرِهِ ، وَبالسِّيْنِ في لُغَةٍ عِوَضَ الصَّادِ : دُوَيْبَّةٌ كَالبَرْغُوثِ ، صَغِيرٌ أَرْقَطُ بِحُمْرَةٍ أَوْ صُفْرَةٍ ؛ وَلَوْنُهُ الغالِبُ عَلَيْه السَّوادُ ، وَرُبما نَبَتَ لَهُ جَناحانِ فَطَارَ . قَالَ الرَّاجِزُ[(١)] : [من الرَّجز]

مَـا لَقِـيَ البِيْـضُ مِـنَ الحُـرْقُـوصِ   يَـدْخُـلُ تَحْـتَ الغَلَـقِ المَـرْصُـوصِ
مِـنْ مـارِدٍ لِـصٍّ مِـنَ اللُّصُـوصِ   بِمَهْـرٍ لا غَـالٍ ولا رَخِيـصِ

أَرادَ : بِلا مَهْرٍ أَصْلاً .

وَقِيلَ : هِيَ دُوَيْبَّةٌ مِثْلُ القَرادِ ؛ وأَنْشَدُوا[(٢)] : [من الرَّجز]

مِثْـلُ الحَـراقِيـصِ علـى حِمـارِ

● وَفِي « رَبِيعِ الأَبْرارِ » للزَّمَخْشَرِيِّ[(٣)] : أَنَّها دُوَيْبَّةٌ أَكْبَرُ مِنَ البُرْغُوثِ ،

---

(١) الأَشطار في نثر الدُّر ٦/ ٣٦٤ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٣٣٨ ونشوة الطَّرب ٢/ ٧٨٩ والصِّحاح ٣/ ١٠٣٢ واللِّسان ٢/ ٨٤٣ والتَّاج ١٧/ ٥١٥ « حرقص » .

(٢) الشَّطر في اللِّسان « حرقص » بلا نسبة .

(٣) ربيع الأَبرار ٥/٤٧٨ والحيوان ٦/ ٤٥٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٠٤ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٣٣٨ .

وَعَضُّها أَشَدُّ مِنْ عَضِّهِ ، وَهِيَ مُولَعَةٌ بِفُرُوجِ النِّسَاءِ ، تَوَلُّعَ النَّمْلِ بِالمَذَاكِيْرِ ؛ وَيَنْبُتُ لَهَا جَناحانِ كَمَا يَنْبُتُ لِلنَّمْلَةِ .

وَقِيلَ : الحُرقُوصُ : البُرْغُوثُ بِعَيْنِهِ ، واحْتُجَّ لَهُ بِقَوْلِ الطِّرِمَّاحِ[1] : [من الطَّويل]

وَلَوْ أَنَّ حُرْقُوصاً على ظَهْرِ قَمْلَةٍ ... يَكُرُّ على صَفَّيْ تَميمٍ لَوَلَّتِ

ويُقالُ لَهُ : النُّهَيْكُ ؛ وَقَالَتْ أَعْرابِيَّةٌ[2] : [من الرَّجز]

يَا أَيُّها الحُرْقُوصُ مَهْلاً مَهْلا ... أَإِبِلاً أَعْطَيْتَنِي أَمْ نَخْلا

أَمْ أَنْتَ شَيْءٌ لا تُبالِي الجَهْلا

● وَقَالَ ابْنُ سِيْدَه[3] : الحُرْقُوصُ : دُوَيْبَّةٌ مُجَزَّعَةٌ ، لَهَا حُمَةٌ كَحُمَةِ الزُّنْبُورِ ، تَلْدَغُ بِها كَأَطْرافِ السِّياطِ ، وَلِذَلِكَ يُقالُ لِمَنْ ضُرِبَ بِأَطْرَافِ السِّيَاطِ : أَخَذَتْهُ الحَراقِيصُ .

● فائِدَةٌ : الحُرْقُوصُ السَّعديُّ[4] : رَجُلٌ مِنَ الصَّحابَةِ ، وَهُوَ ذُو الخُوَيْصِرَةِ ، التَّميميّ ، الذي بَالَ في المَسْجِدِ ؛ وَهُوَ القائِلُ[5] للنَّبيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ : اعْدِلْ . فَقَالَ : « وَيْلَكَ ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِذا لَمْ أَعْدِلْ ، قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ » .

---

(١) ديوانه ٦٣ .

(٢) الأَشطار في ربيع الأَبرار واللِّسان « حرقص » .

(٣) المخصَّص ٨/ ١١٩ عن العين ٣/ ٣٢١ .

(٤) الإِصابة ٢/ ٤٤ رقم (١٦٦٦) وأُسد الغابة ٢/ ١٧٣ و ١٧٤ . وفرَّقُوا بين ذي الخويصرة التَّميمي الذي قال لرسول اللهِ : اعدل ؛ وبين ذي الخويصرة اليماني الذي بال في المسجد .

(٥) البخاري ٤/ ١٧٩ و ٧/ ١١١ ومسلم (١٠٦٣) و (١٠٦٤) وابن ماجه (١٧٢) ومسند أَحمد ٣/ ٥٦ و ٦٥ و ٣٥٣ و ٣٥٥ .

وَهُوَ الَّذِي خَاصَمَ الزُّبَيْرَ في شِراجِ الحَرَّةِ[1] ، وَقَالَ : أَأَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِك ؛ فَأَمَرَ النَّبيُّ ﷺ الزُّبَيْرَ باسْتِيْفَاءِ حَقِّه .

● وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ في « أُسْدِ الغابَةِ »[2] : الحُرْقُوصُ بن زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ : مِنَ الصَّحابَةِ، ذَكَرَهُ الطَّبريُّ . وَقَالَ: إِنَّ الهُرْمُزانَ الفارِسِيَّ كَفَرَ، وَمَنَعَ مَا قِبَلَهُ ، واسْتَعانَ بالأَكْرادِ ، وَكَثَّرَ جَمْعَهُ ؛ فَكَتَبَ عُتْبَةُ بن غزوانَ إلى عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ يَأْمُرُهُ بقَصْدِهِ ، وَأَمَدَّ المُسْلِمِينَ بحُرْقُوصِ بن زُهَيْرٍ ، وَكانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَمَرَهُ بالقِتالِ[3] ، فاقْتَتَلَ المُسْلِمُونَ والهُرْمُزانِ ، فانْهَزَمَ الهُرْمُزانُ ، وَفَتَحَ حُرْقُوصٌ سُوقَ الأَهْوازِ ، وَنَزَلَ بها ، وَلَهُ أَثَرٌ كَبيرٌ في قِتالِ الهُرْمُزَانِ ؛ وَبَقِيَ حُرْقُوصٌ إلى أَيَّام عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَشَهِدَ مَعَهُ صِفِّيْنَ ، ثُمَّ صَارَ مِنَ الخَوارِجِ ، وَمِنْ أَشَدِّهِمْ على عليٍّ ، وَكَانَ مَعَ الخَوارِجِ لَمَّا قاتَلَهُمْ عليٌّ ، فَقُتِلَ حُرْقُوصٌ يَوْمَئِذٍ سَنَةَ سَبْعٍ وثلاثِين .

وَحُكْمُهُ : تَحْرِيْمُ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ مِنَ الحَشَرَاتِ .

٢٠٩ الحَرِيْشُ : نَوْعٌ مِنَ الحَيَّاتِ أَرْقَطُ ، كَذَا قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[4] .

وَقَالَ بَعدَ هَذَا : الحَرِيشُ : دابَّةٌ لَهَا مَخَالِبُ كَمَخالِبِ الأَسَدِ ، وَلَها قَرْنٌ واحِدٌ في هامَتِها ، وَيُسَمِّيها النَّاسُ الكَرْكَدَنَّ .

● وَقَالَ أَبُو حَيَّان التَّوحيديُّ[5] : هِيَ دابَّةٌ صَغِيرَةٌ ، فِي جِرْمِ الجَدْيِ ،

---

(١) شراج الحرَّة : مسيل الماء من الحرَّة إلى السهل ، وهي بالمدينة . (معجم البلدان ٣/ ٣٣١) .

(٢) أُسد الغابة ١/ ٤٧٤ وتاريخ الطَّبريّ ٤/ ٧٧ .

(٣) كذا في أ ، ط . وفي ب : وأَمره بالقتال على ما غلب عليه . وعبارة ابن الأثير : وأَمَّرَهُ على القتال ، وعلى ما غَلَبَ عليه .

(٤) الصِّحاح « حرش » ٣/ ١٠٠٠ ـ ١٠٠١ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٨٤ .

سَاكِنَةٌ جِدّاً ، غَيْرَ أَنَّ لَها مِنْ قُوَّةِ الجِسْمِ وَسُرْعَةِ الحَرَكَةِ ما يُعْجِزُ القَنَّاصَ ، وَلَها في وَسَطِ رَأْسِها قَرْنٌ واحِدٌ مُصْمَتٌ مُسْتَقِيمٌ ، تُناطِحُ بِهِ جَمِيعَ الحَيوانِ ، فلا يَغْلِبُها شَيْءٌ .

وَيُحْتالُ لِصَيْدِها ، بِأَنْ تَتَعَرَّضَ لَها فَتاةٌ عَذْراءُ وَضِيَّةٌ ، فإذا رَأَتْها وَثَبَتْ إِلى حِجْرِها كَأَنَّها تُرِيدُ الرَّضاعَ ـ وَهَذِهِ مَحَبَّةٌ فِيْها طَبِيعِيَّةٌ ثابِتَةٌ ـ فإِذا هِيَ صارَتْ في حِجْرِ الفَتاةِ ، أَرْضَعَتْها مِنْ ثَدْيِها على غَيْرِ حُضُورِ اللَّبَنِ فِيها ، حَتَّى تَصِيرَ كالنَّشْوانِ مِنَ الخَمْرِ ، فَيَأْتِيها القَنَّاصُ على تِلْكَ الحالَةِ ، فَيَشُدُّها وَثاقاً على سُكُونٍ مِنْها بِهَذِهِ الحِيْلَةِ .

● وَقالَ القَزْوِينيُّ في « الأَشْكالِ »[1] : الحَرِيشُ : حَيْوانٌ في حَجْمِ الجَدْيِ ذُو عَدْوٍ شَدِيدٍ ، وَعَلَى رَأْسِهِ قَرْنٌ واحِدٌ كَقَرْنِ الكَرْكَدَنِّ ، وأَكْثَرُ عَدْوِهِ على رِجْلَيْهِ ، لا يَلْحَقُهُ شَيْءٌ في عَدْوِهِ ؛ وَيُوجَدُ في غِياضِ بُلْغارَ وَسِجِسْتانَ . انتهى .

وَحُكْمُهُ : التَّحْرِيمُ ، سَواءٌ كانَ مِنْ نَوْعِ الحَيَّاتِ ، أَوِ الحَيَوانِ المَوْصُوفِ ، لِعُمُومِ النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نابٍ مِنَ السِّباعِ .

الخَواصُّ : دَمُهُ يَشْرَبُهُ مَنْ بِهِ خنَّاقٌ ، يَنْفَتِحُ في الحالِ .

وَلَحْمُهُ يُبْرِىءُ صاحِبَ القُوْلَنْجِ أَكْلاً .

وَكَعْبُهُ يُجْعَلُ على العِرْقِ المُدَمَّى ، يَسْكُنُ أَلَمُهُ .

٢١٠ الحُسْبانُ : الجَرادُ ، واحِدُهُ حُسْبانَةٌ ؛ وَكَذلِكَ النَّمْلَةُ الصَّغِيْرَةُ[2] .

٢١١ الحُسَاسُ : جِنْسٌ مِنَ السَّمَكِ صِغارٌ ، وَهُو الهِفُّ .

---

(١) لم يرد للحريش ذكر في عجائب المخلوقات ، فصل الأشكال .

(٢) القاموس والتّاج « حسب » .

٢١٢ الحِسْلُ : وَلَدُ الضَّبِّ ، والجَمْعُ أَحْسَالٌ وَحُسُولٌ وحِسْلانٌ وَحِسَلَةٌ ؛ يُقَالَ ذَلِكَ لِوَلَدِ الضَّبِّ حِيْنَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْضَتِهِ ؛ وَكُنْيَةُ الضَّبِّ : أَبُو حِسْلٍ .

وَحُكْمُهُ : كَأَبيهِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[١] : « لا آتِيْكَ سِنَّ الحِسْلِ » : أَيْ أَبَداً ؛ لأَنَّ سِنَّها لا تَسْقُطُ حَتَّى تَمُوتَ .

● وَأَنْشَدَ العجَّاجُ يَقُولُ[٢] : [من الرَّجز]

إِنَّكَ لَوْ عُمِّرْتَ عُمْرَ الحِسْلِ ... أَو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِيْنِ الوَحْلِ ... كُنْتَ رَهِيْنَ هَرَمٍ وَقَتْلِ

الفِطَحْلُ ـ عَلَى وَزْنِ الهِزَبْرِ ـ : زَمَنٌ لَمْ يُخْلَقْ فِيهِ النَّاسُ ، وَكانَتِ الحِجَارَةُ فِيهِ رَطْبَةً .

٢١٣ الحَسِيْلُ : وَلَدُ البَقَرَةِ الأَهْلِيَّةِ ، لا واحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، وَالأُنْثَى حَسِيْلَةٌ . كَذَا قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[٣] . وَهُوَ وَهْمٌ ؛ وَالصَّوابُ : الحَسِيْلُ : أَوْلاَدُ البَقَرِ ، واحِدُهُ حَسِيْلَةٌ[٤] ؛ لأَنَّهُ سُمِعَ لَهُ واحِدٌ مِنْ لَفْظِهِ .

وَفِي « كِفايَةِ المُتَحَفِّظِ » : الحَسِيْلَةُ : البَقَرَةُ ، وَجَمْعُها : حَسائِلُ .

٢١٤ حَسُّونٌ : عُصْفُورٌ ذُو أَلْوانٍ ، بِحُمْرَةٍ وَصُفْرَةٍ وَبَياضٍ وَسَوادٍ وَزُرْقَةٍ وَخُضْرَةٍ .

---

(١) نصُّ المثل : لا أَفعله سِنَّ الحِسْلِ . الميدانيّ ٢/ ٢٢٦ والعسكري ٢/ ٤٠٩ ، والزَّمخشري ٢/ ٢٤٤ وثمار القُلُوب ١/ ٦١٦ .

(٢) الأَشطار لرؤبة بن العجّاج في ديوانه ١٢٨ برواية : فقلتُ : لو عُمِّرتُ . . . والكامل للمبرِّد ٢/ ٧٣٣ وسمط اللآلي ١/ ٥٣٣ وثمار القلوب ١/ ٦١٦ و ٢/ ٩١٣ .

(٣) الصِّحاح « حسل » ٤/ ١٦٦٨ .

(٤) وكذا في القاموس والتّاج « حسل » .

يُسَمِّيْهِ أَهْلُ الأَنْدَلُسِ : أَبَا الحُسْنِ ، وَالمِصْرِيُّونُ : أَبا زَقاية ، وَرُبَّما أَبْدَلُوا الزَّايَ سِيْناً . وَهُوَ يَقْبَلُ التَّعْلِيْمَ فَيُعَلَّمُ أَخْذَ الشَّيْءِ مِنْ يَدِ الإِنْسَانِ المُتَباعِدِ ، وَيَأْتِي بِهِ إِلى مالِكِهِ ، وَهُوَ داخِلٌ في عُمُومِ العَصَافِيرِ ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ » .

٢١٥ الحَشَرَاتُ : صِغارُ دَوابِّ الأَرْضِ ، وَصِغَارُ هَوامِّها ؛ الواحِدَةُ : حَشَرَةٌ ، بِالتَّحْرِيْكِ .

وَابْنُ أَبِي الأَشْعَثِ يُسَمِّي جَمِيعَ ذَلِكَ : الحَيَوانَ الأَرْضِيَّ ؛ لأَنَّهُ لا يُفَارِقُها إِلى الهَواءِ وَلا إِلى المَاءِ .

وَهُوَ يَأْوِي فِي جِحَرَتِهِ ، وَيَرْكُنُ في بَطْنِها ، وَلاَ يَحْتاجُ إِلى شُرْبِ المَاءِ ، وَلا إِلى شَمِّ النَّسِيْمِ .

وَهُوَ قَرِيْنُ الأَفَاعِي والحَيَّاتِ ، والجِرْذَانِ الأَهْلِيَّةِ والبَرِّيَّةِ ، وَاليَرْبُوعِ ، والضَّبِّ ، والحِرْذَوْنِ ، والقُنْفُذِ ، والعَقْرَبِ ، والخُنْفُسَاءِ ، والوَزَغِ ، والنَّمْلِ ، والحَلَمِ ، وَأَنْواعٍ أُخْرى سَيَأْتِي مِنْها مَا لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ ذِكْرٌ .

● **فائِدَةٌ** : قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿ **أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ** ﴾ [البَقرة : ١٥٩] قَالَ مُجاهِدٌ : اللاَّعِنون : الحَشَرَاتُ والبَهَائِمُ ، يُصِيبهمُ الجَدْبُ بِذُنُوبِ عُلَمَاءِ السُّوءِ الكاتِمِيْنَ ، فَيَلْعَنُونَهُمْ . رَواهُ « ابْنُ ماجَهُ »[١] مَرْفُوعاً إِلى النَّبيِّ ﷺ . فإِنْ قِيْلَ كَيْفَ جَمَعَ مَا لا يَعْقِلُ جَمْعَ مَنْ يَعْقِلُ ؟ فَالجَوابُ : أَنَّهُ أَسْنَدَ إِلَيْهِمْ فِعْلَ مَنْ يَعْقِلُ ، كَمَا قَالَ : ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ ﴾ [يُوسف : ٤] وَلَمْ يَقُلْ : سَاجِدَاتٍ ؛ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [فُصِّلت : ٢١] . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : اللاَّعِنُونَ : كُلُّ المَخْلُوقَاتِ مَا عَدَا الجِنِّ والإِنْسِ ؛ وَقِيلَ : مَا عَدَا المَلائِكَةِ فَقَطْ .

---

(١) ابن ماجه (٤٠٢١) .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ الحَشَراتِ ، وَلا يَصِحُّ بَيْعُها ، لِعَدَمِ النَّفْعِ بها ، وَبِهِ قَالَ الإمامُ أَحمدُ وأَبو حَنيفةَ وداودُ ، وَقَالَ مالِكٌ : إِنَّها حَلالٌ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ [الأنعام : ١٤٥] الآيَةُ ، وَلِحَدِيثِ التِّلِب بن ثَعْلَبَةَ بن رَبِيْعَةَ التَّميميّ ، قَالَ[١] : « صَحِبْتُ النَّبيَّ ﷺ فَلَمْ أَسْمَعْ لِحَشَرَةِ الأَرْضِ تَحْرِيماً » . رَواهُ « أَبُو داود » .

وَالتِّلِبُ : بتَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ فَوْق مَفْتُوحَةٍ ، ثُمَّ لام مَكْسُورَةٍ ، ثُمَّ باءٍ ثانِيَةِ الحُرُوفِ[٢] . وَقَالَ شُعْبَةُ : الثِّلِبُ بِثَاءٍ مُثَلثَةٍ ، وَفِي « سُنَنِ أَبي داود » في « كِتابِ العِتاقِ » عَنْ أَحمد ، أَنَّهُ قَالَ : كَانَ شُعْبَةُ أَلْثَغَ ، لَمْ يُبَيِّنِ التَّاءَ مِنَ الثَّاءِ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الإِمامُ الحافِظُ أَبُو عُمر بن عَبْدِ البَرِّ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ التِّلِبُ يُكْنى أَبا المِلْقَام ؛ رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ مِلْقامٌ ، أَنهُ أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي يا رَسُول اللهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلتِّلِبِ وارْحَمْهُ » ثَلاثاً .

وَاحْتَجَّ الشَّافِعِيُّ والأَصْحَابُ بِقَوْلِهِ تَعَالى : ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] وَهُوَ مَا تَسْتَخْبِثُهُ العَرَبُ ، وَبِقَوْلِهِ ﷺ[٣] : « خَمْسٌ مِنَ الدَّوابِّ كُلُّهُنَّ فاسِقٌ ، يُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَمِ ؛ الغُرابُ والحِدَأَةُ والعَقْرَبُ والفَأْرَةُ والكَلْبُ العَقُورُ » . رَواهُ « البُخاريُّ » و« مُسلِمٌ » مِنْ رِوايَةِ عائِشَةَ وَحَفْصَةَ وابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ عنهم .

● وَعَنْ أُمِّ شَرِيكٍ ، أَنَّهُ ﷺ « أَمَرَ بِقَتْلِ الأَوْزاغِ »[٤] . رَواهُ « الشَّيْخانِ » .

---

(١) أَبو داود (٣٧٩٨) وأُسد الغابة ١/ ٢٥٣ .

(٢) وقيل في ضبطه غير هذا ؛ ينظر تهذيب الكمال ٤/ ٣١٩ وطبقات ابن سعد ٩/ ٤١ وأُسد الغابة ١/ ٢٢٣ والإصابة ١/ ٤٨٦ رقم (٨٣١) والإكمال ١/ ٥١٤ .

(٣) مضى تخريج الحديث ، في الحِدَأَة » .

(٤) البخاري ٤/ ٩٨ و ١١٢ ومسلم (٢٢٣٧) وأَبو داود (٥٢٦٢) والنَّسائي (٢٨٨٥) وابن ماجه (٣٢٢٨) .

=

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعالِى : ﴿ لَآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ [الأنعام : ١٤٥] الآيَةُ ، فَقَدْ قَالَ الشَّافعيُّ وغَيْرُهُ مِنَ العُلَمَاءِ : مَعْناهُ : مِمَّا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَهُ وَتَسْتَطِيْبُونَهُ .

وَقَالَ الغَزَاليُّ في « الوسيط » : لا يُؤْكَلُ مِنَ الحَشَرَاتِ إِلاَّ الضَّبُّ ؛ وَقَدِ اسْتُدْرِكَ عَلَيْهِ اليَرْبُوعُ وابْنُ عِرْسٍ وَأُمُّ حُبَيْنٍ والقُنْفُذُ والدُّلْدُلُ ، وَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَيْهِنَّ في أَماكِنِهنَّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

٢١٦ الحَشْوُ والحاشِيَةُ : صِغارُ الإِبلِ التي لا كِبَارَ فِيْها ، وَكَذَلِكَ مِنَ النَّاسِ .

٢١٧ الحِصَانُ : بِكَسْرِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ : الذَّكَرُ مِنَ الخَيْلِ .

قِيلَ : إِنَّما سُمِّيَ حِصاناً ، لأَنَّهُ حَصَّنَ مَاءَهُ فَلَمْ يَنْزُ إِلاَّ عَلَى كَرِيْمَةٍ .

● رَوَى « البُخاريُّ » و« مُسلِمٌ » و« التِّرمذيُّ » و« النَّسائيُّ »[1] عَنْ البراءِ ابن عازِبٍ رَضِيَ الله تعالى عنه ، قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ ، وإِلى جانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ ، فغَشِيَتْهُ سَحَابَةٌ ، فَجعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو ، فَجعَلَ فَرَسُهُ يَنْفُرُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ للنَّبيِّ ﷺ فَقَالَ : « تِلْكَ السَّكِيْنَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ » . والرَّجُلُ المَذْكُورُ أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ .

● وَفِي الخَبَرِ : أَنَّ فِرْعَوْنَ هابَ دُخُولَ البَحْرِ وَكَانَ على حِصَانٍ أَدْهَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ في خَيْلِ فِرْعَوْنَ أُنْثَى ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ على فَرَسٍ وَدِيقٍ ـ أَي تَشْتَهِي الفَحْلَ ـ على صُورَةِ هامان ، وَقَالَ لَهُ : تَقَدَّمْ ؛ فَخَاضَ البَحْرَ ، فَتَبِعَها حِصَانُ فِرْعَوْنَ ، وَمِيكائِيلُ يَسُوقُهُمْ لا يَشْرُدُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ؛ فَلَمَّا صَارَ آخِرُهُمْ فِي البَحْرِ ، وَهَمَّ أَوَّلُهُمْ أَنْ يَخْرُجَ ، انْطَبَقَ عَلَيْهِم ، فَأَغْرَقَهُمْ أَجْمَعِين .

---

(١) البخاري ٤/ ١٨٠ و ٦/ ٦٠٤ ومسلم (٧٩٥ و ٧٩٦) والتّرمذيّ (٢٨٨٥) ومسند أحمد ٤/ ٢٨١ و ٢٨٤ و ٢٩٣ و ٢٩٨ .

● وَرُوِيَ عَنِ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ[1] : كَانَ أَصْحَابُ مُوسَى سِتَّمِئَةِ أَلْفٍ وَسَبْعِينَ أَلْفاً .

وَقَالَ عَمْرُو بنِ مَيْمُونَ : كانُوا سِتَّمِئَةِ أَلْفٍ .

وَقِيلَ : خَرَجَ مُوسَى في سِتِّمِئَةِ أَلْفٍ وعِشْرِينَ أَلْف مُقاتِلٍ ، لا يَعُدُّونَ ابْنَ العِشْرِينَ لِصِغَرِهِ ، وَلا ابْنَ السِّتِّينَ لِكِبَرِهِ ، وَكانُوا يَوْمَ دُخُولِ مِصْرَ مَعْ يَعْقُوب اثنين وَسَبْعِينَ أَلْفاً ، مَا بَيْنَ رَجُلٍ وامْرَأَةٍ ؛ فَلَمَّا أَرادُوا المَسِيْرَ ، ضَرَب اللهُ عَلَيْهِمْ التِّيْهَ ، فَلَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَذْهَبُونَ ، فَدَعا مُوسَى مَشْيَخَةَ بَنِي إِسْرائِيلَ ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَقالُوا : إِنَّ يُوسفَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ ، أَخَذَ على إِخْوَتِهِ عَهْداً ، أَنْ لا يَخْرُجُوا مِنْ مِصْرَ حَتَّى يُخْرِجُوهُ مَعَهُم ، فَلِذَلِكَ انْسَدَّ عَلَيْنا الطَّرِيقُ ؛ فَسَأَلَهُمْ عَنْ مَوْضِعِ قَبْرِهِ فَلَمْ يَعْلَمُوا ، فَقَامَ مُوسَى يُنادِي : أَنْشُدُ اللهَ كُلَّ مَنْ يَعْلَمُ أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ ، إِلاَّ أَخْبَرَنِي بِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَصُمَّتْ أُذُنُهُ عَنْ قَوْلِي .

فَكَانَ يَمُرُّ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ وَهُوَ يُنادِي ، فَلا يَسْمَعَانِ صَوْتَهُ ، حَتَّى سَمِعَتْهُ عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقالَتْ : أَرَأَيْتَكَ إِنْ دَلَلْتُكَ عَلَى قَبْرِهِ ، أَتُعْطِينِي كُلَّ مَا سَأَلْتُكَ ؟ فَأَبَى عَلَيْها ، وَقَالَ : حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُعْطِيَها سُؤْلَها ، فَقَالَتْ : إِنِّي عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ ، لا أَسْتَطِيعُ المَشْيَ ، فاحْمِلْنِي وأَخْرِجْنِي مِنْ مِصْرَ ، هَذَا في الدُّنْيا ، وَأَمَّا في الآخِرَةِ ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ لا تَنْزِلَ غُرْفَةً في الجَنَّةِ إِلاَّ نَزَلْتُها مَعَكَ . قَالَ : نَعَم .

قَالَتْ : إِنَّهُ في جَوْفِ المَاءِ في النِّيْلِ ، فادْعُ اللهَ حَتَّى يَحْسُرَ عَنْهُ المَاءِ ؛

---

(١) خبر موسى عليه السَّلام وفرعون ، في : تاريخ الطبري ١/ ٤١٤ ـ ٤١٦ و ٤١٩ و ٤٢٠ ـ ٤٢١ والكامل في التاريخ ١/ ١٨٧ والبداية والنِّهاية ٢/ ١٠٧ ـ ١١٢ ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٣٨ ـ ٣٤٢ وكتب التَّفسير .

فَدَعَا اللهَ تَعالَى ، فَحَسَرَ عَنْهُ المَاءَ ، وَدَعَا اللهَ تَعالَى أَنْ يُؤَخِّرَ طُلُوعَ الفَجْرِ إلى أَنْ يَفْرُغَ مِنْ أَمْرِ يُوسف ؛ فَحَفَرَ مُوسَى ذَلِكَ المَوْضِعَ ، واسْتَخْرَجَهُ في صُنْدُوقِ مَرْمَرٍ ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ حَتَّى دَفَنَهُ بِالشَّامِ .

فَفُتِحَ لَهُمُ الطَّرِيقُ ، فَسَارُوا وَمُوسَى على ساقَتِهِم ، وَهَارُونَ على مُقَدَّمَتِهِم ، وَنَذَرَ بِهِمْ فِرْعَوْنُ ، فَجمَعَ قَوْمَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لا يَخْرُجُوا في طَلَبِ بَنِي إِسْرائِيلَ حَتَّى تَصِيحَ الدِّيَكَةُ .

قَالَ عَمرو بن مَيْمُونَ : فَوَاللهِ مَا صَاحَ دِيْكٌ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَخَرَجَ فِرْعَوْنُ في طَلَبِ بَنِي إِسْرائِيلَ ، وَعَلَى مُقَدَّمَتِهِ هامانُ في أَلْفِ أَلْفٍ وَسَبعمِئَةِ أَلْفٍ ، وَكَانَ فِيهم سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ دُهْمِ الخَيْلِ ، سِوى سَائِرِ الشِّياتِ .

● وَقَالَ شَيْخُ التَّفْسِيرِ محمَّد بن جَرير الطَّبريّ : كَانَ في عَسْكَرِ فِرْعَوْنَ مِئَةُ أَلْفِ حِصَانٍ أَدْهَمَ ، وَكَانَ فِرْعَونُ في سَبْعَةِ آلافِ أَلْفٍ ، وَكَانَ في الدُّهْمِ ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِئَةُ أَلْفِ ناشِبٍ ، وَمِئَةُ أَلْفٍ أَصْحَابُ حِرابٍ ، وَمِئَةُ أَلْفٍ أَصْحابُ أَعْمِدَةٍ ، وَكَانَ المَاءُ في غايَةِ زِيادَتِهِ .

وَكَانَ قَدْ أَشْرَفَ على بَنِي إِسْرائِيلَ حِينَ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، فَتَحَيَّرَ أَصْحابُ مُوسى ، فأَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلى مُوسى : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ [الشعراء : ٦٣] ، فَضَرَبَهُ فَلَمْ يُطِعْهُ ، فأَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلَيْه : أَنْ كَنِّه ؛ فَضَرَبَهُ وَقَالَ : افْلِقْ يا أَبا خَالِدٍ بإِذْنِ اللهِ تَعالَى ؛ فَانْفَلَقَ ، فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ ، وَظَهَرَ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ طَرِيقاً ، لِكُلِّ سِبْطٍ طَرِيقٌ ، وارْتَفَعَ المَاءُ بَيْنَ كُلِّ طَريقينِ كَالجَبَلِ ، وَأَرْسَلَ اللهُ تَعالَى الرِّيْحَ والشَّمْسَ على قَعْرِ البَحْرِ حَتَّى صَارَ يَبَساً .

فَخاضَتْ بَنُو إِسْرائِيلَ البَحْرَ ، كُلُّ سِبْطٍ فِي طَرِيقٍ ، وَعَلَى جانِبِهِمُ المَاءُ كَالجَبَلِ الضَّخْمِ ، فَصَارَ لا يَرَى بَعْضُهم بَعْضاً ، فَخافُوا ، وَقَالَ كُلُّ سِبْطٍ : قَدْ قُتِلَ إِخْوانُنا ؛ فَأَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلى المَاءِ : أَنْ تَشَبَّكْ ؛ فَصَارَ المَاءُ شَبَكاً

كَالطَّاقاتِ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَيَسْمَعُ بَعْضُهُمْ كَلامَ بَعْضٍ ، حَتَّى عَبَرُوا البَحْرَ سالِمِينَ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالَى : ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٠] .

وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا وَصَلَ إِلى البَحْرِ ، وَرَآهُ مُتَقَطِّعاً ، قَالَ لِقَوْمِهِ : انْظُرُوا إِلى البَحْرِ ، كَيْفَ انْفَلَقَ مِنْ هَيْبَتِي ، حَتَّى أُدْرِكَ عَبِيدِي الَّذِينَ أَبَقُوا ؛ ادْخُلُوا البَحْرَ ؛ فَهَابَ قَوْمُهُ أَنْ يَدْخُلُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنْ كُنْتَ رَبّاً ، فادْخُلِ البَحْرَ كَمَا دَخَلَ ـ يَعْنُونَ مُوسَى ـ وَكَانَ فِرْعَوْنُ على حِصَانٍ أَدْهَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ في خَيْلِ فِرْعَوْنَ فَرَسٌ أُنْثَى ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ على فَرَسٍ أُنْثَى وَدِيقٍ ، فَتَقَدَّمَهُمْ وَخَاضَ البَحْرَ ؛ فَلَمَّا شَمَّ أَدْهَمُ فِرْعَوْنَ رِيْحَها ، اقْتَحَمَ البَحْرَ في أَثَرِها ، وَلَمْ يَمْلِكْ فِرْعَوْنُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئاً ، وَهُوَ لا يَرَى فَرَسَ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فاقْتَحَمَتِ الخُيُولُ خَلْفَهُ البَحْرَ ، وَجَاءَ مِيكائِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ على فَرَسٍ خَلْفَ القَوْمِ يَسُوقُهُمْ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ رَجُلٌ ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ : الْحَقُوا بِأَصْحابِكُمْ ؛ حَتَّى إِذا خاضُوا كُلُّهم البَحْرَ ، وَخَرَجَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ البَحْرِ ، وَهَمَّ أَوَّلُهُمْ بالخُرُوجِ ، أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ البَحْرَ ، أَنْ يَأْخُذَهُمْ ؛ فالْتَطَمَ عَلَيْهِمْ فَأَغْرَقَهُمْ أَجمعين ، وَكَانَ بَيْنَ طَرَفَي البَحْرِ أَرْبَعَةُ فَراسِخَ ، وَذَلِكَ بِمَرْأًى مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالَى : ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٠] أَي : إِلى مَصَارِعِهِمْ ، وَقِيلَ : إِلى هَلاكِهِمْ ؛ وَالبَحْرُ هُوَ بَحْرُ القُلْزُمِ ، طَرَفٌ مِنْ بَحْرِ فارِس . اهـ .

وَقَالَ قَتادَةُ : هُوَ بَحْرٌ وَرَاءَ مِصْرَ يُقَالُ لَهُ : إِسْعاف .

وَلا خِلافَ أَنَّ فِرْعَوْنَ مَاتَ كافِراً ، وَلا الْتِفَاتَ إِلى قَوْلِ مَنْ قَالَ خِلافَ ذَلِكَ ، وَلا تَعْرِيْجَ عَلَيْهِ ؛ والنِّزَاعُ فِي أَنَّهُ مَاتَ مُسْلِماً ، مُكابَرَةٌ وَخَرْقٌ للإِجْمَاعِ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

● وَذَكَرَ ابْنُ خلِّكانِ[1] : أَنَّ عَبْدَ المَلِكِ بنَ مَرْوانَ ، لَمَّا عَزَمَ على الخُرُوج لِمُحارَبَةِ مُصْعَب بن الزُّبَيْرِ ، نَاشَدَتْهُ زَوْجَتُهُ عاتِكَةُ بنتُ يَزِيد بن مُعاوية أَنْ لا يَخْرُجَ بنَفْسِهِ ، وَأَنْ يَسْتَنِيبَ غَيْرَهُ ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْه في المَسْأَلَةِ ؛ فَلَمَّا لَم يَسْمَعْ مِنْها ، بَكَتْ وَبَكَى مَنْ حَوْلَها مِنْ حَشَمِها . فقَالَ عَبْدُ المَلِكِ : قَاتَلَ اللهُ كُثَيِّراً ، كَأَنَّهُ رَأى مَوْقِفَنا هَذَا حِيْنَ قَالَ[2] : [من الطَّويل]

إِذا مَا أَرادَ الغَزْوَ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ ... حَصَانٌ عَلَيْها نَظْمُ دُرٍّ يَزِيْنُها
نَهَتْهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عاقَهُ ... بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا شَجاها قَطِيْنُها

ثُمَّ عَزَمَ عَلَيْها أَنْ تُقصرَ ، وَخَرَجَ .

● وَيُضَاهِي هَذِهِ الحِكَايَةَ في طُرْفَةِ اتِّفاقِها ، وَمُلْحَةِ مَساقِها ، مَا حُكِيَ[3] أَنَّ المَأْمُونَ حِيْنَ بَنَى على بُورانَ بنتِ الحَسَنِ بن سَهْلٍ ، فُرِشَ لَهُ حَصِيرٌ مَنْسُوجٌ بالذَّهَبِ ، ثُمَّ نُثِرَ على قَدَمَيْه لآلِىءُ كَثِيْرَةٌ ؛ فَلَمَّا رَأَى المَأْمُونُ تَسَاقُطَ اللآلِىءِ المُخْتَلِفَةِ على الحَصِيرِ المَنْسُوجِ بالذَّهَبِ ، قَالَ : قاتَلَ اللهُ أَبا نُواسٍ ، كَأَنَّهُ شَاهَدَ هَذِهِ الحَالَ ، حِيْنَ شَبَّهَ حَبابَ كَأْسِهِ بِقَوْلِهِ[4] : [مِنَ البَسيط]

كَأَنَّ كُبْرَى وَصُغْرَى مِنْ فَواقِعِها ... حَصْبَاءُ دُرٍّ على أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وَقَدْ عِيْبَ ذَلِكَ على أَبِي نُواسٍ ، وَقَدِ اعْتُذِرَ عنهُ بِأَنَّهُ جَعَلَ « من » في البَيْتِ زائِدَةً ، عَلى مَا أَجازَهُ أَبُو الحَسَنِ الأَخْفَش مِنْ زِيادَتِها في الكَلامِ المُوجِبِ ،

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٠٨ والأغاني ٩/ ٢١ وطبقات ابن سلاَّم ٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣ وأمالي القالي ١/ ١٣ والعقد الفريد ٤/ ٤٠٧ .

(٢) ديوانه ٢٤٢ .

(٣) خبر بناء المأمون ببوران ، وهذه الواقعة ، في : الدِّيارات ١٥٧ ـ ١٥٩ ونساء الخلفاء لابن السَّاعي ٦٧ وبغداد لابن طيفور ١١٣ وتاريخ بغداد ٨/ ٢٨٥ وثمار القلوب ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ولطائف المعارف ١٢٠ ـ ١٢٣ والوافي بالوفيات ١٠/ ٣١٨ ـ ٣٢٠ .

(٤) ديوانه ٧٢ (غزالي) و ٣/ ٣٦ (فاغنر) .

وَأَوَّلَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تعالَى : ﴿ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ [النُّور : ٤٣] وَقِيلَ : تَقْدِيرُهُ : فِيها بَرَدٌ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

٢١٨ الحَصُورُ : النَّاقَةُ الضَّيِّقَةُ الإِحْلِيْلِ ؛ وَالحَصُورُ مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي لا يَقْرُبُ النِّسَاءَ .

● **فائِدَةٌ أجنبيَّةٌ** : ذَكَرَها الصَّاغانيّ في « العُبابِ » قَالَ : سَأَلَنِي والِدِي ، تَغَمَّدَهُ اللهُ تَعالَى بِرَحْمَتِهِ ، وَأَسْكَنَهُ بُحْبُوحَةَ جَنَّتِهِ ، بِعَرَفَةَ قَبْلِ سنةِ تِسْعِينَ وخَمسمئةٍ ، وَأَنا إِذْ ذَاكَ أَسْحَبُ مَطارِفَ الشَّبابِ ، في رَغَدِ العَيْشِ اللُّبَابِ ، وَهُوَ يُفِيدُنِي غُرَرَ الفوائِدِ ، وَيَرْزُقُنِي دُرَرَ الفَرائِدِ ، وَكَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - رَيَّانَ مِنَ الفَضَائِلِ ، طَيَّانَ عن الرَّذائِلِ ؛ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِم : قَدْ أَثَّرَ حَصِيْرُ الحَصِيْرِ في حَصِيْرِ الحَصِيْرِ ؛ فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ ، فَقَالَ : الحَصِيْرُ الأَوَّلُ : البارِيَّةُ ، والثَّانِي : السِّجْنُ ، والثَّالِثُ : الجَنْبُ ، والرَّابِعُ : المَلِكُ . ا هـ .

٢١٩ حَضاجِرُ : اسْمٌ لِلذَّكَرِ والأُنْثَى مِنَ الضِّبَاعِ ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَعَةِ بَطْنِها وَعِظَمِهِ ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةٌ ؛ قَالَ الحُطَيْئَةُ[1] : [من مَجْزُوءِ الكامِلِ]

هَلاَّ غَضِبْتَ لِرَحْلِ جَا ... رِكَ إِذْ تُنَبِّذُهُ حَضاجِرْ

كَذَا أَنْشَدَهُ ابْنُ سِيْدَه ؛ وَأَنْشَدَهُ الجَوْهريُّ[2] :

هَلاَّ غَضِبْتَ لِجارِ بَيْتِكَ

قَالَ السِّيرافي : وإِنَّما جُعِلَ اسْمَاً لَها على لَفْظِ الجَمْعِ ، إِرادَةً للمُبَالَغَةِ . وَقَالَ سِيبويه : سَمِعْنا العَرَبَ تَقُولُ : وَطْبٌ حِضَجْرٌ ، وَأَوْطُبٌ حَضاجِرُ ؛ وَلِذَلِكَ لا يَنْصَرِفُ في مَعْرِفَةٍ ولا نَكِرَةٍ ، لأَنَّهُ اسْمٌ لواحِدٍ على بِنْيَةِ الجَمْعِ .

---

(١) ديوانه ١٦٨ والصِّحاح « حضجر » والمخصَّص ٨/ ٧٠ و ١٦/ ١١٠ واللِّسان ٢/ ٩٠٦ .

(٢) رواية الجوهريّ كرواية ابن سِيْدَه ، لا خلاف !

وَقَالَ ابْنُ الحاجِبِ في « كافِيَتِهِ » : وَحَضاجِرُ : اسْمُ عَلَمٍ للضَّبُعِ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ ، لأَنَّهُ مَنْقُولٌ عَنِ الجَمْعِ .

قُلْتُ : وَهُوَ الأَوْجَهُ ؛ واللهُ أَعلَمُ .

٢٢٠ **الحِضْبُ** : الذَّكَرُ الضَّخْمُ مِنَ الحَيَّاتِ ؛ وَقِيلَ : حَيَّةٌ دَقِيقَةٌ ؛ وَقِيلَ : الأَبْيَضُ مِنَ الحَيَّاتِ .

٢٢١ **الحَفَّانُ** : فِراخُ النَّعامِ . واحِدُها حَفَّانَةٌ ، الذَّكَرُ والأُنْثَى فِيهِ سَواءٌ ؛ وَرُبَّما سَمَّوا صِغارَ الإِبلِ حَفَّاناً .

٢٢٢ **الحَفْصُ** : وَلَدُ الأَسَدِ ، وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ حَفْصاً .

٢٢٣ **الحَقْمُ** : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ يُشْبِهُ الحَمامَ ؛ وَيُقالُ : إِنَّهُ الحَمامُ نَفْسُهُ .

٢٢٤ **الحَلَزُونُ** : دُودٌ[1] في جَوْفِ أُنْبُوبَةٍ حَجَرِيَّةٍ ، يُوجَدُ في سَواحِلِ البِحارِ وَشُطُوطِ الأَنْهارِ . وَهَذِهِ الدُّودَةُ تَخْرُجُ بِنِصْفِ بدَنِها مِنْ جوْفِ تِلْكَ الأُنْبُوبَةِ الصَّدَفِيَّةِ ، وَتَمْشِي يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، تَطْلُبُ مادَّةً تَغْتَذِي بها ، فَإِذَا أَحَسَّتْ بِلِيْنٍ وَرُطُوبَةٍ انْبَسَطَتْ إِلَيْها ، وإِذا أَحَسَّتْ بِخُشُونَةٍ أَوْ صَلابَةٍ انْقَبَضَتْ وغاصَتْ في جَوْفِ الأُنْبُوبَةِ الصَّدَفِيَّةِ ، حِذاراً مِنَ المُؤْذِي لِجِسْمِها ، وإِذا انْسابَتْ جَرَّتْ بَيْتَها مَعَها .

وَحُكْمُهُ : التَّحْرِيمُ لاسْتِخْبَاثِهِ ؛ وَقَدْ قَالَ الرَّافعيُّ في « السَّرَطانِ » : إِنَّهُ يُحَرَّمُ لِما فِيهِ مِنْ الضَّرَرِ ، وَلأَنَّهُ داخِلٌ في عُمُوم تَحْرِيمِ الصَّدَفِ ، وَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَيْهِ في « بابِ السِّينِ المُهْمَلَةِ » .

وَأَمَّا المَحَارُ الَّذِي يُسَمَّى الدُّنَيْلِسَ ، فَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَيْهِ في « بابِ الدَّالِ » .

---

(١) عن مسالك الأبصار ٢٠/ ١٠٤ .

الخَواصُّ[1] : قَالَ ابْنُ سِيْنا : طَلْيُ الجَبْهَةِ بِالحَلَزُونِ ، يَمْنَعُ انْصِبابَ المَوادِّ إلى العَيْنِ ؛ واللهُ أَعْلَمُ .

٢٢٥ الحُلَكَةُ والحُلَكَاءُ والحُلُكَّى : بِفَتْحِ الحاءِ المُهْمَلَةِ وضمِّها وَكَسْرِها[2] : دُوَيْبَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالعَظَايَةِ ، تَغُوصُ في الرَّمْلِ .

٢٢٦ الحَلَمُ : القُرادُ العَظِيمُ ، الواحِدَةُ حَلَمَةٌ . وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ[3] : هُوَ مِثْلُ القَمْلِ ؛ وَسَيَأْتِي أَنَّهُ القُرادُ المَهْزُولُ . قَالَ : والحَلَمُ أَيْضاً : دُودٌ يَقَعُ في جِلْدِ الشَّاةِ الأَعْلَى وَجِلْدِها الأَسْفَلِ ، فَإِذا دُبِغَ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ المَوْضِعُ رَقِيقاً .

يُقالُ : حَلِمَ الأَدِيمُ ـ بِكَسْرِ اللاَّمِ ـ يَحْلَمُ ـ بِفَتْحِها ـ حَلَماً : إذا أَكَلَهُ .

قَالَ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ الوَلِيدُ بن عُقْبَةَ بن أَبي مُعَيْطٍ[4] : [من الوافر]

فَإِنَّكَ والكِتابَ إِلَى عَلِيٍّ ... كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الأَدِيْمُ

● قَالَ ابْنُ السِّكِّيْتِ[5] : وَهَذِهِ الدُّوَيْبَّةُ هِيَ التي تَأْكُلُ الكُتُبَ ، وَتُمَزِّقُ الأَوْرَاقَ .

---

(١) عن مسالك الأبصار ٢٠/ ١٠٤ .

(٢) كذا قال المؤلِّف رحمه الله ؛ وفي اللِّسان « حلك » ٢/ ٩٧٢ : والحُلْكَةُ والحُلْكاءُ والحُلَكاءُ والحَلَكاءُ والحُلُكَّى ـ على فُعُلَّى ـ : دُوَيْبَّةٌ شبيهةٌ بالعظاءة . الأزهريّ : والحُلَكَةُ ـ مثال الهُمَزَة ـ : ضربٌ من العظاء ، ويُقال : دُوَيْبَّةٌ تغوصُ في الرَّمل .
قلت : فليس فيها ـ كما ترى ـ كسر الحاءِ ! .

(٣) الصِّحاح « حلم » ٥/ ١٩٠٣ .

(٤) البيت من قطعة في : تاريخ الطَّبري ٤/ ٥٦٤ ونسب قريش ١٤٠ ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ وسمط اللآلي ١/ ٤٣٤ وشرح النَّهج ٣/ ٩٤ و ١٤/ ٣٩ و ١٦/ ١٧ واللِّسان « حلم » ٢/ ٩٨٠ ـ ٩٨١ .
والبيت بمفرده في : أَمثال أَبي عبيد ٣٤٤ وفصل المقال ٤٧٢ والميداني ٢/ ١٥٠ والعسكري ٢/ ١٥٨ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ٧٩ . وبلا نسبة في إِصلاح المنطق ١٩٩ .

(٥) عبارة ابن السِّكِّيت في إِصلاح المنطق ١٩٩ : وهي دودةٌ في الجلدِ .

● وَفِي الحَدِيثِ[1] : أَنَّ ابْنَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، كَانَ يَنْهَى أَنْ تُنْزَعَ الحَلَمَةُ مِنْ أُذُنِ دابَّتِه .

● وَرَوَى « أَبُو داود »[2] عَنْ أَبِي سَعِيْد الخُدْريّ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ صَلَّى بأَصْحابِهِ يَوْماً ، فنَزَعَ نَعْلَيْهِ وَوَضَعَهُما على يَسَارِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ القَوْمُ أَلْقَوا نِعالَهُمْ ؛ فَلَمَّا انْقَضَتِ الصَّلاةُ ، قَالَ : « مَا لَكُمْ خَلَعْتُمْ نِعالَكُمْ ؟ » قَالُوا : يا نَبِيَّ اللهِ ، رَأَيْناكَ خَلَعْتَ نَعْلَيْكَ ، فَخَلَعْنا نِعالَنا ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « إِنَّما نَزَعْتُهما لأَنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِما دَمَ حَلَمَةٍ » . انتهى .

قُلْتُ : وَالمُرادُ بِهِ الدَّمُ اليَسِيرُ ، وَالمَعْفُوّ عَنْهُ ؛ وَإِنَّما فَعَلَهُ النَّبيُّ ﷺ تَنَزُّهاً عَنِ النَّجاسَةِ ، وإِنْ كَانَ مَعْفُوّاً عَنْها .

وَقَدْ أَطْلَقَ أَصْحابُنا العَفْوَ عَنِ اليَسِيرِ مِنْ سَائِرِ الدِّمَاءِ ، إلاَّ المُتَوَلِّي ، فإِنَّهُ اسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ دَمَ الكَلْبِ وَالخِنْزِيرِ ، واحْتَجَّ بِغِلَظِ نَجاسَتِهِما .

وَأَمَّا الدَّمُ الباقِي على اللَّحْمِ وَعِظامِهِ ، فَإِنَّهُ مِمَّا تَعُمُّ بِهِ البَلْوَى ، وَقَلَّ مِنْ أَصْحَابِنا مَنْ تَعَرَّضَ لَهُ .

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو إِسْحاقَ الثَّعْلبيّ المُفَسِّرُ مِنْ أَئِمَّةِ أَصْحابِنا ، عَنْ جَماعَةٍ كَثِيْرَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ ، أَنَّهُ لا بَأْسَ بِهِ ؛ وَنَقَلَهُ عَنْ جَماعَةٍ مِنْ أَصْحابِنا ، لِمَشَقَّةِ الاحْتِرازِ .

وَصَرَّحَ الإِمامُ أَحمدُ وَأَصْحابُهُ ، بِأَنَّ مَا يَبْقَى مِنَ الدَّمِ في اللَّحْمِ مَعْفُوٌّ عَنْهُ ، وَلَوْ غَلَبَتْ حُمْرَةُ الدَّمِ في القِدْرِ ، لِعُسْرِ الاحْتِرازِ عنهُ ؛ وَحَكَوْهُ عن عائِشَةَ وَعِكْرِمَةَ والثَّوريّ ، وَبِهِ قَالَ إِسْحَاقُ ، لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ

---

(١) عن النِّهاية ١/ ٤٣٤ وقال : الحَلَمَةُ : القُرادُ الكبير .

(٢) أبو داود (٦٥٠) وفيه : « إنَّ جبريل ﷺ أتاني فأَخبرَني أَنَّ فيهما قَذَراً » . وليس في الحديث ذكرُ الحَلَم .

دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام : ١٤٥] فَلَمْ يَنْهَ عن كُلِّ دَمٍ ، بَلْ نَهى عَنِ المَسْفُوحِ خاصَّةً ، وَهُوَ السَّائِلُ ؛ واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

● قَالَ الأَصْمَعِيُّ[1] : وَيُقالُ للقُرادِ أَوَّلَ مَا يَكُونُ صَغِيراً : قَمْقَامَةٌ ، ثُمَّ يَصِيرُ حَمْنانَةً ، ثُمَّ يَصِيرُ قُراداً ، ثُمَّ يَصِيرُ حَلَماً ؛ وَأَنْشَدَ أَبُو عليّ الفارسيّ : [من الوافر]

وَمَـا ذَكَـرٌ فَـإِنْ يَكْبَـرْ فـأُنْثَـى ... شَـدِيـدُ الأَزْمِ لَيْـسَ لَـهُ ضُـرُوسُ

وَالأَكْثَرُ أَنْ يُجْمَعَ ضِرْسٌ على أَضْراسٍ ، وَالأَسْنانُ كُلُّها إناثٌ إِلاّ الأَضْراسَ وَالأَنْيَابَ .

وَحُكْمُهُ : تَحْرِيْمُ الأَكْلِ لاسْتِخْبَاثِهِ ؛ وَسَيَأْتِي الكَلامُ عليه إِن شاء الله تعالى في « بابِ القافِ » في لَفْظِ « القُرادِ » .

الأَمْثَالُ : قَالَتِ العَرَبُ[2] : « القِرْدَانُ فَما بَالُ الحَلَمِ » . وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : اسْتَنَّتِ الفِصَالُ حَتَّى القَرْعَى ، وَسَيَأْتِي في بابِهِ .

٢٢٧ الحِمَارُ الأَهْلِيُّ : الحِمَارُ : جَمْعُهُ : حَميْرٌ وَحُمُرٌ وأَحْمِرَةٌ ، وَرُبَّما قَالُوا لِلأَتَانِ : حِمارَةٌ ؛ وَتَصْغِيْرُهُ حُمَيِّرٌ . وَمِنْهُ تَوْبَةُ بن الحُمَيِّرِ ، صاحِبُ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَكُنْيَةُ الحِمارِ : أَبُو صابِرٍ ، وَأَبُو زِيادٍ[3] ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[4] : [مِنَ الوافر]

زِيَـادٌ لَسْـتُ أَدْرِي مَـنْ أَبُـوهُ ... وَلَكِـنَّ الحِمَـارَ أَبُـو زِيَـادِ

---

(١) مثله عن أبي عبيد في المخصص ٨/ ١٢٢ .

(٢) الميداني ٢/ ٣٩ والعسكري ٢/ ٦٣ برواية : « عذرتُ القِردانَ ، فما بالُ الحَلَمِ » . وفي الميداني ٢/ ٩٧ والزَّمخشريّ ١/ ٣٩٩ : « القردان حتَّى الحَلَم » .

(٣) وأبو نافع . المرصع ٢١٩ و ١٩٤ و ٣٢٢ وثمار القلوب ٤٠١ .

(٤) البيت بلا نسبة في : المرصع ١٩٥ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٤٧٣ وثمار القلوب ١/ ٤٠١ .

وَيُقَالُ لِلحِمارَةِ : أُمُّ مَحْمُودٍ ، وَأُمُّ تَوْلَبٍ ، وَأُمُّ جَحْشٍ ، وَأُمُّ نافِعٍ ، وأُمُّ وَهْبٍ[١] .

وَلَيْسَ في الحَيْوَانِ ما يَنْزُو عَلَى غَيْرِ جِنْسِهِ وَيَلْقَحُ إلاَّ الحِمَارُ والفَرَسُ ؛ وَهُوَ يَنْزُو إذا تَمَّ لَهُ ثَلاثُونَ شَهْراً .

وَمِنْهُ نَوْعٌ يَصْلُحُ لِحَمْلِ الأَثْقَالِ ، وَنَوْعٌ لَيِّنُ الأَعْطَافِ ، سَرِيعُ العَدْوِ ، يَسْبِقُ بَراذِينَ الخَيْلِ .

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ أَنَّهُ إذا شَمَّ رائِحَةَ الأَسَدِ ، رَمَى نَفْسَهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الفِرارَ مِنْهُ . قَالَ حَبيب بنُ أَوسٍ الطَّائيّ ، يُخاطِبُ عَبْدَ الصَّمَدِ بن المُعَذَّلِ وَقَدْ هَجَاهُ[٢] : [مِنَ البسيط]

أَقْدَمْتَ وَيْحَكَ مِنْ هَجْوِي على خَطَرٍ ... والعَيْرُ يُقْدِمُ مِنْ خَوْفٍ على الأَسَدِ

وَيُوصَفُ بِالهِدَايَةِ إِلى سُلُوكِ الطُّرُقَاتِ التي مَشَى فِيها ، وَلَوْ مَرَّةً واحِدَةً ، وَبِحِدَّةِ السَّمْعِ .

● وَلِلناسِ في مَدْحِهِ وَذَمِّهِ أَقْوالٌ مُتَبايِنَةٌ بِحَسَبِ الأَغْراضِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ خالِدَ بن صَفْوانَ وَالفَضْلَ بن عِيسَى الرّقاشيّ ، كانَا يَخْتارانِ رُكُوبَ الحَمِيرِ على رُكُوبِ البَراذِينِ .

فَأَمّا[٣] خالِدٌ ، فَلَقِيَهُ بَعْضُ الأَشْرافِ بالبَصْرَةِ على حِمارٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا يا ابْنَ صَفْوانَ ؟ فَقَالَ : عَيْرٌ مِنْ نَسْلِ الكُدَادِ يَحْمِلُ الرَّحْلَ ، وَيُبْلِغُنِي العَقَبَةَ ، وَيَقِلُّ داؤُهُ ، وَيَخِفُّ دَواؤُهُ ، وَيَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ ، وأَنْ أَكُونَ مِنَ المُفْسِدِينَ .

---

(١) وأُم المثنى . المرصَّع ١٠٨ و ١٢٢ و ٢٣٤ و ٣٣٩ . وليس فيه : أُمّ محمود .
(٢) ديوان أَبي تمّام ٤/ ٣٥١ بصدرٍ مختلفٍ ، ولم يُذكر فيه المهجوُّ .
(٣) بيان الجاحظ ١/ ٣٠٧ وثمار القلوب ١/ ٥٥٤ وربيع الأَبرار ٥/ ٤٠١ والمستطرف ٢/ ٤٦٨ .

وَأَمَّا[١] الفَضْلُ ، فَإِنَّهُ سُئِلَ عَنْ رُكُوبِهِ الحِمَارَ ، فَقَالَ : إِنَّهُ مِنْ أَقَلِّ الدَّوابِّ مَؤُونَةً ، وَأَكْثَرِها مَعُونَةً ، وَأَخْفَضِها مَهْوىً ، وَأَقْرَبِها مُرْتَقىً .

فَسَمِعَ أَعرابيٌّ كَلامَهُ ، فَعارَضَهُ بِقَوْلِهِ[٢] : الحِمارُ شَنارٌ ، وَالعِيْرُ عارٌ ، مُنْكَرُ الصَّوْتِ ، لا تُرْقَأُ بِهِ الدِّمَاءُ ، ولا تُمْهَرُ بِهِ النِّسَاءُ ؛ وَصَوْتُهُ أَنْكَرُ الأَصْواتِ .

● قَالَ الزَّمخشريُّ : الحِمارُ مَثَلٌ في الذَّمِّ الشَّنيعِ والشَّتِيْمَةِ ؛ وَمِنِ اسْتِيحاشِهِم لِذِكْرِ اسْمِهِ ، أَنَّهُمْ يُكَنُّونَ عنه ، وَيَرْغَبُونَ عَنِ التَّصْرِيحِ بِهِ ، فَيَقُولُونَ : الطَّويلُ الأُذُنَيْنِ ، كَمَا يُكَنُّونَ عَنِ الشَّيْءِ المُسْتَقْذَرِ ؛ وَقَدْ عُدَّ مِنْ مَساوِىءِ الآدابِ ، أَنْ يَجْرِيَ ذِكْرُ الحِمارِ في مَجْلِسِ قَوْمٍ ذَوِي مُرُوءَةٍ .

وَمِنَ[٣] العَرَبِ مَنْ لا يَرْكَبُ الحِمارَ اسْتِنْكَافاً ، وإِنْ بَلَغَتْ بِهِ الرِّحْلَةُ الجَهْدَ . اهـ .

وَالمُرُوءَةُ بِالهَمْزِ وَتَرْكِهِ . قَالَ الجَوْهَرِيُّ[٤] : هِيَ الإِنْسَانِيَّةُ . وَقَالَ ابْنُ فارِسٍ[٥] : هِيَ الرُّجُولِيَّةُ .

وَقِيلَ : إِنَّ ذَا المُرُوءَةِ ، مَنْ يَصُونُ نَفْسَهُ عَنِ الأَدْناسِ ، ولا يَشِيْنُها عِنْدَ النَّاسِ .

وَقِيلَ : مَنْ يَسِيرُ بِسِيْرَةِ أَمْثَالِهِ ، في زَمانِهِ وَمَكانِهِ .

قَال الدَّارميُّ : قِيلَ : المُرُوءَةُ في الحِرْفَةِ . وَقِيلَ : في آدابِ الدِّيْنِ ،

---

(١) بيان الجاحظ ١/ ٣٠٧ وثمار القلوب ١/ ٥٥٤ وربيع الأَبرار ٥/ ٤٠١ والمستطرف ٢/ ٤٦٨ .

(٢) ثمار القلوب ١٠/ ٥٥٤ وربيع الأَبرار ٥/ ٤٠٢ والمستطرف ٢/ ٤٦٩ .

(٣) المستطرف ٢/ ٤٦٩ .

(٤) الصِّحاح « مرأ » ١/ ٧٢ .

(٥) معجم مقاييس اللُّغة ٥/ ٣١٥ .

كَعَدَمِ الأَكْلِ ، والصِّياحِ في الجَمِّ الغَفِيرِ ، وانْتِهارِ السَّائِلِ ، وَقِلَّةِ فِعْلِ الخَيْرِ مَعَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ ، وَكَثْرَةِ الاسْتِهْزَاءِ والضَّحِكِ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ . ا هـ .

● وَفِي « الصَّحيحَيْنِ » وغيرِهما[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإمامِ ، أَنْ يَجْعَلَ اللهُ صُوْرَتَهُ صُورَةَ حِمارٍ ؟ أَو : يُحَوِّلُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمارٍ ؟ » .

وَمَعْنَى ذَلِكَ ـ واللهُ أَعلم ـ : أَنْ يَمْسَخَ صُورَتَهُ كُلَّها ، فَيَجْعَلَ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمارٍ ، وَبَدَنَهُ بَدَنَ حِمارٍ ؛ وَفِيهِ دَليلٌ على جَوازِ وُقُوعِ المَسْخِ ؛ أَعاذَنا اللهُ منهُ ، وَهُوَ لا يَكُونُ إلاَّ مِنْ شِدَّةِ الغَضَبِ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ ﴾ [المائدة : ٦٠] الآية .

وَهَذَا الحَدِيثُ صَرِيحٌ في تَحْرِيمِ مُسابَقَةِ الإمامِ بالرُّكُوعِ والسُّجُودِ وغَيْرِهما مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاةِ ؛ وَبِهِ صَرَّحَ البَغَوِيُّ والمُتَوَلِّي ، وَصَحَّحَهُ النَّوويُّ في « شَرْحِ المُهَذَّبِ » ، وَهُوَ ظاهِرُ « إِيْرادِ الكِفَايَةِ » .

● وَفِي « الصَّحِيْحَيْن » وغَيْرِهما[2] : عَنْ أَبِي هُريرة رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إذا سَمِعْتُم نَهِيقَ الحَمِيرِ ، فَتَعَوَّذُوا باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فإِنَّها رَأَتْ شَيْطاناً ؛ وإذا سَمِعْتُمْ صِياحَ الدِّيَكَةِ ، فاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنَّها رَأَتْ مَلَكاً » . وَسَيَأْتِي في « بابِ الدَّالِ المُهْمَلَةِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

● غَرِيْبَةٌ : رَأَيْتُ في كِتابِ « النَّصائِحِ » لابْنَ ظَفَر ، قَالَ :

---

(١) البخاري ١/ ١٧٠ ومسلم (٤٢٧) وأَبو داود (٦٢٣) والتّرمذيّ (٥٨٢) والنَّسائي (٨٢٨) وابن ماجه (٩٦١) ومسند أَحمد ٢/ ٢٦٠ و ٢٧١ و ٤٢٥ و ٤٥٦ و ٤٦٩ و ٤٧٢ و ٥٠٤ .

(٢) البخاري ٤/ ٩٨ وفي الأَدب المفرد (١٢٣٦) ومسلم (٢٧٢٩) وأَبو داود (٥١٠٢) والتّرمذيّ (٣٤٥٩) والنَّسائيّ في عمل اليوم واللَّيْلَة (٩٤٣ و ٩٤٤) ، وابن السُّنِّيّ (٣١١) ومسند أَحمد ٢/ ٣٠٦ و ٣٢١ و ٣٦٤ .

دَخَلْتُ ثَغْراً مِنْ ثُغُورِ الأَنْدَلُسِ ، فَأَلْفَيْتُ به شَابّاً مُتَفَقِّهاً مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، فآنَسَنِي بحَدِيْثِهِ ، وَذَاكَرَنِي طَرَفاً مِنَ العِلْمِ ، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُ فَقُلْتُ : يَا مَنْ قَالَ : ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النِّساء : ٣٢] فَقَالَ : أَلا أُحَدِّثُكَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ بِعَجَبٍ ؟ قُلْتُ : بَلَى ؛ فَحَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ سَلَفِهِ ، أَنَّهُ قَالَ :

قَدِمَ عَلَيْنا مِنْ طُلَيْطِلَةَ راهِبَانِ ، كَانَا عَظِيْمَي القَدْرِ بها ، وَكَانا يَعْرِفَانِ اللِّسَانَ العَرَبيَّ ، فأَظْهَرَا الإِسْلامَ ، وَتَعَلَّمَا القُرْآنَ والفِقْهَ ، فَظَنَّ النَّاسُ بِهِما الظُّنُونَ .

قَالَ : فَضَمَمْتُهما إِليَّ ، وَقُمْتُ بِأَمْرِهِما ، وَتَجَسَّسْتُ عَلَيْهِما ، فإِذا هُمَا عَلَى بَصِيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِما ، وَكَانا شَيْخَيْنِ ، فَقَلَّ مَا لَبِثَ أَحَدُهُما حَتَّىٰ تُوُفِّيَ ، وَأَقامَ الآخَرُ أَعْواماً ، ثُمَّ مَرِضَ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً : مَا سَبَبُ إِسْلامِكُما ؟ فَكَرِهَ مَسْأَلَتِي ، فَرَفَقْتُ بِهِ ، فَقَالَ :

إِنَّ أَسِيراً مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ كَانَ يَخْدِمُ كَنِيْسَةً نَحْنُ في صَوْمَعَةٍ مِنْها ، فاخْتَصَصْنا بِهِ لِخِدْمَتِنا ، وَطَالَتْ صُحْبَتُهُ لَنا ، حَتَّى فَقِهْنا اللِّسَانَ العَربيَّ ، وَحَفِظْنا آياتٍ كَثِيْرَةٍ مِنَ القُرْآنِ لِكَثْرَةِ تِلاوَتِهِ لَهُ ، فَقَرَأَ يَوْماً : ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النِّساء : ٣٢] فَقُلْتُ لِصاحِبِي ، وَكَانَ أَشَدَّ مِنِّي رَأْياً وأَحْسَنَ فَهْماً : أَما تَسْمَعُ دَعاوَى هَذِهِ الآيَةِ ؟ فَزَجَرَنِي ؛ ثُمَّ إِنَّ الأَسِيرَ قَرَأَ يَوْماً : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠] فَقُلْتُ لِصاحِبِي : هَذِهِ أَشَدُّ مِنْ تِلْكَ ؛ فَقَالَ : مَا أَحْسَبُ الأَمْرَ إِلاَّ على ما يَقُولُونَ ، وَمَا بَشَّرَ عِيْسَى إِلاَّ بِصاحِبِهِمْ .

وَقَالَ : واتَّفَقَ يَوْماً أَنِّي غَصِصْتُ بِلُقْمَةٍ ، والأَسِيرُ قائِمٌ عَلَيْنا يَسْقِينا الخَمْرَ على طَعامِنا ، فأَخَذْتُ الكَأْسَ منهُ ، فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِها ، فَقُلْتُ في نَفْسِي : يا رَبِّ ، إِنَّ محمَّداً قَالَ عَنْكَ : أَنَّكَ قُلْتَ : ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ وإِنَّكَ قُلْتَ : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فإِنْ كَانَ صادِقاً فاسْقِنِي ؛ فإِذا صَخْرَةٌ يَتَفَجَّرُ مِنْهَا الماءُ ،

فَبادَرْتُ فَشَرِبْتُ منهُ ؛ فَلَمَّا قَضَيْتُ حاجَتِي ، انْقَطَعَ وَرائِي ذَلِكَ الأَسِيرُ ، فَشَكَّ في الإِسْلامِ ، وَرَغِبْتُ أَنا فِيهِ ، وَأَطْلَعْتُ صاحِبِي على أَمْرِي ، فَأَسْلَمْنا مَعاً ، وَغَدَا عَلَيْنا الأَسِيرُ يَرْغَبُ في أَنْ نُعَمِّدَهُ وَنُنَصِّرَهُ ، فانْتَهَرْناهُ وَصَرَفْناهُ عَنْ خِدْمَتِنا ؛ ثُمَّ إِنَّهُ فارَقَ دِينَهُ وَتَنَصَّرَ ، فَحِرْنا في أَمْرِنا ، وَلَمْ نَهْتَدِ لِوَجْهِ الخَلاصِ ، فَقَالَ صاحِبِي ـ وَكَانَ أَشَدَّ مِنِّي رَأْياً ـ : لِمَ لا نَدْعُو بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ ؟ فَدَعَوْنا بِها في الْتِماسِ الفَرَجِ ، وَنِمْنَا القائِلَةَ ، فَأُرِيتُ في المَنامِ أَنَّ ثَلاثَةَ أَشْخاصٍ نُورانِيَّةٍ دَخَلُوا مَعْبَدَنا ، فَأَشَارُوا إِلى صُوَرٍ فِيهِ فانْمَحَتْ ، وَأَتَوْا بِكُرْسِيٍّ فَنَصَبُوهُ ، ثُمَّ أَتَى جَماعَةٌ مِثْلُهم في النُّورِ وَالبَهْجَةِ ، وَبَيْنَهُمْ رَجُلٌ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ خَلْقاً منهُ ، فَجَلَسَ على الكُرْسِيِّ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ السَّيِّدُ المَسِيحُ ؟ فَقَالَ : « لا ، بَلْ أَنا أَخُوهُ أَحمدُ ؛ أَسْلِمْ » . فَأَسْلَمْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ لَنا بِالخُرُوجِ إِلى بلادِ أُمتِكَ ؟ فَقَالَ لِشَخْصٍ قائِمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ : « اذْهَبْ إِلى مَلِكِهِمْ ، وَقُلْ لَهُ يَحمِلْهُما مُكَرَّمَيْنِ إِلى حَيْثُ أَحَبَّا مِنْ بلادِ المُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يُحْضِرَ الأَسِيرَ فُلاناً ، وَيَعْرِضَ عَلَيْهِ العَوْدَ إِلى دِينِهِ ، فَإِنْ فَعَلَ يُخَلِّي سَبِيلَهُ ، وإِنْ لَمْ يَفعَلْ فَلْيَقْتُلْهُ » . قَالَ : فاسْتَيْقَظْتُ مِنْ مَنامِي ، وَأَيْقَظْتُ صاحِبِي ، وَأَخْبَرْتُهُ بما رَأَيْتُ ، وَقُلْتُ لَهُ مَا الحِيْلَةُ ؟ فَقَالَ : قَدْ فَرَّجَ اللهُ ، أَما تَرَى الصُّوَرَ مَمْحُوَّةً ؟ فَنَظَرْتُ فَوَجَدْتُها مَمْحُوَّةً ، فازْدَدْتُ يَقِيناً ، ثُمَّ قالَ لِي صاحِبِي : قُمْ بنا إِلى المَلِكِ ؛ فَأَتَيْناهُ ، فَجَرَى فِي تَعْظِيمِنا على عادَتِهِ ، وَأَنْكَرَ قَصْدَنا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ صاحِبِي : افْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ في أَمْرِنا ، وَفِي أَمْرِ فُلانٍ الأَسِيرِ ؛ فامْتُقِعَ لَوْنُهُ وَأُرْعِدَ ، ثُمَّ دَعَا بِالأَسِيرِ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ مُسْلِمٌ أَوْ نَصْرانِيٌّ ؟ فَقَالَ : بَلْ نَصْرانِيٌّ ؛ فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلى دِيْنِكَ ، لا حاجَةَ لَنا فِيْمَنْ لا يَحْفَظُ دِيْنَهُ ؛ فَقَالَ : لا أَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَداً ؛ فاخْتَرَطَ المَلِكُ سَيْفَهُ ، وَقَتَلَهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَنا سِرّاً : إِنَّ الذي جاءَ إِلَيَّ وإِلَيْكُما شَيْطانٌ ؛ وَلَكِنْ مَا الَّذِي تُرِيدانِ ؟ قُلْنا : الخُرُوجُ إِلى بِلادِ المُسْلِمِينَ . قَالَ : أَنَا أَفْعَلُ مَا تُرِيْدَانِ ، لَكِنْ أَظْهِرَا

أَنَّكُمَا تُرِيْدَانِ بَيْتَ المَقْدِسِ ؛ فَقُلْنا لَهُ : نَفْعَلُ ، فَجَهَّزَنا وَأَخْرَجَنا مُكَرَّمَيْنَ . اهـ .

● وَرَوَى « النسائيُّ » و« الحاكِمُ »[1] عَنْ جابرِ بن عبدِ الله ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « إذا سَمِعْتُمْ نُباحَ الكِلابِ وَنَهِيقَ الحَمِيرِ في اللَّيْلِ ، فَتَعَوَّذُوا باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فإِنَّها تَرَى مَا لا تَرَوْنَ ؛ وَأَقِلُّوا الخُرُوجَ إذا هَدَأَتِ الرِّجْلُ ، فإِنَّ اللهَ يَبُثُّ في اللَّيْلِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ » .

ثُمَّ قَالَ الحَاكِمُ : صَحِيحُ الإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسلمٍ .

● وَفِي « سُنَنِ أَبي داود »[2] وَغَيْرِهِ ، عَنْ أَبي هُريرة رضي الله تعالى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللهُ تَعالَى فِيهِ ، إلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمارٍ ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً » .

وَفِي « تاريخِ نَيْسَابُور » و« كامِلِ ابْنِ عَدِيّ »[3] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « شَرُّ الحَمِيرِ الأَسْوَدُ القَصِيرُ » .

● وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ[4] : تَعْشيرُ الحِمارِ : نَهِيْقُهُ عَشْرَةَ أَصْواتٍ في طَلْقٍ واحِدٍ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[5] : [مِنَ الطَّويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ عَشَّرْتُ مِنْ خِيْفَةِ الرَّدَى   نُهَاقَ حِمارٍ إِنَّنِي لَجَزُوعُ

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إذا خافُوا مِنْ وَباءِ بَلَدٍ ، عَشَّرُوا كَتَعْشِيرِ الحِمارِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوها ، وَكانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُمْ .

● **غَرِيبَةٌ أُخْرَى** : قَالَ مَسْرُوقٌ[6] : كَانَ رَجُلٌ بِالبادِيَةِ لَهُ حِمَارٌ وَكَلْبٌ

---

(١) مسند أَحمد ٣/ ٣٠٦ ومستدرك الحاكم ٤/ ٢٨٤ .

(٢) أَبو داود (٤٨٥٥) ومسند أَحمد ٢/ ٣٨٩ و ٤٩٤ و ٥١٥ و ٥٢٧ .

(٣) وميزان الاعتدال ٣/ ٤٣٣ .

(٤) الصِّحاح « عشر » ٢/ ٧٤٧ .

(٥) البيت لعروة بن الورد ، في ديوانه ٧١ . وسيأتي في الأمثال .

(٦) المستطرف ٢/ ٤٧٠ .

وَدِيْكٌ ، وَكَانَ الدِّيْكُ يُوقِظُهُم لِلصَّلاةِ ، والكَلْبُ يَحْرُسُهُم ، وَالحِمارُ يَنْقُلُونَ عَلَيْهِ المَاءَ ، وَيَحْمِلُ لَهُمْ خِيامَهم ؛ فَجاءَ الثَّعْلَبُ فَأَخَذَ الدِّيْكَ ، فَحَزِنُوا لَهُ ، وَكَانَ الرَّجُلُ صالِحاً ، فَقَالَ : عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْراً ؛ ثُمَّ جَاءَ ذِئْبٌ فَخَرَقَ بَطْنَ الحِمَارِ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْراً ؛ ثُمَّ أُصِيبَ الكَلْبُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْراً .

ثُمَّ أَصْبَحُوا ذَاتَ يَوْمٍ فَنَظَرُوا فإِذا قَدْ سُبِيَ مَنْ كَانَ حَوْلَهُمْ وبَقُوا سالِمِينَ ، وإِنَّما أُخِذُوا أُولَئِكَ بما كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَصْواتِ الكِلابِ والحَمِيْرِ وَالدِّيَكَةِ ، فَكانَتِ الخِيَرَةُ في هَلاكِ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا قَدَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى ، فَمَنْ عَرَفَ خَفِيَّ لُطْفِ اللهِ رَضِيَ بِفِعْلِهِ .

● **فائِدَةٌ** : رَوَى البَيْهَقِيُّ في « دَلائِلِ النُّبُوَّةِ »[1] بِسَنَدِهِ إِلى أَبي سَبْرَةَ النَّخعيّ ، قَالَ :

أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ اليَمَنِ ، فَلَمَّا كَانَ في أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ نَفَقَ حِمارُهُ ، فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي جِئْتُ مُجاهِداً في سَبِيْلِكَ ، ابْتِغاءَ مَرْضَاتِكَ ، وَأَنا أَشْهَدُ أَنَّكَ تُحْيِي المَوْتَى ، وَتَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ ؛ فَلا تَجْعَلْ لأَحَدٍ عَلَيَّ اليوم مِنَّةً ؛ أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَ لِي حِمارِي ؛ فَقَامَ الحِمَارُ يَنْفُضُ أُذُنَيْهِ .

قَالَ البَيْهَقِيُّ : هَذَا إِسْنادٌ صَحِيحٌ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ مُعْجِزَةً لِصاحِبِ الشَّرِيْعَةِ ، حَيْثُ يَكُونَ في أُمَّتِهِ مَنْ يُحْيِي اللهُ لَهُ المَوْتَى ، كَمَا سَبَقَ وَيَأْتِي .

وَالرَّجُلُ المَذْكُورُ اسْمُهُ نُباتَةُ بن يَزيد النَّخَعِيّ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ : أَنا رَأَيْتُ ذَلِكَ الحِمَارَ يُباعُ بَعْدَ ذَلِكَ في السُّوقِ ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ : أَتَبِيعُ حِماراً قَدْ أَحْيَاهُ اللهُ لَكَ ؟ قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ

---

(١) دلائل النُّبوَّة للبيهقي ٦/ ٤٩ والبداية والنِّهاية ٩/ ٤٨ ـ ٥٠ .

رَهْطِه ثلاثَةَ أَبْيَاتٍ ، حَفِظْتُ مِنْها هَذَا البَيْتَ : [مِنَ الطَّويل]

وَمِنَّــا الَّــذِي أَحْيَــا الإِلَــهُ حِمــارَهُ   وَقَـدْ مَـاتَ مِنْـهُ كُـلُّ عُضْـوٍ وَمَفْصِـلِ

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : قَوْله تعالَى : ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ**﴾ [البقرة : ٢٦٠] قَالَ الحَسَنُ وَقَتادَةُ وَعَطاءٌ الخُراسانِيُّ والضَّحَّاكُ وابْنُ جُرَيْجٍ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَى[١] :

كَانَ سَبَبُ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ إِبْراهِيمَ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ على دابَّةٍ مَيِّتَةٍ .

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : كانَتْ جِيفَةَ حِمارٍ بِسَاحِلِ البَحْرِ . قَالَ عَطاءٌ : بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّةَ .

قَالُوا : فَرَآها وَقَدْ تَوَزَّعَتْها دَوابُّ البَحْرِ والبَرِّ ؛ وَكَانَ البَحْرُ إِذا مَدَّ ، جاءَتِ الحِيْتَانُ وَدَوابُّ البَحْرِ فَأَكَلَتْ مِنْها ، فَمَا وَقَعَ مِنْها يَصِيرُ في البَحْرِ ؛ وإِذا جَزَرَ البَحْرُ ، جاءَتِ السِّباعُ فَأَكَلَتْ مِنْها ، فما وَقَعَ منها يَصِيرُ تُراباً ؛ فإِذا ذَهَبَتِ السِّباعُ جاءَتِ الطَّيْرُ فأَكَلَتْ مِنْها ، فَمَا سَقَطَ مِنْها ، قَطَّعَتْهُ الرِّيَاحُ فِي الهَواءِ .

فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ ، تَعَجَّبَ مِنْها ، وَقَالَ : يا رَبِّ ، قَدْ عَلِمْتُ لَتَجْمَعَنَّها مِنْ بُطُونِ السِّباعِ وحَواصِلِ الطَّيْرِ وأَجْوافِ دَوابِّ البَحْرِ ، فَأَرِنِي كَيْفَ تُحْيِيها ، لأُعايِنَ ذَلِكَ فأَزْدَادَ يَقِيناً ؟ فعاتَبَهُ اللهُ على ذَلِكَ ، فَقَالَ : ﴿**أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ**﴾ [البقرة : ٢٦٠] يا رَبِّ ، قَدْ عَلِمْتُ وآمَنْتُ ﴿**وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى**﴾ [البَقرة : ٢٦٠] أَي : يَسْكُنَ إِلى المُعايَنَةِ والمُشَاهَدَةِ .

فإِبْراهِيمُ ﷺ كَانَ يَعْلَمُ يَقِيْناً أَنَّ اللهَ يُحْيِي المَوْتَى ، وَلَكِنَّهُ أَرادَ أَنْ يَصِيرَ لَهُ عِلْمُ اليَقِينِ عَيْنَ اليَقِينِ ، لأَنَّ الخَبَرَ لَيْسَ كَالمُعايَنَةِ ؛ وَما أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِم[٢] : [من الوافر]

---

(١) أَسباب النُّزول للواحديّ ١١٧ .

(٢) البيتان للإِمام ابن حزم الظَّاهريّ ، في جذوة المقتبس ٣١٠ ووفيات الأَعيان ٣/ ٣٢٦ .

لَئِــنْ كَلَّمْــتَ بِــالتَّفْــرِيــقِ قَلْبِــي فَــأَنْــتَ بِخَــاطِــرِي أَبَــداً مُقِيــمُ
وَلَكِـــنْ لِلْعِيـــانِ لَطِيـــفُ مَعْنـــىً لَـــهُ سَـــأَلَ المُعَـــايَنَـــةَ الكَلِيْـــمُ

● وَقِيلَ[(١)] : كَانَ سَبَبُ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ إِبْراهِيمَ ، أَنَّهُ لَمَّا احْتَجَّ على نَمْرُوذِ ، فقَالَ : ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فقَالَ نَمْرُوْذُ : ﴿ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] فقَتَلَ رَجُلاً ، وَأَطْلَقَ آخَرَ ؛ فَجَعَلَ تَرْكَ القَتْلِ إِحْيَاءً ، فقَالَ إِبراهِيمُ : إِنَّ اللهَ يَقْصِدُ إِلى جَسَدٍ مَيِّتٍ فَيُحْيِيه ؛ فَقَالَ لَهُ نَمْرُوذُ : أَنْتَ عايَنْتَهُ ؟ فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَقُولُ : نعم ؛ فانْتَقَلَ إِلى حُجَّةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ إِحْيَاءَ المَوْتَى ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ بقُوَّةِ حُجَّتِي ، وإِذا قِيلَ لِي : أَنْتَ عايَنْتَهُ ؟ أَقُولُ : نعم ، قَدْ عايَنْتُهُ .

● وَقَالَ[(١)] سَعيدُ بنُ جُبَيْرٍ : لَمَّا اتَّخَذَ اللهُ إِبراهِيمَ خَلِيلاً ، سَأَلَ مَلَكُ المَوْتِ رَبَّهُ ، أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فَيُبَشِّرَ إِبراهِيمَ بذَلِكَ ؛ فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَتَى إِبْراهِيمَ ، وَلَمْ يَكُنْ في الدَّارِ ، فَدَخَلَ دَارَهُ ؛ وَكَانَ إِبراهيمُ مِنْ أَغْيَرِ النَّاسِ ، إِذا خَرَجَ أَغْلَقَ بابَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ وَجَدَ فِي دارِهِ رَجُلاً ، فَثَارَ عَلَيْه إِبْراهِيمُ لِيَأْخُذَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَنْ أَذِنَ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ دَارِي بِغَيْرِ إِذْنِي ؟ فقَالَ : أَذِنَ لِي رَبُّ هَذه الدَّارِ ؛ فقَالَ لَهُ إِبْراهِيمُ : صَدَقْتَ ؛ وَعَرَفَ أَنَّهُ مَلَكٌ ، فقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فقَالَ لَهُ : أَنَا مَلَكُ المَوْتِ ، جِئْتُ أُبَشِّرُكَ بِأَنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَكَ خَلِيلاً ؛ فَحَمِدَ اللهَ تَعالَى ، ثُمَّ قَالَ : مَا عَلامَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِجابَةُ اللهِ دُعاءَكَ ، وإِحْيَاءُ المَوْتَى بسُؤَالِكَ ؛ فَحِينَئِذٍ قَالَ إِبْراهِيمُ : ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] أَنَّكَ قَدِ اتَّخَذْتَنِي خَليلاً ، وَأَجَبْتَنِي إِذا دَعَوْتُكَ .

● وَرَوَى « البُخاري »[(٢)] عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) أَسباب النُّزول ١١٨ .

(٢) البخاري ٤/ ١١٩ و ٥/ ١٦٣ ومسلم (١٥١) وابن ماجه (٤٠٢٦) ومسند أَحمد ٢/ ٣٢٦ .

قَالَ : « نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِنْ إبْراهِيمَ إِذْ قَالَ : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠] . وَرَحِمَ اللهُ لُوطاً ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إلى رُكْنٍ شَديدٍ ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِي » .

وقد أخرجه « مسلم » عَنِ ابْنِ وَهْبٍ أَيْضاً .

وَقَوْلُهُ : نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِنْ إبْراهِيمَ : قَالَ المُزَنِيُّ : لَمْ يَشُكَّ النَّبيُّ ولا إبْراهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَسَلَّم ، في أَنَّ اللهَ قادِرٌ على أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى ، وإِنَّما شَكّا في أَنَّهُ تَعالَى هَلْ يُجيبُهُما إلى مَا سَأَلاهُ أَمْ لا ؟ .

وَقَالَ الخَطَّابِيُّ : لَيْسَ في قَوْلِهِ « نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِنْ إبْراهِيمَ » اعْتِرافٌ بالشَّكِّ على نَفْسِهِ وَلا عَلَى إبْراهِيمَ ، لَكِنْ فِيهِ نَفْيُ الشَّكِّ عنهما ؛ يَقُول : إذا لَمْ أَشُكَّ أَنا في قُدْرَةِ اللهِ على إحْيَاءِ المَوْتَى ، فإِبْراهِيمُ أَوْلَى بِأَنْ لا يَشُكَّ ، وَإِنَّما قَالَ ذَلِكَ على سَبيلِ التَّواضُعِ وَالهَضْمِ مِنَ النَّفْسِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِي » . وَفِيهِ إِعْلامٌ أَنَّ المَسْأَلَةَ مِنْ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمْ تَعْرِضْ مِنْ جِهَةِ الشَّكِّ ، لَكِنْ مِنْ قَبِيلِ زِيادَةِ العِلْمِ بالعِيانِ ؛ فإِنَّ العِيانَ يُفِيدُ مِنَ المَعْرِفَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ مَا لا يُفِيدُهُ الاسْتِدْلالُ .

وَقِيلَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ، قَالَ قَوْمٌ : شَكَّ إبْراهِيمُ ، وَلَمْ يَشُكَّ نَبِيُّنا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذَا القَوْلَ تَواضُعاً منه ، وَتَقْدِيماً لإِبْراهِيمَ ﷺ .

وَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَى تَمامِ الآيَةِ في « بابِ الطَّاءِ المُهْمَلَةِ » في الكَلامِ على لَفْظِ « الطَّيْرِ » .

● فائِدَةٌ أُخْرَى : قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ

يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ﴾ [البقرة : ٢٥٩] الآية ، هَذِهِ الآيَةُ مَنْسُوقَةٌ على الآيَةِ التي قَبْلَها ، تَقْدِيْرُهُ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة : ٢٥٨] وإِلى الَّذِي ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

وَقِيلَ : تَقْدِيْرُهُ : هَلْ رَأَيْتَ كَالَّذِي حاجَّ إِبراهِيْمَ فِي رَبِّه ؟ وَهَل رَأَيْتَ كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ ؟ قَالَهُ البَغَوِيُّ .

● وَقَدِ اخْتَلَفَ المُفَسِّرونُ وَأَهْلُ السِّيَرِ في ذَلِكَ المَارِّ ؛ فَقَالَ وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ : هو أَرْمِيا بن حَلْقِيَّا ، وَكَانَ مِنْ سِبْطِ هارُونَ ، وَهُوَ الخَضِرُ .

وَقَالَ قَتادَةُ وَعِكْرِمَةُ والضَّحَّاكُ : هُوْ عُزَيْرُ بن شَرخيا ، وَهُوَ الأَصَحُّ .

وَقَالَ مُجاهِدٌ : هُوَ كافِرٌ شَكَّ بِالبَعْثِ .

وَاخْتَلَفُوا في تِلْكَ القَرْيَةِ ؛ فَقَالَ وَهْبٌ وَعِكْرِمَةُ وَقَتادَةُ : هِيَ بَيْتُ المَقْدِسِ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : هِيَ الأَرْضُ المُقَدَّسَةُ . وَقَالَ الكَلْبِيُّ : هِيَ دَيْرُ سابرأباد . وَقَالَ السُّدِّيُّ : سَلْمانأَباد . وَقِيلَ : دَيْرُ هِزْقِلُ ؛ وَقِيلَ : الأَرْضُ التي أَهْلَكَ اللهُ فِيْها الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ؛ وَقِيلَ : هِيَ قَرْيَةُ العِنَبِ ، وَهِيَ على فَرْسَخَيْنِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَهِيَ خاوِيَةٌ ساقِطَةٌ .

يُقالُ : خَوِيَ البَيْتُ : بِكَسْرِ الوَاوِ ، يَخْوِي خَوىً مَقْصُوراً : إِذا سَقَطَ .

وَخَوَى البَيْتُ بِالفَتْحِ ؛ يَخْوَى خَواءً مَمْدُوداً : إِذا خَلا على عُرُوشِها سُقُوفُها ، واحِدُها : عَرْشٌ ، وَكُلُّ بِناءٍ عَرْشٌ .

● وَكَانَ السَّبَبُ في ذَلِكَ عَلى مَا ذَكَرَهُ محمَّد بن إِسحاق ، صاحِبُ « السِّيرَةِ »[١] : أَنَّ اللهَ تَعالَى بَعَثَ أَرْمِيا إِلى ناشِيَةَ بن أَنُوص مَلِكِ بَنِي إِسْرائِيل ؛ لِيُسَدِّده وَيأْتِيَه بِالخَبَرِ مِنَ اللهُ ، وَكَانَ قِوامُ أَمْرِ بَنِي إِسْرائِيلَ بِالاجْتِماعِ على

---

(١) تاريخ الطَّبري ١/٥٤٨ ـ ٥٥٤ .

المُلُوكِ ، وَطَاعَةِ المُلُوكِ أَنْبِيَاءَهُمْ ؛ فَكَانَ المَلِكُ هُوَ الَّذِي يَسِيرُ بالجُمُوعِ ، وَالنَّبيُّ يُقِيمُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ ، وَيُرْشِدُهُ ، وَيَأْتِيهِ بالخَبَرِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَعَظُمَتِ الأَحْدَاثُ في بَنِي إِسْرَائِيل ، وَرَكِبُوا المَعاصِي ؛ فَأَوْحَى اللهُ إِلى أَرْمِيا : أَنْ ذَكِّرْ قَوْمَكَ نِعَمِي ، وَعَرِّفْهُمْ أَحْدَاثَهُم ؛ فَقَامَ أَرْمِيا فِيهم ، وَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ ، فأَلْهَمَهُ اللهُ في الوَقْتِ خُطْبَةً طَوِيْلَةً بَلِيْغَةً ، بَيَّنَ لَهُمْ فِيْها ثوابَ الطَّاعَةِ ؛ وَعِقَابَ المَعْصِيَةِ ، وَقَالَ في آخِرِها عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : وإِنِّي أَحْلِفُ بِعِزَّتِي ، لأُقَيِّضَنَّ لَكُمْ فِتْنَةً يَتَحَيَّرُ فِيها الحَكِيْمُ ، وَلأُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ جَبَّاراً قاسِياً ، أُلْبِسُهُ الهَيْبَةَ ، وَأَنْزَعُ مِنْ قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ ، يَتْبَعُهُ عَدَدٌ مثلُ سَوادِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ .

ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلى أَرمِيا : إِنِّي مُهْلِكٌ بَنِي إِسْرائِيلَ بيَافِثَ ؛ وَيَافِثُ : أَهْلُ بابل ، وَهُمْ وَلَدُ يافِث بن نُوح ؛ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَرمِيا صَاحَ وَبَكَى ، وَمَزَّقَ ثِيابَهُ ، وَنَبَذَ التُّرابَ عَلَى رَأْسِهِ ، فأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : يا أَرمِيا ، أَشَقَّ عَلَيْكَ مَا أَوْحَيْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعم يا رَبِّ ؛ أَهْلِكْنِي قَبْلَ أَنْ أَرَى في بَنِي إِسْرائِيلَ مَا لا أُسَرُّ بِهِ ؛ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : وَعِزَّتِي ، لا أُهْلِكُ بَنِي إِسْرائِيلَ حَتَّى يَكُونَ الأَمْرُ في ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكِ .

فَفَرِحَ بذَلِكَ أَرمِيا ، وَقَالَ : لا وَالَّذِي بَعَثَ مُوسَى بالحَقِّ ، لا أَرْضَى بهَلاكِ بَنِي إِسْرائِيلَ أَبَداً ؛ ثُمَّ أَتَى المَلِكَ فَأَخْبَرَهُ بذَلِكَ ، وَكَانَ مَلِكاً صَالِحاً ، فاسْتَبْشَرَ وَفَرِحَ ، وَقَالَ : إِنْ يُعَذِّبْنا رَبُّنا فَبِذُنُوبٍ كَثِيْرَةٍ ، وَإِنْ يَعْفُ عَنَّا فَبِرَحْمَتِهِ .

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَبِثُوا بَعْدَ الوَحْيِ ثَلاثَ سِنِيْنَ ؛ لَمْ يَزْدَادُوا إِلاَّ مَعْصِيَةً وَتَمادِياً في الشَّرِّ ، وَذَلِكَ حِيْنَ اقْتَرَبَ هَلاكُهُمْ ؛ فَقَلَّ الوَحْيُ ، وَدَعاهُمُ المَلِكُ إِلى التَّوْبَةِ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ؛ فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ بُخْتَنَصَّرَ ، فَخَرَجَ في سِتِّمِئَةِ أَلْفِ رايَةٍ يُرِيدُ أَهْلَ بَيْتِ المَقْدِسِ .

فَلَمَّا قَصَدَ سائِراً ، أَتَى الخَبَرُ لِلْمَلِكِ ، فقَالَ لأَرمِيا : أَيْنَ مَا زَعَمْتَ أَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيْكَ ؟ فقَالَ أَرمِيا : إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيْعادَ ، وَأَنا بِهِ واثِقٌ .

فَلَمَّا قَرُبَ الأَجَلُ ، بَعَثَ اللهُ إِلى أَرمِيا مَلَكاً مُتَمَثِّلاً في صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ ؛ فقَالَ لَهُ أَرمِيا : مَنْ أَنْتَ ؟ فقَالَ : أَنا رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ ، أَتَيْتُكَ أَسْتَفْتِيْكَ في أَهْلِي وَرَحِمِي ؛ وَصَلْتُ أَرْحامَهُمْ ، وَلَمْ آتِ إِلَيْهِمْ إِلاَّ حَسَناً ، وَلَمْ يَزِدْهُمْ إِكرامِي إِيَّاهُم إِلاَّ سَخطاً ؛ فَأَفْتِنِي فِيهم ؛ فقَالَ : أَحْسِنْ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ، وَصِلْهُمْ ، وَأَبْشِرْ بخَيْرٍ . فانْصَرَفَ المَلَكُ ، فَمَكَثَ أَيَّاماً ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ في صُورَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فقَالَ لَهُ أَرمِيا : مَنْ أَنت ؟ قال : أَنَا الَّذِي أَتَيْتُكَ أَسْتَفْتِيْكَ في أَهْلِي وَرَحِمِي ؛ فقَالَ لَهُ أَرمِيا : أَما طَهُرَتْ أَخْلاقُهُمْ لَكَ بَعْدُ ؟ قَالَ : يا نَبِيَّ اللهِ ، مَا أَعْلَمُ كَرامَةً يَأْتِيْها أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلى رَحِمِهِ ، إِلاَّ أَتَيْتُها إِلَيْهِم وَأَفْضَل . قَالَ لَهُ أَرميا : ارْجِعْ فَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ ، أَسْأَلُ اللهَ الَّذِي يُصْلِحُ عِبادَهُ الصَّالِحِينَ أَنْ يُصْلِحَهُمْ لَكَ ؛ فانْصَرَفَ المَلَكُ وَمَكَثَ أَيَّاماً .

وَنَزَلَ بُخْتَنَصَّرُ وَجُنُودُهُ حَوْلَ بَيْتِ المَقْدِسِ ، أَكْثَرَ مِنَ الجَرادِ المُنْتَشِرِ ، فَفَزِعَ منهم بَنُو إِسْرائِيلَ ؛ وَقَالَ مَلِكُهم لأَرْمِيا : أَيْنَ مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ ؟ فقَالَ أَرميا : إِنِّي واثِقٌ بوَعْدِ رَبِّي ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ المَلَكُ على أَرمِيا وَهُوَ جالِسٌ على جِدَارِ بَيْتِ المَقْدِسِ يَضْحَكُ وَيَسْتَبْشِرُ بنَصْرِ رَبِّهِ ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فقَالَ لَهُ أَرميا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الَّذِي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ ، أَسْتَفْتِيْكَ في شَأْنِ أَهْلِي وَرَحِمِي ؛ فقَالَ لَهُ أَرميا : أَلَمْ يَأْنِ لَهُمْ أَنْ يُفِيقُوا مِنَ الَّذِي هُمْ فِيهِ ؟ فقَالَ لَهُ المَلَكُ : يا نَبِيَّ اللهِ ، كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يُصِيبُنِي مِنْهُم قَبْلَ اليوم كُنْتُ أَصْبِرُ عَلَيْهِ ، واليَوْمَ رَأَيْتُهُمْ في عَمَلٍ لا يُرْضِي اللهَ تَعالَى ؛ فقَالَ أَرميا : عَلَى أَيِّ عَمَلٍ رَأَيْتَهُمْ ؟ قَالَ : على عَمَلٍ عَظِيمٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَغَضِبْتُ للهِ وأَتَيْتُكَ ، وَأَنا أَسْأَلُكَ باللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ، إِلاَّ مَا دَعَوْتَ اللهَ عَلَيْهِمْ لِيُهْلِكَهُمْ ؛ فقَالَ أَرميا : يا مالِكَ

السَّماواتِ والأَرْضِ ، إِنْ كَانُوا على حَقٍّ وَصوابٍ فَأَبْقِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا على عَمَلٍ لا تَرْضَاهُ فَأَهْلِكْهُمْ .

فَلَمَّا خَرَجَتِ الكَلِمَةُ مِنْ فَمِ أَرْميا ، أَرْسَلَ اللهُ صاعِقَةً مِنَ السَّمَاء في بَيْتِ المَقْدِسِ ، فالْتَهَبَ مَكانُ القُرْبَانِ ، وَخُسِفَ بِسَبْعَةِ أَبْوابٍ مِنْ أَبْوابِهِ .

فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ أرميا ، صَاحَ وَشَقَّ ثِيابَهُ ، وَقَالَ : يا مالِكَ السَّماواتِ والأَرْضِ ، أَيْنَ مِيْعادُكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ؟ . فَنُودِيَ : لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصابَهُم إِلاَّ بِفُتْيَاكَ وَدُعائِكَ . فَعَلِمَ أَنَّها فُتْيَاهُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ السَّائِلَ كَانَ رَسُولاً مِنَ اللهِ إِلَيْهِ ؛ فَطَارَ أَرْمِيا حَتَّى خَالَطَ الوُحُوشَ .

وَدَخَلَ بُخْتَنَصَّرُ وَجُنُودُهُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، ثُمَّ وَطِىءَ الشَّامَ ، وَقَتَلَ بَنِي إِسْرائِيلَ حَتَّى أَفْناهُمْ ، وَخَرَّبَ بَيْتَ المَقْدِسِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ جُنُودَهُ أَنْ يَمْلأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ تُرْسَهُ تُراباً ، فَيَقْذِفَهُ في بَيْتِ المَقْدِسِ ، فَفَعَلُوا حَتَّى مَلَؤُوهُ ؛ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا مَنْ كَانَ في بُلْدَانِ بَيْتِ المَقْدِسِ ، فاجْتَمَعَ عِنْدَهُ كَبِيرُهم وَصَغِيرُهم مِن بَنِي إِسْرائِيلَ ، فاخْتَارَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفَ صَبِيٍّ ، فَقَسَّمَهُمْ بَيْنَ المُلُوكِ الَّذِينَ كانُوا مَعَهُ ، فَأَصابَ كُلَّ واحِدٍ منهم أَرْبَعَةُ أَغْلِمَةٍ ، وَكَانَ مِنْ أَولَئِكَ الأَغْلِمَةِ دانيالُ وحَنانيا ؛ وَفَرَّقَ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ ثَلاثَ فِرَقٍ ، فَثُلُثاً قتلهم ، وثُلُثاً سَباهُم ، وَثُلُثاً أَقَرَّهُمْ بِالشَّامِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الوَقْعَةُ الأُوْلَى التي أَنْزَلَها اللهُ تَعالَى بِبَنِي إِسْرائِيلَ بِظُلْمِهِم .

فَلَمَّا وَلَّى بُخْتَنَصَّرُ راجِعاً عنهُمْ إِلى بَابِل ، وَمَعَهُ سَبايا بَنِي إِسْرائِيلَ ، أَقْبَلَ أَرْميا على حِمارٍ لَهُ ، مَعَهُ عَصِيرُ عِنَبٍ في رَكْوَةٍ ، وَسَلَّةُ تِيْنٍ ، حَتَّى غَشِيَ إِيْلياء ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْها وَرَأَى خَرابَها ، قَالَ : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ثُمَّ رَبَطَ أَرْمِيا حِمارَهُ بِحَبْلٍ جَدِيدٍ ، فَأَلْقَى اللهُ تعالَى عَلَيْهِ النَّوْمَ ؛ فَلَمَّا نامَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الرُّوحَ مِئَةَ عامٍ ، وَأَماتَ حِمارَهُ ، وَعَصِيرهُ وَتِيْنُهُ عِنْدَهُ ، وَأَعْمَى اللهُ عنه العُيُونَ ، فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ، وَذَلِكَ ضُحىً ، وَمَنَعَ اللهُ السِّباعَ والطَّيْرَ

عَنْ أَكْلِ لَحْمِهِ .

فَلَمَّا مَضَى مِنْ مَوْتِهِ سَبْعُونَ سَنَةً ، أَرْسَلَ اللهُ تَعالَى مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ فارِسَ ، يُقَالُ لَهُ : نَوُشك ، إِلى بَيْتِ المَقْدِسِ لِيُعَمِّرَهُ ، فانْتُدِبَ في أَلْفِ قَهْرَمانٍ ، مَع كُلِّ قَهْرَمَانٍ ثَلاثمئةِ أَلْفِ عامِلٍ ، وَجَعَلُوا يُعَمِّرُونَهُ .

وَأَهْلَكَ اللهُ بُخْتَنَصَّرَ بِبَعُوضَةٍ دَخَلَتْ في دِماغِهِ ، وَنَجَّى اللهُ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ ، وَلَمْ يَمُتْ أَحَدٌ منهم ببابِلَ ، وَرَدَّهُمُ اللهُ إِلى بَيْتِ المَقْدِسِ وَنواحِيهِ ، وَعَمَرُوهُ ثَلاثِينَ سَنَةً ، وَكَثُرُوا حَتَّى كانُوا على أَحْسَنِ مَا كانُوا عَلَيْهِ .

فَلَمَّا مَضَتِ المِئَةُ سَنَةٍ ، أَحْيَا اللهُ تَعالَى مِنْ أَرميا عَيْنَيْهِ ، وَسَائِرُ جَسَدِهِ مَيِّتٌ ، ثُمَّ أَحْيَا جَسَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلى حِمارِهِ ، فإِذا عِظامُهُ مُتَفَرِّقَةٌ بِيْضٌ تَلُوحُ ، فَسَمِعَ صَوْتاً مِنَ السَّماءِ : أَيَّتُها العِظَامُ البالِيَةُ ، إِنَّ اللهَ تعالى يَأْمُرُكِ أَنْ تَجْتَمِعِي ؛ فَاجْتَمَعَ بَعْضُها إِلى بَعْضٍ ، واتَّصَلَ بَعْضُها ببَعضٍ ، ثُمَّ نُودِيَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكِ أَنْ تَكْتَسِي لَحْماً وَجِلْداً ، فَكَانَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ نُودِيَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكِ أَنْ تَحْيَيْ ؛ فَقَامَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَهَقَ ؛ وَعَمَّرَ اللهُ تَعالَى أَرميا ، فَهُوَ الَّذِي يُرَى في الفَلَواتِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ﴾ الآية ، إِلى قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] أَي : لَمْ يَتَغَيَّرْ .

وَكَانَ التِّيْنُ كَأَنَّهُ قُطِفَ مِنْ سَاعَتِهِ ، والعَصِيرُ كَأَنَّهُ عُصِرَ مِنْ سَاعَتِهِ ؛ نَقَلَهُ عَنْ وَهْب بن مُنَبِّهٍ . انتهى .

وَسَيَأْتِي الكَلامُ على الخَضِرِ واخْتِلافِ العُلَمَاءِ في اسْمِهِ وَنُبُوَّتِهِ ، في لَفْظِ « الحُوتِ » مِنْ هَذَا الباب .

● وَقَالَ قَتادَةُ وَعِكْرِمَةُ والضَّحَّاكُ : إِنَّ بُخْتَنَصَّرَ لَمَّا خَرَّبَ بَيْتَ المَقْدِسَ ، وَأَقْدَمَ سَبْيَ بَنِي إِسْرائِيلَ بابلَ ، كَانَ فِيهم عُزَيْرٌ وَدَانْيالُ وَسَبْعَةُ آلافٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ داوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ فَلَمَّا نَجا عُزَيْرٌ مِنْ بابلَ ، ارْتَحَلَ على حِمارِهِ

حَتَّى نَزَلَ بدَيْرِ هِزْقِل على شَطِّ دِجْلَةَ ، فَطَافَ في القَرْيَةِ فَلَمْ يرَ فِيها أَحَداً ، وَرَأى عامَّةَ شَجَرِها حامِلاً ، فَأَكَلَ مِنَ الفاكِهَةِ ، واعْتَصَرَ مِنَ العِنَبِ فَشَرِبَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ الفاكِهَةَ في سَلَّةٍ ، والعَصِيرَ في زِقٍّ ؛ فَلَمَّا رَأى خَرابَ القَرْيَةِ قَالَ : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قَالَها تَعَجُّباً لا شَكّاً في البَعْثِ .

● وَقَالَ السُّدِّيُّ : إنَّ اللهَ تَعالَى أَحْيَا عُزَيْراً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انْظُرْ إِلى حِمارِكَ قَدْ هَلَكَ وَبَلِيَتْ عِظامُهُ ؛ فَبَعَثَ اللهُ رِيْحاً ، فجاءَتْ بِعِظَامِ الحِمارِ مِنْ كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ ، ذَهَبَ بِها الطَّيْرُ والسِّباعُ ، فاجْتَمَعَتْ وَرُكِّبَ بَعْضُها في بَعْضٍ ، وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَصَارَ حِماراً مِنْ عَظْمٍ لَيْسَ فِيهِ لَحْمٌ ولا دَمٌ ، ثُمَّ كُسِيَتِ العِظَامُ لَحْماً وَدَماً ، فَصَارَ حِماراً لا رُوحَ فِيهِ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ مَلَكٌ يَمْشِي حَتَّى أَخَذَ بِمِنْخَرِ الحِمَارِ ، فَنَفَخَ فِيهِ ، فَقَامَ الحِمَارُ وَنَهَقَ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى .

● وَقَالَ قَوْمٌ : أَرادَ بِهِ عِظَامَ هَذَا الرَّجُلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُمِتْ حِمارَهُ فَأَحْيَا الله عَيْنَيْهِ ، وَرَأْسُهُ وَسَائِرُ جَسَدِهِ مَيِّتٌ ، ثُمَّ قَالَ : انْظُرْ إِلى حِمارِكَ ؛ فَنَظَرَ فإذا حِمارُهُ قائِمٌ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ رَبَطَهُ حَيّاً لَمْ يَطْعَمْ وَلَمْ يَشْرَبْ مِئَةَ عامٍ .

وَتَقْدِيرُ الآيَةِ : وانْظُرْ إِلى حِمارِكَ ، وَانْظُرْ إِلى عِظامِكَ ، كَيْفَ نَنْشُزُها ؛ هَذَا قَوْلُ قَتادَةَ والضَّحَّاكِ وغَيْرِهِما .

● وَرُوِيَ[1] عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا أَحْيَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عُزَيْراً بَعْدَمَا أَماتَهُ مِئَةَ سَنَةٍ ، رَكِبَ حِمارَهُ ، وَقَصَدَ بَيْتَ المَقْدِسِ حَتَّى أَتَى مَحَلَّتَهُ ، فَأَنْكَرَهُ النَّاسُ ، وَأَنْكَرُوا مَنْزِلَهُ ، فانْطَلَقَ على وَهْمٍ حَتَّى أَتى مَنْزِلَهُ ، فإذا هُوَ بعَجُوزٍ عَمْيَاءَ مُقْعَدَةٍ ، قَدْ أَتَى عَلَيْها مِنَ العُمْرِ مِئَةٌ وَعشْرُونَ سَنَةً ، كانَتْ أَمَةً لَهُمْ ، وَكَانَ عُزَيْرٌ قَدْ خَرَجَ عنهم وَهِيَ ابْنَةُ عِشْرِينَ سنة ، وَكَانَتْ قَدْ عَرَفَتْهُ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٨ .

وَعَقَلَتْهُ ، فَقَالَ لَهَا عُزَيْرٌ : يَا هَذِهِ ، هَذَا مَنْزِلُ عُزَيْرٌ ؟ قَالَتْ : نَعم ، هَذَا مَنْزِلُ عُزَيْر ، وَبَكَتْ وَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحداً منذُ كَذَا وَكَذَا سنةً يذكرُ عُزَيْراً ؟ قَالَ : فإِنِّي أَنا عُزَيْرٌ . قَالَتْ : سُبْحانَ اللهِ ! إِنَّ عُزَيْراً فَقَدْناهُ مِنْ مِئَةِ سَنَةٍ ، لَمْ نَسْمَعْ لَهُ بذِكْرٍ . قَالَ : فإِنِّي عُزَيْرٌ كَانَ اللهُ قَدْ أَماتَنِي مِئَةَ سنةٍ ثُمَّ بَعَثَنِي ؛ قَالَتْ : فإِنَّ عُزَيْراً كَانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ ، يَدْعُو لِلمَرِيضِ وَصاحِبِ البَلاءِ بالعافِيَةِ ؛ فادْعُ اللهَ تَعالَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ بَصَرِي حَتَّى أَرَاكَ ، فَإِنْ كُنْتَ عُزَيْراً عَرَفْتُكَ .

فَدَعا رَبَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى ، وَمَسَحَ بيَدِهِ عَلَى عَيْنَيْها ، فَأَبْصَرَتْ ، ثُمَّ أَخَذَ بيَدِها وَقَالَ : قومِي بإِذْنِ اللهِ تَعالَى ؛ فَأَطْلَقَ اللهُ رِجْلَيْها ، فَقَامَتْ صَحِيْحَةً ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقالَتْ : أَشْهَدُ أَنَّكَ عُزَيْرٌ .

فانْطَلَقَتْ إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ ، وَهُمْ في أَنْدِيَتِهم وَمَجالِسِهِمْ ، وَفِيهم ابْنٌ لِعُزَيْرٍ شَيْخٌ ابْنُ مِئَةِ سَنَةٍ وثَمانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وَبَنُو بَنِيهِ شُيُوخٌ في المَجْلِسِ ، فنادَتْ : هَذَا عُزَيْرٌ قَدْ أَتاكُمُ اللهُ بِهِ ؛ فَكَذَّبُوها ، فَقَالَتْ : أَنا فُلانَةٌ مَوْلاتُكُمْ ، دَعَا لِي عُزَيْرٌ رَبَّهُ ، فَرَدَّ عَلَيَّ بَصَرِي وأَطْلَقَ رِجْلَيَّ ، وَزَعَمَ أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ كَانَ أَماتَهُ مِئَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ بَعَثَهُ .

قَالَ : فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْه ، فَقَالَ ابْنُهُ : كَانَ لأَبِي شَامَةٌ سَوْدَاءُ مِثلُ الهِلالِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَكَشَفَ عَنْ كَتِفَيْهِ ، فإِذا هُوَ كَمَا قَالَ . انتهى .

● وقال السُّدِّيُّ والكَلْبِيُّ : لَمَّا رَجَعَ عُزَيْرٌ إِلى قَرْيَتِهِ ، وَقَدْ أَحْرَقَ بُخْتَنَصَّرُ التَّوراةَ ، وَلَمْ يَكُنْ عُهِدَ بَيْنَ الخَلائِقِ قَبْلَ ذَلِكَ ، بَكَى عُزَيْرٌ بُكاءً شَدِيداً عَلَى التَّوْراةِ ، فَأَتاهُ مَلَكٌ بإِناءٍ مِنَ اللهِ فِيهِ مَاءٌ ، فَشَرِبَ منهُ فَمَثُلَتِ التَّوراةُ فِي صَدْرِهِ ، فَرَجَعَ إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ وَقَدْ عَلَّمَهُ اللهُ التَّوراةَ وَبَعَثَهُ نَبيّاً ، فَقَالَ : أَنا عُزَيْرٌ ، فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ ، فَقَال : إِنِّي عُزَيْرٌ ، بَعَثَنِي اللهُ تَعالَى إِلَيْكُمْ لأُجَدِّدَ لَكُمْ تَوْراتَكُمْ . قَالُوا : فَأَمْلِها عَلَيْنا ؛ فَأَمْلاها عَلَيْهِمْ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ ؛ فَقَالُوا : مَا جَعَلَ اللهُ التَّوراةَ في قَلْبِ رَجُلٍ بَعْدَ مَا ذهَبَتْ ، إِلاَّ أَنَّهُ ابْنُهُ ، فَقَالُوا : عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ؛

تَعالَى اللهُ وَتَقَدَّسَ عَنِ الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ .

وَكَانَ اللهُ قَدْ أَماتَ عُزَيْراً وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَبَعَثَهُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وأَرْبَعِينَ سَنةً ؛ وَكَانَ أَوْلادُهُ وأَوْلادُ أَوْلادِهِ شُيُوخاً وَعَجائِزَ ، وَهُوَ شابٌّ أَسْوَدُ الرَّأْسِ واللِّحْيَةِ ؛ فَسُبْحَانَ مَنْ هُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : ذَكَرَ « ابْنُ خلِّكانَ » وَغَيْرُهُ مِنَ المُؤَرِّخِينَ[1] :

أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكَ الرُّومِ ، كَتَبَ إِلى عُمر بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : إِنَّ رُسُلِي أَتَتْنِي مِنْ قِبَلِكَ ، فَزَعَمَتْ أَنَّ قِبَلَكُمْ شَجَرَةً تُخْرِجُ مِثْلَ آذانِ الحُمُرِ ، ثُمَّ تَنْشَقُّ عَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ ، ثُمَّ تَخْضَرُّ فَتكُونُ مِثْلَ الزُّمُرُّذِ والزَّبَرْجَدِ الأَخْضَرِ ، ثُمَّ تَحْمَرُّ فَتكُونُ مِثْلَ الياقُوتِ الأَحْمَرِ ، ثُمَّ تَيْنَعُ وَتَنْضَجُ فَتكُونُ كَأَطْيَبِ فالُوذَجٍ ، ثُمَّ تَيْبَسُ فَتكُونُ عِصْمَةَ المُقِيمِ وَزَادَ المُسافِرِ ؛ فإِنْ تَكُنْ رُسُلِي صَدَقَتْنِي ، فَمَا أَرى هَذِهِ الشَّجَرَةَ ، إِلاَّ مِنْ شَجَرِ الجَنَّةِ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمر : مِنْ عَبْدِ اللهِ عُمر أَمير المُؤمِنين ، إِلى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ :

إِنَّ رُسُلَكَ قَدْ صَدَقَتْكَ ؛ هَذِهِ الشَّجَرَةُ عِنْدَنا ، وَهِيَ الشَّجَرَةُ التي أَنْبَتَها اللهُ تَعالَى على مَرْيَمَ حِيْنَ نَفِسَتْ بِعِيْسَى ابْنِها ، فاتَّقِ اللهَ ، ولا تَتَّخِذْ عِيْسَى إِلهاً مِنْ دُونِ اللهِ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ ـ ٦٠] .

وَذَالُ الزُّمُرُّذِ : مُعْجَمَةٌ ، وَدَالُ الزَّبَرْجَدِ مُهْمَلَةٌ ؛ وَقَيْصَرُ : كَلِمَةٌ إِفْرَنْجِيَّةٌ ، مَعْناها : شُقَّ عَنْهُ .

● وَسَبَبُهُ عَلَى مَا قَالَهُ المُؤَرِّخُونَ[2] : أَنَّ أُمَّ قَيْصَرَ ماتَتْ فِي المَخاضِ ،

---

(١) لم يرد الخبر في ابن خلِّكان ! . وهو في النَّخلة لأَبي حاتم ٤٣ ـ ٤٤ والجليس والأَنيس ١/ ٤٩٣ والفصوص ٤/ ١٠٧ ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٨٦ وتاريخ الخلفاء ١٧٠ .

(٢) مروج الذَّهب ١/ ٣١ و ٣٣ و ٣٤ .

فَشُقَّ بَطْنُها ، وأُخْرِجَ ، فَسُمِّيَ قَيْصَرَ ؛ وَكَانَ يَفْخَرُ بِذَلِكَ عَلَى المُلُوكِ ، وَيَقُول : إِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الرَّحِمِ ، واسمه أَغْسطُس .

وَفِي زَمَنِ مُلْكِهِ وُلِدَ المَسِيْحُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ثُمَّ وُضِعَ هَذَا اللَّقَبُ لِكُلِّ من مَلَكَ الرُّومَ ، كَمَا لَقبُوا مَلِكَ التُّرْكِ : خاقان ، وَمَلِك فارِسَ : كِسْرَى ، وَمَلِكَ الشَّامِ : هِرَقْل ، وَمَلِكَ القِبْطِ : فِرْعَوْنَ ، وَمَلِكَ اليَمَنِ : تُبَّعاً ، وَمَلِكَ الحَبَشَةِ : النَّجاشِيّ ، وَمَلِكَ فَرْغانَةَ : الأَخْشيذ ، وَمَلِكَ مِصْرَ في الإِسْلامِ : سُلْطاناً .

● قَالَ ابْنُ خلِّكانَ[1] : وَهُنا نُكْتَةٌ يُسْأَلُ عنها ، وهيَ أَنَّ الرُّومَ يقال لهم : بَنو الأَصْفَرِ ، فَمَا السَّبَبُ في تَسْمِيَتِهِم بذَلِكَ ؟ فَيُقالُ :

إِنَّ مُلْكَ الرُّومِ كَانَ قَدِ انْخَرَمَ في الزَّمَنِ الأَوَّلِ ، فَبَقِيَتْ مِنْهُ امرأَةٌ ، فَتنافسوا في المُلْكِ حَتَّى وَقَعَ بينَهم ، ثم اصْطَلَحُوا على أَنْ يُمَلِّكُوا أَوَّلَ مَنْ يُشْرِفُ عَلَيْهِم ؛ فَجَلسوا مَجْلِساً لذلكَ ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ اليَمَنِ ، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ حَبَشِيٌّ ، يُرِيدُ الرُّومَ ، فَأَبَقَ العَبْدُ مِنْهُ ، فَأَشْرَفَ عليهم ، فقالوا : انْظُروا في أَيِّ شَيْءٍ وَقَعْتُمْ ؟ فَزَوَّجُوهُ تِلْكَ المَرْأَةَ ، وَمَلَّكُوهُ عليهم ، فَوَلَدَتْ منهُ غُلاماً ، فَسَمَّوْهُ الأَصْفَرَ ، لِصُفْرَةِ لَوْنِهِ ، لِكَوْنِهِ تَوَلَّدَ بَيْنَ الحَبَشِيِّ والمَرْأَةِ البَيْضَاءِ ، وَنُسِبَ الرُّومُ إليه .

ثُمَّ إِنَّ سَيِّدَ العَبْدِ خاصَمَهُمْ فِيهِ ، فَقَالَ العَبْدُ : صَدَقَ ، أَنا عَبْدُهُ ، فَأَرْضُوهُ ؛ فَأَعْطَوْهُ حَتَّى أَرْضَوْهُ ، وَبَقِيَ هَذَا النَّسَبُ على الرُّومِ .

● وَفِي كِتابِ « النّصائح » لابن ظَفَر : أَنَّهُ لَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُ الرَّشِيدِ بِطُوس ، أَحْضَرَ طَبِيْباً طُوسِيَّاً فَارِسِيَّاً ، وَأَمَرَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ مَاؤُهُ هُوَ ، مع مِياهٍ كَثيرةٍ لِمَرْضَى وَأَصِحَّاءَ ، فَجَعَلَ يَسْتَعْرِضُ القَوارِيرَ ، حَتَّى رَأَى قَارُورَةَ

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٦ .

الرَّشِيدِ ، فقال : قُولُوا لِصَاحِبِ هذا المَاءِ يُوصِي ، فإِنَّهُ قَدِ انْحَلَّتْ قُواهُ ، وَتَدَاعَتْ بُنْيَتُهُ ؛ فَأُقِيمَ وأُمِرَ بِالذَّهابِ فَذَهَبَ ، وَيَئِسَ الرَّشِيْدُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَتَمَثَّلَ قائِلاً[1] : [من الكامل]

إِنَّ الطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوائِهِ ... لا يَسْتَطِيعُ دِفاعَ نَحْبٍ قَدْ أَتَى

مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالدَّاءِ الَّذي ... قَدْ كَانَ يُبْرِىءُ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى

وَبَلَغَهُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ أَرْجَفُوا بِمَوْتِهِ ، فاسْتَدْعَى بِحِمَارٍ ، وَأَمَرَ فَحُمِلَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَرْخَتْ فَخِذَاهُ ، فَقَالَ : أَنْزِلُونِي ؛ صَدَقَ المُرْجِفُونَ ؛ ثُمَّ اسْتَدْعَى بِأَكْفَانٍ ، فَتَخَيَّرَ مِنْها مَا أَعْجَبَهُ ، وَأَمَرَ فَشُقَّ لَهُ قَبْرٌ أَمامَ فِراشِهِ ، ثُمَّ اطَّلَعَ فِيهِ ، فَقَالَ : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩] فَتُوُفِّيَ في يَوْمِهِ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالَى .

● وَفِي « تارِيخِ ابْنِ خلِّكان »[2] : أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ الحلاَّجِ ، ادَّعَى أَنَّهُ رَآهُ يَوْمَ قَتْلِهِ وَهُوَ راكِبٌ على حِمَارٍ في طَرِيقِ النَّهْرَوانِ ، وأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ : لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنِّي هُوَ المَضْرُوبُ والمَقْتُولُ ؟ .

وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ : أَنَّهُ جَرَى مِنْهُ كَلامٌ في مَجْلِسِ حامِدِ بن العَبَّاسِ ، وَزِيرِ المُقْتَدِرِ باللهِ ، فَأَفْتَى القُضاةُ والعُلَماءُ بِإِباحَةِ دَمِهِ ، فَرَسَمَ المُقْتَدِرُ بِتَسْلِيْمِهِ إِلى محمَّد بن عَبْدِ الصَّمَدِ صاحِبِ الشُّرطَةِ ، فَتَسَلَّمَهُ بَعْدَ العِشاء ، خَوْفاً مِنَ العامَّةِ أَنْ تَنْزِعَهُ مِنْ يَدِهِ ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُ يَوْمَ الثَّلاثَاءِ لِستٍّ بَقِينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ ، سَنَةَ تِسْعٍ وَثلاثمئةٍ عِنْدَ بابِ الطَّاقِ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأَمَرَ بِهِ ، فَضَرَبَهُ الجَلاَّدُ أَلفَ سَوْطٍ ، فَمَا اسْتَعْفَى ولا تَأَوَّهَ ، ثُمَّ قَطَعَ أَطْرافَهُ الأَرْبَعَةَ ، وَهُوَ ساكِنٌ لا يَضْطَّرِبُ ، ثُمَّ حَزَّ رَأْسَهُ وأُحْرِقَتْ جُثَّتُهُ ، وَأُلْقِيَ رَمادُها في دِجْلَةَ ، وَنُصِبَ

---

(١) البيتان لابن الرُّوميّ ، في التَّذكرة الحمدونيَّة ٩/ ٢٥٥ وليسا في ديوانه .

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥ وكامل ابن الأثير ٨/ ١٢٩ وتاريخ بغداد ٨/ ٧٠٥ .

الرَّأْسُ بِبَغْدَادَ ، ثُمَّ حُمِلَ وَطِيْفَ بِهِ في النَّواحِي والبِلادِ ؛ وَجَعَلَ أَصْحابَهُ يَعِدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِرُجُوعِهِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً .

واتَّفَقَ أَنْ زادَتْ دجلةُ تِلْكَ السَّنَة زِيادَةً وافِرَةً ، فادَّعَى أَصْحابُهُ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ إِلْقَاءِ رَمادِهِ فِيها .

وادَّعَى بَعْضُ أَصْحابِهِ أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ ، وَإِنَّما أُلْقِيَ شَبَهُهُ عِنْدَ قَتْلِهِ عَلَى عَدُوٍّ لَهُ .

وَلَمَّا أُخْرِجَ لِيُقْتَلَ ، أَنْشَدَ قائِلاً[1] : [مِنَ الوافِر]

طَلَبْتُ المُسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ ... فَلَمْ أَرَ لِي بِأَرْضٍ مُسْتَقَرَّا
أَطَعْتُ مَطامِعِي فاسْتَعْبَدَتْنِي ... وَلَوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرَّا

وَيُحْكَى أَنَّ الحَلاَّجَ أَنْشَدَ عِنْدَ قَتْلِهِ[2] : [من البسيط]

لَمْ أُسْلِمِ النَّفْسَ لِلأَسْقَامِ تُتْلِفُها ... إِلاَّ لِعِلْمِي بِأَنَّ المَوْتَ يَشْفِيها
وَنَظْرَةٌ مِنْكَ يا سُؤْلِي وَيَا أَمَلِي ... أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيْها
نَفْسُ المُحِبِّ عَلَى الآلامِ صابِرَةٌ ... لَعَلَّ مُتْلِفَها يَوْماً يُداوِيْها

وَكَانَ الحَلاَّجُ قَدْ صَحِبَ الجُنْيَدَ ، وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشِّبْلِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ مَشايِخِ الصُّوفِيَّةِ رَحمةُ اللهِ تَعالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين . انتهى .

● وَذَكَرَ الشَّيْخُ الإمامُ عِزُّ الدِّينِ بن عَبْدِ السَّلامِ المَقْدِسيّ في « مَفاتِيح الكُنُوزِ » : أَنَّهُ لَمَّا أُتِيَ بِهِ لِيُصْلَبَ ، وَرَأَى الخَشَبَ والمَسَامِيرَ ، ضَحِكَ ضَحِكاً كَثِيراً ، ثُمَّ نَظَرَ في الجَماعَةِ فَرَأَى الشِّبْلِيَّ ، فَقَالَ : يا أَبا بَكْرٍ ، أَما مَعَكَ

---

(١) البيتان لأَبي العتاهية ، في ديوانه ١٤١ . ونُسبا للحلاَّج في وفيات الأَعيان ١/ ١٤٤ وهما في ديوانه ٩٤ .

(٢) ديوانه ١١٣ ـ ١١٤ (القسم المنسوب) وهي تشبه أَبياتاً للمجنون في ديوانه ٢٨٩ وديوان ابن الدُّمينة ١٧٢ .

سَجَّادَةٌ ؟ قَالَ : بَلَى ؛ قَالَ : افرِشْها لِي ، فَفَرَشَها ، فَتَقَدَّمَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْن ، فَقَرأَ في الأُولَى فاتِحَةَ الكِتَابِ وَبَعْدَها ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البقرة : ١٥٥] الآيَةُ ، ثُمَّ قَرَأَ في الثَّانِيَةِ فاتِحَةَ الكِتَابِ وَبَعْدَها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] الآية ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلاماً مُطَوَّلاً .

ثُمَّ تَقَدَّمَ أَبُو الحارِثِ السَّيَّافُ ، وَلَطَمَهُ لَطْمَةً هَشَمَ وَجْهَهُ وَأَنْفَهُ ، فَصَاحَ الشِّبْلِيُّ وَمَزَّقَ ثِيابَهُ ، وَغُشِيَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِي الحَسَنِ الواسِطِيّ وَعَلى جَماعَةٍ مِنَ المَشَايِخِ المَشْهُورِينَ .

وَكَانَ الحَلاَّجُ يَقُولُ : اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ أَباحَ لَكُمْ دَمِي ، ، فاقْتُلُونِي ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ اليَوْمَ شُغْلٌ أَهَمُّ مِنْ قَتْلِي .

وَقَالَ : إِنَّ قَتْلِي قِيامٌ بِالحُدُودِ ، وَوُقُوفٌ مَعَ الشَّرِيْعَةِ ؛ وَمَنْ تَجاوَزَ الحُدُودَ ، أُقِيْمَتْ عَلَيْهِ الحُدُودُ .

قُلْتُ : وَقَدِ اضْطَرَبَ النَّاسُ في أَمْرِهِ اضْطِراباً كَبِيراً مُتَبايِناً ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظِّمُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَفِّرُهُ .

● وَقَدْ ذَكَرَ الإِمامُ قُطْبُ الوُجُودِ ، ، حُجَّةُ الإِسْلاَمِ ، فِي كِتابِ « مِشْكَاةِ الأَنْوَارِ وَمِصْفَاةِ الأَسْرارِ » فَصْلاً مُطَوَّلاً في أَمْرِهِ ، وَاعْتَذَرَ عَنْ إِطْلاقاتِهِ ، كَقَوْلِهِ : أَنَا الحَقُّ ، وَمَا فِي الجُبَّةِ إِلاَّ اللهُ ؛ وَحَمَلَها كُلَّها عَلَى مَحامِلَ حَسَنَةٍ ، وَقَالَ : هَذَا مِنْ فَرْطِ المَحَبَّةِ ، وَشِدَّةِ الوَجْدِ ؛ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ القائِلِ[1] : [من الرَّمل]

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا ... [نَحْنُ رُوحانِ حَلَلْنا بَدَنا]
[فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ] ... وَإِذا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنا

---

(١) هما للحلاَّج ، في ديوانه ٦٢ ووفيات الأعيان ٢/ ١٤١ .

وَحَسْبُكَ هَذَا مِدْحَةً وَتَزْكِيَةً .

وَكَانَ ابْنُ سُرَيْجٍ إِذا سُئِلَ عَنْهُ يَقُولُ : هَذَا رَجُلٌ قَدْ خَفِيَ عَلَيَّ حَالُهُ ؛ وَمَا أَقُولُ فِيهِ ؟ .

وَهَذَا شَبِيهٌ بِكَلامِ عُمر بن عَبْدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ عَليّ وَمُعاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، فَقَالَ : دِماءٌ طَهَّرَ اللهُ مِنْها سُيوْفَنَا ، أَفَلا نُطَهِّرُ مِنَ الخَوْضِ فِيهم أَلْسِنَتَنَا .

وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَخافُ اللهَ أَنْ لا يُكَفِّرَ أَحداً مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ ، بِكَلامٍ يَصْدُرُ عَنْهُ ، يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ على الحَقِّ والباطِلِ ؛ فَإِنَّ الإِخْراجَ مِنَ الإِسْلامِ عَظِيمٌ ، وَلا يُسارِعُ بِهِ إِلاَّ جاهِلٌ .

● وَيُحْكَى عَنْ شَيْخِ العارِفِينَ ، قُطْبِ الزَّمانِ ، عبدِ القادِرِ الكِيلانيّ ، قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ، أَنَّهُ قَالَ : عَثَرَ الحَلاَّجُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ ؛ وَلَوْ أَدْرَكْتُ زَمانَهُ لأَخَذْتُ بِيَدِهِ .

وَهَذَا ـ وَمَا سَبَقَ عَنْ الإِمامِ الغَزاليِّ في أَمْرِهِ ـ كافٍ لِمَنْ لَهُ أَدْنَى فَهْمٍ وَبَصِيْرَةٍ .

● وَسُمِّيَ الحَلاَّجَ ، لأَنَّهُ[1] جَلَسَ يَوْماً عَلَى حانُوتِ حَلاَّجٍ ، واسْتَقْضَاهُ حاجَةً ، فَقَالَ الحَلاَّجُ : أَنا مُشْتَغِلٌ بِالحَلْجِ ؛ فَقَالَ لَهُ : امْضِ فِي حاجَتِي حَتَّى أَحلجَ عنكَ ، فَمَضَى الحَلاَّجُ في حاجَتِه ، فَلَمَّا عادَ وَجَدَ قُطْنَهُ كُلَّهُ مَحْلُوجاً ، وَكَانَ لا يَحْلِجُهُ عَشْرَةُ رِجالٍ في أَيَّامٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ فَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لَهُ : الحَلاَّجُ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ على الأَسْرارِ وَيُخْبِرُ عَنْها ، فَسُمِّيَ حَلاَّجَ الأَسْرارِ ،

---

(١) تاريخ بغداد ٨/٦٩١ وابن خلّكان ٢/١٤٦ وطبقات المناوي ٢/٦٨ وبداية حال الحلاَّج ٦٥٦ .

وَكَانَ مِنْ أَهْلِ البَيْضَاءِ ، بُلَيْدَةٍ بفارِسَ ، وَاسْمُهُ الحُسَيْنُ بن مَنْصور[1] . واللهُ أَعلمُ .

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلِّكان »[2] وغَيْرُهُ : أَنَّ عَلِيَّ بن أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ وَلَّى مَحَمَّدَ بنَ أَبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ مِصْرَ ، فَدَخَلَها سَنَةَ سَبْعٍ وَثلاثِينَ ، وَأَقامَ بِها إِلى أَنْ بَعَثَ مُعاويةُ بنُ أَبي سُفْيَانَ عَمرو بن العاص في جُيُوشِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَمَعهم مُعاوية بن حُدَيْج ـ بحاءٍ مُهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ ، وَدَالٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، وَبالجيمِ في آخِرِهِ ـ كَذَا ضَبَطَهُ ابْنُ السَّمعانيُّ في « الأَنْسَابِ » وابْنُ عَبْدِ البَرِّ وابْنُ قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهم ؛ وَوَقَعَ في كَثيرٍ مِنْ نُسَخِ تَارِيخِ ابْنِ خلِّكان : مُعاوية بن خدِيْج ، بخَاءٍ مُعْجَمَةٍ وَدَالٍ مَكْسُورَةٍ وآخِرُهُ جِيمٌ ، وَهُوَ غَلَطٌ ، والصَّوابُ مَا تَقَدَّمَ ـ وَأَصْحابُهُ ، أَيْ أَصْحابُ مُعاويَةَ بن حُدَيْجٍ ، فاقْتَتَلُوا ، فانْهَزَمَ مُحَمَّدٌ بن أَبي بَكْرٍ ، واخْتَبَأَ في بَيْتِ مَجْنُونَةٍ ، فَمَرَّ أَصْحابُ مُعاوية بن حُدَيْج بالمَجْنُونَةِ وَهِيَ قاعِدَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَكَانَ لَها أَخٌ في الحَبْسِ ، فَقَالَتْ : أَتُرِيدُ قَتْلَ أَخِي ؟ قَالَ : لا مَا أَقْتُلُه . قَالَتْ : فَهذَا مُحَمَّد بن أَبي بَكْرٍ داخِلَ بَيْتِي ؛ فَأَمَرَ مُعاويةُ أَصْحابَهُ ، فَدَخَلُوا إِلَيْهِ ، وَرَبَطُوهُ بالحِبَالِ ، وَجَرُّوهُ على الأَرْضِ ، وَأَتَوْا بِهِ مُعاويةَ ، فَقَالَ لَهُ مُحمَّدٌ : احْفَظْنِي لأَبِي بَكْرٍ . فَقَالَ لَهُ : قَتَلْتَ مِنْ قَوْمِي فِي قَضِيَّةِ عُثْمانَ ثَمانِينَ رَجُلاً ، وأَتْرُكُكَ وأَنْتَ صاحِبُهُ ؟ لا واللهِ .

فَقَتَلَهُ في صَفَرَ ، سَنَةَ ثَمانٍ وَثَلاثِينَ ، وَأَمَرَ مُعاويةُ أَنْ يُجَرَّ في الطَّرِيقِ ،

---

(١) ترجمته في : تاريخ بغداد ٨/ ٦٨٨ ووفيات الأَعيان ٢/ ١٤٠ وكامل ابن الأَثير ٨/ ١٢٦ وسير أَعلام النُّبلاء ١٤/ ٣١٣ وطبقات الصُّوفيَّة للمناوي ٢/ ٦٨ وبداية حال الحلاَّج ونهايته لابن باكويه (ضمن مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق مج ٦٦ ج ٤) .

(٢) لَمْ يرد هذا النَّصُّ عند ابن خلِّكان ، واستدركه محققه في ٨/ ٦٢٩ عن حياة الحيوان . وانظر أَخبار محمَّد بن أَبي بكر الصِّدِّيق ومقتله في : أُسد الغابة ٥/ ١٠٢ وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥٤١ وسير أَعلام النُّبلاء ٣/ ٤٨١ والوافي بالوفيات ٢/ ٢٥٨ والإِصابة ٦/ ١٩٣ رقم (٨٣١٣) .

وَيُمَرَّ بِهِ على دَارِ عَمرو بن العاص ، لِما يَعْلَمُ مِنْ كَراهَتِهِ لِقَتْلِهِ ، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُحْرَقَ بِالنَّارِ في جِيْفَةِ حِمارٍ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ وَضَعَهُ حَيّاً في جِيْفَةِ حِمارٍ ، وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ .

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ دَعْوَةُ أُخْتِهِ عائِشَةَ عَلَيْهِ ، لَمَّا أَدْخَلَ يَدَهُ في هَوْدَجِها يَوْمَ وَقْعَةِ الجَمَلِ وَهِيَ لا تَعْرِفُهُ ، فَظَنَّتْهُ أَجْنَبِيّاً ، فَقالَتْ : مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَعَرَّضُ لِحَرَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ . فَقَالَ : يا أُختاهُ ، قُولِي بِنَارِ الدُّنْيَا ؛ فَقالَتْ : بِنَارِ الدُّنْيَا .

وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا في « بابِ الجِيمِ » ، في الكَلامِ على لَفْظِ « الجَمَلِ » .

وَدُفِنَ في المَوْضِعِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ ؛ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ دَفْنِهِ ، أَتَى غُلامُهُ وَحَفَرَ قَبْرَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ سِوَى الرَّأْسِ ، فَأَخْرَجَهُ وَدَفَنَهُ في المَسْجِدِ تَحْتَ المَنارَةِ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّ الرَّأْسَ في القِبْلَةِ .

قَالَ : وَكانَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عنها قَدْ أَنْفَذَتْ أَخاها عبدَ الرَّحمنِ إِلى عَمرو بن العاص في شَأْنِ محمَّدٍ ، فاعْتَذَرَ بِأَنَّ الأَمْرَ لِمُعاوِيَةَ بن حُدَيْجٍ .

وَلَمَّا قُتِلَ وَوَصَلَ خَبَرُهُ إِلى المَدِينَةِ مَعْ مَوْلاهُ سالِمٍ ، وَمَعهُ قَمِيصُهُ وَدَخَلَ بِهِ دَارَهُ ، اجْتَمَعَ رِجالٌ وَنِساءٌ ، فَأَمَرَتْ أُمُّ حَبيبة بنتُ أَبي سُفْيان ، زَوْجُ النَّبيِّ ﷺ بِكَبْشٍ فَشُوِيَ ، وَبَعَثَتْ بِهِ إِلى عائِشَةَ ، وَقَالَتْ : هَكَذَا قَدْ شُوِيَ أَخُوكِ ! فَلَمْ تَأْكُلْ عائِشَةُ بَعْدَ ذَلِكَ شِواءً حَتَّى ماتَتْ .

وَقَالَتْ هِنْدُ بنتُ شَمِرٍ الحَضْرَمِيَّةُ : رَأَيْتُ نائِلَةَ امْرَأَةَ عُثْمانَ بن عَفَّانَ تُقَبِّلُ رِجْلَ مُعاويَةَ بن حُدَيْجٍ ، وَتَقُولُ : بِكَ أَدْرَكْتُ ثَأْرِي .

وَلَمَّا سَمِعَتْ أُمُّهُ أَسْماءُ بنتُ عُمَيْسٍ بِقَتْلِهِ ، كَظَمَتِ الغَيْظَ حَتَّى شَخَبَتْ ثَدْيَاها دَماً ؛ وَوَجَدَ عَلَيْهِ عليُّ بن أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَجْداً عَظِيْماً ، وَقَالَ : كَانَ لِي رَبيباً ، وَكُنْتُ أَعُدُّهُ وَلَداً ، وَلِبَنِيَّ أَخاً .

وَذَلِكَ لأَنَّ عَلِيّاً ، كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ أُمَّهُ أَسماء بنت عُمَيْسٍ بَعْدَ وفاةِ الصِّدِّيقِ ، وَرَبَّاهُ كَمَا تَقَدَّمَ .

● وَذَكَرَ الإمامُ العَلاَّمَةُ أَقْضى القُضَاةِ الماوَرْدِيُّ وَغَيْرُهُ[1] : أَنَّ سُفْيَانَ بن سَعيد الثَّوْرِيَّ أَكَلَ لَيْلَةً زائِداً عَلَى عادَتِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ الحِمَارَ إِذا زِيْدَ في عَلَفِهِ زِيْدَ في عَمَلِهِ ؛ ثُمَّ قَامَ حَتَّى أَصْبَحَ .

● قَالَ[2] : وَكَانَ فَتىً يُجالِسُ الثَّوْرِيَّ ولا يَتَكَلَّمُ ، فَأَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ نُطْقَهُ ، فَقَالَ : يا فَتَى ، إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنا مَرُّوا على خُيُولٍ سابِقَةٍ ، وَبَقِيْنا بَعْدَهُمْ على حُمُرٍ دَبِرَةٍ ؛ فَقَالَ الفَتَى : يا أَبا عَبْدِ الله ، إِنْ كُنَّا عَلَى الطَّرِيقِ ، فَمَا أَسْرَعَ لُحُوقَنا بِهِم .

● وَقَالَ سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ : دَعانَا سُفْيَانُ الثَّوريُّ لَيْلَةً ، فَقَدَّمَ لَنَا تَمْراً وَلَبَناً خاثِراً ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الأَكْلُ قَالَ : قُومُوا فَلْنُصَلِّ رَكْعَتَيْن شُكْراً للهِ تَعالَى ؛ فَقَالَ ابْنُ وَكِيعٍ وَكَانَ حاضِراً : لَوْ قَدَّمَ لَنا شَيْئاً مِن اللَّوزينج ، لَقَالَ : قُومُوا فَلْنُصَلِّ التَّراوِيْحَ ! فَتَبَسَّمَ سُفْيَانُ .

● وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوريُّ : ما اسْتَوْدَعْتُ قَلْبِي شَيْئاً قَطُّ فَخَانَنِي .

● وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : اعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِقَدْرِ مَقامِكَ فِيها ، وَلِلآخِرَةِ بِقَدْرِ مَقامِكَ فِيها ، والسَّلامُ .

● وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنِّي أُرِيدُ الحَجَّ . فَقَالَ : لا تَصْحَبْ مَنْ يَتَكَرَّمُ عَلَيْكَ ، فإِنَّكَ إِنْ سَاوَيْتَهُ في النَّفَقَةِ أَضَرَّ بِكَ ، وإِنْ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ اسْتَذَلَّكَ .

---

(١) الجرح والتَّعديل ١/٨٦ و ٩٦ والمعرفة والتَّاريخ ١/٧٢٧ وتاريخ بغداد ١٠/٢٢٦ وسير أَعلام النُّبلاء ٧/٢٧٧ .

(٢) اسم الفتى في الجرح والتَّعديل ١/٩٩ : شميط . وبقيَّة الأَخبار الآتية في المصادر المذكورة .

● وَدَخلَ الثَّوريُّ على المَهْدِيِّ يَوْماً ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ تَسْلِيم العامَّةِ ، وَلَمْ يُسَلِّمْ بالخِلافَةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ المَهْدِيُّ بوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَقَالَ : يا سُفْيَانُ ، تَفِرُّ مِنَّا ها هُنا وَها هُنا ، وَتَظُنُّ أَنَّا لَوْ أَرَدْناكَ بسُوءٍ لَمْ نَقْدِرْ عَلَيْكَ ؟ وَقَدْ قَدرْنا عَلَيْكَ الآنَ ، أَمَا تَخْشَى أَنْ نَحْكُمَ فيكَ الآنَ بهَوانا ؟ فَقَالَ سُفْيَانُ : إِنْ تَحْكُمْ فِيَّ بِحُكْمٍ الآنَ ، يَحْكُمُ فِيكَ مَلَكٌ عادِلٌ قادِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ؛ فَقَالَ الرَّبِيعُ : يا أَميرَ المُؤمنينَ ، أَلِهَذَا الجاهِلِ أَنْ يَسْتَقْبِلَكَ بمِثْلِ هَذَا ؟ ائْذَنْ لِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ المَهْدِيُّ : اسكُتْ وَيْلَكَ ، وَهَلْ يُرِيدُ هَذَا وَأَمْثالُهُ إلاَّ أَنْ نَقْتُلَهُمْ فَنَشْقَى بِهِمْ وَيَسْعَدُوا بنا ؟ اكْتُبُوا عَهْدَهُ عَلَى قَضَاءِ الكُوفَةِ ، بحَيْثُ أَنْ لا يُعْتَرَضَ عَلَيْهِ في حُكْمٍ ؛ فَكُتِبَ عَهْدُهُ ، وَدُفِعَ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ وَخَرَجَ وَرَمَى بِهِ في دِجْلَةَ وَهَرَبَ ؛ فَطُلِبَ في كُلِّ بَلَدٍ فَلَمْ يُوجَدْ .

وَتُوُفِّيَ بالبَصْرَةِ مُتَوارِياً ، سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّيْنَ وَمِئة ، رحمهُ اللهُ تَعالَى[1] .

وَهُوَ أَحَدُ الأَئِمَّةِ المُجْتَهِدِينَ ، أَجْمَعَ النَّاسُ على دِيْنِهِ وَوَرَعِهِ وَثِقَتِهِ .

وَيُرْوَى أَنَّ أَبا القاسِمِ الجُنَيْدَ رحمهُ اللهُ ، كَانَ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِهِ ؛ وَهُوَ غَلَطٌ ؛ وَالصَّوابُ : أَنَّ الجُنَيْدَ كَان شَافِعِيّاً ، وَقَدْ عَدَّهُ شَيْخُ الإِسْلامِ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيّ في الأَصْحَابِ ، وَكَذَلِكَ عَدَّهُ غَيْرُهُ[2] .

---

(١) ترجمته في : الجرح والتَّعديل ١/ ٥٥ وحلية الأَولياء ٦/ ٣٥٦ والمعرفة والتَّاريخ ١/ ٧١٣ وتاريخ بغداد ١٠/ ٢١٩ ووفيات الأَعيان ٢/ ٣٨٦ وتهذيب الكمال ١١/ ١٥٤ ، وسير أَعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩ .

(٢) رحم الله الكمال الدَّميريّ ، كم كان يستعجل في إِطلاق أَحكامه دون تَرَوٍّ ، فَيَهِمُ وَيُخطىءُ . أَمَّا الإِمام الجنيد شيخ الطَّائفة ، فقد كانت وفاته سنة ٢٩٧ هـ . وهو غنيٌّ عن التَّعريف . وأَمَّا الجنيد الشَّافعيّ ، فهو شخصٌ آخر ، ترجم له التَّاج السُّبكيّ في طبقاته الكبرى ٧/ ٥٤ وقال : « الجُنَيْد بن محمَّد بن علي القايِنيّ ، الشَّيخ أَبو القاسم بن أَبي منصور ، الفقيه الصُّوفيّ : شارك في الاسم ، والكُنية ، واسم الأَب ، والصُّوفيَّة ، والتَّفقُّه : سَيِّدَ الطَّائفةِ ، أَبا القاسم الجُنيد رحمه اللهُ تعالى ؛ وَكَانَ والده يُعرف بالدَّبَّاغ . مولد هذا ، سنة اثنتين =

وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ كُوفِيّاً ، فَإِنَّهُ سُئِلَ عَنْ عُثْمَانَ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما أَيُّهُما أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : أَهْلُ البَصْرَةِ يَقُولُون بتَفْضِيلِ عُثْمانَ ، وَأَهْلُ الكُوفَةِ يَقُولُونَ بتَفْضِيلِ عَلِيٍّ ، فَقِيلَ لَهُ : فَمَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنا رَجُلٌ كُوفِيٌّ ، يَعْنِي أَنَّهُ يَقُولُ بتَفْضِيْلِ عَلِيٍّ .

● وَفِي كِتابِ « ابْتِلاءِ الأَخْيَارِ »[1] : أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَقِيَ إِبْلِيْسَ وَهُوَ يَسُوقُ خمسَةَ أَحْمِرَةٍ عَلَيْها أَحمالٌ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الأَحْمَالِ ، فَقَالَ : تِجارَةٌ أَطْلُبُ لَها مُشْتَرِينَ . قَالَ : وَمَا هِيَ التِّجارَةُ ؟ قَالَ : أَحَدُها الجَوْرُ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ ؟ قَالَ : السَّلاطِينُ . والثَّاني الكِبْرُ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ ؟ قَالَ : الدَّهاقين . والثَّالِثُ الحَسَدُ . قَالَ : وَمنْ يَشْتَرِيهِ ؟ قَالَ : العُلَمَاءُ . والرَّابِعُ الخِيانَةُ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيها ؟ قَالَ : عُمَّالُ التُّجَّارِ . وَالخامِسُ الكَيْدُ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ ؟ قَالَ : النِّسَاءُ .

● وَمِمَّا يُحْكَى مِنْ كَيْدِ النِّسَاءِ وَمَكْرِهِنَّ ، مَا رُوِيَ في بَعْضِ التَّفاسيرِ عن جَعفر الصَّادِقِ بن محمَّد الباقِرِ ، أَنَّهُ قالَ[2] :

كان في بَنِي إِسرائِيلَ رجلٌ ، وكان لهُ معَ اللهِ مُعاملَةٌ حَسَنَةٌ ، وكان لهُ زَوجةٌ ، وكان ضَنيناً بها ، وكانَت من أَجْمَلِ أَهْلِ زَمانِها ، مُفْرِطَةً في الجَمالِ والحُسْنِ ، وَكَانَ يُقْفِلُ عليها البابَ ، فَنظَرَتْ يَوْماً شابّاً ، فَهَوِيَتْهُ وَهَوِيَها ، فَعَمِلَ لهُ مِفْتاحاً عَلَى بابِ دارِها ، وكان يدخلُ ويخرجُ لَيْلاً وَنَهاراً متى شاءَ ،

= وستِّين وأَربعمئة . . . وتوفِّي بهراة سنة سبع وأَربعين وخمسمئة » .
قلت : فهذا ـ كما ترى ـ غير ذاك ، فوجب الفصل بينهما إحقاقاً للحقِّ ودَفعاً للشُّبهة ، والحمدُ للهِ . وَثَمَّةَ خطأٌ آخر : فإِنَّ مؤلِّفَ الطَّبقات الكبرى لقبه تاج الدِّين ؛ أمّا تقي الدِّين فهو لقب أَبيه ! ! .

(١) ابتلاء الأَخيار ٤٥ وربيع الأَبرار ٥/ ٢٩٠ والمستطرف ٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٢) عن ابتلاء الأخيار ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

وَزَوْجُها لَمْ يَشْعُرْ بذلكَ ، فَبَقيا على ذلكَ زَماناً طَوِيلاً ؛ فَقَالَ لَها زوجُها يوماً ، وَكَانَ أَعْبَدَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَأَزْهَدَهُمْ : إِنَّكِ قد تَغَيَّرْتِ عَلَيَّ ، ولم أَعلمْ مَا سَبَبُهُ ، وَقَدْ تَوَسْوَسَ قَلْبِي عَلَيَّ ؛ وقد كانَ أَخَذَها بِكْراً ، ثم قال لها : وَأَشْتَهي منكِ أَن تَحْلِفِي لِي : إِنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي رَجُلاً غَيْرِي .

وَكَانَ لِبَنِي إِسْرائيلَ جَبَلٌ يُقْسِمُونَ بِهِ ، وَيَتَحاكَمُونَ عِنْدَهُ ؛ وكان الجبلُ خارِجَ المدينةِ ، وكان عِنْدَهُ نَهْرٌ يَجْرِي ، وكان لا يَحلفُ أَحدٌ عندَهُ كاذِباً إِلاَّ هَلَكَ .

فقالَت لهُ : وَيطيبُ قَلْبُكَ إِذا حَلَفْتُ لكَ عندَ الجَبَلِ ؟ قال : نَعم . قالت : مَتى شِئْتَ فَعَلْتُ .

فلمّا خرجَ العابدُ لِقَضاءِ حاجَتِهِ ، دخلَ عليها الشَّابُّ ، فَأَخْبَرَتْهُ بما جَرى لَها مع زَوْجِها ، وَأَنَّها تُرِيدُ أَنْ تَحْلِفَ لهُ عندَ الجَبَلِ ، وَقَالَتْ : مَا يُمْكِنُنِي أَن أَحْلِفَ كاذِبَةً ، ولا أقدرُ أَن أقولَ لِزَوْجِي : ما أحلفُ ؛ فَبُهِتَ الشَّابُّ وَتَحَيَّرَ ، وَقَالَ : فَمَا تَصْنَعين ؟ فقالت له : بَكِّرْ غَدَاً ، وَالبسْ ثَوْبَ مُكاريّ ، وَخُذْ حِماراً ، واجلسْ على بابِ المَدينةِ ؛ فإِذا خرجنا فَأَنا آمُرُهُ يَكْتري منكَ الحِمَارَ ، فإِذا اكْتَراهُ منكَ ، بادِرْ واحْمِلْنِي وارْفَعْنِي فَوْقَ الحِمارِ ، حَتَّى أَحْلِفَ لَهُ وَأَنا صادِقَةٌ : إِنَّه مَا مَسَّنِي أَحَدٌ غَيْركَ وغيرَ هَذَا المُكارِي . فَقَالَ : حُبَّاً وَكَرامَةً .

فلمّا جاءَ زَوْجُها : قال لها : قُومي بِنا إِلى الجَبَلِ لِتَحْلِفي به . فقالَت : ما لِي طاقَةٌ بِالمَشْيِ ؛ فقال : اخْرُجي ، فإِنْ وَجَدْتُ مُكارِياً اكْتَرَيْتُ لَكِ ؛ فقامَت ولم تلبسْ لِباسَها ، فلمّا خَرجَ العابدُ وَزَوْجَتُهُ رَأَتِ الشَّابَّ يَنْتَظِرُها ، فَصَاحَت بِهِ : يَا مُكارِي ، أَتَكْرِي حِمارَكَ إِلى الجَبَلِ بِنِصْفِ دِرهمٍ ؟ قال : نعم ؛ ثُمَّ تَقَدَّمَ وَرَفَعَها على الحِمَارِ ، فساروا حَتَّى وَصلوا إِلى الجَبَلِ ، فَقالَت لِلشَّابِّ : أَنْزِلْنِي عَنِ الحِمارِ ، حتّى أَصْعَدَ على الجَبَلِ . فلمّا تَقَدَّمَ الشَّابُّ

إليها ، أَلْقَتْ بنَفْسِها إِلى الأَرْضِ ، فانْكَشَفَتْ عوْرَتُها ، فَشَتَمَتِ الشّابَّ ، فَقَالَ : واللهِ ما لِي ذَنْبٌ ؛ ثُمَّ مَدَّتْ يَدَها إِلى الجَبَلِ ، فَأَمْسَكَتْهُ وَحَلَفَتْ لَهُ : أَنَّهُ لَمْ يَمَسَّها أَحَدٌ ، وَلا نَظَرَ إِنْسَانٌ مِثْلَ نَظَرِكَ إِليَّ مُذْ عَرَفْتُكَ غَيْرَكَ وَغَيْرَ هَذَا المُكارِي .

فاضْطَرَبَ الجَبَلُ اضْطِراباً شَدِيداً ، وَزَالَ عن مَكانِه ، وَأَنْكَرَتْ بَنو إِسرائِيلَ ذلكَ ؛ فذلك قَولُه تَعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم : ٤٦] .

● وَيَقْرُبُ من هذا ، مَا رُوِيَ عن وَهْب بن مُنَبِّهٍ[١] ، أَنَّه كان في زمنِ بَني إِسرائيلَ في زمنِ عيسى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ رجلٌ اسمهُ شَمْشُونَ ، وكان من أَهْلِ قريةٍ من قُرى الرُّوم ، وَكَان قد هَداهُ اللهُ لِرُشْدِهِ ، وَصَارَ مِنَ الحَوارِيِّينَ ، وَكَانَ أَهْلُهُ أَصْحاب أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَها ، وكانَ مَنْزِلُهُ مِنَ القَرْيَةِ عَلَى أَمْيَالٍ ، وَكَانَ يَغْزُوهُم وَحْدَهُ ، وَيُجاهِدُهم في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ ، فَيَقْتُلُ وَيَسْبِي وَيُصِيبُ المَالَ ، وَكَانَ رُبَّما لَقِيَهُمْ بغَيْرِ زادٍ ، فإِذا قاتَلَهُم وَعَطِشَ انْفَجَرَ لهُ مِنَ الحَجَرِ الذي فِي القَريةِ ماءٌ ، فَيَشْرَبُ منهُ حَتَّى يُرْوىٰ ، كان قد أُعْطِيَ قُوَّةً في البَطْشِ ، وَكَانَ لا يُوثِقُهُ حَدِيدٌ ولا غيرُه ، وكانوا لا يَقْدِرونَ منهُ على شيءٍ فتآمَروا فيه ، فقال بعضُهم لبعضٍ : إِنَّكم لن تَقْدروا عَلَى أَذاهُ إِلاّ من قِبَلِ زَوْجَتِه ؛ فَدَخَلوا عليها ، وجَعَلوا لها جُعْلاً إِنْ أَوْثَقَتْهُ ، فَقَالَت : نَعم ، أَنا أُوثِقُهُ لَكُم ؛ فَأَعْطَوْها حَبْلاً وَثِيقاً ، وَقَالُوا لَها : إِذا نَامَ فَأَوْثِقِي يَدَيْهِ إِلى عُنُقِهِ ؛ ثم ذَهَبوا .

فَجاءَ شَمْشُون ونامَ ، فقامَت إِليه فَأَوْثَقَتْهُ كِتافاً ، وَجَعَلَتْ يَدَيْهِ إِلى عُنُقِهِ ؛ فَلَمَّا هَبَّ مِنْ نَوْمِه ، جَذَبَ يَدَيْه ، فَوَقَعَ الحَبْلُ مِنْ عُنُقِه ، فقَال لها : لِمَ فَعَلْتِ هذا ؟ قالَت : لأُجَرِّبَ قُوَّتَكَ ؛ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ ؛ ثُمَّ أَرْسَلَتْ إِليهم : إِنِّي قد رَبَطْتُهُ بِالحَبْلِ فلَمْ يُغْنِ شَيْئاً ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَيْها بِجامِعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ، وقالوا لها : إِذا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٢٢ والكامل لابن الأثير ١/ ٣٦٦ وابتلاء الأخيار ١٨٤ ـ ١٨٥ .

نامَ فاجْعَليها في عُنُقِهِ ؛ فلما نامَ جَعلَتْها في عُنُقِه ؛ فلمّا هَبَّ مِنْ نَوْمِه جَذَبَها فَتَقَطَّعَتْ ، فقال لها : لِمَ فَعَلْتِ هَذَا ؟ قَالَتْ : لأُجَرِّبَ قُوَّتَكَ ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ في الدُّنْيا يا شَمشون ؛ أَما في الأَرْضِ شَيْءٌ يَغْلِبُكَ ؟ قَالَ : اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَغْلِبُنِي ، ثم شيءٌ واحِدٌ . قالت : ما هو ؟ قال : مَا أَنا بِمُخْبِرْكِ بِهِ ؛ فَلَمْ تَزَلْ تَخْدَعُهُ وَتَمْكُرُ بِهِ ، وَتَتَلَطَّفُ له في السُّؤَالِ ، وَكَانَ ذا شَعْرٍ كَثيرٍ جِدّاً ؛ فَقَالَ : وَيْحَكِ ، إِنَّ أُمِّي كانَت جَعَلَتْنِي نَذيراً[1] ، فَلا يَغْلِبُنِي شَيْءٌ أَبَداً ، وَلا يُوثِقُنِي إلاَّ شَعْرِي ، فَتَرَكَتْهُ حتى نامَ ، ثُم قامَت إليه فَأَوْثَقَتْ يَدَيْهِ إلى عُنُقِه بِشَعْرِه ، فَأَوْثَقَهُ ذَلِكَ ؛ وَبَعَثَتْ إلى القَوْمِ ، فَجاؤُوا وَأَخَذوهُ ، فَجَدَعوا أَنْفَهُ ، وَقَطَعوا أُذُنَيْهِ ، وَفَقَئُوا عَيْنَيْهِ ، وَأَوْقَفُوهُ لِلناسِ بَيْنَ ظَهْرانَي المَدينةِ ، وكانَتِ المَدِيْنَةُ ذاتَ أَساطين ؛ وَأَشْرَفَ المَلكُ لِيَنْظُرَ مَاذا يُفْعَلُ بِهِ .

فَدَعا اللهَ شَمشون حِينَ مَثَّلوا به وَأَوْقَفوهُ ، أَنْ يُسَلِّطَهُ عليهم ، فَرَدَّ اللهُ عليهِ بَصَرَهُ وما أَصابوا مِن جَسَدِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِعَمُودٍ مِنْ عُمُدِ المَدينةِ الَّذي عليه المَلِكُ والناسُ ، فَفَعَلَ ، فَوَقَعَتِ المَدِيْنَةُ وَهَلَكَ مَن فيها ؛ وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَى زَوْجَتِه صاعِقَةً ، فَأَحْرَقَتْها ، وَنَجَّى اللهُ تَعالَى شَمْشُونَ بِمَنِّه وَفَضْلِه . انتهى .

وحِكاياتهنَّ في المَكْرِ وَالكَيْدِ لا تُحْصَى ، وَحَسْبُكَ أَنَّ الله تعالى اسْتَضْعَفَ كَيْدَ الشَّيْطَانِ فقَالَ : ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النِّساء : ٧٦] وَاسْتَعْظَمَ كَيْدَ النِّسَاءِ ، فقال : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٢٨] .

● وَفِي كِتابِ « نُزْهَةِ الأَبْصَارِ في أَخْبارِ مُلوكِ الأَمْصار » وهو كتابٌ عَظِيمُ المِقْدَارِ ، وَلا أَعْلَمُ مُصَنِّفَهُ :

إِنَّ بَعْضَ المُلُوكِ مَرَّ بِغُلامٍ وهو يَسوقُ حِماراً غيرَ مُنْبَعِثٍ ، وقد عَنُفَ عليهِ في السَّوقِ ، فَقَالَ : يَا غُلامُ ، ارْفُقْ بِهِ ؛ فقالَ الغُلامُ : أَيُّها المَلِكُ ، في الرِّفْقِ

---

(١) كذا ، وصوابه : نذيرةً ، وهو الذي يَنْذُرُهُ أبواه ليكون قيِّماً للمعبد .

بِهِ مَضَرَّةٌ عليهِ . قال : وكيفَ ذلك ؟ قال : يَطُولُ طَرِيقُهُ ، وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ ، وَفِي العُنْفِ به إِحْسانٌ إِليهِ . قال : وكيفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : يَخِفُّ حِمْلُهُ ، وَيَطولُ أَكْلُهُ ؛ فَأُعْجِب المَلِكُ بكَلامِهِ ، وقال : قد أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ درهمٍ ؛ فقال : رِزْقٌ مَقْدُورٌ ، وواهِبٌ مَشْكُورٌ .

قال : قال المَلِكُ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِ اسْمِكَ في حَشَمِي . قَالَ : كُفِيْتُ مَؤُونَةً ورُزِقْتَ مَؤُونَةً ؛ فقال له المَلِكُ : عِظْنِي ، فإِنِّي أَراكَ حَكيماً ؛ فقال : أَيُّها المَلِكُ ، إِذا اسْتَوَتْ بِكَ السَّلامَةُ ، فَجَدِّدْ ذِكْرَ العَطَبِ ؛ وإِذا هَنَّأَتْكَ العافِيَة ، فَحَدِّثْ نَفْسَكَ بالبَلاءِ ؛ وإِذا اطْمَأَنَّ بكَ الأَمْنُ ، فاسْتَشْعِر الخَوْفَ ؛ وإِذا بَلَغْتَ نِهايَةَ العَمَلِ ، فاذكُرِ المَوْتَ ، وإِذا أَحْبَبْتَ نَفْسَكَ ، فَلا تَجْعَلَنَّ لَها فِي الإِساءَةِ نَصِيباً .

فَأُعْجِبَ المَلِكُ بكَلامِهِ ، وقال : لولا أَنكَ حَدِيثُ السِّنِّ لاسْتَوْزَرْتُكَ ؛ فقال : لن يَعْدَمَ الفَضْلَ مَن رُزِقَ العَقْلَ . قال : فهلْ تَصْلُحُ لذلكَ ؟ قَالَ : إِنَّما يَكونُ المَدْح والذَّمُّ بعدَ التَّجربَةِ ، ولا يَعْرِفُ الإِنْسانُ نفسَه حتى يَبْلُوَها . فَاسْتَوْزَرَهُ ، فَوَجَدَهُ ذا رَأْيٍ صائِبٍ ، وَفَهْمٍ ثاقِبٍ ، وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوْقِعَ التَّوْفِيقِ .

● وفي هذا الكتابِ دُعاباتٌ ، فمنها[1] :

أَنَّ الرَّشِيدَ خرجَ إِلى الصَّيْدِ ، فانفردَ عن عَسكرِهِ ، والفَضْلُ بن الرَّبيعِ خَلْفَهُ ، فإِذا هو بشَيخٍ كبيرٍ راكبٍ على حمارٍ ، فنظرَ إِلَيْهِ فَإِذا هو رَطْبُ العَينينِ ، فَغَمَزَ الفَضْلَ عليه ، فقال له الفضلُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : حائِطاً لِي . قَالَ : هل لكَ أَن أَدُلَّكَ على شَيءٍ تُداوي بِهِ عَينيكَ ، فتذهبُ تلكَ الرُّطوبَةُ ؟ فَقَالَ : مَا أَحْوَجَنِي إِلى ذلك ؛ فقال له : خُذْ عِيْدَانَ الهَوَاءِ ، وَغُبَارَ المَاءِ ، وَوَرَقَ

---

(١) أَخبار الأَذكياء ١٣٨ ـ ١٣٩ وأَخبار الظراف والمتماجنين ٤١ وثمرات الأوراق ١٧٧ والمستطرف ٣/ ٢٣٤ .

الكَمْأَةِ ، فَصُرَّهُ في قِشْرَةِ جَوْزَةٍ ، واكْتَحِلْ بِهِ ، فإِنَّهُ يُذْهِبُ رُطُوبَةَ عَينيكَ ؛ فَاتَّكَأَ الشَّيْخُ على قَرَبُوسِ سَرْجِهِ ، وَضَرَطَ ضَرْطَةً طَوِيلَةً ، ثم قال : هذهِ أُجْرَةٌ لِوَصْفِكَ ، وَإِن نَفَعَنا الكُحْلُ زِدْناكَ ؛ فضحكَ الرَّشيدُ حتى كادَ يسقطَ عن دابَّتِهِ .

● ومنها[1] : أَنَّهُ حَضَرَ خَيَّاطٌ لبعضِ الأُمَرَاءِ لِيُفَصِّلَ لَهُ قِباءً ، فَأَخَذَ يُفَصِّلُ والأَميرُ ينظرُ إِليه ، فلم يَتَهَيَّأْ له أَن يَسرقَ شيئاً ، فَضَرَطَ ، فضحِكَ الأَميرُ حَتَّى اسْتَلْقَى ، فأَخرجَ الخَيَّاطُ مِنَ القِبَاءِ مَا أَرادَ ، فجلسَ الأَميرُ وَقَالَ : يَا خَيَّاطُ ، ضَرْطَةٌ أُخرى ؛ فقال الخَيَّاطُ : لا ، لِئَلاَّ يَضِيقَ القِباءُ .

● وفي كتاب « نَشوارِ المُحاضرة »[2] : قال ذو النُّونِ بن موسى : كنتُ غُلاماً والمُعتضدُ إذ ذاك بكُوَرِ الأَهْوازِ ، فَخرجتُ يوماً من قريةٍ ، يُقال لها : سانطف ، أَرِيدُ عَسْكَرَ مُكْرَم ، وَمَعِي حِمارانِ ، واحِدٌ راكِبُهُ ، والآخَرُ عليه حِمْلٌ مِنَ البِطِّيْخِ ؛ فَمررتُ بِعَسْكَرِ المُعْتَضِدِ وَأَنا لا أَعلمُ مَن هو ، فَأَسرعَ إِليَّ جَماعةٌ منهمْ ، فَأَخَذَ واحِدٌ منهم من الحِمْلِ ثَلاثَ بِطِّيْخَاتٍ أَوْ أَرْبَعَةً ، فَخِفْتُ أَنْ يَنقصَ عليَّ عَدَدُهُ فأُتَّهَمَ بهِ ، فبكيتُ وَصِحْتُ ، والحِمارُ يَسِيرُ على المَحَجَّةِ ، والعَسْكَرُ مُجتازٌ عليَّ ، وإِذا بِكَبْكَبَةٍ عَظيمةٍ يَقْدُمُها رَجُلٌ مُنْفَرِدٌ ، فوقفَ وقال : مَا لَكَ يا غُلامُ تَبْكِي وَتَصِيحُ ؟ فَعَرَّفْتُهُ الخَبَرَ ، فَوَقَفَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى القَومِ ، وقال : إِيْهٍ ، عَلَيَّ بِالرَّجُلِ السَّاعَةَ .

قال : فَجِيءَ بهِ فِي أَسْرَعِ من طَبْقِ البَصَرِ ، حَتَّى كَأَنَّهُ كانَ وَراءَ ظَهْرِهِ ، فقال : هو هذا يا غُلامُ ؟ قلتُ : نَعم ؛ فَأَمَرَ بِهِ ، فَضُرِبَ بِالمقارِعِ وهو واقِفٌ ، وأَنا راكِبٌ على حِمارِي ، والعَسْكَرُ واقِفٌ ، وجعل يقولُ له وهو

---

(١) أَخبار الأَذكياء ١٥٣ وأَخبار الظراف والمتماجنين ٨٩ .

(٢) لم يرد الخبر في المطبوع من نشوار المحاضرة .

يُضْرَبُ : يا كَلْبُ ، أَما كان معكَ ثَمَنُ هذا البِطِّيخِ ؟ أَما قدرتَ أَنْ تَمْنَعَ نَفْسَكَ منهُ ؟ أَهو مالُكَ أَو مَالُ أَبيكَ ؟ أَليسَ صاحِبُهُ أَتْعَبَ نَفْسَهُ وَأَجْهَدَها في زرعِهِ وَسَقْيِهِ وَأَداءِ خَراجِهِ؟ وَالمقارعُ تَأْخُذُهُ حَتَّى ضُرِبَ مِئَةَ مَقرَعَةٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بَأَربعةِ دنانير وسارَ ، وَأَخَذَ الجيشُ يَشْتُموني ، ويقولون : ضُرِبَ القائِدُ الفُلانيُّ بِسَبَبِ هَذَا مئةَ مَقرعَةٍ ؛ فسأَلْتُ بعضَهم عنه ، فقال : هذا أميرُ المؤمنين المُعتضدُ .

● وفي كتابِ « الأَذْكِياءِ » لابْنِ الجَوزيّ ، عن الجاحظِ أَنَّهُ قَالَ[1] :

قَالَ ثُمامَةُ بن أَشْرَس : دخلتُ على صَديقٍ لِي أَعُودُهُ ، وَتَرَكْتُ حِمارِي على البَابِ ، ولم يكنْ مَعي غُلامٌ يحفظُهُ ، فلمّا خرجتُ إِذا فَوْقَهُ صَبيٌّ يَحْفَظُهُ ، فقلتُ : أَرَكِبْتَ حِمارِي بغَيْرِ إِذْنِي ؟ فقال : خِفْتُ أَنْ يَذهبَ فَحَفِظْتُهُ لكَ . قلتُ : لو ذهبَ لكانَ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ بَقائِهِ ؛ فقال : إِن كان هذا رَأْيَكَ في الحِمَارِ ، فَقَدِّرْ أَنَّهُ ذَهَبَ ، وَهَبْهُ لِي ، وارْبَحْ شُكْرِي . فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقولُ .

● وأَحْسَنُ من هذا الذَّكَاءِ ، مَا رَوَاهُ ابْنُ الجوزيّ أَيضاً ، قَالَ[2] :

ركبَ المعتصمُ إِلى خاقانَ يَعُودُهُ ، وَالفَتْحُ بن خاقانَ صَبِيٌّ يَوْمَئِذٍ ، فقال لهُ المعتصمُ : أَيُّهما أَحْسَنُ ، دارُ أَمير المؤمنينَ أَم دارُ أَبيكَ ؟ قال : إِذا كَانَ أَميرُ المؤمنينَ في دارِ أَبي ، فَدَارُ أَبِي أَحْسَنُ ؛ فَأَراهُ المُعتصمُ فَصّاً في يَدِهِ ، وَقَالَ : يَا فَتْحُ ، هل رَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الفَصِّ ؟ قَالَ : نعم ، اليَدُ التي هو فِيْها .

● وَيَقْرُبُ من هذا ، وهو من الجَوابِ المُسْكِتِ ، مَا ذَكَرَهُ الإِمامُ ابنُ الجَوزيّ ، قال[3] :

---

(١) أَخبار الأَذكياء ٢١١ وأَخبار الظراف والمتماجنين ١٠٦ .

(٢) أَخبار الأَذكياء ٢١٢ وأَخبار الظراف والمتماجنين ١٠٨ وربيع الأَبرار ٢/ ٨٧ والمستطرف ١/ ٢٠٣ .

(٣) وفيات الأَعيان ٢/ ٢٩٦ والوافي بالوفيات ١٤/ ٨٤ .

دخلَ شابٌّ على المَنصورِ ، فَسأَلَهُ عَنْ وَفَاةِ أَبيهِ ، فقال : ماتَ رَحمهُ الله يومَ كذا وكذا ، وكان مَرَضُهُ رَحمهُ اللهُ يومَ كذا ، وخَلَّفَ رَحمهُ الله كذا ؛ فانْتَهَرَهُ الرَّبيعُ ، وقال : أَما تَسْتَحْيي بينَ يَدَي أَميرِ المؤمنين تقولُ هذا ؟ فقالَ الشَّابُّ : لا أَلومُكَ على انْتِهارِي ، لأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ حَلاوَةَ الآباءِ ! .

وَكَانَ الرَّبيعُ لَقِيطاً ؛ فَمَا أَعْلَمُ المَنْصُورَ ضَحِكَ كَضَحِكِهِ يَوْمَئِذٍ . ا هـ .

● وفي « تاريخ ابن خلّكان » في ترجمةِ الحاكِم العُبَيْدِيّ[1] :

إِنَّ الحاكِمَ بِأَمْرِ اللهِ ، كَانَ لَهُ حِمارٌ أَشْهَبُ يُدْعَى بِقَمَر يَرْكَبُهُ ، وَكَانَ يُحِبُّ الانْفِرَادَ والرُّكُوبَ وَحْدَهُ ، فَخَرَجَ راكِباً حِمَارَهُ لَيْلَةَ الاثنينِ ، سابِعَ عَشَرَ شَوَّال ، سنة إِحدى عَشرة وأَرْبعمِئة إِلى ظاهِرِ مِصر ، وَطَافَ لَيْلته كلَّها ، وَأَصبحَ مُتَوَجِّهاً إِلى شَرْقي حُلْوانَ وَمَعَهُ راكِبَانِ ، فَأَعادَ أَحَدَهُما ثم أَعادَ الآخَرَ ، وَبَقِيَ النَّاسُ يَخرجونَ يَلْتَمِسُونَ رُجُوعَهُ ، وَمَعَهُمْ دَوابُّ المَوكبِ ، إِلى يومِ الخَميسِ سَلْخِ الشَّهْرِ المَذْكُورِ ، ثُمَّ خَرَجَ [يوم الأحد] ثانِي [ذي] القِعدة جَماعَةٌ مِنَ المَوالِي والأَتْرَاكِ ، فَأَمْعنوا في طَلَبِهِ وَفِي الدُّخُولِ في الجَبَلِ ، فَرَأَوا حِمارَهُ الأَشْهَبَ الذي كان راكِباً عليه وهو على قَرْنَةِ الجَبَلِ ، وَقَدْ ضُرِبَتْ يَداهُ وَرِجْلاهُ بِسَيْفٍ ، وَعَلَيْهِ سَرْجُهُ ولِجامُهُ ، فَتَبِعُوا الأَثَرَ فَإِذَا أَثَرُ حِمارٍ وَأَثَرُ راجل خَلْفَهُ وَراجِلٍ قُدَّامَهُ ، فَقَصُّوا الأَثَرَ إِلى البِرْكَةِ التي فِي شَرْقِيِّ حُلْوانَ ، فنزَلَ فيها رجلٌ ، فوجدَ فِيها ثيابَهُ وهي سَبْعُ جِبَابٍ ، وَوُجِدَتْ مَزْرورَةً لم تُحَلَّ أَزْرارُها ، وَفِيها آثَارُ السَّكَاكِينِ ، فَحُمِلَتْ إِلى القَصْرِ ، وَلَمْ يَشُكُّوا في قَتْلِهِ ؛ غيرَ أَنَّ جَماعَةً مِنَ المُغَالِينَ في حُبِّهِم لهُ ، السَّخيفي العُقُولِ يَدَّعُونَ حَياتَهُ ، وَأَنَّهُ سَيَظْهَرُ ، وَيَحْلِفُونَ بِغَيْبَةِ الحاكِمِ ؛ ويُقالُ : إِنَّ أُخْتَهُ دَسَّتْ عليهِ مَن قَتَلَهُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ والزيادات منه . والنجوم الزاهرة ٤/ ١٨٧ والإشارة إلى من نال الوزارة ٣١ .

وَكَانَ[١] الحاكِمُ جَواداً بالمالِ ، سَفّاكاً للدِّماءِ ، وكانت سِيْرَتُهُ عَجَباً ، يَخْتَرِعُ كُلَّ يَوْمٍ حُكْماً يَحْمِلُ النَّاسَ عليهِ ، فمن ذلك : أَنَّهُ أَمَرَ النَّاسَ سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمئة بِكَتْبِ سَبِّ الصَّحابَةِ رَضِيَ الله تعالى عنهم في حِيْطَانِ المَسَاجِدِ والقَياسِرِ وَالشَّوارعِ ، وكتبَ إلى سائِرِ الدِّيارِ المصريَّةِ يَأْمُرهمْ بالسَّبِّ ، ثُمَّ أَمَرَ بقَطْعِ ذَلِكَ سنة سبعٍ وتسعين ، وَأَمَرَ بضَرْبِ مَنْ يَسُبُّ الصَّحابَةَ وَتأْديبه ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ الكِلابِ ، فَلَمْ يُرَ كَلْبٌ في الأَسْواقِ والأَزِقَّةِ إلاَّ قُتِلَ ، وَنَهى عن بَيْعِ الفُقّاعِ والمُلوخِيَّا ، ثُمَّ نهَى عن بَيْعِ الزَّبيبِ قَليلِهِ وَكَثِيرِهِ ، وَجَمَعَ جُمْلَةً كَثِيرَةً ، وَأُحْرِقَتْ ، وَأَنْفَقُوا على إِحْراقِها خَمسمئَةِ دِينارٍ ، ثم نَهى عن بَيْعِ العِنَبِ أَصْلاً ، وَأَلْزَمَ اليَهُودَ والنَّصارَى أَنْ يَتَمَيَّزُوا فِي لِباسِهِمْ عن المُسلمين في الحمّاماتِ وخارِجِها ، ثُمَّ أَفْرَدَ حَمّاماً لِلْيَهودِ وَحَمّاماً للنَّصارى ، وَأَلْزَمَهُمْ أَنْ لا يَركبُوا شيئاً مِنَ المَراكِبِ المُحَلاّةِ ، وَأَن تكونَ رُكُبُهُمْ مِنَ الخَشَبِ ، وأن لا يَسْتَخْدِمُوا أَحَداً مِنَ المُسْلِمينَ ، وَلا يَركَبُوا حِمارَ المُكَارِي المُسْلِمِ ، وَلا سَفِيْنَةً نُواتِيُّها مُسلمونَ ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ القُمامَةِ[٢] في سنةِ ثمانٍ وأَربعمئة وجَميعِ الكَنائِسِ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، وَوَهَبَ جميع ما فيها من الآلاتِ ، وجميعَ ما لَها مِنَ الأَحْبَاسِ ؛ لِجَمَاعَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ أَنْ لا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ في صِناعَةِ النُّجُومِ ، وَأَنْ يُنْفَى المُنَجِّمُونَ مِنَ البِلادِ ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الغِناءِ ، وَمَنَعَ النِّسَاءِ مِنَ الخُرُوجِ إلى الطُّرقاتِ لَيْلاً وَنَهاراً ، وَمَنَعَ الأَسَاكِفَةَ من عَمَلِ الأَخْفَافِ لِلنِّسَاءِ ، ولم تَزَلِ النِّسَاءُ مَمنوعاتٍ من الخُروجِ إلى أَيّامِ وَلَدِهِ الظَّاهِرِ ، مُدَّةَ سبعِ سِنين ، ثم أَمَرَ بِبِنَاءِ مَا كَانَ هَدَمَ مِنَ الكَنائِسِ ، وَرَدَّ مَا كانَ قد أَخَذَ مِنْ أَحْبَاسِها .

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٧٦ ـ ١٧٩ . . .

(٢) هي المعروفة بكنيسة القيامة ببيت المقدس .

وَحُلْوانُ : مَدِينةٌ كَثِيرَةُ النُّزَهِ ، فَوْقَ مِصْرَ بِخَمْسَةِ أَمْيَالٍ ، كَانَ يَسْكُنُها عَبْدُ العَزِيزِ بن مَرْوان ، وَبِها تُوُفِّي ، وَبِها وُلِدَ وَلَدُهُ عُمر بن عبد العزيز . ا هـ .

قلتُ : في قولِه : ليلةَ الاثنين سابعَ عَشَرَ ، وقَوله : إلى يومِ الخَميسِ سَلْخِ الشَّهْرِ المَذكورِ ، نَظَرٌ ظاهِرٌ[1] ، والله أعلمُ .

● وَفِي « رسالة القُشيري »[2] : في بابِ كَراماتِ الأَوِلياءِ :

سمعتُ أَبا حاتِم السِّجِسْتانِيّ يقولُ : سمعتُ أَبَا نَصْرٍ السَّرَّاج يقولُ : سَمِعْتُ الحُسين بن أَحمد الرّازي يقولُ : سمعتُ أَبا سُليمان الخَوّاصَ يقولُ : كنتُ راكِباً حِماراً يوماً ، وكان الذُّبابُ يُؤْذِيه ، فَيُطاطِىءُ رَأْسَهُ ، وكنتُ أَضْرِبُ رَأْسَهُ بِخَشَبَةٍ في يَدي ، فَرَفَعَ الحِمَارُ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ : اضْرِبْ فإِنَّكَ على رَأْسِكَ هكذا تُضْرَبُ . قال الحُسين : فقلتُ لأَبِي سُليمانَ : لكَ وَقَعَ هذا ؟ قال : نَعم ، كَمَا تَسْمَعُني .

● تَذنيبٌ : رَوى البَيْهَقِيُّ في « الشُّعَبِ »[3] : عن ابنِ مَسعودٍ رضيَ الله تعالى عنه ، أَنَّه قَالَ : كانَتِ الأَنبياءُ عليهم الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَرْكَبونَ الحُمُرَ ، وَيَلبَسونَ الصُّوفَ ، وَيَحْلِبُونَ الشَّاةَ ، وكان لِلنَّبيِّ ﷺ حِمَارٌ اسْمُهُ عُفَيْرٌ - يَعْني بِضَمِّ العينِ المُهملةِ ، وَضَبَطَهُ القاضِي عِياضٌ بِالغَيْنِ المُعْجَمَةِ ، وَقَدِ اتَّفقوا على تَغْلِيطِه - أَهْداهُ له المُقَوْقِسُ .

وَكَانَ[4] فَرْوَةُ بن عَمرة الجُذاميّ أَهْدى له حِماراً يُقال له : يَعْفُور ؛

---

(١) هذا صحيح ، فإن يوم الخميس يصادف السابع والعشرين من شوّال .

(٢) الرسالة القشيرية ٦٧٦ .

(٣) شعب الإيمان ٥/ ١٥٢ برقم (٦١٥٧) وطبقات ابن سعد ١/ ٤٢٣ وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٢/ ٢٤٣ ومختصره ٢/ ٣٥٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ٤٢٣ وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٢/ ٢٤١ ومختصرهُ ٢/ ٣٥٥ .

مَأْخُوذان من العُفْرَةِ ، وهو لَوْنُ التُّرابِ ؛ فَنَفَقَ يَعْفُورٌ في مُنْصَرَفِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ حِجَّةِ الوَدَاعِ .

وَذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ : أَنَّ يَعفورَ أَطْرَحَ نَفْسَهُ فِي بِئْرٍ يومَ مَوْتِ النَّبيِّ ﷺ .

● وَذَكَرَ ابْنُ عَساكِرٍ في « تارِيْخِهِ »(١) بِسَنَدِهِ إِلى أَبي مَنظورٍ ، قال :

لَمَّا فَتَحَ النَّبيُّ ﷺ خَيْبَرَ ، أَصابَ حِماراً أَسْوَدَ ، فَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحِمَارَ ، فقالَ لَهُ : « مَا اسْمُكَ ؟ » قَالَ : يَزِيدُ بن شِهابٍ ، أَخْرَجَ اللهُ مِنْ نَسْلِ جَدِّي سِتِّيْنَ حِماراً ، كُلُّها لا يَرْكَبُها إِلاَّ نَبِيٌّ ، وقد كنتُ أَتَوَقَّعُكَ لِتَرْكَبَنِي ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسْلِ جَدِّي غَيْرِي ، وَلا مِنْ الأَنْبِيَاءِ غَيْرُكَ ، وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَكَ عندَ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ ، وَكُنْتُ أَتَعَثَّرُ بِهِ عَمْداً ؛ كَانَ يُجِيعُ بَطْنِي ، وَيَضْرِبُ ظَهْرِي ؛ فَقَالَ لَهُ ﷺ : « فَأَنْتَ يَعْفُورُ ؛ يا يَعْفُورُ ، تَشْتَهِي الإِناثَ ؟ » قَال : لا .

فَكَانَ النَّبيُّ ﷺ يَرْكَبُهُ في حاجَتِهِ ، وَكَانَ يَبْعَثُهُ خَلْفَ مَن شاءَ من أَصْحَابه ، فَيَأْتِي البابَ فَيَقْرَعُهُ بِرَأْسِهِ ، فإذا خَرَجَ إِلَيْه صاحِبُ الدَّارِ ، أَوْمَأَ إِلَيْهِ ، فَيَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرْسَلَهُ إِلَيْه ، فَيَأْتِي النَّبيَّ ﷺ .

فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جاءَ إِلى بِئْرٍ كانَت لأَبِي الهَيْثَم بن التَّيِّهانِ ، فَتَرَدَّى فيها ، جَزَعاً على رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَتْ قَبْرَهُ .

قَالَ الإِمامُ الحافظُ أَبو موسى : هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدّاً ، إِسْناداً وَمَتْناً ، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَروِيَهُ إِلا مع كَلامي عليهِ .

● وقد ذَكَرَهُ السُّهيليّ في « التَّعرِيفِ وَالإِعلام » في الكَلامِ على قَوله تَعالَى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل : ٨] .

● وَفِي « كاملِ ابن عَدِيٍّ » في ترجمة « أَحمد بن بشير » ، وفي « شُعَبِ الإِيْمان » لِلْبَيْهَقِيّ ، عَنِ الأَعْمَشِ ، عن سَلَمَةَ بن كُهَيْلٍ ، عن عطاء ، عن جابر

---

(١) تاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ومختصره ٢/ ٣٥٦ والمستطرف ٢/ ٤٦٨ .

ابن عبد الله ، قَالَ[1] : قال رسولُ الله ﷺ : « تَعَبَّدَ رَجُلٌ في صَوْمَعَةٍ ، فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ، وَأَعْشَبَتِ الأَرْضُ ، فَرَأَى حِماراً لَهُ يَرْعَى ، فَقَالَ : يا رَبِّ ، لو كانَ لكَ حِمارٌ لَرَعَيْتُهُ معَ حِمارِي ؛ فَبَلَغَ ذلكَ نَبِيّاً من أَنْبِياءِ بني إِسْرائِيلَ ، فأَرادَ أَن يَدْعُوَ عليهِ ، فَأَوْحَى اللهُ إليه : إِنَّما أُجازِي عِبادِي على قَدْرِ عُقُولِهِمْ » .

وهو كذلك في « الحِلْيَة » لأَبِي نُعَيْمٍ ، في تَرجمة زَيْدِ بن أَسْلَمَ .

● وَرَوَى ابْنُ أَبي شَيْبَةَ في « مُصَنَّفِهِ » والإمامُ أَحمد في « الزُّهدِ » عن سُلَيْمانَ بن المُغيرة ، عن ثابتٍ قال[2] : قيل لِعِيسى ابْنِ مريم عليهما السَّلامُ : يَا رَسولَ اللهِ ، لو اتَّخَذْتَ لكَ حِماراً تَرْكَبُهُ لِحاجَتِكَ ؟ فقال : أَنا أَكْرَمُ عَلَى اللهِ من أَنْ يَجْعَلَ لِي شَيْئاً يَشْغَلُنِي عَنْهُ .

الحُكم : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ عندَ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ ؛ وإِنَّما رُوِيَتِ الرُّخصَةُ فِيهِ عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، رَواهُ عنهُ أَبُو داود في « سُنَنِه » .

وَقَالَ الإِمام أَحمد : كَرِهَ أَكْلَهُ خَمسةَ عَشَرَ رَجُلاً من أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ .

وَادَّعَى ابْنُ عبدِ البَرِّ الإِجْماعَ الآنَ على تَحْرِيمِهِ .

● قَالَ[3] : وقد رُوِيَ عن غَالب بن أَبْجَر ، قَالَ : أَصابَتْنا سَنَةٌ ، فَشَكَوْنا ذَلِكَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسول اللهِ ، لم يَكُنْ عندي ما أُطْعِمُ أَهْلِي إِلاَّ سِمانُ حُمُرٍ ، وَإِنَّكَ حَرَّمْتَ لُحُومَ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ؟ فقال : « أَطْعِمْ أَهْلَكَ مِنْ سَمِينِ حُمُرِكَ ، فإِنَّما حَرَّمْتُها مِنْ أَجْلِ جَوالِّ القَرْيَةِ » . وَلَمْ يُرْوَ عَن غالِبِ بن أَبْجَرَ سِوَى هذا الحَدِيثِ .

---

(١) الكامل في الضُّعفاء ١/ ٢٦٩ وشعب الإيمان ٤/ ١٥٦ برقم (٤٦٤٠) وميزان الاعتدال ١/ ٨٥ والمستطرف ١/ ٥٩ وربيع الأَبرار ٢/ ٦٥ وأَدب الدنيا والدين ٣١ وحلية الأَولياء ٣/ ٢٢٣ .

(٢) ربيع الأَبرار ٥/ ٤٠٠ المستطرف ٢/ ٤٦٨ ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ١١٥ .

(٣) أَبو داود (٣٨٠٩) وأُسد الغابة ٤/ ٣٣٥ .

● وَلَنَا مَا رَوَى جابِرٌ وغيرهُ[1] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن لُحومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ، وَأَذِنَ في لُحُومِ الخَيْلِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْه .

وَحَدِيثُ غالبٍ رَواهُ أَبُو داود ، واتَّفَقَ الحُفَّاظُ على تَضْعِيْفِهِ ؛ وَلَوْ بَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ أَحادِيثُ النَّهْيِ الصَّحِيْحَةِ الصَّرِيْحَةِ في تَحْرِيمِهِ ، لَمْ يَصِرْ إِلى غَيْرِهِ ، وَلَوْ صَحَّ حَدِيثُ غالِبٍ ، لَحُمِلَ على الأَكْلِ مِنْها حَالَ الاضْطِرارِ ؛ وَأَيضاً هي قَضِيَّةُ عَيْنٍ لا عُمُومَ لَها ، وَلاَ حُجَّةَ فيها .

واختلفَ أَصْحابُنا في عِلَّةِ تَحْرِيمِها ، هل هو لاسْتِخْبَاثِ العَرَبِ لَها ، أَو لِلنَّصِّ ؟ على وجهين ، حَكَاهُما الرُّويانيُّ وَغَيْرُهُ .

● وَأَفادَ الحافِظُ المُنذريُّ : أَنَّ تَحريمَ لُحوم الحُمُرِ نُسِخَ مَرَّتينِ ، ونُسِخَتِ القِبْلَةُ مَرَّتَيْنِ ، وَنُسِخَ نِكاحُ المُتْعَةِ مَرَّتَيْنِ .

وَاختَلَفَ السَّلَفُ في لَبَنِها ، فَحَرَّمَهُ أَكْثَرُ العُلَماءِ ، وَرَخَّصَ فِيهِ عَطاءٌ وطاوُوسُ والزُّهْرِيُّ ؛ والأَوَّلُ أَصَحُّ ، لأَنَّ حُكْمَ اللَّبَنِ حُكْمُ اللَّحْمِ .

وَيُحَرَّمُ ضَرْبُهُ وَضَرْبُ غَيْرِهِ من الحَيوانات المُحْتَرَمَةِ بالإِجْمَاعِ .

● رَوَى « البُخارِيُّ »[2] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بِحِمارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : « لَعَنَ اللهُ مَن فَعَلَ هَذَا » . وَفِي رِوايَةٍ : « لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَ هَذَا » .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[3] : « عَشَّرَ تَعْشيرَ الحِمَارِ » . قَالَ الجَوْهَرِيُّ : تَعْشِيرُ

---

(١) البخاري ٦/ ٢٢٩ ومسلم (١٩٤١) وأبو داود (٣٧٨٨) والنَّسائي (٤٣٢٧ ـ ٤٣٣٠) وابن ماجه (٣١٩١) ومسند أحمد ٣/ ٣٥٦ و ٣٦٢ و ٤/ ٨٩ .

(٢) لم يروه البخاري ، وهو في مسلم (٢١١٦ ـ ٢١١٨) وأبي داود (٢٥٦٤) ومسند أحمد ٣/ ٢٩٧ و ٣٢٣ .

(٣) لم يرد هذا في كتب الأمثال . وقول الجوهريّ في الصِّحاح « عشر » ٢/ ٧٤٧ . والبيت لعروة بن الورد في ديوانه ٧١ وقد مضى كلُّ ذلك .

الحِمارِ : نَهِيْقَهُ عَشْرَةَ أَصْواتٍ فِي طَلْقٍ واحِدٍ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ : [من الطَّويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ عَشَّرْتُ مِنْ خِيْفَةِ الرَّدَى نُهَاقَ حِمارٍ إِنَّنِي لَجَزُوعُ

وذلكَ أَنَّهم كانوا إِذا خافوا وَباءَ بَلَدٍ ، عَشَّروا كَتَعشِيرِ الحِمارِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوهُ وَكانُوا يَزْعُمونَ أَنَّ ذلك يَنْفَعُهُمْ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تعالَى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ﴾ [الجمعة : ٥] أَي يُثْقِلُهُ حَمْلُها ، وَلا يَنْفَعُهُ عَمَلُها ؛ وَكُلُّ مَن يَعْلَمُ وَلَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَهَذَ مَثَلُهُ .

● وَفِي « الصَّحيحين »[1] مِن حَدِيثِ أُسامَةَ ، قال : سمعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقول : « يُؤتى بالرَّجُلِ يومَ القِيامَةِ ، فَيُلْقى في النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتابُ بطَنْهِ ، فَيَدورُ كما يَدورُ الحِمارُ في الرَّحَى ، فَيُطِيفُ به أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : ما لَكَ ؟ فيقولُ : كُنْتُ آمُرُ بالخَيْرِ ولا آتِيْهِ ، وأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وآتِيْه » . والأَقْتابُ : الأَمْعاءُ ، واحِدُها : قِتْبٌ بالكَسْرِ .

وَقَالَتِ العَرَبُ[2] : « هُم يَتَهارَجونَ تَهارُجَ الحُمُرِ » : أَي يَتَسَافَدُونَ ؛ وَالهَرْجُ : كَثْرَةُ النِّكاحِ ؛ يُقال : باتَ يَهْرُجُها لَيْلَهُ جَمِيعاً .

● وَرَوَى الحافظ أَبو نَعيمٍ[3] ، عن أَبي الزَّاهِرِيَّةِ ، عن كَعْبِ الأَحْبَارِ ، قالَ :

يَمْكُثُ النَّاسُ بعدَ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ في الرَّخَاءِ وَالخِصْبِ والدَّعَةِ عَشْرَ سِنِينَ ، حتّى إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَحْمِلانِ الرُّمَّانَةَ الواحِدَةَ بَيْنَهُما ، وَيَحْمِلانِ العُنْقُودَ الواحِدَ مِنَ العِنَبِ ؛ فَيَمْكُثونَ على ذلك عَشْرَ سِنينَ ، ثُم يَبْعَثُ اللهُ رِيْحاً طَيِّبَةً ،

---

(١) البخاري ٤/ ٩٠ ومسلم (٢٩٨٩) ومسند أَحمد ٥/ ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٩ .

(٢) هذا من حديث أَبي الدَّرداء : « يتهارجون تهارج البهائم » . . . . النهاية ٥/ ٢٥٧ .

(٣) في حلية الأَولياء ٦/ ٢٥ .

فَلا تَدَعُ مُؤْمِناً ولا مُؤْمِنَةً إلاَّ قَبَضَتْ رُوحَهُ ، ثُمَّ يَبْقَى النَّاسُ بعدَ ذَلكَ يَتَهارَجُونَ تَهارُجَ الحُمُرِ في المُرُوجِ ، حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَالسَّاعَةُ وهُم على ذلك .

وَقَالُوا[١] : « بالَ الحِمارُ فاسْتبالَ أَحْمِرَةً » . أَي حَمَلَهُنَّ على البَوْلِ ؛ يُضْرَبُ في تَعاوُنِ القَوْمِ على مَا يُكْرَهُ .

وَقَالُوا[٢] : « اتُّخِذَ فُلانٌ حِمارَ الحاجاتِ » . يُضْرَبُ لِلّذِي يُمْتَهَنُ في الأُمُورِ .

وَقَالُوا[٣] : « تَرَكْتُهُ جَوْفَ حِمَارٍ » . أَي لا خَيْرَ فِيهِ .

وَقَالُوا[٤] : « أَصْبَرُ مِنْ حِمارٍ » .

وَقَالُوا[٥] : « شَرُّ المَالِ مَا لا يُذَكَّى ولا يُزَكَّى » . أَشارُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ .

وَقَالُوا[٦] : « مَا بَقِيَ مِنْهُ إلاَّ قدرُ ظِمْءِ حِمارٍ » لأَنَّهُ أَقْصَرُ الحَيْوانِ ظِمْأً .

قَالَ الجَوهرِيُّ[٧] : في مادة « عشا » : قال الشاعر[٨] : [من الوافر]

غَدَوْنا غُدْوَةً سَحَراً بلَيْلٍ ... عِشَاءً بَعْدَ مَا انْتَصَفَ النَّهارُ
فَصِدْناهُ حِماراً ذا قُرُونٍ ... أَكَلْنا اللَّحْمَ وانفَلَتَ الحِمَارُ

وفي مَعنى هذا البيتِ وَجْهانِ : أَحَدُهُما : أَنَّا أَتْعَبْناهُ حَتَّى أَكَلْنا لَحْمَهُ ، لِشِدَّةِ الإِضْرارِ بِهِ من العَدْوِ ، ثُمَّ انْفَلَتَ . والثَّاني : أَنَّا ذَبَحْناهُ فَأَكَلْناهُ أَكْلاً لم

---

(١) الميداني ١/ ٩٨ والزمخشري ٢/ ٥ .
(٢) الميداني ١/ ١٣٥ والعسكري ١/ ٣٨١ .
(٣) الميداني ١/ ١٣٥ والفاخر ١٤ .
(٤) الميداني ١/ ٤١٧ والعسكري ١/ ٥٦٨ و ٥٨٨ والدّرّة الفاخرة ١/ ٢٦٤ .
(٥) الميداني ١/ ٣٦٠ والزمخشري ٢/ ١٣٠ والدّرّة الفاخرة ١/ ١٨١ .
(٦) الميداني ٢/ ٢٦٨ والزمخشري ٢/ ٣١٧ وأَمثال أَبي عبيد ١١٩ وفصل المقال ١٧٨ .
(٧) الصحاح « عشا » ٦/ ٢٤٢٦ .
(٨) الأَول فقط بلا نسبة في الصحاح والتاج واللّسان وجمهرة اللُّغة .

يَبْقَ منهُ شَيْءٌ فكَأَنَّهُ انْفلَتَ .

وقوله : ذَا قُرونٍ : أَي مُسِنَّاً قد أَتَتْ عليهِ قُرونٌ من الدَّهْرِ .

وقالوا[1] : « أَذَلُّ من حِمارٍ مُقَيَّدٍ » . قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من البسيط]

وَمَا يُقِيمُ بِدَارِ الذُّلِّ يَعْرِفُهَا ... إِلاَّ الأَذَلاَّنِ عَيْرُ الحَيِّ وَالوَتِدُ

هذا على الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وذا يُشَجُّ فَلا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

الخَواصُّ[3] : مَن سُقِيَ من وَسَخِ أُذُنِهِ في شَرابٍ أَوْ غَيْرِهِ ، سَبَتَ وَنَامَ وَلَمْ يَعْقِلْ أَصْلاً .

وَمَن نَزَعَ شَعْرَةً مِنْ ذَنَبِهِ عِنْدَ نَزْوِهِ ، وَرَبَطَها على فَخِذِهِ : أَنْعَظَ وَهَيَّجَ الباهَ .

وَإِذا رُبِطَ حَجَرٌ في ذَنَبِهِ : لَمْ يَنْهَقْ ؛ وَكَذَا إِذا طُلِيَتْ اسْتُهُ بِدُهْنٍ .

وقال الإمام الفَخْرُ الرَّازِي وصاحبُ « الحاوِي » : إِذا طُبِخَ لَحْمُ الحِمَارِ الأَهْلِيِّ ، وَقَعَدَ في مائِهِ مَنْ بِهِ كُزَازٌ : نَفَعَهُ .

وَإِذا اتَّخَذَ مِنْ حافِرِهِ خاتَمٌ ، وَلَبِسَهُ المَصْرُوعُ : لَمْ يُصْرَعْ .

وَسَرجِينُهُ وَسَرْجِينُ الخَيْلِ إِذا أُحْرِقاً ، أَو لَمْ يُحْرَقَا ، وَخُلِطَا بِخَلٍّ : قَطَعا سَيَلانَ الدَّمِ .

وإِذا عُلِّقَ جِلْدُ جَبْهَتِهِ على الصِّبْيَانِ : نَفَعَهم من الفَزَعِ .

وَإِذا رُشَّ على زِبْلِهِ خَلٌّ وَشُمَّ : قَطَعَ الرُّعافَ .

---

(١) الميداني ١/ ٢٨٣ و ٢/ ٣٩٣ والعسكري ١/ ٤٦٨ والزمخشري ١/ ١٣٣ والدّرّة الفاخرة ١/ ٢٠٣ .

(٢) البيتان للمتلمّس الضُّبعي ، في ديوانه ٢٠٨ و ٢١١ .

(٣) تذكرة داود ١/ ١٢٩ ومفردات ابن البيطار ١/ ٣٥ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٢١ .

وَقالَ صاحِبُ « الفِلاحَةِ » : إذا رَكِبَ المَلْسُوعُ بالعَقْرَبِ حِماراً ، وَجَعَلَ وَجْهَهُ إلى ذَنَبه ، صَارَ الوَجَعُ إلى الحِمَارِ ، وَبَرِىءَ الرّاكِبُ ؛ وكذا إنْ تَقَدَّمَ المَلْدوغُ إلى أُذُنِ الحِمَارِ ، وقالَ : إنِّي لُدِغتُ بعَقْرَبٍ في المَكَانِ الفُلانيِّ : ذَهَبَ الوَجَعُ ؛ وإنْ رَكِبَهُ مَقْلُوباً ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ كَانَ أَقْوَى فِعْلاً .

وَمُخُّه إذا طُلِيَ بِهِ الرَّأْسُ مَعَ الزَّيْتِ : طَوَّلَ الشَّعْرَ .

وَكَبِدُهُ إذا أُكِلَتْ مَشْوِيَّةً على الرِّيْقِ ، مَنْقُوعَةً في الخَلِّ : نَفَعَتْ مِنَ الصَّرَعِ ، وَأَمِنَ آكِلُها مِنَ الصَّرَعِ .

وَلَبَنُ الحِمَارَةِ إذا ضُمِّدَ بِهِ الذَّكَرُ : أَنْعَظَ .

وَنَهِيقُ الحِمَارِ يَضُرُّ بالكَلْبِ ، حَتَّى إنَّه رُبَّما عَوَى من كَثْرَةِ مَا يُؤْلِمُهُ .

التَّعبيرُ[1] : الحِمَارُ فِي المَنامِ : جَدُّ الإنْسَانِ وَسَعْدُهُ ، وَرُبَّما دَلَّ عَلَى غُلامٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ خَيْرٍ .

وَرُبَّما دَلَّ عَلَى السَّفَرِ أَوِ العِلْمِ ، لِقَوْلِه تَعالَى : ﴿ **كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ [الجمعة : ٥] وَرُبَّما دَلَّ عَلَى المَعيشَةِ لقَوله تَعالى : ﴿ **وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ** ﴾ [البقرة : ٢٥٩] وَرُبَّما دَلَّ الحِمَارُ على العالِمِ المُحَصِّلِ أَوْ اليَهودِ ، لقَوله تَعالَى : ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا** ﴾ [الجمعة : ٥] الآية ، وَرُبَّما دَلَّ الحِمَارُ عَلَى مَا يُوطَأُ فِيهِ ، كالوِطَاءِ والزُّرْبُولِ وَمَا أَشْبَهَ ذلك .

وَظُهورُ حِمارِ عُزَيْرٍ فِي المَنامِ ، ظُهُورُ آيَةٍ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ على الخَلاصِ من الشَّدائِدِ ، وعلى الرُّجُوعِ إلى المَناصِبِ السَّنِيَّةِ ، أَوِ المُنَازَعَةِ في الدِّيْنِ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧٤ وتفسير الواعظ ٢٦٩ والزيادة منه .

وَالحميرُ والبِغَالُ : مُلْكُها في المَنام ، أَوْ رُكوبُها : دَلِيلٌ على الزِّيْنَةِ بالمَالِ أَو الوَلَدِ ، لِقَوْلِه تَعالَى : ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ ﴾ [النَّحل : ٨] .

وَرُبَّما دَلَّ رُكُوبُ الحِمَارِ ، عَلَى النَّجاةِ مِنَ الهَمِّ .

وَمَوْتُ الحِمَارِ وَهُزالُهُ : فَقْرُ صاحِبِهِ ؛ وقيل : مَوْتُهُ مَوْتُ صاحِبه .

وَالنُّزولُ عن ظَهْرِهِ بلا نِيَّةٍ : نزولُ فَقْرٍ ؛ وَبَيْعُهُ فَقْرٌ أَيْضاً .

وَمَن ذَبَحَ حِمَارَهُ لِيَأْكُلَ لَحْمَهُ : نَالَ سَعَةً في رِزْقِهِ ؛ وإِنْ ذَبَحَهُ لِغَيْرِ الأَكْلِ : فَإِنّهُ يُفْسِدُ مَعايِشَهُ .

وَمَن رأَى ذَنَبَ حِمارِهِ طَوِيلاً وافِراً : دَلَّ عَلَى بَقَاءِ دَوْلَتِهِ ، أَو زِيَادَةِ جاهِهِ .

وَالحِمَارُ الذي لهُ سَرْجٌ : يُفَسَّرُ بالوَلَدِ والعِزِّ ؛ فَمَن رأَى أَنَّه لا يُحْسِنُ رُكُوبَ حِمارِهِ ، فإِنَّهُ يَتَحَلّىَ بِمَا لَيْسَ من أَهْلِهِ .

وَالمَهازِيلُ والضِّعافُ مِنَ الحُمُرِ : مَالٌ في زِيادَةٍ ؛ وَالسِّمَانُ منها : مَالٌ قَدِ انْتَهى .

وَالحِمَارُ المِصْرِيُّ : وَكِيلٌ ، وَهُوَ نِعْمَ الوَكِيلُ .

وَالحِمَارَةُ : امْرَأَةٌ مُعِينَةٌ على المعيشَةِ ، كَثيرةُ الخيرِ ، ذَاتُ نَسْلٍ ورِبْحٍ مُتَواتِرٍ ؛ فَمَن رَكِبَ حِمارَةً في مَنامِهِ ، وَخَلْفَها جَحْشٌ : فإِنَّهُ يَتَزَوَّجُ امْرَأَةً لَها وَلَدٌ ، وَمَن رأَى حِمارَةً لا تَمْشِي إِلاَّ بِالسَّوْطِ : فإِنَّهُ [مَحْرُومٌ] لا يَطْعَمُ إِلاَّ بالدُّعَاءِ .

وَلَفْظُ الأَتانِ مِنْ الإِتْيَانِ ، وَرُبَّما دَلَّ صِياحُها على الشَّرِّ والأَنْكادِ ، لِقَولِه تَعالى : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٩] أَو ظُهُورُ عارِضٍ من الجانِّ ؛ فإِنَّ نَهِيقَ الحِمارِ ، يَدُلُّ عَلَى رُؤْيَةِ الشَّيْطَانِ ، لأَنَّ السُّنَّةَ وَرَدَتْ بِالتَّعَوُّذِ

من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عندَ سَماعِ صَوْتِهِ ؛ وَقِيلَ : سَماعُ صَوْتِهِ دُعاءٌ على الظَّلَمَةِ .

وَمَن رأَى حِماراً مَوْقوراً دَخَلَ مَنْزِلَهُ : فإِنَّهُ خيرٌ يَسُوقُهُ الله إِليه ، على قَدْرِ جَوْهَرِ ذَلِكَ الحِمْلِ .

وَلَبَنُ الحِمارَةِ : خِصْبٌ في تلكَ السَّنَةِ ؛ وَرُبَّما دَلَّ الشُّرْبُ منهُ على مَرَضِ شارِبِهِ ثم يَنْجو منه .

وَلَحْمُ الحِمارِ : مَالٌ لمن أَكَلَهُ .

وَحِمَارُ المَرْأَةِ : زَوْجُها ؛ فإِنْ مَاتَ طَلَّقَها أَو مَاتَ زَوْجُها .

ومن صارعَ حِماراً : ماتَ بعضُ أَقارِبِهِ .

وَمن رأَى حِمارَهُ صَارَ فَرَساً : نَالَ خَيْراً من السُّلطانِ ؛ وَإِن صارَ بَغْلاً : نَالَ خَيراً من سَفَرٍ .

وَمَن حَمَلَ حِمارَهُ في المَنامِ : نالَ خَيْراً وَقُوَّةً في السَّعادَةِ حَتَّى يُتَعَجَّبَ منهُ .

وَمَن رأَى له حافِراً : فَذَلِكَ قُوَّةٌ في المَالِ وَالتَّصَرُّفِ ، وكذلكَ الخُفُّ .

ومن سَمِعَ صَوْتَ الحَوافِرِ من غيرِ أَن يرَى شَيْئاً مِنَ البَهائِمِ : فإِنَّها أَمطارٌ .

وَيُعَبَّرُ الحِمارُ بِرَجُلٍ جاهِلٍ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ على الوَلَدِ مِنَ الزِّنا .

وَمَن رأَى حِماراً نَزَلَ من السَّمَاءِ ، فَدَسَّ ذَكَرَهُ في دُبُرِهِ : نالَ مالاً عَظيماً يَسْتَغْنِي بهِ ، لا سِيَّما إِذا كانَ الرَّائِي مَلِكاً ، وَالحِمَارُ أَسْوَدُ أَوْ أَدْهَمُ ؛ والله أَعلمُ .

٢٢٨ الحِمَارُ الوَحْشِيُّ : وَيُسَمَّى الفرأَ . وَيُقَالُ : حِمارُ وَحْشٍ ، وَحِمارٌ وَحْشِيٌّ ؛ وَهُوَ العَيْرُ . وَرُبَّما أُطْلِقَ العَيْرُ عَلَى الأَهْلِيِّ أَيْضاً .

والحمارُ الوَحْشِيُّ شَديدُ الغَيْرَةِ ، فلذلكَ يَحْمي عانَتَهُ الدَّهْرَ كُلَّهُ .

ومن عَجيبِ أَمْرِهِ : أَنَّ الأُنْثى من هذا النَّوْعِ إذا وَلَدَتْ ذَكَراً ، كَدَمَ الفَحْلُ خُصْيَتَيْهِ ؛ فالأُنْثى تُعْمِلُ الحِيْلَةَ في الهَرَبِ منه حتّى يَسْلَمَ ؛ وَرُبَّما كَسَرَتْ رِجْلَ التَّوْلَبِ كي لا يَسْعَى ، وَلا تَزالُ تُرْضِعُهُ إِلى أَنْ يَكْبَرَ فَيَسْلَمَ من أَبيهِ ؛ وأشار إلى ذلك الحريريُّ بِقَوْلِهِ في المَقامَةِ الثّالثة عشرةَ[1] : [مِن السَّريع]

يَـا رازِقَ النَّعّـابِ فـي عُشِّـهِ ... وَجـابِـرَ العَظْـمِ الكَسِيْـرِ المَهِيْـضْ
أَتِـحْ لَنَـا اللَّهُـمَّ مَـن عِـرْضُـهُ ... مِـنْ دَنَـسِ الـذَّمِّ نَقِـيٌّ رَحِيْـضْ

وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في « باب النُّون » في « النَّعّابِ » .

وَيُقَالُ : إِنَّ الحِمَارَ الوَحْشِيَّ يُعَمَّرُ مِئَتي سَنَةٍ وَأَكْثَرَ .

● وَذَكَرَ « ابنُ خلّكان »[2] في ترجمة يَزيد بن زِياد : أَنَّ بَعْضَ الجُنْدِ حَدَّثَ أَنَّهُم نَزَلُوا على جَرود ، فاصْطادُوا مِنْ حُمُرِ الوَحْشِ شَيْئاً كَثِيراً ، وَذَبَحُوا مِنْها حِماراً ، وَطَبَخوا لَحْمَهُ الطَّبْخَ المُعْتادَ ، فَلَمْ يَنْضَجْ ، فَزيدَ في الإِيْقادِ عليه يوماً كامِلاً فلم يَنْضَجْ ، فقامَ بعضُ الجُنْدِ ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ وَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ ، فَرَأَى عَلَى أُذُنِهِ وَسْماً ، فَقَرَأَهُ فإِذا هُوَ بَهْرام جُور ، وَمَوْضِعُ الوَسْمِ ظاهِرٌ أَسْوَدُ ، وَهُوَ بِالقَلَمِ الكُوفيِّ .

قال ابنُ خلّكان : وَأَحْضَرُوا الأُذُنَ عِنْدِي ، فَوَجَدْتُ الاسْمَ ظَاهِراً ؛ وَبَهرام جُور كان من مُلُوكِ الفُرْسِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبيِّ ﷺ بِزَمانٍ طَويلٍ ؛ وكان من عَادَتِهِ إذا أَخَذَ الصَّيْدَ ، وَسَمَهُ وَأَطْلَقَهُ ، واللهُ تَعالَى يَعْلَمُ كَمْ كَانَ عُمْرُ الحِمارِ قَبْلَ الوَسْمِ ؛ وَهَذَا الحِمَارُ لَعَلَّهُ عَاشَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمانمئةِ سنة .

وَجَرود : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ[3] ، وَبِأَرْضِها مِنْ حُمُرِ الوَحْشِ شَيْءٌ كَثِيرٌ

---

(١) مقامات الحريري ٩٦ وشرح الشريشيّ ٢/ ١٢٣ .
(٢) وفيات الأعيان ٦/ ٣٥٤ .
(٣) تُسمّى اليوم : جَيْرود . وليس فيها من حمر الوحش قليل ولا كثيرٌ .

يُجاوِزُ الحَصْرَ .

وَفِي أَرْضِ جَرود : الجَبَلُ المُدَخِّنُ ؛ وإِنَّما سُمِّيَ هَذَا الجَبَلُ بِالمُدَخِّنِ ؛ لأَنَّهُ لا يَزَالُ عَلَيْهِ مِثْلُ الدُّخَانِ مِنَ الضَّبابِ .

وَقِيلَ : إِنّ الحمارَ يَعيشُ أَكثرَ من ثَمانمئةِ سَنَةٍ .

وَأَلوانُ حُمُرِ الوَحْشِ مُختلِفَةٌ ؛ والأَخْدَرِيَّةُ أَطْوَلُها عُمْراً وَأَحْسَنُها شَكْلاً ، وهي مَنْسوبَةٌ إِلى أَخْدَرَ ، فَحْلٍ كان لِكِسْرَى أَرْدَشِير ، فَتَوَحَّشَ واجْتَمَعَ بِعاناتٍ ، فَضَرَبَ فِيها ، فَالمتولِّدُ مِنها يُقَالُ لَهُ أَخْدَرِيٌّ .

● وقال الجاحظ[1] : أَعْمارُ حُمُرِ الوَحْشِ ، تَزِيدُ عَلَى أَعْمَارِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ، وَلا نَعْرِفُ حِماراً أَهْلِيّاً عَاشَ أَكْثَرَ مِنْ حِمَارِ أَبي سَيَّارَةَ ؛ وَهُوَ عُمَيْلَةُ بن خالد[2] العَدْوانيّ ، كانَ لهُ حِمارٌ أَسْوَدُ ، أَجازَ النَّاسَ عليه من المُزْدَلِفَةِ إِلى مِنى أَربعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ يَقُولُ : [من الرجز]

لا هُمَّ مالي في الحِمارِ الأَسْوَدْ أَصْبَحْتُ بَيْنَ العالَمِينَ أُحْسَدْ
هَلاّ يَكادُ ذُو الحِمَارِ الجَلْعَدْ فَقِ أَبا سَيَّارَةَ المُحَسَّدْ
مِنْ شَرِّ كُلِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدْ وَمِنْ أَذاةِ النّافِثَاتِ في العُقَدْ

اللَّهُمَّ حَبِّبْ بَيْنَ نِسائِنا ، وَبَغِّضْ بَيْنَ رِعائِنا ، وَاجْعَلِ المَالَ في سُمُحائِنا .

---

(١) الخبر والأَبيات في : الحيوان ٢/ ٢٥٧ و١/ ١٣٩ وعيون الأَخبار ١/ ١٦٠ وثمار القلوب ١/ ٥٥٣ والمعمرين ٦١ ومروج الذهب ٢/ ١٧٤ والميداني ١/ ٤٢٢ والعسكري ١/ ٥٨٨ والزمخشري ١/ ٢٠٥ والدّرّة الفاخرة ١/ ٢٧١ وفصل المقال ٥٠١ والاشتقاق ٢٦٨ والسيرة النبوية ١/ ١٢٢ وبيان الجاحظ ١/ ٣٠٧ والأَوائل للعسكري ١/ ٢٥ وسفر السعادة ١/ ٣١١ والمستطرف ٢/ ٤٦٩ .

(٢) هو عميلة بن خالد بن الأَعزل . (ثمار القلوب) وربّما قيل : عميلة بن الأَعزل . (الجاحظ وغيره) .

وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ[1] : [من الرَّجز]

خَلُّوا الطَّرِيقَ عَنْ أَبِي سَيَّارَهْ — وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَهْ
حَتَّى يُجِيزَ سَالِماً حِمَارَهْ — مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهْ
فَقَدْ أَجَارَ اللهُ مَنْ أَجَارَهْ

ولذلكَ قيل : « أَصَحُّ مِنْ عَيْرِ أَبِي سَيَّارة » .

● ورَوى « ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ » و« ابْنُ عَبْدِ البَرِّ »[2] من طَرِيقه ، من حَدِيثِ أَبِي فاطِمَةَ اللَّيْثِيّ ، وَيُقَالُ : الأَزْدِيّ ، وَيُقَالُ : الدَّوْسِيّ ، أَنَّهُ قال : كُنَّا جالِسين عندَ رسولِ اللهِ ﷺ فقال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِحَّ فَلا يَسْقَمَ ؟ » فابْتَدَرْناها ، فَقُلْنا : نحنُ يَا رَسُول اللهِ . فَقَالَ : « أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا كَالحُمُرِ الضَّالَّةِ ؟ » قَالُوا : لا يَا رَسُولَ الله . قال : « أَلا تُحِبُّونَ أَن تكونوا أَصْحَابَ بَلاءٍ ، وَأَصْحَابَ كَفَّاراتٍ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي القاسِمِ بيَدِهِ ، إِنَّ اللهُ لَيَبْتَلي المُؤْمِنَ بالبَلاءِ ، فَمَا يَبْتَلِيْهِ إِلاَّ لِكَرامَتِهِ عليهِ ، لأَنَّ الله قد أَنْزلَ عَبْدَهُ مَنْزِلَةً لم يَبْلُغْها بِشَيْءٍ من عَمَلِهِ ، دُونَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ من البَلاءِ ما لا يَبْلُغُ تِلْكَ المَنْزِلَةَ إِلاَّ بِهِ » .

وكذلك رَواهُ البَيْهَقِيُّ أَيْضاً في « الشعَبِ »[2] وقال : سَأَلْتُ عنه بعضَ أَهْلِ الأَدَبِ ، فَزَعَمَ أَنَّهُ أَرادَ بِهِ حُمُرَ الوَحْشِ .

● وقال ابنُ الأَثِيرِ فِي « نِهايَةِ الغَرِيبِ »[3] : قَوله : « أَتُحِبُّونَ أَن تكونوا كالحُمُرِ الضَّالَّةِ » ؟ قال أَبو أَحمد العَسْكَرِيّ : هو بِالصّادِ غيرِ المُعْجَمَةِ ،

---

(١) الأَشطار لأَبي سيّارة ، في مصادر الخبر .

(٢) أُسد الغابة ٦/ ٢٤٣ والإِصابة ٧/ ٢٦٥ رقم (١٠٣٨٧) وشعب الإِيمان ٧/ ١٦٤ برقم (٩٨٥٦) .

(٣) النِّهاية ٣/ ٤٨ ـ ٤٩ .

وَرَوَوْهُ أَيْضاً بالضَّادِ المُعْجَمَةِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ؛ يُقَالُ لِلْحِمارِ الوَحْشِيِّ الحادِّ الصَّوْتِ : صَالٌّ وَصَلْصَالٌ ؛ كَأَنَّهُ يُرِيدُ الصَّحيحةَ الأَجْسَادِ والشَّديدةَ الأَصْواتِ لِقُوَّتِها وَنَشاطِها .

الحُكم : يَحِلُّ أَكْلُهُ بالإِجْماعِ .

وفي « الصَّحِيْحَيْنِ »[1] وَغَيْرِهما : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّنا حُرُمٌ » .

قَالَ الشّافعيّ : ولو تَوَحَّشَ الحِمَارُ الأَهْلِيُّ ، حُرِّمَ أَكْلُهُ ؛ وَلَوِ اسْتَأْهَلَ الوَحْشِيُّ ، لَمْ يُحَرَّمْ .

ولا نعلمُ في حِلِّ الوَحْشِيِّ خِلافاً ، إلاَّ مَا رُوِيَ عَنْ مُطَرِّفٍ ، أَنَّهُ قال : إذا أَنِسَ واعْتَلَفَ صَارَ كالأَهْلِيِّ ؛ وأَهْلُ العِلْمِ قاطِبَةً على خِلافِ قَوله .

وَلا يَحِلُّ الحِمَارُ المُتَوَلِّدُ بَينَ الأَهْلِيِّ وَالوَحْشِيِّ ، لأَنَّ الوَلَدَ يَتْبَعُ أَخسَّ الأَبَوين في الأَطْعِمَةِ ، حَتَّى يُفْرَضَ أَحَدُهُما غَيْرَ مَأْكُولٍ ؛ كَمَا يَتْبَعُ أَخَسَّهُما في النَّجاسَةِ ، حتى يَجِبَ الغُسْلُ مِنْ وُلُوغِهِ وَسَائِرَ أَجْزَائِهِ سَبْعاً إذا تَوَلَّدَ بينَ كَلْبٍ وَذِئْبٍ .

وَكَمَا يَتْبَعُ الأَخَسَّ فِي الأَنْكِحَةِ ، حَتَّى إِذا تَوَلَّدَ بَيْنَ كِتابِيٍّ وَوَثَنِيٍّ لَمْ تَحُلَّ مُناكَحَتُهُ .

وقد خالَفوا هذا الأَصْلَ في بابِ الجِزْيَةِ ، فَقَالُوا : يُعْقَدُ لِلْمُتَوَلِّد بَيْنَ كِتَابِيٍّ وَوَثَنِيٍّ .

وَفِي الدِّياتِ : أَلْحَقُوهُ بِأَكْثَرِهِما دِيَةً ، وَهُوَ الأَصَحُّ المَنْصُوصُ ؛ وقيل :

---

(١) البخاري ٣/ ١٣٠ ومسلم (١١٩٣) والترمذي (٨٤٩) والنَّسائيّ (٢٨١٩) وابن ماجه (٣٠٩٠) .

يَتْبَعُ أَقَلَّهُما دِيةً ؛ وقيل : يُعْتَبَرُ بالأَبِ . وهذهِ الأَقْوَالُ حَكَاهَا الرّافعيُّ فِي « بابِ الغُرَّةِ » .

وَفِي الحَجِّ جَعَلُوهُ تابعاً لِلأَغْلَظِ تَكْلِيفاً ، حتى لو قَتَلَ مُتَوَلِّداً بين ظَبْيٍ وَشَاةٍ ، وَجَبَ عليه الجَزَاءُ .

وَعَكَسُوا ذَلِكَ في الزَّكاةِ ، فلَم يُوجِبُوها في المُتَوَلِّدِ بينَ الأَهْلِيِّ والوَحْشِيِّ ، وفي إِيْجابِها في المتولِّدِ بينَ إِنْسِيَّيْنِ كَبَقَرٍ وَجامُوسٍ نَظَرٌ ، وَجَعَلُوهُ تَابعاً لأَشْرَفِهِما دِيْناً ، حتى لو كان أَحَدُ الأَبَوَيْنِ مُسْلِماً عِنْدَ العُلُوقِ ، أَوْ أَسْلَمَ قَبْلَ بُلُوغِه ، حُكِمَ بِإِسْلامِ الصَّغِيرِ تَبعاً لِلأُمِّ فِي الرِّقِّ والجِزْيَةِ ، أَعْني مَا دامَ حَمْلاً ، إِلاَّ في المُسْتَوْلَدَةِ والمَغْرُورِ بحُرِّيَّتِها ، وَجَعَلُوهُ تابِعاً لِلأَبِ في النَّسَبِ مُطْلَقاً ، لأَنَّ النَّسَبَ يُعْتَبَرُ بالآبَاءِ دُونَ الأُمَّهَاتِ .

وَاسْتَثْنَوْا من ذلكَ أَوْلادَ بَناتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فإِنَّهُمْ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ دُونَ أَولادِ بَناتِ غَيْرِهِ ، وَهَذَا مِنْ خَصائِصِه ﷺ .

وجَعلوا وَلَدَ الزِّنا مَقْطُوعَ النَّسَبِ عن أَبيهِ ، والمَنْفِيُّ ليسَ كذلكَ ، لأَنَّهُ لَو اسْتَلْحَقَهُ لَحِقَهُ .

ولم يَتَعَرَّضوا لِلتَّبَعِيَّةِ في بابَي الأُضْحِيَةِ والعَقِيقَةِ ؛ والاحْتِياطُ اعْتِبَارُ أَكْثَرِ السِّنِين فيه ، حتى لو تَوَلَّدَ بينَ ضَأْنٍ وَمَعْزٍ ، اشْتُرِطَ لأِجْزائِهِ في الأُضْحِيَةِ طَعْنُهُ في السَّنَةِ الثّالِثَةِ ، اعْتِبَاراً بأَكْثَرِ الأَبَوَيْنِ سِنّاً وهو المَعْزُ .

ولم يَتَعَرَّضوا أَيْضاً لهُ فِي الرِّبَوِيّاتِ ، وفائِدَتُهُ أَنَّهُ هَلْ يُجْعَلُ جِنْساً بِرأْسِهِ حَتّى يُبَاعَ لَحْمُهُ بلَحْمِ أَيِّ الأَبَوَيْنِ كَانَ مُفاضَلَةً ؟ أَوْ يُجْعَلُ كَالجِنْسِ الواحِدِ احْتِياطاً ، فَيَحْرُمُ التَّفاضُلُ ، وهذا هو الأَقْرَبُ اعْتِبَاراً لِضِيْقِ بابِ الرِّبا .

ولم يَتَعَرَّضُوا له أَيْضاً في السَّلَمِ وَالقَرْضِ ، حتى لو أَقْرَضَهُ حيواناً مُتَوَلِّداً بَيْنَ حَيوانَينِ ، أو أَسلَمَ إِليه في لَحْمِهِ أو لَحْمِ ضَأْنٍ أَو مَعْزٍ ، فَأَتاهُ بلَحْم مُتَوَلِّدٍ

بينَ ضَأْنٍ وَمَعْزٍ ، فَالمُتَّجِهُ عَدَمُ جوازِ قَبُولِهِ ، لأَنَّه نوعٌ آخَر ؛ والاسْتِبْدَالُ عنِ النَّوْعِ بِنَوعٍ آخَر لا يَجُوزُ عَلَى الصَّحِيْحِ .

ولم يَتَعَرَّضوا له أَيضاً في الشَّرِكَةِ والوَكَالَةِ والقِراضِ ، كُلَّ ذَلِكَ لِنُدُورِهِ ؛ وَالمُتَّجِهُ المَنْعُ في الجَمِيعِ ، لأَنَّ هَذِهِ العُقُودَ إِنَّما تَصِحُّ فِيما يَعُمُّ وُجُودُهُ .

ولو أُوْصيَ لِرَجُلٍ بشاةٍ ، فَأَعْطَاهُ الوارِثُ مُتَوَلِّداً بَيْنَ ضَأْنٍ وَمَعْزٍ ، لَمْ يُجْبَرْ على القَبُولِ ، لأَنَّ الوَصِيَّةَ إِنَّما تُحْمَلُ على المُتَعارَفِ ؛ والله تعالى أَعلمُ .

الأَمثَالُ : قَالُوا[1] : « فُلانٌ أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ » . وهو رجلٌ من عادٍ ، كان يُقالُ له : حِمارُ بن مُوَيْلعٍ . وقيل : هو حِمار بن مالِك بن نَصْر الأَزْديّ ، كَانَ مُسْلِماً ، وَكَانَ لَهُ وادٍ طُولُه مَسِيرَةُ يَومٍ في عَرْضِ أَرْبَعَةِ فَراسِخَ ، لم يكنْ ببلادِ العَرَبِ أَخْصَبَ منه ، وفيهِ من كُلِّ الثِّمارِ ، فَخَرَجَ بَنُوهُ يَوماً يَتَصَيَّدُونَ ، فَأَصابَتْهُمْ صاعِقَةٌ ، فَهَلَكُوا ، فَكَفَرَ ، وَقَالَ : لا أَعْبُدُ مَن فَعَلَ هَذَا بِبَنِيَّ ، وَدَعا قَوْمَهُ إِلى الكُفْرِ ، فَمَنْ عَصاهُ قَتَلَهُ ، فَأَهْلَكَهُ الله ، وأَخْرَبَ وادِيَهُ ؛ فَضَرَبَتِ العَرَبُ بِهِ المَثَلَ في الكُفْرِ .

قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الوافر]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ حارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ ... يُصَلِّي وَهُوَ أَكْفَرُ مِنْ حِمارِ

الخَواصُّ : قال ابن وَحْشِيَّةَ وابن السُّوَيْدِيّ وغَيْرُهما[3] : النَّظَرُ إِلَى أَعْيُنِ الحُمُرِ الوَحْشِيَّةِ : يُدِيمُ صِحَّةَ العَيْنِ ، وَيَمنعُ نُزولَ المَاءِ إِليها ، بِخاصِّيَّةٍ عَجِيبَةٍ

---

(١) الميداني ١/ ٢٥٧ و ٢/ ١٦٨ والعسكري ١/ ٤٣٥ و ٢/ ١٧٧ والزمخشري ١/ ٩٨ و ٢٩٥ والدّرّة الفاخرة ١/ ١٨٠ و ٢/ ٣٦١ و ٣٦٧ و ٢/ ٤٤١ وثمار القلوب ١/ ١٦٧ والفاخر ١٤ ـ ١٥ والمعارف ٦١٩ والموفقيات ٤٠٠ ومعجم البلدان ٢/ ١٨٧ .

(٢) البيت لعلقمة بن معبد المازني ، في ملحق الأغاني ٨/ ٤٠١ (ترجمة حارثة بن بدر الغُداني) .

(٣) مفردات ابن البيطار ١/ ٣٦ .

أَوْدَعَهَا اللهُ فيها .

وَالاكْتِحَالُ بِمَرارَتِها يُحِدُّ البَصَرَ ، وَيُزِيلُ ظُلْمَتَهُ ، وَيَمْنَعُ مِنِ ابْتِدَاءِ نُزُولِ المَاءِ في العَيْنِ .

وَأَكْلُ سَمِينِ لَحْمِها : يَنْفَعُ من مَرَضِ المَفاصِلِ ويُزيلُه ؛ وَلَحْمُها أَيضاً ينفعُ من النِّقْرِسِ نَفْعاً بَيِّناً .

وَشَحْمُها إذا طُلِيَ بِهِ الكَلَفُ ، أَزَالَهُ .

وَمَرارَتُها تَنْفَعُ من دَاءِ الثَّعْلَبِ طِلاءً ، وَتَنْفَعُ مِنَ البَوْلِ عَلَى الفِراشِ أَكْلاً .

وَمُخُّها يُسْحَقُ بِدُهْنِ الزِّئْبَقِ ، وَيُدْهَنُ بِهِ البَهَقُ ، يَزولُ بِإِذْنِ الله تَعالى .

التَّعْبِيرُ(١) : الحِمَارُ الوَحْشِيُّ في المنامِ : يَدُلُّ عَلَى الزَّوْجَةِ أَوِ الوَلَدِ من ذي الجَفَاءِ والقَسْوَةِ ، أَو من أَرْبابِ البَوادي ؛ فَاعتبرْ ذلكَ وَأَعْطِ الرّائِي حَقَّهُ .

وَمَن رأَى أَنَّه رَكِبَ حِماراً وَحْشِيّاً ، فَإِنَّه يَدُلُّ عَلَى مَعْصِيَةٍ .

ومنْ رَأَى أَنَّه رَكِبَهُ وَسَقَطَ عنه ، فَلْيَحْذَرْ مِنْ دَرْكٍ يَنالُهُ فِي مَعْصِيَةٍ .

وَمَن شَرِبَ من لَبَنِ حِمارَةٍ وَحْشٍ ، نَالَ نُسْكاً فِي دِيْنِهِ .

وَمَن رَأَى أَنَّهُ حَوَى شَيْئاً من لُحُومِ حُمُرِ الوَحْشِ ، أَوْ مَلَكَها ، نَالَ عِزّاً وغَنيمَةً ومالاً .

والحِمارُ الأَهْلِيُّ إِذا اسْتَوْحَشَ في المَنامِ ، فَهُوَ ضُرٌّ وَشَرٌّ ؛ وَالحِمَارُ الوَحْشِيُّ في المَنامِ إِذا أَنِسَ ، فَهُوَ نَفْعٌ وَخَيْرٌ .

٢٢٩ حِمَارُ قَبّان : قال النَّوويُّ في « التَّحرير » : هو فَعْلانٌ من « قَبَّ » ، لأَنَّه لا يَنْصَرِفُ في مَعْرِفَةٍ ولا نَكِرَةٍ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٢ وتفسير الواعظ ٢٨٢ .

وقال الجَوهريُّ[١] : هِيَ دُوَيْبَّةٌ ، وَقَبَّانُ : فَعْلانٌ مِن « قَبَّ » ، لأَنَّ العَرَبَ لا تَصْرِفُهُ ، وهو مَعْرِفَةٌ عِنْدَهُمْ ، ولو كان فَعَّالاً لَصَرَفَتْهُ ؛ تَقُولُ : رَأَيْتُ قَطِيعاً من حُمُرِ قَبّانَ ، غَيْرَ مُنْصَرِفٍ .

قَالَ الشَّاعِرُ[٢] : [مِن الرجز]

يَا عَجَباً لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبا ... حِمَارَ قَبَّانَ يَسُوقُ أَرْنَبا

خَاطِمَهَا زَأَمَّهَا أَن تَذْهَبا ... فَقُلْتُ : أَرْدِفْنِي فَقَالَ : مَرْحَبا

وقد ذَكَرَ ابنُ مالِكٍ وَغيرُهُ مِنَ الصَّرْفِيِّينَ : أَنَّ كُلَّ اسْمٍ يَكُونَ في آخِرِهِ نُونٌ بعدَ أَلِفٍ بَيْنَها وَبينَ فَاءِ الكَلِمَةِ مُشَدَّدٍ ، فهو مُحْتَمِلٌ لأَصالَةِ النُّوناتِ ، وَزِيادَةِ أَحَدِ المِثْلَيْنِ ، وبالعكسِ ؛ وَمَثَّلوا ذَلِكَ بحَسّان وَدُكّان وتُبّان وَرَيّان وَنَحوها ؛ فقالوا : حَسّان : إن أُخِذَ مِنَ الحُسْنِ ، فَنُونُهُ أَصْلِيَّةٌ ، وإِحْدَى السِّينَيْنِ زائِدَةٌ ؛ وإن أُخِذَ مِنَ الحَسِّ ، فَنُونُهُ زَائِدَةٌ مَعَ الأَلِفِ ؛ وَوَزْنُهُ عَلَى الأَوَّلِ فَعَّالٌ ، وَعَلَى الثّاني فَعْلان ، وَيُمْنَعُ الصَّرْفُ على الثّانِي لِزِيادَةِ الأَلِفِ والنُّونِ دُونَ الأَوَّلِ .

وَتُبّان : إِنْ أُخِذَ مِنَ التِّبْنِ ، فَنُونُهُ أَصْلِيَّةٌ ، وَإِنْ أُخِذَ مِنَ التَّبِّ ، وَهُوَ الخُسْرَانُ ، فَنُونَهُ زائِدَةٌ مَعَ الأَلِفِ ، فَيُمْنَعُ الصَّرْفَ إِذا عُرِفَ هَذَا .

---

(١) الصحاح « قبب » ١/ ١٩٧ .

(٢) الأَشطار بلا نسبة في الميداني ١/ ٢٨٣ وسرّ صناعة الإِعراب ١/ ٧٣ والخصائص ٣/ ١٤٨ وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٤٨ وشرح شواهد الشافية ١٦٧ وثمار القلوب ١/ ٥٥٣ والصحاح ١/ ١٩٧ (قبب) و ٥/ ١٩٤٤ (زمم) واللِّسان ١/ ٢٦ (مقدمة) و ٣/ ١٨٦٥ (زمم) و ٥/ ٣٥٢٣ (قبن) .
ورواية الثالث في الأصول : خاطبها يمنعها أَن تذهبا ! . والرابع في ط : فقالت . . . . فقال . وفي أ ، ب : فقال . . . فقلت ! ! .
وقوله زَأَمَّها : أَرادَ زامَّها ، فحرَّكَ الهمزة ضرورة لاجتماع السَّاكنين . (صحاح) .
والرَّاجز يصف حمار قبَّان وقد خطم أَرنباً وزَمّها بزمامٍ لئلاً تفرَّ وتذهبَ منه ، فطلب الرَّاجز منه أَن يُردفه خلفه فرحَّبَ به ! وهذا من خرافات العرب .

فقَبَّانُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوذاً مِنَ القَبِّ ، وَهُوَ الضُّمورُ ؛ والأَقَبُّ : ضامِرُ البَطْنِ كَمَا قَالَ الجَوهريُّ ، وَالخَيْلُ القُبُّ : الضَّوامِرُ ، وقد أَنْشَدَ الجاحِظُ يَصِفُ نِسْوَةً[1] : [من الكامل]

يَمْشِيْـنَ مَشْـيَ قَطـا البِطـاحِ تَـأَوُّداً ... قُـبَّ البُطُـونِ رَواجِـحَ الأَكْفَـالِ

فَحِمارُ قَبَّانَ : يَجُوزُ أَن يكونَ مَأخوذاً من هذا لِضُمُورِ بَطْنِهِ ؛ فَإِنَّهُ دُوَيْبَّةٌ مُستديرَةٌ بِقَدرِ الدِّيْنارِ ، ضَامِرَةُ البَطْنِ ، مُتَوَلِّدَةٌ من الأَماكِنِ النَّدِيَّةِ ، على ظَهْرِها شِبْهُ المِجَنِّ ، مُرْتَفِعَةُ الظَّهْرِ ، كَأَنَّ ظَهْرَها قُبَّةٌ إِذا مَشَتْ لا يُرى منها سِوى أَطْرافِ رِجْلَيْها ؛ وَرَأْسُها لا يُرَى عِنْدَ المَشْيِ ، إِلاَّ أَنْ تُقْلَبَ على ظَهْرِها ، لأَنَّ أَمامَ وَجْهِها حاجِزاً مُستديراً ؛ وهي أَقَلُّ سَواداً مِنَ الخُنْفُسَاءِ ، وَأَصْغَرُ منها ، وَلَهَا سِتَّةُ أَرْجُلٍ ، تَأْلَفُ المَواضِعَ السَّبْخَةَ في الغالِبِ وَمَواضِعَ الزِّبْلِ .

وَيَجُوزُ أَن يَكونَ لَفْظُ قَبّانَ مَأْخوذاً مِن : قَبَنَ في الأَرْضِ قُبُوناً : إِذا ذَهَبَ .

قال صاحِبُ « المُفرداتِ »[2] : وهذه الدَّابَّةُ هي التي تُسَمَّى هُدْبَةٌ ؛ وَهِيَ كَثِيْرَةُ الأَرْجُلِ ، تَسْتَدِيرُ عِنْدَما تُلْمَسُ .

ومن حِمارِ قَبّانَ : نَوْعٌ ضَامِرُ البَطْنِ غَيْرُ مُسْتَدِيرٍ ، والنّاسُ يُسَمُّونَهُ أَبا شَحْمَةَ ، يَأْلَفُ المَواضِعَ النَّدِيَّةَ ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ صِغارُ حِمارِ قَبّان ، وَأَنَّهُ بعدُ يَأْخُذُ في الكِبَرِ .

وَأَهْلُ اليَمَنِ يُطْلِقُونَهُ على دُوَيْبَّةٍ فَوْقَ الجَرادَةِ من نَوْعِ الفَرَاشِ ؛ وَالاشْتِقَاقُ لا يُساعِدُهُ ، وَيَجُوزُ اشْتِقَاقُهُ من : قَبَنَ المَتاعَ : إِذا وَزَنَهُ ؛ فَعَلَى هَذَا يَنْصَرِفُ

---

(١) البيت للكميت بن زيد في ديوانه ١/ ٣٦١ والحيوان ٥/ ٢١٧ و ٥٧٦ . وهو للكميت بن معروف الأسدي في ديوانه ١٩٧ (ضمن شعراء مقلّون) . وبلا نسبة في المحب والمحبوب ١/ ٢٨٨ والمستطرف ٢/ ١٩٥ .

(٢) مفردات ابن البيطار ٢/ ٣٦ و ٤/ ١٩٤ (هدبة) .

لأَصَالَةِ النُّونِ ؛ والقَبَّانُ : الَّذِي يُوْزَنُ بِهِ .

قَالَ الشَّعبيُّ : مَعْناهُ : العَدْلُ بالرُّومِيَّةِ ، وَالاشْتِقَاقُ الأَوَّلُ أَظْهَرُ ، فَلِذَلِكَ الْتَزَمَتِ العَرَبُ مَنْعَهُ مِنَ الصَّرْفِ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُها لاسْتِخْبَاثِها .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « أَذَلُّ من حِمارِ قَبّانٍ » .

الخَوَاصُّ[2] : إِذا شُرِبَ قَبَّان مع شَرابٍ : نَفَعَ من عُسْرِ البَوْلِ ، وَمِنَ اليَرَقَانِ .

وَقَالَ بَعضُهُم : إِذا لُفَّ حِمارُ قَبَّانَ في خِرْقَةٍ ، وَعُلِّقَ عَلَى مَنْ بِهِ حُمَّى مُثَلَّثَةٌ : قَلَعَها أَصْلاً .

التَّعْبِيرُ : رُؤْيَةُ حِمارِ قَبَّانَ في النَّوْمِ : تَدُلُّ عَلَى حَقَارَةِ الهِمَّةِ ، وَمُخالَطَةِ السَّفَلِ وَمُكاثَرَتِهِمْ ؛ واللهُ أعلمُ .

٢٣٠ الحَمامُ : قال الجَوهريُّ[3] : هو عندَ العَرَبِ ذَواتُ الأَطْواقِ ، نحو الفَواخِتِ ، والقَماريّ ، وَسَاقِ حُرٍّ ، والقَطَا ، والوَراشِيْنَ ، وَأَشْباهِ ذَلِكَ ؛ يَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى ، لأَنَّ الهَاءَ إِنَّما دَخَلَتْهُ عَلَى أَنَّهُ واحِدٌ مِنْ جِنْسٍ لا لِلتَّأْنِيثِ ؛ وعندَ العَامَّةِ أَنَّها الدَّواجِنُ فَقَط . الواحِدَةُ حَمامَةٌ .

وَقَالَ حُمَيْدُ بْن ثَوْرٍ الهِلاليُّ مِنْ أَبْيَاتٍ[4] : [من الطَّويل]

---

(١) الميداني ١/ ٢٨٣ والعسكري ١/ ٤٧٠ والزمخشري ١/ ١٣٣ والدّرّة الفاخرة ١/ ٢٠٣ و ٢٠٥ وثمار القلوب ١/ ٥٥٣ .

(٢) مفردات ابن البيطار ٤/ ١٩٤ (هدبة) .

(٣) الصحاح « حمم » ٥/ ١٩٠٦ والمخصص ٨/ ١٦٩ وثمار القلوب ٢/ ٦٨١ والحيوان ٣/ ٢٠١ .

(٤) ديوانه ٢٤ .

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ إلاَّ حَمَامَةٌ   دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وَتَرَنُّمَا

وَالحَمامَةُ هُنا : القُمْرِيَّةُ .

وَقَالَ الأصمعيُّ في قَولِ النّابغَةِ[1] : [من البسيط]

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ   إِلى حَمامِ سِراعٍ وارِدِ الثَّمَدِ

قَالَت : أَلا لَيْتَما هَذَا الحَمامُ لَنا   إِلى حَمامَتِنا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

فَحَسَّبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا زَعَمَتْ   تِسْعاً وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ

هذهِ زَرْقَاءُ اليَمَامَةِ ، نَظَرَتْ إِلى قَطاً وارِدٍ في مَضِيقِ الجَبَلِ ، فقَالَتْ[2] : يَا لَيْتَ هَذَا القَطَا لَنا ، وَمِثْلَ نِصْفِهِ مَعَهُ ، إِلى قَطَاةِ أَهْلِنا ، فَيَكْمِلُ لَنا مِئَةَ قَطاةٍ .

فَأُتْبِعَتْ وَعُدَّتْ عَلَى المَاءِ ، فإِذا هِيَ سِتٌّ وَسِتُّونَ .

قال أَبُو عُبَيْدَةَ : رَأَتْهُ من مَسيرَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ . وَأَرادَتْ بِالحَمامِ القطا ، فقالَت ذلكَ . اهـ .

وَقَالَ الأُمويُّ : الدَّواجِنُ التي تُسْتَفْرَخُ في البُيُوتِ ، تُسَمَّى حَماماً أَيضاً ؛ وَأَنشد للعَجّاجِ[3] : [من الرجز]

إِنِّي وَرَبِّ البَلَدِ المُحَرَّمِ   وَالقاطِنَاتِ البَيْتَ عِنْدَ زَمْزَمِ

---

(١) ديوانه ١٤ ـ ١٦ .

(٢) هكذا أَورد الدَّميري قول زرقاء اليَمامة نثراً وهو نقل سيّء ؛ وصواب روايته كما في مصدره الصحاح وديوان النابغة ١٥ :

ليتَ الحمامَ لِيَهْ   إِلى حَمامَتِيَهْ

ونِصْفَهُ قَدِيَهْ   تَمَّ الحمامُ مِيَهْ

وفي رواية الأَصمعيّ ، كما في ديوان النابغة :

يا ليتَ ذا القطا لَنا   ومِثْلَ نِصْفِهِ مَعَهْ

إِلى قَطاةِ أَهْلِنا   إذن لما قطاً مئهْ

(٣) ديوانه ٢٩٥ . ورواية الثاني فيه : . . . غير الرُّيَّمِ .

قَــواطِنــاً مَكَّــةَ مِــنْ وُرْقِ الحَمِــي

يُرِيدُ : الحَمامَ ؛ وَجَمْعُ الحَمامَةِ : حَمامٌ وَحَمائِمُ وَحَماماتٌ ، وَرُبَّما قَالُوا : حَمامٌ لِلْمُفْرَدِ . قَالَ جِرانُ العَوْدِ[1] : [من الوافر]

وَذَكَّــرنــي الصِّبــا بَعْــدَ التَّنــائِــي حَمَــامَــةُ أَيْكَــةٍ تَــدْعُــو حَمــامَــا

● وَحَكى أَبو حاتِمٍ عن الأَصْمَعِيِّ ، فِي كِتابِ « الطَّيْرِ الكَبِير »[2] : أَنَّ اليَمامَ هو الحَمامُ البَرِّيُّ ؛ الواحِدَةُ يَمامَةٌ ، وهو ضُرُوبٌ ؛ وَالفَرْقُ بينَ الحَمامِ الذِي عِنْدَنا واليَمامِ : أَنَّ أَسْفَلَ ذَنَبِ الحَمَامَةِ مِمَّا يَلِي ظَهْرَها فِيهِ بَياضٌ ، وَأَسْفَلَ ذَنَبِ اليَمامَةِ لا بَيَاضَ فِيهِ . انتهى .

● وَنَقَلَ النَّوويُّ في « التَّحْرِيرِ » عَنِ الأَصمعيِّ : أَنَّ كُلَّ ذاتِ طَوْقٍ فَهِي حَمامٌ ؛ وَالمُرادُ بِالطَّوْقِ الحُمْرَةُ أَوِ الخُضْرَةُ أَوِ السَّوادُ المُحِيطُ بِعُنُقِ الحَمامَةِ في طَوْقِها .

وكان الكِسائيُّ يَقُولُ : الحَمامُ هُوَ البَرِّيُّ ، واليَمامُ الَّذِي يَأْلَفُ البُيُوتَ ؛ وَالصَّوابُ مَا قَالَهُ الأَصْمعيُّ .

● وَنَقَلَ الأَزهريُّ عن الشّافعيِّ : أَنَّ الحَمامَ كُلُّ ما عَبَّ وَهَدَرَ ، وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أَسْماؤُهُ ، والعَبُّ ـ بِالعَيْنِ المُهْمَلَةِ ـ شِدَّةُ جَرْعِ المَاءِ مِنْ غَيْرِ تَنَفُّسٍ .

قال ابنُ سِيْدَه : يُقَالُ في الطَّائِرِ : عَبَّ ، وَلا يُقَالُ : شَرِبَ . وَالهَدِيرُ : تَرْجِيعُ الصَّوْتِ ، وَمُواصَلَتُهُ من غَيْرِ تَقْطِيعٍ لَهُ .

قَالَ الرَّافعيُّ : وَالأَشْبَهُ أَنَّ مَا عَبَّ هَدَرَ . قال : فلو اقْتَصَرُوا في تَفْسِيرِ الحَمامِ على العَبِّ لَكَفاهُم ؛ وَيَدُلُّ عليه أَنَّ الإِمامَ الشَّافعيَّ قَالَ في « عُيُونِ

---

(١) ديوانه ٣٣ . وفيه : . . . . بعد التناهي × . . . تدعو الحماما .

(٢) والمخصَّص ٨/ ١٦٩ .

المَسائِلِ » : وَمَا عَبَّ من المَاءِ عَبّاً ، فَهُوَ حَمامٌ ، وَمَا شَرِبَ قَطْرَةً قَطْرَةً كَالدَّجَاجِ فَلَيْسَ بِحَمامٍ . ا هـ .

وفيما قالَهُ الرَّافعيُّ نَظَرٌ ، لأَنَّهُ لا يَلْزَمُ من العَبِّ الهَدِيرُ ؛ قَالَ الشّاعر[1] :

[من الرَّجز]

علــى حُــوَيْضــي نُغَــرٌ مُكِــبُّ إذا فَتَــــرْتُ فَتْــــرَةً يَعُــــبُّ

وَحُمَّــــرَاتٌ شُــــرْبُهُــــنَّ غِــــبُّ

وَصَفَ النُّغَرَ بِالعَبِّ مع أَنَّهُ لا يَهدُرْ ، وإِلاَّ كَانَ حَماماً ؛ وَالنُّغَرُ : نَوْعٌ من العُصفورِ . وسيأتي ذكرهُ إِن شاء الله تعالى في « باب النُّونِ » .

إِذا عَلِمْتَ ذلك انْتَظَمَ لكَ كلامُ الشّافعيِّ وأَهْلِ اللُّغَةِ : أَنَّ الحَمامَ يَقَعُ عَلَى الذِي يَأْلَفُ البُيُوتَ وَيَسْتَفْرِخُ فيها ، وَعَلَى اليَمامِ والقُمْرِيِّ وَسَاقِ حُرٍّ ـ وَهُوَ ذَكَرُ القُمْريِّ ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في « باب السِّينِ » ـ والفَواخِتِ والدُّبْسِيِّ وَالقطا والوَراشِيْنِ واليَعاقِيبِ والشَّفْنينِ والزَّاغِ والوَرْدانيِّ وَالطُّورانيِّ ، وسيأتي بَيانُ ذَلِكَ كُلُّ واحِدٍ في بابِهِ إِن شاءَ الله تعالى .

وَالكَلامُ الآنَ في الحَمامِ الذي يَأْلَفُ البيوتَ ، وهو قِسْمَانِ : أَحَدُهُما البَرِّيُّ ، وهو الذي يُلازِمُ البُروجَ وَما أَشْبَهَ ذَلك ، وهو كثيرُ النُّفُورِ ، وَسُمِّيَ بَرِّيّاً لذلكَ .

وَالثّانِي : الأَهْلِيُّ ، وهو أَنواعٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَشْكالٌ مُتَبَايِنَةٌ ، مِنْها الرَّواعِبُ والمَراعِيشُ وَالعَداةُ والسَّداةُ والمُضَرَّبُ والقَلاَّبُ وَالمَنْسُوبُ ؛ وَهُوَ بالنِّسْبَةِ إِلى مَا تَقَدَّمَ كَالعِتاقِ من الخَيْلِ ، وَتِلْكَ كَالبَرَاذِينِ .

---

(١) الأَشطار في الصِّحاح « نغر » ٢/٨٣٣ واللّسان ٢/٩٩٣ « حمر » و ٦/٤٤٨٧ « نغر » برواية : عَلِقَ حَوضي . . .

● قال الجاحِظُ[1] : الفَقِيعُ مِنَ الحَمامِ ، كَالصَّقْلابِ مِنَ النَّاسِ ، وَهُوَ الأَبْيَضُ .

● رَوَى « أَبو داود » و« الطَّبرانيُّ » و« ابن ماجه » و« ابْنُ حِبَّانَ »[2] بِإِسْنادٍ جَيِّدٍ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً يَتْبَعُ حَمامَةً ، فَقَالَ : « شَيْطَانٌ يَتْبَعُ شَيْطَانَةً » . وَفِي رِوايَةٍ : « شَيْطَانٌ يَتْبَعُهُ شَيْطَانٌ » .

● قَالَ البَيْهَقِيُّ : وَحَمَلَهُ بعضُ أَهْلِ العِلْمِ على إِدْمَانِ صاحِبِ الحَمامِ على إِطارَتِهِ ، وَالاشْتِغَالِ بِهِ ، وَارْتِقَاءِ الأَسْطِحَةِ التي يُشْرِفُ منها على بُيوتِ الجِيْرانِ وَحُرَمِهِمْ لأَجْلِهِ ؛ وَسَيَأْتِي الكَلامُ عليهِ فِي الأَحكامِ .

● وَرَوَى البَيهقيُّ ، عن أُسامة بن زَيدٍ رضيَ الله عنهما ، قال : شَهِدْتُ عُمر بن عبد العَزيزِ رَحِمَهُ الله ، يَأْمُرُ بِالحَمامِ الطَّيّارِ فَتُذْبَحُ ، وَتُتْرَكُ المُقَصَّصَاتُ .

● وَرَوَى ابْنُ قانِعٍ والطَّبرانيُّ ، عن حَبيب بن عبد الله بن أَبِي كَبْشَةَ ، عن أَبيهِ ، عن جَدِّهِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُعْجِبُهُ النَّظَرُ إِلى الأُتْرُجِّ والحَمامِ الأَحْمَرِ .

● وَروى الحاكمُ في « تارِيخِ نَيْسابور » عن عائِشَةَ رَضِيَ الله عنها ، قالت : كان النَّبيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ النَّظَرُ إِلى الخُضْرَةِ وَإِلَى الأُتْرُجِّ وإِلَى الحَمامِ الأَحْمَرِ .

● قَالَ ابْنُ قانِعٍ والحافظُ أَبو موسى : قال هِلال بن العَلاء : الحَمامُ الأَحْمَرُ : التُّفَّاحُ .

---

(١) عبارة الجاحظ في الحيوان ٣/ ٢٤٥ : فإذا ابْيَضَّ الحمامُ كالفقيع ، فمَثَلُهُ في النَّاسِ الصَّقلابيُّ ، فإِنَّ الصَّقلابيَّ فَطيرٌ خامٌ لم تُنْضِجْهُ الأَرحامُ .

(٢) أَبو داود (٤٩٤٠) وابن ماجه (٣٧٦٤ـ ٣٧٦٧) وابن حبّان (٥٨٧٤) ومسند أَحمد ٢/ ٣٤٥ والمستطرف ٢/ ٤٧١ .

قال أبو موسى : وهذا التَّفْسِيرُ لم أَرَهُ لِغَيْرِه .

وكان في مَنْزِلِه ﷺ حَمامٌ أَحْمَرُ ، يُقَالُ لَهُ : وَرْدان .

● وَفِي « عَمَلِ اليَومِ وَاللَّيلة » لابْنِ السُّنِّيِّ[1] : عن خالد بن مَعْدانِ ، عن معاذ بن جَبَلٍ : « أَنَّ عَلِيّاً رضيَ الله عنه ، شَكا إِلى النَّبيِّ ﷺ الوَحْشَةَ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ زَوْجَ حَمامٍ ، وَأَنْ يَذْكُرَ اللهَ عندَ هَدِيْرِهِ » .

● وَرَواهُ الحافِظُ ابنُ عَساكر ، وقال : إِنَّهُ غَرِيبٌ جِدّاً ، وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ .

● ورَوى ابنُ عَدِيّ في « كامِله »[2] في تَرجمة مَيمون بن موسَى ، عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ الله تعالى عنه : « أَنَّهُ شَكا إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ الوَحْشَةَ ، فقال له : اتَّخِذْ زَوْجاً مِنْ حَمامٍ تُؤْنِسْكَ ، وَتُصِيبُ مِنْ فَراخِها ، وَتُوقِظُكَ لِلصَّلاةِ بِتَغْرِيْدِها ؛ أَوِ اتَّخِذْ دِيْكاً يُؤْنِسْكَ وَيُوقِظْكَ لِلْصَّلاةِ » .

● وروى أَيضاً[3] في ترجمة محمد بن زياد الطَّحانِ ، عن مَيمون بن مِهْرانَ ، عن ابنِ عَبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما ، أَنَّه قال : قالَ رَسولُ الله ﷺ : « اتَّخِذُوا الحَمامَ المَقاصِيصَ في بُيوتِكُمْ ، فإِنَّها تُلْهي الجِنَّ عَنْ صِبْيَانِكُم » .

● وقال عُبَادَةُ بن الصّامتِ رَضِيَ الله عنه : شَكا رجلٌ إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ الوَحْشَةَ ، فقال له النَّبيُّ ﷺ : « اتَّخِذْ زَوْجاً من حَمامٍ » . رَواهُ الطَّبرانيُّ[4] ، وفيه الصَّلْتُ بن الجَرّاح ، لا يُعْرَفُ . وَبَقِيَّةُ رِجالِهِ رِجالُ الصَّحيح .

● وَفِي « كامِلِ » ابنِ عَدِيّ[5] في تَرجمة سَهْل بن قَرِين ، عن محمّد بن

---

(١) عمل اليوم والليلة (٣١٠) .

(٢) الكامل لابن عدي ٨/ ١٦٢ والحديث في ترجمة ميمون بن عطاء وليس في ترجمة ميمون بن موسى .

(٣) الكامل لابن عدي ٧/ ٢٩٨ وميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٣ والمستطرف ٢/ ٤٧١ .

(٤) لم أقف عليه في المعجم الكبير للطَّبراني .

(٥) الكامل لابن عدي ٤/ ٥١٧ وميزان الاعتدال ٢/ ٢٤٠ .

المُنْكَدِر ، عن جابرٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « شَكَتِ الكَعْبَةُ إلى اللهِ تَعالَى قِلَّةَ زُوَّارِها ، فَأَوْحَى الله إِلَيْها : لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ أَقْواماً ، يَحِنُّونَ إِلَيكِ كَمَا تَحِنُّ الحَمامَةُ إِلى فِراخِها » .

● وفي « سُنَنِ أَبِي داود » و« النَّسائيّ »[1] من حديثِ ابنِ عَبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما ، بإِسنادٍ جَيّدٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ ، يَخْضِبُونَ بِالسَّوادِ كَحَواصِلِ الحَمامِ ، لا يَرِيحُونَ رائِحَةَ الجَنَّةِ » .

● وَمِن طَبْعِهِ[2] : أَنَّهُ يَطْلُبُ وَكْرَهُ ، وَلَوْ أُرْسِلَ من أَلْفِ فَرْسَخٍ ، وَيَحْمِلُ الأَخبَارَ وَيَأْتِي بِها من البِلادِ البَعِيدَةِ فِي المُدَّةِ القَرِيبَةِ ؛ وَفِيهِ مَا يَقْطَعُ ثَلاثَةَ آلافِ فَرْسَخٍ فِي يَومٍ واحِدٍ ؛ وَرُبَّما اصْطِيدَ وَغَابَ عَنْ وَطَنِه عَشْرَ حِجَجٍ فَأَكْثَرَ ، ثم هو على ثَباتِ عَقْلِهِ، وَقُوَّةِ حِفْظِهِ، وَنُزُوعِهِ إِلى وَطَنِهِ، حَتَّى يَجِدَ فُرْصَةً، فَيَطِيرَ إِليه .

وَسِباعُ الطَّيْرِ تَطْلُبُهُ أَشَدَّ الطَّلَبِ ؛ وَخَوْفُهُ مِنَ الشَّاهِيْنِ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهِ مِنْ غَيْرِهِ ، وهو أَطْيَرُ مِنْهُ وَمِنْ سائِرِ الطَّيْرِ كُلِّه ، لَكِنَّهُ يَذْعَرُ منهُ ، وَيَعْتَرِيهِ ما يَعْتَري الحِمَارَ إذا رَأَى الأَسَدَ ، والشَّاةَ إذا رَأَتِ الذِّئْبَ ، والفَأْرَ إذا رَأَى الهِرَّ[3] .

● ومن عَجِيبِ الطَّبيعَةِ فِيهِ ، مَا حَكاهُ ابنُ قُتَيْبَةُ فِي « عُيونِ الأَخْبار »[4] : عن المُثَنَّى بن زُهير ، أَنَّه قال : لم أَرَ قَطُّ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ إِلاّ وقد رَأَيْتُهُ في الحَمامِ ، رَأَيْتُ حَمامةً لا تُرِيدُ إِلاّ ذَكَرَها ، وَذَكَراً لا يُرِيدُ إِلاّ أُنْثاهُ إِلاّ أَن يَهْلَكَ أَحَدُهُما أَو يُفْقَدَ ، وَرَأَيْتُ حَمامَةً تَزِيفُ للذَّكَرِ ساعَةَ يُرِيدُها ، وَرَأَيْتُ حَمامَةً لَهَا زَوْجٌ وَهِيَ تُمَكِّنُ آخَرَ مَا تَعْدُوهُ ، وَرَأَيْتُ حَمامَةً تَقْمِطُ حَمامَةً ؛ وَيُقَالُ : إِنَّها

---

(١) أَبو داود (٤٢١٢) والنَّسائيّ (٥٠٧٥) ومسند أَحمد ١/ ٣٧٣ .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٧٠ .

(٣) الحيوان ٢/ ٥٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧٠ والمستطرف ٢/ ٤٧٠ .

(٤) عيون الأَخبار ٢/ ٩١ والحيوان ٣/ ١٦٥ والعقد الفريد ٦/ ٢٤٠ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٦٩ .

تَبيضُ من ذلكَ ، ولكنْ لا يَكونُ لذلكَ البَيْضِ فِراخٌ ؛ وَرَأَيْتُ ذَكَراً يَقمِطُ ذَكَراً ، وَرَأَيْتُ ذَكَراً يَقْمِطُ كلَّ مَا لَقِيَ ولا يُزاوِجُ ، وأُنْثَى يَقْمِطُها كُلُّ مَا رآها من الذُّكُورِ وَلا تُزاوِجُ .

وليسَ من الحَيوانِ مَا يَسْتَعْمِلُ التَّقْبِيلَ عِنْدَ السِّفادِ إلاّ الإنْسانُ والحَمامُ .

وَهُوَ عَفِيفٌ في السِّفادِ ، يَجُرُّ ذَنَبَهُ لِيُعفِّيَ أَثَرَ الأُنْثى ، كَأَنَّهَ قد عَلِمَ مَا فَعَلَتْ ، فَيَجْتَهِدُ فِي إخْفائِهِ ؛ وَهُوَ يَسْفِدُ لِتَمامِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ .

وَالأُنثى تَحملُ أَربعَةَ عَشَرَ يوماً ، وتَبيضُ بَيضَتين يَخْرُجُ من إحْداهُما ذَكَرٌ ومن الثّانيةِ أُنْثى ، وبينَ الأُولى وَالثّانِيَةِ يومٌ وليلةٌ .

وَالذَّكَرُ يَجْلِسُ على البَيْضِ ؛ وَيُسَخِّنُهُ جُزْءاً من النَّهارِ ، والأُنثى بَقِيَّةَ النَّهارِ ، وكذلكَ في اللَّيْلِ ؛ وَإذا باضَتِ الأُنْثى ، وَأَبَتِ الدُّخولَ على بَيْضِها لأَمْرٍ مَا ، ضَرَبَها الذَّكَرُ واضْطَرَّها للدُّخُولِ .

وَإذا أَرادَ الذَّكَرُ أَنْ يَسْفِدَ الأُنْثى ، أَخْرَجَ فِراخَهُ عن الوَكْرِ .

وَقَدْ أُلْهِمَ هَذَا النَّوعُ : إذا خَرَجَتْ فِراخُهُ من البَيْضِ ، بِأَنْ يَمْضَغَ الذَّكَرُ تُراباً مالِحاً ، وَيُطْعِمَها إِيَّاهُ ، لِيُسَهِّلَ بِهِ سَبِيلَ المَطْعَمِ ؛ فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ الخَبِيرِ ، الذِي آتى كُلَّ نَفسٍ هُداها .

وَزَعَمَ أَرسطو : أَنَّ الحَمامَ يَعِيشُ ثَماني سِنِينَ .

وذكرَ الثَّعْلَبِيُّ وَغيرُه ، عن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ ، في قَوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] قَالَ : اخْتَارَ مِنَ النِّعَمِ الضَّأْنَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الحَمامَ .

● وَذَكَرَ أَهْلُ التّارِيخِ[1] : أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ المُسْتَرْشِدَ بِاللهِ بنَ المُسْتظهر

---

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٥/٢٣٨ والوافي بالوفيات ٢٤/٢٢ وفوات الوفيات ٣/ ١٨١ =

بالله ، لمّا حُبِسَ رَأَى في مَنامِه ، كَأَنَّ على يَدِهِ حَمامَةٌ مُطَوَّقَةٌ ، فَأَتاهُ آتٍ فقَالَ لَهُ : خَلاصُكَ في هذا ؛ فَلَمّا أَصْبَحَ حَكَى ذَلِكَ لابْنِ سُكَيْنَةَ الإمام ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَوَّلْتَهُ يَا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَوَّلْتُهُ بِبَيْتِ أَبِي تمّام[1] : [من الكامل]

هُنَّ الحَمامُ ، فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً ... مِنْ حائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمامُ

وَخَلاصِي في حِمامي ؛ فَقُتِلَ بعدَ أيّامٍ يَسِيْرَةٍ ، سنةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وخَمسمئة ؛ وكانَت خِلافَتُهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سنةً وثَمانِيَةَ أَشهرٍ وَأَيّاماً[2] .

● وَروى البَيهقيُّ في « الشُّعَب » عن مَعْمَرٍ ، قال[3] : جاءَ رجلٌ إلى ابْنِ سِيْرِينَ رحمهُ الله تعالى ، فقال : رَأَيْتُ في النَّوم كَأَنَّ حَمامَةً الْتَقَمَتْ لُؤْلُؤَةً ، فَخَرَجَتْ منها أَعْظَمَ مِمَّا دَخلَتْ ؛ وَرَأَيْتُ حَمامَةً أُخْرَى الْتَقَمَتْ لُؤْلُؤَةً ، فَخَرَجَتْ منها أَصْغَرَ مِمّا دَخَلَتْ ؛ وَرَأَيْتُ حَمامَةً أُخْرَى الْتَقَمَتْ لُؤْلُؤَةً ، فَخَرَجَتْ منها كَمَا دَخَلَتْ سَواء ؛ فقال له ابنُ سِيرين : أَمّا التي خَرَجَتْ أَعْظَمَ ممّا دَخَلَتْ ، فَذَلِكَ الحَسَنُ بن أَبي الحَسَنِ البَصْرِيّ ، يَسْمَعُ الحَدِيثَ فَيُجَوِّدُهُ بِمَنْطِقِهِ ، ثُمَّ يَصِلُ فِيه مِنْ مَواعِظِهِ .

وَأَمّا التي خَرَجَتْ أَصْغَرَ ممّا دَخَلَتْ ، فَذَلِكَ محمَّد بن سِيْرِين ، يَسْمَعُ الحَدِيثَ فَينقصُ منهُ .

وأَمّا التي خَرَجَتْ كَمَا دَخَلَتْ سَواء ، فَهُوَ قَتادَةُ ، وَهُوَ أَحْفَظُ النّاسِ .

● وذكر « ابنُ خلكان » في تَرجَمَتِهِ ـ يَعني ابن سِيرينَ[4] ـ :

= وطبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ وطبقات الشافعية لابن الصلاح ٢/ ٦٥٩ .

(١) ديوانه ٣/ ١٥٢ . وسيأتي .

(٢) ترجمته في : تاريخ الخلفاء للسيوطي ٥٠٩ ومصادر الحاشية السابقة .

(٣) شعب الإيمان ٤/ ١٩٣ برقم (٤٧٧٧) وتعبير الرُّؤيا ٨٧ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦١٧ و٥/ ٢٧٦ وتفسير الواعظ ٤٠٤ والوافي بالوفيات ٣/ ١٤٦ ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٣١ .

(٤) لم يرد هذا الخبر في وفيات الأعيان ، لا في ترجمة ابن سيرين ولا في غيره .

أَنَّ رَجُلاً أَتاهُ فقَالَ لَهُ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَخَذْتُ حَمامَةً لِجارِي ، فَكَسَرْتُ جَناحَها ؛ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ ابنِ سِيْرِيْنَ ، وَقَالَ : ثمَّ ماذا ؟ قَالَ : ثُمَّ جاءَ غُرابٌ أَسْوَدُ ، فَسَقَطَ على ظَهْرِ بَيْتِي ، فَنَقَبَهُ . فَقَالَ لَهُ محمّد بن سِيرِينَ : مَا أَسْرَعَ مَا أَدَّبَكَ رَبُّكَ ! أَنْتَ رَجُلٌ تُخالِفُ إِلى امْرأَةِ جارِكَ ، وَأَسْوَدُ يُخالِفُكَ إِلى امْرَأَتِكَ .

● قَالَ[1] : وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ بَزَّازاً ، وَكَانَ من مَوالِي أَنس بن مالِكٍ خادِمِ النَّبيِّ ﷺ ، وَحُبِسَ بِدَيْنٍ كانَ عليه .

وكان يَقُولُ : إِنِّي لأَعْرِفُ الذَّنْبَ الذِي حُمِلَ بِهِ عَلَيَّ الدَّيْنُ ؛ قيل له : ما هوَ ؟ قال : قلتُ لِرَجُلٍ مُفْلِسٍ منذُ أَربعينَ سنةً : يا مُفْلِسُ .

قال بعضُهم[2] : قَلَّتْ ذُنوبُهم فَعَلِموا من أَيْنَ يُؤْتَوْنَ ، وَكَثُرَتْ ذُنُوبُنا فليسَ نَدْرِي من أَيْنَ نُؤْتَى .

قَالَ[1] : وَكَانَ أَنَسُ بنُ مالِكٍ رَضِيَ الله عنه ، قد أَوْصَى أَنْ يُغسِّلَهُ وَيُكَفِّنَهُ وَيُصَلِّي عَلَيْه محمَّدُ بن سِيْرِين ؛ وَكَانَ محمَّد بن سيرين مَحبوساً لمّا مات أَنسُ ، فاسْتَأْذَنُوا له الأَميرَ ، فَأَذِنَ له ، فَخَرَجَ فَغَسَّلَهُ وَكَفَّنَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى السِّجْنِ ، ولم يَذهبْ إِلى أَهلِه .

وكان ابنُ سِيرِينَ من أَعْلامِ التابِعِينَ ، وَكَانَت لَهُ اليَدُ الطُّولى في عِلْمِ الرُّؤْيا .

● رُوِيَ[3] أَنَّ امْرَأَةً جاءَتْهُ وَهُوَ يَتَغَدّى ، فَقَالَت لهُ : رَأَيْتُ القَمَرَ دخلَ في

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٨٢ وحلية الأولياء ٢/ ٢٧١ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦١٣ ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٣٠ .

(٢) هو أبو سليمان الدّاراني ، كما في الحلية ٢/ ٢٧١ وسير ٤/ ٤١٦ ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٣٠ .

(٣) تعبير الرُّؤيا ٨١ والمستطرف ٢/ ٤١٢ .

الثُّرَيّا ، وَنادى مُنادٍ مِن خَلْفِي : ائْتِي ابْنَ سِيْرِيْنَ فَقُصِّي عليه . قَالَ : فَتَغَيَّرَ لَوْنُه ، وَقَامَ وهو آخِذٌ عَلَى بَطْنِه ، فَقَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ : مَا بَالكَ ؟ قَالَ : زَعَمَتْ هذهِ أَنِي مَيِّتٌ بعدَ سبعَةِ أَيّامٍ ، فماتَ بعد سبعةِ أَيّامٍ ، سَنَةَ عَشْرٍ ومئة ، بعدَ الحسن البَصريّ بِمِئَةِ يوم ، رَحِمهما الله تعالى .

● وَفِي « الشُّعَبِ »[1] للبيهقي عن سُفيان الثَّوريّ ، أَنَّهُ قال : كان اللَّعِبُ بِالحَمامِ ، من عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ .

● وَقَالَ إِبْراهِيمُ النَّخعيُّ : مَن لَعِبَ بِالحَمامِ الطَّيَّارَةِ ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَذُوقَ أَلَمَ الفَقْرِ .

● وَروى البَزّارُ في « مُسنده » « إِنَّ اللهَ تَعالَى أَمَرَ العَنْكَبوتَ فَنَسَجَتْ على وَجْهِ الغارِ ، وَأَرْسَلَ حَمامتينِ وَحْشِيَّتَيْنِ فَوَقَفَتا على فَمِ الغارِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمّا صَدَّ المُشركِينَ عنه ﷺ ، وَأَنَّ حَمامَ الحَرَمِ مِن نَسْلِ تَيْنِكَ الحَمامَتَيْنِ » .

● وَرَوَى ابنُ وَهبٍ : « أَنَّ حَمامَ مَكَّةَ ، أَظَلَّتِ النَّبيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِها ، فَدَعَا لَهَا بِالبَرَكَةِ » .

● وَرَوَى الطَّبرانيُّ[2] بإِسنادٍ صَحيح ، عن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ الله عنه ، قال : كانَ رَسولُ الله ﷺ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطّلاق : ٢ ـ ٣] فَجعَلَ يُعيدُها عَلَيَّ حتى نَعِسْتُ عنه ، ثم قال : « يا أَبَا ذَرٍّ ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذا أُخْرِجْتَ من المَدِينَةِ ؟ » قلتُ : إِلى السَّعَةِ والدَّعَةِ ، أَنْطَلِقُ إِلى مَكَّةَ فَأَكُونُ حَمامَةً من حَمامِ الحَرَمِ ؛ فَقَالَ ﷺ : « فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذا أُخرِجْتَ مِنْ مَكَّةَ ؟ » قلتُ : إِلى السَّعَةِ والدَّعَةِ ، أَنْطَلِقُ إِلى الشّامِ وَالأَرْضِ المُقَدَّسَةِ . قال : « فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذا أُخرِجْتَ مِنَ

---

(١) ليس في شعب الإيمان .

(٢) المعجم الأوسط ٣/ ١٢٠ برقم (٢٤٩٥) ومسند أحمد ٦/ ٤٥٧ وسير أعلام النُّبلاء ٢/ ٦١ .

الشَّام ؟ » فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ، أَضَعُ سَيْفِي على عاتِقِي . قَالَ ﷺ : « أَوَ خَيْرٌ من ذلكَ ، تَسْمَعُ وَتُطِيعُ ، وإِن كَانَ عَبْداً حَبَشِيّاً » . وفي « الصَّحِيحِ » طَرَفٌ مِنْهُ ، وَفِي « ابْنِ ماجَه » طَرَفٌ مِنْ أَوَّلِهِ .

● وَذُكِرَ أَنَّ هارُونَ الرَّشِيدَ كَانَ يُعْجِبُهُ الحَمامُ واللَّعِبُ بِهِ ، فَأُهْدِيَ لَهُ حَمامٌ ، وَعِنْدَهُ أَبُو البَخْتَرِيِّ وَهْب بن وَهْبٍ القاضِي ، فَرَوَى لَهُ بسَنَدِهِ عن أَبِي هُريرةَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لا سَبْقَ إِلاَّ في خُفٍّ أَوْ حافِرٍ أَوْ جَناحٍ » ، فَزادَ « أَو جَناح » وَهِيَ لَفْظَةٌ وَضَعَها لِلرَّشِيْدِ ، فَأَعْطاهُ جائِزَةً سَنِيَّةً .

فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ الرَّشِيدُ : تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَذَبَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ وَأَمَرَ بِالحَمامِ فَذُبِحَ ، فَقِيلَ لَهُ : وَما ذَنْبُ الحَمامِ ؟ قَالَ : مِنْ أَجْلِهِ ، كَذَبَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ .

فتَرَكَ العُلَمَاءُ حَدِيثَ أَبِي البَخْتَرِيِّ لِذَلِكَ وَغَيره من مَوضوعاته ، فلم يَكتبُوا حَديثَهُ[1] .

وَكَانَ[2] أَبُو البَخْتَرِيِّ المَذْكُورُ قَاضِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ بعدَ بَكّار بن عبدِ اللهِ الزُّبَيْرِيِّ ، ثم وَلِيَ قَضاءَ بَغدَادَ بَعْدَ أَبِي يُوسف صاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ .

وَتُوُفِّيَ أَبُو البَخْتَرِيّ سَنَةَ مِئتين ، فِي خِلافَةِ المَأْمُونِ .

والبَخْتَرِيُّ : مَأْخُوذٌ مِنَ البَخْتَرَةِ ، الَّتِي هِيَ الخُيَلاءُ ؛ وَهُوَ يَتَصَحَّفُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِالبُحْتُرِيِّ الشَّاعِرِ المَشْهُورِ ؛ وَالأَوَّلُ بِالخاءِ المُعجمةِ ؛ وَالثّانِي بِالحاءِ المُهْمَلَةِ .

---

(١) في تاريخ بغداد ١٥/ ٦٣١ : قيل لأَحمد بن حنبل : تعلم أَحداً روى « لا سَبْقَ إِلاَّ في خُفٍّ أَو حافرٍ أَو جَناحٍ » ؟ قَالَ : ما رَوى هذا إِلاّ ذاك الكذّابُ أَبو البختري .

(٢) ترجمته في : تاريخ بغداد ١٥/ ٦٢٥ وسير أَعلام النبلاء ٩/ ٣٧٤ ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٤٠٠ .

● قال ابنُ أَبي خَيْثَمَةَ وَالشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ القُشَيريّ فِي « الاقْتِراحِ » : واضِعُ حَدِيثِ الحَمامِ ، غِياثُ بن إبراهيم ، وَضَعَهُ لِلمَهْدِيِّ لا لِلرَّشِيدِ[1] .

● وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ[2] : وَأَبُو البَخْتَرِيِّ : هُوَ وَهْبٌ بنُ وَهْبِ بن وَهْبٍ ، ثَلاثَةُ أَسْمَاءَ على نَسَقٍ واحِدٍ ؛ وَمِثْلُهُ في مُلُوكِ الفُرْسِ : بَهرام بنُ بَهرام بن بَهرام ، وَمِثْلُهُ في الطَّالِبِيِّينَ : حسَنٌ بنُ حَسَنِ بنِ حسنٍ ، وَمِثْلُهُ في غَسَّانَ : الحارِثُ الأَصْغَرُ بن الحارِثِ الأَعْرَجِ بْنِ الحارِثِ الأَكْبَرِ . انتهى .

قُلْتُ : وَمِثْلُهُ في المُتَأَخِّرِينَ الغَزاليُّ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أَحد أَصْحابِ الوُجُوهِ في المَذْهَبِ .

● وَمِمَّا حُكِيَ لَنا واشْتُهِرَ وَرَوَيْناهُ بالسَّنَدِ الصَّحيحِ ، عَنِ الشَّيْخِ العارِفِ باللهِ تَعالَى أَبي الحَسَنِ الشَّاذِليّ رَحِمَهُ الله تَعالَى ، أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ في المَنامِ ، وَقَدْ بَاهَى موسى وعيسى عليهما السَّلامُ بالإِمامِ الغَزاليِّ ، فَقَالَ لَهُما : « فِي أُمَّتِكُمَا حَبْرٌ كَهذَا ؟ » وَأَشارَ إِلى الغَزالي ؛ فَقَالا : لا .

وَقَالَ الشَّيْخُ الإِمامُ العارِفُ باللهِ ، الأُستاذُ رُكْنُ الشَّرِيْعَةِ والحَقِيقَةِ ؛ أَبُو العَبّاسِ المُرْسي ، وَقَدْ ذُكِرَ الغَزاليُّ ، فَشَهِدَ لَهُ بِالصِّدِّيقيَّةِ العُظْمَى .

وَحَسْبُكَ مَنْ بَاهَى بِهِ النَّبيُّ ﷺ موسى وعيسى ، وَشَهِدَ لَهُ الصِّدِّيقونَ بِالصِّدِّيقِيَّةِ العُظْمَى .

وقد ذَكَرَ له شَيْخُنا جَمالُ الدِّيْنِ الإِسْنَوِيّ في « المُهِمّات » تَرجمةً حَسَنَةً منها[3] : هُوَ قَطْبُ الوُجُودِ ، والبَرَكَةُ الشَّامِلَةُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ، وَرُوحُ خُلاصَةِ أَهْلِ

---

(١) هذا هو المشهور ، وانظر ترجمة غياث بن إبراهيم في : تاريخ بغداد ١٤/ ٢٧٧ وميزان الاعتدال ٣/ ٣٧٧ ولسان الميزان ٦/ ٣١١ .

(٢) المعارف ٥٩٠ .

(٣) بنصه في ترجمته من طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٤٤ .

الإِيمانِ ، والطَّرِيقُ المُوصِلَةُ إلى رِضا الرَّحْمَنِ ، يَتَقَرَّبُ إلى اللهِ تَعالَى بِهِ كُلُّ صِدِّيْقٍ ، وَلا يُبْغِضُهُ إلاَّ مُلْحِدٌ أَوْ زِنْدِيقٌ ؛ قد انْفَرَدَ في ذلك العَصرِ عن أَعْلامِ الزَّمانِ ، كَمَا انْفَرَدَ فِي هذا البابِ فَلا يُتَرْجَمُ معهُ فِيهِ لإِنْسانٍ . انتهى .

وَكَانَ حُجَّةُ الإِسْلامِ ، زَيْنُ الدِّينِ ، محمَّد الغَزاليّ ، قد وَلِيَ تدريسَ النِّظامِيَّة بِمدينةِ بَغدادَ ، ثُمَّ تَرَكَها وَسَلَكَ طَرِيقَ الزُّهْدِ وَقَصَدَ الحَجَّ ، فَلَمَّا رَجَعَ تَوَجَّهَ إلى الشَّامِ ، فَأَقامَ بِدِمَشْقَ بِزاوِيَةِ الجامِعِ ، وانتقلَ إلى القُدسِ ، ثُمَّ قَصَدَ مِصْرَ وأَقامَ بالإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُدَّةً ، ثُمَّ عادَ إلى وَطَنِهِ بِطُوس ، ثُمَّ أُلْزِمَ بِالعَوْدَةِ إلى نَيْسَابُورَ والتَّدْرِيسِ بِها في النِّظامِيَّةِ ، ثُمَّ تَرَكَها وَعادَ إلى وَطَنِهِ واتَّخَذَ « خانْقاه » لِلصُّوفِيَّةِ ، وَصَرَفَ وَقْتَهُ إلى وَظائِفِ الخَيْرَاتِ ، من تِلاوَةِ القُرْآنِ ، وَمُجالَسَةِ الصَّالِحِينَ ، وَكَثْرَةِ العِبادَةِ ، والتَّخَلِّي عَنِ الدُّنْيا ، والإِقْبَالِ عَلَى اللهِ تَعالَى بِكُنْهِ الهِمَّةِ والتَّبَحُّرِ في عُلُومِ الحَقِيقَةِ .

وَكُتُبُهُ نافِعَةٌ مُفِيْدَةٌ ، لاسِيَّمَا « إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّيْنِ » فَإِنَّهُ كِتابٌ لا يَسْتَغْني عنهُ طالِبُ الآخِرَةِ .

تُوُفِّيَ الإمامُ حُجَّةُ الإِسْلامِ ؛ في جُمادَى الآخِرَةِ ، سَنَةَ خَمْسٍ وخَمسمئة بِطُوس ، رَحِمَهُ الله تعالى ، ورَضِيَ اللهُ عنه وَأَرْضاهُ[1] .

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلِّكان »[2] : أَنَّ شَرَفَ الدِّيْنِ بن عُنَيْن حَضَرَ درسَ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِي بَخوارِزْم فَسَقَطَتْ بِالقُرْبِ مِنْهُ حَمامَةٌ وَقَدْ طَرَدَها بَعْضُ الجَوارِحِ ، فَلَمَّا وَقَعَتْ رَجَعَ عَنْها وَلَمْ تَقْدِرِ الحَمامَةُ عَلَى الطَّيَرانِ مِنْ خَوْفِها وَشِدَّةِ البَرْدِ ،

---

(١) ترجمته في : وفيات الأعيان ٤/ ٢١٦ وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٤٢ وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢ وطبقات الشافعية للسبكيّ ٦/ ١٩١ والوافي بالوفيات ١/ ٢٧٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٢٥١ ومعجم الأدباء ٦/ ٢٥٨٨ و ٢٦٦٢ وعقود الجمان لابن الشعّار ٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ وعيون الأنباء ٤٦٣ والوافي بالوفيات ٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ وطبقات الشافعية للسبكيّ ٨/ ٨٧ ـ ٨٨ وتذكرة ابن العديم ٢١٣ .

فَلَمَّا قَامَ الإمامُ فَخْرُ الدِّيْنِ مِنَ الدَّرْسِ وَقَفَ عَلَيْها وَرَقَّ لَهَا وَأَخَذَها بِيَدِهِ ، فأَنْشَدَ ابْنُ عنين بديهاً أَبْياتاً منها[1] : [من الكامل]

جَـاءَتْ سُلَيْمَـانَ الـزَّمـانِ حَمـامَـةٌ ... وَالمَوْتُ يَلْمَعُ في جَناحَيْ خاطِفِ[2]

مَـنْ نَبَّـأَ الـوَرْقَـاءَ أَنَّ مَحَلَّكُـمْ ... حَـرَمٌ وَأَنَّـكَ مَلْجَـأٌ لِلْخـائِـفِ[3]

وَفَـدَتْ عَلَيْـكَ وَقَـدْ تَـدَانَـى حَتْفُهـا ... فَحَبَـوْتَهـا ببَقـائِهـا المُسْتَـأْنَـفِ

لَـوْ أَنَّهـا تُحْبـىٰ بِمـالٍ لانْثَنَـتْ ... مِـنْ راحَتَيْـكَ بِنـائِـلٍ مُتَضـاعِـفِ

● وَكَانَ[4] بَيْنَ شَرَفِ الدِّيْنِ ابنِ عُنَيْن والمَلِكِ المُعَظَّمِ عيسى بنِ المَلِكِ العادِلِ أَبي بَكْرِ بن أَيُّوب صاحِبِ دِمَشْقَ مُؤَانَسَةٌ وَمُصاحَبَةٌ ، وَكَانَ يَجْري بَيْنَهُما أُمُورٌ تَدُلُّ على حُسْنِ إِدْراكِ المَلِكِ المُعَظَّمِ ، مِنْها : أَنَّ ابْنَ عُنَيْن حَصَلَ لَهُ تَوَعُّكٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْه[5] : [من الكامل]

انْظُـرْ إِلَـيَّ بِعَيْـنِ مَـوْلـىً لَـمْ يَـزَلْ ... يُـولِـي النَّـدَى وَتَـلافَ قَبْـلَ تَـلافِـي

أَنـا كَـالـذِي أَحْتـاجُ مَـا يَحْتـاجُـهُ ... فـاغْنَـمْ ثَنـائـي والثَّـوابَ الـوافِـي

فَجَاءَ إِلَيْه بِنَفْسِه ، وَمَعَهُ ثَلاثمئة دِينارٍ ، فَقَالَ : هَذِهِ الصِّلَةُ وَأَنا العائِدُ .

وَهَذِهِ لَوْ وَقَعَتْ من أَكابِرِ النُّحَاةِ لاسْتُعْظِمَتْ منهُ ، فَضْلاً عَنْ مَلِكٍ .

قوله : هَذِهِ الصِّلَةُ وَأَنا العائِدُ : لأَنَّ « الذي » اسْمٌ مَوْصُولٌ ، يَحْتاجُ إِلى صِلَةٍ وَعائِدٍ ؛ فَالصِّلَةُ ما وَصَلَهُ بِهِ مِنَ المَالِ ، والعائِدُ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ : أَحَدُهُما : وَأَنا العائِدُ لَكَ بِالصِّلَةِ مَرَّةً بعدَ أُخرى ، فَطِبْ نَفْساً . والآخَرُ : مِن

---

(١) ديوان ابن عنين ٩٥ من قطعة ، وهي بزيادة ثلاثة أبيات في عقود الجُمان .

(٢) البيت من أ .

(٣) في أ : . . . أَن جنابكم × .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٦ .

(٥) ديوانه ٩٢ .

عَادَ يَعُودُ عِيَادَةً ، وَهِيَ عيَادَةُ المَرِيضِ .

وَكَانَ المَلِكُ المُعَظَّمُ فاضِلاً ، حازِماً ، شُجاعاً ، حَنَفِيَّ المَذْهَبِ ، وَكَانَتْ لَهُ رَغْبَةٌ في فَنِّ الأَدَبِ ، حَتَّى إِنَّهُ شَرَطَ لِكُلِّ مَنْ حَفِظَ « مُفَصَّل الزَّمَخْشريّ » مِئَةَ دِينارٍ وَخِلْعَةً ، فَحَفِظَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِهَذَا السَّبَبِ .

توفي سنة أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمئةٍ[1] .

وَتُوُفِّيَ الإِمامُ فَخرِ الدِّين الرّازِي ، المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُ ، يومَ عيدِ الفِطْرِ ، سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّمئةٍ بَهراةَ[2] ، رَحِمَهُما الله تَعالَى .

● **فائِدَةٌ** : قال بعضُ الحُكَمَاءِ : كُلُّ إِنْسَانٍ مع شَكْلِهِ ، كَمَا أَنَّ كُلَّ طَيْرٍ مَعْ جِنْسِهِ .

وَكَانَ مالِكُ بن دِينارٍ يَقُولُ : لا يَتَّفِقُ اثْنانِ في عِشْرَةٍ ، إِلاَّ وَفِي أَحَدِهِما وَصْفٌ من الآخَرِ ؛ فَإِنَّ أَشْكَالَ النّاسِ كَأَجْنَاسِ الطَّيْرِ ، وَلا يَتَّفِقُ نَوْعانِ منهُ في طَيَرانٍ إِلاَّ لِمُناسَبَةٍ بَيْنَهُما ؛ فَرَأَى يَوْماً حَمامَةً مَع غُرابٍ ، فَعَجِبَ مِنِ اتِّفاقِهِما ، وَلَيْسَا مِنْ شَكْلٍ واحِدٍ ، فَلَمَّا مَشَيَا إِذا هُمَا أَعْرَجَانِ ؛ فَقَالَ : مِنْ هَا هُنا اتَّفَقَا .

وَكُلُّ إِنْسَانٍ يأْنَسُ إِلى شَكْلِهِ ، كَمَا أَنَّ كُلَّ طَيْرٍ يَأْنَسُ إِلى جِنْسِهِ ؛ فإِذا اصْطَحَبَ اثنانِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمانِ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُما مُناسَبَةٌ ، فَلا بُدَّ أَنْ يَتفَرَّقَا ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعَراءِ[3] : [من السَّريع]

وَقـائِـلٍ : كَيْـفَ تَفَـرَّقْتُمـا ؟ ... فَقُلْـتُ قَـوْلاً فِيـهِ إِنْصَـافُ
لَـمْ يَـكُ مِـنْ شَكْلِـي فَفَـارَقْتُـهُ ... وَالنَّـاسُ أَشْكـالٌ وأُلاّفُ

---

(١) ترجمة الملك المعظم في : وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٤ وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٠ والجواهر المضيئة ٢/ ٦٨٢ وشفاء القلوب ٢٧٦ وتاج التراجم ١٧١ .

(٢) ترجمته في مصادر خبر الحمامة والجارح .

(٣) البيتان لمحمّد بن حازم الباهلي ، في ديوانه ٧٥ ، والورقة ١١٩ .

وَسَيَأْتِي عَنْهُ في « الصَّعْوَةِ » شَيْءٌ من هذا .

● رَوَى أَحمد في « الزُّهد » عن يَزِيدِ بن مَيْسَرَةَ : أَنَّ المَسِيحَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، كان يَقُولُ لأَصْحابِهِ[1] : إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا بُلْهاً في الله تعالى مثلَ الحَمامِ ، فَافعَلُوا .

قالَ[2] : وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْلَهَ من الحَمامِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّكَ تَأْخُذُ فِراخَهُ من تَحْتِهِ فَتَذْبَحُها ، ثُمَّ يَعُودُ إِلى مَكانِهِ ذَلِكَ فَيُفَرِّخُ فِيهِ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُهُ بالإِجْماعِ بجَمِيعِ أَنْواعِهِ ، لأَنَّهُ مِنَ الطَّيِّباتِ ، وَلأَنَّ الشّارِعَ أَوْجَبَ فِيهِ على المُحْرِمِ إِذا قَتَلَهُ شَاةً .

وَفِي مُسْتَنَدِ ذَلِكَ وَجْهانِ : أَحَدُهُما : أَنَّ ذَلِكَ لِما بَيْنَهما مِنَ الشَّبَهِ ، فإِنَّ كُلاًّ منهما يَأْلَفُ البُيُوتَ ، وَيَأْنَسُ بِالنّاسِ . وَالثّانِي : وَهُوَ الأَصَحُّ ، أَنَّ مُسْتَنَدَهُ تَوْقِيفٌ بَلَغَهُمْ فِيهِ .

وَنَقَلَ الرّافِعِيُّ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ الخِلافَ فِيما لَوْ قَتَلَ طائِراً أَكْبَرَ مِنَ الحَمامِ أَوْ مِثْلَهُ ، هل يَنْبَني على هذا ؟ إِنْ قُلْنا : المُسْتَنَدُ التَّوقِيفُ ، أَوْجَبْنا الشَّاةَ ؛ وَإِنْ قُلْنا : المُسْتَنَدُ المُشابَهَةُ ، أَوْجَبْنا القِيمَةَ .

وقدْ أَسْقَطَ الإِمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ هَذِهِ المَسْأَلَةَ مِنَ « الرَّوْضَةِ » وَكَأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الخِلافَ فِيها لَفْظِيٌّ لا فائِدَةَ فِيهِ .

● وَبَيْضُ الحَمامِ ، وَكُلِّ طائِرٍ يُحَرَّمُ عَلَى المُحْرِمِ صَيْدُهُ : حَرامٌ عَلَيْهِ ؛ فإِنْ أَتْلَفَهُ ضَمِنَهُ بِقِيمَتِهِ ؛ هَذا مَذْهَبُنا ، وَبِهِ قَالَ الإِمامُ أَحمد وآخرُونَ .

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ٧٢ . ونسبه الجاحظ في الحيوان ٣/ ١٨٩ و ٧/ ٣٥ إلى أصحاب رسول الله ﷺ .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٧١ .

وَقَالَ المُزنيُّ وَبَعْضُ أَصْحَابِ داود : لا جَزَاءَ في البَيْضِ .

وَقَالَ مالِكٌ : يَضْمَنُهُ بِعُشْرِ ثَمَنِ أَصْلِهِ .

قَالَ ابْنُ المُنْذِرِ : وَاخْتَلَفُوا في بَيْضِ الحَمامِ ، فَقَالَ عليٌّ وَعَطَاءٌ : فِي كُلِّ بَيْضَتَيْنِ دِرْهَمٌ .

وَقَالَ الزُّهريُّ والشَّافعيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ وأَبُو ثَورٍ : فِيهِ قِيْمَتُهُ . وَسَيَأْتي في بَيْضِ النَّعامِ حُكْمُهُ إن شاء الله تعالى .

● ومن أَحكامِهِ في الصَّيْدِ : أَنَّهُ إِذا اخْتَلَطَت حَمامَةٌ مَمْلُوكَةٌ أَوْ حَماماتٌ بِحَماماتٍ مُباحَةٍ مَحْصُورَةٍ ، لَمْ يَجُزِ الاصْطِيَادُ منها .

ولو اختلَطَت بِحَمامِ ناحِيَةٍ جَازَ الاصْطِيَادُ في النّاحِيَةِ . ولو اختلطَ حَمامُ أَبْراجٍ مَمْلُوكَةٍ لا تكادُ تُحْصَرُ ؛ بِحَمامِ بَلْدَةٍ أُخْرَى مُباحَةٍ : فَفِي جَوازِ الاصْطِيادِ مِنْها وَجْهَانِ ، أَصَحُّهُما الجَوازُ .

وَبَيْعُ الحَمامِ في البُرْجِ : عَلَى تَفْصِيلِ بَيْعِ السَّمَكِ في البِرْكَةِ ؛ وَسَيَأْتي فِي « بابِ السّينِ المهملة » إن شاء الله تعالى .

ولو باعَها وهي طائِرَةٌ ، اعْتِماداً عَلى عادَةِ عَوْدَها : فَوَجْهانِ ، أَصَحُّهُما عندَ الإمامِ الجَوازُ ، كالعَبْدِ المَبْعُوثِ في شُغْلٍ ؛ وعندَ الجُمهورِ : المَنْعُ ، إِذ لا وُثوقَ بِعَوْدِها لِعَدَمِ عَقْلِها .

● ومن أحكامِهِ في الرِّبا : أَنَّهُ جِنْسٌ واحِدٌ بِجَمِيعِ أَنْواعِهِ ، كَذَا قَالَهُ المَراوِزَةُ .

وَقَالَ العِراقِيُّونَ : إِنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنْهُ جِنْسٌ ، فَالحَمامُ جِنْسٌ ، وَالقَماريُّ جِنْسٌ ، والفَواخِتُ جِنْسٌ .

وَأَمّا اتِّخاذُهُ لِلبَيْضِ وَالفِراخِ وَلِلأُنْسِ وَحَمْلِ الكُتُبِ : فَجَائِزٌ بِلا كَراهَةٍ .

وَأَمَّا اللَّعِبُ بِهِ والتَّطْيِيرُ والمُسَابَقَةُ ؛ فَقِيلَ : يَجوزُ ، لأَنَّهُ يُحتاجُ إِلَيها في الحَرْبِ لِنَقْلِ الأَخْبَارِ ؛ وَالأَصَحُّ كَراهَتُهُ ، لِما تَقَدَّمَ في حَدِيثِ أَبِي هُريرة رضي الله عنه الذي قال فِيه : « شَيْطانٌ يَتْبَعُ شَيْطانَةً » .

قال ابنُ حِبّان بعدَ رِوايَةِ هذا الحَدِيثِ : إِنَّما قَالَ لَهُ : شَيْطَانٌ ، لأَنَّ اللاَّعِبَ بالحَمام ، لا يَكَادُ يَخْلُو مِنْ لَغْوٍ وَعِصْيَانٍ ، وَالعاصِي يُقَالُ له : شَيْطَانٌ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام : ١١٢] وَأَطْلَقَ عَلَى الحَمامَةِ شَيْطَانَةً لِلْمُجاوَرَةِ .

وَلا تُرَدُّ الشَّهادَةُ بِمُجَرَّدِ اللَّعِبِ بِالحَمامِ ، خِلافاً لِمالِك وَأَبِي حَنيفة ؛ فإِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِ قِمارٌ أَوْ نَحْوُهُ رُدَّتْ بِهِ الشَّهادَةُ .

● وَرَوى أَبو مُحمّد الرَّامَهُرْمُزِيّ في كِتابِهِ « المُحَدِّث الفاصِل بينَ الرَّاوِي والواعِي »[1] : عن مُصْعَبٍ الزُّبَيْرِيّ ، قال : سمعتُ مالك بن أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَقَدْ قال لابْنَي أُخْتِهِ أَبِي بَكْرٍ محمّد وإِسماعيل ابْنَيْ أُوَيْسٍ : أَراكُما تُحِبَّانِ هَذَا الشَّأْنِ وَتَطْلُبَانِهِ ـ يعني الحديثَ ـ قَالا : نعم . قَالَ : فَإِنْ أَحْبَبْتُما أَنْ تَنْتَفِعا ، وَيَنْفَعَ اللهُ بِكما ، فَأَقِلاّ منهُ وَتَفَقَّها .

قَالَ[2] : وَنَزَلَ ابنُ مالِكٍ من فوقِ سَطْحٍ ، وَمَعَهُ حَمامٌ قد غَطَّاهُ ، فَعَلِمَ مالِكٌ أَنَّه قد فَهِمَهُ النّاسُ ، فَقَالَ مالِكٌ : الأَدَبُ أَدَبُ اللهِ ، لا أَدَبُ الآباءِ والأُمَّهَاتِ ، والخَيْرُ خَيْرُ اللهِ لا خَيْرَ الآباءِ والأُمَّهاتِ .

وَرُوِيَ عنه أَيْضاً : أَنَّهُ قال : كان يَحْيَى بن مالِك بن أَنسٍ يَدخُلُ وَيَخرجُ و لايَجلسُ مَعَنا عِندَ أَبيهِ ، فَكَانَ إِذا نَظَرَ إِلَيْهِ أَبُوهُ ، قَالَ[3] : هاه ، إِنَّ مِما

---

(١) المحدث الفاصل : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) ترتيب المدارك ١/ ١١٧ .

(٣) ترتيب المدارك ١/ ١١٧ وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٥١ .

تَطِيبُ بِهِ نَفْسِي أَنَّ هَذَا الشَّأْنَ لا يُوَرَّثُ ، وَإِنَّ أَحداً لَمْ يَخْلُفْ أَباهُ في مَجْلِسِه ، إلاَّ عَبْدَ الرَّحمنِ بن القاسِمِ بن محمَّد بن أَبي بَكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عنه ، وَكَانَ أَفْضَلَ أَهْلِ زَمانِهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَفْضَلَ أَهْلِ زَمانِهِ .

● وَقَالَ البُخارِيُّ في « المناسِكِ » من « صَحيحه »[1] : حَدَّثَنا عليُّ بن عبدِ الله ، قال : حَدَّثنا سُفيان ، قال : حَدَّثَنا عبدُ الرَّحمنِ بن القاسِمِ ، وَكَانَ أَفْضَلَ أَهْلِ زَمانِهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ ، وكان أَفْضَلَ أَهْلِ زَمانِهِ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها تَقُولُ : « طَيَّبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِيَدَيَّ هاتَيْنِ » الحديث .

وَأُمُّ عبدِ الرَّحمنِ : قَرِيْبَةُ بنتُ عبدِ الرَّحمن بن أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه .

واتَّفَقَ النَّاسُ على جَلالَتِهِ ، وإمامَتِهِ ، وَثِقَتِهِ ، وَوَرَعِهِ ، وَكَثْرَةِ عِلْمِهِ .

وُلد في حَياةَ عائِشَةَ ، رَضِيَ الله عنها ؛ وَتُوُفِّيَ سنةَ سِتٍّ عِشْرِينَ ومئة . رَوَى له الجَماعَةُ[2] .

وَرُوِيَ[3] أَنَّ المنصورَ أَميرَ المُؤْمِنِينَ قال له يَوماً : عِظْنِي بِمَا رَأَيْتَ . قَالَ : مَاتَ عُمَرُ بن عَبدِ العَزيزِ ، وَخَلَّفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْناً ، فَبَلَغَتْ تَرِكَتُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ دِيْناراً ، كُفِّنَ منها بِخَمْسَةِ دَنانير ، واشْتُرِيَ لَهُ مَوْضِعُ القَبْرِ بِدِينارَيْنِ ، وَأَصابَ كُلَّ واحِدٍ مِنْ أَوْلادِهِ تِسْعَةَ عَشَرَ دِرْهَماً .

وَمَاتَ هِشامُ بن عبدِ المَلِكِ ، وَخَلَّفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْناً ، فَوَرِثَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهم أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أَوْلادِ عُمر بن عَبْدِ العَزيزِ حَمَلَ

---

(١) البخاري ٢/ ١٩٥ وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٥٠ والتاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٣٤٠ .

(٢) **ترجمة عبد الرحمن بن القاسم ، في** : طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٢ وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٤٧ وسير أعلام النبلاء ٦/ ٥ .

(٣) التذكرة الحمدونية ٩/ ٢٢٥ .

فِي يَوْمٍ واحدٍ على مِئَةِ فَرَسٍ في سَبِيلِ اللهِ تَعالَى ؛ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أَوْلادِ هِشام يَسْأَلُ أَنْ يُتَصَدَّقَ عَلَيْه . ا هـ .

قلتُ : وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ ؛ فإِنَّ عُمر وَكَلَهم إِلى رَبِّهِ فَكَفاهُمْ وَأَغْناهُم ، وهِشامَ وَكَلَهُمْ إِلى دُنْيَاهُمْ فَأَفْقَرَهُمْ مَوْلاهُمْ .

وَأَمَّا بَيْعُ ذَرَقِ الحَمامِ وسِرْجين البَهائِمِ المَأْكُولَةِ وَغَيْرِها ، فَباطِلٌ ، وَثَمَنُهُ حَرامٌ ؛ هَذَا مَذْهَبُنا .

وَقَالَ أَبُو حَنيفة : يَجُوزُ بَيْعُ السِّرْجِيْنِ ، لاتِّفاقِ أَهْلِ الأَعْصارِ ، في جَمِيعِ الأَمْصَارِ ، عَلَى بَيْعِهِ مِنْ غَيْرِ إِنْكارٍ ؛ وَلأَنَّهُ يَجُوزُ الانْتِفَاعُ بِهِ ، فَجَازَ بَيْعُهُ كَسَائِرِ الأَشْيَاءِ .

وَاحْتَجَّ أَصْحابُنا بِحَدِيثِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ تَعالَى إِذا حَرَّمَ على قَوْمٍ شَيْئاً ، حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ » .

وهو حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رواهُ « أَبُو داود » بِإِسنادٍ صَحِيحٍ[1] . وَهُوَ عامٌّ إِلاَّ مَا خَرَجَ بِدَلِيلٍ كالحِمَارِ والعَبْدِ وَغَيْرِهما ؛ وَبِأَنَّه نَجسُ العَيْنِ ، فَلَمْ يَجُزْ بَيْعُهُ كَالعَذِرَةِ ؛ فإِنَّهم وافقونا على بُطْلانِ بَيْعِها مع أَنَّهُ يُنْتَفَعُ بها .

وأَمَّا الجَوابُ عمّا احْتَجُّوا بِهِ ، فهو ما أَجابَ بِهِ الماوَرديُّ وغيرُه : أَنَّ بَيْعَهُ إِنَّما يَفْعَلُهُ الجَهَلَةُ والأَرَاذِلُ ، فَلا يَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً في دِيْنِ الإِسْلامِ .

وأَمّا قَوْلُهم : إِنَّه يُنْتَفَعُ بِهِ فَأَشْبَهَ غَيْرَهُ ، فَالفَرْقُ أَنَّ هَذَا نَجسٌ بِخِلافِ غَيْرِهِ .

الأَمْثَالُ : قالوا[2] : « آمَنُ من حَمامِ الحَرَمِ » و« آلَفُ من حَمامِ مَكَّةَ »[2] .

---

(١) أَبو داود (٣٤٨٨) .

(٢) الميداني ١/ ٨٧ والعسكري ١/ ١٩٩ والزمخشري ١/ ٩ والدّرّة الفاخرة ١/ ٦٩ وثمار القلوب ٢/ ٦٧٨ .

وقالوا[1] : « تَقَلَّدَها طَوْقَ الحَمامة » والهَاءُ كِنايَةٌ عن الخَصْلَةِ القَبِيحَةِ : أَي تَقَلَّدَها كَطَوْقِ الحَمامَةِ ، لأَنَّه لا يُزايِلُها وَلا يُفارِقُها ، كما لا يُفارِقُ الطَّوْقُ الحَمامَةَ .

ومثلُه قَولهُ تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء : ١٣] أَي : إِنَّ عَمَلَهُ لازِمٌ لَهُ ، لُزومَ القِلادَةِ أَوِ الغلِّ ، لا يَنْفَكُّ عنهُ .

وقال الزَّمخشريُّ[2] : فإِن قُلْتَ : لِمَ ذَكَرَ ﴿ حَسِيبًا ﴾[3] [الإسراء : ١٤] ؟ قلتُ : لأَنَّه بِمنزلَةِ الشّاهِدِ والقاضي والأَميرِ ، لأَنَّ هذهِ الأُمورَ الغالِبُ أَنْ يَتَوَلاها الرِّجال ، فكأَنَّه قيلَ له : كَفى بِنَفْسِكَ رَجُلاً حَسِيباً .

وكان الحسنُ البَصْرِيُّ إِذا قَرَأَها قَالَ : يا ابنَ آدَمَ ، أَنْصَفَكَ واللهِ مَن جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ .

● وقيل في قَوله تَعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] أَي يُلْزَمُونَ أَعْمَالَهُمْ ، كَمَا يَلْزَمُ الطَّوْقُ العُنُقَ ؛ يُقال : طُوِّقَ فُلانٌ عَمَلَهُ طَوْقَ الحَمامَةِ : أَي أُلْزِمَ جَزاءَ عَمَلِه .

● رَوى الإِمام أَحمد في « الزُّهد » عن مُطَرِّفٍ ، أَنَّهُ قال : إِذا أَنا مِتُّ ، فلا تَحْبِسُونِي لكي يَجْتَمِعَ النَّاسُ ، فَأُطَوِّقَهُمْ طَوْقَ الحَمامَةِ .

● ومن هذا المَعنى قولُ عبد الله بن جحش لأَبي سُفيان[4] : [من مجزوء الكامل]

---

(١) الميداني ١/ ١٤٥ العسكري ١/ ٢٥٥ و ٢٧٥ والزمخشري ٢/ ٣٠ وثمار القلوب ٢/ ٦٨٢ .

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٤١ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [سورة الإسْراء : ١٣ ـ ١٤] .

(٤) الأَبيات له في سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٠ والمغازي للواقدي ٢/ ٨٤١ والروض الأنف ٤/ ١٦٧ . والرابع بلا نسبة في جمهرة العسكري ١/ ٢٧٥ .

أَبْلِـــغْ أَبَـــا سُفْيَـــانَ عَـــنْ أَمْـــرٍ عَـــواقِبُـــهُ نَـــدامَـــهْ
دَارَ ابْـــنِ عَمِّـــكَ بِعْتَهـــا تَقْضـــي بِهـــا عَنْـــكَ الغَـــرامَـــهْ
وَحَلِيْفُكُـــمْ بِـــاللهِ رَبْـــبُ النَّـــاسِ مُجْتَهِـــدُ القَسَـــامَـــهْ
اذْهَـــبْ بِهـــا اذْهَـــبْ بِهـــا طُـــوِّقْتَهـــا طَـــوْقَ الحَمـــامَـــهْ

أَي : لَزِمَهُ عارُها .

● قال الإمامُ عبدُ الرَّحمن السُّهَيْلِيّ : هَذَا المَثَلُ مُنْتَزَعٌ من قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1] : « مَن غَصَبَ شِبْراً مِنْ أَرْضٍ ، طَوَّقَهُ اللهُ يومَ القِيامَةِ من سَبْعِ أَرْضِيْنَ » .

وقولهُ : طَوْقَ الحَمامَةِ ، لأَنَّ طَوْقَها لا يُفارِقُها ، وَلا تُلْقِيهِ عن نَفْسِها أَبَداً ، لا كَمَا يفعلُ من لَبِسَ طَوْقاً من الآدَمِّيينَ ؛ وَفِي هَذَا البَيْتِ مِنْ حَلاوَةِ الإِشَارَةِ ، وَمَلاحَةِ الاسْتِعارَةِ ، مَا لا مَزِيدَ عليه .

وَفِي قَوْلِهِ : طَوْقَ الحَمامَةِ ، رَدٌّ عَلَى مَن تَأَوَّلَ قولَهُ ﷺ : « طَوَّقَهُ من سَبْعِ أرضين » أَنَّهُ من الطَّاقَةِ لا مِن الطَّوْقِ في العُنُقِ[2] ، وَقَالَهُ الخَطَّابيُّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ ، مع أَنَّ البخاري قد قال في بعضِ رواياتِهِ[3] : « خُسِفَ بِهِ إِلى سَبْعِ أَرْضِينَ » .

● وفي « مُصَنَّفِ » ابن أَبي شَيْبَةَ : « مَن غصَبَ شِبْراً مِنْ أَرْضٍ ، جَاءَ بِهِ إِسْطاماً في عُنُقِهِ » . والإِسْطَامُ : كَالحَلَقِ من الحَديدِ .

وَقَالُوا[4] : « أَخْرَقُ من حَمامَةٍ » لأَنَّها لا تُحْكِمُ عُشَّها ، وَذَلِكَ لأَنَّها رُبَّما

---

(١) الروض الأنف ٣/ ١٦٧ والبخاري ٣/ ١٠٠ و ٤/ ٧٤ ومسلم (١٦١٠ ـ ١٦١٢) .
(٢) وانظر النهاية ٣/ ١٤٣ واللسان « طوق » وغريب الحديث للخطابي ١/ ٢٥٦ .
(٣) البخاري ٣/ ١٠٠ و ٤/ ٧٤ .
(٤) الميداني ١/ ٢٥٥ والعسكري ١/ ٤٣١ والزمخشري ١/ ٩٩ والدّرّة الفاخرة ١/ ١٧٣ وأَمثال=

جاءَت إِلى الغُصْنِ من الشَّجَرَةِ ، فَتَبْني عليه عُشَّها في المَوْضِعِ الَّذِي تَذْهَبُ بِهِ الرِّيْحُ ، فَيَنْكَسِرُ من بَيْضِها أَكْثَرُ ممّا يَسْلَمُ ؛ قال عَبيدُ بن الأَبْرَصِ[1] : [مِن مَجْزُوءِ الكامل]

عَيُّـــوا بـــأَمْـــرِهِـــمُ كَمـــا عَيَّـــتْ بِبَيْضَتِهـــا الحَمـــامَـــهْ
جَعَلَـــتْ لَهـــا عُـــوْدَيْـــنِ مِـــن نَشَـــمٍ وَآخَـــرَ مِـــنْ ثُمـــامَـــهْ

الخَواصُّ[2] : إِذا سَكَنَ المَخْدُور بِقُرْبِها ، أَو في بَيْتٍ بِجوارِها ، أَو في بَيْتٍ هي فيهِ : بَرِىءَ ؛ وفي مُجاوَرَتِها أَمانٌ مِنَ الخَدَرِ والفَالِجِ وَالسَّكْتَةِ والسُّبَاتِ ، وهذه خاصِّيَّةٌ عَظيمةٌ بَديعةٌ .

وَدَمُها ، إِذا اكْتُحِلَ بِهِ حارّاً ، نَفَعَ من الجِراحاتِ العارِضَةِ للعَيْنِ والغَشَاوَةِ .

وَدَمُها خاصَّةً : يَقْطَعُ الرُّعافَ الذي من حُجُبِ الدِّماغ ؛ وإِذا خُلِطَ بِالزَّيْتِ أَبْرَأَ من حَرْقِ النّارِ .

وَزِبْلُ الحَمامِ حارٌّ ، وَأَشَدُّهُ حَرارَةً زِبْلُ البَرِّيِّ الذي لا يَأْوي البُيوتَ ؛ وَأَعْجَبُ مَا فِي زِبْلِهِ : أَنَّهُ إِذا سُخِّنَ في المَاءِ ، وَجَلَسَ فِيهِ مَنْ بِهِ عُسْرُ البَوْلِ ، أَبْرَأَهُ .

وَمِمَّا جُرِّبَ لِعُسْرِ البَوْلِ : أَن يُكْتَبَ لهُ في إِناءٍ نَظيفٍ ، ثُمَّ يُذابَ بماءٍ ، وَيُسْقى لمن بِهِ ذلكَ ؛ فإِنَّهُ يَبولُ من وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ : قولُه تَعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

= أَبي عبيد ٣٦٦ وثمار القلوب ٢/ ٦٨٢ .

(١) ديوانه ١٢٦ وثمار القلوب ٢/ ٦٨٢ ، وينسب خطأً إِلى سلامة بن جندل ، وهو في ديوانه ٢٤٨ .

(٢) تذكرة داود ١/ ١٢٩ ومفردات ابن البيطار ٢/ ٣٤ وعجائب المخلوقات ٢٧٣ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧٠ .

يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النّساء : ٤٨ و ١١٦] ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزّمر : ٦٧] رمص نفح ، وَشُفوا بِفَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وإِذا طُلِيَ بِالخَلِّ ، وَضُمِّدَ بهِ مَن بِهِ وَجَعُ الاسْتِسْقَاءِ : نَفَعَهُ نَفْعاً بَيِّناً .

وَزِبْلُ الحَمامِ الأَحْمَرِ ، إِذا شُرِبَ منهُ قدرُ دِرْهَمَيْنِ مَع ثَلاثَةِ دَراهِمَ دَارَ صِيْني : نَفَعَ من الحَصَاةِ .

وَلَحْمُ الحَمامِ ، جَيِّدٌ للكلُى ، وَيَزِيدُ في المَنِيِّ والدَّمِ .

وإِذا شُقَّتْ وَهِيَ حَيَّةٌ ، وَوُضِعَتْ وهي حارَّةٌ في مَوْضِعِ لَسعِ العَقْرَبِ : نَفَعَتْ نَفْعاً بيِّناً .

وزِبْلُ الحَمامِ ، إِذا بُخِّرَ بِهِ المُطْلِقَةُ ، أَسْرَعَ بِنُزُولِ الوَلَدِ والمَشِيْمَةِ .

التَّعْبيرُ[1] : الحَمامُ في المَنامِ : رَسُولٌ أَمِينٌ ، أَو صَدِيقٌ صَدوقٌ ، أَو حَبيبٌ أَنيسٌ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَةُ الحَمامِ عَلَى النَّوْحِ والتَّعْدِيدِ . قَالَ الشَّاعرُ : [من الكامل]

صَـبٌّ يَنُـوحُ إِذا الحَمـامُ يَنُـوحُ

وَرُبَّما دَلَّتِ الحَمامَةُ في الرُّؤْيَا عَلَى امْرَأَةٍ مُبَارَكَةٍ حَسْنَاءَ عَرَبِيَّةٍ ، لا تَبْتَغِي بِبَعْلِها بَدَلاً .

وَالحَمامُ على رَأْسِ المَرِيضِ : هُوَ حِمامُ الموتِ ؛ قَالَ الشَّاعِر[2] : [من الكامل]

هُـنَّ الحَمـامُ فـإِنْ كَسَـرْتَ عِيـافَـةً ... مِـن حـائِهِـنَّ فَـإِنَّهُـنَّ حِمـامُ

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩١ وتفسير الواعظ ٣٠٢ .

(٢) البيت لأَبي تمَّام ، في ديوانه ٣/ ١٥٢ . وقد مضى .

وَبُرُوجُها : مَجْمَعُ النِّسَاءِ ؛ وَفِراخُها : بَنون .

فَمَن رأَى أَنَّهُ يَعلِفُ الحَمامَ ، وَيَدْعُوهُنَّ إليه ، فإِنَّهُ يَقُودُ .

وإِنْ حَشَرَ الحَمامَ والغِرْبَانَ في مَكانٍ واحِدٍ ، فَإِنَّهُ يَقودُ أَيْضاً ، لأَنَّ الغِرْبَانَ فُسّاقٌ ؛ وكلُّ شَيْءٍ يُحْشَرُ مع غَيْرِ جِنْسِهِ ، كَالنِّعاجِ والكِلابِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ ، فإِنَّهُ قِيادَةٌ .

وَهَدِيرُ الحَمامِ : كَلامٌ باطِلٌ ؛ وَمَن سَمِعَ حَمامَةً تَهْدرُ ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى امْرَأَةٍ تُعاتِبُ زَوْجَها .

وَمَنْ رَأَى حَمامَةً قَدِمَتْ عَلَيْهِ ، وَتَلَقَّاها ، فإِنَّهُ يَرِدُ عَلَيْهِ كِتابٌ .

وَمَن نَفَرَتْ منهُ حَمامَتُه ، وَلم تَعُدْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ أَوْ تموتُ .

وَمن رَأَى كَأَنَّ له حَماماً ، فإِنَّهُ ممَّن يَشْتَرِي الجَوارِي .

وَمَن قَصَّ جَناحَ حَمامَةٍ في المَنامِ ، فقد حَلَفَ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لا تَخْرُجَ من بَيْتِهِ ، أَو تَلِدَ ، أَو تحملَ ، لأَنَّ النِّفاسَ والحَمْلَ يَمْنَعانِ من الخُرُوجِ .

وَالحَمامُ الذِي يَهْدِي إِلى الطَّرِيقِ ، فإِنَّهُ خَبَرٌ يَأتي الرّائِي من مَكانٍ بَعيدٍ .

وَالحَمامُ في المَنامِ ، دَلِيلُ خَيْرٍ لمن يُصادِقُ أَوْ يُشارِكُ لاجْتماعِ بَعْضِهِ مع بعضٍ في الطَّيَرانِ والمُزاوَجَةِ .

وَقَالَ جاماسب : مَن اصْطَادَ الحمامَ في مَنامِهِ : أَكَلَ مَالَ أَعْدائِهِ .

وَمَن رَأَى بِعَيْنِ حَمامَتِهِ نَقْصاً ، فَهُوَ نَقْصٌ في دِيْنِ زَوْجَتِهِ وَخُلُقِها .

وَقَالَ ابن المُقرىء : رُؤْيَةُ المَنْسُوبِ من الحَمامِ إِلى مَن دونَه ، شَرِيفُ القَدْرِ أَوِ النَّسَبِ ؛ وَرُؤْيَتُهُ دَالَّةٌ على الأَفْراحِ وَالنَّصْرِ عَلَى الأَعْدَاءِ واللَّهْوِ واللَّعِبِ .

وَرُبَّما دَلَّ الحَمامُ على الأَزْواجِ الصَّيِّناتِ ، وَذَوَاتِ الحِفْظِ لِلأَسْرَارِ ،

وَالكَدِّ عَلَى العِيالِ .

وَرُبَّما دَلَّ على الحِمامِ الذي هو الموتُ .

وَرُبَّما دَلَّ على المَرْأَةِ ذَاتِ الأَوْلادِ ، والرَّجُلِ الكَثِيرِ النَّسْلِ ، المُنْعَكِفِ على أَهْلِ بَيْتِه ؛ وَالله أَعلمُ .

٢٣١ الحَمْدُ : فَرْخُ القَطَاةِ .

وَفِي المَثَلِ[١] : « حَمْدُ قَطاةٍ يَسْتَمِي الأَرانِبَ » . أَي يَصِيدُها ؛ يُضْرَبُ للضَّعيفِ الذي يَرومَ أَن يَكِيدَ قَوِيّاً . قَالَ الميدانيُّ : ولم أَرَ لَهُ ذِكراً في الكُتُبِ .

٢٣٢ الحُمَّرُ : بِضَمِّ الحاءِ المُهْمَلَةِ ، وَتَشديدِ الميم ، وَبالراءِ المُهْمَلَةِ : ضربٌ من الطَّيْرِ كَالعُصْفُورِ[٢] . وَقَالَ أَبُو المُهَوِّشِ الأَسديُّ[٣] : [من الكامل]

قَـد كُنْـتُ أَحْسَبُكُـمْ أُسُـودَ خَفِيَّـةٍ ... فـإِذا لَصـافِ تَبِيْـضُ فِيـهِ الحُمَّـرُ

لَصافِ : اسمُ جَبَلٍ[٤] .

وَالواحِدَةُ : حُمَّرَةٌ . قال الرّاجزُ[٥] : [من الرجز]

---

(١) الميداني ١/ ٢١٠ . وقال : الاسْتِماءُ : طلبُ الصَّيد ؛ أَي فرخ قطاةٍ يطلبُ أَن يصيدَ الأَرانب .

(٢) عن الصِّحاح « حمر » ٢/ ٦٣٧ . وفي المخصص ٨/ ١٥٥ : الحُمَّرُ : طائرٌ بعظَم العصفور ، ويكون منها كدراء ودَهساء ورقشاء .

(٣) من كلمة له في الوحشيات ٢١٨ والخزانة للبغدادي ٦/ ٣٧٣ . وبعضها في الأَمالي للقالي ٢/ ٢٣٦ وسمط اللآلي ٢/ ٥٨٩ والتذكرة الحمدونية ٥/ ٦٥ ومعجم البلدان ٥/ ١٧ والصحاح واللسان « حمر » .

(٤) لَصافِ : ماءٌ بناحية الشواجن في ديار ضبَّة . وقيل : ماءٌ بالقُربِ من شرج وناظرة . وقيلَ : ماءٌ بالدَّوِّ لبني تميم . (معجم البلدان ٥/ ١٦) . وقول المؤلِّف : اسم جبل ، خطأٌ . وخَفِيَّةٌ : أَجمةٌ في سوادِ الكوفة ، يُنسب إِليها الأُسود . (معجم البلدان ٢/ ٣٨٠) .

(٥) مضى تخريج الشطرين في « الحمام » .

وَحُمَّـــراتٍ شُـــرْبُهُـــنَّ غِـــبُّ   إِذا غَفِلْـــتُ غَفْلَـــةً تَعُـــبُّ

وقد تُخَفَّفُ ، فيُقالُ : حُمَرَةٌ وَحُمَرَاتٌ .

● وابنُ لِسانِ الحُمَّرَةِ[1] : كان من خُطَبَاءِ العَرَبِ ، وهو أَحَدُ بَنِي تَيْمِ اللاّتِ بن ثَعْلَبَةَ ، وكان من عُلماءِ زَمانِهِ ؛ ضُرِبَ بِهِ المَثَلُ في الفَصاحَةِ وَطُولِ العُمُرِ ؛ وَاسمُه وَرْقَاءُ بن الأَشْعَرِ ، وَيُكْنى أَبا كِلابٍ .

سَأَلَهُ[2] مُعاويةُ يوماً عن أَشيَاءَ ، فأَجابَهُ عنها ، فقال له : بِمَ نِلْتَ العِلْمَ ؟ قال : بِلِسَانٍ سَؤُولٍ ، وقَلْبٍ عَقُولٍ .

ثُم قَالَ[1] : يَا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لِلْعِلْمِ آفَةً وإِضَاعَةً وَنَكَداً واسْتِجَاعَةً ؛ فآفَتُهُ النِّسْيَانُ . وَإِضاعَتُهُ أَن تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَنَكَدُهُ الكَذِبُ فِيهِ ، واسْتِجاعَتُهُ أَنَّ صاحِبَهُ مَنْهُومٌ لا يَشْبَعُ أَبَداً .

الحُكْمُ : حِلُّ الأَكْلِ بالإِجْماعِ ، لأَنَّها من أَنْواعِ العَصافِيرِ .

وقال العِباديُّ : منهم مَن حَرَّمَ الحُمَّرَ ، لأَنَّهُ نَهَاشٌ ؛ وهذا قولٌ شَاذٌّ مَردودٌ .

● رَوَى « أَبُو داود الطيالسيّ » و« الحاكم »[3] وقال : صَحيحُ الإِسنادِ ، عن ابنِ مَسعودٍ رضي الله تعالى عنه ، قال : كُنّا عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ في سَفَرٍ ، فَدَخَلَ

---

(١) اسمه : عبد الله بن حصين بن ربيعة بن جعفر بن كلاب التَّيميّ . أَو : ورقاء بن الأَشعر . (القاموس والتاج « حمر ») . واقتصر ابن قتيبة في المعارف ٥٣٥ على القول الثاني . وبه ترجمه الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٧/ ٤٤٠ . وفي الفهرست ١٠١ : وقاء ! وفي المستقصى ١/ ٣٩٠ : وفاء .

(٢) نُسب هذا القول إِلى دغفل بن حنظلة (= النّسّابة البكري) في عيون الأَخبار ٢/ ١١٨ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٥ وتهذيب الكمال ٨/ ٤٨٩ .

(٣) مستدرك الحاكم ٤/ ٢٣٩ ومسند أَحمد ١/ ٤٠٤ .

رَجُلٌ غَيْضَةً ، فَأَخْرَجَ مِنْها بَيْضَ حُمَّرَةٍ ، فَجَاءَتِ الحُمَّرَةُ تَرِفُّ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصحابه ؛ فقالَ رسولُ الله ﷺ لأَصحابِهِ : « أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ ؟ » فقال رجلٌ : أَنا يَا رَسولَ الله ، أَخَذْتُ بَيْضَها » . وفي رواية الحاكم « أَخَذْتُ فَرْخَها » فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « رُدَّهُ رُدَّهُ ، رَحْمَةً لَها » .

● وَفِي « التِّرمذيّ » و« ابنِ ماجَه »[١] عن عامِرِ الرّام : أَنَّ جَماعَةً من أَصحابِ رسولِ الله ﷺ دَخَلوا غَيْضَةً ، فَأَخَذُوا فَرْخَ طَائِرٍ ، فَجَاءَ الطائِرُ إِلى رسولِ الله ﷺ يَرِفُّ ، فقالَ عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « أَيُّكم أَخَذَ فَرْخَ هَذَا ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ : أنا ؛ فَأَمَرَهُ أَن يَرُدَّهُ ، فَرَدَّهُ .

● وروى الحافِظُ أَبُو نُعَيمٍ[٢] : عَنْ مُطَرِّف بن عبدِ اللهِ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ اللهَ لَيَرحمُ بِرَحمتِهِ العُصفورَ .

قال : فَأَصابَ حُمَّرَةً ، فقال : لأَتَصَدَّقَنَّ بِكَ اليَوْمِ عَلَى فِراخِكَ . فَأَرْسَلَها .

● وسيأتي إِن شاءَ الله تعالى في « بابِ الفَاءِ » في الكَلامِ عَلَى « الفَرْخِ » الحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ « أَبُو داود »[٣] في أَوَّلِ « كِتابِ الجَنَائِز » عن عامر الرّام .

وَالحِكْمَةُ في الأَمْرِ بالرَّدِّ ، أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ كانُوا مُحْرِمِينَ ، أَو لأَنَّها لَمّا اسْتَجَارَتْ به أَجارَها ، فَكَانَ الإِرْسالُ فِي هَذِهِ الحَالَةِ واجِباً .

الأَمثال : قالوا[٤] : « أَعْمَرُ من ابنِ لِسانِ الحُمَّرَةِ » . وقالوا[٥] : « أَنْسَبُ

---

(١) لم أَقف عليه فيهما ، وهو عند أَبي داود (٢٦٧٥) و (٥٢٦٨) من رواية ابن مسعود .

(٢) الخبر من ب فقط . وهو في حلية الأَولياء ٢/ ٢١٠ .

(٣) أَبو داود (٣٠٨٩) . وفي الأُصول : عن عامر الدّارميّ ! في الموضعين . وترجمته في أُسد الغابة ٣/ ١٢١ .

(٤) الميداني ٢/ ٥٤ .

(٥) الميداني ٢/ ٣٤٧ والعسكري ١/ ٢٩٩ والزمخشري ١/ ٣٩٠ والدّرّة الفاخرة ٢/ ٣٩١ .

من ابنِ لِسَانِ الحُمَّرَةِ » . وَكَانَ أَنْسَبَ العَرَبِ ، وَأَعْظَمَهُمْ كِبْراً .

وَخَواصُّه وتَعبيرُهُ : سَتَأتي في « باب العينِ المُهملة » في لفظِ « العُصفور » .

٢٣٣ الحَمَسَةُ : بتَحريكِ الحاءِ والميمِ وَالسِّينِ المُهملَةِ : دَابَّةٌ من دَوابِّ البَحْرِ ؛ وقيل : هيَ السُّلَحْفاةُ ؛ والجَمْعُ : حَمَسٌ ؛ حَكاهُ ابْنُ سِيْدَه[١] .

٢٣٤ الحِمْطَاطُ : بكَسْرِ الحَاءِ المُهملة ؛ والحُمْطُوطُ بِالضَّمِّ : دُوَيْبَّةٌ تَكُونُ في العُشْبِ ، [مَنْقُوشَةٌ بِأَلْوانٍ شَتَّى][٢] .

٢٣٥ الحَمَكُ : الصِّغَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، واحِدَتُهُ : حَمَكَةٌ ، وَقَدْ غَلَبَ على القَمْلَةِ ؛ وَالحَمَكُ أَيْضاً : فِراخُ القَطا والنّعامِ ؛ والحَمَكُ أَيضاً : أَراذِلُ الناسِ[٣] . قَالَ الرَّاجِزُ[٤] : [من الرجز]

لا تَعْدِليني بِرُذالاتِ الحَمَكْ

٢٣٦ الحَمَلُ : الخَروفُ ، إذا بَلَغَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ وقيل : هو وَلَدُ الضَّأْنِ ، الجَذَعُ فَما دُونَهُ ؛ وَالجَمْعُ حُمْلانٌ وأَحْمَالٌ[٥] .

● رَوَى « ابْنُ ماجَه »[٦] من حدِيثِ أَبي زَيدٍ الأَنْصَاري رضي الله عنه ، قال : مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بدارٍ من دُورِ الأَنْصارِ ، فَوَجَدَ رِيْحَ قُتارٍ ، فَقَالَ : « مَن هَذَا الذي ذَبَحَ ؟ » فَخَرَجَ إِليهِ رَجُلٌ مِنّا ، فقال : أَنَا يَا رَسولَ اللهِ ، ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ

---

(١) المخصص ١٠/ ٢١ و ٢٢ وعنه اللّسان « حمس » .

(٢) اللّسان « حمط » ٢/ ٩٩٩ والزيادة منه .

(٣) عن اللّسان « حمك » ٢/ ١٠٠٠ .

(٤) الشطر لرؤبة بن العجّاج ، في ديوانه ١١٧ ، والتاج « حمك » ٢٧/ ١٢٣ ، وبلا نسبة في اللّسان « حمك » .

(٥) عن اللّسان « حمل » ٢/ ١٠٠٥ .

(٦) ابن ماجه (٣١٥٤) ومسند أحمد ٤/ ٢٨٢ و ٢٩٧ ـ ٢٩٨ و ٣٠٣ .

أُصَلِّيَ ، لأُطْعِمَ أَهْلِي وَجيراني ؛ فَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يُعِيدَ ، فقال : وَاللهِ الذِي لا إله إلا هو ، ما عِنْدِي إلاَّ حَمَلٌ مِنَ الضَّأْنِ ؛ فَقَالَ ﷺ : « اذْبَحْهُ ، وَلَنْ يُجْزِىءَ عن أَحَدٍ بَعْدَكَ » .

● وفي كتابِ « قُوتِ القُلُوبِ » لأَبِي طالِبٍ المَكِّيِّ ، في أَوائِلِ الفَصْلِ الخامِسِ والعِشْرِينَ ، قَالَ[1] : حدَّثني بعضُ إخوانِي عن بعضِ أَهْلِ هذِهِ الطّائِفَةِ ، قال :

قَدِمَ علينا بَعْضُ الفُقَرَاءِ ، فاشْتَرَيْنا مِنْ جَارٍ لَنا حَمَلاً مَشْوِيّاً ، وَدَعَوْناهُ في جَماعَةٍ من أَصْحابِنا ؛ فَلَمَّا مَدَّ يَدَهُ لِيَأْكُلَ ، وَأَخَذَ لُقْمَةً وَجَعَلَها فِي فِيهِ ، لَفَظَها ، ثم اعْتَزَلَ ، وقال : كُلوا أَنْتُمْ ، فإِنَّه قد عَرَضَ لِي مانِعٌ مَنَعَنِي من الأَكْلِ ؛ فقلنا له : لا نَأْكُلُ ما لم تَأْكُلْ مَعَنا ؟ فَقَالَ : أَمّا أَنا فَغَيْرُ آكِلٍ ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ .

فَكَرِهْنا أَنْ نَأْكُلَ دُونَهُ ، فَقُلْنا : لو دَعَوْنا الشَّوّاءَ ، فَسَأَلْناهُ عَنْ أَصْلِ هَذَا الحَمَلِ ، فَلَعَلَّ لَهُ سَبَباً مَكْروهاً ؛ فدَعوناهُ وَسَأَلناهُ ، ولم نزلْ بِهِ حتى أَقَرَّ أَنَّهُ كَانَ مَيْتَةً ، وَأَنَّ نَفْسَهُ شَرِهَتْ إلى بَيْعِهِ حِرْصاً على ثَمَنِه .

قَالَ : فَأَطْعَمْناهُ الكِلابَ ، ثُمَّ لَقِينا الرَّجُلَ ، فَسَأَلناهُ عن العارِضِ الذِي مَنَعَهُ عَنِ الأَكْلِ ، فقال : مَا شَرِهَتْ نَفْسِي إِلى الأَكْلِ منذُ عِشْرِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هذا الحَمَلَ ، شَرِهَتْ نَفْسِي إِليهِ شَرَهاً مَا عَهِدْتُهُ قبلَ ذَلِكَ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ فِي الطَّعامِ عِلَّةً ، فتَرَكْتُ أَكْلَهُ لأَجْلِ شَرَهِ النَّفْسِ .

قَالَ : فانظرْ كيفَ اتَّفَقَا في شَرَهِ النَّفْسِ عن قَصْدٍ واحِدٍ ، وَاخْتَلَفا في التَّوْفِيقِ والخِذْلانِ ، فَعَصَمَ اللهُ العالِمَ بِالوَرَعِ والمُحاسَبَةِ ، وَتَرَكَ الجاهِلَ مَع شَرَهِ النَّفْسِ بِالحِرْصِ وتَرْكِ المُراقَبَةِ .

---

(١) قوت القلوب ١/ ١٨٢ .

● **عَجيبةٌ** : في « مُعجمِ ابنِ قانِعٍ » و« الطَّبرانيِّ »[١] في تَرجمةِ كَرْدَم بن السَّائِبِ الأَنْصَارِيِّ ، قال :

خرجتُ مع أَبِي إِلى المدِينَةِ في أَوَّلِ مَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ بمَكَّةَ ، فآوانا اللَّيْلُ إِلى راعٍ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، جَاءَ الذِّئْبُ فاحْتَمَلَ حَمَلاً مِنَ الغَنَمِ ، فوَثَبَ الرَّاعِي وَقَالَ : يا عامِرَ الوادِي ، أُوذِيَ جارُكَ ؛ فنادى مُنادٍ : يَا سِرْحانُ أَرْسِلْهُ ؛ فَجَاءَ الحَمَلُ يَشْتَدُّ عَدْواً حتى دَخَلَ في الغَنَمِ ؛ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى على رَسُولِه : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ﴾ [الجنّ : ٦] .

وهو في « الميزان » في تَرجمة إِسحاقَ بن الحارِثِ الكُوفيّ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ .

● وَفِي « الشِّفاءِ » للقاضِي عياضٍ رحمه الله تعالى[٢] :

يُقال : إِنَّ سَبَبَ ابْتِلاءِ يَعْقُوبَ بِيُوسفَ صلى الله عليهما وسلم : أَنَّهُ اجْتَمَعَ يوماً هو وابْنُهُ يُوسفَ عَلَى أَكْلِ حَمَلٍ مَشْوِيٍّ وَهُمَا يَضْحكانِ ، وَكَانَ لَهُمَا جَارٌ يَتِيمٌ ، فَشَمَّ رائِحَتَهُ واشْتَهاهُ ، وَبَكَى وَبَكَتْ جَدَّةٌ لَهُ عَجُوزٌ لِبُكائِه ، وَبَيْنَهُما جِدارٌ ، وَلا عِلْمَ عندَ يَعْقُوبَ وابْنِهِ بذَلِكَ ، فعُوقِبَ يَعقوبُ بالبُكَاءِ أَسَفاً عَلَى يُوسفَ إِلى أَنِ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنِ ؛ فَلَمّا عَلِمَ بذَلِكَ كَانَ بَقِيَّةَ حَياتِهِ يَأْمُرُ مُنادِياً يُنادِي على سَطْحِهِ : أَلا مَن كان مُفْطِراً فَلْيَتَغَدَّ عندَ آلِ يَعقوب ؛ وَعُوقِبَ يُوسف بِالمِحْنَةِ التي نَصَّ اللهُ عليها . انتهى .

قلتُ : وهذا الكَلامُ لا أَعْتَقِدُ لَهُ صِحَّةً ، وقد عجبتُ من القَاضِي عِياضٍ رَحِمَهُ اللهُ كيفَ ذَكَرَهُ فِي كِتابِهِ ، والَّذِي يَجِبُ تَنْزِيْهُهُما عن هذهِ الرَّذِيلَةِ ؛ وَإِنَّما

---

(١) وأُسد الغابة ٤/ ٤٦٤ والإصابة ٥/ ٤٣٢ رقم (٧٤٠٤) وميزان الاعتدال ١/ ١٨٩ ولسان الميزان ١/ ٣٥٩ .

(٢) الشفاء ٧٥٢ .

ذَكَرْتُهُ لأُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ لا يُعْتَقَدُ صِحَّتُهُ ، وإن كان الطَّبرانيُّ قد روى في « مُعْجَمِهِ الأَوْسَطِ وَالصَّغِيرِ » مِن حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ في حَدِيثٍ طَوِيلٍ شَيْئاً من ذلك ، وَأَنَّ يَعقوبَ كان بعد ذلكَ إذا أَرادَ الغَدَاءَ ، أَمَرَ مُنادِياً يُنادِي : أَلا مَن أَرادَ الغَداءَ ، فَلْيَتَغَدَّ مع يَعقوب ؛ وإذا كَانَ صائِماً نَادَى مُنادٍ : أَلا مَن كان صائِماً ، فَلْيُفْطِرْ مع يَعقُوبَ ؛ فإنَّما رَواهُ الطَّبرانيُّ عن شَيْخِهِ محمّد ابن أَحمد الباهليّ البَصريُّ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدّاً ؛ وَكَذَا رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ في « الشُّعَبِ » في البابِ الثَّانِي والعِشْرِين[1] .

● وَذَكَرَ الواحِدِيُّ في تَفْسِيرِ قَوِلِه تَعالَى : ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف : ٩٤] أَنَّ رِيحَ الصَّبَا اسْتَأْذَنَتْ رَبَّها عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَأْتِيَ يَعْقُوبَ بِرِيْحِ يُوسفَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ البَشِيرُ ، فَأَذِنَ لها ، فلذلكَ يَسْتَرْوِحُ كُلُّ مَحْزُونٍ بِرِيحِ الصَّبا ، وَهِيَ من ناحِيَةِ المَشْرِقِ ، فَيَرتاحُ إِلى الأَوْطَانِ والأَحْبَابِ ؛ وَأَنْشَدَ[2] : [من الطويل]

أَيَا جَبَلَيْ نَعْمَانَ بِاللهِ خَلِّيَا ... نَسِيْمَ الصَّبا يَسْرِي إِلَيَّ نَسِيْمُها
فَإِنَّ الصَّبَا رِيْحٌ إذا مَا تَنَسَّمَتْ ... عَلَى نَفْسِ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُها

٢٣٧ حَمْنانٌ : بِفَتْحِ الحاءِ المُهملة : صِغارُ القِرْدَانِ ؛ واحِدَتُهُ حَمْنانَةٌ وَحَمْنَةٌ ، وَهِيَ من القِرْدَانِ دُونَ الحَلَمِ .

٢٣٨ الحَمُولَةُ : قَالَ الجوهريُّ[3] : هِيَ بِالفَتْحِ : الإبِلُ التي تَحْمِلُ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا احْتَمَلَ عَلَيْهِ الحَيُّ مِنْ حِمارٍ أَوْ غَيْرِهِ ، سَوَاءٌ كانَت عليهِ الأَحمالُ أَو لم تكُنْ .

وَفَعُولٌ تَدْخُلُهُ الهَاءُ إذا كَانَ بِمَعنَى مَفْعولٍ بِهِ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَمِنَ

---

(١) المعجم الأَوسط ٦/ ٢٤١ برقم (٦١٠٥) وشعب الإيمان ٣/ ٢٣٠ برقم (٣٤٠٣) .

(٢) هما للمجنون في ديوانه ٢٥٢ . ونسبهما ياقوت في معجم الأُدباء ٣/ ١٠٨١ إلى ابن شبل البغدادي ! . ورواية الأَوّل في أ : × . . . . يخلص إليَّ نسيمها .

(٣) الصحاح « حمل » ٤/ ١٦٧٨ .

﴿ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام : ١٤٢] .

وَسَيَأْتِي لَهُ ذِكْرٌ في « بابِ الفَاءِ » إن شاء الله تعالى .

٢٣٩ الحُمَيْمِقُ : قال ابنُ سِيْدَه : إِنَّهُ طائِرٌ يَصِيدُ العَظَاءَ وَالجَنادِبَ وَنَحوهما[١] ؛ وسمعتُ بعضَ أَهْلِ العِلْمِ يَقولُ : إِنَّهُ الباشِقُ .

وَيُفَسَّرُ بِهِ قَوْلُ الأَزْرَقِيّ في « تارِيخِ مَكَّةَ » وهو[٢] :

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قلت لِعَطاء : إذا كُنْتُ مُحْرِماً ، فَأَقْتُلُ العُقَابَ ؟ قَالَ : اقتُلْ. قُلْتُ: الصَّقْرَ والحُمَيْمِقَ، فإِنَّهُما يَأْخُذَانِ حَمامَ المُسْلِمِينَ ؟ قَالَ : اقْتُلْ، واقْتُلِ البَعُوضَ والذُّبابَ ، واقْتُلِ الذِّئْبَ فإِنَّهُ عَدُوٌّ . ذَكَرَهُ في تَعْظِيمِ الحَرَمِ .

٢٤٠ جُمَيْلُ حُرٍّ[٣] : بِالضَّمِّ وقد يُكْسَرُ : طائِرٌ مَعْرُوفٌ .

٢٤١ الحَنَشُ : بِفَتْحِ الحَاءِ المُهملة ، والنُّونِ ، وبِالشِّيْنِ المُعْجَمَةِ : الحَيَّةُ ؛ وَيُقَالُ : الأَفْعَى ؛ والجَمْعُ أَحْناشٌ .

وَقِيلَ : الأَحْناشُ : جَمِيعُ دَوابِّ الأَرْضِ ، كَالضَّبِّ والقُنْفُذِ واليَرْبُوعِ وَغَيرِها ، ثم خُصَّتْ بِهِ الحَيَّةُ ؛ قَالَ ذو الرُّمَّةِ[٤] : [من الطويل]

وَكَمْ حَنَشٍ ذَعْفِ اللُّعَابِ كَأَنَّهُ ... عَلَى الشَّرَكِ العادِيِّ نِضْوُ عِصَامِ

وبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ حَنَشاً .

---

(١) اللِّسان « حمق » ٢/ ١٠٠٠ .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي ٢/ ١٤٩ .

(٣) في أ : حمل حر . وفي ط ، ب : حميل حر . وكلّه خطأ .
قال ابن سيده في المخصص ٨/ ١٦٠ : جُمَيْلُ حُرّ : طائرٌ من الدُّخَّلِ أَكْدَرُ ، نحو من الشُّقَيِّقَةِ في الصِّغَرِ ، أَعظمُ رَأْساً من الشُّقَيِّقَةِ بكثيرٍ ؛ والجمع : جُمَيْلاتُ حُرٍّ .
قلت : وعليه فإنَّ ذكره في حرف الحاء وهمٌ محضٌ . وقوله : وقد يُكسر ، وهمٌ آخر .

(٤) ديوانه ٢/ ١٠٦٦ . ذَعف اللُّعاب : سريع القتل . والشَّرَك : الطريق . ونِضْو : دقيق . وعصام : خَيْطُ القِرْبَةِ ، شَبَّهَ الحَيَّةَ به . (شرح الديوان) .

وَقِيلَ : الحَنَشُ : حَيَّةٌ بَيْضاءُ غَلِيظَةٌ ، مِثْلُ الثُّعْبانِ أَوْ أَعْظَمُ ؛ وَقِيلَ : إِنَّه أَسْوَدُ الحَيّاتِ .

وَالحَنَشُ أَيْضاً بِالتَّحْرِيكِ : كُلُّ مَا يُصَادُ من الطَّيْرِ والهَوامِّ .

وَفِي كِتابِ « العين »[1] : الحَنَشُ مَا رُؤُوسُها رُؤُوسُ الحَيّاتِ ، وَسَامِّ أَبْرَصَ وَنَحوها .

وَفِي الحَدِيثِ في قَتْلِ الدَّجَّالِ[2] : « وَتَرْتَفِعُ الشَّحْنَاءُ والتَّباغُضُ ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ دابَّةٍ ، حَتَّى يُدْخِلَ الوَلِيدُ يَدَهُ فِي فَمِ الحَنَشِ فَلا يَضُرُّهُ » . الحُمَةُ : هِيَ مَا تَلْسَعُ به الهَوامُّ .

● وَفِي « سُنن ابن ماجَه » و« جامِع التِّرمذيِّ »[3] عن خُزَيْمَةَ بن جَزْءٍ ، أَنَّهُ قال : يا رَسُولَ اللهِ ، جِئْتُكَ أَسْأَلُكَ عن أَحْناشِ الأَرْضِ ؛ مَا تَقولُ فِي الثَّعْلَبِ ؟ قَالَ : « وَمَن يَأْكُلُ الثَّعْلَبَ ؟ » قلتُ : فَما تَقولُ في الذِّئْبِ ؟ قَالَ : « أَوَ يَأْكُلُ الذِّئْبَ أَحَدٌ فِيه خَيْرٌ » . وَذَكَرَ التِّرمذيُّ الذِّئْبَ والأَرْنَبَ ؛ فَكُلُّ هذهِ من أَحْناشِ الأَرْضِ .

٢٤٢ الحُنْظَبُ : الذَّكَرُ من الجَرادِ . وقالَ الخليلُ[4] : الحَناظِبُ : الخَنافِسُ ، الواحِدَةُ : حُنْظُبٌ وَحُنْظُبَاءُ .

وَقالَ حَمْزَةُ الأَصْفَهانِيُّ : مِنَ المُرَكَّباتِ بينَ الثَّعْلَبِ والهِرَّةِ الوَحْشِيَّةِ : الحُنْظُبُ ؛ وَأَنشدَ لحسّانَ بن ثابت رضي الله تعالى عنه[5] : [من المُتقارِب]

أَبُوكَ أَبُوكَ وَأَنْتَ ابْنُهُ   فَبِئْسَ البُنَيُّ وَبِئْسَ الأَبُ

---

(١) في العين ٣/ ٩٥ : الحنش : من الحرابيِّ وسوامِّ أَبرص ونحوه ، تُشبه رؤوسه رؤوس الحيّات ، وجمعه أَحناش .

(٢) ابن ماجه (٤٠٧٧) .

(٣) ابن ماجه (٣٢٣٥) والتّرمذي (١٧٩٢) .

(٤) قال الخليل في العين ٣/ ٣٣٦ : الحَنْظَبُ : ذَكَرُ الخَنافِس .

(٥) ديوانه ١/ ٣٦٤ ، والحيوان ١/ ١٤٥ .

وَأُمُّـكَ سَـوْدَاءُ نُـوبِيَّـةٌ ... كَـأَنَّ أَنـامِلَهـا الحُنْظُـبُ
يَبِيـتُ أَبُـوكَ لَهَـا سـافِـداً ... كَمَـا سَـافَـدَ الهِـرَّةَ الثَّعْلَـبُ

وَقَال [زِياد] الطِّمّاحِيُّ يَصِفُ كَلْباً أَسْوَدَ[1] : [من الرَّجز]

أَعْـدَدْتُ لِلـذِّئْـبِ وَلَيْـلِ الحـارِسِ ... مُصَـدَّراً أَتْلَـعَ مِثْـلَ الفـارِسِ
يَسْتَقْبِـلُ الـرِّيْـحَ بِـأَنْـفٍ خـانِـسِ ... فِـي مِثْـلِ جِلْـدِ الحُنْظُبَـاءِ اليـابِـسِ

٢٤٣ الحُوارُ : وَلَدُ النَّاقَةِ ، وَلا يَزَالُ حُواراً حتّى يُفْصَلَ عن أُمِّه ، فإذا فُصِلَ عن أُمِّهِ فهو فَصيلٌ . وَثَلاثَةُ أَحْوِرَةٍ ، وَالكَثِيرُ حِيْرانٌ ، وحُورانٌ أَيْضاً . قاله الجَوهريُّ[2] .

● وَذَكَرَ ابنُ هِشامٍ وَغَيرُه[3] ، في سريةِ عبدِ اللهِ بن أُنَيْسٍ إلى سُفيان بن خالد بن نَبيح ، وكانَت في المُحَرَّمِ في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ من الهِجْرَةِ ، وكان يَنْزِلُ عُرَنَةَ ، أَنَّهُ قالَ في ذلك : [من الطويل]

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كالحُوارِ وَحَوْلَهُ ... نَـوائِـحُ تَفْـرِي كُـلَّ جَيْـبٍ مُقَـدَّدِ

الأَبْيَاتُ الخَمسة[4] . وَسَيأتي ذِكْرُ القِصَّةِ إن شاءَ الله تعالى في « باب العَين المُهملة » في « العَنكبوت » .

الأَمثالُ : قال صاحِبُ يَسارِ الكَواعِبِ لهُ[5] : « يَا يَسارُ ، كُلْ لَحْمَ الحُوارِ ، واشْرَبْ لَبَنَ العِشارِ ، وإيّاكَ وَبَناتِ الأَحْرارِ » . وَالقِصَّةُ في ذلك مَشْهورَةٌ ؛ وفي ذلك يقولُ الشّاعرُ[6] : [من الطَّويل]

---

(١) الأَشطار له في الصّحاح والتاج « حظب » واللِّسان « حنظب » .
(٢) الصِّحاح « حور » ٢/ ٦٤٠ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٦١٩ ـ ٦٢٠ وفيه : خالد بن سفيان بن نبيح ! . والمغازي ٢/ ٥٣١ ، وطبقات ابن سعد ٢/ ٤٧ والإمتاع ١/ ٢٥٤ والروض الأنف ٧/ ٥٣١ .
(٤) الأَبيات سبعة عند ابن هشام ٢/ ٦٢٠ـ ٦٢١ والروض الأنف .
(٥) الفاخر ٩٩ ـ ١٠٠ والزمخشري ٢/ ١٣٩ والنَّقائض ٢/ ٨١٦ وشروح سقط الزِّند ١/ ٥٤ .
(٦) البيت للفرزدق في ديوانه ١١٢ (صاوي) والنقائض ٢/ ٨١٦ يقوله لجرير .

وإنِّـي لأَخْشَـى إنْ خَطَبْـتَ إلَيْهِـمُ عَلَيْكَ الذي لاقى يَسارُ الكَواعِبِ

وقالوا : « أَمْسَخُ من لَحْمِ الحُوارِ »[1] . قال الشّاعرُ[2] : [من المُتقارب]

وَقَـدْ عَلِـمَ المَعْشَـرُ الطّـارِقُـونَ بِـأَنَّـكَ لِلضَّيْـفِ جُـوعٌ وَقُـرْ

مَسِيْـخٌ مَلِيْـخٌ كَلَحْـمِ الحُـوارِ فَـلا أَنْـتَ حُلْـوٌ وَلا أَنْـتَ مُـرْ

المَسيخُ وَالمَليخُ : الذي لا طَعْمَ له .

وقالوا[3] : « كَسُؤْرِ العَبْدِ من لَحْمِ الحُوارِ » . يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ الذي لا يُدْرَكُ منهُ شَيءٌ .

وَأَصْلُهُ أَنَّ عَبْداً ، نَحَرَ حُواراً ، وَأَكَلَهُ كُلَّهُ ، ولم يُبْقِ لِمَوْلاهُ منهُ شَيْئاً ؛ فَضُرِبَ به المَثَلُ لِما يُفْقَدُ أَلْبَتَّةَ .

٢٤٤ الحُوتُ : السَّمَكُ ؛ وَالجَمْعُ : أَحْواتٌ وَحِوَتَةٌ وَحِيْتانٌ . قال الله تعالى : ﴿ **إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ** ﴾ [الأعراف : ١٦٣] .

وهذا يُمكنُ أَن يقعَ من الحِيْتانِ بإرسالٍ من اللهِ تَعالى ، كإِرْسالِ السَّحابِ ، أو بِوَحْيِ إِلْهامٍ كَالوَحْيِ إِلى النَّحْلِ ، أَو بإِشْعارٍ في ذلكَ اليومِ نحوَ ما يُشْعِرُ اللهُ الدَّوابَّ يومَ الجُمعةِ بأَمْرِ السّاعَةِ ، حَسْبَما يَقْتَضيهِ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ[4] : « ما مِنْ دابَّةٍ إِلاّ وهيَ مُصِيْخَةٌ يَوْمَ الجُمعةِ فَرَقاً من قِيامِ السَّاعَةِ » .

---

(١) الميداني ٢/ ٣٢٤ والعسكري ٢/ ٢٩٣ والزمخشري ١/ ٣٦٥ وأَمثال أَبي عبيد ٣٦١ وفصل المقال ٤٩٢ والدّرّة الفاخرة ٢/ ٣٨٤ .

(٢) البيتان للأشعر الرقبان الأَسدي ، في : المؤتلف والمختلف للآمدي ٥٨ والميداني ٢/ ٣٢٤ والزمخشري ١/ ٣٦٥ وفصل المقال ٤٩٣ وسمط اللآلي ٢/ ٨٣٠ . وترجمته في الآمدي .

(٣) الميداني ٢/ ١٥١ والزمخشري ٢/ ٢١٨ .

(٤) الموطأ ١/ ١٠٨ والنَّسائيّ (١٤٣٠) وأَبو داود (١٠٤٦) ومسند أَحمد ٢/ ٢٧٢ و ٤٥٧ و ٤٨٦ .

وَيُحْتَمَلُ أَن يَكونَ ذلكَ من الحِيْتَانِ شُعُوراً بِالسَّلامَةِ في ذَلِكَ اليوم ، على نَحْوِ شُعُورِ حَمامِ الحَرَمِ بِالسَّلامَةِ .

قال أَصحابُ القَصَصِ : كان الحوتُ يَقْرُبُ وَيَكْثُرُ ، حتّى يُمْكِنَ أَخْذُهُ باليَدِ ، فإِذا كان ليلة الأَحَدِ غَابَ بِجُمْلَتِه ؛ وَقِيلَ : يَغِيبُ أَكْثَرُهُ ، وَلا يَبْقَى مِنْهُ إِلاّ القَلِيلُ ؛ وسَتَأْتِي القِصَّةُ في ذلك في « بابِ القاف » في لَفْظِ « القِرْدِ » .

● وَروينا بِالسَّنَدِ الصَّحيحِ ، عن سَعيد بن جُبيرٍ ، أَنَّهُ قال[1] : « لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ تعالى آدَمَ إِلى الأَرْضِ ، لم يكنْ فِيها غيرُ النَّسْرِ في البَرِّ والحُوتِ في البَحْرِ ، وَكَانَ النَّسْرُ يَأْوِي إِلى الحُوتِ فَيَبِيتُ عِنْدَهُ ، فَلَمّا رَأَى النَّسْرُ آدمَ عليهِ السَّلام ، أَتَى الحُوتَ وقال : يا حُوتُ ، لقد أُهْبِطَ اليَومَ إِلى الأَرْضِ مَن يَمْشي على رِجْلَيْهِ ، وَيَبْطِشُ بِيَدَيْهِ ؛ فقال الحوتُ : لَئِنْ كُنْتَ صادِقاً ، فَمَا لِي مَنْجىً مِنهُ في البَحْرِ ، وَمَا لَكَ مَخْلَصٌ منهُ في البَرِّ » .

الأَمْثَالُ[2] : قال الشّاعرُ[3] : [من الرجز]

---

(1) حلية الأولياء ٤/٢٧٨ .

(2) قالوا : « أروى من الحوت » : الميداني ١/٣١٥ والعسكري ١/١٢ و ٤٧٣ و ٤٩٩ و ٢/٣١ والزمخشري ١/١٤٦ و ٤٩٩ و ٢/٣١ والدّرّة الفاخرة ١/٢٠٩ و ٢٩٦ .
وقالوا : « أعطش من الحوت » : العسكري ٢/٣٣ و ٧٠ والزمخشري ١/٢٤٧ والدّرّة الفاخرة ١/٢٩٧ و ٣٠٩ .
وقالوا : « آكَلُ من الحوت » : الميداني ١/٨٦ والعسكري ١/١٢ و ٢٠٠ والزمخشري ١/٦ والدّرّة الفاخرة ١/٦٩ و ٧٢ .
وقالوا : « أظمأُ من حوتٍ » : الميداني ١/٤٤٧ والعسكري ٢/٢٧ و ٣١ والزمخشري ١/٢٣٤ والدّرّة الفاخرة ١/٢٩٣ و ٢٩٦ .

(3) الشطران لرؤبة بن العجّاج في الحيوان ١/٢٦٥ وديوانه ١٥٩ . وبلا نسبة في الميداني ١/٤٤٧ والزمخشري ١/٢٣٤ .

كَـالحُـوتِ لا يُلْهِيْـهِ شَـيْءٌ يَلْهَمُـهُ   يُصْبِـحُ ظَمْـآنَ وَفِـي البَحْـرِ فَمُـهُ

اللَّهْمُ : الابْتِلاعُ ؛ يُضْرَبُ لِمَنْ عَاشَ بَخِيلاً شَرِهاً .

● رَوى الطَّبرانيُّ في « مُعجمه الأَوسط »[1] عن ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « عُلَماءُ هذه الأُمَّةِ رَجُلانِ : رَجُلٌ آتاهُ اللهُ عِلْماً ، فَبَذَلَهُ للنّاسِ ، ولم يَأْخُذْ عليهِ طَمَعاً ، ولم يَشْتَرِ بهِ ثَمَناً قَلِيلاً ، فَذَلِكَ يُصَلِّي عليهِ طَيْرُ السَّمَاءِ وَحِيْتانُ المَاءِ وَدَوابُّ الأَرْضِ والكِرامُ الكاتِبون ؛ يَقدمُ على اللهِ سَيِّداً شَرِيفاً حَتَّى يُرافِقَ المُرْسَلِين ؛ وَرَجُلٌ آتاهُ الله عِلْماً في الدُّنْيا ، فَضَنَّ بهِ على عِبادِ الله ، وَأَخَذَ عليهِ طَمَعاً ، وَاشْتَرَى بهِ ثَمَناً قَلِيلاً ؛ فذاكَ يأتي يومَ القِيامَةِ مُلْجَماً بِلِجامٍ من نارٍ ، وَيُنادِي مُنادٍ على رؤوسِ الأَشْهادِ : هذا فُلان ابن فُلانٍ ، آتاهُ اللهُ عِلْماً في الدُّنْيا ، فَضَنَّ بِهِ عَلَى عِبادِ اللهِ ، وَأَخَذَ عليهِ طَمَعاً ، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَناً قَليلاً ؛ ثُمَّ يُعَذَّبُ حتى يُفْرَغَ من الحِسَابِ » .

● وَيَكْفِي[2] الحُوتَ شَرَفاً ، أَنَّهُ كَانَ وِعاءً وَمَسْكَناً لِنَبِيِّ اللهِ يُونس بن مَتّى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وذلكَ أَنَّ اللهَ تَعالَى أَوْحى إِليهِ : إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ يُونُسَ لَكَ رِزْقاً ، وإِنَّما جَعَلْتُ بَطْنَكَ لَهُ حِرْزاً وَسِجْناً ؛ ثم اسْتَنْقَذَهُ الله تعالى من بَطْنِهِ . وَاخْتُلِفَ[2] فِي مُدَّةِ لُبْثِهِ في بَطْنِ الحُوتِ ، فقال مُقاتل بن حَيّان : ثَلاثَةَ أَيّامٍ . وَقَالَ عَطاءٌ : سَبعَةَ أَيّامٍ . وقال الضَّحّاكُ : عِشْرِينَ يوماً . وقال السُّدِّيُّ والكَلْبِيُّ وَمُقاتل بن سُليمان : أَربعِينَ يوماً . وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : الْتقَمَهُ ضُحَىً ، وَلَفَظَهُ عَشِيَّةً .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تعالَى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٍ ﴾ [الصَّافّات : ١٤٦] فَالمُرادُ بـاليَقْطِيـنِ هُنـا : القَـرَعُ ، علـى قَـوْلِ جَمِيـعِ المُفَسِّـرِيـن ؛ فَكُـلُّ نَبـتٍ يَمْتَـدُّ

---

(١) المعجم الأوسط ٧/ ٢١٥ برقم (٧١٨٧) .

(٢) ينظر البداية والنهاية ٢/ ١٩ .

وَيَنْبَسِطُ على وَجْهِ الأَرْضِ ليسَ له سَاقٌ ، وَلا يبقى عَلى الشِّتَاءِ نَحوَ القَرَعِ والقِثّاءِ والبِطِّيخِ فَهُوَ يَقْطِينٌ .

● **فائِدَةٌ** : سُئِلَ إمامُ الحَرَمَيْنِ : هل الباري تَعالى في جِهَةٍ ؟ فقال : هو مُتَعالٍ عن ذلكَ ؛ فقيلَ له : مَا الدَّلِيلُ على ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : قولُه ﷺ[1] : « لا تُفَضِّلُونِي على يُونُس بن مَتّى » . فَقِيلَ له : مَا وَجْهُ ذَلِكَ ؟ فقال : لا أَقولهُ حتّى يَأْخُذَ ضَيْفِي هَذَا أَلْفَ دينارٍ ، يَقْضِي بها دَيْنَهُ ؛ فقامَ بِها رَجُلانِ ، فقال : إِنَّ يُونس بن مَتّى رَمَى نَفْسَهُ في البَحْرِ ، فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ ، وَصَارَ فِي قَعْرِ البَحْرِ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ، وَنادَى ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] وَلَم يَكن النَّبيُّ ﷺ حِينَ جَلَسَ على الرَّفْرَفِ الأَخْضَرِ ، وانْتَهَى إِلى أَن سَمِعَ صَرِيفَ الأَقْلامِ ، وناجاهُ رَبُّهُ بِمَا ناجاهُ ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ ما أَوْحىٰ ، بِأَقْرَبَ إِلى الله تعالى من يُونس بن مَتّى في بَطْنِ الحُوتِ ، في ظُلْمَةِ البَحْرِ . انتهى .

وَسَيَأْتِي في « بابِ النُّونِ » إن شاء الله تعالى جَوابُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما عن رِسَالَةِ مَلِكِ الرُّومِ التي سَأَلَ فيها مُعاوِيةَ عَنِ القَبْرِ الَّذِي سَارَ بِصاحِبِهِ .

● وروى الحاكم في « المُسْتَدْرَكِ »[2] بإسنادٍ فِيهِ يَزيد بن يَزيد البَلَوِيّ ، عن أَنَس رضي الله تعالى عنه ، قال : كُنّا مع رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَنَزَلْنا مَنْزِلاً ، فإذا في الوَادِي رَجلٌ يَقُولُ : اللَّهمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ محمَّدٍ المَرْحُومَةِ .

قَالَ : فَأَشْرَفْتُ عليهِ ، فإِذا رَجلٌ طُولُهُ ثَلاثمئة ذِراعٍ ، فقال لِي : مَن أَنتَ ؟ قلتُ : أَنا أَنَسُ بن مالكٍ ، خادِمُ النَّبيِّ ﷺ ؛ فقال : وَأَيْنَ هوَ ؟ قلتُ :

---

(١) الشفا ١٧٥ (٢٦٦) والبداية والنهاية ٢/ ٣٠ .

(٢) المستدرك ٢/ ٦١٧ وميزان الاعتدال ٤/ ٤٤١ ولسان الميزان ٨/ ٥٠٨ وترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ٢٣ .

هوَ ذا يَسمعُ مِنكَ كَلامَكَ . قَالَ : فَأْتِهِ ، وَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ ، وَقُلْ لهُ : أَخُوكَ إِلْيَاسُ يُقْرِئُكَ السَّلامَ .

قَالَ : فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فأَخبرتُهُ ، فَجاءَ حَتَّى عانَقَهُ ، وَقَعَدا يَتَحَدَّثَانِ . فقال : يَا رَسولَ اللهِ ، إِنِّي إِنَّما آكُلُ في السَّنَةِ يَوماً واحِداً ، وهذا يومُ فِطْرِي ، فآكُلُ أَنا وَأَنْتَ .

فَنَزَلَتْ عليهِما مائِدَةٌ من السَّماءِ ، عَلَيْها خُبْزٌ وَحُوتٌ وَكَرَفْسٌ ؛ فأَكَلا وأَطْعَمَانِي ، وَصَلَّيَا العَصْرَ ، ثم وَدَّعَهُ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ مَرَّ في السَّحَابِ نحوَ السَّمَاءِ . قَالَ الحاكِمُ : صَحِيحُ الإِسْنادِ .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ العَلاَّمَةُ شمسُ الدِّيْنِ الذَّهبيّ رَحِمَهُ اللهُ فِي « المِيزان » : أَمَا اسْتَحْيَا الحاكِمُ مِنَ اللهِ تَعالَى في تَصْحِيحِ مِثْلِ هذا .

وَقَالَ فِي « تَلخِيصِ المُستدرَكِ » بَعْدَ قَولِ الحاكِمِ : هَذَا صَحِيحٌ . قلتُ : بل هو مَوضُوعٌ ، قَبَّحَ اللهُ مَنْ وَضَعَهُ ، وَمَا كَنْتُ أَحسبُ ولا أُجَوِّزُ أَنّ الجَهْلَ يبلُغُ بالحاكِمِ إِلى تَصْحِيْحِ هَذَا . ا هـ .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ القُشَيرِيُّ : يُقَالُ : إِنَّ سُلَيْمَانَ عَليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ سَأَلَ رَبَّهُ سبحانَه وَتَعالَى أَنْ يَأْذَنَ له أَنْ يُضِيْفَ يَوْمَاً جَمِيعَ الحَيواناتِ ، فَأَذِنَ اللهُ تَعالَى لَهُ ، فَأَخَذَ سُلَيْمانُ في جَمْعِ الطَّعامِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، فَأَرسَلَ اللهُ تَعالَى له حُوتاً واحِداً من البَحْرِ ، فَأَكَلَ كُلَّ مَا جَمَعَهُ سُلَيْمانُ في تِلْكَ المُدَّةِ الطّويلَةِ ، ثم اسْتَزادَهُ ؛ فَقَالَ سُليمانُ : لَمْ يَبْقَ عِنْدِي شَيْءٌ ؛ ثم قال له : وَأَنْتَ تَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ : رِزْقِي كُلَّ يَوْمٍ ثَلاثَةُ أَضْعَافِ هَذَا ، وَلَكِنَّ اللهُ لَمْ يُطْعِمْنِي اليَوْمَ إِلا مَا أَطْعَمْتَنِي أَنْتَ ؛ فَلَيْتَكَ لَمْ تُضَيِّفْنِي ، فإِنِّي بَقِيْتُ اليَوْمَ جائِعاً حَيْثُ كُنْتُ ضَيْفَكَ . انتهى .

وَفِي هَذَا إِشارَةٌ إِلى كَمَالِ قُدرةِ اللهِ تعالى ، وَعَظِيمِ سُلطانِهِ ، وَسَعَةِ

خَزائِنه ، إِذْ مِثْلُ سُليمانَ ، مع سَعَةِ مُلْكِهِ ، وَقُوَّةِ سُلْطَانِه الذِي آتاهُ اللهُ تَعالَى ، عَجزَ أَنْ يُشْبِعَ مَخْلُوقاً واحِداً من مَخلوقاتِ اللهِ تَعالَى ؛ فَسُبْحانَ المُتَكَفِّلِ بِأَرْزَاقِ خَلْقِهِ .

وَهنا دَقِيقَةٌ يَجِبُ أَنْ يُتَنَبَّهَ لها ، وَهِيَ أَنَّ الشِّبَعَ والرِّيَّ لَيسَ هُوَ من فِعْلِ الطَّعامِ وَالمَاءِ ، وإِنَّما أَجْرَى اللهُ العادَةَ بِخَلْقِ الشِّبَعِ عِندَ أَكْلِ الطَّعامِ ، وَخَلْقِ الرِّيِّ عِندَ شُرْبِ المَاءِ ، فَالشِّبَعُ وَالرِّيُّ خَلْقُ اللهِ تَعالَى ؛ هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الحَقِّ ، ولا الْتِفَاتَ لِمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَحُكْمُهُ وَخَوَاصُّه وَتَعْبِيرُهُ : كَالسَّمَكِ ؛ وَسَيَأْتِي في « باب السِّينِ المُهْمَلَةِ » إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى .

٢٤٥ **حُوتُ الحَيْضِ** : قَالَ ابْنُ زُهْرٍ : قَالَ لِي مَنْ رآهُ : إِنَّهُ دابَّةٌ عَظِيمَةٌ في البَحرِ ، تَمْنَعُ المَراكِبَ الكِبَارَ عَنِ السَّيْرِ ، فإِذا أَشْرَفَ أَهْلُ السَّفِينَةِ على العَطَبِ ، رَمَوْا لَهُ بِخِرَقِ الحَيْضِ ، فَيهربُ ولا يَقْرَبُهم ؛ فَهِيَ مُعَدَّةٌ معهُم لِذَلِكَ .

وَهَذَا الحُوتُ اسْمُهُ الفاطُوس ، وسيأتي في « باب الفاء » إن شاء الله تعالى .

ومن عَجيبِ أَمرِ هذا الحَيوانِ ، أَنَّهُ لا يَقْرَبُ مَرْكَباً فِيهِ امرأَةٌ حائِضٌ .

وَحُكمه : كَعُمُومِ السَّمَكِ ؛ وَدَمُ الحُوتِ نَجِسٌ كَسائِرِ الدِّمَاءِ ؛ وَقِيلَ : طاهِرٌ ، لأَنَّهُ إِذا يَبِسَ ابْيَضَّ بِخِلافِ سَائِرِ الدِّمَاءِ ، فإِنَّها تَسْوَدُّ ؛ كَذَا نَقَلَهُ القُرطبيُّ عن بعضِ الحَنَفِيَّةِ .

الخَواصُّ : قال الرَّازِي وَغيرُه : إِذا سُعِّطَ المَصْروعُ بِوَزْنِ حَبَّةٍ من مَرارَتِهِ ، بَرِىءَ مِن الصَّرَعِ بِإِذْنِ الله تَعالَى ، وَهُوَ مُجَرَّبٌ .

وَكَبِدُهُ إِذا جُفِّفَتْ وَسُحِقَتْ ، وَذُرَّ منها على الدَّمِ السّائِلِ ، قَطَعَهُ ؛ أَو على

الجُرْحِ ، أَلْحَمَهُ وَأَبْرَأَهُ وإن كان عَظيماً ، وَهُوَ أَيضاً مُجَرَّبٌ .

وَوَسَطُ لَحْمِ ظَهْرِهِ ، إِذا أُخِذَ مِنْهُ قِطْعَةٌ ولاكَها إِنْسَانٌ ، هَيَّجَتِ البَاهَ وأَنْعَظَتْ .

● **تَذنِيبٌ** : الحَيْضُ في المَنامِ : نِكاحٌ حَرامٌ ؛ فَمَن رَأَى أَنَّهُ حائِضٌ ، فإِنَّهُ يَأْتِي مَحْرَماً .

وَالمَرْأَةُ إِذا رَأَتْ أَنَّها حائِضٌ ، اخْتَلَطَ عَلَيْها أَمْرُها ؛ فإِنِ اغْتَسَلَتْ ذَهَبَ الهَمُّ عنها .

وإِن رَأَتِ امْرَأَةٌ أَنَّها مُسْتَحاضَةٌ ـ وهي التي لم يَنقطِعْ الدَّمُ عنها ـ فإِنَّها كَثِيرَةُ الذُّنُوبِ ، لا تَثْبُتُ عَلَى تَوْبَةٍ ؛ لأَنَّ الإِثْمَ صَارَ طَبْعاً لَها ؛ نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ .

وَقِيلَ : إِنَّ الرَّجُلَ إِذا رَأَى أَنَّهُ حائِضٌ ، فإِنَّهُ يَكْذِبُ ؛ وإِنْ رَأَى امْرَأَتَهُ حائِضاً ، انْغَلَقَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ؛ والله تعالى أَعلم .

٢٤٦ حُوتُ مُوسَى وَيُوشَع عليهما الصَّلاة والسَّلام : قالَ أَبو حامِد الأَندلسيُّ :

رَأَيْتُ سَمَكَةً بِقُرْبِ مَدِيْنَةِ سَبْتَةَ ، من نَسْلِ الحُوتِ الذِي أَكَل منهُ مُوسَى وَفَتاهُ يُوشَع عليهِما السَّلامُ ، فَأَحْيَا اللهُ نِصْفَهُ ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف : ٦١] وَنَسْلُها في البَحْرِ إِلى الآنَ في ذَلِكَ المَوضِعِ .

وَهِيَ سَمَكَةٌ طُولُها أَكْثَرُ من ذِراعٍ ، وَعَرْضُها شِبْرٌ واحِدٌ ، في أَحَدِ جانِبَيْها شَوْكٌ وَعِظامٌ ، وَجِلْدٌ رَقِيقٌ عَلَى أَحْشَائِها ، وَلَهَا عَيْنٌ وَنِصْفُ رَأْسٍ ، مَن رآها من هذا الجانبِ اسْتَقْذَرَها ، وَيَحْسَبُ أَنَّها مَيْتَةٌ ؛ وَنِصْفُها الآخَرُ صَحِيحٌ ، وَالنّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بِها ، وَيُهدونَها إِلى الأَماكِنِ البَعِيدَةِ .

قَالَ ابنُ عَطِيَّةَ : وَأَنا رَأَيْتُها كَذَلِكَ .

● وَمِن غَرِيبِ مَا رَوَى « البُخارِيُّ »[١] عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما في قَصَصِ هَذِهِ الآيَةِ : أَنَّ الحُوتَ إِنَّما حَيِيَ ، لأَنَّهُ مَسَّهُ مَاءُ عَيْنٍ هُنالِكَ تُدْعَى عَيْنَ الحَيَاةِ ، مَا مَسَّتْ مَيِّتاً قَطُّ إلاَّ وَحَيِيَ .

وَقد قال الكَلبيُّ ، تَوَضَّأَ يُوشَع بن نُون من عَيْنِ الحَيَاةِ ، فَنَضَحَ على الحُوتِ المالِحِ ، وَهو في المِكْتَلِ ، من ذلكَ المَاءِ ، فَعَاشَ الحُوتُ ، فَجَعَلَ يَضربُ بِذَنَبِهِ ، ولا يَضربُ بِذَنَبِهِ شَيئاً من المَاءِ وَهو ذَاهِبٌ إلاَّ يَبِسَ .

قال : ومن غَرِيبِهِ أَيضاً : أَنَّ بعضَ المُفَسِّرِينَ ذَكَرَ أَنَّ مَوْضِعَ سُلُوكِ الحُوتِ عَادَ طَرِيقاً يَبَساً ، وَأَنَّ مُوسَى مَشَى عليهِ مُتَّبِعاً لِلحُوتِ حتى أَفْضَى بِهِ ذَلِكَ الطَّرِيقُ إِلى جَزِيرَةٍ فِي البَحْرِ ، وَفِيها وَجَدَ الخَضِرَ .

● **إِشارَةٌ** : كانَت هَذِهِ القَطْرَةُ مُبارَكَةً ، فَأَحْيَا اللهُ تَعَالَى بها المَيِّتَ ، لأَنَّها قَطرةٌ من وَجْهِ مُتَوَضِّىءٍ ؛ وَلِلعِبادَاتِ تَأْثِيراتٌ ، فَحَيَاةُ القَلْبِ مِنْ مِيراثِ العَمَلِ .

كَانَ مُوسَى وَيُوشَع في تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، فَلَمّا أَنْ حَيِيَ الحُوتُ وَجَدَا السَّبِيلَ إِلى مَطْلَبِهِما ؛ فكذا الجَوَارِحُ والأَعْضَاءُ في خَوْفٍ وَحَيْرَةٍ ، حتى تَحْيَا القُلُوبُ بِذِكْرِ اللهِ تعالى ؛ فإِذا حَيِيَ القَلْبُ بِالذِّكْرِ ، أَمِنَتِ الأَعْضَاءُ وَسَكَنَتْ .

واعلم أَنَّ مُوسَى عليهِ السَّلامُ جَدَّ في طَلَبِ الخَضِرِ حَتّى وَجَدَهُ ؛ وَكَذَلِكَ يُسْتَحَبُّ لِكُلِّ طالِبِ فائِدَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ أَنْ يَكُونَ كَرَّاراً غَيْرَ فَرَّارٍ ؛ فإِمّا الظَّفَرُ والغَنِيمةُ ، وإِما القَتْلُ والشَّهادَةُ ، كَمَا اتَّفَقَ لِلْحُسَيْنِ الحلاجِ وَغَيْرِهِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ قِصَّتِهِ قَرِيباً .

● وَرَوَى[٢] أُبيُّ بن كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال :

---

(١) البخاري ٥/ ٢٣٤ والترمذيّ (٣١٤٩) والبداية والنهاية ٢/ ١٧٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٩٢ .

« انْجَابَ المَاءُ عن مَسْلَكِ الحُوتِ ، فَصَارَ كُوَّةً لَمْ تَلْتَئِمْ ، فَدَخَلَ مُوسَى على أَثَرِ الحُوتِ ، فإذا هُوَ بالخَضِرِ » .

وَقَالَ قَتادَةُ : مَا سَلَكَ الحُوتُ طَرِيقاً ، إلاَّ صَارَ مَاءً جامِداً ، طَرِيقاً يَبَساً ؛ وَكَانَ موسى عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قد لَحِقَهُ الجُوعُ ، فَقَالَ لِفَتاهُ ، وهو يُوشع : ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف : ٦٢] الآية .

قَالَ ابنُ عَطِيَّةَ : وَكَانَ أَبُو الفَضْلِ الجَوْهَرِيُّ يَقُولُ في وَعْظِهِ : مَشَى مُوسَى عليه السَّلامُ لِمُناجاةِ رَبِّهِ تَعالَى أَرْبَعِينَ يوماً لم يَحْتَجْ إلى طَعامٍ ، وَلَمَّا مَشَى إلى بَشَرٍ لَحِقَهُ الجُوعُ ؛ والإشارَةُ في ذَلِكَ أَنَّهُما كانا مُتَعَلِّمَينِ ، وَطالِبُ العِلْمِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَحْتَمِلَ كُلَّ مَشَقَّةٍ ، وَلا يُبَالِي بِصَيْفٍ ولا شِتاءٍ ، وَلا جُوعٍ وَلا ذُلٍّ ، إِذِ الذِي يَطْلُبُ لا يَعْرِفُ قِيْمَتَهُ إلاّ صاحِبُهُ ؛ وَمن عَرَفَ قَدْرَ مَا يَطْلُبُ ، هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُلُ ، وَمَن طَلَبَ العَظِيمَ ، خاطَرَ بِالعَظِيمِ .

وسيأتي إن شاء الله تعالى في « بابِ الصّادِ المُهْملةِ » في « الصُّرَدِ » عن مُقاتل طَرَفٌ من ذَلِكَ مُطَوَّلٌ .

وَكانَتْ(١) حَيَاةُ الحُوتِ عندَ مَجْمَعِ البَحرينِ . قَالَ قَتادة : مَجْمَعُ البَحرينِ : هما بَحْرُ فارِس وَبَحْرُ الرُّوم مِمّا يَلِي الشَّرْقَ ؛ وَقِيلَ : هُمَا بَحْرُ الأُرْدُنِّ وَبَحْرُ القُلْزُمِ ؛ وَقِيلَ : هُمَا بَحْرٌ بِالمَغْرِبِ وَبَحْرٌ بِالزُّقاقِ .

وَالحِكمَةُ في جَمْعِ مُوسَى مَعَ الخَضِرِ عَلَيهِما السَّلامُ بِمَجْمَعِ البَحرينِ : أَنَّهُما بَحْرَانِ في العِلْمِ ؛ أَحَدُهُما أَعْلَمُ بِالظّاهِرِ ـ وَأَعْنِي بِالظّاهِرِ عِلْمَ الشَّرْعِ ـ وَهو موسى ، والآخَرُ أَعْلَمُ بِالبَاطِنِ ـ وَأَعْنِي بِالباطِنِ عِلْمَ الحَقِيْقَةِ وَأَسْرارَ المَلَكُوتِ ـ وَهُوَ الخَضِرُ ، فَكَانَ اجْتِماعُ البَحْرَيْنِ بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ ؛ فَحَصَلَتِ المُناسَبَةُ .

---

(١) ترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ١٥ .

● **إشارَةٌ** : اعلمْ أَنَّ موسى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمْ يَجِدْ من هو دُونَهُ ، وهو الخَضِرُ عليهِ السَّلامُ ، حَتَّى تَجَرَّدَ عن كُلِّ مَا سِواهُ ؛ فَكَذَلِكَ العَبْدُ ، لا يَجِدُ قُرْبَ مَوْلاهُ وَحُبَّهُ حَتَّى يَتَجَرَّدَ عن كُلِّ مَا سِواهُ .

قَالَ الشِّبْلِيُّ : انْفَرِدْ بِاللهِ حَتّى تكُونَ مُجَرَّداً عَنِ الأَغْيَارِ ، وَتكُونَ وَاحِداً للواحِدِ ، فَرْداً لِلْفَرْدِ .

وَقَالَ الإِمامُ تاجُ الدِّيْنِ ابْنِ عَطَاءِ الله السَّكَنْدَرِيّ : مَن تَجَرَّدَ فِي وَقْتِه لِوَقْتِه ، فَاتَهُ من وَقْتِه ، وَمَن اسْتَقْبَلَ الوَقْتَ فَازَ بِحَظِّه ؛ وأَنْشَدَ : [من المجتثّ]

لا كُنْـــتُ إنْ كُنْـــتُ أَدْري ... كَيْـــفَ الطَّـــرِيـــقُ إِلَيْكـــا
أَفْنَيْتَنـــي عَـــن جَمِيعـــي ... فَكُنْـــتُ سِلْمـــاً لَـــدَيْكـــا[1]

وَقِيلَ لِلْجُنَيْدِ : مَتى يَكُونُ العَبْدُ مُنْفَرِداً مُتَحَيِّزاً ؟ قال : إِذا أَلْزَمَ جَوارِحَهُ الكَفَّ عن جَمِيعِ المُخالَفاتِ ، وَأَفْنَى حَرَكاتِهِ عن كُلِّ الإِراداتِ ، فَكَانَ شَبَحاً بينَ يَدَي الحَقِّ لا يَتَمَيَّزُ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِم : [من مخلّع البسيط]

وعَـــن فَنـــائِـــي فَنـــى فَنـــائِـــي ... وَفِـــي فَنـــائِـــي وُجِـــدْتَ أَنْتـــا[2]
فِـي مَحْـوِ اسْمِـي وَرَسْـمِ جِسْمِـي ... سَـــأَلْـــتَ عَنِّـــي فَقلـــتُ أَنْتـــا
أَشَـــارَ سِـــرِّي إِلَيْـــكَ حَتّـــى ... فَنـــى فَنـــائِـــي وَدُمْـــتَ أَنْتـــا
أَنْـــتَ حَيـــاتِـــي وَسِـــرُّ قَلْبِـــي ... فَحَيْثُمـــا كُنْـــتُ كُنْـــتَ أَنْتـــا

قَالَ الشِّبْلِيُّ : اضرِبْ بِالدُّنْيا وَجْهَ عاشِقِيها ، وَبالآخِرَةِ وَجْهَ طَالِبِيها ، وَسَلِّمْ نَفْسَكَ وَقد وَصَلْتَ ؛ فإِذا قُلْتَ : الله ، فهوَ الله ، وإِذا سَكَتَّ ، فَهُوَ الله ، وَهَذَا هُوَ المقامُ العَظِيمُ .

---

(١) في ط : × فكنت سلم يديكا . والمثبت من أ .
(٢) في أ : × وفي سرّ سرّي وجدتك أنتا ! .

● واسمُ الخَضِرِ[١] عَلَيْهِ السَّلامُ مُضْطَرِبٌ فِيهِ اضْطِراباً مُتَبَايِناً ؛ فَقِيلَ : إِنَّهُ بَلْيا بن مَلْكان بن فَالَغ بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نُوح عَلَيهِ السَّلامُ ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّه .

وَقِيلَ : إِيليا بن عامِيل بن شَمالخين بن أَرما بن علقما بن عِيْصو بن إِسحاق ابن إِبراهيم عليهِما السَّلام .

وَقِيلَ : اسمه أَرْميا بن حَلَقيا مِنْ سِبطِ هارُونَ ، قَالَهُ الثَّعْلَبيُّ .

قُلْتُ : والأَصَحُّ الَّذِي نَقَلَهُ أَهْلُ السِّيَرِ ، وَثَبَتَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ كَمَا قَالَهُ البَغَوِيُّ وَغيرُهُ ، أَنَّ اسْمَهُ بَلْيا ـ بِبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، وَلام ساكِنَةٍ ، وَيَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تَحتٍ ، وَفِي آخِرِهِ أَلِف ، ابن مَلْكان ـ بِفَتْحِ الميمِ ، وبإِسْكَانِ اللاّمِ وَبالنُّونِ فِي آخِرِهِ ؛ وَقِيلَ : بَلْيان .

قِيلَ : كَانَ من بَنِي إِسرائيلَ ؛ وقيل : كَانَ من أَبْنَاءِ المُلُوكِ ؛ وَكُنْيَتُهُ أَبُو العَبّاسِ .

قَالَ السُّهيلِيُّ[٢] : كَانَ أَبُوهُ مَلِكاً ، وَأُمُّهُ اسْمُها أَلْها ، وَإِنَّها وَلَدَتْهُ في مَغَارَةٍ ، وَإِنَّهُ وَجَدَ هُناكَ شَاةً تُرْضِعُهُ في كُلِّ يَوْمٍ من غَنَمِ رَجُلٍ من القَرْيَةِ ، وَلَمّا وَجَدَهُ الرَّجُلُ ، أَخَذَهُ وَرَبّاهُ ؛ فَلَمَّا شَبَّ طَلَبَ أَبُوهُ كاتِباً ، وَجَمَعَ أَهْلَ المَعْرِفَةِ والنَّبَالَةِ ، لِيَكْتُبَ الصُّحُفَ التي أُنْزِلَتْ على إِبْراهِيمَ وَشِيْث ، فَكَانَ فِيمَن قَدِمَ عَلَيهِ من الكُتَّابِ ابْنُهُ الخَضِرُ عليهِ السَّلامُ وَهُوَ لا يَعْرِفُهُ ، فَلَمَّا اسْتَحْسَنَ خَطَّهُ ، وَمَعْرِفَتَهُ ، بَحَثَ عن جَلِيَّةِ أَمْرِهِ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ ابْنُهُ ، فَضَمَّهُ لِنَفْسِهِ ، وَوَلاّهُ أَمْرَ النَّاسِ .

---

(١) ينظر البداية والنهاية ٢/ ١٧٨ وتفسير ابن كثير ٣/ ٩٩ والإصابة ٢/ ٢٤٦ رقم (٢٢٧٥) وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٦ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٥٧ .

(٢) ترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ١٥ ـ ١٦ .

ثُمَّ إِنَّ الخَضِرَ فَرَّ مِنَ المَلِكِ لأَسْبَابٍ يَطُولُ ذِكْرُها ، وَلَمْ يَزَلْ سائِحاً إِلى أَن وَجَدَ عَيْنَ الحَيَاةِ ، فَشَرِبَ مِنها ، فَهُوَ حَيٌّ إِلى أَنْ يَخْرُجَ الدَّجّالُ ، وَإِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَقْتُلُهُ الدَّجّالُ ، وَيُقَطِّعُهُ ، ثُمَّ يُحيِيهِ اللهُ تَعالَى . انتهى .

وَسَيأتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى عن صاحِبِ « ابْتِلاءِ الأَخْيَارِ » في « بابِ السِّينِ المهملة » في لفظِ « السّعلاةِ » أَنَّهُ ابْنُ خالَةِ ذِي القَرْنَيْنِ .

وَاخْتُلِفَ في سَبَبِ تَلْقيبه بالخَضِرِ ؛ فَقَالَ الأَكْثَرُونَ[١] : لأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوةٍ بَيْضَاءَ ، فإِذا هِيَ تَهْتَزُّ مِن تَحتِهِ خَضْراءَ ؛ والفَرْوَةُ : وَجْهُ الأَرْضِ .

وَقِيلَ : لأَنَّهُ كَانَ إِذا صَلَّى اخْضَرَّ مَا حَوْلَهُ . والصَّوابُ الأَوَّلُ .

وَاخْتُلِفَ في حَياتِهِ ؛ فقال الإِمامُ مُحيي الدِّين النَّووي وَجُمهور العُلماءِ : هو حَيٌّ مَوْجُودٌ بَيْنَ أَظْهُرِنا .

قال : وَهَذَا مُتَّفَقٌ عليهِ عند الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلاحِ والمَعرِفَةِ ، وَحِكاياتُهم في رُؤيَتِهِ ، وَالاجْتِماعِ بِهِ ، وَالأَخْذِ عَنهُ ، وَسُؤَالِهِ وَجواباتِهِ ، وَوُجُودِهِ في المَواضِعِ الشَّرِيْفَةِ وَمَواطِنِ الخَيْرِ ، أَكْثَرُ من أَنْ تُحصرَ ، وَأَشْهَرُ من أَن تُشْهَرَ .

قَالَ الشَّيْخ أَبُو عَمرو بن الصّلاحِ : هو حَيٌّ عِندَ جَماهِيرِ العُلَماءِ والصالِحِينَ ، وَالعامَّةُ مَعَهم على ذَلِكَ ، وَإِنَّما شَذَّ بِإِنْكارِهِ بَعْضُ المُحَدِّثِينَ . انتهى .

وَقَالَ الحَسَنُ : إِنَّهُ مَاتَ .

وَقَالَ ابنُ المُنادي : لا يَثْبُتُ حَدِيثٌ في بَقائِهِ .

وَقَالَ الإِمامُ أَبُو بَكر بن العَربيِّ[٢] : مَاتَ قَبلَ انْقِضَاءِ المِئَةِ .

---

(١) ترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ١٦ ـ ١٧ .

(٢) التَّرويح ٢/ ١٦ .

وَيَقْرُبُ من هذا جَوابُ الإمامِ محمّد بن إِسْماعِيل البُخاريّ ، لمّا سُئِلَ عنِ الخَضِرِ وإِلْيَاسَ عليهِما السَّلام ، هل هُما في الأَحْيَاءِ ؟ فقال : كَيفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ وَقد قَالَ النَّبيُّ ﷺ[1] : « لا يَبْقَى عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ مِمَّنْ هو اليَوْمَ على ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ » .

والصَّحِيحُ ، بَلِ الصَّوابُ ، أَنَّهُ حَيٌّ .

وَقَالَ بعضُهم : إِنَّه اجْتَمَعَ مَع أَصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَزّى أَهْلَ بَيْتِهِ وَهم مُجْتَمِعُونَ لِغَسْلِه ؛ وَقد رُوِيَ ذَلِكَ مِنْ طُرُقٍ صِحاحٍ[2] .

● وَفِي « التَّمهِيدِ »[2] لابنِ عبدِ البَرِّ إمامِ أَهْلِ الحَدِيثِ في وَقْتِهِ رَحِمَهُ اللهُ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ حِينَ غُسِّلَ وَكُفِّنَ ، سَمِعُوا قائِلاً يَقولُ : السَّلامُ عَليكم أَهْلَ البَيْتِ ، إِنَّ في اللهِ خَلَفاً مِنْ كُلِّ هالِكٍ ، وَعِوَضاً مِن كُلِّ تالِفٍ ، وَعَزَاءً مِن كُلِّ مُصِيبَةٍ ؛ فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ واحْتَسِبُوا ؛ ثُمَّ دَعَا لهم وَلا يَرَوْنَ شَخْصَهُ ، فَكانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ الخَضِرُ عَليهِ السَّلامُ ؛ يعنِي أَصحابَ النَّبيِّ ﷺ وَأَهْلَ بَيْتِهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم .

● قَالَ السُّهيلِيُّ[3] : وَقد ذُكِرَ أَنَّ الخَضِرَ عليهِ السَّلامُ هو أَرْمِيا ، ولم يُصَحِّحْهُ محمَّد بن جَرير الطَّبريّ ، وَأَبْطَلَهُ بِمَا يَطُولُ ذِكْرُهُ مِنَ الحُجَجِ .

● وَذُكِرَ أَيْضاً أَنَّهُ اليَسَعُ صاحِبُ إِلْياسَ عليهما السَّلامُ .

وَأَعْجَبُ مَا فِي ذَلِكَ قولُ من قَالَ : إِنَّهُ ابْنُ فِرْعَون صاحِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ؛ ذَكَرَهُ النَّقَّاشُ . انتهى .

---

(١) البخاريّ ١/ ٣٧ و١٤١ و١٤٩ وأَبو داود (٤٣٤٨) والترمذي (٢٢٥٠) والترويح ٢/ ١٦ .

(٢) المستدرك ٣/ ٥٧ و ٥٨ والبداية والنهاية ٢/ ٢٥٧ و ٢٥٨ وتعازي المدائني ٢١ وتعازي المبرد ١٠ ـ ١١ والتمهيد ٢/ ١٦٢ (ط . المغرب) وترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ٢٢ .

(٣) الترويح ٢/ ١٦ وتاريخ الطبري ١/ ٣٦٦ .

● وَاخْتُلِفَ في نُبُوَّتِهِ ، فقال القُشَيْرِيُّ وَكَثيرون : هو وَلِيٌّ . وَقَالَ بعضُهم : هُوَ نَبِيٌّ ، وَرَجَّحَهُ النَّوويُّ . وَحَكَى الماوَرديُّ في تَفْسِيْرِهِ ثلاثة أَقْوَالٍ : أَحَدُها أَنَّه نَبِيٌّ ، وَالثَّانِي أَنَّهُ وَلِيٌّ ، وَالثَّالِثُ أَنَّهُ مِنَ المَلائِكَةِ ؛ وَهَذَا القَولُ غَرِيبٌ باطِلٌ لِما قَدَّمْنَاهُ .

وَقَالَ المازَرِيُّ : اختَلَفَ العُلَماءُ فِي الخَضِرِ : هل هو وَلِيٌّ أَم نَبِيٌّ ؟ فقال الأَكثَرُونَ : هُوَ نَبِيٌّ ؛ وَاحتَجُّوا بقَولِهِ تَعالَى : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف : ٨٢] فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ نَبِيٌّ يُوحَى إِلَيهِ ، وَبِأَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ مُوسَى ، وَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ وَلِيٌّ أَعْلَمَ مِنْ نَبِيٍّ .

وَأَجَابَ الآخَرُونَ : بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعالَى قد أَوْحَى إِلى نَبِيٍّ ذَلِكَ الزَّمانِ بِأَنْ يَأْمُرَ الخَضِرَ بِذَلِكَ . انتهى .

وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ كَانَ مع مُوسَى نَبِيٌّ ، فَكَيْفَ يَتَأَتَّى هَذَا الجَوابُ ، وَالخَضِرُ كَانَ في عَصْرِ مُوسى ؟ فإِن نُقِلَ أَنَّهُ كَانَ معهُ نَبِيٌّ آخَرَ قُبِلَ هذا الاحْتِمَالُ في الجَوابِ وإِلاّ فَلا[1] .

فإِن قِيلَ : إِنَّ يُوشَع بن نُون كان نَبِيّاً في زَمَنِ مُوسى . قِيلَ : هَذِهِ القَضِيَّةُ كَانَت قبلَ نُبُوَّتِهِ ؛ وَأَيضاً فهو كان مُصاحِباً لموسى وَمُرافِقَهُ حِينَ لَقِيا الخَضِرَ ، وهو الذي أَخْبَرَ موسى بِانْسِيَابِ الحُوتِ في البَحْرِ .

---

(١) قال الإمام الطبري [تاريخه ١/ ٣٦٦] : وقول الذي قال : إِنَّ الخضر كان في أَيّام أَفريدون وذي القرنين الأكبر وقبل موسى بن عمران ، أَشبه بالحقّ .
ثم قَالَ : وإِنَّما قولُنا : قول من قَالَ : كَانَ الخضر قبل موسى بن عمران ﷺ أَشبهَ بالحقِّ ، من القول الذي قاله ابن إِسحاق وحكاه عن وهب بن منبّه ، للخبر الذي رَوى عن رسول الله ﷺ أُبَيُّ بن كعب ، أَنَّ صاحِبَ موسى بن عمران ـ وهو العالم الذي أَمره اللهُ تَبارَكَ وتعالى بطَلَبِهِ ، إِذ ظنَّ أَن لا أَحَدَ في الأَرْضِ أَعلم منه ـ هو الخضر ؛ ورسول الله ﷺ كَانَ أَعلمَ خَلْقِ اللهِ بالكائن من الأُمورِ الماضِيَةِ ، والكائن منها الذي لَمْ يَكُنْ بعد .

● وَاخْتُلِفَ في كَوْنِهِ مُرْسَلاً ؛ فَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ : الخَضِرُ نَبِيٌّ ، بَعَثَهُ اللهُ بعد شُعيب ، وهو مُعَمَّرٌ ، مَحْجُوبٌ عن أَبْصَارِ أَكْثَرِ النّاسِ ؛ وقِيل : إِنَّهُ لا يَموتُ إلاّ في آخِرِ الزَّمانِ حِين يُرْفَعُ القُرْآنُ .

وَقِصَّتُهُ مع موسى في السَّفِينَةِ والغُلامِ والقَريَةِ طَويلَةٌ مَشهورَةٌ ، تَرَكْناها لِطُولِها واشْتِهارِها ؛ لَكِنْ قَالَ السُّهيلِيُّ : إِنَّ القَرْيَةَ بَرْقَة ، وقِيل غيرَ ذلك .

● **فائِدَةٌ**(١) : لَمّا حَانَ لموسى والخَضِرِ أَن يَتَفَرَّقَا ، قال له الخَضِرُ عَلَيهِ السَّلامُ : لَوْ صَبَرْتَ لأَتَيْتَ عَلَى أَلْفِ عَجَبٍ ، كُلُّ عَجَبٍ أَعْجَبُ مِمّا رَأَيْتَ ؛ فَبَكَى موسى عليهِ السَّلام على فِراقِهِ ؛ ثم قال موسى لِلخَضِرِ عليهما السَّلام : أَوْصِنِي يَا نَبِيَّ اللهِ ؛ فَقَالَ له الخَضِرُ : يَا موسى ، اجْعَلْ هَمَّكَ في مَعادِكَ ، وَلا تَخُضْ فِيما لا يَعْنِيكَ ، وَلا تَترِكِ الخَوْفَ في أَمْنِكَ ، وَلا تَيْأَسْ مِنَ الأَمْنِ في خَوْفِكَ ، وَتَدَبَّرِ الأُمُورَ في عَلانِيَتِك ، ولا تَذَرِ الإِحْسَانَ في قُدْرَتِكَ . فَقَالَ له موسى : زِدْنِي يا نَبِيَّ الله . فقال له الخَضِرُ : يا موسى ، إِيَّاكَ واللَّجاجَةَ ، وَلا تَمْشِ فِي غيرِ حَاجَةٍ ، وَلا تَضْحَكْ من غيرِ عَجَبٍ ، وَلا تُعَيِّرْ أَحَداً مِنَ الخَطّائِينَ بِخَطاياهُم بعد النَّدَمِ ، وابْكِ على خَطِيئَتِكَ يَا ابنَ عِمْرانَ .

فقال له موسى عليه السَّلام : قد أَبْلَغْتَ في الوَصِيَّةِ ، فَأَتَمَّ اللهُ عليكَ نِعْمَتَهُ ، وَعَمَّرَكَ في طَاعَتِه ، وَكَلأَكَ من عَدُوِّهِ .

فقالَ له الخَضِرُ عليه السَّلامُ : وَأَوْصِنِي أَنتَ . فقال له موسى : إِيّاكَ وَالغَضَبَ إلاّ فِي اللهِ ، وَلا تَرْضَ عَنْ أَحَدٍ إلاّ في اللهِ ، وَلا تُحِبَّ لِدُنْيَا ، وَلا تُبْغِضْ لِدُنْيَا ؛ فإِنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُ من الإِيْمانِ وَيُدْخِلُ في الكُفْرِ . فقال له الخَضِرُ : لَقَدْ أَبْلَغْتَ في الوَصِيَّةِ ، فَأَعانَكَ اللهُ عَلَى طاعَتِهِ ، وَأَراكَ السُّرُورَ في أَمْرِكَ ، وَحَبَّبَكَ إِلى خَلْقِهِ ، وَأَوْسَعَ عليكَ من فَضْلِهِ . فقال موسى عليه

---

(١) ترويح أُولي الدِّماثة ٢/ ٢١ ـ ٢٢ .

السَّلامُ : آمين . رواهُ السُّهيلِيُّ .

وقال البغوي : روى أن موسى لما أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له : أوصني . قال له : يا موسى ، لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به .

● **تَتِمَّةٌ** : في كتاب « الهَواتِفِ »[1] لأَبي بَكر ابن أَبي الدُّنْيَا : أَنَّ عليَّ بن أَبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه ، لَقِيَ الخَضِرَ عليه السَّلامُ ، وَعَلَّمَهُ هذا الدُّعَاءَ ، وَذَكَرَ فيه ثَواباً عَظِيماً وَرَحْمَةً ، لِمَنْ قَالَهُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ، وهو : يَا مَن لا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ، وَيَا مَنْ لا تُغَلِّطُهُ المَسَائِلُ ، وَيَا من لا يُبْرِمُهُ إِلْحاحُ المُلِحِّينَ ، أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلاوَةَ رَحْمَتِكَ .

وذكر[1] في « كِتابِهِ » أَيضاً عن عُمر رضي الله تعالى عنه ، في هذا الدُّعَاءِ بِعَيْنِهِ ، نحوَ مَا ذُكِرَ عن عَلِيٍّ رضي الله عنه في سَماعِهِ مِنَ الخَضِرِ عليه السَّلامُ .

عَجِيبَةٌ : رَوَى الإمام الحافظ أَبو بَكر الخَطِيب البَغداديّ في كِتابِهِ « المُتَّفق والمُفْترق » في ترجمةِ « أُسامَةَ بن زَيد التَّنوخيّ »[2] : أَنَّهُ وَلِيَ خَراجَ مِصْرَ لِلوَلِيدِ بن عبدِ المَلِكِ بن مَروان ، ولأَخِيهِ سُليمان ؛ وهو الذي بَنى مِقْيَاسَ النِّيْلِ العَتِيقِ الذي بَجَزِيرَةِ فُسْطاطِ مِصْرَ ، ذَكَرَهُ ابْنُ يُونس في « تاريخِهِ » .

ثم روى الخَطِيبُ في تَرجمَةِ أَسامَة هذا : أَنَّ صَنَماً كان بالإِسْكَنْدَرِيَّةِ يُقَالُ له : شَراحيل ، عَلَى حَشَفَةٍ من حَشَفِ البَحْرِ ، مُسْتَقْبلاً بِإِصْبَعٍ مِنْ أَصابعِ كَفِّهِ القُسْطَنطِينيَّةَ ، لا يُدْرَى أَكانَ مِمّا عَمِلَهُ سُلَيمان النَّبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَوِ الإِسْكَنْدَرُ ، تُصَادُ عندَه الحِيْتَانُ ، وَكانَتْ تَدُورُ حَولَهُ وَحَولَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ؛ وَكَانَ قَدَمُ الصَّنَمِ طُولَ قامَةِ الرَّجُلِ إِذا انْبَطَحَ وَمَدَّ يَدَيْهِ ، فَكَتَبَ أُسامَةُ بن زَيْدٍ ،

---

(١) الهواتف ٥٥ وترويح أُولي الدَّماثة ٢٢ ـ ٢٣ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٦٦ .

(٢) وحسن المحاضرة ١/ ٨١ والفضائل الباهرة ٦٠ والمقفى الكبير ٢/ ٣٨ .

وهُوَ عامِلُ مِصرَ لِلْوَلِيدِ بن عبدِ المَلِكِ : يَا أَميرَ المُؤمنين ، إِنَّ عِنْدَنَا بالإِسْكَنْدَرِيَّةِ صَنَماً يُقَال له شَراحيل ، وَهو مِن نُحاسٍ ، وَقد غَلَتْ عَلَينا الفُلُوسُ ؛ فإِنْ رَأَى أَميرُ المُؤْمِنِينَ أَنْ نُنْزِلَهُ وَنَجْعَلَهُ فُلُوساً فَعَلْنا ، وإِنْ رَأَى غير ذَلِكَ فَلْيَكْتُبْ إِلَينا بما نَعْتَمِدُهُ فِي أَمْرِهِ ؛ فَكَتَبَ إِلَيهِ : لا تُنْزِلْهُ حَتّى أَبْعَثَ إِلَيْكَ أُمَناءَ يَحْضُرونَهُ ؛ فَبَعَثَ إِلَيهِ رِجالاً أُمَناءَ ، فَأَنْزَلُوا الصَّنَمَ عَنِ الحَشَفَةِ ، فَوُجِدَتْ عَيْناهُ يَاقُوتَتَيْنِ حَمراوَينِ لَيسَ لهما قِيمَةٌ[1] ، فَضَرَبَهُ أُسامَةُ بن زَيدٍ فُلُوساً ؛ فانطلَقَتِ الحِيْتَانُ ولم تَرجِعْ إِلى ذَلِكَ المَكَانِ أَبَداً ، بعدَ أَن كانَت لا تُفارِقُهُ لَيلاً وَلا نَهاراً ، وتُصادُ بالأَيْدِي .

٢٤٧ الحُوشُ[2] : النَّعَمُ المُتَوَحِّشَةُ ، وَيُقال : إِنَّ الإِبِلَ الوَحْشِيَّةَ[3] ، مَنْسُوبَةٌ إِلى الحُوشِ ، وَهِيَ فُحُولُ جِنٍّ ، تَزْعُمُ العَرَبُ أَنَّها ضَرَبَتْ في نَعَمِ بعضِهِمْ ، فَنُسِبَتْ إِلَيْها .

٢٤٨ الحَوْصَلُ : طَائِرٌ كَبِيرٌ ، لَهُ حَوْصَلَةٌ عَظِيْمَةٌ يُتَّخَذُ منها الفَرْوُ ؛ جَمْعُهُ : حَواصِلُ .

قال ابنُ البِيْطَارِ[4] : وَهَذَا الطائِرُ يَكُونَ بِمصرَ كَثِيراً ، وَيُعْرَفُ بِالبَجَعِ ، وَجَمَلِ المَاءِ ، وَالكُيْ بِضَمِّ الكافِ وَسَكُونِ اليَاءِ المُثَناةِ من تَحت ؛ وهو صِنْفانِ أَبْيَضُ وَأَسْوَدُ ، فالأَسْوَدُ مِنْهُ كَرِيهُ الرَّائِحَةِ ، وَلاَ يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ ، وَالأَجْوَدُ الأَبْيَضُ ، وَحَرارَتُهُ قَلِيلَةٌ ، وَرُطُوبَتُهُ كَثِيرَةٌ ، وَهُوَ قَليلُ البَقَاءِ ، وَلُبْسُهُ يَصْلُحُ لِلشَّبابِ ، وَذَوِي الأَمْزِجَةِ الحَارَّةِ ، وَمَن تَغْلِبُ عليهِ الصَّفْراءُ . انتهى .

وَالمعروفُ خِلافُ مَا قَالَ ، وَأَنَّهُ أَشَدُّ حَرارَةً من فَرْوِ الثَّعْلَبِ .

---

(١) أَي : لا يمكن تقدير قيمتهما .

(٢) عن الصّحاح « حوش » ٣/ ١٠٠٣ .

(٣) كذا في الأُصول . والصّواب : الحُوشيّة .

(٤) مفردات ابن البيطار ٢/ ٤٣ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧١ .

وَالحَوْصَلَةُ والحَواصِلُ مِنَ الطائِرِ والظَّلِيمِ : بِمَنزِلَةِ المَعِدَةِ للإِنْسانِ .

وَحُكمه : الحِلُّ ، كَمَا جَزَمَ بِهِ الرَّافعيُّ وَغَيْرُهُ عُمُوماً .

فإن قِيلَ : لِمَ لا أَجْرى فِيهِ الوَجْهَ الذي في طَيْرِ المَاءِ ؟ فَالجَوابُ : إنَّ ذَلِكَ الوَجْهَ يَجْري في طَيْرٍ لا يُفارِقُ المَاءَ ، وَهَذَا يَأْلَفُهُ ثم يُفارِقُهُ ، فهو كَالإِوَزِّ البَلَدِيّ .

وَقد رَأَيْتُ منهُ بمَدِينةِ النَّبيِّ ﷺ واحِداً ، أَقَامَ بها أَعْواماً ، يَمْشِي في أَزِقَّتِها ، لَكِنَّ غالِبَ اقْتِيَاتِهِ في البَرِّ اللَّحْمُ وَفِي البَحْرِ السَّمَكُ .

٢٤٩ الحُلاّنُ : بِحَاءٍ مَضْمُومَةٍ ، بَعْدَها لامُ أَلِفٍ مُشَدَّدَةٌ ، ثم نُونٌ : هو الجَدْيُ يُوجَدُ في بَطْنِ أُمِّهِ .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : الحُلاّن والحُلاّم ، بِالنُّونِ والمِيمِ : صِغارُ الغَنَمِ .

وقال ابنُ السِّكِّيتِ : الحُلاّنُ : الذي يَصْلُحُ أَنْ يُذْبَحَ لِلنُّسُكِ .

● وفي الحديث[١] : « أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه قَضَى في أُمِّ حُبَيْنٍ يَقْتُلُها المُحْرِمُ بِحُلاّنٍ » .

● وَفِي حَديثٍ آخرَ[١] : « ذُبِحَ عُثْمانُ كَمَا يُذْبَحُ الحُلاّنُ » . أَي أَنَّ دَمَهُ أُطِلَّ كما أُطِلَّ دَمُ الحُلاّنِ .

وَحُكْمُهُ : سيأتي إن شاء الله تعالى .

٢٥٠ حَيْدَرَةُ : اسمٌ من أَسْماءِ الأَسَدِ .

● رَوَى « البُخاريُّ » وَ« مُسلم »[٢] عن سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ رَضِيَ الله تعالى

---

(١) عن النهاية ١/ ٤٣٥ .

(٢) البخاري ٤/ ٥ و ١٢ و ٢٠ و ٢٠٧ ومسلم (٢٤٠٤ ـ ٢٤٠٧) والتّرمذي (٣٧٢٤) وابن ماجه (١١٧) ومسند أحمد ٣/ ٦ وصحيح ابن حبان (٦٩٢٦) والمستدرك ٣/ ١٩٠ =

عنه ، قال : أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى عليّ بن أَبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه يومَ خَيْبَرَ ، وَهُوَ أَرْمَدُ ، فَقَالَ : « لأُعْطِيَنَّ الرّايَةَ غَداً رَجُلاً ، يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ » قالَ : فَأَتَيْتُ عَلِيّاً ، وَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ ، حتى أَتَيْتُ بِهِ النَّبيَّ ﷺ فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ ، فَبَرَأَ ، وَأَعْطَاهُ الرّايَةَ .

قال[1] : فَبَرَزَ مَرْحَبٌ وَهُوَ يَقُولُ : [من الرَّجز]

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرِّبُ

إذا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قال : فَبَرَزَ لهُ عليٌّ رضي الله عنه ، وهو يَقولُ : [من الرَّجز]

أَنا الذي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ كَلَيْثِ غاباتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَهْ

أَكِيلُهُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

وَضَرَبَ مَرْحَباً فَفَلَقَ رَأْسَهُ وَقَتَلَهُ ، وكان الفَتْحُ .

● قال السُّهيليُّ : ذَكَرَ قاسمُ بن ثابتٍ[2] في تَسْمِيَتِهِ حَيْدَرَةَ ، ثَلاثَةَ أَقْوالٍ : الأَوَّلُ : أَنَّ اسْمَهُ فِي الكُتُبِ القَدِيمَةِ : أَسَدٌ ، وَالأَسَدُ هُوَ حَيْدَرَةٌ .

وَالثاني : أَنَّ أُمَّهُ فاطمة بنتَ أَسَدٍ حِينَ وَلَدَتْهُ ، كَانَ أَبُوهُ غائِباً ، فَسَمَّتْهُ باسْمِ أَبِيها أَسَداً ، فَقَدِمَ أَبُوهُ فَسَمّاهُ عَلِيّاً .

وَالثّالِثُ : أَنَّهُ كَانَ يُلَقَّبُ فِي صِغَرِهِ بِحَيْدَرَةَ ؛ لأَنَّ الحَيْدَرَةَ المُمْتَلِىءُ

= وخصائص أمير المؤمنين ٤٩ ـ ٦١ ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٢٥ ـ ٣٢٨ .

(١) معجم الشعراء ١٣٠ وخزانة البغدادي ٦/ ٦٥ ـ ٦٧ ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٢٦ و ٢٣/ ٢١٦ ـ ٢١٧ وشرح أبيات المغني ٢/ ٢٥٥ واللسان « حدر » ٢/ ٨٠٣ ، و « سندر » ٣/ ٢١١٦ . وديوان الإمام علي ٢٣٦ ـ ٢٣٧ والسَّندرة : مكيالٌ .

(٢) في كتابه « الدَّلائل في غريب الحديث » ٢/ ٦٧٠ عن ابن قتيبة في غريب الحديث ٢/ ١٠١ ـ ١٠٢ . ونقل السُّهيلي في الروض الأُنف ٧/ ١٠٧ .

لَحْماً ، العَظِيمُ البَطْنِ ؛ وَكَذَلِكَ كَانَ عليٌّ رضي الله عنه ؛ ولذلك قال بعضُ اللُّصوصِ حِينَ فَرَّ مِنْ سِجْنِهِ الَّذِي سَمَّاهُ نافِعاً ، وَقِيلَ : يافِعاً باليَاءِ[1] : [من الوافر]

وَلَــوْ أَنِّــي مَكَثْــتُ لَهُــمْ قَلِيــلاً لَجَــرُّونِــي لِحَيْــدَرَةَ البَطِيــنِ[2]

وَكَانَ مَرْحَبُ قد رَأَى في المَنام ، كَأَنَّ أَسَداً افْتَرَسَهُ ؛ فأَرادَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه أَن يُذَكِّرَهُ أَنَّهُ هو الأَسَدُ الذِي يَقْتُلُهُ ، فَكَاشَفَهُ بذَلِكَ ؛ فَلَمّا سَمِعَ مَرْحَبُ قَولَه ، تَذَكَّرَ المَنامَ ، فَأُرْعِدَ ، فَقَتَلَهُ عليٌّ رضي الله تعالى عنه .

وَبِهَذَا يُسْتَدَلُّ عَلَى جوازِ المُبَارَزَةِ في الحَرْبِ ، بشَرْطِ أَن لا يَتَضَرَّرَ المُسلِمُونَ بِقَتْلِ المُبارِزِ ؛ فإِن طَلَبَها كافِرٌ اسْتُحِبَّ الخُرُوجُ إِلَيه .

● وَرَوَى « أَبو داود »[3] بإِسنادٍ صَحيحٍ ، عن عليٍّ رضيَ الله عنه ، أَنَّه قال :

لمّا كان يوم بَدْرٍ ، تَقَدَّمَ عُتْبَةُ بن رَبيعةَ بنَفْسِه ، وَتَبِعَهُ أَخُوهُ وابْنُهُ ، فَنَادَى : من يُبارِزُ ؟ فانْتَدَبَ إِلَيْهِ شُبَّانٌ من الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : مَن أَنْتُمْ ؟ فَأَخبروهُ ، فقال : لا حاجَةَ لَنَا فِيكم ، إِنَّما أَرَدْنا بَنِي عَمِّنا ؛ فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : « قُمْ يَا حَمْزَةُ ، قُمْ يَا عَلِيُّ ، قُم يَا عُبَيْدَةَ بن الحارِثِ » . فأَقْبَلَ حَمزَةُ عَلَى عُتْبَةَ بن رَبيعة ، وَأَقبلتُ أَنا إِلى أَخيهِ شَيْبَةَ ، وَأَقْبَلَ عُبَيْدَةُ إِلَى الوَلِيدِ بن عُتْبَةَ ، فاختلفَ بينَ عُتْبَةَ والوَلِيدِ ضَرْبَتانِ ، فَأَثْخَنَ كُلٌّ منهما صاحِبَهُ ، ثُمَّ مِلْنا إِلى الوَلِيدِ فَقَتَلْناهُ ، واحْتَمَلْنا عُبَيْدَةَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُخُّ ساقِهِ يَسِيلُ ، فَقَالَ : أَشَهِيدٌ أَنا

---

(١) البيت لشبيب بن كريب الطّائيّ ، في بيان الجاحظ ٣/ ٨٦ وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٦٣٠ وأشعار اللصوص ٥٩٨ .

(٢) في أ ، ب والمصادر : × . . . إلى شيخ بطينِ . والمثبت من ط ، ففيه موضع الشاهد .

(٣) أبو داود (٢٦٦٥) وأُسد الغابة ٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤ وسيرة ابن هشام ١/ ٦٢٥ .

يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : « نعم » . قال : وَدِدْتَ واللهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ حَيّاً ، لِيَعْلَمَ أَنَّنا أَحَقُّ مِنهُ بِقولِه[١] : [من الطَّويل]

وَنُسْلِمُــهُ حتّــى نُصَــرَّعَ حَــوْلَــهُ ... وَنَـذْهَـلَ عَـنْ أَبْنـائِنـا وَالحَـلائِلِ[٢]

ثم أنشَدَ يقول[٣] : [من الطَّويل]

فـإِنْ تَقْطَعُـوا رِجْلِـي فـإِنِّـي مُسْلِـمٌ ... أُرَجِّـي بِهـا عَيْشـاً مـنَ اللهِ عـالِيـا

وَأَلْبَسَنِـي الـرَّحْمَـنُ مِـنْ فَضْـلِ مَنِّـهِ ... لِباساً من الإِسْلاَمِ غَطّى المَساوِيا

● قال الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ عنه[٤] : وبارَزَ يومَ الخندقِ عَمرو بن عَبْدِ وُدٍّ ، لأَنَّهُ خَرَجَ يُنادِي : من يُبارِزُ ؟ فَقَامَ لَهُ عَليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه ، وَهُوَ مُقَنَّعٌ بالحَديدِ ، فَقَالَ : أَنَا لَهُ يا نَبِيَّ اللهِ . فَقَالَ : « إِنَّهُ عَمْرٌو ، اجْلِسْ » فَنادَى عَمرٌو : أَلا رَجُلٌ يُبارِزُ ؟ ثُمَّ جَعَلَ يُؤَنِّبُهم ، وَيَقُولُ : أَيْنَ جَنَّتُكُمُ التي تَزْعُمونَ أَنَّ مَن قُتِلَ منكم يَدْخُلُها ، أَفَلا يَبْرُزُ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْكم ؟ فَقَامَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه ، وَقَالَ : أَنا لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ . فَقَالَ له : « إِنَّهُ عَمْرٌو ، اجْلِسْ » فَنادَى الثّالِثَةَ ، وَذَكَرَ شِعْراً[٥] ، فَقَامَ عليٌّ ، وَقَالَ : أَنا لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « إِنَّهُ عَمرٌو » .

---

(١) ديوان أبي طالب ٧٤ و ١٩٣ (آل ياسين) و ١٢٤ (قرباني) .

(٢) روايته في ط : نكنفه . . . × .

(٣) من قصيدة في السيرة ٢/ ٢٣ ـ ٢٤ والبداية والنهاية ٥/ ٢٨١ .
قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشِّعر يُنكرها لعبيدة .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤ وزهر الآداب ٤٦ ومغازي الواقدي ٢/ ٤٧٠ ـ ٤٧١ والبداية والنهاية ٦/ ٤٣ .

(٥) قَال عمرو بن عبد ودّ :

وَلَقَــدْ بَحَحْــتُ مــن النِّــدا ... ءِ بجمعكــم : هــل مــن مُبــارِزْ

ووقفــتُ إذ جبــنَ المشجّــع ... مــوقــفَ القِــرْنِ المُنــاجِــزْ

وَكَــذاكَ إِنِّــي لَــمْ أَزَلْ ... مُتَسَــرِّعــاً قبــلَ الهــزاهِــزْ

إِنَّ الشَّجــاعــةَ فــي الفتــى ... والجــودَ مــن خيــرِ الغــرائِــزْ

قَالَ : وإن كَانَ عَمراً ؛ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

فَمَشَى إِلَيهِ حتى أَتاهُ ، فقال له عَمرٌو : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنا عليٌّ بن أَبي طَالِبٍ ، قَالَ : غَيْرُكَ يا ابنَ أَخِي أُرِيدُ مِنْ أَعْمامِكَ ، مَن هو أَسَنُّ مِنكَ ؛ فإِنِّي أَكْرَهُ أَن أُهْرِيقَ دَمَكَ . فَقَالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه : لَكِنِّي واللهِ لا أَكْرَهُ أَنْ أُهْرِيقَ دَمَكَ . فَغَضِبَ وَنَزَلَ عن فَرَسِهِ . وَسَلَّ سَيْفَهُ كَأَنَّهُ شُعْلَةُ نَارٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نحو عليٍّ رضي الله عنه مُغْضَباً ، فاسْتَقْبَلَهُ عليٌّ بَدَرَقَتِه ، فَضَرَبَهُ عَمْرٌو في الدَّرَقَةِ فَقَدَّها ، وَأَثْبَتَ فيها السَّيْفَ ، وَأَصَابَ رَأْسَ عليّ فَشَجَّهُ ؛ وَضَرَبَهُ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه على حَبْلِ عاتِقِهِ ، فَسَقَطَ قَتِيلاً ؛ وَثَارَ العَجاجُ ، وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ التَّكْبِيرَ ، فَعَرَفَ ﷺ أَنَّ عَلِيّاً قَتَلَهُ . ا هـ .

● وجاءَ في بَعضِ الرِّواياتِ : أَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عنه لَمَّا بَارَزَ عَمْراً ، قال رسُولُ اللهِ ﷺ : « اليَوْمَ بَرَزَ الإِيْمانُ كُلُّهُ للشِّرْكِ كُلِّهِ » .

وَكَانَ سَيْفُ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه يُقالُ له : ذُو الفَقَارِ ، لأَنَّهُ كَانَ في وَسَطِهِ مِثْلُ فَقَراتِ الظَّهْرِ ، وَكَانَ لِمُنَبِّه بنِ الحَجّاجِ ، سَلَبَهُ مِنهُ النَّبيُّ ﷺ يومَ بَدْرٍ ، وأَعْطَاهُ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عنه[1] ، وَكَانَ مِنْ حَدِيْدَةٍ وُجِدَتْ عِندَ الكَعْبَةِ مِن دَفْنِ جُرْهُم أَو غَيرهم ؛ وَكانَتْ صَمْصَامَةُ عَمرو بن مَعْدي كَربٍ مِنْ تِلْكَ الحَدِيدَةِ أَيْضاً .

● تَتِمَّةٌ : يَنْبَغِي لِمُقَدَّمِ العَسْكَرِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِصِفاتٍ مِن صِفاتِ الحَيوانِ ، فَيَكُونَ في قُوَّةِ القَلْبِ كَالأَسَدِ لا يَجْبُنُ ولا يَفِرُّ ، وَفِي الكِبْرِ كَالنَّمِرِ لا يَتواضَعُ لِلْعَدُوِّ ، وَفِي الشَّجاعَةِ كَالدُّبِّ يُقاتِلُ بِجَمِيعِ جَوارِحِهِ ، وَفِي الحَمْلَةِ كَالخِنْزِيرِ

---

(١) وكذا في المرصّع ٢٧٢ . وقال الزَّبيدي في تاج العروس ١٣/ ١٤٣ : هو سيف سليمان بن داود أَهدته بلقيس ، ثُمَّ وصل إلى العاص بن منبّه الذي قُتِلَ يوم بدر كافراً ، فصار إلى النَّبيِّ ﷺ . وثمة أَقوال أُخر تجدها في المناقب ٦٧ وحاشيته .

لا يُوَلِّي دُبُرَهُ إذا حَمَلَ ، وَفِي الغارَةِ كَالذِّئْبِ إذا يَئِسَ من وَجْهٍ أَغَارَ من وَجْهٍ ، وَفِي حَمْلِ السِّلاحِ كَالنَّمْلَةِ تَحْمِلُ أَضْعافَ وَزْنِ بَدَنِها ، وَفِي الثَّباتِ كَالحَجَرِ لا يَزُولُ عن مَكانِهِ ، وَفِي الوَفَاءِ كَالكَلْبِ لو دَخَلَ سَيِّدُهُ النَّارَ يَتْبَعُهُ ، وَفِي الصَّبْرِ كَالحِمارِ ، وَفِي الْتِماسِ الفُرْصَةِ كَالدِّيكِ ، وَفِي الحِرَاسَةِ كَالكُرْكِيِّ ، وَفِي التَّعَبِ كَاليَعَرِ ، وَهِيَ دُوَيْبَّةٌ تكون بِخُراسانَ تَسْمَنُ عَلَى التَّعَبِ والمَشَقَّةِ[1] .

٢٥١ الحَيْرَمَةُ : البَقَرَةُ ، وَالجَمْعُ : حَيْرَمٌ ؛ قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ[2] : [من الطويل]

تَبَـدَّلَ أُدْمـاً مِـنْ ظِبَـاءٍ وَحَيْـرَمـا

كَذَا أَنْشَدَهُ الجَوْهَرِيُّ .

٢٥٢ الحَيَّةُ : اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى ؛ فَإِنْ أَرَدْتَ التَّمييزَ ، قلتَ : هَذَا حَيَّةٌ ذَكَرٌ ، وَهَذِهِ حَيَّةٌ أُنْثَى ـ قَالَهُ المُبَرِّدُ في « الكامِلِ » ـ وإِنَّما دَخَلَتْهُ الهَاءُ ، لأَنَّهُ واحِدٌ من جنسٍ كَبَطَّةٍ وَدَجَاجَةٍ[3] .

على أَنَّهُ قد رُوِيَ عنْ بعضِ العربِ : رَأَيْتُ حَيّاً عَلَى حَيَّةٍ : أَي ذَكَراً عَلَى أُنثى ؛ وَفُلانٌ حَيَّةٌ ذَكَرٌ . وَالنِّسْبَةُ إِلى الحَيَّةِ : حَيَوِيٌّ .

وَالحَيُّوتُ : ذَكَرُ الحَيَّاتِ ، أَنْشَدَ الأَصْمَعِيُّ[4] : [من الرجز]

وَيَـأْكُـلُ الحَيَّـةَ والحَيُّـوتـا وَيَخْنُـقُ العَجُـوزَ أَوْ تَمُـوتـا

---

(١) هذا مأخوذٌ من قول عظماء الترك ، في : ثمار القلوب ١/ ٥٧٠ ـ ٥٧١ والتوفيق للتلفيق ٦١ وسراج الملوك ٢/ ٦٨٠ والتَّمثيل والمحاضرة ١٥٣ والحيوان ٢/ ٣٥٣ والمنتقى من مكارم الأخلاق ٢١٨ والفخري ٥٨ والمستطرف ٢/ ٥٩ .

(٢) عجز بيتٍ ضاع صدره وهو في ديوانه ١٤٢ والتاج « حرم » ٥/ ١٨٩٨ واللّسان والصحاح « حرم » . وأشارَ إليه ابن جنّيّ في الخصائص ٢/ ٢٣ .

(٣) كامل المبرّد ٣/ ١٤٧٧ .

(٤) الشّطران بلا نسبة في اللّسان « حيا » ٢/ ١٠٨١ ، والصّحاح ٦/ ٢٣٢٤ والجمهرة ١/ ٢٣١ والتاج ٢٥/ ٣٠٧ « دمق » و ٣٧/ ٥١٨ « حيا » .

وَذَكَرَ ابنُ خالَوَيْهِ لَها مِئَتَيْ اسْمٍ .

● وَنقَلَ السُّهَيلِيُّ عن المَسعوديِّ[1] : أَنَّ الله تعالى لمّا أَهْبَطَ الحَيَّةَ إِلى الأَرْضِ ، أَنْزَلَها بِسِجِسْتان ، فَهِيَ أَكْثَرُ أَرْضِ اللهِ حَيّاتٍ ، وَلَوْلا العِرْبَدُّ[2] يَأكُلُها وَيُفْنِي كَثِيراً مِنها لَخَلَتْ من أَهْلِها لِكَثْرَةِ الحَيّاتِ .

● وَقالَ كَعْبُ الأَحْبارِ[1] : أَهْبَطَ اللهُ تَعالَى الحَيَّةَ بأَصْبَهانَ ، وإِبْلِيسَ بجُدَّةَ ، وَحَوَّاءَ بعَرَفَةَ ، وآدَم بجَبَلِ سَرَنْدِيبَ ، وهو بأَعلى الصِّينِ في بحرِ الهِنْدِ ، عَالٍ ، يَراهُ البَحرِيُّونَ من مَسَافَةِ أَيّامٍ ، وَفِيهِ أَثَرُ قَدَمِ آدم عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَغْمُوسَةٌ في الحَجَرِ .

وَيُرى على هذا الجَبَلِ كُلَّ لَيْلَةٍ كَهَيْئَةِ البَرْقِ من غَيْرِ سَحابٍ ، وَلا بُدَّ لَهُ في كُلِّ يومٍ من مَطَرٍ يَغْسِلُ مَوْضِعَ قَدَمِ آدَمَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ .

وَيُقَالُ : إِنَّ اليَاقُوتَ الأَحْمَرَ يُوجَدُ عَلَى هَذَا الجَبَلِ ، فَتُحْدِرُهُ السُّيُولُ وَالأَمْطَارُ من ذُرْوَتِهِ إِلى الحَضِيضِ ؛ وَيُوجَدُ بِهِ المَاسُ أَيْضاً ، وَبِهِ يُوجَدُ العُودُ . كَذَا قَالَهُ « القَزوِينيّ »[3] .

قلت : وهو قَرِيبٌ من جَبَلٍ يُقَالُ له : ساتِيْدَما بِكَسْرِ المُثَنَّاةِ من فَوْقٍ ، بعدَها يَاءٌ مُثَنّاةٌ من تَحْتٍ ، وَدالٌ مُهملَةٌ ، وَمِيمٌ وَأَلِفٌ ؛ وَهُوَ مُتَّصِلٌ من بَحْرِ الرُّومِ إِلى بَحْرِ الهِنْدِ ، لَيْسَ يَأْتِي يَوْمٌ من الدَّهْرِ إِلاّ وَيُسْفَكُ عَلَيْهِ دَمٌ ، فَسُمِّيَ ساتِيْدَما لذلكَ .

وَكَانَ قَيْصَرُ قد غزَا كِسْرَى وَأَتَى بِلادَهُ [على غِرَّةٍ] ، فَاحْتَالَ لَهُ حَتَّى

---

(١) مروج الذهب ١/٣٧ و ٢٣٥ وحيوان الجاحظ ٤/١٦٨ وعيون الأخبار ١/٢٢٠ وثمار القلوب ٢/٦٢٦ .

(٢) العِرْبَدُّ : حيَّةٌ تنفخ ولا تؤذي . (الصحاح « عربد » ٢/٥٠٨) .

(٣) عجائب المخلوقات ١١٦ .

انصرَفَ عنْهُ ، فاتَّبَعَهُ كِسْرَى في جُنُودِهِ فَأَدْرَكَهُ بساتِيْدَما ، فانْهَزَمَ أَصْحَابُ قَيْصَر مَرْعُوبِينَ من غيرِ قِتالٍ ، فَقَتَلَهم كِسْرَى قَتْلَ الكِلابِ ، وَنَجا قَيْصَرُ وَلَمْ يُدْرِكْهُ . كَذَا حَكَاهُ البَكْرِيُّ في « مُعْجَمِهِ »[1] .

وَذَكَرَهُ الجَوْهَرِيُّ نَقْلاً عَنْ سِيبويه كَذَلِكَ ؛ وَأَنشدوا على ذلكَ[2] : [من السريع]

لَمَّا رَأَتْ ساتِيْدَما اسْتَعْبَرَتْ ... للهِ دَرُّ - اليَوْمَ - مَنْ لامَها

وَالحَيَّةُ أَنواعٌ : منها الرَّقْشَاءُ ، وهي التي فِيها نُقَطٌ سُودٌ وَبِيْضٌ ، وَيُقالُ لَهَا : الرَّقْطَاءُ أَيضاً ، وهي من أَخْبَثِ الأَفاعِي ؛ قَالَ النَّابِغَةُ في وَصْفِ السَّلِيْمِ[3] : [من الطويل]

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيْلَةٌ ... مِنَ الرُّقْشِ في أَنْيَابِها السُّمُّ ناقِعُ

تَنَاذَرَها الرَّاقُونَ من سُوءِ سُمِّها ... فَتُطْلِقُهُ يَوْماً وَيَوْماً تُراجِعُ[4]

يُسَهَّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمامِ سَلِيْمُها ... لِحَلْيِ النِّسَاءِ في يَدَيْهِ قَعاقِعُ

وقالَ غيرُه[5] : [من الطَّويل]

هُمُ أَيْقَظُوا رُقْطَ الأَفاعِي وَنَبَّهوا ... عقارِبَ لَيْلٍ نَامَ عَنْها حُواتُها

وَهُمْ نَقَلُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفُهْ بِهِ ... وَمَا آفَةُ الأَخْبَارِ إِلاّ رُواتُها

وَتَزْعُمُ الأَعْرابُ أَنَّ الأَفاعِي صُمٌّ ، وَكَذَلِكَ النَّعامُ .

● قال نَصْرُ بنُ عَليّ الجَهْضَمِيُّ[6] : دَخَلْتُ على المُتَوَكِّلِ ، فإذا هُوَ يَمْدَحُ

---

(١) معجم ما استعجم ٣/ ٧١١ والزيادة منه ، ومعجم البلدان ٣/ ١٦٨ .

(٢) البيت لعمرو بن قميئة ، في ديوانه ١٨٢ .

(٣) ديوان النابغة الذبيانيّ ٤٦ ـ ٤٧ .

(٤) في ط : . . . من شرِّ سمِّها × .

(٥) البيتان للشريف الرضي ، في ديوانه ١/ ٢١٢ .

(٦) في الأصول : عليّ بن نصر . . . ! . والخبر والبيتان في تاريخ بغداد ١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١ ، =

الرِّفْقَ ، فَأَكْثَرَ ، فَقُلْتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، أَنْشَدَنِي الأَصمعِيُّ : [من السريع]

لَـمْ أَرَ مِثْـلَ الـرِّفْـقِ فِـي لِيْنِـهِ أَخْـرَجَ لِلْعَـذْرَاءِ مِـنْ خِـدْرِهـا

مَـنْ يَسْتَعِـنْ بِـالـرِّفْـقِ فـي أَمْـرِهِ يَسْتَخْـرِجِ الحَيَّـةَ مِـنْ جُحْـرِهـا

فَقَالَ : يَا غُلامُ ، الدَّواةَ والقِرْطَاسَ ؛ فَأُتِيَ بِهِما ، فَكَتَبَهُما ، وَأَمَرَ لِي بِجائِزَةٍ سَنِيَّةٍ .

● وَقَالَ أَبو بَكرٍ ابن أَبي داود[١] : كان المُستعِينُ بِاللهِ بَعَثَ إِلى نَصْرِ بن عليٍّ يُشْخِصُهُ لِلْقَضَاءِ ، فَدَعاهُ عبدُ المَلِكِ أَميرُ البَصْرَةِ وَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : أَرجعُ فَأَستخيرُ اللهَ ؛ فَرَجَعَ إِلى بَيْتِهِ ، فَصَلّى رَكعتينِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ ، إِنْ كَانَ لِي عِندَكَ خَيْرٌ فاقْبِضْنِي إِلَيْكَ ؛ وَنَامَ ، فَنَبَّهُوهُ فإِذا هُوَ مَيِّتٌ ؛ وَذَلِكَ في شَهْرِ رَبيعٍ الآخرِ سنة خَمسِينَ ومِئتينِ[٢] .

● وَمِنْ أَنْواعِها : **الأَزْعَرُ** ، وهو غَالِبٌ فِيها ؛ وَمِنها **مَا هُوَ أَزَبُّ ذُو شَعْرٍ** ؛ ومنها **ذَواتُ القُرُونِ** ، وَأَرسْطُو يُنْكِرُ ذَلِكَ . قَالَ الراجِزُ[٣] : [من الرجز]

وَذَاتُ قَـرْنَيْـنِ طَحُـونُ الضِّـرْسِ تَنْهَـسُ لَـوْ تَمَكَّنَـتْ مِـنْ نَهْـسِ

تُـدِيـرُ عَيْنـاً كَشِهـابِ القَبْـسِ

ومنها **الشُّجاع** ، وسيأْتي في « بابِ الشِّينِ المُعجمَةِ » .

ومنها **العِرْبَدُ** ، وَهِيَ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ تأْكلُ الحَيّاتِ كَما تَقدَّمَ .

وَمِنْها **الأَصَلَةُ**، وَهُوَ عَظِيمٌ جِدّاً، لَهُ وَجْهٌ كَوَجْهِ الإِنْسَانِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ يَصِيرُ كَذَلِكَ إِذا مَرَّت عَلَيهِ أُلوفٌ من السِّنين ، وَمن خاصِّيَّةِ هَذَا أَنْ يَقتلَ بِالنَّظَرِ أَيضاً .

= وتهذيب الكمال ٢٩/ ٣٥٩ ، وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ١٣٤ .

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٣٩٢ وتهذيب الكمال ٢٩/ ٣٦٠ ـ ٣٦١ وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ١٣٦ وتاريخ الإِسلام ٥٠٨ [وفيات ٢٤١ ـ ٢٥٠] .

(٢) ترجمته في المصادر السابقة .

(٣) الشَّطران الأَوّل والثالث ، ضمن ستّة أَشطار ، بلا نسبة في حيوان الجاحظ ٤/ ٢٦٤ .

وَمِنْها **الصِّلُّ** ، وَتُسَمَّى المَلِكَةُ ، لأَنَّها مُكَلَّلَةُ الرَّأْسِ ، وَقِيلَ : الصِّلُّ الأَوَّلُ ، وهذه المُكَلَّلَةُ ، وَهِيَ شَدِيدَةُ الفَسَادِ ، تَحرِقُ كُلَّ مَا مَرَّتْ عليهِ ، وَلا يَنْبُتُ حَوْلَ جُحْرِها شَيْءٌ مِنَ الزَّرْعِ أَصْلاً ، وإِذا حاذَى مَسْكَنَها طائِرٌ سَقَطَ ، وَلاَ يَمُرُّ حَيْوانٌ بِقُرْبِها إلاَّ هَلَكَ ، وَتَقْتُلُ بِصَفِيْرِها عَلَى غُلْوَةِ سَهْمٍ ؛ وَمَن وَقَعَ عليهِ بَصَرُها وَلَو من بُعْدٍ مَاتَ ، وَمَنْ نَهَشَتْهُ مَاتَ فِي الحَالِ ؛ وَضَرَبَها فَارِسٌ بِرُمْحِهِ ، فَمَاتَ هُوَ وَفَرَسُهُ ؛ وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِبِلادِ التُّرْكِ .

وَمِنْها **ذُو الطُّفْيَتَيْنِ والأَبْتَرُ** ؛ وَفِي « الصَّحيحين »[1] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « اقْتُلوهُما ، فإِنَّهُما يَلْتَمِسَانِ البَصَرَ ، وَيَسْتَسْقِطَانِ الحَبَالَى » .

قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَنَرَى ذَلِكَ من سُمِّها ؛ وَسيأتي بَيَانُ هَذَا الحَدِيثِ في « بابِ الطّاءِ » إن شاء الله تعالى .

ومنها **النَّاظِرُ** ، متى وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى إِنسَانٍ ؛ مَاتَ الإِنسَانُ من سَاعَتِهِ .

ومنها **نَوْعٌ آخَرُ** ، **إذا سَمِعَ الإِنْسَانُ صَوْتَهُ مَاتَ** .

● ومن أَسماءِ الحَيَّةِ : العَيْمُ ، والعَيْنُ ، والصِّمُّ ، وَالأَزْعَرُ ، وَالأَبْتَرُ ، وَالنَّاشِرُ ، وَالأَيْنُ ، وَالأَرْقَمُ ، وَالأَصَلَةُ ، وَالجانُّ ، وَالثُّعْبانُ ، والشُّجاعُ ، وَالأَزَبُّ ، وَالأَفْعى ، وَالأُفْعوانُ ـ وَهُوَ الذَّكَرُ من الأَفاعي ، كَمَا تَقَدَّمَ ـ وَالأَرْقَشُ ، وَالأَرْقَطُ ، وَالصِّلُّ ، وَذو الطُّفْيَتَيْنِ ، وَالعِرْبَدُّ[2] .

● قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ[3] : ويُقالُ لِلحَيَّةِ : أَبُو البَخْتَرِيّ ، وَأَبُو الرَّبيع ، وَأَبُو عُثمانَ ، وَأَبُو القاضِي ، وَأَبُو مَذْعُورٍ ، وَأَبُو وَثّابٍ ، وَأَبُو يَقْظَانَ ، وَأُمُّ طَبَقٍ ،

---

(١) البخاري ٤/ ٩٨ و ٩٩ ومسلم (٢٢٣٢ و ٢٢٣٣) وأبو داود (٥٢٥٢) والترمذيّ (١٤٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٥) .

(٢) للاستزادة ينظر المخصص ٨/ ١٠٦ وما بعد .

(٣) المرصّع : ٨٧ و١٨٢ و٢٣٩ و٢٧٣ و٣٠١ و٣٣٧ و٣٥٠ و٢٤٣ و٢٤٤ و٢٦٧ و٣٠٥ و٢٣٤ .

وَأَمُّ عافِيَةٍ ، وَأُمُّ عُثمان ، وأُمُّ الفَتْحِ ، وَأُمُّ مَحْبُوبٍ ، وَبَناتُ طَبَقٍ .

وَالحَيَّةُ الصَّمّاءُ : وَهِيَ الشَّدِيْدَةُ الشَّرِّ ؛ قَالَ عَمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه[1] : [من الرجز]

إذا تَخازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرْ ثُمَّ كَسَرْتُ الطَّرْفَ مِن غَيْرِ عَوَرْ
أَلْفَيْتَنِي أَلْوَى بَعِيدَ المُسْتَمَرْ أَحْمِلُ مَا حُمِّلْتُ مِن خَيْرٍ وَشَرْ
كَالحَيَّةِ الصَّمّاءِ في أَصْلِ الشَّجَرْ

وَالصِّمَّةُ : الذَّكَرُ من الحَيّاتِ ، وَجَمْعُهُ صِمَمٌ ؛ وَبِهِ سُمِّيَ والِدُ دُرَيْدِ بن الصِّمَّةِ[2] .

● وَزَعَمَ[3] أَهْلُ الكَلامِ فِي طَبائِعِ الحيوانِ : أَنَّ الحَيَّةَ تَعِيشُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَهِيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ تَسْلَخُ جِلْدَها ، وَتَبِيضُ ثلاثِينَ بَيْضَةً عَلَى عَدَدِ أَضْلاعِها ، فَيَجتمِعُ عليها النَّمْلُ فيفسدُ غَالِبَ بَيْضِها وَلا يصلحُ مِنه إلاّ القَلِيلُ ، وَإِنْ لَدَغَها العَقْرَبُ مَاتَتْ .

---

(١) قال البكري في سمط اللآلي ١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ : هذا الرجز لأرطاة بن سُهَيَّة . . . وبعض النّاس يرويها لأبي غطفان الصّاردي ؛ ومَن قالَ : إنَّها لعمرو بن العاص فقد أخطأ ، وإنَّما قالها عمرو متمثّلاً .
قلت : الأشطار لعمرو بن العاص ، في : وفيات الأعيان ٦/ ٨٣ ، ووقعة صفين ٣٧٠ ، وشرح نهج البلاغة ٨/ ٤٦ . ولأرطاة بن سهيّة ، في : سمط اللآلي ١/ ٢٩٩ وفصل المقال ١٣١ .
وفي الاقتضاب ٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ لعمرو أو لأرطاة .
وفي جمهرة الأمثال للعسكري ١/ ٣٣ لطفيل الغنوي ، وهي في ديوانه ١٤٣ . ونسب الزّمخشري الشطر الأول في الأساس « خزر » إلى العجاج .
وبلا نسبة في أمالي القالي ١/ ٩٦ وحيوان الجاحظ ١/ ٢٨٠ والمخصص ١٤/ ١٨٠ .
(٢) عن الصّحاح « صمم » ٥/ ١٩٦٨ .
(٣) عجائب المخلوقات ٢٩٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٠٥ .

ومِن أَنْواعِها **الحَرِيشُ** ، وَقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ؛ وَشَرُّها **الأَفاعِي** ، وَمَسْكَنُها الرِّمالُ .

وَبَيْضُ الحَيّاتِ مُستطِيلٌ ، وَهُوَ كَدِرُ اللَّوْنِ ، وَأَخْضَرُ ، وَأَسْوَدُ ، وَأَبْيَضُ ، وَأَرْقَطُ ؛ وَفِي بَيْضِهِ نَمَشٌ وَلُمَعٌ ؛ وَالسَّبَبُ في اخْتِلافِ ذَلِكَ لا يُعْرَفُ ، وَداخِلُهُ شَيْءٌ كَالصَّدِيدِ ، وَهُوَ فِي جَوْفِها مُنَضَّدٌ طُولاً ، عَلَى خَطٍّ واحِدٍ .

وَليسَ لِلحَيّاتِ سِفادٌ يُعْرَفُ ، وَإِنَّما هُوَ الْتِوَاءُ بَعْضِها عَلَى بَعْضٍ .

وَلِسَانُها مَشْقُوقٌ ، فَيَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لَهَا لِسَانَيْنِ .

وَتُوصَفُ بِالنَّهَمِ والشَّرَهِ ، لأَنَّها تَبْتَلِعُ الفِراخَ مِن غيرِ مَضْغٍ ، كَمَا يَفعلُ الأَسَدُ .

وَمِنْ[1] شَأْنِها أَنَّها إِذا ابْتَلَعَتْ شَيْئاً له عَظْمٌ ، أَتَتْ شَجَرَةً أَو نَحوها ، فَتَلْتَوِي عليها الْتِوَاءً شَدِيداً ، حَتَّى يَتَكَسَّرَ ذَلِكَ في جَوْفِها .

ومن عَادَتِها أَنَّها إِذا نَهَشَتْ انْقَلَبَتْ ، فَيَتَوَهَّمُ بعضُ النّاسِ أَنَّها فَعَلَتْ ذَلِكَ لِتُفْرِغَ سُمَّها ، وليسَ كذلك .

ومن شَأْنِها أَنَّها إِذا لم تَجِدْ طَعاماً ، عاشَتْ بِالنَّسِيمِ وَتَقْتَاتُ بِهِ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ ، وَتَبْلُغُ الجَهْدَ مِنَ الجُوعِ ، فَلا تَأْكُلُ إِلاّ لَحمَ الشَّيْءِ الحَيِّ ؛ وَهِيَ إِذا كَبِرَتْ صَغُرَ جِسْمُها ، واقْتَنَعَتْ بِالنَّسِيمِ ، وَلَمْ تَشْتَهِ الطَّعامَ .

ومن غَرِيبِ أَمْرِها ، أَنَّها لا تُرِيدُ المَاءَ وَلا تَرِدُهُ ، إِلاَّ أَنَّها لا تَضْبِطُ نَفْسَها عن الشَّرابِ إِذَا شَمَّتْهُ ، لِما في طَبْعِها مِنَ الشَّوْقِ إِلَيْهِ ، فَهِيَ إِذا وَجَدَتْهُ شَرِبَتْ مِنهُ حَتّى تَسْكَرَ ، وَرُبَّما كَانَ السُّكْرُ سَبَبَ هَلاكِها .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩١ .

وَالذَّكَرُ لا يُقِيمُ بِمَوضِعٍ واحِدٍ ، وإِنَّما تُقِيمُ الأُنْثَى عَلَى بَيْضِها حَتَّى تَخْرُجَ فِراخُها ، وتَقْوَى عَلَى الكَسْبِ ، ثُمَّ تَخْرُجُ هِيَ سَائِرَةً ؛ فَإِنْ وَجَدَتْ جُحْراً انْسَابَتْ فِيهِ .

وَعَيْنُها لا تَدُورُ في رَأْسِها ، كَأَنَّها مِسْمَارٌ مَضْرُوبٌ في رَأْسِها ، وَكَذَلِكَ عينُ الجَرادِ ؛ وَإِذا قُلِعَتْ عادَت ؛ وَكَذَلِكَ نَابُها إِذا قُلِعَ عَادَ بعد ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، وَكَذَلِكَ ذَنَبُها إِذا قُطِعَ نَبَتَ .

ومن عَجِيبِ أَمْرِها أَنَّها تَهْرُبُ مِنَ الرَّجُلِ العُرْيَانِ ، وَتَفْرَحُ بالنّارِ وَتَطْلُبُها ، وَتَتَعَجَّبُ من أَمْرِها ؛ وَتُحِبُّ اللَّبَنَ حُبّاً شَدِيداً ؛ وإِذا ضُرِبَتْ بِسَوْطٍ مَسَّهُ عَرَقُ الخَيْلِ مَاتَتْ ؛ وَتُذْبَحُ فَتَبْقَى أَيّاماً لا تَمُوتُ .

وَقد تَقَدَّمَ أَنَّها[1] إذا عَمِيَتْ وَخَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ لا تُبْصِرُ ، طَلَبَتِ الرّازْيانِجَ الأَخْضَرَ ، فَتَحُكُّ بِهِ بَصَرَها فَتُبْصِرُ ؛ فَسُبحانَ من قَدَّرَ فَهَدى ؛ قَدَّرَ عليها العَمى ، وَهَداها إِلى مَا يُزِيلُهُ عنها .

وَلَيسَ شَيءٌ فِي الأَرْضِ مِثلُ الحَيَّةِ ، إِلاّ وَجِسْمُ الحَيَّةِ أَقْوَى مِنهُ ، وَلِذَلِكَ إِذا أَدْخَلَتْ صَدْرَها في جُحْرٍ أَوْ صَدْعٍ ؛ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ إِخْراجَها مِنهُ ، وَرُبَّما تَقَطَّعَتْ وَلا تَخْرُجُ ، وَلَيْسَ لها قَوائِمُ وَلا أَظْفَارٌ تَتشَبَّثُ بِها ، وَإِنَّما قَوِيَ ظَهْرُها هَذِهِ القُوَّةَ لِكَثْرَةِ أَضْلاعِها ؛ فإِنَّ لَهَا ثَلاثِينَ ضِلْعاً .

وَإِذا مَشَتْ مَشَتْ عَلى بَطْنِها ، فَتَدَافَعَ أَجْزاؤُها ، وَتَسْعَى بِذَلِكَ الدَّفْعِ الشَّدِيدِ .

وَالحَيَّاتُ في أَصلِ الطَّبعِ مَائِيَّةٌ ، وَتَعِيشُ في البَحْرِ بعدَ أَن كَانَت بَرِّيَّةً ، وَفِي البَرِّ بعدَ أَن كَانَت بَحْرِيَّةً .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٩ .

● قَالَ الجاحظُ[1] : الحَيّاتُ ثَلاثَةُ أَنْواعٍ : نَوْعٌ منها لا يَنْفَعُ لِلَسْعَتِهِ تِرْيَاقٌ وَلا غَيْرُهُ ، كَالثُّعبانِ والأَفْعَى وَالحَيَّةِ الهِنْدِيَّةِ ؛ وَنَوْعٌ منها يَنْفَعُ في لَسْعَتِهِ الدِّرْيَاقُ ؛ وَمَا كَانَ سِواهُما مِمَّا يَقْتُلُ ، فإِنَّما يَقْتُلُ بواسِطَةِ الفَزَعِ .

كَمَا[1] حُكِيَ أَنَّ شَخْصاً نَامَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَتَدَلَّتْ عليهِ حَيَّةٌ ، فَعَضَّتْ رَأْسَهُ ، فَانْتَبَهَ مُحْمَرَّ الوَجْهِ ، وَحَكَّ رَأْسَهُ ، وَتَلَفَّتَ فَلَمْ يَرَ أَحَداً ، فَلَمْ يَرْتَبْ بِشَيءٍ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ وَنَامَ .

فلمّا كان بعد ذلكَ بِمُدَّةٍ قال له بعضُ منْ رَآها : هل عَلِمْتَ مِمَّ كان انْتِبَاهُكَ تحتَ الشَّجَرَةِ ؟ قَالَ : لا واللهِ مَا عَلِمْتُ . قَالَ : إِنَّما كَانَ من حَيَّةٍ تَدَلَّتْ عليك فَعَضَّتْ رَأْسَكَ ، فَلَمَّا قُمْتَ فَزِعاً تَقَلَّصَتْ ؛ فَفَزِعَ فَزْعَةً فاضَتْ فِيها نَفْسُهُ .

قَالَ : فَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الفَزَعَ هُوَ الَّذِي هَيَّجَ السُّمَّ ، وَفَتَحَ مَسَامَّ البَدَنِ ، حَتَّى مَشَى السُّمُّ فِيهِ . ا هـ .

● فائِدَةٌ : فِي « النَّصائح » لابنِ ظَفَر[2] : أَنَّ خالِدَ بن الوَلِيد رضي الله تعالى عنه ، لَمَّا تَحَصَّنَ منهُ أَهْلُ الحِيْرَةِ بالقَصْرِ الأَبْيَضِ وَغَيره مِنْ حُصُونِهِم ، وَنَزَلَ بالنَّجَفِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيهم أَنِ ابْعَثُوا إِليَّ رَجُلاً من عُقَلائِكُم ؛ فَأَرسلوا إِلَيهِ عبدَ المَسِيحِ بن عَمرو بن قَيْس بن حَيّانَ بن بُقَيْلَةَ الغَسانِيّ ، وَكَانَ مِنَ المُعَمَّرِينَ ، عُمِّرَ أَكْثَرَ من ثلاثمئةٍ وَخمسِينَ سنةً ، فَقَاوَلَهُ المُقَاوَلَةَ المَشْهُورَةَ ، وَكَانَ فِي يَدِ عبدِ المَسيحِ قارُورَةٌ يُقَلِّبُها ؛ فَقَالَ لَهُ خالِدٌ : مَا الذي في هَذِهِ القارُورَةِ ؟ قَالَ : سُمُّ سَاعَةٍ . قَالَ : مَا تَصنعُ به ؟ قال : إِن وَجَدْتُ عِندَكَ مَا أُحِبُّهُ لِقَوْمِي وَأَهْلِ بَلَدِي ، حَمَدتُ اللهَ وَقَبِلْتُهُ ؛ وإِنْ لَمْ أَجِدْ ذَلِكَ شَرِبْتُهُ

---

(١) الحيوان ٤/ ١٢١ ـ ١٢٢ وفيه نقصٌ عمّا هنا .

(٢) الأغاني ١٦/ ١٩٥ وأمالي المرتضى ١/ ٢٦٠ والتذكرة الحمدونية ٦/ ٣٩ والروض المعطار ٢٠٨ .

وَقَتَلْتُ نَفْسِي بِهِ ، وَلم أَرْجِعْ إِلى قَوْمِي بِمَا يَسُوؤُهُم ؛ فَقَالَ خالِدٌ رَضِيَ اللهُ عنه : هاتِها ؛ فَنَاوَلَهُ القارُورَةَ ، فَأَفْرَغَها خالِدٌ في راحَتِهِ ، وَقَالَ : بسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ ، بسمِ اللهِ وباللهِ ، بِسْمِ الله رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، بسمِ الله الذِي لا يَضُرُّ مَع اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ؛ ثُمَّ شَرِبَهُ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّهُ شَرِبَ عَلَيهِ مَاءً ، فَضَرَبَ بِذَقْنِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، وَغَشِيَهُ عَرَقٌ ، ثُمَّ سُرِّيَ عنهُ ، فانصَرَفَ عَبدُ المَسِيحِ إِلى قَوْمِهِ ، وَكَانُوا نَصَارَى نِسْطورِيَّة إِلاَّ أَنَّهُم عَرَبٌ ؛ فقالَ لهم : جِئْتُكُمْ من عندِ رَجُلٍ شَرِبَ سُمَّ ساعَةٍ فَلَمْ يَضُرَّهُ ؛ فَأَعْطُوهُ مَا سَأَلَكُمْ ، وَأَخْرجوهُ من أَرضِكُم راضِياً ، فَهَؤُلاءِ قَوْمٌ مَصنوعٌ لهم ، وَسَيَكُونُ لهم شَأْنٌ عَظِيمٌ .

فَصَالَحوهُ عَلَى ثَمانِين أَلفِ درهمٍ فِضَّةً . انتهى .

وقال بعضُهم : إِنَّ سُمَّ ساعَةٍ لا يَكُونُ إِلاَّ مِنَ الحَيَّةِ الهِنْدِيَّةِ ، وَلا يَنْفَعُ فِيها دِرْيَاقٌ وَلا غَيْرُهُ .

● وفي « النّصائِح » أَيضاً : أَنَّ أَمَةً لأَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قَالَت لهُ : من أَيِّ جِنْسٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنا آدَمِيٌّ مِثْلُكَ . قَالَت : كَيْفَ تَكُونُ آدمِيًّا ، وَقَدْ أَطْعَمْتُكَ السُّمَّ أَرْبَعِينَ يَوْماً فَمَا ضَرَّكَ ؟ فَقَالَ لَها : أَما عَلِمْتِ أَنَّ الذَّاكِرِينَ اللهَ تعالى لا يَضُرُّهُمْ شَيْءٌ ؟ وإِنِّي كنتُ أذكرُ اللهَ باسْمِهِ الأَعْظَمِ ؛ قالت : وما هو ؟ قال : بسمِ اللهِ الذي لا يَضُرُّ مع اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهو السَّمِيعُ العَلِيمُ .

ثم قال : ما الذي حَمَلَكَ على ذَلِكَ ؟ قالت : بُغْضُكَ . قال : أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعالَى ، وَأَنْتِ فِي حِلٍّ مِمَّا صَنَعْتِ . انتهى .

● **عَجِيبَةٌ** : ذَكَرَ القُرطبيُّ[1] في تَفسِيرِ « سُورَةِ غافِرٍ » عن ثور بن يَزيد ،

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ . وهذا من الأباطيل .

عن خالِد بن مَعْدانَ ، عن كَعْبِ الأَحبارِ ، أَنَّهُ قال : لَمَّا خَلَقَ اللهُ تعالَى العَرْشَ ، قَالَ : لم يَخْلُقِ اللهُ تَعالَى خَلْقاً أَعْظَمَ مِنِّي ؛ وَاهْتَزَّ تعاظُماً ، فَطَوَّقَهُ اللهُ تَعالَى بِحَيَّةٍ لها سَبْعُونَ أَلْف جَناحٍ ، في كلِّ جناحٍ سبعون أَلف ريشةٍ ، في كلِّ ريشةٍ سَبعون أَلف وَجْه ، في كلِّ وجهٍ سَبعون ألف فَمٍ ، فِي كُلِّ فَمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ لِسانٍ ، يَخرجُ من أَفْواهِها كلَّ يومٍ من التَّسبيحِ عَدَدَ قَطْرِ المَطَرِ ، وَعَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَعَدَدَ الحَصَا وَالثَّرَى ، وَعَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيا ، وَعَدَدَ المَلائِكَةِ أَجمعِينَ ؛ فَالْتَوَتِ الحَيَّةُ عَلَى العَرْشِ ، فَالعَرْشُ إِلى نِصْفِ الحَيَّةِ وَهِيَ مُلْتَوِيَةٌ عليهِ ، فَتَواضَعَ عندَ ذَلِكَ . انتهى .

● وَرُوِيَ[1] أَنَّ الرَّشِيدَ نَامَ ليلَةً ، فَسَمِعَ قائِلاً يَقُولُ : [من مجزوء الكامل]

يَـــا راقِـــدُ اللَّيْـــلِ انْتَبِـــهْ   إِنَّ الخُطُـــوبَ لَهَـــا سُـــرى
ثِقَـــةُ الفَتَـــى مِـــن نَفْسِـــهِ   ثِقَـــةٌ مُحَلَّلَـــةُ العُـــرَى

فَاسْتَيْقَظَ ، فَوَجَدَ المَصَابِيحَ قَدْ طُفِئَتْ ؛ فَأَمَرَ بِالشُّمُوعِ فَأُوْقِدَتْ ، وَنَظَرَ فإِذا حَيَّةٌ بِقُرْبِ فِراشِهِ ، فَقَتَلَها .

● غريبةٌ : ذَكَرَ الإِمامُ أَبُو الفَرَجِ ابن الجَوْزيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى في « الأَذكياءِ »[2] : عن بِشْرِ بن الفَضْلِ ، قَالَ :

خَرَجْنَا حُجَّاجاً ، فَمَرَرْنَا بماءٍ من مِياهِ العَرَبِ ، فَوُصِفَ لَنَا فِيه ثلاثُ جَوارٍ أَخَواتٍ بارِعاتٍ في الجَمالِ ، وَإِنَّهُنَّ يَتَطَبَّبْنَ وَيُعالِجْنَ ، فَأَحْبَبْنا أَنْ نَراهُنَّ ؛ فَعَمَدْنَا إِلى صاحِبٍ لَنَا فَحَكَكْنَا سَاقَهُ بِعُودٍ حَتى أَدْمَيْناهُ ، ثُمَّ حَمَلْناهُ وَأَتَيْنَا بِهِ إِلَيْهِنَّ ، فقلنا : هذا سَلِيمٌ ، فهل من راقٍ ؟ فخرَجَتْ إِلينا الأُخْتُ الصُّغْرَى ،

---

(١) حدث هذا للمأمون وليس للرَّشيد ، والخبر في : تاريخ بغداد ١١/ ٤٣٧ وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٣٨ ومختصره ١٤/ ٩٧ ـ ٩٨ وتاريخ الخلفاء ٣٧٣ .
(٢) الأذكياء ١٧٨ .

فإذا جارِيَةٌ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ ، فَجاءَتْ حتى وَقَفَتْ عليهِ وَنَظَرَتْهُ ، فقالت : ليس بِسَلِيمٍ . قلنا : وكيفَ ذَلكَ ؟ قالت : إِنَّهُ خَدَشَهُ عُودٌ بَالَت عليهِ حَيَّةٌ ذَكَرٌ ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِك أَنَّهُ إذا طَلَعَتْ عليهِ الشَّمْسُ مَاتَ .

قَالَ : فَلَمّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مَاتَ ، فَعَجِبْنا من ذَلِكَ وانْصَرَفْنا .

● وَفِيهِ أَيضاً ، في أَواخِرِه[1] : أَنَّ عيسى عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَرَّ بحاوٍ يُطارِدُ حَيَّةً ، فقالَت لَهُ الحَيَّةُ : يا رُوحَ اللهِ ، قُلْ لَهُ لَئِنْ لَمْ يَلْتَفِتْ عَنِّي ، لأَضْرِبَنَّهُ ضَرْبَةً أُقَطِّعُهُ قِطَعاً .

فَمَرَّ عيسى عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، ثم عادَ فإذا الحَيَّةُ في سَلَّةِ الحاوِي ، فقالَ لَها عِيسى عليهِ السَّلامُ : أَلَسْتِ القائِلَةُ كَذَا وَكَذَا ، فَكَيْفَ صِرْتِ مَعَهُ ؟ فَقَالَتْ : يا رُوحَ اللهِ ، إِنَّه قد حَلَفَ لِي ، والآنَ غَدَرَ بِي ؛ فَسُمُّ غَدْرِهِ أَضَرُّ عليهِ من سُمِّي .

● وَفِي « عَجَائِبِ المَخْلُوقاتِ » للقَزوينِي[2] : أَنَّ الرَّيْحانَ الفارِسِيَّ لم يكنْ قبلَ كِسْرَى أَنوشِروان ، وإِنَّما وُجِدَ في زَمانِهِ .

وَسَبَبُهُ : أَنَّهُ كان ذاتَ يومٍ جالِساً لِلمَظالِمِ ، إذ أَقْبَلَتْ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ تَنْسَابُ تَحتَ سَريرِهِ ، فَهَمُّوا بقَتْلِها ، فقال كِسرى : كُفُّوا عنها ، فإنِّي أَظُنُّها مَظلومَةً ؛ فَمَرَّتْ تَنْسابُ ، فَأَتْبَعَها كِسرى بعضَ أَساوِرَتِهِ ، فلم تَزَلْ سائِرَةً حتى اسْتَدارَتْ على فُوَّهَةِ بِئْرٍ فنَزَلَت فِيها ، ثم أَقْبَلَتْ تَتطَلَّعُ ، فَنَظَرَ الرَّجُلُ فإذا في قَعْرِ البِئْرِ حَيَّةٌ مَقْتُولَةٌ ، وَعلى مَتْنِها عَقْرَبٌ أَسودُ ، فَأَدْلَى رُمْحَهُ إلى العقرَبِ وَنَخَسَهُ بِهِ ، وَأَتَى إلى المَلِكِ فَأَخْبَرَهُ بحالِ الحَيَّةِ .

فلمّا كان في العامِ القابِلِ ، أَتَت تِلكَ الحَيَّةُ في اليومِ الذي كَانَ كِسرى

---

(١) الأذكياء ٢٥٨ .

(٢) عجائب المخلوقات ١٨٨ .

جَالِساً فِيه للمَظالِم ، وَجَعَلَت تَنْسَابُ حتى وَقَفَتْ بين يَدَيه ، وَنَفَضَتْ من فيها بزْراً أَسْوَدَ ، فَأَمَرَ بِهِ المَلِكُ أَنْ يُزْرَعَ ، فَنَبَتْ منه الرَّيحانُ ؛ وَكَانَ المَلِكُ كَثِير الزُّكامِ وَأَوْجَاعِ الدِّماغِ ، فاستعمَلَ مِنه فَنَفَعَهُ جِدّاً .

● **فائِدَةٌ أُخرى** : في « حِليَةِ الأولياء »[1] لِلحافِظِ العَلاّمة أَبي نُعَيْمٍ رحمهُ الله تعالى ، في تَرجمةِ سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن يَحيى بن عَبدِ الحَمِيدِ الحمّاني ، قَالَ :

كُنْتُ في مَجْلِسِ سُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ ، وقد اجتمعَ عندهُ أَلْفُ إِنْسانٍ أَو يَزِيدونَ أَو يَنقصون ، فَالْتَفَتَ في آخِرِ مَجْلِسِهِ إلى رجلٍ كَانَ عن يَمِينِه ، وقال : قُمْ حَدِّثِ النَّاسَ بِحَدِيثِ الحَيَّةِ ؛ فقَالَ الرَّجُلُ : أَسْنِدُونِي ؛ فَأَسْنَدْناهُ ، فَشَالَ جُفونَهُ عن عَيْنَيْهِ ثم قال : أَلا فاسْمَعُوا وَعُوا .

حَدَّثَنِي أَبي ، عن جَدّي : أَنَّ رَجُلاً كَانَ يُعْرَفُ بِابنِ حِمْيَر ، وكان لهُ وَرَعٌ ، وَكَانَ يَصُومُ النَّهارَ وَيقُومُ اللَّيْلَ ، وَكَانَ مُبْتَلىً بِالقَنْصِ ؛ فخرَجَ يوماً يَتَصَيَّدُ ، فَبينَما هُو سائِرٌ إذ عَرَضَتْ له حَيَّةٌ ، فقالت : يَا مُحَمَّد بن حِمْيَرَ ، أَجِرْنِي أَجارَكَ الله ؛ فقالَ لها : مِمَّنْ ؟ قَالَت : من عَدوٍّ قد ظَلَمَنِي . قال لها : وَأَيْنَ عُدُوُّكِ ؟ قالَت له : مِن وَرائِي . قَالَ لَها : مِنْ أَيِّ أُمَّةٍ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : من أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ .

قال : فَفَتَحْتُ لَها رِدَائِي ، وَقلتُ لَها : ادْخُلِي فِيهِ . قالت : يَرانِي عَدُوِّي . قال : فَبَسَطْتُ لَهَا طِمْرِي ، وَقلتُ : ادْخُلِي بينَ طِمْرِي وَبَطْنِي . قَالَتْ : يَرانِي عَدُوِّي . قلتُ لَها : فَمَا الذِي أَصْنَعُ بِكِ ؟ قَالَت : إِنْ أَرَدْتَ اصْطِنَاعَ المَعروفِ ، فافْتَحْ لِي فَاكَ حَتى أَنْسَابَ فِيه . قلتُ : أَخْشَى أَنْ تَقْتُلِينِي ؛ فَقَالَتْ : لا واللهِ مَا أَقْتُلُكَ ، وَاللهُ شاهِدٌ عَلَيَّ بِذَلِكَ ، وَملائِكَته ،

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٩٣ .

وَأَنبيَاؤُهُ ، وَحَمَلَةُ عَرْشِهِ ، وَسُكَّانُ سَماواتِهِ أَن لا أَقْتُلَكَ .

قال : فَفَتَحْتُ لَها فَمِي ، فانْسَابَتْ فِيهِ ، ثُمَّ مَضيتُ ، فعارَضَنِي رَجلٌ معه صَمْصَامَةٌ ، فقال : يا مُحمَّد . فقلتُ له : مَا تَشاءُ ؟ قال : هل لَقِيتَ عَدُوِّي ؟ قلتُ : وَمن عَدُوُّكَ ؟ قَالَ : حَيَّةٌ . قلت : اللَّهُمَّ لا ، وَاسْتَغْفَرْتُ رَبِّي مِئَةَ مَرَّةَ من قَولِي : لا ، لِعِلْمِي أَيْنَ هِيَ ؛ ثُمَّ مَضَيتُ قَلِيلاً ، فإذا بها قد أَخْرَجَتْ رَأْسَها من فَمِي ، وقالت : انظرْ هل مَضى هَذَا العَدُوُّ ؟ فَالتَفَتُّ فلَم أَرَ أَحَداً ، فقلت : لم أَرَ أَحَداً ، فإِنْ أَرَدْتِ الخُرُوجَ فاخْرُجِي ؛ فقالَت : الآنَ يَا مُحمَّد ، اخْتَرْ لِنَفْسِكَ واحِدَةً من اثْنَتَيْنِ ؛ إِمّا أَنْ أُفَتِّتَ كَبِدَكَ ، وَإِمّا أَنْ أَنْفُثَ فِي فُؤادِكَ فَأَدَعَكَ بلا رُوحٍ ؛ فقلتُ : يَا سُبْحَانَ اللهِ ! أَيْنَ العَهْدُ الذِي عَهِدْتِ إِلَيَّ ، وَاليَمِينُ الذِي حَلَفْتِ لِي ؛ مَا أَسْرَعَ مَا نَسِيْتِهِ وَخُنْتِ ؟ فقالت : يَا مُحمَّد ، مَا رَأَيْتُ أَحْمَقَ مِنكَ ، إِذْ نَسِيتَ العَداوَةَ التي كَانَت بَيْنِي وَبينَ أَبيكَ آدم حيثُ أَخْرَجْتُهُ مِنَ الجَنّةِ ؛ فَلَيْتَ شِعْرِي ، مَا الّذِي حَمَلَكَ عَلَى اصْطِناعِ المَعْرُوفِ مع غيرِ أَهْلِهِ ؟ قَالَ : فقلتُ لَها : وَلا بُدَّ لَكِ مِنْ قَتْلِي . قالت : لا بُدَّ من ذَلِكَ . قَالَ : فقلتُ لَها : أَمْهِلِيْنِي حتى أَصِيرَ تحتَ هَذَا الجَبَلِ ، فأُمَهِّدَ لِنَفْسِي مَوْضِعاً . قالت : شَأنك وما تُرِيدُ .

قال محمَّد : فَمَضَيْتُ أُرِيدُ الجَبَلَ ، وقد أَيِسْتُ من الحياةِ ، فَرَفَعْتُ طَرْفِي إِلى السَّمَاءِ ، وَقلت : يا لَطِيفُ يا لَطِيفُ ، الطفْ بِي بِلُطْفِكَ الخَفِيِّ ، يَا لَطِيفُ يَا قَدِيرُ ، أَسْأَلُكَ بِالقُدْرَةِ التي اسْتَوَيْتَ بِها على العَرْشِ ، فلم يعلمِ العَرْشُ أَينَ مُسْتَقَرُّكَ منه ، يَا حَلِيمُ يَا عَلِيمُ ، يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ ، يَا حِيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا أَللّه ، إِلاّ مَا كَفَيْتَنِي شَرَّ هَذه الحَيَّةِ ؛ ثم مَشَيتُ فَعَارَضَنِي رَجُلٌ صَبِيحُ الوَجْهِ ، طَيِّبُ الرَّائِحَةِ ، نَقِيُّ الثَّوْبِ ، فقال لِي : سَلامٌ عليك ، فقلتُ : وعليك السَّلامُ يَا أَخِي ؛ فَقَالَ : مَا لِي أَراكَ قد تَغَيَّرَ لَوْنُكَ ، وَاضْطَرَبَ كَوْنُكَ ؟ فقلتُ : من عَدُوٍّ قد ظَلَمَنِي . قَالَ لِي : وَأَيْنَ عَدُوُّكَ ؟ قلتُ : في جَوْفِي . قَالَ : فَافْتَحْ

فَاكَ ؛ فَفَتَحْتُهُ ، فَوَضَعَ فِيهِ مِثْلَ وَرَقَةِ زَيْتُونٍ خَضْرَاءَ ، ثُمَّ قَالَ : امْضَغْ وَابْلَعْ ؛ فَمَضَغْتُ وَبَلَعْتُ .

قَالَ محمَّد : فَلَمْ أَلبثْ إلاّ قَلِيلاً ، حتى مَغَصَنِي بَطْنِي ، وَدارَتِ الحَيَّةِ في بَطْنِي ، فَرَمَيْتُ بها من أَسْفَل قِطَعاً قِطَعاً ، وَذَهَبَ عَنِّي مَا كُنْتُ أَجِدُهُ مِنَ الخَوْفِ ؛ فَتَعَلَّقْتُ بالرَّجُلِ فَقلتُ : يَا أَخِي ، من أَنْتَ الَّذِي مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بكَ ؟ فَضَحِكَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا تَعْرِفُنِي ؟ قلتُ : اللَّهُمَّ لا . قَالَ : يَا مُحَمَّد بن حِمْيَر ، إِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذِهِ الحَيَّةِ مَا كَانَ ، وَدَعَوْتَ اللهَ بِهَذَا الدُّعَاءِ ، ضَجَّتْ مَلائِكَةُ السَّماواتِ السَّبْعِ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعالَى : وَعِزَّتِي وَجَلالِي ، بِعَيْنِي كُلُّ مَا فَعَلَتِ الحَيَّةُ بِعَبْدِي ؛ وَأَمَرَنِي سُبْحَانَهُ وَتَعالَى أَنِ انْطَلِقْ إِلى الجَنَّةِ ، وَخُذْ وَرَقَةً خَضْرَاءَ من شَجَرَةِ طُوبَى ، وَالْحَقْ بِها عَبْدِي محمَّد بن حِمْيَر ؛ وَأَنا يُقَالُ لِي المَعْرُوفُ ، وَمُسْتَقَرِّي في السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا محمَّد بن حِمْيَر ، عَليكَ باصْطِناعِ المَعْرُوفِ ، فَإِنَّهُ يَقِي مَصارِعَ السُّوءِ ، وَإِنَّهُ وإِنْ ضَيَّعَهُ المُصْطَنَعُ إِليه ، لم يَضِعْ عندَ اللهِ تَعالَى .

● **فائِدَةٌ أُخرى** : روى « الحاكِمُ »[1] وَصَحَّحَهُ ، عن أَبِي اليُسْرِ [السُّلميّ ، واسمه كعب بن عمرو] رضي الله تعالى عنه : أَنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بكَ من الهَدْمِ والتَّرَدِّي ، وَأَعوذُ بكَ مِنَ الحَرَقِ وَالغَرَقِ والهَرَمِ ، وَأَعوذُ بكَ من أَن يَتَخَبَّطَني الشَّيْطَانُ عندَ المَوْتِ ، وَأَعوذُ بكَ أَن أَمُوتَ في سَبِيلِكَ مُدْبِراً ، وَأَعوذُ بكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً » .

قال الجاحظ[2] : وَتأوِيلُ هذا عندَ العُلماءِ أَنَّه لا يَتَّفِقُ للإِنْسَانِ أَنْ [يموتَ لَدِيغاً ، وَأَن] يَكُونَ مَوْتُهُ بِأَكلِ هَذَا العَدُوِّ ، إلا وهو من أَعْدَاءِ الله تَعالى ، بل

---

(١) المستدرك ١/ ٥٣١ والحيوان ٤/ ١٦٢ وأبو داود (١٥٥٣) والنَّسائيّ (٥٥٣١ ـ ٥٥٣٣) .

(٢) الحيوان ٤/ ١٦٠ والزّيادة منه .

من أَشَدِّهِمْ عَدَاوَةً ؛ فَكَانَ عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَتَعَوَّذُ منهُ لِذَلِكَ .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : يقال : لَسَعَتْهُ الحَيَّةُ والعَقْرَبُ ، تَلْسَعُهُ لَسْعاً ، فهو مَلْسُوعٌ .

قَالَ بعضُ العُلَمَاءِ المُتَقَدِّمِينَ : مَن قال في أَوَّلِ اللَّيْلِ وَأَوَّلِ النَّهارِ : عَقَدْتُ لِسَانَ الحَيَّةِ ، وَزِبَّانَ العَقْرَبِ ، وَيَدَ السَّارِقِ ، بِقَوْلِ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ ؛ أَمِنَ من الحَيَّةِ والعَقْرَبِ والسَّارِقِ .

● وَمِنَ الفَوائِدِ المُجَرَّبَةِ النّافِعَةِ : أَن يسأَلَ الرّاقِي المَلدوغَ : إِلَى أَيْنَ انْتَهى الوَجَعُ في العُضْوِ ؟ ثُمَّ يَضَعُ عَلَى أَعْلاهُ حَدِيدَةً ، وَيَقْرَأُ العَزِيمَةَ وَيُكَرِّرُها ، وَهُوَ يَجْرُدُ مَوْضِعَ الأَلَمِ بِالحَدِيدَةِ ، حَتّى يَنْتَهِيَ في جَرْدِ السُّمِّ إِلى أَسْفَلِ الوَجَعِ ، فإذا اجْتَمَعَ فِي أَسْفَلِهِ جَعَلَ يَمُصُّ ذَلِكَ المَوْضِعَ حَتَّى يَذْهَبَ جَمِيعُ الأَلَمِ ؛ وَلا اعْتِبَارَ بِفُتُورِ العُضْوِ بعدَ ذَلِكَ ؛ وهي هذه : سَلامٌ عَلَى نُوحٍ في العالَمِين ، وَعَلى محمَّدٍ في المُرْسَلِين ، من حامِلاتِ السُّمِّ أَجْمَعِينَ ، لا دابَّةَ بينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إلاَّ وَرَبِّي آخِذٌ بِناصِيَتِها أَجْمَعِينَ ، كَذَلِكَ يَجْزِي عِبادَهُ المُحسِنِينَ ، إِنَّ رَبِّي على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ، نُوحٌ نُوحٌ نُوحٌ ؛ قَالَ لَكُم نُوحٌ : مَن ذَكَرَنِي فَلا تَلْدَغُوهُ ، إِنَّ رَبِّي بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا محمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ .

● وَرَأَيْتُ بخطِّ بَعْضِ المُحَقِّقِينَ من العُلماءِ : أَن يُوقَفَ المَلْسُوعُ أَوْ رَسُولُهُ ، أَوِ المَكْلُوبُ ، أَو شارِبُ السُّمِّ قائِماً ، ثُمَّ يُخَطُّ دَوْرَ قَدَمَيْهِ ، يَبْدَأُ بِالخَطِّ من إِبْهامِ الرِّجْلِ اليُمْنَى حتى يرجِعَ إِليها ، ثُم يَخُطَّ بين قَدَميهِ خَطّاً ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِسِكِّينِ فُولاذٍ ، ثُمَّ يَأخذُ من تحتِ مِشْطِ رِجْلِهِ اليُمْنَى ، وَمن تحت كَعْبِهِ الأَيْسَرِ تُراباً ، وَيَرميهِ في إِناءٍ نَظِيفٍ ، وَيَسكُبُ عَلَيهِ مَاءً ، ثُمَّ يَأخذُ السِّكِّيْنَ وَيُوقِفُها في وَسَطِ إِناءٍ آخَرَ ، وَيَكُونُ رَأْسُ السِّكِّيْنِ إِلى فَوقٍ ، وَيَسكبُ المَاء الذِي في الإِناءِ على السِّكِّينِ التي فِي الإِناءِ الثّانِي ، وَيرقى بِهذِهِ الرُّقْيَةِ ، وَيَكُونُ فَراغُ المَاءِ مع فَراغِ الرُّقْيَةِ ، ثُمَّ يَجعَلُ النِّصالَ إِلى فَوْقٍ وَيَسكبُ المَاءَ كَأَوَّلِ

مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَجعَلُ رَأْسَها إِلى فوقٍ أَيضاً وَيَفْعَلُ كَأَوَّلِ مَرَّةٍ ؛ ثُمَّ يُسقى المَلسوعُ أَو رسُولُه ، أَوِ المَكلوبُ ، أَوْ شارِبُ السُّمِّ ، وَهِيَ : سَارا سارا في ساراعاتي نور نور نور أَنا وأرميافاه ياطوا كاطوايرملس أورنا أو صنانيما كامايوقابانياساتيا كاطوط أصباؤت إِيريلس تونى تنا أوس ؛ فإِنّهُ يَبْرَأُ بإِذنِ اللهِ تَعالَى كَمَا جُرِّبَ مِراراً .

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ القائِلِ : [من البسيط]

قَالُوا : حَبيبُكَ مَلْسُوعٌ ؛ فَقُلْتُ لَهُمْ : مِن عَقْرَبِ الصُّدْغِ أَوْ مِن حَيَّةِ الشَّعَرِ
قَالُوا : بَلى من أَفاعي الأَرْضِ قُلْتُ لَهُمْ : وَكَيْفَ تَسْعى أَفاعي الأَرْضِ لِلقَمَرِ

● وَلِجَمالِ المُلْكِ [عليّ] بن أَفْلَحَ[1][2] : [من الطويل]

وَقَالُوا : يَصِيرُ الشَّعْرُ في المَاءِ حَيَّةً إذا الشَّمْسُ حاذَتْهُ فَمَا خِلْتُهُ صِدْقا
فَلَمّا الْتَوى صُدْغاهُ في مَاءِ وَجْهِهِ وَقَد لَسَعا قَلْبي تَيَقَّنْتُهُ حَقّا

● غَريبَةٌ أُخْرَى : ذَكَرَ المَسعُودِيُّ عن الزُّبيرِ بن بَكّار[3] : أَنَّ أَخوَيْنِ في الجاهِلِيَّةِ خَرَجَا مُسافِرَيْنِ ، فَنَزَلا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ تَحْتَ صَفاةٍ ، فَلَمَّا دَنا الرَّواحُ ، خَرَجَتْ لَهما من تَحْتِ الصَّفَاةِ حَيَّةٌ تَحْمِلُ دِيْناراً ، فَأَلْقَتْهُ إِلَيهما ، فَقالا : إِنَّ هَذَا لَمن كَنْزٍ هُنا ؛ فأَقَاما ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَهِيَ في كُلِّ يومٍ تُخرِجُ لَهُما دِيْناراً ، فقال أَحدُهما للآخرِ : إِلى مَتَى نَنْتَظِرُ هذهِ الحَيَّةَ ؟ أَلا نَقْتُلها وَنَحفرُ عن هَذَا الكَنْزِ فَنَأْخذُهُ ؟ فَنهاهُ أَخُوهُ وَقَالَ له : مَا تَدْرِي لَعَلَّكَ تَعْطَبُ ولا تُدْرِكُ المَالَ ؛ فَأَبَى عَلَيهِ ، وَأَخَذَ فَأساً ، وَرَصَدَ الحَيَّةَ حين خَرَجَتْ ، فَضَرَبَها ضَرْبَةً

---

(١) الزيادة لازمة ، وترجمته في وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٩ والمنتظم ١٧/ ٣٣٨ .

(٢) البيتان في وفيات الأعيان ٤/ ٢٢٤ ، ونُسبا فيه إِلى أَبي سعد محمد بن يحيى النَّيسابوري .

(٣) مروج الذهب ٣/ ٣٢٥ والموفقيّات ٥٧٣ ؛ وقد صاغها النّابغة الذُّبيانيّ شعراً في ديوانه ٢٠٨ _ ٢١٠ .

جَرَحَ رَأْسَها وَلَمْ يَقْتُلْها ، فبَادَرَتْ إِلَيْهِ الحَيَّةُ فقَتَلَتْهُ وَرَجَعَتْ إِلى جُحْرِها ، فَدَفَنَهُ أَخُوهُ ، وَأَقَامَ حَتى إِذا كَانَ الغَدُ خَرَجَتِ الحَيَّةُ مَعْصُوباً رَأْسُها وَلَيس معها شيءٌ ، فقال : يَا هَذِهِ ، واللهِ إِنِّي مَا رَضِيتُ مَا أَصابَكِ ، وَلَقَدْ نَهَيْتُ أَخِي عن ذَلِكَ فلم يقبَلْ ، فهل لك أَن نَجْعَلَ اللهَ بينَنا على أَنْ لا تَضُرِّينِي وَلا أَضُرُّكِ ، وَتَرجعينَ إِلى مَا كنتِ عليه أَوَّلاً ؟ فَقَالَتِ الحَيَّةُ : لا . قَالَ : وَلِمَ ؟ قالت : لأَنِّي أَعلمُ أَنَّ نَفْسَكَ لا تَطِيبُ لِي أَبَداً وَأَنتَ تَرَى قَبْرَ أَخِيكَ ، وَنَفْسِي لا تَطِيبُ لَكَ ابَداً وَأَنا أَذْكُرُ هَذِهِ الشَّجَّةَ ؛ ثُمَّ أَنشد أَبياتَ النَّابِغَةِ الذُّبياني التي يَقُولُ فِيها(١) : [من الطَّويل]

وَمَا لَقِيَتْ ذَاتُ الصَّفا من حَلِيْفِها ... وَكَـانَـتْ تَـدِيْـهِ المـالَ غِبّاً وَظَاهِـرَهْ

● **غَرِيبَةٌ أُخرَى** : فِي « رِحلَةِ ابنِ الصَّلاحِ » و« تاريخ ابنِ النَّجَّارِ » في تَرْجمةِ يوسف بن عليّ بن محمَّد الزَّنْجانيّ الفَقِيهِ الشَّافعيّ(٢) ، قال : حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو إِسْحاق الشِّيرازي رَحِمَهُ الله ، عن القاضِي الإِمام أَبي الطَّيِّب ، أَنَّهُ قَالَ :

كُنّا في حَلْقَةِ النَّظَرِ بِجامِعِ المَنصورِ بِبَغْدَادَ ، فَجَاءَ شَابٌّ خُراسانيٌّ ، يسأَلُ عن مَسأَلَةِ المُصَرَّاةِ(٣) ، وَيُطَالِبُ بِالدَّلِيلِ ، فَاحْتَجَّ المُسْتَدِلُّ بِحَدِيثِ أَبي هُريرة

---

(١) ديوانه ٢٠٨ . وفي ط : النَّابغة الجعدي ! .

(٢) ترجمته في : طبقات الشافعيّة للإسنوي ٢/ ٦ والسُّبكيّ ٥/ ٣٦٢ . ولم يصلنا الجزء الذي يتضمن ترجمته من تاريخ ابن النّجار .

(٣) قال في النهاية ٣/ ٢٧ : المُصَرّاةُ : النّاقَةُ أَو البقرةُ أَو الشّاةُ ، يُصَرّى اللَّبن في ضَرعها ، أَي يُجمعُ ويُحبسُ . . . وفسَّرها الشَّافعيّ ، أَنَّها التي تُصَرُّ أَخلافُها ، ولا تحلبُ أَيّاماً حتَّى يجتمعَ اللَّبن في ضَرعها ؛ فإِذا حلبها المشتري استغزرَها . ونهى عنه رسولُ اللهِ ﷺ لأَنَّهُ خداعٌ وغشٌّ .

وحديث أَبي هريرة في الترمذيّ (١٢٥١ و ١٢٥٢ وفيه تخريجه) قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنِ اشترى مُصَرَّاةً فهو بالخيارِ إِذا حَلَبَها ، إِنْ شَاءَ رَدَّها ، وردَّ معها صاعاً من تمرٍ » .

رَضِيَ الله تعالى عنه ، الثّابِتِ في « الصَّحِيحينِ » وَغيرِهما ، فَقَالَ الشَّابُّ وَكَانَ حَنَفِيّاً : أَبو هريرةَ غير مَقْبُولِ الحَدِيثِ .

قَالَ القاضِي : فَمَا اسْتَتَمَّ كَلامَهُ حَتى سَقَطَتْ عَلَيْهِ حَيَّةٌ عَظِيْمَةٌ مِن سَقْفِ الجامِعِ ، فَهَرَبَ النّاسُ ، وَتَبِعَتِ الشَّابَّ دُونَ غَيْرِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : تُبْ تُبْ ، فَقَالَ : تُبْتُ ؛ فَغَابَتِ الحَيَّةُ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ .

قَالَ ابن الصَّلاح : هَذَا إِسْنادٌ ثابتٌ ، فِيهِ ثَلاثَةٌ من صَالِحِي أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ : القاضِي أَبُو الطَّيِّب الطَّبري ، وتلميذه أَبو إِسحاقَ ، وتلمِيذُهُ أَبُو القاسِمِ الزَّنْجانيّ .

● وَيَقْرُبُ من هَذَا مَا رَواهُ أَبُو اليُمْنِ الكِنْدِيّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو منصور القَزّاز ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بكر الخَطِيب ، قَالَ : حَدَّثَنا الأَزْهَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثنا عُبيد اللهِ بن محمّد بن حَمدان ، قَالَ : حَدَّثَنا أَبُو بَكر محمّد بن القاسِمِ النَّحْويّ ، قَالَ : أَخْبَرَنا الكُدَيْميّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بن مُرَّةَ الدّارع ، يَرْفَعُهُ إِلى عُمر بن حَبيب قَالَ[1] :

حَضَرْتُ مَجلسَ الرَّشِيدِ ، فَجَرَتْ مَسْأَلَةُ المُصَرّاةِ ، فَتَنازَعَ الخُصُومُ فِيها ، وَعَلَتْ أَصْواتُهم ، فَاحتَجَّ بَعْضُهُم بِالحَدِيثِ الذِي رَوَاهُ أَبُو هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، عَنِ النَّبيّ ﷺ ، فَرَدَّ بعضُهم الحَدِيثَ ، وَقَالَ : أَبُو هُريرةَ مُتَّهَمٌ فِيما يَروِيهِ ؛ وَنَحا نَحْوَهُ الرَّشِيْدُ وَنَصَرَ قَوْلَهُ ، فَقُلْتُ أَنَا : الحَدِيثُ صَحِيحٌ ، وَأَبُو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه صَحِيحُ النَّقْلِ فِيما يَرْوِيهِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ ، فَنَظَرَ إِليَّ الرَّشِيدُ نَظَرَ مُغْضَبٍ ، فَقُمتُ من المَجلِسِ إِلى مَنْزِلِي ، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ بِيَ الجُلُوسُ حتى قِيلَ : صاحِبُ الشَّرطَةُ بِالبابِ ، فَدَخَلَ إِليَّ ، فَقَالَ : أَجِبْ أَميرَ المُؤْمِنِينَ

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨ وتهذيب الكمال ٢١/ ٢٩٤ والجليسُ والأَنيسُ ٣/ ١٠٥ والمصباح المضيء ١/ ٤٥٧ .

إجابَةَ مَقْتُولٍ ، وَتَحَنَّطْ وَتَكَفَّنْ ؛ فقلتُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعلمُ أَنِّي قَدْ دَافَعْتُ عَنْ صاحِبِ نَبِيِّكَ محمَّد ﷺ وَأَجْلَلْتُ نَبِيَّكَ أَن يُطْعَنَ عَلَى أَصْحابِهِ ، فَسَلِّمْنِي منه .

قَالَ : فَأُدْخِلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ ، فإِذا هُوَ جالِسٌ على كُرْسِيٍّ مِن ذَهَبٍ حاسِرٍ عن ذِراعيْهِ ، وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ النِّطْعُ ؛ فَلَمَّا رآني قَالَ : يَا عُمر بن حَبيب ، مَا تَلَقَّانِي أَحَدٌ بالرَّدِّ ، وَدَفَعَ قَوْلِي ، مِثْلَ مَا تَلَقَّيْتَنِي بِهِ ؛ فقلتُ : يَا أَميرَ المُؤْمِنينَ ، إِنَّ الَّذِي جادَلْتَ عليه فِيهِ إِزْراءٌ عَلَى رسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَى مَا جَاءَ به ؛ فَقَالَ : كَيفَ وَيْحَكَ ؟ قلتُ : لأَنَّهُ إذا كَانَ أَصْحابُهُ كَذَّابينَ ، فَالشَّرِيْعَةُ باطِلَةٌ ، والفَرائِضُ والأَحْكَامُ مِنَ الصَّلاةِ والصِّيَامِ والحَجِّ والنِّكاح وَالطَّلاقِ والحُدُودِ ، كُلُّها مَرْدُودَةٌ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ ، لأَنَّهُمْ رُواتُها ، وَلا تُعْرَفُ إِلاَّ بواسِطَتِهِم . فَرَجَعَ الرَّشِيدُ إِلى نَفْسِهِ ، وَقَالَ : الآنَ أَحْيَيْتَنِي يَا عُمر بن حَبيب ، أَحْيَاكَ اللهُ ؛ ثُمَّ أَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلافِ دِرْهمٍ .

● وَيَقْرُبُ مِن هَذِهِ القِصَّةِ ، مَا سَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ القافِ » في الكَلامِ عَلَى لَفْظِ « القِردِ » في الرَّجلِ الَّذِي رَدَّ عَلَى مُعاوِيَةَ بن أَبي سُفيان رَضِيَ اللهُ عنهما وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ .

● تَتِمَّةٌ : قَالَ طارِقُ بن شِهاب الزُّهريّ[1] : كَانَ عُمر بن الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قد قَضى في مِيراثِ الجَدِّ مَعَ الإِخْوَةِ بِقَضايا مُختلفةٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ الصَّحابَةَ رَضِيَ اللهُ عنهم ، وَأَخَذَ كَتِفاً لِيَكْتُبَ فِيه ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ يَجْعَلُهُ أَباً ، فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ فَتَفَرَّقُوا ، فقالَ : لو أَرادَ اللهُ تَعالَى أَن يُمْضِيَهُ لأَمْضَاهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى إِلَى مَنْزِلِ زَيْدِ بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، فاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ في يَدِ جَارِيَةٍ لَهُ تُرَجِّلُهُ ، فَنَزَعَ رَأْسَهُ ، فقال له عُمر رضي الله عنه : دَعْهَا تُرَجِّلْكَ ؛ فَقَالَ زَيْدٌ : يا أَميرَ المُؤْمِنِيْنَ ، لَو أَرْسَلْتَ إِليَّ جِئْتُكَ ؛ فَقَالَ عُمر : إِنَّما الحَاجَةُ

---

(١) المصنَّف لعبد الرّزّاق ٦/ ٢٦٥ وسنن الدّارقطني ٤/ ٩٤ .

لِي ؛ إِنِّي جِئْتُكَ في أَمْرِ الجَدِّ ، وأُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَهُ أَباً ؛ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : لا أُوافِقُكَ عَلَى أَنْ تَجْعَلَهُ أَباً .

فَخَرَجَ عُمر رَضِيَ اللهُ عنه مُغْضَباً ، ثُمَّ أَرسلَ إِلَيهِ في وَقْتٍ آخَرَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ زَيْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَذْهَبَهُ فِيهِ فِي قِطْعَةِ قَتْبٍ ، وَضَرَبَ لَهُ مَثَلاً بِشَجَرَةٍ نَبَتَتْ عَلَى سَاقٍ واحِدٍ ، فَخَرَجَ مِنها غُصْنٌ ، ثُمَّ خَرَجَ من الغُصْنِ غُصْنٌ آخَرُ ، فَالسَّاقُ يَسْقِي الغُصْنَ ، فإِنْ قُطِعَ الغُصْنُ الأَوَّلُ رَجَعَ المَاءُ إِلى الغُصْنِ الثَّانِي ، وإِن قُطِعَ الغُصْنُ الثّانِي رَجَعَ المَاءُ إِلى الغُصْنِ الأَوّلِ ؛ فَلَمَّا أَتى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه كِتَابُ زَيدٍ ، خَطَبَ النّاسَ ، ثُمَّ قَرَأَ قِطْعَةَ القَتْبِ عليهم ، ثم قال : إِنَّ زَيْداً قد قال في الجَدِّ قَولاً ، وَقَدْ أَمْضَيْتُهُ .

● **تَذنِيبٌ** : رَوَى الإِمامُ الحافظ أَبو عُمر ابن عبدِ البَرِّ وَغَيره[1] :

أَنَّ أَبَا خِراشٍ الهُذَلِيَّ الشّاعِرَ ، وَاسْمُهُ خُوَيْلِد بنُ مُرَّةَ ، مَاتَ في زَمَنِ عُمر بن الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عنه من نَهْشِ حَيَّةٍ ، وَكَانَ مِمَّن يَعْدُو عَلَى قَدَمَيْهِ فَيَسْبِقُ الخَيْلَ ، وهو القائِلُ[2] : [من الطَّويل]

رَفَوْنِي وَقَالُوا : يَا خُوَيْلِدُ لا تُرَعْ   فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الوُجُوهَ : هُمُ هُمُ

وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ ؛ وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ أَتاهُ نَفَرٌ مِنَ اليَمَنِ ، قَدِمُوا حُجّاجاً ، فَنَزَلُوا بِهِ ، وَكَانَ المَاءُ بَعِيداً عنهم ، فَقَالَ لَهُم : يا بَنِيَّ مَا أَمْسَى عِنْدَنا مَاءٌ ، وَلَكِنْ هَذِهِ بُرْمَةٌ وَقِرْبَةٌ وَشَاةٌ ، فَرِدوا المَاءَ ، وَكُلُوا شَاتَكُمْ ، ثُمَّ دَعَوا قِرْبَتَنَا وَبُرْمَتَنَا عِندَ المَاءِ حَتَّى نَأْخُذَهُما ؛ فَقَالُوا : لا واللهِ مَا نَحْنُ بِسَارِينَ لَيْلَتَنَا هَذِهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو خِراشٍ ، أَخَذَ قِرْبَتَهُ وَسَعَى نحوَ

---

(١) الاستيعاب ٤/١٦٣٩ وأُسد الغابة ٦/٨٨ والإِصابة ٢/٣٠٦ رقم (٢٣٥٠) والأَغاني ٢١/٢٢٧ وأَمالي ابن دريد ١٩٧ .

(٢) ديوان الهذليين ١/ ١٤٤ وشرح أَشعار الهذليين ٣/ ١٢١٧ .

المَاءِ تَحْتَ اللَّيْلِ حَتَّى اسْتَقى ، ثُمَّ أَقْبَلَ صادِراً ، فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ قبلَ أَن يَصِلَ إِلَيْهِمْ ، فأقبل مُسْرِعاً حَتَّى أَعْطَاهُمُ المَاءَ ، وَقَالَ : اطبُخُوا شاتكُمْ وَكُلُوا ؛ وَلَم يُعْلِمْهُمْ بِمَا أَصابَهُ ، فَبَاتُوا يَأْكُلُونَ حَتَّى أَصْبَحُوا ، وَأَصْبَحَ أَبُو خِراشٍ في المَوْتِ ، فَلَم يَبْرَحُوا حَتَّى دَفَنُوهُ .

فَلَمّا بَلَغَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه خَبَرُهُ ، غَضِبَ غَضَباً شَدِيداً ، وَقَالَ : لَوْلا أَنْ تَكُونَ سُنَّةً ، لأَمَرْتُ أَنْ لا يُضافَ يَمانِيٌّ أَبَداً ، وَلَكَتَبْتُ بِذَلِكَ إِلى الآفَاقِ .

ثُمَّ كَتَبَ إِلى عامِلِهِ باليَمَنِ أَنْ يَأْخُذَ النَّفَرَ الَّذِينَ نَزَلوا بِأَبِي خِراشٍ ، فَيُغَرِّمَهُمْ دِيَتَهُ ، وَيُؤَدِّبَهُمْ بعد ذَلِكَ بِعُقُوبَةٍ جَزاءً لِفِعْلِهِمْ .

● **غَرِيبَةٌ أُخرَى** : ذَكَرَ القاضِي الإِمامُ شمسُ الدِّينِ أَحمد بن خلّكان في « وَفِياتِ الأَعيَانِ »[1] في تَرجمةِ عِمادِ الدَّوْلَةِ أَبِي الحَسَنِ عليّ بن بُوَيْه ، وَكَانَ أَبُوهُ صَيَّاداً لَيسَتْ له مَعيشَةٌ إِلاّ صَيْدُ السَّمَكِ ، وَكَانَ لَهُ ثَلاثَةُ أَوْلادٍ ؛ عِمادُ الدَّوْلَةِ أَكْبَرُهُمْ ، ثُمَّ رُكْنُ الدَّوْلَةِ الحَسَنُ ، ثُمَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَالجَمِيعُ مَلَكُوا ، وَكَانَ عِمادُ الدَّوْلَةِ سَبَبَ سَعادَتِهِم وانْتِشَارَ صِيْتِهِم ؛ فَإِنَّهُمْ مَلَكُوا العِراقَيْنِ وَالأَهْوَازَ وَفَارِسَ ، وَسَاسُوا أُمُورَ الرَّعِيَّةِ أَحْسَنَ سِيَاسَةٍ .

قَالَ : وَمِن عَجِيبِ مَا اتَّفَقَ لِعِمادِ الدَّوْلَةِ ، أَنَّهُ لَمّا مَلَكَ شِيْرَازَ في أَوَّلِ مُلْكِهِ ، اجتمعَ أَصحابُهُ وَطالَبوهُ بالأَموالِ ، وَلَم يَكُنْ عِندَهُ مَا يُرْضِيهم بِهِ ، فَأَشْرَفَ أَمْرُهُ عَلى الانْحِلالِ ، فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ ، فَبَينَما هُوَ مُفَكِّرٌ وَقَدِ اسْتلقَى عَلَى ظَهْرِهِ في مَجْلِسٍ قد خَلا فِيهِ للتَّفَكُّرِ وَالتَّدبيرِ ، إِذْ رَأَى حَيَّةً خَرَجَتْ من مَوْضِعٍ من سَقْفِ ذَلِكَ المَجْلِسِ ، وَدَخَلَت فِي مَوضِعٍ آخَرَ مِنهُ ، فَخَافَ أَنْ تَسقُطَ عَلَيهِ ، فَدَعا بِالفَرَّاشِينَ ، وَأَمَرَهُمْ بِإِحْضَارِ سُلَّمٍ ، وَأَن يُخرِجُوا الحَيَّةَ ، فَلَمّا

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ وسير أعلام النُّبلاء ١٥/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ والكامل لابن الأثير ٨/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ والبداية والنهاية ١٥/ ٧٨ والمنتظم ١٣/ ٣٤١ .

صَعَدُوا وَبَحَثُوا عنها وَجدُوا ذَلِكَ السَّقْفَ يُفْضِي إِلى غُرْفَةٍ بين سَقْفَيْنِ ، فَعرَّفُوهُ بذَلِكَ ، فَأَمَرَهُمْ بفَتْحِها ، ففُتِحَتْ فإذا فِيْها صَنادِيقُ فِيها خمسمئةِ أَلْفِ دِينارٍ ، فَحُمِلَ ذَلِكَ بيْنَ يَدَيه ، فقَسَّمَهُ عَلَى رِجَاله ، فثَبَتَ أَمْرُهُ بعدَ أَن كان قد أَشْرَفَ عَلى الانْحِلالِ والانْخِرام .

ثُمَّ إِنَّهُ جَهَّزَ ثِياباً ، وَسَأَلَ عَنْ خَيّاطٍ حاذِقٍ ، فَوُصِفَ لَهُ خَيَّاطٌ كَانَ لِصاحِبِ البَلَدِ قَبْلَهُ ، فَأَمَرَ بإِحْضَارِهِ ، وَكَانَ أُطْرُوشاً ، وَكَانَ عِنْدَهُ وَدِيْعَةٌ لِصاحِبِ البَلَدِ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ سُعِيَ بِهِ إِلَيه ، وَأَنَّهُ طُلِبَ بِسَبَبِ الوَدِيعَةِ ؛ فَلَمَّا خاطَبَهُ حَلَفَ أَنَّهُ لَم يكن عندَه سِوَى اثني عَشَرَ صُنْدُوقاً ، لا يَدْرِي مَا فِيها ؛ فتَعَجَّبَ عِمادُ الدَّولَةِ مِن جَوابِهِ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ مَن يَحمِلُ الصَّنادِيقَ ، فَوَجَدَ فِيها أَمْوالاً وَثِياباً بجُمَلٍ كَثِيرَةٍ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الأَسْبَابُ مِن أَقْوَى دَلائِلِ سَعادَتِهِ .

تُوُفِّيَ عِمادُ الدَّوْلَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وَثَلاثِينَ وَثَلاثمئَة ، وَلَمْ يُعْقِبْ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ الحَيَّاتِ لِضَرَرِها ، وَكَذَا يُحَرَّمُ أَكْلُ التِّرْيَاقِ المَعمولِ من لُحومِها .

وَقَالَ البَيْهَقِيُّ : كَرِهَ أَكْلَهُ ابْنُ سِيْرِينَ .

قَالَ أَحمدُ : وَلِهَذَا كَرِهَهُ الإِمامُ الشَّافِعِيُّ ، فَقَالَ : لا يَجُوزُ أَكْلُ التِّرْيَاقِ المَعْمُولِ من لَحْمِ الحَيَّاتِ ، إِلاَّ أَن يَكُونَ بِحَالِ الضَّرُورَةِ ، بِحَيْثُ يَجُوزُ لَهُ أَكْلُ المَيْتَةِ .

وَأَمَّا السَّمَكُ الذِي في البَحْرِ عَلَى شَكْلِها ، فَحَلالٌ كَمَا تَقَدَّمَ .

وَأَمْرُ النَّبيِّ ﷺ بقَتْلِ الحَيَّاتِ أَمْرُ نَدْبٍ .

● رَوَى « البُخَارِيُّ » و« مسلم » و« النَّسائيُّ »[1] عَنِ ابنِ مَسعودٍ رضي الله

---

(١) البخاري ٤/ ١٠٠ ومسلم (٢٢٣٤) والنَّسائي (٢٨٨٣ ـ ٢٨٨٤) ومسند أحمد ١/ ٣٨٥ و ٤٥٦ و ٤٥٨ .

تعالى عنه ، قال : كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في غَارٍ بمِنَى ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْه ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ [المرسلات : ١] فنحنُ نأْخُذُها من فيهِ رَطْبَةً ، إِذْ خَرَجَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ ، فَقَالَ : « اقْتُلُوها » ، فَابْتَدَرْناها لِنَقْتُلَها ، فَسَبَقَتْنا ، فقَالَ ﷺ : « وَقَاهَا اللهُ شَرَّكُمْ ، كما وَقَاكُمْ شَرَّهَا » .

وَعَدَاوَةُ الحَيَّةِ للإِنْسَانِ مَعروفَةٌ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [البقرة : ٣٦] قَالَ الجُمهُورُ : الخِطَابُ لآدَمَ وَحَوَّاءَ والحَيَّةِ وإِبْلِيسَ .

● وَرَوَى قَتادَةُ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ[١] : « مَا سَالَمْناهُنَّ مُنْذُ عَادَيْناهُنَّ » .

● وقال ابنُ عُمر رَضِيَ اللهُ عنهما[٢] : مَن تَرَكَهُنَّ فَلَيْسَ مِنّا .

● وقالت عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عنها[٢] : مَن تَرَكَ حَيَّةً خَشْيَةً مِن ثَأْرِها ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجمعين .

● وَفِي « سُنَنِ البَيْهَقِيّ » عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها ، أَنَّها قالت[٣] : قالَ رسولُ الله ﷺ : « الحَيَّةُ فاسِقَةٌ ، وَالعَقْرَبُ فاسِقَةٌ ، وَالفَأْرَةُ فاسِقَةٌ ، وَالغرابُ فاسِقٌ » .

● وَفِي « مُسندِ الإِمامِ أَحمد »[٤] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « مَن قَتَلَ حَيَّةً ، فَكَأَنَّما قَتَلَ رَجُلاً مُشْرِكاً بِاللهِ ؛ وَمن تَرَكَ حَيَّةً مَخافَةَ عاقِبَتِها ، فَلَيْسَ مِنّا » .

● وقال ابنُ عبّاسٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهما : إِنَّ الحَيَّاتِ مُسِخَتْ ، كَمَا

---

(١) أَبو داود (٥٢٤٨) و (٥٢٥٠) ومسند أَحمد ١/ ٢٣٠ و٢/ ٢٤٧ و٤٣٢ و ٥٢٠ .

(٢) مثله مرفوعاً في أَبي داود (٥٢٤٩) و (٥٢٤٨) و (٥٢٥٠) .

(٣) مضى تخريج الحديث في « الحدأَة » .

(٤) مسند أَحمد ١/ ٤٢٠ .

مُسِخَتِ القِرَدَةُ مِن بَنِي إِسْرائِيلَ ؛ وَكَذَا رَوَاهُ الطَّبرانيُّ عنه ، عن رَسولِ اللهِ ﷺ ؛ كَذَا رَوَاهُ ابنُ حِبّانَ .

● وَأَمّا الحَيّاتُ التي فِي البُيُوتِ ، فَلا تُقْتَلُ حَتَّى تُنْذَرَ ثَلاثَةَ أَيّامٍ ، لِقَوْلِه ﷺ[1] : « إِنَّ بالمَدِينَةِ جِنّاً قَدْ أَسْلَمُوا ، فإذا رَأَيْتُمْ مِنها شَيْئاً فَآذِنُوهُ ثَلاثَةَ أَيّامٍ » . وَحَمَلَ بَعضُ العُلَمَاءِ ذَلِكَ عَلَى المَدِينةِ وَحدَها ، وَالصَّحِيْحُ أَنَّهُ عامٌّ في كُلِّ بَلَدٍ ، لا تُقْتَلُ حَتَّى تُنْذَرَ .

● رَوَى « مُسلم » وَمالك في أَواخِرِ « المُوَطَّأ »[2] وَغيرهما ، عن أَبِي السَّائِبِ مَولَى هِشام بن زُهْرَةَ ، أَنَّهُ قَالَ :

دَخلتُ عَلَى أَبِي سَعيدٍ الخُدْرِيّ في بَيْتِهِ ، فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي ، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُ فَراغَهُ ، فَسَمِعتُ حَرَكَةً تَحتَ سَرِيرٍ في ناحِيَةِ البَيتِ ، فَالْتَفَتُّ فإذا حَيَّةٌ ، فَوَثَبْتُ لأَقْتُلَها ، فَأَشارَ إِليَّ : أَنِ اجْلِسْ ؛ فجلستُ ، فلمّا انصرَفَ من صَلاتِهِ أَشَارَ إِلَى بيتٍ في الدّارِ ، فقال : أَتَرَى هَذَا البَيتَ ؟ قلتُ : نَعم . قَالَ : كَانَ فِيه فَتىً مِنّا حَديث عَهْدٍ بعُرْس ، فخرَجْنا مع رَسولِ الله ﷺ إلى الخَنْدَقِ ، وكان ذاك الفتى يَستَأذِنُ رَسُولَ الله ﷺ عِندَ انْتِصَافِ النَّهارِ وَيَرجِعُ إِلى أَهْلِه ، فَاسْتَأْذَنَهُ يوماً ، فَقَالَ ﷺ : « خُذْ عليكَ سِلاحَكَ ، فإِنِّي أَخْشَى عَلَيكَ بَنِي قُرَيْظَةَ » فَأَخَذَ الفَتى سِلاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى أَهْلِهِ، فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ بينَ البابَيْنِ قائِمَةً، فَأَهوى إِلَيها بالرُّمْح لِيَطْعُنَها بِهِ ، وَقد أَصابَتْهُ الغَيْرَةُ ؛ فقالت : اكْفُفْ عليكَ رُمْحَكَ ، وادْخُلِ البَيْتَ حتى تنظرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنه ؛ فَدَخَلَ فَإِذا حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى الفِراشِ ، فَأَهْوَى إِلَيْها بالرُّمْح فانْتَظَمَها بِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ فَرَكَزَهُ في الدّارِ ، فاضْطَرَبَتْ عَلَيهِ ، وَخَرَّ الفَتَى مَيّتاً ، فَمَا نَدرِي أَيُّهُما كَانَ أَسْرَعَ مَوْتاً ، الحَيَّةُ أَمِ الفَتَى .

---

(١) مضى تخريج الحديث في « الجنّ » .

(٢) مسلم (٢٢٣٦) والموطأ ٢/ ٩٧٦ .

قَالَ : فَجِئْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَأخبرناهُ بذَلِكَ ، وَقُلنا : ادْعُ اللهَ أَن يُحْيِيَهُ ، فقال : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ لِصاحِبِكُمْ » ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ بالمَدِينَةِ جِنّاً قد أَسْلَمُوا ، فإذا رَأَيْتُمْ مِنْهُنَّ شَيْئاً فَآذِنُوهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِذا بَدَا لَكم بعد ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ ، فإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ » .

وَقَدِ اختلفَ العُلَمَاءُ في الإِنْذَارِ ، هل هو ثلاثَةُ أَيّامٍ أَوْ ثَلاثُ مَرّاتٍ ؟ وَالأَوَّلُ هو الذِي عليهِ الجُمهورُ ؛ وَكَيْفِيَّتُهُ أَن يَقُولَ : أَنْشُدُكُنَّ بالعَهْدِ الذِي أَخَذَهُ عَلَيكُنَّ نُوحٌ وَسُليمانُ عليهما الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَنْ لا تَبْدُوا لَنا وَلا تُؤْذُونا .

● وَفِي « أُسْدِ الغابَةِ » : عن عبد الرَّحمنِ بن أَبِي ليلى ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إذا ظَهَرَتِ الحَيَّةُ في المَسْكَنِ ، فَقُولُوا لَها : إِنَّا نَسْأَلُكِ بِعَهْدِ نُوحٍ وَبِعَهْدِ سُلَيْمانَ بن داود عَلَيهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لا تُؤْذِينا ؛ فإِنْ عادَتْ فَاقْتُلُوها » .

● وَرَوَى الحافِظُ أَبُو عُمر بن عبدِ البَرِّ[1] : أَنَّ عُقْبَةَ بن نافِع بن عَبْدِ قَيْسٍ الفِهْرِيّ ، وُلِدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ ابنُ خالَةِ عَمرو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهُ : لَمَّا فَتَحَ أَفْرِيقِيَّةَ ، وَقَفَ عَلَى مَوْضِعِ القَيْرَوَانِ ، وَهُوَ وادٍ كَثِيرُ الحَيَّاتِ ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ الوادِي ، إِنَّا حَالُّونَ إن شَاءَ اللهُ تَعالَى ، قاطِنُونَ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ .

قَالَ : فَمَا رَأَيْنَا حَجَراً وَلا شَجَراً ، إِلاّ خَرَجَ من تَحْتِهِ حَيَّةٌ ، حَتّى هَبَطْنَ بَطْنَ الوادِي ، ثم قال : انْزِلُوا بِسْمِ اللهِ . فَعَمَرُوا القَيْرَوانَ ؛ وَكَانَ عُقْبَةُ مُجابَ الدَّعْوَةِ .

● وعندَ الحَنَفِيَّةِ يَنْبَغِي أَن لا تُقْتَلَ الحَيَّةُ البَيْضَاء ، لأَنَّها مِنَ الجانِّ ؛ وقَالَ الطَّحاوِي : لا بَأْسَ بِقَتْلِ الجَمِيعِ ، وَالأَوْلَى الإِنْذَارُ .

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٠٧٥ ـ ١٠٧٦ وأُسد الغابة ٤/ ٦٠ ورياض النفوس ١/ ١١ ـ ١٢ .

● وَمِنَ الفَوائِدِ العَجِيبةِ المُجَرَّبَةِ : مَا أَخْبَرَنِي بِهِ بَعْضُ مَشايِخِي ، أَنَّهُ يُكْتَبُ عَلَى أَرْبَعِ وَرَقَاتٍ ، وَتُوضَعُ كُلُّ وَرَقَةٍ في قُرْنَةٍ مِنْ قُرَنِ البَيْتِ ، فإِنَّ الحَيّاتِ يَهْرُبْنَ مِنْهُ ، وَلا تَدْخُلُهُ حَيَّةٌ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى ، وَهُوَ هَذَا[1] :

١ ١ ٦ ١ ١ ١ ٨ ٧ ١ برح ٥ ٥ ٧ ١ ١ ٥ ١ ١ و و ٧ و و ١ ٥ بر و ١ ١ م ١ ١ ح ١ ١ ١ ح ط ٥ هـ ٨

● وَفِي « الإِحيَاءِ » فِي البابِ الثانِي من « كِتَابِ آدابِ السَّفَرِ »[2] : يُسْتَحَبُّ لِمَنْ أَرادَ لُبْسَ الخُفِّ في حَضَرٍ أَوْ سَفَرٍ ، أَنْ يُنَكِّسَ الخُفَّ وَيَنْفُضَ مَا فِيهِ ، حَذَراً مِن حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ أَوْ شَوْكَةٍ ؛ وَاستَدَلَّ لَهُ بِحَدِيثِ أَبِي أُمامَةَ الباهِلِيّ رَضِيَ اللهُ عنهُ[3] ، الآتِي في « بابِ الغينِ المُعجمَةِ » في الكَلامِ عَلَى لَفْظِ « الغُرابِ » .

● وَفِي « فَتاوَى الإِمامِ النَّوويّ »[4] : إِذا اصْطَادَ الحَوَّاءُ حَيَّةً ، وَحَبَسَها مَعَهُ على عادَتِهِمْ ، فَلَسَعَتْهُ فَمَاتَ ، هَلْ يَأْثَمُ [؛ وإِنِ انْفَلَتَتْ وأَتْلَفَتْ شَيْئاً ، هَلْ يَضمَنُ ؟] .

فَأَجَابَ : إِن صَادَها لِيَرْغَبَ النّاسُ في اعْتِمادِ مَعْرِفَتِهِ ، وَهُوَ حاذِقٌ في صَنْعَتِهِ ، وَيَسْلَمُ مِنها فِي ظَنِّهِ ، وَلَسَعَتْهُ فَمَاتَ ، لَم يَأْثَمْ ، وإِنِ انْفَلَتَتْ وَأَتْلَفَتْ شَيْئاً لَمْ يَضْمَنْهُ .

---

(١) صورة هذا الطلسم في أ :
١ ١ ١ ١ ٨ ٧ ١ ١ ح ٨ ٨ ١ ١ ١ ٨ ١ ١ ١ ٩ ٩ ٧
٩ ٩ ١ ٩ ١ ١ ١ ١ ١ م ١ ١ م ١ ١ ح ١ ١ ١ ١ ح ٩ ١ ٩ ع ٩

(٢) إِحياء علوم الدين ٢/ ٢٢٩ .

(٣) رُوي عن أَبي أُمامة أَنَّهُ قَالَ : دعا رسولُ اللهِ ﷺ : بخُفَّيهِ فلبسَ أَحدهما ، فجاء غُرابٌ فاحتمل الآخر ، ثُمَّ رمى بِهِ فخرجت منه حيَّةٌ ، فَقَالَ ﷺ : « مَن كَانَ يؤمنُ باللهِ واليوم الآخر ، فلا يلبسْ خُفَّيْهِ حتى ينفضهُما » .

(٤) فتاوى الإمام النّووي ٧١ . والزيادة منه .

● وَرَوَى الإمامُ أَحمدُ في « الزُّهْدِ »[١] : أَنَّ حوّاءً مَعَهُ حَيّاتٍ فِي خُرْجٍ ، نَزَلَ بِقَوْمٍ مِن أَهْلِ اليَمَنِ ، فَخَرَجَ بِاللَّيْلِ بَعْضُ الحَيّاتِ ، فَلَسَعَتْ بَعضَ أَهْلِ المَنْزِلِ فَقَتَلَتْهُ ؛ فَكَتَبَ بِذَلِكَ عامِلُ اليَمَنِ إِلى عُمر بن عبْدِ العَزيزِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى ، فقَالَ : لا شَيْءَ عليهِ ، لَكِنْ مُرْهُ إِذا نَزَلَ بِقَوْمٍ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِمَا مَعَهُ .

● وَفِي كِتابِ « الأَربعِينَ عَلَى مَذْهَبِ المُحَقِّقِينَ من الصُّوفِيَّةِ » للإمامِ الحافِظِ أَبِي مَسعود سُليمان بن إِبْراهِيم بن محمَّد بن سُليمان الأَصْبَهانِيّ ، بِإِسنادِهِ إِلى عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : أَخَذَ النَّبيُّ ﷺ بِعِمامَتِي مِن وَرَائِي ، وقال : « يَا عِمرانُ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الإِنْفَاقَ وَيُبْغِضُ الإِقْتَارَ ، فأَنْفِقْ وَأَطْعِمْ ، وَلا تعسرْ فعيسر عَلَيكَ الطَّلَبُ ، واعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ البَصِيرَ النَّاقِدَ عِندَ هَجْمِ الشُّبُهاتِ ، وَالعَقْلَ الكامِلَ عِند نُزُولِ البَلِيّاتِ ، وَيُحِبُّ السَّماحَةَ وَلَو عَلَى تَمَراتٍ ، وَيُحِبُّ الشَّجاعَةَ وَلَو عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ » .

الأَمْثَالُ : قالوا[٢] : « فُلانٌ أَسْمَعُ مِن حَيَّةٍ » . وَ« أَعْدَى[٣] من حَيَّةٍ » وَهُوَ مِنَ العَدْوِ ، لأَنَّها تُسْرِعُ إِلى جُحْرِها إِذا رَاعَها شَيْءٌ[٤] .

● رَوَى « البُخارِيُّ » و« مُسْلِمٌ »[٥] عن أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الإِيمانَ لَيَأْرِزُ إِلى المَدِينَةِ،كَما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلى جُحْرِها » .

---

(١) لم يرد الخبر في كتاب الزُّهد للإمام أَحمد ! .

(٢) الميداني ١/ ٣٥٥ والدّرّة الفاخرة ١/ ٢١٨ .

(٣) الميداني ٢/ ٤٥ والعسكري ٢/ ٦٦ والزمخشريّ ١/ ٢٣٨ والدّرّةُ الفاخرة ١/ ٢٩٧ .

(٤) كذا . والأَمر بخلافه . قَالَ الميدانيّ : هذا من العِداءِ وهو الظُّلم . وقَالَ العسكري : من العدوان .

(٥) البخاري ٢/ ٢٢٢ ومسلم (١٤٧) والتّرمذيّ (٢٦٣٠) وابن ماجه (٣١١١) ومسند أَحمد ١/ ١٨٤ و ٢/ ٢٨٦ و٤٢٢ و ٤٩٦ و ٤/ ٧٣ و ٧٤ .

● وَفِي « صَحيحِ مسلم »[1] عن ابنِ عمر رضيَ اللهُ تعالى عَنهما ، أَنَّ النَبيَّ ﷺ قَالَ : « بَدَأَ الإِسْلامُ غَريباً ، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَا ؛ وَهُوَ يَأْرِزُ بينَ المَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلى جُحْرِها » .

أَي مَسْجِدَيْ مَكَّةَ وَالمَدِينَة ، وَمعنى يَأْرِزُ : يَنْضَمُّ وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهُ إِلى بَعْضٍ ؛ وَمَعناهُ : أَنَّ المُؤمنَ إِنَّما يَسُوقُه إِلى المَدِينَةِ إِيْمانُهُ وَمَحَبَّتُهُ لِلنَّبيِّ ﷺ .

وَيُحتملُ أَن يَكونَ المُرادُ بِذَلِكَ ، عِصمَةُ المَدِينَةِ من الدَّجَّالِ والفِتَنِ ، فَيَكُونُ الإِسلامُ فِيها مُوَقَّراً .

وَيُحتملُ أَن يَكونَ المُرادُ بِذَلِكَ ، رُجُوعُ الناسِ إِلى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لأَنَّها منها ظَهَرَتْ .

وَيُحتملُ أَن يَكونَ المُرادُ بِذَلِكَ ، أَنَّ الدِّيْنَ يُؤْخَذُ من عُلَمَائِها وأَئِمَّتِها ، وكذلك كان .

وسيأتي إن شاء الله تعالى في « باب الميم » في لفظ « المَطِيَّةِ » حديثُ التِّرمذيّ[2] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ آباطَ المَطِيِّ في طَلَبِ العِلْمِ ؛ فَلا يَجِدُونَ عالِماً أَعْلَمَ مِنْ عالِمِ المَدِيْنَةِ » .

وَقَالُوا[3] : « أَبْغَضُ مِنْ رِيْحِ السَّذابِ إِلى الحَيّاتِ » . وَقَالُوا[4] : « الحَيَّةُ من الحُيَيَّة » . أَي الأَمرُ الكَبيرُ مِنَ الصَّغِيرِ ؛ وَرُبَّما قَالُوا[4] : « الحَيُّوتُ مِنَ الحَيَّةِ » . وَهَذا كَقَولِهِمْ[5] : « العَصَا مِنَ العُصَيَّةِ » .

---

(١) مسلم (١٤٦) .

(٢) التّرمذيّ (٢٦٨٠) وابن حبّان (٣٧٣٦) ، ومسند أَحمد ٢/ ٢٩٩ ومستدرك الحاكم ١/ ٩٠ _ ٩١ .

(٣) الميدانيّ ١/ ١١٩ .

(٤) لم يَرِد في كتب الأمثال .

(٥) الميداني ١/ ١٥ والفاخر ١٨٩ و٣٠٤ والدّرّة الفاخرة ١/ ٢٢٩ _ ٢٣٠ و٢/ ٥٠٠ . وسيأتي .

وقد جاءَ معنى المَثَلَيْنِ في كِتابِ اللهِ تَعالى ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧] كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ الجَوزيّ وَغيره .

الخَواصُّ[١] : قَالَ عِيسَى بن عليّ : نابُ الحَيَّةِ إِذا قُلِعَ في حَياتِها ، وَعُلِّقَ على صاحِبِ حُمَّى الرِّبْعِ : تَزُولُ عنه ؛ وإِن عُلِّقَ عَلَى مَن بِهِ وَجَعُ الأَسْنانِ : نَفَعَهُ وَسَكَّنَ وَجَعَها .

وَلَحْمُها يَحْفَظُ الحَواسَّ ؛ وَمَرَقُ لَحمِها يُقَوِّي البَصَرَ ؛ وَلُحُومُ الحَيّاتِ من حيثُ الجُملَةِ ، يُسَخِّنُ وَيُجَفِّفُ وَيُنَقِّي البَدَنَ ، وَيُحَلِّلُ منهُ أَسْقاماً .

وَسَلْخُها إذا وُضِعَ في ثِيابٍ ، لَمْ تُسَوِّسْ ؛ وَإِنْ أُحْرِقَ وَعُجِنَ بزَيْتٍ طَيِّبٍ ، وَحُشِيَ بِهِ الضِّرْسُ المُتَآكِلُ الوَجِعُ : أَبْرَأَهُ ؛ وَإِنْ سُحِقَ مع رَأْسِها ، وَجُعِلَ عَلَى دَاءِ الثَّعْلَبِ : أَنْبَتَ الشَّعْرَ .

وَقَالَ يَحيى بن ماسَويه : يُؤْخَذُ سَلْخُ حَيَّةٍ مَقْليّ ، وَقُشُورُ أَصْلِ الكَبَرِ ، وَزَراوند طَويلٌ وبلاذرُ ، أَجزاءٌ مُتَساوِيَةٌ ، وَيُبَخَّرُ بِهِ صاحِبُ البَواسِيرِ الظَّاهِرَةِ وَالباطِنَةِ المُتَعَلِّقَةِ ، فإِنَّها تَسْقُطُ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : سَلْخُ الحَيَّةِ وَمُقْلٌ أَزْرَقُ ، يُبَخَّرُ بِهِما البَواسِيرُ الظَّاهِرَةُ والخَفِيَّةُ ، فَتَبْرَأُ .

وَبَيْضُ الحَيَّةِ ، يُدَقُّ مَع بَوْرَقٍ وَخَلٍّ ، وَيُطْلَى بِهِ البَرَصُ الجَدِيدُ : يَقْطَعُهُ .

وَسَلْخُ الحَيَّةِ ، إِذا عُجِنَ بِثَلاثِ تَمْرَاتٍ ، وَأُطْعِمَ لِمَن بِهِ الثَّآلِيلُ : ذَهَبَتْ عنه ؛ وَإِن أَكَلَهُ مَن لَيسَ بِهِ ثَآليلُ : لَمْ تَخْرُجْ أَبَداً .

وَقَلْبُها يُذْهِبُ حُمَّى الرِّبْعِ تَعْلِيقاً .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٨٩ و ٢٩٣ ومسالك الأبصار ١٠٦/٢٠ وتذكرة داود ٥٢/١ (الأفعى) .

● **فائِدَةٌ** : رَوَى ابنُ أَبي شَيْبَةَ وَغيره[1] : أَنَّ فُوَيْكاً قَدِمَ عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ وَعَيْناهُ مُبْيَضَّتانِ لا يُبْصِرُ بِهِما شَيْئاً ، فَسَأَلَهُ ﷺ : « مَا أَصابَهُ ؟ » فَقَالَ : كُنْتُ أُمَرِّنُ جَمَلاً ، فَوَقَفْتُ عَلَى بَيْضِ حَيَّةٍ ، وَلَمْ أَشْعُرْ ، فَأُصِبْتُ بِبَصَرِي ؛ فَنَفَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في عَيْنَيْهِ فَأَبْصَرَ ، فَكَانَ يُدْخِلُ الخَيْطَ في الإِبْرَةِ وَهُوَ ابنُ ثَمانِينَ سَنَةً ، وَإِنَّ عَيْنَيْهِ مُبْيَضَّتَانِ .

التَّعْبِيرُ[2] : الحَيَّةُ في المَنامِ تُعَبَّرُ بِأَشْياءَ كَثيرَةٍ : فَهِيَ عَدُوٌّ ، وَدَوْلَةٌ ، وَحَيَاةٌ ، وَسَيْلٌ ، وَوَلَدٌ ، وامْرَأَةٌ .

فَمَنْ نازَعَ حَيَّةً ، وَهِيَ تُرِيدُ أَنْ تَنْهَشَهُ ، فإِنَّهُ يُنازِعُ عَدُوّاً لَهُ ، لِقَوله تعالَى : ﴿ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [البقرة : ٣٦] .

فإِن رَأَى أَنَّهُ أَخَذَ حَيَّةً ، وَلَمْ يَخَفْ مِنْها ، وَصَرَّفَها حيثُ يَشَاءُ : فإِنَّهُ يَنالُ دَوْلَةً وَنُصْرَةً ؛ لأَنَّ مُوسَى عَليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ نَالَ بِهَا النُّصْرَةَ عَلَى فِرْعَوْن .

وَمَن رَأَى أَنَّ حَيَّةً خَرَجَتْ مِن فَمِهِ ، وَكَانَ مَرِيضاً : فإِنَّهُ يَمُوتُ ، لأَنَّها حَياتُهُ وَقَد خَرَجَتْ مِن فَمِهِ .

وَمَن رَأَى حَيَّاتٍ تَمشِي في خِلالِ الشَّجَرِ أَوِ الزَّرْعِ : فإِنَّها سُيُولٌ ، لأَنَّهُم شَبَّهُوا جَرَيَانَ المَاءِ بِالحَيّاتِ ؛ هَذَا إذا كَانَ جَرْيُها بِلا نَفْخٍ وَلا إِحْراقِ شَيْءٍ .

وَمَن قَتَلَ حَيَّةً عَلَى فِراشِهِ : ماتَتْ امْرَأَتُهُ .

وَمَن رَأَى امْرَأَتَهُ حامِلاً ، وَوَضَعَتْ حَيَّةً : أَتاهُ وَلَدٌ عاقٌّ .

وَمَن رَأَى حَيَّةً مَيِّتَةً : فإِنَّهُ عَدُوٌّ قَد كَفَاهُ اللهُ شَرَّهُ .

وَمَن عَضَّتْهُ حَيَّةٌ ، فَوَرِمَ مَوْضِعُ العَضَّةِ : نَالَ مالاً ؛ لأَنَّ السُّمَّ مَالٌ ، وَالوَرَمُ

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٢٧١ وأُسد الغابة ٤/ ٣٧٠ .

(٢) تعبير الرُّؤيا ١٩٧ وتفسير الواعظ ٣٠٩ .

زِيادَةٌ فِيهِ .

وَمَن أَكَلَ لَحْمَ حَيَّةٍ مَطْبُوخاً : نَالَ مَالَ عَدُوِّهِ .

وَمَن أَكَلَهُ نَيّئاً : اغْتَابَ عَدُوَّهُ .

وَمَن رَأَى حَيَّةً نَزَلَتْ مِنْ مَكانٍ : فإِنّ ذَلِكَ مَوْتُ رَئِيسِ ذَلِكَ المَكَانِ .

وَمَن رَأَى حَيَّةً ابْتَلَعَتْهُ : فإِنَّهُ يَنالُ سُلطاناً .

وَمَن رَأَى كَأَنَّهُ يَتخَطّى الحَيَّاتِ وَلا تَنْهَشُهُ : فإِنَّهُ يَأْمَنُ أَعْدَاءَهُ ؛ وَإِن كَانَ مَسْجُوناً : خَرَجَ من سِجْنِهِ .

وَرُؤْيَةُ الحَيَّاتِ الكَثِيرَةِ في الطُّرُقِ وهي تمنع النَّاسَ بِنَفْخِها وَنَهْشِها : فإِنَّ ذَلِكَ ظُلْمٌ مِنَ السُّلْطَانِ .

وَمَن رَأَى كَأَنَّ الحَيَّاتِ قد فُقِدْنَ مِن مَكانٍ : فإِنَّ الوَبَاءَ وَالمَوْتَ يَكثرُ في ذلكَ المَكَانِ ؛ لأَنَّ الحَيَّاتِ هِيَ الحَياة .

وَمَن رَأَى كَأَنَّ حَيَّةً تُكلمُهُ : فإِنَّهُ يَنالُ سُرُوراً .

وَمَن رَأَى كَأَنَّهُ مَلَكَ حَيَّةً مَلْساءَ ، وَصَرَّفَها حيثُ شَاءَ : فإِنَّهُ يَنالُ غِنىً وَسَعادَةً ؛ وَالسُّودُ مِنَ الحَيَّاتِ أَعْدَاءٌ لهم قُوَّةٌ ؛ فَمَنْ مَلَكَ حَيَّةً سَوْدَاءَ : نَالَ مُلْكاً وَوِلايَةً ؛ وَالبِيْضُ أَعْدَاءٌ ضِعافٌ .

وَالثُّعبانُ يدلُّ على العَداوَةِ في الأَهْلِ وَالأَزْواجِ وَالأَوْلادِ ، وَرُبَّما كان جاراً شِرِّيراً حَسُوداً .

وَالتِّنِّينُ : يَدُلُّ عَلَى سُلْطانٍ جائِرٍ مُهابٍ ، أَو نَارٍ مُحْرِقَةٍ .

وَالأَصَلَةُ : تَدُلُّ عَلَى امرأَةٍ ذَاتِ نَسْلٍ وَأَصْلٍ وَعُمْرٍ طَوِيلٍ .

وَالشُّجَاعُ : يَدُلُّ عَلَى امْرَأَةٍ باذِلَةٍ ، أَو وَلَدٍ جَسُورٍ .

وَالأَفاعِي : تَدُلُّ عَلَى أَقْوامٍ أَغْنِيَاءَ ، لِكَثْرَةِ سُمِّها .

وَالنَّاشِرُ : يَدُلُّ عَلَى الهَمِّ ، أَو عَلَى رَجُلٍ مُحارِبٍ غيورٍ .

وَحَيّاتُ البُيُوتِ : خُسْرانٌ ؛ وَحَيَّاتُ البَوادِي : قُطّاعُ الطَّرِيقِ ؛ وَحَيَّاتُ المَاءِ : مَالٌ ؛ فَمَن شَدَّ وَسَطَهُ بِحَيَّةٍ مِنها ، فإِنَّهُ يَشُدُّهُ بِهِمْيَانٍ .

وَحَيّاتُ البَطْنِ : أَعْدَاءٌ مِنَ الأَهْلِ والأَقارِبِ ؛ فَمَن رَمَى حَيَّةً ، فإِنَّهُ يُفارِقُ شَخْصاً من أقارِبِهِ خَبيثاً كانَ يُؤاكِلُهُ ، وَاللهُ أَعلمُ .

٢٥٣ الحَيُّوتُ : كَسَفُّودٍ : ذَكَرُ الحَيّاتِ .

٢٥٤ الحَيْدَوانُ : الوَرَشَانُ ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الواوِ » .

٢٥٥ الحَيْقُطَانُ : بِضَمِّ القَافِ : ذَكَرُ الدُّرَّاجَةِ .

٢٥٦ الحَيَوانُ : جِنْسُ الحَيِّ ، وَالحَيَوانُ : الحَيَاةُ ، والحَيَوانُ : مَاءٌ في الجَنَّةِ ؛ قالَه ابنُ سِيْدَه .

وَالحَيَوانُ[1] : « نَهْرٌ في السَّمَاءِ الرَّابعَةِ ، يَدْخُلُهُ جِبرِيلُ كُلَّ يوم ، فَيَنْغَمِسُ فِيهِ ، ثم يَخْرُجُ فَيَنْتَفِضُ انْتِفاضَةً يَخْرُجُ مِنْهُ سَبْعُونَ أَلفَ قَطْرَةٍ ، يَخْلُقُ اللهُ تَعالَى مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكاً يُؤْمَرُونَ أَن يَطُوفُوا بالبَيْتِ المَعْمُورِ ، فَيَطُوفُونَ بِهِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيه أَبَداً ، ثُمَّ يَقِفُونَ بينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ يُسَبِّحُونَ الله تعالى إلى يوم القيامة » ؛ كذا رَواهُ رَوْحُ بن جَناحٍ مَولَى الوَلِيدِ بن عَبدِ المَلِكِ ، الَّذِي رَوَى عَنْ مُجاهِدٍ ، عَنِ ابْنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « عالِمٌ واحِدٌ ، أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عابِدٍ » وَحَدِيثُه هَذَا فِي كِتابَي « التّرمِذيّ » و« ابن ماجه »[2] .

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ٥٧ .

(٢) التّرمذيّ (٢٦٨١) وابن ماجه (٢٢٢) ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٣٧ وتهذيب الكمال ٩/ ٢٣٦ و ٢٣٧ وميزان الاعتدال ٢/ ٥٨ برواية : فقيهٌ واحدٌ . . .

● وقال الزَّمخشريُّ في تَفْسِيرِ قولِه تعالى[1] : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] أَي ليسَ فِيها إلاَّ حَيَاةٌ دائِمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ خالِدَةٌ لا مَوتَ فِيها ، فكَأَنَّمَا فِي ذاتِها حَياةٌ ؛ وَالحَيَوانُ : مَصْدَرُ حَيِيَ ، وَقياسُهُ حَيِيَان ، فَقَلَبُوا اليَاءَ الثَّانِيَةَ واواً ، كَما قَالُوا : حَيْوَةَ في اسْمِ رَجُلٍ ، وَبِهِ سُمِّيَ مَا فِيهِ حَيَاةٌ حَيَواناً ؛ وَفِي بِنَاءِ الحَيَوانِ زِيادَةُ مَعْنَىً لَيْسَ فِي بناءِ الحَيَاةِ وهُوَ مَا فِي بناءِ فَعَلانَ مِنَ الحَرَكَاتِ ، وَمَعنى الاضْطراب ، كَالنَّزْوانِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ وَالحَيَاةُ حَرَكَةٌ كَمَا أَنَّ المَوْتَ سُكونٌ ، فَمَجِيئُهُ عَلَى ذَلِكَ مُبَالَغَةٌ في مَعْنَى الحَيَاةِ[2] .

● وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : الحَيَوانُ وَالحَيَاةُ بِمَعْنَى واحِدٍ ، وهُوَ عِنْدَ الخَلِيلِ وَسِيبويه مَصْدَرٌ كَالهَيَمانِ وَنَحوهُ ؛ وَالمعنى : لا مَوْتَ فِيها ، قَالَهُ مُجاهِدٌ ، وَهُوَ حَسَنٌ .

وَيُقَالُ : الأَصْلُ حَيِيانِ بِيَاءَيْنِ ، فَأُبْدِلَتْ إِحْدَاهُما واواً لاجْتِماعِ المِثْلَيْنِ .

● وَقَالَ الجاحِظُ[3] : الحَيَوانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسام : شَيْءٌ يَمْشِي ، وَشَيْءٌ يَطِيرُ ، وَشَيْءٌ يَعُومُ ، وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ في الأَرْضِ ؛ إلاَّ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَطِيرُ يَمْشِي ، وَلَيسَ كُلُّ شَيْءٍ يَمْشِي يَطِيرُ . فَأَمَّا النوْعُ الذِي يَمشِي فَهُوَ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسامٍ[4] : ناسٌ ، وَبَهائِمُ ، وَسِبَاعٌ ؛ وَالطَّيْرُ كُلُّهُ سَبُعٌ وَبَهِيْمَةٌ وَهَمَجٌ .

وَالخَشاشُ مَا لَطُفَ جِرْمُهُ ، وَصَغُرَ جِسْمُهُ ، وَكَانَ عَدِيمَ السِّلاحِ .

وَالهَمَجُ لَيسَ مِنَ الطُّيُورِ ، وَلَكِنَّهُ يَطِيرُ ، وهو فِيما يَطِيرُ كَالحَشَراتِ فِيما يَمْشِي .

---

(١) الكَشاف ٣/ ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٢) نصُّ الكشَّاف : فمجيئهُ على بناءٍ دالٍّ على معنى الحركة ، مبالغة في معنى الحياة ؛ ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة .

(٣) الحيوان ١/ ٢٧ ـ ٣٠ .

(٤) في الحيوان : . . . على أَربعة أَقسام : ناسٌ ، وبهائمُ ، وسباعٌ ، وحشراتٌ .

وَالسَّبُعُ مِنَ الطَّيْرِ مَا أَكَلَ اللَّحْمَ خالِصاً ، وَالبَهِيْمَةُ مَا أَكَلَ الحَبَّ خالِصاً .

والمُشْتَرَكُ كَالعُصفورِ فإِنَّهُ لَيسَ بِذِي مِخْلَبٍ وَلاَ مِنْسَرٍ ، وَهُوَ يَلْتَقِطُ الحَبَّ ، ومع ذلك يَصِيدُ النَّمْلَ إِذا طَارَ ، وَيَصِيدُ الجَرادَ ، وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ ، وَلا يَزُقُّ فِراخَهُ كَمَا يَزُقُّ الحَمامُ ؛ فَهو مشتركُ الطَّبِيْعَةِ ، وَأَشْباهُ العَصَافِيرِ مِنَ المُشْتَرَكِ كَثِيرَةٌ .

وَلَيْسَ كُلُّ مَا طَارَ بِجَناحَيْنِ [فَهُو] مِنَ الطَّيْرِ ، فقد يَطِيرُ الجِعْلانُ والذُّبابُ والزَّنابيرُ والجَرادُ والنَّمْلُ والفراشُ والبَعُوضُ والأَرَضَةُ وَالنَّحْلُ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلا تُسَمَّى طُيُوراً ؛ وَكَذَلِكَ المَلائِكَةُ تَطِيرُ ، وَلَها أَجنِحَةٌ وَلَيسَت مِنَ الطَّيْرِ ، وَكَذَلِكَ جَعفر بن أَبي طَالِبٍ ، ذُو جَناحينِ يَطِيرُ بِهِما في الجَنَّةِ ، وَلَيسَ مِنَ الطَّيْرِ . انتهى .

● وَفِي « الصَّحِيحينِ »[1] وَغيرِهما : عن عبدِ اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لَعَنَ اللهُ من مَثَّلَ بِالحَيوانِ » .

وَفِي رِوايَةٍ[2] : « لَعَنَ اللهُ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً » .

وَفِي رِوايَةٍ[3] : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ البَهائِمُ » .

قَالَ العُلَمَاءُ : تَصْبِيرُ البهائِمِ : هُوَ أَنْ تُحْبَسَ وَهِيَ أَحْيَاءُ ، لِتُقْتَلَ بِالرَّمْي وَنَحوه ؛ وهو معنى قَولِه : « لا تَتَّخِذُوا شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً » أَي يُرْمَى إِلَيْهِ كَالغَرَضِ مِنَ الجُلُودِ وَغيرِها .

وَهَذَا النَّهْيُ لِلتَّحْرِيمِ ، لأَنَّ النبيَّ ﷺ لَعَنَ فاعِلَهُ ، وَلأَنَّهُ تَعْذِيبٌ للحَيَوانِ ،

---

(١) البخاري ٦/٢٢٨ ومسلم (١٩٥٨) والنَّسائيّ (٤٤٤٠ و ٤٤٤٢) وابن ماجه (٣١٨٥) .

(٢) مسلم (١٩٥٧) والنَّسائيّ (٤٤٤١ و ٤٤٤٣) وابن ماجه (٣١٨٧) .

(٣) البخاري ٦/٢٢٨ ومسلم (١٩٥٦ و ١٩٥٩) والنّسائي (٤٤٣٩) وابن ماجه (٣١٨٦ و ٣١٨٨) .

وإتْلافٌ لِنَفْسِهِ ، وَتَضْيِيعٌ لِمالِهِ ، وَتَفوِيتٌ لِذَكاتِهِ ، إن كان يُذَكَّى ، وَلِمَنْفَعَتِهِ إنْ لم يَكنْ يُذَكّى .

تَتِمَّةٌ : في كِتاب « التَّنْوِيرِ فِي إِسْقَاطِ التَّدْبِيرِ » : قَالَ الشَّيْخُ تاجُ الدِّينِ بن عَطاء الله الإِسْكَنْدَرِيّ : وَإِنَّما خَصَّ اللهُ تَعالَى الحَيَوانَ بالافتِقارِ إِلى التغْذِيَةِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ المَوْجُوداتِ ، لأَنَّهُ تَعالَى وَهَبَ للحَيَوانِ مِن صِفاتِهِ ، مَا لَو تَرَكَهُ من غَيْرِ فاقَةٍ لادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ ، أَوِ ادُّعِيَ فِيهِ ذَلِكَ ؛ فَأَرادَ الحَقُّ سُبحانَه ، وهو الحَكِيمُ الخَبِيرُ ، أَنْ يُحْوِجَهُ إِلى مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِن أَسْبابِ الحاجَةِ ، لِيَكُونَ تكرارُ أَسْبابِ الحاجَةِ منهُ سَبَباً لِخُمُودِ الدَّعْوَى منهُ أَو فِيهِ .

الحُكْمُ : يَصِحُّ السَّلَمُ في الحَيوانِ ، لأَنَّهُ يَثْبُتُ في الذِّمَّةِ ثَمَناً وَصَداقاً ، وَفِي إِبلِ الدِّيَةِ .

وَصَحَّ « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ اسْتَسْلَفَ بَكْراً »[1] .

وَمَنَعَ أَبُو حَنِيفةَ رَضِيَ الله عنه ذَلِكَ ، لأَنَّ ابنَ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه كَرِهَهُ ؛ وَلأَنَّهُ لا يَنْضبِطُ بالصِّفَةِ .

● لِنا مَا رَوَى « أَبُو داود » و« الحاكِمُ »[2] عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، عَن عَبدِ الله ابن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أَنَّهُ قال : « أَمَرَنِي رَسولُ اللهِ ﷺ أَن أَشْتَرِيَ بَعِيراً بِبَعِيرَيْنِ إِلى أَجَلٍ » .

وَرَوَى البَيهقِيُّ[3] عن عليّ رَضِيَ الله عنه ، أَنَّهُ بَاعَ جَمَلاً له يُدْعَى عُصْفُوراً بِعِشْرِينَ بَعيراً إِلى أَجَلٍ .

وَاشْتَرَى ابْنُ عُمر رَضِيَ اللهُ عنهما راحِلَةً بِأَرْبَعَةِ أَبْعِرَةٍ ، يُوفِيها صاحِبَها

---

(١) مسلم (١٦٠٠) والتّرمذيّ (١٣١٨) والنّسائي (٤٦١٧) .

(٢) أبو داود (٣٣٥٧) والمستدرك ٢/ ٥٦ ـ ٥٧ .

(٣) ومالك في الموطأ ٢/ ٦٥٢ .

بِالرَّبَذَةِ . رَواهُ مَالِكٌ في « المُوَطّأ » وهو فِي « البُخاريّ » بِغَيرِ إِسنادٍ[1] .

وَالرَّبَذَةُ بِالذَّالِ المُعْجَمَةِ : مَوْضِعٌ عَلَى ثَلاثِ مَراحِلَ من المَدِينَةِ .

● وَأَمَّا الحَدِيثُ الذِي رَواهُ الحَسَنُ عن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ « نَهى عَنْ بَيْعِ الحَيَوانِ بالحَيَوانِ » فَرَواهُ « أَبُو داود » و« التِّرمذيّ » و« ابن ماجَه »[2] . وَقَالَ التِّرمذيُّ : إِنَّهُ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَسَماعُ الحَسَنِ مِن سَمُرَةَ صَحِيحٌ . هَكَذَا قَالَ عليُّ بن المَدينيّ وَغَيرهُ .

وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِندَ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الصَّحابَةِ وَغَيْرِهِم ، فِي مَنْعِ بَيْعِ الحَيَوانِ بِالحَيَوانِ نَسِيئَةً ، وهو قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوريّ وَأَهلِ الكُوفَةِ ، وَبِهِ قَالَ أَحمدُ .

● وَقد رَخَّصَ بَعضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الصَّحابَةِ وَغَيْرِهِم في بَيْعِ الحَيَوانِ بِالحَيَوانِ نَسِيئَةً ، وَهُوَ قَولُ الشّافعيِّ وإِسحاق .

وَقَالَ الخَطَّابِيُّ : النَّهْيُ فِي حَدِيثِ سَمُرَةَ ، مَحْمُولٌ على مَا إِذا كَانَ نَسِيئَةً مِنَ الطَّرَفَيْنِ ، فَيَكُونُ من بابِ الكالىءِ بِالكالىءِ ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص المَذكور .

وَقَالَ مالِكٌ : إِذا اخْتَلَفَتْ أَجْناسُ الحَيَوانِ ، جَازَ بيعُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ نَسِيئَةً ، وَإِن تَشَابَهَتْ لَمْ يَجُزْ .

● وَقَالَ في « الإِحيَاءِ »[3] تُكْرَهُ التِّجارَةُ في الحَيَوانِ ، لأَنَّ المُشْتَرِيَ يَكْرَهُ قَضاءَ اللهِ فِيهِ ، وَهو الموتُ الذِي هو بِصَدَدِهِ لا مَحالَةَ ؛ وَقِيلَ : بِعِ الحَيَوانَ واشْتَرِ المُوتانَ .

---

(١) البخاري ٣/ ٤١ والموطأ ٢/ ٦٥٢ .

(٢) أَبو داود (٣٣٥٦) والترمذي (١٢٣٧) والنَّسائيّ (٤٦٢٠) وابن ماجه (٢٢٧٠) .

(٣) إِحياء علوم الدِّين ٢/ ٧٦ .

وَيَضْمَنُ سائِرَ الحَيَوانِ إذا أُتْلِفَ بالقِيمَةِ ، لِما فِي « الصَّحِيحينِ » عَنِ ابنِ عُمر ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[1] : « مَنْ أَعْتَقَ شِرْكاً لَهُ فِي عَبْدٍ ، فإِن كَانَ مَعهُ مَا يَبْلُغُ ثَمَنَ العَبْدِ ، قُوِّمَ عَلَيهِ ، وَأَعْطَى شُركاءَهُ حِصَصَهُم ، وَعَتَقَ عَلَيهِ العَبْدُ ، وإلاَّ فقَدْ عَتَقَ مِنه مَا عَتَقَ » .

فَأَوْجَبَ القِيْمَةَ في العَبْدِ بالإتْلافِ بالعِتْقِ ، وَلأَنَّ إيْجابَ مِثْلِه مِن جِهَةِ الخِلْقَةِ لا يُمْكِنُ ، لاخْتَلافِ الجِنْسِ الواحِدِ في القِيْمَةِ ، فكانت القِيْمَةُ أَقْرَبَ إلى إِيْفاءِ حَقِّهِ ، وَيَضْمَنُ أَعْضاءَ الحَيَوانِ بِمَا نَقَصَ من قِيْمَتِهِ .

وَأَوْجَبَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي عَيْنِ الإِبِلِ وَالبَقَرِ والخَيْلِ رُبْعَ القِيْمَةِ ؛ وَسَيأتِي إِن شاء الله تعالى في « باب الفاء » في لفظ « الفَحْلِ » أَثَرٌ يَشْهَدُ لِذَلكَ من حَدِيثِ عُرْوَةَ البارِقيّ .

وَأَوْجَبَ مالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ في قَطْعِ ذَنَبِ حِمارِ ذِي الهَيْئَةِ ، وَذَنَبِ بَغْلَتِه ، تَمامَ القِيْمَةِ ، وَيَأْخُذُ المُتْلِفُ العَيْنَ .

الخَواصُّ : قَالَ في « المختار » : الخَصِيُّ مِنَ الحَيَوانِ أَبْرَدُ من فَحْلِه ، وَإِذا كَانَ سَميناً كَانَ لَذِيْذاً ، مُرَطِّباً ، مُلَيِّناً لِلطَّبِيْعَةِ ، بَطِيءَ الانْحِدارِ ؛ وَمَا كَانَ مَهْزُولاً فَبِالضِّدِّ إلاَّ أَنَّهُ سَرِيعُ الانْحِدارِ ؛ وَأَجْوَدُهُ حَوْليُّ المَعزِ ، وَمَنفعته سُرْعَةُ الانْهِضَامِ . وَمَضرَّتُه أَنَّهُ يُرْخِي المَعِدَةَ ؛ وَدَفْعُ مَضَرَّتِهِ شُرْبُ مِياهِ الفَواكِهِ القابِضَةِ ؛ وَهُوَ يُوَلِّدُ دَماً مُعْتَدِلاً يُوافِقُ أَصْحَابَ الأَمْزِجَةِ المُعْتَدِلَةِ من الشُّبّانِ ، ومن الأَزْمانِ زَمانَ الرَّبِيعِ .

وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ أَفْضَلَ لُحُوم الحَيَوانِ مَا كَانَ مُعْتَدِلاً في الهُزَالِ والسِّمَنِ ، وَأَجْوَدُ اللُّحومِ لحمُ الضَّأْنِ المُتَناهِي الشَّبابِ ، وَالبَقَرِ التي لم تبلغْ سِنَّ الشَّبابِ ، والخَصِيِّ من المَعْزِ ؛ وَأَجْوَدُهُ عَلَى الإِطلاقِ الضَّأْنُ .

---

(١) البخاري ٣/ ١١٧ ومسلم (١٥٠١) وابن حبّان (٤٣١٦) .

التَّعبيرُ : من كَلَّمَهُ حَيَوانٌ مِنَ الدَّوابِّ أَوِ الطَّيْرِ ، وَفَهِمَ كَلامَهُ ؛ فإِنَّهُ كَما قَالَ ، وَرُبَّما دَلَّ عَلَى وُقُوعِ أَمْرٍ مِنهُ يَعْجَبُ النّاسُ لهُ ، وَإِن لَم يَفهمْ ما قالَهُ فَلْيَحْذَرْ عَلَى مالٍ يَذْهَبُ مِنه ، لأَنَّ الحَيَوان مَأْكَلَةٌ ؛ وقد تكُونُ هَذه الرُّؤْيَا باطِلَةً ، فَلا يَنبغي أَنْ يُفَتَّشَ عنها .

وَجُلُودُ سائِرِ الحَيَوانِ : مِيْراثٌ ؛ وَقِيلَ : الجُلُودُ بُيُوتٌ لِمن مَلَكَها ، لِقَولِهِ تَعالَى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾ [النَّحل : ٨٠] .

وَرُبَّما دَلَّتْ جُلُودُ الحيوانِ كَالسَّمُّورِ والسِّنْجابِ والوَشَقِ والقاقُمِ والفَنَكِ والنِّمْسُ والثَّعْلَبِ والأَرْنَبِ والفَهْدِ لِلجُلُوسِ وَأَشْباهِ ذَلِكَ ، عَلَى النِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ ، وَالأَمْوالِ والأَرْزَاقِ ، وَعُلُوِّ الشَّأْنِ لِمن لَبِسَها في المَنامِ ، رآها عندَه ، أَو مَلَكَها .

وإِذا رَأَى الإِنْسَانُ كَأَنَّ جِلْدَهُ سُلِخَ ، وَكَانَ مَرِيضاً ، فإِنَّهُ يَمُوتُ ، وإِلاّ افْتَقَرَ وافْتُضِحَ .

وَرُبَّما دَلَّتِ الجلودُ عَلَى مَا يُعْمَلُ مِنْها ؛ فَجُلُودُ الإِبلِ تَدُلُّ عَلَى الطُّبُولِ ، وَجُلودُ الضَّأْنِ عَلَى الكِتابَةِ ، وَالمَعْزِ عَلَى النُّطُوعِ ، وَجُلُودُ البَقَرِ عَلَى الأَوْطِئَةِ والدِّلاءِ وَالسُّيورِ ، وَجُلُودُ الخَيْلِ وَالبِغَالِ والحَمِيرِ عَلَى الأَوْعِيَةِ والأَسْقِيَةِ ، وَجُلودُ الجامُوسِ عَلَى الحُصُونِ .

وَأَمَّا الأَصْوافُ والأَوْبَارُ وَالأَشْعارُ ، فَكلُّ ذَلِكَ دَالٌّ عَلَى الفَوائِدِ والأَرْزَاقِ وَالمَلابِسِ وَأَمْوَالٍ مَوْرُوثَةٍ وَغَيْرِ مَوْروثَةٍ أَوْ مُغْتَصَبَةٍ .

وَأَمَّا القُرُونُ ، فَتَدُلُّ رُؤْيَتُها على الأَعْوامِ والسِّنِينِ ، أَوِ السِّلاحِ ، أَوْ مَا يُتَجَمَّلُ به من الأَمْوالِ والأَوْلادِ والعِزِّ والجَاهِ .

وَأَمَّا أَنْيَابُ الفِيْلِ وَعَظْمُهُ ، فإِنَّ ذَلِكَ دَالٌّ عَلَى تَرِكَةِ من هَلَكَ من المُلوكِ والزُّعماءِ .

وَأَمّا أَظْلافُ الحَيَوانِ ، فإِنَّها تدلُّ على الكَدِّ والسَّعْيِ والاجْتِمَاعِ بينَ المَرْأَةِ وَزَوْجِها ، وَالوالِدَةِ وَوَلَدِها ؛ وَالظِّلْفُ في الصُّورَةِ هاءٌ مَشْقُوقَةٌ .

وَأَمّا الأَخْفافُ فَقُوَّةُ سَفَرٍ ؛ وَرُبَّما دَلَّ الخُفُّ في اسْتِدَارَتِهِ عَلَى العَدْوِ أَوِ السُّقْمِ ، أَوِ التَّمْهِيدِ للأُمُورِ والتَّوْطِئَةِ الحَسَنَةِ .

وَأَمّا الأَذْنابُ ، فإِنَّها دالَّةٌ عَلَى مَا دَلَّ الحَيَوانُ عليه ، وَمَن يُساعِدُهُ في مَصَالِحِهِ وَيَذُبُّ عنه مَا يَخْشاهُ .

وَأَمّا أَصْواتُ الحَيَوانِ ، فَنَذْكُرُها هُنا مُفَصَّلَةً :

فَأَمّا ثُغاءُ الشّاةِ : فَلَطافَةٌ من امْرَأَةٍ أَو صَدِيقٍ ، أَوْ بِرٌّ من رَجُلٍ كَرِيمٍ .

وَأَمّا ثُغاءُ الجَدْيِ والكَبْشِ والحَمَلِ : فَسرورٌ وَخِصْبٌ .

وَأَمّا صَهِيلُ الفَرَسِ : فَهُوَ هَيْبَةٌ من رَجُلٍ شَرِيفٍ ، أَوْ جُنْدِيٍّ شُجاعٍ .

وَأَمّا نَهِيقُ الحِمَارِ : فَسَفَهٌ من رَجُلٍ سَفِيهٍ .

وَأَمّا شَحيجُ البَغْلِ : فَصُعُوبَةٌ من رجلٍ صَعْبِ المَرامِ .

وَأَمّا خُوارُ العِجْلِ والثَّوْرِ والبَقَرِ : فَوُقُوعٌ فِي فِتْنَةٍ .

وَأَمّا رُغاءُ الإِبِلِ : فَسَفَرٌ طَوِيلٌ في حَجٍّ أَوْ تِجارَةٍ رابِحَةٍ أَو جِهادٍ .

وَأَمّا زَئِيرُ الأَسَدِ : فَخَوفٌ وَهَيْبَةٌ لِمَنْ سَمِعَهُ مِنْ مَلِكٍ ظَلُومٍ .

وَأَمّا ضُغاءُ الهِرَّةِ : فَشُهْرَةٌ مِن خادِمٍ لِصٍّ أَو فاجِرٍ .

وَأَمّا نَهِيزُ الفَأْرَةِ : فَضَرْبٌ من رَجُلٍ نَقّابٍ ، أَو فاسِقٍ ، أَو سَرِقَةٍ .

وَأَمّا بُغامُ الظَّبْيِ : فَفَائِدَةٌ من امْرَأَةٍ حَسْناءَ .

وَأَمّا عُواءُ الكَلْبِ : فَخَجَلٌ مَن سَعي فِي الظُّلْمِ .

وَأَمّا عُواءُ الذِّئْبِ : فَجَوْرٌ من لِصٍّ غَشُومٍ .

وَأَمَّا ضُباحُ الثَّعْلَبِ : فَكَيْدٌ من رَجُلٍ كَذّابٍ ، أَوِ امْرَأَةٍ كَذّابَةٍ .

وَأَمَّا وَعْوَعَةُ ابنِ آوَى : فَصُراخُ نِسَاءٍ ، أَوْ ضَجَّةُ المَحبوسِينَ اليائسينَ .

وَأَمَّا صِياحُ الخِنْزِيرِ : فَظَفَرٌ بِأَعْدَاءٍ حَمْقَى .

وَأَمَّا صَوْتُ الفَهْدِ : فَتَهَدُّدٌ من رَجُلٍ مُذَبْذَبٍ طامِعٍ ، وَيَظفرُ بِهِ مَن سَمِعَهُ .

وَأَمَّا نَقِيقُ الضِّفْدَعِ : فَدُخُولٌ في عملِ رجلٍ عالِمٍ أَو رئيسٍ أو سُلطانٍ ؛ وقِيل : إِنَّه كَلامٌ قَبِيحٌ .

وَأَمَّا فَحِيحُ الحَيَّةِ : فَكَلامٌ من عَدُوٍّ كاتِمٍ للعَدَاوَةِ ، ثُمَّ يَظْفَرُ بِهِ مَن سَمِعَهُ ؛ وَمَن كَلَّمَتْهُ الحَيَّةُ بِكَلامٍ لَطِيفٍ ، فإِنَّهُ عَدُوٌّ يَخْضَعُ لَهُ ، وَيَتَعَجَّبُ النَّاسُ لِذَلِكَ .

٢٥٧ أُمُّ حُبَيْنٍ : بِحاءٍ مُهملَةٍ مَضْمومةٍ ، وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ مَفْتُوحَةٍ مُخَفَّفَةٍ : دُوَيْبَّةٌ مِثلُ ابنِ عِرْسٍ وابنِ آوَى وَسامِّ أَبْرَصَ وابْنِ قِتْرَةَ ، إِلاّ أَنَّهُ تَعْرِيفُ جِنْسٍ ؛ وَرُبَّما أُدخلَ عليهِ الأَلفُ واللاَّمُ ثُمَّ لا تَكُونُ بِحَذْفِهِما منهُ نَكِرَةً[١] .

وإِنَّما سُمِّيَتْ بِذَلِكَ مِنَ الحَبَنِ ، تَقُولُ : فُلانٌ بِهِ حَبَنٌ ، فَهُوَ أَحْبَنُ : أَيْ مُسْتَسْقَىً ، فَشُبِّهَتْ بِذَلِكَ لِكِبَرِ بَطْنِها .

وَهِيَ[٢] عَلَى خِلْقَةِ الحِرْبَاءِ ، غيْرَ الصَّدْرِ ؛ وَقِيلَ : هِيَ أُنْثَى الحَرابي ، وَهُما أُمّا حُبَيْنٍ ، وَهُنَّ أُمَّهاتُ حُبَيْنٍ ؛ وَهِيَ دابَّةٌ عَلَى قَدْرِ الكَفِّ ، تُشْبِهُ الضَّبَّ غالباً . قَالَهُ أَبُو مَنصورٍ الأَزْهَرِيُّ .

وَمَا نَقَلَهُ من كَوْنِها أُنثى الحَرابي ، هو الذِي نَقَلَهُ صاحِبُ « الكِفايَةِ » فإِنَّهُ قَالَ : الحِرْبَاءُ : ذَكَرُ أُمِّ حُبَيْنٍ .

وَقَالَ ابنُ السِّكِّيتِ : هِيَ أَعْرَضُ مِنَ العَظاءَةِ ، وَفِي رَأْسِها عَرضٌ .

---

(١) عن الصِّحاح « حبن » ٥/ ٢٠٩٦ .

(٢) العين ٣/ ٢٥٠ والتهذيب ٥/ ١١٤ وربيع الأَبرار ٥/ ٤٧٠ .

وَقَالَ أَبو زيدٍ : إِنَّها غَبْرَاءُ ، لَهَا أَرْبَعُ قَوائِمَ ، عَلَى قَدرِ الضِّفْدَعَةِ التِي ليسَت بِضَخْمَةٍ ؛ فإِذا طَرَدَها الصَّيَّادُونَ[١] قَالُوا لَهَا[٢] : [من الرَّجز]

أُمَّ حُبَيْـــنٍ انشُـــرِي بُـــرْدَيْـــكِ إِنَّ الأَميـــرَ نـــاظِـــرٌ إِلَيْـــكِ
وَضَـــارِبٌ بِسَـــوْطِـــهِ جَنْبَيْـــكِ

فَيَطرِدُونَها حَتَّى يُدْرِكَها الإِعْيَاءُ ، فَتَقِفُ مُنْتَصِبَةً عَلَى رِجْلَيْها ، وَتَنْشُرُ جَناحَيْها ، وَهُمَا أَغْبَرانِ عَلَى مِثْلِ لَوْنِها ، فإِذا زادُوا في طَرْدِها نَشَرَتْ أَجْنِحَةً مِن تَحتِ ذَيْنِكَ الجَناحَيْنِ لَمْ يُرَ أَحْسَنَ مِنْهُنَّ ، مَا بَيْنَ أَصْفَرٍ وَأَحْمَرٍ وَأَخْضَرٍ وأَبْيَضٍ ، وَهِيَ طَبائِقُ بَعضُها فَوْقَ بعضٍ مثلُ أَجْنِحَةِ الفَراشِ في الرِّقَّةِ ، فإِذا رآها الصَّيّادُونَ[١] قَدْ فَعَلَتْ ذَلِكَ تَرَكُوها .

وَقَالَ عليُّ بن حَمْزَةَ : الصَّحِيحُ عِنْدِي : أَنَّ هَذِهِ صِفَةُ أُمِّ عُوَيْفٍ[٣] . وستأتي في « بابِ العينِ المُهملة » إن شاء الله تعالى .

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ[٤] : أُمُّ حُبَيْنٍ ، تَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ ، وَتَدُورُ مَعَها كَيْفَ دارَتْ ؛ وَهَذِهِ صِفَةُ الحِرْبَاءِ .

وَقَالَ في « المُرَصَّعِ »[٥] : اخْتُلِفَ في أُمِّ حُبَيْنٍ ، فَقِيلَ : هِيَ ضَرْبٌ من

---

(١) كذا في الأصول ، ولعل الصّواب : الصِّبيان ، كما في ربيع الأبرار .

(٢) الأَشطار بلا نسبة في العين والتهذيب بروايةٍ مختلفة ، واللسان « حبن » وربيع الأبرار .

(٣) وجعلهما الزمخشري في ربيع الأبرار واحداً ؛ فَقَالَ : وهي عظايةٌ لها بطنٌ بارزٌ ، وَذَكَرها الحرباءُ ، ويُقالُ لها : أُمّ عويف ؛ ويقول لها صبيان العرب : أُمُّ عُوَيْفٍ شَمِّري بُرْدَيْكِ . . .

(٤) نصُّ ابن قتيبة في أدب الكاتب ٢١٦ : وأُمُّ حُبينٍ : ضَرْبٌ من العظاء ، مُنتنة الرِّيح ، وقد يُقالُ لها : حُبَيْنَةٌ ؛ قَالَ مَدينيٌّ لأعرابيٍّ [الخبر الآتي] . والحِرْباءُ أكبرُ من العظاءةِ شيئاً ، يستقبلُ الشَّمسَ ويدورُ معها كيفَ دارت ، ويتلوَّنُ أَلواناً بحرِّ الشَّمسِ .

(٥) المرصع ١٤٠ .

العَظَاءِ ؛ وقيل : أعْرَضُ منها ؛ وقيل : هي أُنْثَى الحَرابي ، يَتَحاماها الأَعْرابُ فَلا يَأْكُلُونَها لِنَتَنِها . انتهى .

وَمَا ذَكَرَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ من كَوْنِ أُمِّ حُبَيْنٍ ضَرْباً مِنَ العَظَاءِ[١] ؛ فِيهِ نَظَرٌ ، فإِنَّ العَظَاءَ نَوْعٌ من الوَزَغِ ، كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ اللُّغَةِ .

وَيُقَالُ[٢] لَهَا : حُبَيْنَةٌ ، مُعَرَّفَةٌ بلا أَلِفٍ وَلامٍ ، تَقَعُ عَلَى الواحِدِ والجَمْعِ ، وقد تُجْمَعُ عَلَى أُمِّ حُبَيْنَاتٍ، وَأُمَّهاتِ حُبَيْنٍ، وَأُمّاتِ حُبَيْنٍ؛ وَلَم تَرِدْ إِلاّ مُصَغَّرَةً.

● وَفِي[٣] حَدِيثِ عُقبة رحمهُ الله : « أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ ، وَلا تُصَلُّوا صَلاةَ أُمِّ حُبَيْنٍ » . وَفَسَّرُوهُ بأَنَّها إِذا مَشَتْ تُطَأطِىءُ رَأْسَها كَثِيراً وَتَرْفَعُهُ ، لِعِظَمِ بَطْنِها ، فَهِيَ تَقَعُ عَلَى رَأْسِها وَتَقُومُ ، فَشَبَّهَ بِها صَلاتَهُمْ فِي السُّجُودِ .

وَفِي[٤] الحَدِيثِ : أَنَّهُ ﷺ رَأَى بِلالاً وَقد خَرَجَ بَطْنه ، فَقَالَ : « أُمَّ حُبَيْنٍ » . تَشْبِيهاً لَهُ بها ، وَهَذَا مِنْ مَزْحِهِ ﷺ .

● قَالَ الجاحِظُ[٥] : قال أَبُو زَيْدٍ النَّحْوِيُّ : سمعتُ أَعرابِيّاً يَقُولُ لأُمِّ حُبَيْنٍ: حُبَيْنَةٌ . وَحُبَيْنَةُ اسْمُها .

وَحُبَيْنٌ : تَصْغِيرُ أَحْبَنَ ، وَهُوَ الذِي اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ ، وَنَفَخَ بَطْنَهُ .

وَحُكْمُها : الحِلُّ ، لأَنَّها مِنَ الطَّيِّباتِ ، وَلأَنَّها تُفْدَى في الحَرَمِ والإِحْرامِ إِذا قُتِلَتْ بِحُلاَّنٍ كَمَا تَقَدَّمَ؛ وَمِن قَوَاعِدِ الشَّافعي أَن لا يُفْدَى إِلاَّ المَأْكولُ البَرِّيُّ .

---

(١) لم يرد هذا في ما نقله المؤلِّف عن ابن قتيبة ، فانظره في الهامش .
(٢) عن المرصّع ١٤٠ .
(٣) عن النهاية ١/ ٣٣٥ .
(٤) عن النهاية ١/ ٣٣٥ وربيع الأبرار ٥/ ٤٧٠ .
(٥) الحيوان ١/ ١٤٥ .

وَحَكَى الماوَرديُّ فيها وَجْهَيْنِ ، وقال : إِنَّ الحِلَّ مُقْتَضى قولِ الشّافعيِّ ، وَمُقْتَضى مَا قَالَه ابنُ الأَثِيرِ في « المُرَصَّع » إنَّها حَرامٌ .

وَفِي « التَّمهِيدِ » لابنِ عبدِ البَرِّ ، عن جَماعَةٍ من أَهْلِ الأَخْبَارِ[1] : أَنَّ مَدَنِيّاً سَأَلَ أَعْرابيّاً ، فَقَالَ : أَتَأْكُلُونَ الضَّبَّ ؟ قَالَ : نَعم . قَالَ : فَاليَربوعَ . قَالَ : نَعم . قَالَ : فَالقُنْفُذَ ؟ قَالَ : نَعم . قَالَ : فَالوَرَلَ ؟ قَالَ : نَعم . قَالَ : أَفَتَأْكُلُونَ أُمَّ حُبَيْنٍ ؟ قَالَ : لا . قَالَ : فَلْتَهْنِىءْ أُمَّ حُبَيْنٍ العافِيَةُ . انتهى .

وَالجَوابُ : إِنَّ هذا راجِعٌ لِما اعتادُوا أَكْلَهُ ، وَتَرْكَ أَكْلِهِ خاصَّةً ، لا أَنَّها حَرامٌ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ .

٢٥٨ أُمُّ حَسّانٍ[2] : دُوَيْبَّةٌ عَلَى قَدْرِ كَفِّ الإِنْسَانِ .

٢٥٩ أُمُّ حَشِيْشٍ[3] : بِفَتْحِ الحَاءِ المُهملَةِ : الغَزَالَةُ . قَالَهُ ابْنُ الأَثِيرِ[2] .

٢٦٠ أُمُّ حَفْصَةَ[2] : الدَّجاجَةُ الأَهْلِيَّةُ .

٢٦١ أُمُّ حُمارِش[2] : بِضَمِّ الحَاءِ المُهملَةِ : دُوَيْبَّةٌ سوداءُ ، من دَوَابِّ المَاءِ ، لَهَا أَرْجُلٌ كَثِيْرَةٌ[4] . وَاللهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ .

---

(١) الحيوان ٣/ ٥٢٦ و ٦/ ١٤٣ و ٣٨٥ وعيون الأَخبار ٣/ ٢٠٩ وأَدب الكاتب ٢١٦ وثمار القلوب ١/ ٤١٠ والدُّرَّة الفاخرة ٤٧٩ والفصول والغايات ٥٥٠ .

(٢) المرصّع ١٤١ ـ ١٤٢ .

(٣) في الأُصول : أُمُّ حسيس . بالسِّين المهملة . والمثبت من المرصّع والمنى في الكنى ١٤٦ .

(٤) في أ ، ط : وُضع تعريف أُمّ حشيش لأُمّ حمارش ، وتعريف أُمّ حمارش لأُمِّ حشيش . والتَّصحيح من ب والمرصّع .

بابُ الخَاءِ المعْجَمَةِ

٢٦٢ الخَازِبازُ : والخِزْبَازُ لَغُةٌ فِيهِ ؛ قَالَ الجَوْهَرِيُّ : إِنَّهُ ذُبابٌ ؛ وهما اسْمَانِ جُعِلاً اسْماً واحِداً ، وَبُنِيَا عَلَى الكَسْرِ ، لا يَتَغَيَّرانِ في الرَّفْعِ والنَّصْبِ والجَرِّ[١] ؛ قَالَ ابْنُ أَحمر[٢] : [من الوافر]

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ القَلَعُ السَّوارِي ... وَجُنَّ الخازِبازِ بِهِ جُنونا

جَوَّزَ فِيهِ الجوهرِيُّ أَنْ يَكُونَ مِن : جُنَّ الذُّبابُ : إذا كَثُرَ صَوْتُهُ ، وَأَن يَكون من جُنَّ النَّبْتُ جُنُوناً : إذا طَالَ[٣] .

وَاسْتَعْمَلَهُ المُتَنَبِّي كَذَلِكَ في قَوله[٤] : [من الخفيف]

كُلَّما جادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدٍ ... عَنْكَ جادَتْ يَدَاكَ بِالإنْجَازِ

مَلِكٌ مُنْشِدُ القَرِيضِ لَدَيْهِ ... يَضَعُ الثَّوْبَ في يَدَيْ بَزّازِ

وَلَنَا القَوْلُ وَهْوَ أَدْرَى بفَحْوا ... هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلى الإعْجَازِ

وَمِنَ النّاسِ مَن يَحُوزُ عليهِ ... شُعَراءٌ كَأَنَّها الخازِبَازِ

وَيَرَى أَنَّهُ البَصِيرُ بِهَذَا ... وَهُوَ فِي العَمَى ضائِعُ العُكّازِ

● وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ[١] : الخازِبازِ : حِكايَةٌ لِصَوْتِ الذُّبَابِ ، فَسَمَّاهُ بِهِ .

وقال ابنُ الأَعرابيِّ : إِنَّهُ نَبْتٌ ؛ وأَنْشَدَ أَبُو نَصْرٍ تَقْوِيَةً لِقَوْلِ ابنِ الأَعْرابيِّ[٥] : [من الرجز]

---

(١) الصِّحاح « خوز » ٣/ ٨٧٧ . وشرح ديوان المتنبي ٢/ ١٨٣ .

(٢) ديوانه ١٥٩ . والقلع السّواري : السَّحاب الثَّقيل .

(٣) الصحاح « جنن » ٥/ ٢٠٩٣ .

(٤) ديوانه ٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٥) الأَشطار في الصّحاحُ واللِّسان « خوز » وديوان المتنبي وما اتفق لفظه لابن الشجري ١٣٧ =

رَعَيْتُها أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا　　الصِّلَّ والصِّفْصِلَّ وَاليَعْضِيدا
وَالخَازِبازِ السَّنِمَ المَجُودا　　بِحَيْثُ يَدْعُو عامِرٌ مَسْعُودا

وَعامِرٌ ومَسْعُودٌ : راعِيانِ .

قَالَ : وهو في غيرِ هذا ، داءٌ يَأْخُذُ الإِبِلَ فِي حُلوقِها وَالنّاسَ . قَالَ الرّاجِزُ[1] : [من الرجز]

يَا خازِبازِ أَرْسِلِ اللَّهازِمَا　　إِنِّي أَخافُ أَنْ تَكُونَ لازِما

وَقِيلَ : هُوَ السِّنَّوْرُ ، حَكَاهُ أَبُو سَعيد .

فإِن كان ذُباباً أَوْ سِنَّوْراً ، فَسَيأتي حُكْمُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

الأمثال : قَالَتِ العَرَبُ[2] : « الخازِبازِ أَخْصَبُ » . قال المَيْدانِيُّ : إِنَّهُ ذُبابٌ يَطِيرُ في الرَّبيعِ ، يَدُلُّ عَلَى خِصْبِ السَّنَةِ ؛ وَاللهُ أَعلم .

٢٦٣ خاطِفُ ظِلِّهِ : طائِرٌ مِن جِنْسِ العَصَافِيرِ . قَالَ الكُمَيْتُ بن زَيْدٍ[3] : [من الطويل]

وَرَيْطَةِ فِتْيانٍ كَخاطِفِ ظِلِّهِ　　جَعَلْتُ لَهُمْ مِنْها خِبَاءً مُمَدَّدا

وَقَالَ ابْنُ سَلَمَةَ : هُوَ طائِرٌ يُقَالُ له : الرَّفْرَافُ ، إِذا رَأَى ظِلَّهُ في المَاءِ أَقْبَلَ عليه لِيَخْطَفَهُ ؛ وَهَذِهِ صِفَةُ مُلاعِبِ ظِلِّهِ .

وسيأتي إن شاء الله تعالى في « باب الميم » .

٢٦٤ الخاطِفُ : الذِّئْبُ ؛ وسيأتي إن شاء الله تعالى في « الذّالِ المُعجمة » .

= و٢١٧ ، بلا نسبة .

(١) الشطران بلا نسبة في المصادر السابقة .

(٢) الميداني ١/ ٢٤٨ والزمخشري ١/ ٣١٥ والدّرّة الفاخرة ٢/ ٤٥٤ و ٤٥٨ .

(٣) ديوانه ١/ ١٤٠ .

٢٦٥ **الخَبَهْقَعى** : بفَتْحِ الخَاءِ وَالباءِ وَالعَيْنِ ؛ مَقْصُورَةٌ وَتُمَدُّ : وَلَدُ الكَلْبِ من الذِّئْبَةِ ، وَبِهِ كُنِّيَ أَبُو الخَبَهْقَعى[١] ، أَعْرابيٌّ من بَنِي تَمِيمٍ .

٢٦٦ **الخَثَقُ** : بِفَتْحِ الخَاءِ والثّاءِ المُثَلَّثَةِ . قال أَرسْطاطاليس في « النُّعوتِ » : إِنَّهُ طائِرٌ عَظِيمٌ ، يَكُونُ بِبِلادِ الصِّينِ وَبابلِ وأَرْضِ التُّرْكِ ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ حَيّاً ، إِذ لا يَقْدِرُ عليهِ أَحَدٌ في حَالِ حَياتِهِ ؛ وَمِن شَأْنِهِ أَنَّهُ إِذا شَمَّ رائِحَةَ السُّمِّ خَدِرَ وَعَرِقَ وَذَهَبَ حِسُّهُ .

وقال غَيرُهُ : إِنَّ لَهُ فِي مَشْتَاهُ وَمَصِيفِهِ سُمُوماً كَثِيرَةً فِي طَرِيقِهِ ، فإِذا شَمَّ رائِحَةَ السُّمِّ خَدِرَ وَسَقَطَ مَيِّتاً ، فَتُؤْخَذُ جُثَّتُهُ ، وَيُجْعَلُ مِنْها أَوانٍ وَنُصُبٌ لِلسَّكاكِينِ ، فإِذا شَمَّ العَظْمُ رائِحَةَ السُّمِّ ، رَشَحَ عَرَقاً ، فَيُعْرَفُ بِهِ الطَّعامُ المَسْمُومُ .

وَمُخُّ عِظامِ هَذَا الطّائِرِ سُمٌّ لِكُلِّ حَيَوانٍ ؛ وَالحَيَّةُ تَهْرُبُ من عِظامِهِ فَلا تُدْرَكُ .

٢٦٧ **الخُدارِيَّةُ** : بِضَمِّ الخَاءِ المعجمَةِ وَبالدّالِ المُهملةِ : العُقَابُ ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِلَوْنِها . وَبَعِيرٌ خُدارِيٌّ : أَي شَدِيدُ السَّوادِ[٢] ؛ ومِنه لَوْنٌ خُدَارِيٌّ .

● وَمَا أَحسنَ قَولَ المَيْدَانِيِّ في خُطْبَةِ كِتابِهِ « مَجْمَعِ الأَمثالِ »[٣] : فإِنَّ أَنْفاسَ النّاسِ لا يَأْتِي عَلَيْها الحَصْرُ ، وَلا تَنْفَدُ حَتّى يَنْفَدَ العَصْرُ ؛ وَأَنَا أَعْتَذِرُ لِلنّاظِرِ فِي هَذَا الكِتَابِ مِن خَلَلٍ يَراهُ ، أَو لَفْظٍ لا يَرْضَاهُ ، فَأَنا كَالمُنْكِرِ لِنَفْسِهِ ، المَغْلُوبِ عَلَى حِسِّهِ وَحَدْسِهِ ، مُنْذُ خَطَّ البَيَاضُ بعارِضَيَّ رِحالَهُ ، وَحَالَ الزَّمانُ

---

(١) في معجم الشعراء للمرزباني ٥٠٩ : أَبو الخيعهقى .

(٢) عن الصِّحاح « خدر » ٢/٦٤٣ .

(٣) مجمع الأَمثال ١/٥ .

على سَوادِهِما فَأَحالَهُ ، وَأَطَارَ من وُكْرِها مِنِّي خُدارِيَّهُ ، وَأَنْحى عَلَى عُودِ الشَّبَابِ فَمَصَّ رِيَّهُ ، وَمَلَكَتْ يَدُ الضَّعْفِ زِمامَ قُوايَ ، وَأَسْلَمَنِي مَن كَانَ يَحْطِبُ في حَبْلِ هَوايَ ؛ فَكَأَنِّي أَنا المَعْنِيُّ بِقَوْلِ الشّاعِرِ : [من المتقارب]

وَهَتْ عَزَماتُكَ عِنْدَ المَشِيْبِ ... وَمَا كَانَ مِنْ حَقِّها أَنْ تَهِي
وَأَنْكَرْتَ نَفْسَكَ لَمَّا كَبِرْتَ ... فَلا هِيَ أَنْتَ وَلا أَنْتَ هِي
وإِنْ ذُكِرَتْ شَهَواتُ النُّفُوسِ ... فَمَا تَشْتَهِي غَيْرَ أَنْ تَشْتَهِي

٢٦٨ الخَدَرْنَقُ : العَنْكَبُوتُ ؛ وَفِي دالِهِ الإِهْمالُ والإِعْجَامُ ؛ قَالَهُ فِي « دُرَّةِ الغَوّاصِ »[1] .

٢٦٩ الخَراطينُ : قيل : هِيَ الأَسَارِيعُ ؛ وَالصَّوابُ أَنَّها شَحْمَةُ الأَرْضِ ؛ وستأتِي إن شاء الله تعالى في « باب الشِّيْنِ المعجمة » .

وقِيل : إِنَّها العَلَقُ الكِبَارُ الطِّوالُ التي تكُونُ في المَواضِعِ النَّدِيَّةِ مِنَ الأَرْضِ .

[**الخَواصُّ** :] وهي إذا قُلِيَتْ بِالزَّيْتِ ، ثُم سُحِقَتْ ناعِماً ، وَتَحَمَّلَ بِها صاحِبُ البَواسِيرِ : نَفَعَتْهُ .

وإِذا أُخِذَ مِنها شَيْءٌ ، وَجُعِلَ في زَيْتٍ ، وَدُفِنَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ أُخْرِجَ وَرُمِيَ مِنَ الزَّيْتِ حَتَّى تَذْهَبَ رائِحَتُهُ ، وَوُضِعَ في قارورةٍ ، وَوُضِعَ فيها مِقْدارُ نِصْفِها شَقائِقُ النُّعْمانِ ، ثُمَّ يُدْفَنُ سَبْعَةَ أَيّامٍ وَيُخْرَجُ : فَمَنِ اخْتَضَبَ بِهِ اسْوَدَّ شَعْرُهُ ، وَلَم يَشِبْ سَرِيعاً .

٢٧٠ الخَرَبُ : بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ والرَّاءِ المُهْمَلَةِ ، وَبِالبَاءِ المُوَحَّدَةِ :

---

(١) دُرّة الغوّاص ١٦٢ . وقال الجوهري « خدرق » ١٤٦٦/٤ : والدّال غير معجمة . وفي اللِّسان « حذرنق » بالدّالِ والذّال : ذكر العناكب . . . وقال أَبو مالك : العنكبوتُ الضَّخمة .

ذَكَرُ الحُبارى ؛ وَالجَمْعُ خِرابٌ وَأَخْرابٌ وَخِرْبَانٌ .

● ذَكَرَ[1] أَبُو أَحمد ابن جعفر البَلْخِيّ : أَنَّ الرَّشِيدَ جَمَعَ بينَ أَبِي الحَسَنِ الكِسائيّ وَأَبي محمَّد اليَزِيدي ، لِيَتَناظَرا بينَ يَدَيْهِ ، فَسَأَلَ اليَزِيديُّ الكِسائِيَّ عن إعْرابِ قَوْلِ الشَّاعِرِ : [من مجزوء الرَّمل]

مَــا رَأَيْنَــا خَــرَبــاً نَقْـ ـقَــرَ عَنْــهُ البَيْــضَ صَقْــرُ[2]
لا يَكُــونُ العَيْــرُ مُهْــراً لا يَكُــونُ ، المُهْــرُ مُهْــرُ

فقالَ الكِسَائِيُّ : يَجب أَن يَكُونَ المُهْرُ مَنصوباً ، عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ ، فَفِي البيتِ عَلَى هَذَا إِقْواءٌ . فَقَالَ اليَزِيديُّ : الشِّعْرُ صَوابٌ ، لأَنَّ الكَلامَ قد تَمَّ عِندَ قَولِهِ : لا يَكُونُ ، ثُمَّ استَأْنَفَ فَقَالَ : المُهْرُ مُهْرٌ ؛ ثُمَّ ضَرَبَ الأَرْضَ بِقَلَنْسُوَتِهِ ، وَقَالَ : أَنا أَبُو محمَّد ، فَقَالَ يَحْيَى بن خالِدٍ : أَتَكْتَنِي بِحَضْرَةِ أَميرِ المُؤْمِنِينَ ، وَتَسْفَهُ عَلَى الشَّيْخِ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : واللهِ إِنَّ خَطَأَ الكِسائِيِّ مع حُسْنِ أَدَبه ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِن صَوابِكَ مَع قِلَّةِ أَدَبِكَ . فقال : يَا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ، إِنَّ حَلاوَةَ الظَّفَرِ أَذْهَبَتْ عَنِّي التَّحَفُّظَ . فَأَمَرَ بِإِخْراجِهِ .

● وَاجتمعَ[3] الكِسائِيُّ وَمُحَمَّد بن الحَسَنِ الحَنَفِيّ يَوْماً في مَجلِسِ الرَّشِيدِ ، فقال الكِسَائِيُّ : مَنْ تَبَحَّرَ في عِلْمٍ اهْتَدَى إِلى جَمِيعِ العُلُومِ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : مَا تَقُولُ فِيمَن سَها في سُجُودِ السَّهْوِ ، هَل يَسْجُدُ مَرَّةً أُخرَى ؟ قَالَ : لا . قال : لِماذا ؟ قَالَ : لأَنَّ النُّحاةَ تَقُولُ : المُصَغَّرُ لا يُصَغَّرُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٨٦ ومجالس العلماء ١٩٥ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٧٤٢ وشرح ما يقع فيه التصحيف ١٢٤ (القاهرة) و ١/ ١٥٤ (دمشق) والغيث المسجم ٢/ ١٤٣ وطبقات الشّافعيّة للسُّبكيّ ٣/ ١٤٢ والأَشباه والنَّظائر للسيوطي ٣/ ٥٣٨ . والبيتان فيها جميعاً بلا نسبة .

(٢) في ط ، والغيث المسجم : ما رأينا قطّ حزباً × نفر عنه . . . ! .

(٣) كذا في وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٦ مصدر المؤلِّف . وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٢٢٧ روايتان ، إحداهما بين بشر المرّيسيّ والفرّاء ، والثّانية بين محمَّد بن الحسن الشّيباني والفرَّاء ـ وهما ابنا خالة ـ وهي الرِّواية الصحيحة إن شاء الله ؛ وانظر إنباه الرواة ٤/ ١٣ .

قَالَ : فَمَا تَقُولُ في تَعْلِيقِ العِتْقِ بِالمُلْكِ ؟ قَالَ : لا يَصِحُّ . قَالَ : لِمَ ؟ قَالَ : لأَنَّ السَّيْلَ لا يَسْبِقُ المَطَرَ .

وَتَعَلَّمَ الكِسائِيُّ النَّحْوَ عَلى كِبَرِ سِنِّه .

وَسَبَبُهُ[1] أَنَّهُ مَشَى يَوْماً حَتّى أَعْيا ، فَجَلَسَ فَقَالَ : قد عَيَّيْتُ ؛ فَقِيلَ لَهُ : قد لَحَنْتَ . قال : كيفَ ؟ قِيلَ : إن كُنْتَ أَرَدْتَ التَّعَبَ ، فَقُلْ : أَعْيَيْتُ ؛ وَإِن كُنْتَ أَرَدْتَ انْقِطَاعَ الحِيْلَةِ ، فَقُلْ : عَيَّيْتُ ؛ فَأَنِفَ من قَولِهِم : لَحَنْتَ ، وَاشْتَغَلَ بِعِلْمِ النَّحْوِ حَتّى مَهَرَ ، وَصَارَ إِمامَ وَقْتِهِ فِيهِ .

وَكَانَ مُؤَدِّبَ الأَمينِ والمَأْمُونِ ، وَصَارَت له اليَدُ العُظْمَى ، وَالوَجَاهَةُ التَّامَّةُ عِنْدَ الرَّشِيدِ وَوَلَدَيْهِ .

تَوَفِّي الكِسائيّ[2] وَمحمَّد بن الحَسَن صاحِبُ أَبي حَنيفة ، في يومٍ واحِدٍ ، سنة تسعٍ وَثمانِينَ وَمِئة ، وَدُفِنا في مَكانٍ واحِدٍ ؛ فقَالَ الرَّشِيدُ : دُفِنَ هَا هُنا العِلْمُ والأَدَبُ .

الأَمثالُ : قَالُوا[3] : « مَا رَأَيْتُ صَقْراً يَرْصُدُه خَرَبٌ » . يُضْرَبُ لِلشَّرِيفِ يَقْهَرُهُ الوَضِيعُ .

٢٧١ الخَرَشَةُ : بِالتَّحْرِيكِ : الذُّبابَةُ ، قَالَه الجَوهَرِيُّ ، وَمِنهُ سِماكُ بن خَرَشَة الأَنْصَارِيّ ، سُمِّيَت أُمُّهُ باسمِ تلك الذُّبابَةِ ؛ وَمِنْهُ أَبُو خُراشَةَ السُّلَميُّ[4] ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٦ .

(٢) **ترجمة الكسائي في** : تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٥ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٥ ومعجم الأدباء ٤/ ١٧٣٧ وإنباه الرُّواة ٢/ ٢٥٦ وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٣١ .

(٣) الميداني ٢/ ٢٩٠ .

(٤) أَبو خراشة السُّلميُّ : هو خفاف بن نُدْبَة السُّلميُّ ، ابن عمّ الخنساء ، أَسلم وشهد فتح مكَّة ، وكَانَ معه لواء بني سليم ، وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . (الشعر والشعراء ١/ ٣٤١) .

في قولِ عَبّاس بن مِرْدَاس[1] : [مِن البسيط]

أَبـا خُـراشَـةَ أَمّـا أَنْـتَ ذا نَفَـرٍ فـإِنَّ قَـوْمِـيَ لَـمْ تَـأْكُلْهُـمُ الضَّبُـعُ

أَي : السَّنَةَ المُجْدِبَةُ .

ومنه خَرَشَةُ بن الحُرِّ الفَزاريّ الكُوفيّ[2] ؛ مَاتَ سَنَةَ أَربعٍ وَسبعِينَ ؛ كَانَ يَتِيماً في حِجْرِ عُمر بن الخَطّاب رَضِيَ الله تعالى عنه ، وهو الَّذِي رُوِيَ عنه أَنَّ رَجُلاً شَهِدَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي لا أَعْرِفُكَ ، ولا يَضُرُّكَ أَنِّي لا أَعْرِفُكَ إِلى آخِرِ القِصَّةِ .

وَوَقَعَ في « المُهَذَّبِ » في ذَلِكَ غَلَطٌ وَتَصحيفٌ .

٢٧٢ **الخَرْشَقْلا** : السَّمَكُ البَلْطِيُّ ؛ وَفِي الخَبَرِ : « لَوْلا الخَرْشَقْلا ، لَوُجِدَتْ أَوْراقُ الجَنَّةِ فِي مَاءِ النِّيْلِ » .

٢٧٣ **خَرْشَنَةٌ**[3] : طائِرٌ أَكْبَرُ مِنَ الحَمامِ ؛ وسيأتي ذِكرهُ في « بابِ الكافِ » إن شاء الله تعالى .

٢٧٤ **الخُرَّقُ** : بِضَمِّ الخَاءِ ، وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ ، وَبِالقافِ في آخِرِهِ : نَوْعٌ مِنَ العَصَافِيرِ ؛ ذَكَرَهُ الجاحِظُ[4] .

٢٧٥ **الخِرْنِقُ** : بِكَسْرِ الخَاءِ المُعجمةِ : وَلَدُ الأَرْنَبِ ؛ وَبِهِ سُمِّيَ الخِرْنِقُ الشَّاعِرُ[5] الذِي كان في زَمَنِ التَّابِعِينَ .

---

(١) ديوانه ١٠٦ . وهو من شواهد النُّحاة ، كثير الدَّوران في كتب النَّحو واللُّغة .

(٢) ترجمته في : طبقات ابن سعد ٨/٢٦٨ وتهذيب الكمال ٨/٢٣٧ وسير أَعلام النبلاء ٤/١٠٩ .

(٣) عجائب المخلوقات ٨١ . وسيأتي في مادَّة « الكركر » .

(٤) الحيوان ٥/٢١٦ .

(٥) الأَوْلَى أَن يُقال : وبه لُقِّبَ . أَمّا الخِرْنِق : فقد ذكَرَ الإمام ابن حجر في كتابه « نزهة الأَلباب=

وَأَرْضٌ مُخَرْنِقَةٌ : أَي ذاتُ خَرانِقَ .

وَقَالُوا[1] : « أَلْيَنُ مِن خرنَقٍ » .

● وَكَانَ لِلنَّبيِّ ﷺ دِرْعٌ يُقَالُ لَها : **الخِرْنَقُ** لِلِيْنِها ؛ وَدِرْعٌ أُخرَى يُقالُ لَها : **البَتْراءُ** ، لِقِصَرِها ؛ وَأُخرى يُقال لها : **ذاتُ الفُضُولِ** ، سُمِّيَتْ لِطُولِها ، أَرْسَلَ بها إِلَيهِ سَعْدُ بن عُبادَة حين سارَ إِلى بَدْرٍ ؛ وَهَذِهِ هي التِي رَهَنَها عِنْدَ اليَهوديّ ، فَافْتَكَّها مِنه أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تعالى عنه .

وَأُخرَى يُقال لها : **ذَاتُ الوِشَاحِ** ، **وَذَاتُ الحَواشِي** ؛ وَأُخرَى يقال لها : **فِضَّةُ وَالسُّغْدِيَّةُ** بِالسِّينِ المهملة والغَيْنِ المُعْجَمَةِ[2] .

قال الحافظ الدِّمياطي : وَكَانَت السُّغْدِيَّةُ دِرْعَ داودِ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ التي لَبِسَها حِينَ قَتَلَ جَالوتَ ، وَكَانت عَمَلَهُ بِيَدِهِ .

قال الكَلْبيُّ وَغَيْره في قَولِه تَعالَى : ﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] يَعنِي صَنْعَةَ الدُّرُوعِ ، وَكَانَ يَصْنَعُها وَيَبِيعُها ؛ وكان عليهِ السَّلامُ لا يَأْكُلُ إِلاَّ من عَمَلِ يَدِهِ . وَقِيلَ : مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَكَلامَ البَهائِمِ ؛ وَقِيل : هو الزَّبُورُ ؛ وَقِيلَ :

= في الأَلقاب » ١/٢٣٧ ، رجلين لقبُ كُلٍّ منهما : الخِرْنِق ؛ الأَوَّل : الخِرْنِقُ الشّاعر ، واسمه سُفيان بن صُهابة . [وله ترجمة في أُسد الغابة ٢/ ٤٠٥ وفيه : الخريق الشَّاعر ! ، والإِصابة ٣/ ١٠٣ « رقم ٣٣٢٥ »] .

والثاني : سعيد بن ثابت بن سويد بن النعمان الأَنصاري الأَوسيّ ، ذكره المرزباني . [قلت : وترجمته في الجزء الضائع منه ؛ وله ذكر في القاموس ٣/ ٣٢٤ والتاج ٢٥/ ٢٣٥ « خرنق » ، والإِكمال ٣/ ١٣٨] .

وهذان غير الخِرنق بنت بدر بن هفّان ، الشّاعرة الجاهليّة ، أُخت طرفة بن العبد لأُمّه .

(١) الميدانيُّ ٢/ ٢١٥ والعسكري ٢/ ٢١٨ والزمخشري ١/ ٣٥٧ والدُّرّة الفاخرة ٢/ ٣٦٩ و ٣٧٢ و ٤٤٧ .

(٢) في طبقات ابن سعد ١/ ٤١٩ كما هنا ، وفي تاريخ دمشق (السّيرة النّبويّة) ٢/ ٢٢٨ و ٢٣٣ : السَّعديّة بالعين المهملة .

الصَّوْتُ الطَّيِّبُ والأَلْحَانَ ، فَلَمْ يُعْطِ اللهُ أَحَداً من خَلْقِه مِثْلَ صَوْتِهِ ، وَكَانَ عَلَيه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إذا قَرَأَ الزَّبُورَ تَدْنُو مِنهُ الوُحُوشُ حَتَّى يَأْخُذَ بِأَعْناقِها وَتُظِلُّهُ الطَّيْرُ مُصِيْخَةً لَهُ ، وَيَرْكُدُ المَاءُ الجَارِي ، وَتَسْكُنُ الرِّيْحُ .

● رَوَى الضَّحّاكُ ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ الله تعالى عنهما ، أَنّه قال[1] :

إِنَّ اللهَ تَعالَى أَعْطَاهُ سِلْسِلَةً موصولَةً بالمَجَرَّةِ ، وَرَأْسُها عِندَ صَوْمَعَتِهِ ، قُوَّتُها قُوَّةُ الحَدِيدِ ، وَلَوْنُها لَوْنُ النّارِ ، وَحَلَقُها مُستدِيرةٌ ، مُفَصَّصَةٌ بالجَواهِرِ ، مُسَوَّرَةٌ بِقُضْبَانِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ ، فَلا يَحْدُثُ في الهَواءِ حَدَثٌ إلاّ صَلْصَلَتِ السِّلْسِلَةُ ، فيعلمُ داود ذلكَ الحَدَثَ ، وَلاَ يَمَسُّها ذُو عاهَةٍ إلاّ بَرِىءَ ؛ وَكَانَ بَنُو إِسْرائِيلَ يَتَحاكَمُونَ إِلَيها بعدَ داود ، فَمَنْ تَعَدَّى على صاحِبِه ، أَوْ أَنْكَرَ لَهُ حَقّاً ، أَتَى إِلى السّلسلَةِ ، فَمَن كان صادِقاً مَدَّ يَدَهُ إِلى السِّلْسِلَةِ فَنالَها ، وَمَن كَانَ كاذِباً لَم يَنَلْها ، وَكانَت كَذَلِكَ إِلى أَن ظَهَرَ فِيهم المَكْرُ والخَدِيعَةُ .

فَرُوِيَ عن غيرِ واحِدٍ : أَنَّ مَلِكاً مِن مُلُوكِ بَنِي إِسْرائِيلَ أَوْدَعَ عِند رَجُلٍ جَوْهَرَةً ثَمِيْنَةً ، ثُمَّ طَلَبَها فَأَنْكَرَ الرَّجُلُ ، فَتحاكَمَا إِلى السِّلْسِلَةِ ، فَعَمَدَ الرَّجُلُ الَّذِي عِندَهُ الجَوْهَرَةُ إلى عُكَّازَةٍ ، فَنقَرَها وَضَمَّنَها الجوهرَةَ ، واعْتَمَدَ عَلَيْها ؛ فَلَمّا حَضَرا إِلى السّلسِلَةِ قَالَ صاحِبُ الجوهرةِ : رُدَّ عَلَيَّ وَدِيعتِي ؛ فَقَالَ صاحِبُهُ : مَا أَعرِفُ لكَ عِندِي من وَدِيعةٍ ، فإِن كنتَ صادِقاً فتَناوَلِ السِّلْسِلَةَ . فَأَتاها فتَناوَلَها بيَدِهِ ؛ فَقِيلَ لِلْمُنكِرِ : قُمْ أَنْتَ وَتَناوَلْها ؛ فَقَالَ لِصاحِبِ الجَوْهرةِ : خُذْ عُكَّازَتِي هَذِهِ ، فَاحْفَظْها لِي حَتّى أَتناوَلَ السِّلْسِلَةَ ؛ ثُمَّ أَتاها فَتَناوَلَها بعدَ أَن قَالَ : اللَّهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذِهِ الوَدِيعَةَ التي يَدَّعِيها عليَّ قد وَصَلَتْ إِلَيهِ فقَرِّبْ مِنِّي السِّلْسِلَةَ ؛ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فتناوَلَها ، فَتَعَجَّبَ القومُ وَشَكُّوا فِيها ؛ فَأَصبَحُوا وَقد رَفَعَ اللهُ السِّلسِلَةَ .

---

(١) خبر السلسلة في : ربيع الأبرار ٢/ ٢٠٤ وزبدة كشف الممالك ٢١ والمستطرف ٢/ ٤١٧ .

قَالَ الضَّحَّاكُ والكَلْبِيُّ : مَلَكَ داودُ بعدَ أَن قَتَلَ جَالُوتَ سَبعِينَ سَنَةً ، وَلَم يَجتَمِعْ بَنُو إسرائِيلَ عَلَى مَلِكٍ واحِدٍ إلاّ عَلَى داود ؛ وَجَمَعَ اللهُ لِداودَ بينَ المُلْكِ والنُّبُوَّةِ ، وَلَم يجتمِعْ ذَلِكَ لأَحَدٍ مِن قَبْلِهِ ؛ بَلْ كان المُلْكُ في سِبْطٍ ، وَالنُّبُوَّةُ في سِبْطٍ ؛ وَقَبَضَهُ اللهُ تَعالَى وَهُوَ ابْنُ مئَةِ سنةٍ ﷺ .

● قَالَ الحافِظُ الدمْيَاطِيّ : **ودِرْعانِ** أَصابَهُما من بَنِي قَيْنَقَاعَ[1] ؛ فَهَذِهِ تِسْعُ أَدْرُعٍ .

وكان ﷺ قد لبسَ يومَ أحُدٍ فِضَّةَ وَذَاتَ الفُضولِ ، ويوم حنين[2] ذَاتَ الفُضُولِ والسُّغْدِيَّةُ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٢٧٦ **الخَروفُ** : مَعروفٌ ، وهوَ الحَمَلُ ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ بِهِ المُهْرُ إذا بَلَغَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ حَكَاهُ الأَصْمَعِيُّ ، وَلم يَعرِفْهُ أَبُو الغَيثُ[3] .

وَفِي « المِيزانِ » للإمامِ الذَّهبيِّ[4] ، فِي ترجمة عُثمان بن صَالح السَّهميّ : أَنَّهُ رَوَى عن ابنِ لَهِيعَةَ ، عن موسى بن وَرْدَان ، عن أَبِي هُريرةَ رَضِيَ الله تعالى عنه ، قال : مَرَّتْ بِالنَّبيِّ ﷺ نَعْجَةٌ ، فَقَالَ : « هَذِهِ التي بُورِكَ فيها وَفِي خَرُوفِها » .

قَالَ أَبُو حاتم : هَذَا حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ : أَيْ كَذِبٌ .

الأَمْثَالَ : قَالُوا[5] : « كَالخَرُوفِ يَتَقَلَّبُ عَلَى الصُّوف » . يُضْرَبُ للرَّجُلِ

---

(١) روى ابن سعد في طبقاته ١/ ٤١٩ بسنده إلى مروان بن أَبي سعيد بن المعلّى ، قَالَ : أَصابَ رسول الله ﷺ من سلاح قَينقاع دِرعين ؛ درعٌ يقال لها : السُّغديّة ، ودرعٌ يقال لها : فضَّة .
قلت : وعليه ، فإنّ أَدراع رسول الله ﷺ سبعٌ ، لا تسعُ كما ذكر المؤلِّف أَعلاه .

(٢) عندَ ابن سعد ١/ ٤١٩ : يوم خيبر .

(٣) عن الصحاح « خرف » ٤/ ١٣٤٨ .

(٤) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠ .

(٥) الميداني ١/ ٢٣٨ والعسكري ١/ ٤٢٧ .

المَكفيِّ المؤونة .

التَّعبِيرُ[1] : الخَرُوفُ في الرُّؤيَا : يَدُلُّ عَلَى وَلَدٍ ذَكَرٍ طائعٍ لِوالِديْهِ ؛ فَمَن وُهِبَ لهُ خَرُوفٌ ، وَلَهُ امْرَأَةٌ حامِلٌ : أَتاهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ .

وَجَمِيعُ الصِّغَارِ من الحيوانِ في الرُّؤيَا هُمومٌ ، لأَنَّها تَحتَاجُ إِلى كُلْفَةٍ في التَّربِيةِ ، هَذَا إِذا لَم يُنْسَبُوا إِلى الأَوْلادِ .

وَقِيلَ : الخَرُوفُ دَلِيلُ خَيْرٍ لِمَن أَرادَ المُوافَقَةَ فِي أَمْرٍ يَطْلُبُهُ ، لأَنَّ الخَرُوفَ سَرِيعُ الأُنْسِ إِلى بَنِي آدَمَ .

وَمَنْ ذَبَحَ خَرُوفاً لِغَيْرِ الأَكْلِ : مَاتَ وَلَدُهُ .

وَالخَرُوفُ المَشْوِيُّ السَّمِينُ : مَالٌ كَثِيرٌ ؛ وَالهَزِيلُ : مَالٌ قَلِيلٌ .

وَمن أَكَلَ شِواءَ خَرُوفٍ : فإِنَّهُ يَأْكُلُ من كَدِّ وَلَدِهِ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٢٧٧ **الخُـزَزُ** : بِضَـمِّ الخَـاءِ المُعجمـةِ ، وَفَتْـحِ الـزَّاي الأُولَـى : ذَكَـرُ الأَرانِبِ ؛ وَالجَمْعُ : خِزَّانٌ ، مِثْلُ صُرَدٍ وَصِرْدَانٍ[2] .

٢٧٨ **الخَشاشُ** : بِفَتْحِ الخَاءِ المُعجمةِ : هَوامُّ الأَرْضِ وَحَشَراتُها ؛ وَقِيلَ : صِغارُ الطَّيْرِ . [قَالَ الجَوْهَرِيُّ : بِالكَسْرِ وَقد يُفْتَحُ][3] .

وَحَكَى القاضِي عِياضٌ : فَتْحَ الخَاءِ وَضَمَّها وَكَسْرَها .

وَحَكَى أَبو عَليّ الفارسيّ فِيها الضَّمُّ أَيْضاً . وَجَعَلَ الزُّبَيْدِيُّ[4] ضَمَّها من لَحْنِ العامَّةِ ، وَالفَتْحُ هُوَ المَشهورُ ؛ وواحد الخَشَاشِ : خَشَاشَةٌ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨١ وتفسير الواعظ ٢٨١ .

(٢) عن الصحاح « خزز » ٣/ ٨٧٧ .

(٣) ما بين المعقوفين من ب . وانظر الصِّحاح « خشش » ٣/ ١٠٠٤ .

(٤) التَّهذيب بمحكم التَّرتيب ٩٨ وتصحيح التصحيف ٢٤٥ .

وَقِيلَ : الخَشَاشُ : دابَّةٌ تكُونُ في جِحَرَةِ الأفاعِي والحَيّاتِ ، مُنَقَّطَةٌ ببَيَاضٍ وَسَوادٍ ؛ وَقِيلَ : الخَشَاشُ : الثُّعْبَانُ العَظِيمُ ؛ وَقِيلَ : حَيَّةٌ مِثْلُ الأَرْقَمِ ؛ وَقِيلَ : حَيَّةٌ خَفِيْفَةٌ صَغِيْرَةُ الرَّأْسِ .

● وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ[١] : « إِنَّ امْرَأَةً دَخلَتِ النَّارَ في هِرَّةٍ حَبَسَتْها ، فلم تُطعِمْها شَيئاً ، وَلَمْ تَدَعْها تَأْكُلُ من خَشَاشِ الأَرْضِ » . أَي : هَوامِّها وَحَشَراتِها .

● وَقَالَ الحسنُ بن عبد الله بن سَعيد العَسْكَرِيّ ، في كِتابِ « التَّحريفِ والتَّصحِيفِ »[٢] : الخَشَاشُ ، بالفَتْحِ : النَّذْلُ من كُلِّ شَيْءٍ ، مِثْلُ الرَّخَمِ من الطَّيْرِ ، أو كُلُّ ما لا يَصِيدُ . وَأَنْشَدَ[٣] : [مِن الوافِر]

خَشَـاشُ الأَرْضِ أَكْثَـرُهـا فِـراخـاً   وَأُمُّ الصَّقْـــرِ مِقْـــلاتٌ نَـــزُورُ

وَالمعروفُ في البَيْتِ : بُغاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرَها فِراخاً .

● رَوى ابنُ أَبِي الدُّنيَا في كِتابِ « مَكايِدِ الشَّيطانِ » من حديثِ أَبي الدَّرداءِ رضي الله عنه[٤] ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « خَلَقَ اللهُ الجِنَّ ثَلاثَةَ أَصْنافٍ : صِنْفٌ حَيّاتٌ وَعَقَارِبُ وَخَشَاشُ الأَرْضِ ، وَصِنْفٌ كَالرِّيْحِ في الهَوَاءِ ، وَصِنْفٌ عَلَيه الحِسَابُ والعِقابُ ؛ وَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَ ثَلاثَةَ أَصْنافٍ : صِنْفٌ كَالبَهائِمِ ، لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بها ، وَلَهم أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بها ، وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بها ؛ وَصِنْفٌ أَجْسَادُهُمْ أَجْسَادُ بَنِي آدَمَ ، وَأَرْواحُهُمْ أَرْواحُ الشَّيَاطِينِ ؛ وَصِنْفٌ كَالمَلائِكَةِ ، فَهُمْ في ظِلِّ اللهِ يومَ لا ظِلَّ إِلاّ ظِلُّهُ » .

---

(١) البخاري ٤/ ١٠٠ و ١٥٢ ومسلم (٢٦١٩) وابن ماجه (٤٢٥٦) .

(٢) شرح ما يقع فيه التَّصحيف ٣٢٣ (القاهرة) و ١/ ٤٣٦ (دمشق) .

(٣) ينسب البيت إلى كثيّر عزّة في ديوانه ٥٣٠ وإلى العباس بن مرداس السُّلميّ في ديوانه ١٧٣ وإلى معوّد الحكماء . وقد مضى .

(٤) مضى الحديث في مادَّة « الجنّ » .

● وَقَالَ وُهَيْبُ بن الوَرْدِ[1] : بَلَغَنا أَنَّ إِبلِيسَ تَمَثَّلَ لِيحيى بن زَكَرِيَّا عليهما الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، فقَالَ لَهُ : أَنْصَحُكَ ؟ فقَالَ لَهُ : لا أُرِيدُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عن بَنِي آدَمَ ؛ فقَالَ : هُم عِندنا ثَلاثَةُ أَصْنافٍ : صِنْفٌ منهم ، هُمْ أَشَدُّ الأَصْنَافِ عِنْدَنا ، نُقْبِلُ عَلَى أَحَدِهِم حَتَّى نَفْتِنَهُ عن دِيْنِهِ وَنَتَمَكَّنَ منهُ ، فَيَفْزَعُ إِلى الاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ ، فَيُفْسِدُ عَلَيْنا كُلَّ شَيْءٍ نُصِيبُهُ مِنهُ ، ثُمَّ نَعُودُ إِليهِ فَيَعُودُ ، فَلا نَحْنُ نَيْأَسُ مِنه ، وَلا نَحْنُ نُدْرِكُ مِنه حاجَتَنا ، فَنَحْنُ معهُ في عَناءٍ ؛ وَصِنْفٌ مِنْهُم فِي أَيْدِينا كَالكُرَةِ في أَيْدِي صِبْيَانِكُمْ ، نَتَلَقَّفُهُمْ كَيْفَ شِئْنَا ، قد كَفَوْنا مؤُونَةَ أَنْفُسِهِم ؛ وَصِنْفٌ مِنهمْ مِثْلُكَ ، هم مَعصومونَ ، لا نَقْدِرُ منهم عَلَى شَيْءٍ .

٢٧٩ الخُشَّافُ : لُغَةٌ في الخُفّاشِ[2] .

٢٨٠ الخَشْرَمُ : الزَّنابيرُ ؛ قَالَ الأَصمعِيُّ : لا واحِدَ لَهُ من لَفْظِه[3] .

٢٨١ الخُشَفُ : بِضَمِّ الخَاءِ المعجمةِ ، وَفَتْحِ الشّينِ المعجَمَةِ : الذُّبابُ الأَخْضَرُ .

٢٨٢ الخِشْفُ : بِكَسْرِ الخاء ، وإِسكانِ الشِّينِ المُعْجَمَةِ : وَلَدُ الظَّبْيِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ جِدايَةً ؛ وَقِيلَ : هُوَ خِشْفٌ أَوَّلَ ما يُولَدُ ؛ وَالجَمْعُ : خِشَفَةٌ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[4] .

● وَرَوَى جَريرِ بن عَبدِ الحَميدِ ، عن لَيْث [بن أَبي سُليم] ، قَالَ[5] : صَحِبَ رَجلٌ عِيسى بن مَريم عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فقَالَ : أَكُونُ مَعَكَ يَا نَبِيَّ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٥٠ .

(٢) الصِّحاح « خشف » ٤/ ١٣٥٠ .

(٣) الصِّحاح « خشرم » ٥/ ١٩١٢ .

(٤) المخصص ٨/ ٢١ واللسان « خشف » ٢/ ١١٦٦ .

(٥) الأَخبار المنثورة للضّياء المقدسيّ ١١٥أ ـ ١١٦ أ [نسخة الظّاهريّة] ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ١٠٣ و ١٠٥ وسراج الملوك ١/ ٦١ ـ ٦٢ والمستطرف ٣/ ٣٥٩ .

اللهِ وَأَصْحَبُكَ ؛ فانطَلَقَا حتى أَتِيَا إلى شَطِّ نَهْرٍ ، فَجَلَسَا يَتَغَدَّيَانِ ، وَمَعُهما ثلاثَةُ أَرْغِفَةٍ ، فَأَكَلا رَغِيفينِ ، وَبَقِيَ رَغِيفٌ ؛ فَقَامَ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ إلى النَّهْرِ ، فَشَرِبَ ثُمَّ رَجَعَ ، فَلَم يَجِدِ الرَّغِيفَ ؛ فَقَالَ للرَّجُلِ : من أَخَذَ الرَّغِيفَ ؟ فقالَ : لا أَدرِي .

قَالَ : فَانْطَلَقَ ومَعَهُ صاحِبُهُ ، فَرَأَى ظَبْيَةً وَمَعَها خِشْفَانِ لَها ، فَدَعا أَحَدَهُما فأتاهُ ، فَذَبَحَهُ وَشَوَى من لَحْمِهِ ، وَأَكَلَ هُوَ وَالرَّجُلُ ؛ ثُمَّ قَالَ لِلْخِشْفِ : قُمْ بإِذْنِ اللهِ ؛ فقَامَ وَذَهَبَ ؛ فَقَالَ لِلرَّجُلِ : أَسْأَلُكَ بِالذِي أَراكَ هَذِهِ الآيَةَ ، مَن أَخَذَ الرَّغِيفَ ؟ فَقَالَ : لا أَدرِي .

فَسَارَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلى نَهْرٍ ، فَأَخَذَ عِيسى بيَدِ الرَّجُلِ ، وَمَشَيَا عَلَى المَاءِ ، فَلَمَّا جازا قَالَ عِيسى : أَسْأَلُكَ بِالذِي أَراكَ هَذِهِ الآيَةَ ، مَن أَخَذَ الرَّغِيفَ ؟ قَالَ : لا أَدرِي .

فَسَارَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلى مَفازَةٍ ، فَجَلَسَا ، فَأَخَذَ عِيسى تُراباً وَرَمْلاً ، وَقَالَ : كُنْ ذَهَباً بِإِذنِ اللهِ ، فَكَانَ ذَهَباً ، فَقَسَمَهُ عِيسى ثَلاثَةَ أَثْلاثٍ ، ثُمَّ قَالَ : ثُلُثٌ لِي ، وَثُلُثٌ لَكَ ، وَثُلُثٌ لِلذِي أَخَذَ الرَّغِيفَ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنا أَخَذْتُهُ . قَالَ عِيسى : كُلُّهُ لَكَ .

ثُمَّ فَارَقَهُ عِيسى وَذَهَبَ ، وَمَكَثَ هُوَ عِند المَالِ في المَفازَةِ ، فانْتَهَى إِلَيهِ رَجُلانِ ، فَأَرادا أَنْ يَأْخُذاهُ مِنهُ وَيَقْتُلاهُ ؛ فَقَالَ : هُوَ بَيْنَنَا أَثْلاثاً ، ثُمَّ قَالَ : فَابْعَثَا أَحَدَكُما إِلى القَرْيَةِ لِيَشْتَرِيَ طَعاماً ؛ فَقَالَ الذي بُعِثَ : لأَيِّ شَيْءٍ أُقاسِمُهُما المَالَ ؟ لأَجْعَلَنَّ لَهُما في الطَّعامِ سُمّاً فَأَقْتُلُهُما . فَفَعَلَ .

وَقَالَ صاحِبَاهُ في غَيْبَتِهِ : لأَيِّ شَيْءٍ نُقاسِمُهُ المَالَ ؟ إِذا جاءَ قَتَلْناهُ وَاقْتَسَمْنَا المَالَ نِصْفَيْنِ .

فَلَمّا جاءَ قَامَا إِلَيهِ فَقَتَلاهُ ، ثم أَكَلا الطَّعَامَ فَماتَا ، وَبَقِيَ المَالُ في المَفازَةِ ،

وَأُولئكَ الثَّلاثَةُ قَتْلى حَوْلَهُ ؛ فَمَرّ عِيسى علَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ بهم ، وَهُم على تِلك الحالَةِ ، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ : هَكَذا الدُّنْيَا تَفْعَلُ بأَهْلِها ، فاحْذَرُوها .

٢٨٣ **الخُضارِيُّ** : طائِرٌ يُسَمَّى الأَخْيَلَ ، قَالَهُ الجوهرِيُّ[1] . وقد تَقَدَّم في « بابِ الهمزةِ »[2] .

٢٨٤ **الخُضَرِمُ** : كَعُلَبِطٍ : وَلَدُ الضَّبِّ .

٢٨٥ **الخُضَيْراءُ** : طائِرٌ مَعروفٌ عِندَ العَرَبِ .

٢٨٦ **الخُطّافُ** : بِضَمِّ الخَاءِ المُعْجَمَةِ ، جَمْعُهُ : خَطَاطِيفُ ، وَيُسَمَّى زُوّارَ الهِنْدِ .

وهو مِن الطُّيُورِ القَواطِعِ إِلى النّاسِ ، تَقْطَعُ البِلادَ البَعِيدَةَ إِليهم رَغْبَةً في القُرْبِ منهم ، ثُمَّ إِنَّها تَبْنِي بُيُوتَها فِي أَبْعَدِ المَواضِعِ عن الوُصُولِ إِليها .

وَهَذَا الطَّائِرُ يُعْرَفُ عِند النّاسِ بعُصْفُورِ الجَنَّةِ ، لأَنَّهُ زهدَ فِيما فِي أَيديهم من الأَقْوَاتِ فَأَحَبُّوهُ ، لأَنَّهُ إِنَّما يَتَقَوَّتُ بالذُّبابِ وَالبَعوضِ .

● وَفِي الحَدِيثِ الحَسَنِ الذِي رَواهُ « ابنُ ماجه »[3] وغيرُهُ ، عن سَهْلِ بن سَعْدٍ السّاعِديّ ، أَنه قال : جَاءَ رَجلٌ إِلى النَّبيِّ ﷺ فقال لهُ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ ، إِذا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النّاسُ ؟ فقال : ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ ، وَازْهَدْ فِما فِي أَيْدِي النّاسِ يُحِبَّكَ النّاسُ » .

فَأَمَّا كَوْنُ الزُّهْدِ في الدُّنْيا سَبَباً لِمَحَبَّةِ اللهِ تعالَى ، فَلأَنَّهُ تَعالَى يُحِبُّ من أَطاعَهُ ، وَيُبْغِضُ من عَصاهُ ؛ وَطَاعَةُ اللهِ لا تَجتمِعُ مع مَحَبَّةِ الدُّنْيَا .

---

(١) الصِّحاح « خضر » ٢/٦٤٧ .

(٢) زاد بعد ذلك في ب : **الخَضارب** : طائرٌ . **قلت** : ولم أَقف على ذلك في كتب اللغة .

(٣) ابن ماجه (٤١٠٢) .

وَأَمَّا كَوْنُهُ سَبَباً لِمَحَبَّةِ النّاسِ ، فَلأَنَّهم يَتَهافَتُونَ عَلَى مَحَبَّةِ الدُّنْيَا ، وَهِيَ جِيْفَةٌ مُنْتِنَةٌ ، وهم كِلابُها ؛ فَمَنْ زاحَمَهُمْ عَلَيها أَبْغَضُوهُ ، وَمَن زَهِدَ فِيها أَحَبُّوهُ ؛ كما قال الإمامُ الشّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[1] : [من الطويل]

وَمَا هِيَ إِلاَّ جِيْفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ   عَلَيْها كِلابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذابُها
فإِن تَجْتَنِبْها كُنْتَ سِلْماً لأَهْلِها   وإِنْ تَجْتَذِبْها نازَعَتْكَ كِلابُها

وَقد أَحْسَنَ القائِلُ في وَصْفِ الخُطّافِ[2] : [من الكامل]

كُنْ زاهِداً فِيما حَوَتْهُ يَدُ الوَرَى   تُضْحي إِلى كُلِّ الأَنامِ حَبِيبا
أَوَ ما تَرَى الخُطّافَ حَرَّمَ زادَهُمْ   أَضْحَى مُقِيماً في البُيُوتِ رَبِيْبا

سَمَّاهُ رَبِيباً ، لأَنَّهُ يَأْلَفُ البُيُوتَ العامِرَةَ دُونَ الغامِرَة ، وهوَ قَرِيبٌ من النّاسِ .

ومن عَجِيبِ أَمْرِهِ أَنَّ عَيْنَهُ تُقْلَعُ ثُمَّ تَرْجِعُ ، وَلا يُرَى واقِفاً عَلَى شَيْءٍ يَأْكُلُهُ أَبَداً ، ولا مُجْتَمِعاً بِأُنْثاهُ .

وَالخُفَّاشُ يُعاديه ، فَلِذَلِكَ إِذا فَرَّخَ يَجْعَلُ في عُشِّهِ قُضْبانَ الكَرَفْسِ ، فَلا يُؤْذِيهِ إِذا شَمَّ رائِحَتَهُ .

وَلا يُفَرِّخُ في عُشٍّ عَتِيقٍ حَتَّى يُطَيِّنَهُ بِطِيْنٍ جَدِيدٍ .

وَيَبْنِي عُشَّهُ بناءً عَجِيباً ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُهَيِّىءُ الطِّينَ مَعَ التِّبْنِ ، فإِذا لم يَجِدْ طِيْناً مُهَيَّئاً ، أَلْقَى نَفْسَهُ في المَاءِ ، ثُمَّ يَتَمَرَّغُ في التُّرابِ ، حَتَّى يَمْتَلِىءَ جَناحاهُ وَيَصِيرَ شَبِيهاً بِالطِّيْنِ ، فإِذا هَيَّأَ عُشَّهُ ، جَعَلَهُ عَلَى القَدْرِ الذِي يَحْتاجُ إِلَيهِ هُوَ وَأَفْراخُهُ .

---

(١) ديوانه ١١٤ (مجاهد) و ١٤ (بيجو) .

(٢) هما بلا نسبة في المستطرف ٢/ ٤٧٢ .

وَلاَ يُلقِي في عُشِّهِ زِبْلاً ، بَل يُلْقِيهِ إِلى خارِجٍ ، فإِذا كَبُرَتْ فِراخُهُ عَلَّمَها ذَلِكَ .

وَأَصْحابُ[1] اليَرَقَانِ يُلَطِّخُونَ فِراخَ الخُطَّافِ بالزَّعْفرانِ ، فإِذا رآها صَفْرَاءَ ، ظَنَّ أَنَّ اليَرَقَانَ أَصابَها من شِدَّةِ الحَرِّ ، فيذهبُ فَيَأْتِي بحَجَرِ اليَرَقَانِ من أَرْضِ الهِندِ ، فَيَطْرَحُهُ عَلَى فِراخِهِ ، وَهُوَ حَجَرٌ صَغِيرٌ ، فِيهِ خُطُوطٌ بين الحُمْرَةِ والسَّوادِ ، وَيُعْرَفَ بحَجَرِ السُّنُونُو ، فَيَأْخُذُهُ المُحتالُ ، فَيُعَلِّقُهُ عليهِ ، أَو يَحُكُّهُ وَيَشْرَبُ من مَائِهِ يَسِيراً ، فإِنَّهُ يَبْرَأُ بإِذنِ اللهِ تعالى .

وَالخُطّافُ[1] مَتَى سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ ، يَكَادُ أَن يموتَ .

● وَقالَ أَرسطو في كِتابِ « النُّعوتِ » : الخَطَاطِيفُ[1] إِذا عَمِيَتْ ، أَكَلَتْ من شَجَرَةٍ يُقال لها عَيْنُ شَمْسٍ ، فَيَرْتَدُّ بَصَرُها لِما في تِلكَ الشَّجَرَةِ من المَنْفَعَةِ لِلْعَيْنِ .

● وَفِي « رِسالَةِ القُشيريّ » في آخِرِ بابِ المَحبَّةِ[2] : أَنَّ خُطَّافاً راوَدَ خُطَّافَةً عَلَى قُبَّةِ سُلَيمانَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فامْتَنَعَتْ منهُ ، فَقَالَ لَها : أَتَمْتَنِعِينَ عليَّ ، وَلَوْ شِئْتُ لَقَلَبْتُ القُبَّةَ عَلَى سُلَيمان ! فَسَمِعَهُ سُليمانُ ، فَدَعاهُ وقال له : ما حَمَلَكَ عَلى ما قُلْتَ ؟ فَقَالَ : يا نَبِيَّ اللهِ ، العُشَّاقُ لا يُؤاخَذُونَ بأَقْوالِهم . قَالَ : صَدَقْتَ .

● **فائِدَةٌ** : ذَكَرَ الثَّعلبيُّ وَغيرُهُ في تَفسيرِ « سُورَةِ النَّمل »[3] : أَنَّ آدَمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمَّا أُخْرِجَ من الجَنَّةِ ، اشْتَكى إِلى اللهِ تَعالَى الوَحْشَةَ ، فآنَسَهُ اللهُ تَعالَى بالخُطافِ ، وَأَلْزَمَها البُيُوتَ ، فَهِيَ لا تُفارِقُ بَنِي آدَمَ أُنْساً لَهُمْ .

---

(١) المستطرف ٢/ ٤٧٣ .

(٢) الرِّسالة القشيريّة ٦٢٥ والمستطرف ٢/ ٤٧٣ .

(٣) المستطرف ٢/ ٤٧٢ .

قَالَ : وَمَعَها أَرْبَعُ آياتٍ من كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهِيَ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا ﴾ إلى آخِرِ السُّوْرَةِ ؛ وَتَمُدُّ صَوْتَها بِقَوْلِه : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢١ ـ ٢٤] .

وَالخَطَاطِيفُ[١] أَنْواعٌ : منها نَوْعٌ يَأْلَفُ سَواحِلَ البَحْرِ يَحْفِرُ بَيْتَهُ هناك ويُعَشِّشُ فِيهِ ، وَهُوَ صَغِيرُ الجُثَّةِ ، دُونَ عُصفورِ الجَنّةِ ، وَلَوْنُهُ رَمادِيٌّ ، وَالنّاسُ يُسَمُّونَهُ : سُنونو ، بِضَمِّ السِّينِ المهملة وَنُونَيْنِ ؛ وسيأتي إن شاء الله تعالى في « باب السين المهملة » .

ومنها نَوْعٌ أَخْضَرُ ، عَلَى ظَهْرِهِ بعضُ حُمْرَةٍ ، أَصْغَرُ من الدُّرَّةِ[٢] ، يُسَمِّيْهِ أَهْلَ مِصْرَ : الخُضَيْرِيُّ لِخُضْرَتِهِ ، يَقْتاتُ الفَراشَ والذُّبابَ وَنَحو ذلك .

ومنها نَوْعٌ طَوِيلُ الأَجْنِحَةِ رَقِيقُها ، يَأْلَفُ الجِبالَ ، وَيَأْكُلُ النَّمْلَ ، وهذا النَّوْعُ يُقال له : السَّمائِمُ ، مُفْرَدُهُ سُمَامَةٌ ؛ ومنهم من يُسَمِّي هَذَا النَّوْعَ : السُّنُونُو ، الواحِدَةُ سُنُونُوَةٌ ، وَهُوَ كَثِيرٌ في المسجدِ الحَرامِ ، يُعَشِّشُ في سَقْفِهِ في بابِ إِبراهيم وَبَابِ بَنِي شَيْبَةَ .

وبعضُ النّاسُ يَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الطَّيْرُ الأَبابِيلُ الذي عَذَّبَ اللهُ تعالَى بِهِ أَصْحَابَ الفِيلِ .

● رَوَى نُعيم بن حَمّادٍ ، عن الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عنه ، قال : [أَخْبَرَنِي أَبُو الأَحْوَص ، قالَ[٣] :] دَخَلْنَا عَلَى [ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، وعندهُ غلمانٌ

---

(١) المستطرف ٢/ ٤٧٢ .

(٢) الدُّرَّة : الببّغاء .

(٣) تاريخ دمشق ٣٩/ ١١٩ والزيادة منه ، ومختصره ١٤/ ٦٥ والنهاية ٢/ ٤٩ والزهد للمعافى بن عمران ١٨٩ .

كَأَنَّهُمُ الأَقْمَارُ[1] حُسْناً ، فَجَعَلْنا نَتَعَجَّبُ من حُسْنِهِمْ ، فقَالَ][2] عبدُ اللهِ : كَأَنَّكُمْ تَغْبِطُونِي بِهِمْ ؟ فقلنا : واللهِ إِنَّ مِثْلَ هَؤُلاءِ يُغْبَطُ بِهِمُ الرَّجُلُ المُسْلِمُ ؛ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى سَقْفِ بَيْتٍ لَهُ قَصِيرٍ ، قد عَشَّشَ فِيه الخُطَّافُ وَبَاضَ ، فَقَالَ : والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لأَنْ أَكُونَ قد نفضْت يَدِي من تُرابِ قُبورِهم ، أَحَبُّ إِليَّ من أَنْ يَخْرَبَ عُشُّ هَذَا الطَّائِرِ ، فَيَنْكَسِرَ بَيْضُهُ .

قال ابْنُ المُباركِ : إِنَّما قَالَ ذَلِكَ خَوْفاً عليهم من العَيْنِ .

● قَالَ أَبو إِسحاق الصّابىءُ يَصِفُ الخُطّافَ[3] : [من الطويل]

وَهِنْـدَيَّـةِ الأَوْطَـانِ زِنْجِيَّـةِ الخِلَـقْ ... مُسَـوَّدَةِ الأَلْـوانِ مُحْمَـرَّةِ الحَـدَقْ

إِذا صَرْصَرَتْ صَرَّتْ بآخِرِ صَوْتِها ... كَمَا صَرَّ مَلْوي العُودِ بِالوَتَرِ الحَزِقْ

كَـأَنَّ بهَـا حُـزْنـاً وقـد لَبِسَـتْ لَـهُ ... حِداداً فَأَذْرَتْ من مَدامِعِها العَلَقْ

تَصِيْـفُ لَـدَيْنـا ثـم تَشْتُـو بِـأَرْضِهـا ... فَفِـي كُـلِّ عـامٍ نَلْتَقِـي ثـم نَفْتَـرِقْ

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُ لحم الخَطَاطِيفِ ، لِمَا رَوى أَبُو الحُوَيْرِثِ عبدُ الرَّحمنِ بن معاوية ، وهو من التّابِعِينَ ، عن النَّبيِّ ﷺ ، أَنَّهُ نَهَى عن قَتْلِ الخَطَاطِيفِ ، وَقَالَ : « لا تَقْتُلُوا هَذِهِ العُوَّذَ ، إِنَّها تَعُوذُ بِكُمْ من غَيْرِكُمْ » .

وَرَواهُ البيهَقِيُّ ، وَقَالَ : إِنَّهُ مُنْقَطِعٌ . قال : وَرَواهُ إِبراهِيمُ بن طَهْمَان ، عن عَبّادِ بنِ إِسحاق ، عن أَبيهِ ، قَالَ : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن قَتْلِ الخَطَاطِيفِ عُوَّذِ البُيُوتِ » . ومن هَذِهِ الطَّرِيقِ رَوَاهُ أَبُو داود في مَرَاسِيلِهِ .

قَالَ البَيْهَقِيُّ : وَهُوَ مُنقطِعٌ أَيضاً ؛ لَكِن صَحَّ عن عبدِ اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ عنهما مَوقُوفاً عليه ، أَنَّه قَالَ : « لا تَقْتُلُوا الضَّفادِعَ ، فإِنَّ نَقِيْقَها تَسْبِيحٌ ؛

---

(١) هذا في أ . وفي ب والمختصر : الزّنابير . وفي تاريخ دمشق : الدَّنانير .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من ط .

(٣) الأبيات في يتيمة الدهر ٢/ ٢٦٧ . والوتر الحزق : الوتر المشدود .

وَلا تَقْتُلُوا الخُطّافَ ، فإِنَّهُ لَمَّا خَرِبَ بَيْتُ المَقْدِسِ قَالَ : يَا رَبِّ سَلِّطْنِي عَلَى البَحْرِ حَتَّى أُغَرِّقَهُم » . قَالَ البَيْهَقِيُّ : إِسْنادُهُ صَحِيحٌ ؛ وسيأتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الضّادِ المُعْجَمَةِ » .

● وَفِي الحَدِيثِ[1] : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عن الجَلاّلَةِ والمُجَثَّمَةِ والخَطْفَةِ » بإِسْكانِ الطّاءِ ، وفِيها تَأْوِيلانِ : أَحَدُهُما أَنَّ الخَطْفَةَ : ما اخْتَطَفَهُ السَّبُعُ من الحَيَوانَاتِ ، فَأَكْلُهُ حَرامٌ ؛ قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ . الثَّانِي : أَنَّ النَّهْيَ عَمّا يُخْتَطَفُ بسُرْعَةٍ ، وَمنها سُمِّيَ الخُطَّافُ ، لِسُرْعَةِ اخْتِطَافِهِ ، قَالَه ابنُ جَرِير الطَّبري ، وَنَقَلَهُ عنه فِي « الحاوِي » فَعَلَى هَذَا يُحَرَّمُ كُلُّ ما كَانَ يَتَقَوَّتُ بِما يَخْتَطِفُهُ ، لأَنَّهُ يَتَقَوَّتُ من الخَبائِثِ .

قَالَ الماوَرديُّ : كُلُّ ما كانَ مُسْتَخْبَثاً كَالخَطَاطِيفِ والخفافيش ، فَأَكْلُهُ حَرامٌ ، لِخُبْثِ لَحْمِهِ .

وَقَالَ محمَّد بن الحسن رَضِيَ اللهُ عنه : إِنَّهُ حَلالٌ ، لأَنَّهُ يَتَقَوَّتُ بِالحَلالِ غَالِباً .

قَالَ أَبُو عاصم العِبادِيّ : وَهَذَا مُحْتَمَلٌ عَلَى أَصْلِنا ، وإِلَيهِ مَالَ أَكْثَرُ أَصْحابِنا ؛ وَحَكاهُ فِي « شَرحِ المُهَذَّبِ » قَولاً عن حِكايَةِ البَنْدَنِيجيّ .

الخَواصُّ[2] : قَالَ أَرسطُو : إِنْ أُخِذَتْ عَيْنُ الخُطّافِ ، وَجُعِلَتْ في خِرْقَةٍ ، وَشُدَّت عَلَى سَرِيرٍ ؛ فمن صَعَدَ عَلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ لَمْ يَنَمْ .

وإِنْ أُخِذَتْ وَجُفِّفَتْ وَسُحِقَتْ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ ، فَأَيُّ امْرَأَةٍ شَرِبَتْ مِنه أَحَبَّتِ السّاقِي .

---

(١) النهاية ٢/ ٤٩ .

(٢) تذكرة داود ١/ ١٤١ ومفردات ابن البيطار ٢/ ٦٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٧٢ وعجائب المخلوقات ٢٧٤ والمستطرف ٢/ ٤٧٣ .

وَإِنَّ أُخِذَتْ وَسُحِقَتْ بِدُهْنِ زَنْبَقٍ ، ومُسِحَتْ بِهِ سُرَّةُ امْرَأَةٍ نُفَسَاءَ ، نَفَعَتْها .

وَقَلْبُهُ : إذا سُحِقَ بعد تَجْفِيْفِهِ ، وَشُرِبَ ، هَيَّجَ الباهَ .

وَدَمُهُ : إذا سُقِيَتْ منه امرأَةٌ وَهِيَ لا تَعلمُ ، سَكَنَ عنها شَهْوَةُ الجِماعِ ، وإِنْ ضُمِّدَ بِهِ اليافُوخُ ، سَكَّنَ الصُّدَاعَ الحادِثَ من الأَخْلاطِ .

وَزِبْلُهُ : يُسْحَقُ وَيُطْلَى بِهِ عَلَى الدُّبَيْلَةِ ، تَبْرَأُ .

وَمَرارَتُهُ تُسَوِّدُ الشَّعْرَ الأَبْيَضَ شُرْباً ، وَيَنبَغِي أَنْ يَمْلأَ الشَّارِبُ فَمَهُ حَلِيباً لِئَلاَّ تُسَوِّدَ أَسْنانَهُ .

وَلَحْمُهُ يُورِثُ السَّهَرَ لآكِلِهِ .

وَفِي رَأْسِ الخُطّافِ حَصَاةٌ ، فِيها مَنافِعُ شَتّى ؛ وَكُلُّ خُطّافٍ يَبْلَعُ تِلكَ الحَصَاةَ ، فَمَن ظَفِرَ بها وَحَمَلَها مَعَهُ ، وَقَتْهُ السُّوءَ ، وَكَانَت لهُ وَسِيلَةً إِلَى من يُحِبُّ حتى لا يَقْدِرَ عَلَى رَدِّهِ .

قَالَ الإسكندرُ : يُوجَدُ عِندَ أَوَّلِ بَطْنٍ من بُطُونِ الخَطاطِيفِ في أَعْشَاشِها ، أَوَّلَ ما يَبْرُزْنَ وَيَظْهَرْنَ في العُشِّ ، حَجَرانِ أَبْيَضَانِ ، أَوْ أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ ، إن وُضِعَ الأَبْيَضُ على المَصْرُوعِ ، أَفاقَ وإِن وُضِعَ عَلَى المَعقودِ حَلَّهُ ؛ وَالأَحْمَرُ إن عُلِّقَ عَلَى من بِهِ عُسْرُ البَوْلِ : أَبْرأَهُ ؛ وَرُبَّمَا وُجِدَ هَذَانِ الحَجَرانِ مُخْتَلِفِي الأَحْوالِ ، أَحَدُهُما طَوِيلٌ ، وَالآخَرُ مُلَمْلَمٌ إِنْ جُعِلا في جِلْدِ عِجْلٍ ، وَعُلِّقَا على من به وَسْواسٌ وَتَخَيُّلٌ : أَبْرأَهُ ؛ ولا يُوجَدان إلاّ في العُشِّ الذي يَكون في ناحية المشرق دون غيرهِ ، وهو عُجيبٌ مُجَرَّبٌ .

وقال ابنُ الدَّقّاقِ : إن أُخِذَ الطِّيْنُ من عُشِّهِ ، وَأُدِيْفَ بِالمَاءِ ، وَشُرِبَ : أَدَرَّ البَوْلَ ؛ مُجَرَّبٌ نافِعٌ .

التَّعْبيرُ[١] : الخُطّافُ في المَنامِ : يُؤَوَّلُ بِرَجُلٍ ، أَوِ امْرَأَةٍ ، وَمالٍ ، وَوَلَدٍ قارِىءٍ لِكِتابِ اللهِ تَعالَى ؛ وَيُؤَوَّلُ بِمالٍ مَغْصُوبٍ .

فَمَن رَأَى أَنَّهُ أَخَذَ خُطّافاً : اتَّخَذَ مالاً حَراماً ، وَذَلِكَ لأَنَّ اسْمَهُ خُطّافٌ ، هُوَ بِمَنْزِلَةِ الخَطْفِ .

وَمن رَأَى أَنَّ بَيْتَهُ قد امْتَلأَ خَطاطِيفَ : نَالَ مالاً حَلالاً ، لأَنَّهُ إِنَّما خَطَفَهُ .

وَقِيلَ : الخُطّاف رَجُلٌ أَدِيبٌ ، أَنيسٌ ، وَرِعٌ ؛ فَمَن رَأَى كَأَنَّهُ اسْتَعارَهُ من غَيرِهِ ، فإِنَّهُ يَأْنَسُ إِلى شَخْصٍ ؛ وَمَن أَخَذَهُ فَإِنَّهُ يَظْلِمُ امرأَةً .

وَقَالَتِ النَّصارَى : من أَكَلَ لَحْمُ خُطّافٍ فِي المَنامِ ، فإِنَّهُ يَقَعُ في خُصومَةٍ .

وَمَن رَأَى الخَطَاطِيفَ تَخرجُ من دارِهِ : تَفَرَّقَ عنه قُرَناؤُهُ من جِهَةِ سَفَرٍ .

وَرُبَّمَا دَلَّ الخُطّافُ عَلَى الأَشْغَالِ وَالأَعْمَالِ ، لأَنَّهُ يَظهَرُ في زَمَنِ البَطَالَةِ .

وَصوتُ الخَطَاطِيفِ : تَنْبِيهٌ على عَمَلِ الخَيْرِ ، لأَنَّهُ كَالتَّسبِيحِ ؛ وَرُبَّمَا دَلَّ على امرأَةٍ صاحِبَةِ أَمانَةٍ .

وَقَالَ جاماسب : من صَادَ خُطّافاً : دَخَلَتِ اللُّصوصُ عليهِ ؛ وَالله تعالى أَعلمُ .

٢٨٧ الخَطّافُ : بِفَتْحِ الخَاءِ ، وَتَشدِيدِ الطّاءِ : سَمَكَةٌ بِبَحْرِ سَبْتَةَ ، لَها جَناحانِ عَلَى ظَهْرِها ، أَسْوَدانِ ، تَخرجُ من المَاءِ ، وَتَطِيرُ في الهَواءِ ، ثُمَّ تَعودُ إِلى البحرِ . قَالَهُ أَبُو حامِد الأَنْدَلُسِيّ[٢] .

٢٨٨ الخُفَّاشُ : بِضَمِّ الخَاءِ ، وَتَشدِيدِ الفَاءِ : واحِدُ الخَفافِيشِ التي تَطِيرُ

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ وتفسير الواعظ ٢٩٧ .

(٢) عجائب المخلوقات ٩٥ .

في اللَّيْلِ ، وَهوَ غَرِيبُ الشَّكلِ وَالوَصْفِ ؛ وَالخَفَشُ : صِغَرُ العَيْنِ ، وَضِيْقُ البَصَرِ [١] .

● **فائِدَةٌ** : الأَخْفَشُ : صَغِيرُ العَيْنِ ، ضَعِيفُ البَصَرِ ؛ وَقِيلَ : هو عَكْسُ الأَعْشَى ؛ وَقِيلَ : هو مَن يُبْصِرُ في الغَيْمِ دُونَ الصَّحْوِ . وَقَالَ الجَوهريُّ : هو نَوعانِ .

وَالأَعشَى : مَن يُبْصِرُ نَهاراً لا لَيْلاً . وَالعَمَشُ : ضَعْفُ الرُّؤْيَةِ ، مَع سَيَلانِ الدَّمْعِ غالِبَ الأَوْقَاتِ . والعَوَرُ : مَعروفٌ .

● **تَتِمَّةٌ** : في كُلِّ عَيْنٍ نِصْفُ دِيَةٍ ، وَلَو عَيْنَ أَحْوَلَ ، وَأَخْفَشَ ، وَأَعْمَشَ ، وَأَعْوَرَ ، وَأَعْشَى ، وَأَجْهَرَ ، وَنحوهم ؛ لأَنَّ المَنفَعَةَ باقِيَةٌ في أَعينِ هَؤُلاءِ ، وَمِقْدَارُ المَنفعةِ لا يُنْظَرُ إِلَيهِ كَمَا لا يُنْظَرُ إِلى قُوَّةِ البَطْشِ والمَشْيِ وَضَعْفِهما ؛ وَكَذَا من بعَيْنِه بَيَاضٌ لا يُنقصُ الضَّوْءَ ، فإِنَّهُ يَكُونُ كَالثَّآلِيلِ في اليَدِ ، سَواءٌ كان عَلَى بَيَاضِ الحَدَقَةِ أَو سَوادِها ؛ وَكَذَا لو كان عَلَى النّاظِرِ ، إلاّ أَنَّهُ رَقِيقٌ لا يَمنَعُ الإِبْصَارَ وَلا يُنقصُ الضَّوءَ ؛ هَذَا ما نَصَّ عَلَيهِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَجَرَى عَلَيه الأَئِمَّةَ .

وَلَم يُفَرِّقوا بينَ حُصُولِ ذَلِكَ بآفَةٍ سَمَاوِيَّةٍ أَو جِنايَةٍ .

فإِنْ نَقَصَ فَيُسْقِطُهُ إِنْ أَمْكَنَ ضَبْطُ ذَلِكَ النُّقصانِ بالصَّحِيحَةِ التي لا بَيَاضَ بِها ؛ وإِن لَم يُمْكِنْ ضَبْطُ النَّقْصِ الحاصِلِ بِالجِنايَةِ ، فَالواجِبُ فِيه الحُكُومَةُ .

وَفَارَقَ الأَعمشُ وَنَحْوُهُ ؛ فإِنَّ البَيَاضَ نَقْصُ الضَّوْءِ الخَلْقِيِّ ؛ وَعَيْنُ الأَعْمَشِ لا يَنْقُصُ ضَوْؤُها عَمّا كان في الأَصْلِ .

وَهَذَا الفَرْقُ يُفهمكَ أَنَّ العَمَشَ لو تَوَلَّدَ من آفَةٍ أَوْ جِنايَةٍ ، لا يَجِبُ في العَيْنِ

---

(١) كذا في الأُصول ؛ والعبارة في الصحاح « خفش » ٣/ ١٠٠٥ مصدر المؤلف : وضَعفٌ في البَصَرِ .

كَمالُ الدِّيَةِ ، فإِنْ عُلِمَ قُيِّدَ بِهِ ذَلِكَ الإِطْلاقُ السّابِقُ .

● فَرْعٌ : لَيسَ في عَيْنِ الأَعْوَرِ السّلِيمَةِ إلاّ نِصْفُ الدِّيَةِ عِندَنا .

قال ابْنُ المُنْذِرِ : وَرُوِيَ عن عُمر وَعُثْمان رَضِيَ اللهُ عنهما أَنَّ فِيها الدِّيَةُ ، وَبِهِ قَالَ عبدُ المَلِكِ بن مروان والزُّهْرِيُّ وَقَتادَةَ وَمَالِكٌ واللَّيْثُ والإِمامُ أَحمد وإِسحاق بن راهَويه . انتهى .

قَالَ البَطَلْيَوْسِيُّ : الخُفَّاشُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَسْمَاءَ : خُفّاشٌ وَخُشّافٌ وَخُطّافٌ وَوَطْواطٌ ؛ وَتَسْمِيَتُهُ خُفّاشاً يَحتَمِلُ أَن تَكُونَ مَأْخُوذَةً من الخَفَشِ .

وَالخَفَشُ[1] في اللُّغَةِ نَوعانِ : ضَعْفُ البَصَرِ خِلْقَةً ، وَالثّاني لِعِلَّةٍ حَدَثَتْ ، وَهُوَ الذِي يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ دُونَ النَّهارِ ، وَفي يومِ الغَيْمِ دُونَ يَومِ الصَّحْوِ . انتهى .

وَذَكَرَ الجاحِظُ[2] : أَنَّ اسمَ الخُفّاشِ يَقَعُ عَلَى سائِرِ طَيْرِ اللَّيْلِ . فَكَأَنَّهُ رَاعَى العُمُومَ .

وَكَوْنُ الوَطْواطِ هُوَ الخُفّاشُ : هُوَ الذِي ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَأَبُو حاتِمٍ في « كِتابِ الطَّيْرِ الكَبِيرِ » .

وَمَا ذَكَرَهُ البَطَلْيَوْسِيُّ من أَنَّ الخُفّاشَ هُوَ الخُطّافُ ، فِيهِ نَظَرٌ ؛ وَالحَقُّ أَنَّهُما صِنْفَانِ ؛ وَهُوَ الوَطْواطُ .

وَقَالَ قومٌ : الخُفّاشُ : الصَّغِيرُ ، والوَطْواطُ : الكَبِيرُ ؛ وَهُوَ لا يُبْصِرُ في ضَوْءِ القَمَرِ وَلا فِي ضَوْءِ النَّهارِ غَيْرُ قَوِيِّ البَصَرِ قَلِيلُ شُعاعِ العَيْنِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : [مِنَ الكامِل]

مِثْلُ النَّهارِ يَزِيدُ أَبْصَارَ الوَرَى   نُوراً وَيَعْمِي أَعْيُنَ الخُفّاشِ

---

(١) عن الصِّحاح « خفش » .

(٢) الحيوان ٢/٢٩٨ و ٥/٤٠٢ .

وَلَمّا كان لا يُبْصِرُ نَهاراً ، الْتَمَسَ الوَقْتَ الذي لا يَكُونُ فِيهِ ظُلْمَةٌ وَلا ضَوْءٌ ، وهو قَرِيبُ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، لأَنَّهُ وَقْتُ هَيَجَانِ البَعُوضِ ؛ فإِنَّ البَعُوضَ يَخْرُجُ ذَلِكَ الوَقْتَ يَطْلُبُ قُوتَهُ ، وَهُوَ دِماءُ الحَيوان ، والخُفّاشُ يَخْرُجُ طالباً لِلطُّعْمِ ، فَيَقَعُ طالِبُ رِزْقٍ عَلَى طالِبِ رِزْقٍ ، فَسُبْحَانَ الحَكِيمُ .

وَالخُفَّاشُ لَيْسَ هُوَ من الطَّيْرِ في شَيْءٍ ، فإِنَّهُ ذُو أُذُنَيْنِ وَأَسْنانٍ وخُصْيَتَيْنِ وَمِنْقَارٍ ، وَيَحِيضُ وَيَطْهَرُ ، وَيَضْحَكُ كَمَا يَضْحَكُ الإِنْسَانُ ، وَيَبُولُ كَمَا تَبُولُ ذَواتُ الأَرْبَعِ ، وَيُرْضِعُ وَلَدَهُ ولا رِيْشَ لَهُ .

قَالَ بعضُ المُفَسِّرِينَ : لَمّا كان الخُفَّاشُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ عِيسى بن مَرْيم عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بإِذنِ اللهِ تَعالَى ، كان مُبايناً لِصَنْعَةِ الخالِقِ ؛ وَلِهَذا سائِرُ الطُّيُورِ تَقْهَرُهُ وَتُبْغضُهُ ، فما كان مِنها يَأْكُلُ اللَّحْمَ أَكَلَهُ ، وَمَا لا يَأْكُلُ اللَّحْمَ قَتَلَهُ ؛ فَلِذَلِكَ لا يَطِيرُ إلاّ لَيْلاً .

وَقِيلَ : لَم يَخْلُقْ عِيسى غيرهُ ، لأَنَّهُ أَكْمَلُ الطَّيْرِ خَلْقاً ، وَهُوَ أَبْلَغُ في النُّدْرَةِ ، لأَنَّ لَهُ ثَدْياً وآذاناً وَأَسْناناً ، وَيَحِيضُ كَمَا تَحِيضُ المَرْأَةُ . قَالَ وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ : كان يَطِيرُ ما دَامَ النّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيه ، فإِذا غَابَ عن أَعْيُنِهِمْ سَقَطَ مَيِّتاً ، لِيَتَمَيَّزَ فِعْلُ الخَلْقِ من فِعْلِ الخالِقِ ، وَلِيُعْلَمَ أَنَّ الكَمالَ للهِ تَعالَى .

وَقِيلَ : إِنَّما طَلَبُوا خَلْقَ الخُفّاشِ ، لأَنَّهُ من أَعْجَبِ الطَّيْرِ خِلْقَةً ؛ إذ هو لَحْمٌ وَدَمٌ ، يَطِيرُ بغَيْرِ رِيْشٍ ، وَهُوَ شَدِيدُ الطَّيَرانِ ، سَرِيْعُ التَّقَلُّبِ ، يَقْتَاتُ البَعُوضَ والذُّبَابَ وَبعضَ الفَواكِهِ .

وهُوَ مَع ذَلِكَ مَوْصُوفٌ بطُولِ العُمُرِ ؛ فَيُقَالُ : إِنَّهُ أَطْوَلُ عُمراً من النَّسْرِ وَمن حِمَارِ الوَحْشِ ، وَتَلِدُ أُنْثَاهُ ما بينَ ثَلاثَةِ أَفْراخٍ وَسبعَةٍ ، وَكَثِيراً ما يَسْفِدُ وَهُوَ طائِرٌ فِي الهَوَاءِ .

وَلَيسَ في الحَيوانِ ما يحمِلُ وَلَدَهُ غَيْرُهُ وَالقردُ والإِنسَان ، ويَحملُهُ تَحْتَ

جَناحِهِ ، وَرُبَّما قبضَ عَلَيهِ بِفِيهِ ، وَذَلِكَ من حُنُوِّهِ وإِشْفاقِهِ عليهِ ؛ وَرُبَّما أَرْضَعَتِ الأُنْثى وَلَدَها وَهِيَ طائِرَةٌ .

وَفِي طَبْعِهِ : أَنَّهُ مَتَى أَصابَهُ وَرَقُ الدُّلْبِ خَدِرَ وَلَمْ يَطِرْ .

وَيُوصَفُ بِالحُمْقِ ، وَمن ذَلِكَ أَنَّهُ إِذا قِيلَ لَهُ : أَطْرِقْ كَرى ، لَصِقَ بالأَرْضِ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ ، لِما رَواهُ أَبُو الحُوَيْرِثِ مُرْسَلاً : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن قَتْلِهِ » .

وَقِيلَ[1] : إِنَّهُ لَمَّا خَرِبَ بيتُ المَقْدِسِ ، قَالَ : رَبِّ سَلِّطْنِي عَلَى البَحْرِ حتى أُغَرِّقَهُمْ .

وَسُئِلَ عنه الإِمامُ أَحمدُ ، فَقَالَ : وَمَنْ يَأْكُلُهُ ؟ .

وَقَالَ النَّخعيُّ : كُلُّ الطَّيْرِ حَلالٌ إِلاَّ الخُفَّاشُ .

قَالَ الرُّويانيُّ : وَقد حَكَيْنا في الحَجِّ خِلافَ هَذَا ، فَيحتملُ قَولين .

وَعِبَارَةُ « الشَّرْحِ » و« الرَّوْضَة » : يُحَرَّمُ الخُفَّاشُ قَطْعاً ؛ وَقَدْ يَجْرِي فِيهِ الخِلافُ ، مع أَنَّهُما قد جَزَما في « كِتابِ الحَجِّ » بِوُجُوبِ الجَزاءِ فِيهِ إِذا قَتَلَهُ المُحْرِمُ ، وَأَنَّ الواجِبَ فِيهِ القِيْمَةُ مع تَصريحِهما بِأَنَّ ما لا يُؤْكَلُ لا يُفْدَى ؛ عَلَى أَنَّ الرَّافِعِيَّ مَسبوقٌ بِذَلِكَ ، فَأَوَّلُ من ذَكَرَهُ صاحِبُ « التَّقْرِيبِ » ، وَأَشْعَرَ كَلامُهُ بِأَنَّ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ذَكَرَهُ .

وَذَكَرَ المَحامليُّ أَنَّ اليَرْبُوعَ لا يَحِلُّ أَكْلُهُ ، وَيَجِبُ فِيهِ الجَزاءُ ، فِي أَصَحِّ القَولينِ ؛ وَهُوَ غَرِيبٌ .

وَلَم يَزَلِ النّاسُ يَسْتَشْكِلُونَ ما وَقَعَ في الرّافعي من ذَلِكَ ، وَلَيسَ بِمَشْكِلٍ ؛

---

(١) مضى في « الخطّاف » .

فَهُوَ يَتَبَيَّنُ بِمُراجَعَةِ كَلامِ الرُّويانيّ ، فإنَّهُ قَالَ : فَرْعٌ : قَالَ في « الأُمِّ » : الوَطْواطُ فَوْقَ العُصْفُورِ ، وَدُونَ الهُدْهُدِ ، وَفِيهِ إن كان مَأْكُولاً قِيْمَتُهُ ؛ وَذُكِرَ عن عَطاءٍ أَنَّهُ قَالَ : فِيهِ ثلاثَةُ دراهم . انتهى .

فاتَّضَحَ أَنَّ المَسأَلَةَ مَنْصُوصَةٌ للشَّافِعيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَأَنَّهُ عَلَّقَ وُجُوبَ الجَزاءِ عَلَى القَوْلِ بِحِلِّ أَكْلِهِ .

ثُمَّ تَتَبَّعْتُ كَلامَ عَطاءٍ المَذكور ، فَوجَدْتُ الأَزْهَرِيَّ قد نَقَلَ عنه أَنَّهُ يَجِبُ فِيهِ إذا قَتَلَهُ المُحْرِمُ ثُلُثا دِرْهَمٍ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : قَالَ الأَصْمَعِيُّ : الوَطْواطُ هُوَ الخُفّاشُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الأَشْبَهُ عِنْدِي أَنَّهُ الخُطّافُ .

قُلْتُ : وَأَيّاً كَانَ ، فَهُوَ غَيْرُ مَأْكُولٍ .

الخَواصُّ[١] : إذا وُضِعَ رَأْسُهُ في حَشْوِ مَخَدَّةٍ ، فَمَن وَضَعَ رَأْسَهُ عَلَيها لَم يَنَمْ .

وإِنْ طُبِخَ رَأْسُه في إناءِ نُحاسٍ أَوْ حَديدٍ بِدُهْنِ زَنْبَقٍ ، وَيُغْمَرُ فِيهِ مِراراً حَتَّى يَتَهَرَّى ، وَيُصَفى ذَلِكَ الدُّهْنُ عنه ، وَيُدهنُ بِهِ صاحِبُ النِّقْرِسِ وَالفالِجِ القَدِيمِ والارْتِعاشِ وَالتَّوَرُّمِ في الجَسَدِ والرَّبْوِ ، فإِنَّهُ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ وَيُبْرِئُهُ ، وَهُوَ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ .

وإِن ذُبِحَ الخُفَّاشُ في بيتٍ وَأُخِذَ قَلْبُهُ وأُحْرِقَ فِيهِ : لم يَدْخُلْهُ حَيَّاتٌ ولا عَقَارِبُ ؛ وإِن عُلِّقَ قَلْبُهُ وَقْتَ هَيَجانِهِ عَلى إِنْسَانٍ : هَيَّجَ الباهَ .

وَعُنُقُهُ إِذا عُلِّقَ على إِنْسَانٍ : أَمِنَ من العَقَارِبِ .

---

(١) تذكرة داود ١/ ١٤٢ ومفردات ابن البيطار ٢/ ٦٥ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٧٣ وعجائب المخلوقات ٢٧٤ .

وَمَن مَسَحَ بِمَرارَتِهِ فَرْجَ امْرَأَةٍ قد عَسُرَتْ وَلادَتُها : وَلَدَتْ لِوَقْتِها .

وَمَن أَخَذَت من النِّسَاءِ من شَحْمِهِ لِرَفْعِ الدَّمِ : ارْتَفَعَ عنها .

وإِنْ طُبِخَ الخُفّاشُ ناعِماً حَتَّى يَتَهَرّى ، وَمُسِحَ بِهِ الإِحْلِيلُ : أَمِنَ من تَقْطِيرِ البَوْلِ .

وإِنْ صُبَّ من مَرَقِ الخُفّاشِ ، وَقَعَدَ فِيهِ صاحِبُ الفَالِجِ : انْحَلَّ ما بِهِ .

وَزِبْلُهُ إِذا طُلِيَ بِهِ عَلَى القَوابي : قَلَعَها .

وَمَنْ نَتَفَ إِبْطَهُ ، وَطَلاهُ بِدَمِهِ مع لَبَنٍ أَجْزَاءً مُتَسَاوِيَةً : لَمْ يَنْبُتْ فِيهِ شَعْرٌ ؛ وإِذا طُلِيَ بِهِ عاناتُ الصِّبْيَانِ قَبْلَ البُلُوغِ : مَنَعَ من نَبَاتِ الشَّعْرِ فِيها .

التَّعبيرُ[1] : الخُفّاشُ في المَنام : رَجُلٌ ناسِكٌ . وَقَالَ أَرطاميدورس : إِنَّ رُؤْيَتَهُ تَدُلُّ عَلَى البَطالَةِ وَذَهَابِ الخَوْفِ ، لأَنَّهُ من طُيُورِ اللَّيْلِ ، ولا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ .

وَهُوَ دَلِيلُ خَيْرٍ لِلحُبْلَى بِأَنَّها تَلِدُ وَلادَةً سَهْلَةً .

وَلا تُحْمَدُ رُؤْيَتُهُ للمُسافِرِ بَرّاً وَبَحْراً ؛ وَتَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى خَرابِ مَنْزِلِ من يَدخلُ إِلَيْهِ .

وَقِيلَ : الخُفّاشَةُ في المَنامِ امْرَأَةٌ ساحِرَةٌ .

والخُفَّاشُ تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى رجلٍ حَيْرَانَ ذِي حِرْمانٍ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٢٨٩ الخُنّازُ[2] : كَرُمَّان : الوَزَغَةُ .

● وَفِي حَدِيثِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، أَنَّهُ قَضَى قَضاءً ، فَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ بَعْضُ

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ وتفسير الواعظ ٢٩٨ .

(٢) في الأُصول : الخُنّان . . . يا خُنّان ! . والنَّص في النهاية ٢/ ٨٣ واللّسان « خنز » ٢/ ١٢٧٥ ـ ١٢٧٦ والتاج ١٥/ ١٤٢ .

الحَرورِيَّةُ . فَقَالَ لَهُ : اسْكُتْ يَا خُنّازُ ؛ ذَكَرَهُ الهَرَوِيُّ وَغيرُهُ .

٢٩٠ الخَلَنْبُوصُ : بفَتْحِ الخَاءِ المُعجمةِ واللاّمِ ، وإِسْكانِ النُّونِ ، وَضَمِّ البَاءِ المُوَحّدَةِ : طائِرٌ أَصْغَرُ من العُصفورِ ، عَلَى لَوْنِه وَشَكْلِهِ .

٢٩١ الخُلْدُ : بِضَمِّ الخَاءِ . وَنَقَلَ في « الكِفايَةِ » عن الخَلِيلِ بن أَحمد : فَتْحَ الخَاءِ وَكَسْرَها .

● قَالَ الجاحِظُ[1] : هُوَ دُوَيْبَّةٌ عَمْيَاءُ صَمّاءُ ، لا تَعْرِفُ ما بَيْنَ يَدَيْها إلاّ بالشَّمِّ ، فَتَخْرُجُ من جُحْرِها ، وَهِيَ تعلَم أَنْ لا سَمْعَ لَها وَلا بَصَرَ ، فَتَفْتَحُ فاها ، وَتَقِفُ عند جُحْرِها ، فَيَأْتِي الذُّبابُ فَيَقَعُ على شِدْقِها ، وَيَمُرُّ بَيْنَ لَحْيَيْها ، فَتَسْتَدْخِلُهُ جَوْفَها بِنَفْسِها ، فَهِيَ تَتَعَرَّضُ لِذَلِكَ في السّاعاتِ التي يَكُونُ فِيْها الذُّبابُ أَكْثَرَ .

● وَقَالَ غَيْرُهُ : الخُلْدُ فَأْرٌ أَعْمَى ، لا يُدْرِكُ إلاّ بالشَّمِّ .

● قَالَ أَرسطُو في كِتابِ « النُّعُوتِ » : كُلُّ حَيوانٍ له عَيْنانِ ، إلاّ الخُلْدُ ؛ وإِنَّما خُلِقَ كَذَلِكَ لأَنَّهُ تُرابيٌّ ، جَعَلَ اللهُ لَهُ الأَرْضَ كَالمَاءِ للسَّمَكِ ؛ وَغِذَاؤُهُ من بَطْنِها ، وَلَيسَ لَهُ في ظَهْرِها قُوَّةٌ وَلا نَشَاطٌ ؛ وَلَمّا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَصَرٌ ، عَوَّضَهُ اللهُ حِدَّةَ حاسَّةِ السَّمْعِ ، فَيُدْرِكُ الوَطْءَ الخَفِيَّ من مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ ، فإِذا أَحَسَّ بِذَلِكَ جَعَلَ يَحْفِرُ في الأَرْضِ .

قَالَ : وَالحِيلَةُ في صَيْدِهِ : أَنْ يُجْعَلَ لَهُ في جُحْرِهِ قَمْلَةٌ ، فإِذا أَحَسَّ بِها ، وَشَمَّ رائِحَتَها ، خَرَجَ إِلَيْها لِيَأْخُذَها .

وَقِيلَ : إِنَّ سَمْعَهُ بِمِقْدَارِ بَصَرِ غَيْرِهِ ، وَفِي طَبْعِهِ الهَرَبُ من الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ ، وَيَهْوَى رائِحَةَ الكُرّاثِ والبَصَلِ ، وَرُبَّما صِيْدَ بِهِما ، فإِنَّهُ إذا شَمَّهما

---

(١) الحيوان ٦/ ٤١١ .

خَرَجَ إِلَيهِما ؛ وَهُوَ إِذا جاعَ فَتَحَ فَاهُ ، فَيُرسِلُ اللهُ تَعالَى له الذُّبابَ ، فَيَسقُطُ عليهِ ، فَيَأْكُلُهُ .

● وَذَكَرَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ[1] : أَنَّ الخُلْدَ هُوَ الَّذِي خَرَّبَ سَدَّ مَأْرِبَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمَ سَبَأ كانَتْ لِهُمْ جَنَّتانِ ـ أَي بُسْتانانِ ـ عن يَمِينٍ من يَأْتِيها وَشِمالِهِ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى لهم : ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ﴾ [سَبَأ : ١٥] أَي عَلَى ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيكُمْ ؛ وَكانَتْ بَلْدَتُهم طَيِّبَةً ، لا يُرَى فِيها بَعُوضٌ وَلا بُرْغُوثٌ ولا عَقْرَبٌ وَلا حَيَّةٌ وَلا ذُبابٌ ؛ وَكَانَ الرَّكْبُ يَأْتُونَ وَفِي ثِيابِهِمُ القَمْلُ وغَيْره ، فإِذا وَصَلُوا إِلى بِلادِهِم ماتَتْ .

وَكَانَ الإِنْسَانُ يَدْخُلُ البُسْتانَ والمِكْتَلُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيَخْرُجُ وَقَدِ امتَلأَ من أَنْواعِ الفَواكِهِ من غيرِ أَنْ يَتَناوَلَ منها شَيئاً بِيَدِهِ .

فَبَعَثَ اللهُ لهم ثَلاثَةَ عَشَرَ نَبِيّاً ، فَدَعوهم إِلى اللهِ ، وَذَكَّرُوهم نِعَمَهُ عَلَيهِمْ ، وَأَنْذَرُوهم عِقابَهُ ، فَأَعْرَضُوا وَقَالُوا : ما نَعْرِفُ للهِ عَلَيْنا من نِعْمَةٍ ! وَكَانَ لَهُمْ سَدٌّ بَنَتْهُ بلقِيسُ لَمَّا مَلَكَتْهُمْ ، وَبَنَتْ دُونَهُ بِرْكَةً فِيها اثْنا عَشَرَ مَخْرَجاً عَلَى عَدَدِ أَنْهارِهِمْ ، فَكَانَ المَاءُ يُقْسَمُ بَينهم على ذلكَ ؛ فلمّا كان من شَأْنِها مع سُلَيمانَ عليهِ الصَّلاةُ السَّلامُ ما كَانَ مَكَثُوا مُدَّةً بَعْدَها ثُمَّ طَغَوا وَبَغَوا وَكَفَرُوا ، فَسَلَّطَ اللهُ عليهِم جُرَذاً أَعْمى يُقَال له : الخُلْدُ ، فَنَقَبَ السَّدَّ من أَسْفَلِهِ ، فَهَلَكَتْ أَشْجارُهُمْ ، وَخَرِبَتْ أَرْضُهُمْ ، وَكانُوا يَزعمونَ في عِلْمِهِم وَكَهانَتِهم أَنَّ سَدَّهُمْ ذَلِكَ تُخَرِّبُهُ فَأْرَةٌ ، فَلَمْ يَتْرُكُوا فُرْجَةً بَيْنَ حَجَرَيْنِ إِلاَّ رَبَطُوا عِندها هِرَّةً ؛ فَلَمَّا جَاءَ الوَقْتُ الذِي أَرادَهُ اللهُ تَعالَى ، أَقْبَلَتْ فَأْرَةٌ حَمراءُ إِلى هِرَّةٍ من تِلك الهِرَرِ ، فَسَاوَرَتْها حَتَّى اسْتَأْخَرَتْ عنها الهِرَّةُ ، فَدَخَلَتْ في الفُرْجَةِ التي كانَت عِندها ،

---

(١) ينظر ترويح أولي الدّماثة ٢/ ٩٦ والبداية والنهاية ٣/ ١٠٩ وما سيأتي في تخريج خبر السَّدِّ .

وَنَقَّبَتْ وَحَفَرَتْ ، فَلَمّا جَاءَ السَّيْلُ وَجَدَ خَلَلاً ، فَدَخَلَ فِيهِ حَتى قَلَعَ السَّدَّ ، وَفَاضَ عَلَى أَمْوالِهِم ، فغَرَّقَها وَدَفَنَ بُيوتَهُمْ بِالرَّمْلِ .

● وَرُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، وَوَهْبٍ وَغَيْرِهما ، أَنَّهُم قَالوا : كان ذَلِكَ السدُّ بَنَتْهُ بلْقيسُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى مَاءِ أَوْدِيَتِهِم ، فأَمَرَتْ بِوادِيهِم فَسُدَّ بالعَرِمِ ، وَهُوَ بلُغَةِ حِمْيَرَ ، فَسَدَّتْ بينَ الجَبَلَيْنِ بالصَّخْرِ وَالقَارِ ، وَجَعَلَتْ له أَبواباً ثَلاثَةً ، بعضها فَوقَ بعضٍ ، وَبَنَتْ من دُونِهِ بِرْكَةً ضَخْمَةً ، وَجَعَلَتْ فِيها اثْنَي عَشَرَ مَخْرَجاً عَلَى عَدَدِ أَنْهارِهِمْ ، يَفْتَحُونَها إذا احْتاجُوا إلى المَاءِ ، وَإِذا اسْتَغْنَوا عنه سَدُّوها ، فإذا جَاءَ المَطَرُ اجْتَمَعَ إِلَيهِ مَاءُ أَوْدِيَةِ اليَمَنِ ، فاحْتُبِسَ السَّيْلُ من وَرَاءِ السَّدِّ ، فأَمَرَتْ بالبابِ الأَعْلَى فَفُتِحَ ، فَجَرَى ماؤُهُ في البِركَةِ ؛ فَكَانُوا يَسْتَقُونَ من البَابِ الأَعلَى ، ثُمَّ من الثّانِي ، ثُمَّ من الثّالِثِ الأَسْفَلِ ، فَلا ينفذُ المَاءُ حَتَّى يَثُوبَ المَاءُ من السَّنَةِ المُقْبِلَةِ ، فكانَتْ تَقْسِمُهُ بينَهم عَلَى ذَلِكَ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

● وَنَقَلَ الإمامُ أَبُو الفَرَجِ ابن الجَوزيّ[1] ، عن الضَّحَّاكِ ، [عن ابنِ عبّاسٍ] : أَنَّ الجُرَذَ الذِي خَرَّبَ سَد مَأْرِبَ كان لَهُ مَخَالِيبُ وَأَنْيَابٌ من حَدِيدٍ ، وَأَنَّ أَوَّلَ من عَلِمَ بِذَلِكَ عَمرو بن عامِرِ الأَزْدِيّ[2] ، وَكَانَ سَيِّدَهُم ، وَكَانَ قد رَأَى في المَنامِ كَأَنَّهُ انْبَثَقَ عليهِ الرَّدْمُ ، فَسَالَ الوادِي ، فَأَصْبَحَ مَكرُوباً ، فانْطَلَقَ نَحْوَ الرَّدْمِ ، فَرَأَى الجُرَذَ يَحْفِرُ بِمَخالِيبَ من حَدِيدٍ ، وَيَقْرِضُ بِأَنْيَابٍ من

---

(١) الخبر في : أخبار الأذكياء ١٨ ومروج الذهب ٢/ ٣٢٤ وما بعد ومعجم البلدان ٥/ ٣٥ وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٣٤ ومجمع الأمثال ١/ ٢٧٥ وزهر الأكم ٣/ ١٦ .
ومختصراً في : الرّوض المعطار ٥١٥ والكشاف ٣/ ٢٨٥ وسيرة ابن هشام ١/ ١٣ والحيوان ٥/ ٥٤٧ والإكليل ٨/ ٩٥ وترويح أولي الدّماثة ٢/ ٩٦ والبداية والنّهاية ٣/ ١١٠ .

(٢) في الأذكياء : عبد الله بن عامر الأزدي .

حَدِيدٍ ، فانصرَفَ إلى أَهْلِهِ فَأخبر امْرَأَتَهُ وَأَراها ذَلِكَ ، وأَرْسَلَ بَنِيهِ فنَظَرُوا ، فَلَمّا رَجَعُوا قَالَ : هل رَأَيْتُمْ ما رَأَيْتُ ؟ قَالُوا : نَعم ؛ قَالَ : فإِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَيسَ لَنا إلى إِذْهابِهِ من سَبِيلٍ ، وَقَدِ اضْمَحَلَّتِ الحِيْلَةُ فِيهِ ، لأَنَّ الأَمْرَ من اللهِ ، وَقَدْ أَذِنَ اللهُ بِالهَلاكِ .

ثُمَّ إِنَّهُ عَمَدَ إلى هِرَّةٍ ، فَأَخَذَها وَأَتَى بها إلى الجُرَذِ ، فَصَارَ الجُرَذُ يَحْفِرُ وَلا يَكترِثُ بالهِرَّةِ ، فوَلَّتِ الهِرَّةُ هارِبَةً ، فَقَالَ عمرو لأَوْلادِهِ : احْتَالُوا لأَنْفُسِكُمْ ؛ فقَالُوا : يَا أَبَتِ ، كَيْفَ نَحْتالُ ؟ فقَالَ : إِنِّي مُحْتالٌ لَكُمْ بِحِيْلَةٍ ، قَالُوا : افعَلْ .

فَدَعا أَصْغَرَ بَنِيهِ ، وَقَالَ له : إذا جلستُ في المَجلِسِ ، وَاجتمَعَ النَّاسُ عَلى العادَةِ - وَكَانَ النّاسُ يَجتمِعونَ إليهِ وَيَنتهون برَأْيِهِ - فإِنِّي آمُرُكَ بأَمْرٍ ، فَتَغافَلْ عنهُ ، فإِذا شَتَمْتُكَ فَقُمْ إِلَيَّ والْطِمْنِي ؛ ثُمَّ قَالَ لأَوْلادِهِ : فإِذا فَعَلَ ذَلِكَ فَلا تُنْكِرُوا عليهِ ، وَلا يَتكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْكُمْ ؛ فإِذا رَأَى الجُلَسَاءُ فِعْلَكُمْ لَمْ يَجسُرْ أَحَدٌ مِنهم أَنْ يُنْكِرَ عليهِ وَلا يَتكَلَّمَ ، فأَحلفُ أَنا عِندَ ذَلِكَ يَمِيناً لا كَفّارَةَ لَها ، أَنْ لا أُقِيمَ بَيْنَ أَظْهُرِ قَوْمٍ قَامَ إِلَيَّ أَصْغَرُ بَنِيَّ فَلَطَمَنِي ، فَلَمْ يُغَيِّرُوا عليه ؛ فَقَالُوا : نَفعلُ ذلك .

فَلَمّا جلَسَ ، وَاجتمَعَ النَّاسُ إِلَيهِ ، أَمَرَ ابنهُ الصَّغِيرَ بِبعضِ أَمْرِهِ ، فَلَها عنه ، فَشَتَمَهُ ، فقَامَ إِلَيهِ وَلَطَمَ وَجْهَهُ ، فَعَجِبَ الجَمَاعَةُ من جَراءَةِ ابنِهِ عَلَيهِ ، وَظَنُّوا أَنَّ أَوْلادَهُ يُغَيِّرُونَ عليهِ ، فنكَسوا رُؤُوسَهم ، فَلَمَّا لَمْ يغَيِّر أَحَدٌ مِنهم ، قَامَ الشَّيْخُ وَقَالَ : أَيَلْطِمُنِي وَلَدِي وَأَنْتُمْ سُكُوتٌ ؟ . ثُمَّ حَلَفَ يَمِيناً لا كَفّارَةَ لَها أَنْ يَتَحَوَّلَ عنهم وَلا يُقِيمَ بينَ أَظْهُرِ قَوْمٍ لَمْ يُغَيِّرُوا عليهِ ؛ فَقَامَ القومُ يَعْتَذِرُونَ إِلَيهِ ، وَقَالُوا له : ما كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ أَوْلادَكَ لا يُغَيِّرُونَ ، فَذاكَ الذِي مَنَعَنا . فقَالَ : قد سَبَقَ مِنِّي ما تَرونَ ، وَلَيسَ إِلى غيرِ التَّحَوُّلِ من سَبِيلٍ .

ثُمَّ إِنَّهُ عَرَضَ ضِياعَهُ لِلبَيْعِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَنافَسُونَ فِيها ، واحْتَمَلَ بِثقَلِهِ وَعِيالِهِ وَتَحَوَّلَ عنهم ؛ فلم يَلبَثِ القَوْمُ إلاّ يَسِيراً حتى أَتَى الجُرَذُ عَلَى الرَّدْمِ فاسْتَأْصَلَهُ .

فَبَيْنَما القَوْمُ ذَاتَ ليلةٍ بعدَما هَدَأَتِ العُيُونُ ، إذا هُمْ بِالسَّيْلِ ، فاحْتَمَلَ أَنْعامَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، وَخَرَّبَ دِيارَهُمْ ، فَذَلِكَ قولُهُ تعالَى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سَبَأ : ١٦] .

● وَفِي العَرِمِ أَقْوالٌ[(١)] : قِيلَ : هُوَ المُسَنّاةُ : أَي السَّدُّ ، قَالَهُ قَتادة . وَقِيلَ : هو اسمُ الوادِي ، قَالَهُ السُّهيلِيُّ . وَقِيلَ : اسْمُ الخُلْدِ الذي خَرَقَ السَّدَّ . وَقِيلَ : هُوَ السَّيْلُ الذي لا يُطَاقُ .

وَأَمَّا مَأْرِبُ : فَبِسُكُونِ الهَمْزَةِ : اسمٌ لِقَصْرٍ كان لَهم . وَقِيلَ : هُوَ اسْمٌ لِكُلِّ مَلِكٍ كان يَلِي سَبَأ ، كَمَا أَنَّ تُبَّعاً اسْمٌ لِكُلِّ من وَلِيَ اليَمَنَ والشِّحْرَ وَحَضْرَمَوْتَ ، قَالَهُ المَسعودِيُّ .

وَقَالَ السُّهيلِيُّ : وَكَانَ السَّدُّ من بِنَاءِ سَبأ بن يَشْجب ، وَكَانَ قد سَاقَ إِلَيهِ سَبعِينَ وادِياً ، وَمَاتَ من قَبلِ أَن يُتِمَّهُ ، فَأَتَمَّتْهُ مُلُوكُ حِمْيَرَ ؛ وَاسمُ سَبأ عبدُ شَمْسٍ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطانَ ، قِيلَ : إِنَّهُ أَوَّلُ من سَبَى ، فَسُمِّيَ سَبَأ . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَوَّلُ من تَتَوَّجَ من مُلُوكِ اليَمَنِ .

وَقَالَ المسعودِيُّ : بَناهُ لُقْمَانُ بن عادٍ ، وجَعَلَهُ فَرْسَخاً في فَرْسخ ، وَجَعَلَ لَهُ ثَلاثِينَ شِعْباً ، فَأَرْسَلَ اللهُ عليهِ سَيْلَ العَرِمِ ، وَفُرِّقُوا وَمُزِّقُوا حتى صَارُوا مَثَلاً ، فقَالُوا : « تفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا ، وَأَيادِي سَبَا » .

● قَالَ الشَّعبيُّ : لَمَّا غَرِقَتْ قُراهُمْ ، تَفَرَّقُوا في البِلادِ ؛ فَأَمَّا غَسّانُ فَلَحِقُوا

---

(١) ينظر ترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ٩٥ .

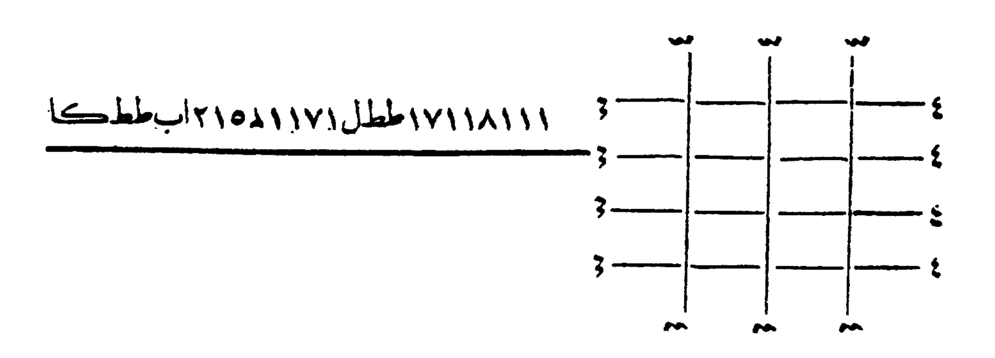
بِالشّامِ ، وَالأَزْدُ إلى عُمانَ ، وَمَرَّ خُزاعَةُ إلى تِهامَةَ ، وَجَذيمةُ إلى العِراقِ ، وَالأَوْسُ والخَزْرَجُ إلى يَثْرِب ؛ وَكَانَ الذِي قَدِمَ مِنهم المَدِينَةَ عَمرو بن عامر ، وهو جَدُّ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ .

● رَوَى أَبُو سَبْرَةَ النَّخَعِيُّ ، عن فَرْوَةَ بن مُسَيْكٍ الغُطَيْفِيّ ، قَالَ[1] : قَالَ رجلٌ : يَا رَسولَ اللهِ ، أَخبِرْنِي عن سَبَأ ، أَكانَ رَجُلاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَرْضاً ؟ فَقَالَ ﷺ : « كَانَ رَجُلاً من العَرَبِ ، وَلَهُ عَشْرَةُ أَوْلادٍ ، تَيامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ ، وَتَشاءَمَ أَرْبَعَةٌ ؛ فَأَمّا الذِينَ تيامَنُوا : فَكِنْدَةُ ، وَالأَشْعَرِيُّونَ ، وَالأَزْدُ ، وَمَذْحِجُ ، وَأَنْمَارُ ، وَحِمْيَرُ » . فقَالَ الرَّجُلُ : وَمَا أَنْمَارُ ؟ قَالَ : « الذِينَ مِنْهُمْ خَثْعَمٌ وَبَجِيْلَةُ ؛ وَأَما الذِينَ تَشاءَمُوا : فَلَخْمٌ وَجُذامُ وعامِلَةٌ وَغَسّانُ » .

● **وَمِنَ الفَوائِدِ المُجَرَّبَةِ** : أَنْ يُكْتَبَ لِلخُلْدِ الذي يَطلعُ في الدَّوابِّ ، وَيُعَلَّقَ في أُذُنِ الدَّابَّةِ اليُسرى : يَا خُلدَ سُلَيمانَ بن داود : ذِكْرُ عِزْرائِيلَ عَلَى وَسَطِكَ ، وَذِكْرُ جِبْرائِيلَ عَلَى رَأْسِكَ ، وَذِكْرُ إِسْرافِيلَ عَلَى ظَهْرِكَ ، وَذِكْرُ مِيْكائِيلَ عَلَى بَطْنِكَ ، لا تَدبُّ وَلا تَسعَى ، إلاّ أُيْبِسَ كَمَا يَبِسَ لَبَنُ الدَّجاجِ وَقَرْنُ الحِمَارِ ، بِقُدْرَةِ العَزِيزِ القَهّارِ ؛ هَذَا قَوْلُ عِزرائِيلَ وَجبرائِيلَ وإِسْرافِيلَ وَمِيكائِيلَ وملائِكَةِ اللهِ المُقَرَّبِينَ ، الذِينَ لا يَأْكُلُونَ وَلا يَشْرَبُونَ إلاّ بِذِكْرِ اللهِ هُم يَعِيشُونَ أَصباؤتا آل شداي ، ايبسْ أَيُّها الخِلْدُ من دَابَّةِ فُلانٍ ابن فُلانَةٍ ، أَو من هَذِهِ الدَّابّة بِقُدْرَةِ من يَرَى وَلا يُرَى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه : ١٠٥ ـ ١٠٧] ﴿ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] فَمَاتُوا ، كَذَلِكَ يموتُ الخُلْدُ من دَابَّةِ فُلانٍ ابنُ فُلانَةٍ ، أَو من هَذِهِ الدَّابَّةِ .

---

(١) أبو داود (٣٩٨٨) والترمذيّ (٣٢٢٢) وتهذيب الكمال ٢٣/ ١٧٦ وأُسد الغابة ٤/ ٣٦١ والبداية والنِّهاية ٣/ ١٠٨ .



● **وَمِنَ الفَوائِدِ المُجَرَّبَةِ لِلْخُلْدِ أَيْضاً** : أَنْ يُكْتَبَ في وَرَقَةٍ ، وَيُعَلَّقَ في عُنقِ الفرسِ المَخْلُودِ :

طَلعُوا سِتَّةً وَسِتِّينَ مَلكاً إِلى جِبَالِ القدسِ ، لَقُوا ثَلاثَ شَجَراتٍ ، الواحِدَةُ قُطِعَتْ ، وَالثَّانِيَةُ يَبِسَتْ ، وَالثَّالِثَةُ احْتَرَقَتْ ؛ انقطِعْ أَيُّها الخُلْدُ بِبَرَكَةِ سيهوم ديهوم دهوم ، بِأَلفِ لا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العليِّ العَظِيمِ ج و ج و ج ارتفع ارتفع ارتفع اه اه ل ط ا س ل ط ا س ل ط ا س ل طا س ل ط ا س الله الله الله الله الله الله الله الله الله حم حم حم حم حم حم حم حم حم حم حم تَوكَّلت ل ا د هى ع ل ا ا على الله . اللَّهُمَّ احْفَظْ حامِلَهُ ودابَّتَهُ بِحُرْمَةِ الرَّبِّ العَظِيمِ والقُرْآنِ العَظِيمِ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَليِّ العَظِيمِ . انتهى[١] .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ ، لأَنَّهُ نَوْعٌ من الفَأْرِ .

وَقَالَ مَالِكٌ : لا بَأْسَ بِأَكْلِ الخُلْدِ وَالحَيّاتِ ، إِذا ذُكِّيَ ذَلِكَ .

وَهَذِهِ أَولُ مَسأَلَةٍ في كِتابِ الذَّبائِحِ من « المُدَوَّنَةِ » .

الأَمْثَالُ : قَالُوا : « أَسْمَعُ من خُلْدٍ » و« أَفْسَدُ من خُلْدٍ »[٢] .

---

(١) ليت المؤلِّف نَزَّهَ كتابه عن مثل هذه الأَباطيل .

(٢) لا وجود للمثلين في كتب الأَمثال .

الخَواصُّ[1] : دَمُهُ : إذا اكْتُحِلَ بِهِ أَبْرَأَ العَيْنَ ؛ وَالدَّمُ الذِي في ذَنَبِهِ : إِذا طُلِيَ بِهِ الخَنَازِيرُ ، أَذْهَبَها .

وَشَفَتُهُ العُلْيَا : إذا عُلِّقَتْ عَلَى من بِهِ حُمَّى الرِّبعِ ، أَذْهَبَتْها .

وَإِن أُكِلَ لَحْمُهُ قبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مَشْوِيّاً : تعَلَّمَ آكِلُهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَدِماغُهُ : إِنْ جُعِلَ في قَارُورَةٍ مع دُهْنِ وَرْدٍ ، وَدُهِنَ بِهِ الجَرَبُ والقَوابِي والكَلَفُ والحَزازُ وَكُلُّ شَيْءٍ يَظْهَرُ في الجَسَدِ ، أَبْرَأَهُ .

قَالَ الجاحِظُ[2] : التُّرابُ الذِي يُخْرِجُهُ الخُلْدُ من جُحْرِهِ ، يَزعمُونَ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِصاحِبِ النِّقْرِسِ ، إذا بُلَّ بالمَاءِ وَطُلِيَ بِهِ ذَلِكَ المَكَانُ .

وَقَالَ أَرسطُو : إذا غُرِّقَ الخُلْدُ في ثَلاثَةِ أَرْطَالِ مَاءٍ ، ثُمَّ سُقِيَ مِنه إِنْسَانٌ ، تكَلَّمَ بكُلِّ عِلْمٍ يُسْأَلُ عنه عَلَى سَبِيلِ الهَذَيانِ اثنين وأَربعِينَ يوماً .

وَقَالَ يحيى بن زَكَرِيَّا : إذا غُرِّقَ الخُلْدُ في ثَلاثَةِ أرطَالِ مَاءٍ ، وَتُرِكَ فِيهِ حَتّى يَنْتَفِخَ[3] ، ثُمَّ يُصَفّي من ذَلِكَ المَاءِ ، وَيُرْمَى عَظْمُهُ ، وَيُطْبَخُ فِي قِدْرِ نُحاسٍ ، وَيُلْقَى عليهِ أَرْبَعَةُ دَراهِم لَبَانٍ ذَكَرٍ ، ومثلهُ أفيونٌ ، وَمِثلُه كِبْرِيتٌ ، وَمِثْلُه نَشَادِرٌ ، بعدَ أَن تُدَقَّ هَذِهِ الحَوائِجُ مع أَرْبَعَةِ أَرْطَالِ عَسَلٍ ، وَيُطْبَخُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الطِّلاءِ ، وَيُجعلُ في إِناءِ زُجاجٍ ، ثم يُلْعَقُ عَلَى الرِّيْقِ ، وَالشَّمْسُ في الحَمَلِ إِلى أَن تدخلَ الأَسَدَ ، وَلا يَأْكُلُ مُسْتَعْمِلُهُ شَيْئاً فِيهِ زُهُومَةٌ ، وَيَكُونُ طاهِراً صائِماً ؛ فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ عَلَّمَهُ اللهُ تعالَى كُلَّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ .

التَّعْبيرُ : الخُلْدُ : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى العَمَى ، والتِّيهِ ، والتَّبَدُّدِ ، والحَيْرَةِ ، والاخْتِفَاءِ ، وَضِيْقِ المَسْلَكِ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى حِدَّةِ السَّمْعِ ، لِمَنْ يَشْكُو

---

(١) تذكرة داود ١/ ١٤٣ ومفردات ابن البيطار ٢/ ٦٨ .

(٢) الحيوان ٦/ ٤١١ .

(٣) كذا في ط . وفي أ : ينضج ! . ولعل الصَّواب : يَتَفَسَّخَ .

ضَرَراً من سَمْعِهِ .

وإن رُؤِيَ مَع مَيِّتٍ : فَهُوَ فِي النّارِ ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السّجدة : ١٤] وَرُبّما كان في الجَنَّةِ ، وَسَكَنَ جَنَّةَ الخُلْدِ ؛ وَاللهُ تَعالى أَعلمُ .

٢٩٢ الخَلِفَةُ : النَّاقَةُ الحامِلُ ، وَجَمْعُها خَلِفاتٌ .

● رَوَى « مسلِم »[١] عن أَبِي هُريرةَ رضي الله تعالى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذا رَجَعَ إِلى أَهْلِهِ ، أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلاثَ خَلِفاتٍ عِظامٍ سِمانٍ ؟ » قُلنا : نَعم . قَالَ : « فَثَلاثُ آيَاتٍ يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ في صَلاتِهِ ، خَيْرٌ لَهُ من ثَلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمانٍ » .

● وَرَوَى أَيْضاً[٢] ، عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « غَزَا نَبيٌّ من الأَنْبِيَاءِ ، فَقَالَ لِقَومِهِ : لا يَتْبَعُنِي رَجُلٌ قد مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِي بها وَلَمّا يَبْنِ ، ولا أَحَدٌ قد بَنَى بُنْيَاناً وَلَمْ يَرْفَعْ سَقْفَها ، وَلا أَحَدٌ قد اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلادَها .

قَالَ : فَغَزَا ، فَدَنا من القَريَةِ حِينَ صَلاةِ العَصْرِ أَوْ قَرِيباً من ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ : أَنْتِ مَأْمُورَةٌ وَأَنا مَأْمُورٌ ، اللَّهُمَّ احْبِسْها عَلَيَّ ، فَحُبِسَتْ عَلَيهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ » . الحَدِيث .

وَهَذَا النَّبيُّ هُو يُوشَعُ بن نُون عليهِ السَّلامُ .

● **فائِدَةٌ** : حُبِسَتِ الشَّمْسُ مَرَّتَيْنِ لِنَبِيِّنا ﷺ : إِحداهُما : يومَ الخَنْدَقِ ، حِينَ شُغِلُوا عن صَلاةِ العَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَرَدَّها اللهُ تَعالَى عليهِ ؛ كَمَا رَواهُ الطَّحاويّ وَغَيْرُهُ .

---

(١) مسلم (٨٠٢) وابن ماجه (٣٧٨٢) ومسند أَحمد ٢/ ٣٩٧ و ٤٦٦ و ٤٩٧ .

(٢) مسلم (١٧٤٧) والبخاري ٤/ ٥٠ ومسند أَحمد ٢/ ٣١٨ .

وَالثَّانِيَةُ : صَبِيْحَةُ الإِسْرَاءِ ، حِيْنَ انْتَظَرَ العِيْرَ التي أَخْبَرَ بِوُصُولِها مَع شُرُوقِ الشَّمْسِ .

● وَفِي « أَواخِرِ المُستدركِ »[1] من حَدِيثِ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لَو أُخِذَ سَبْعُ خَلِفَاتٍ بِشُحُومِهنَّ ، فَأُلْقِيْنَ في شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، ما انْتَهَيْنَ إِلى قَعْرِها سَبْعِينَ عاماً » .

قَالَ شَيخُ الإِسْلامِ الإِمامُ الذَّهبيُّ : إِسْنادُهُ صالحٌ .

وَالحِكْمَةُ في التَّمْثِيلِ بالسَّبْعِ : أَنَّ ذَلِكَ عَدَدُ أَبوابِ جَهَنَّم .

● وَرَوَى « الشَّافعيُّ » و« النَّسائيُّ » و« ابْنُ ماجه »[2] من حَدِيثِ ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أَلا إِنَّ في قَتِيلِ الخَطَأِ ، قَتِيلِ السَّوْطِ وَالعَصَا ، مِئَةٍ من الإِبلِ مُغَلَّظَة ، مِنها أَرْبَعُونَ خَلِفَةً في بُطُونِها أَوْلادُها » .

وإِسنادُهُ ضَعِيفٌ وَمُنْقَطِعٌ ؛ وَقَالَ أَبُو حاتِم : رِوايَةُ إِرْسالِهِ أَشْبَهُ .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ النَّوويُّ في « تَهْذِيْبِهِ »[3] : وَهَذَا مِمَّا يَستشكِلُ ، لأَنَّ الخَلِفَةَ هِيَ الَّتِي في بَطْنِها وَلَدُها . فإِن قِيلَ فَمَا الحِكْمَةُ في قَوْلِهِ ﷺ : « في بُطُونِها أَوْلادها ؟ » فَجَوابُهُ من أَرْبَعَةِ أَوْجُه[4] : أَحَدُها : أَنَّهُ تَوْكِيدٌ وإِيْضاحٌ . وَالثانِي : أَنَّهُ تَفْسِيرٌ لَهَا لا قَيْدٌ . والثَّالِثُ : أَنَّهُ نَفْيٌ لِوَهْمِ من يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَكْفِي في الخَلِفَةِ أَن تكُونَ حَمَلَتْ في وَقْتٍ ما ، ولا يُشْتَرَطُ حَمْلُها حَالَةَ دَفْعِها في الدِّيَةِ . والرَّابِعُ : أَنَّهُ إِيْضاحٌ لِحُكْمِها ، وَأَنَّهُ يُشْتَرَطُ في نَفْسِ الأَمْرِ أَنْ تَكُونَ حامِلاً ؛

---

(١) المستدرك ٤/ ٦٠٦ .

(٢) النَّسائي (٤٧٩٣ ـ ٤٨٠٠) ، وابن ماجه (٢٦٢٧ ـ ٢٦٢٨) .

(٣) تهذيب الأَسماء واللغات ٢/ ٩٧ .

(٤) في التَّهذيب : من خمسة أَوجه . والوجه الخامس هو قول الرَّافعيّ الآتي .

وَلا يَكْفِي قَوْلُ أَهْلِ الخِبْرَةِ : إِنَّها خَلِفَةٌ إِذا تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَم يَكُنْ فِي بَطْنِها وَلَدٌ . وَذَكَرَ الرَّافِعِيُّ أَنَّهُ قِيلَ : إِنَّ الخَلِفَةَ تُطْلَقُ أَيضاً عَلَى التِي وَلَدَتْ وَوَلَدُها يَتْبَعُها .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : الخَطَأُ المَحْضُ : هُوَ أَنْ لا يَقْصِدَ ضَرْبَهُ ، بَل قَصَدَ شَيْئاً آخَرَ ، فَأَصابَهُ فَمَاتَ منهُ ، فَلا قَصَاصَ عليهِ ، بَل تَجبُ دِيَةٌ مُخَفَّفَةٌ على عاقِلَتِه ، مُؤَجَّلَةٌ إِلى ثَلاثِ سِنين ؛ وَتَجِبُ الكَفَّارَةُ في مالِهِ في الأَنْواعِ كُلِّها .

وَشِبْهُ العَمْدِ : أَنْ يَقْصِدَ ضَرْبَهُ بما لا يَمُوتُ مِثْلُهُ من مِثلِ ذَلِكَ الضَّرْبِ غالِباً ، بِأَنْ ضَرَبَهُ بعَصَا خَفِيْفَةٍ ، أَوْ حَجَرٍ صَغِيرٍ ، ضَرْبَةً أَوْ ضَرْبَتَيْنِ ، فَمَاتَ ، فلا قَصاصَ فِيهِ ، بَل تَجِبُ دِيَةٌ مُغَلَّظَةٌ على عاقِلَتِه ، مُؤَجَّلَةٌ إِلا ثَلاثِ سِنينَ .

والعَمْدُ المَحْضُ : هُوَ أَنْ يَقصِدَ قَتْلَ إِنْسَانٍ بِمَا يُقْصَدُ به القَتْلُ غالِباً ، كَالسَّيْفِ والسِّكِّيْنِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ فَفِيهِ القَصاصُ عِندَ وُجُودِ التَّكافُؤ ، أَوْ دِيَةٌ مُغَلَّظَةٌ في مَالِ القاتِلِ حالَّةٌ .

وَعِندَ أَبِي حَنِيْفَةَ : قَتْلُ العَمْدِ ، لا يُوجِبُ الكَفَّارَةَ ، لأَنَّهُ كَبيرَةٌ كَسائِرِ الكَبائِرِ .

وَدِيَةُ الحُرِّ المُسْلِمِ : مئةٌ من الإِبِلِ ، فَإِذا كانَتِ الدِّيَةُ في العَمْدِ المَحْضِ ، أَوْ شِبْهِ العَمْدِ ، فَهِيَ مُغَلَّظَةٌ بالسِّنِّ ، فَيَجِبُ ثَلاثُونَ حِقَّةً ، وَثَلاثُونَ جَذَعَةً ، وَأَرْبَعُونَ خَلِفَةً في بُطُونِها أَوْلادُها . وَهُوَ قولُ عُمر وَزَيْد بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، وبِهِ قَالَ عَطاءٌ ، وَإِلَيهِ ذَهَبَ الشّافعيُّ للحَدِيثِ المُتَقَدِّمِ عن ابنِ عُمر رَضِيَ الله عنهما .

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلى أَنَّ الدِّيَةَ المُغَلَّظَةَ أَرباعٌ : خَمْسٌ وَعَشْرُونَ بنتُ مَخاضٍ ، وَخَمْسٌ وَعِشْرونَ بنتُ لَبُونٍ ، وَخَمْسٌ وَعِشرُونَ حِقَّةٌ ، وَخَمْسٌ وعشرُونَ جَذَعَةٌ ، وَهُوَ قَوْلُ الزُّهريّ وَربيعةُ ، وَبِهِ قَالَ مالِكٌ وَأَحمدُ وأَبُو حَنيفةَ .

وَأَمَّا دِيَةُ الخَطَأ : فَمُخَفَّفَةٌ ، وَهِيَ أَخْماسٌ بالاتِّفَاقِ ، غيرَ أَنَّهُمْ اختَلفوا في

تَقْسِيمِها ؛ فَذَهَبَ مالِكٌ والشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما إلى أَنَّها عِشرونَ بنتُ مَخاضٍ ، وَعِشرونَ بنتُ لَبُونٍ ، وعشرون ابنُ لَبُونٍ،وَعِشرونَ حِقَّةٌ ، وَعِشرونَ جَذَعَةٌ ؛ وَبِهِ قَالَ عُمر بن عبدِ العَزيز ، وَسُلَيمان بن يَسار ، وَربيعة ؛ وَجَعَلَ أَبُو حَنيفةَ وَأَحمد عِوَضَ بَنِي اللَّبُونِ بَنِي المَخَاضِ ؛ وَيُروَى ذَلِكَ عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

وَالدِّيَةُ في قَتْلِ الخَطَّأ وَشِبْهِ العَمْدِ عَلَى العاقِلَةِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَهم عَصَباتُ القاتِلِ من الذُّكُورِ ، ولا يَجِبُ عَلَى الجانِي مِنها شَيءٌ ، لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَوْجَبَها عَلَى العاقِلَةِ .

فإِن عُدِمَتِ الإِبلُ ، فَتَجِبُ قِيْمَتُها من الدَّراهِمِ والدَّنانِيرِ ، في قَوْلٍ ؛ وَفِي قَوْلٍ : يَجِبُ بَدَلٌ مُقَدَّرٌ مِنها ، وَهُوَ أَلْفُ دِيْنارٍ ، أَوِ اثْنَي عَشَرَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ لِما رُوِيَ أَنَّ عُمرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه فَرَضَ الدِّيَةَ عَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ أَلْفَ دِيْنارٍ ، وَعَلَى أَهْلِ الوَرِقِ اثْنَي عَشَرَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ وَبِهِ قَالَ مالِكٌ وَعُروَة بن الزُّبير والحَسَنُ البَصْرِيُّ .

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : إِنَّها مِئةٌ من الإِبلِ ، أَوْ أَلْفُ دِينارٍ ، أَو عَشْرَةُ آلافِ دِرهَمٍ ؛ وَبِهِ قَالَ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ رَضِيَ الله تَعالى عنه .

● **فَرْعٌ** : وَدِيَةُ المَرْأَةِ : نِصْفُ دِيَةِ الرَّجُلِ ؛ وَدِيَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ والعَهْدِ : ثُلُثُ دِيَةِ المُسْلِمِ إِنْ كان كِتابِيّاً ، وإِن كان مَجُوسِيّاً فَخُمْسُ الثُّلُثِ .

وَرُوِيَ عن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَنَّهُ قَالَ : دِيَةُ اليَهُودِيِّ والنَّصْرانِيِّ : أَرْبَعَةُ آلافٍ ، وَدِيَةُ المَجُوسِيِّ ثمانمئة دِرهمٍ ؛ وَبهَ قَالَ ابنُ المُسَيِّبِ والحَسَنُ البَصرِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، وإِلَيهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

وَذَهَبَ جَماعَةٌ من أَهْلِ العِلمِ إلى أَنَّ دِيَةَ الذِّمِّيِّ والمُعاهِدِ ، مِثلُ دِيَةِ المُسلمِ ؛ وهو قولُ ابنِ مَسْعُودٍ وَسُفيان الثَّوريِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ .

● وَقَالَ عُمر بن عبد العَزيز : دِيَةُ الذِّمِّيِّ نِصْفُ دِيَةِ المُسْلِمِ ، وَهُوَ قَوْلُ مالِكٍ وأحمد .

وَأَمَّا دِيَةُ الأَطْرافِ : فَمَبْسُوطَةٌ في كُتُبِ الفِقْهِ .

● **تَذْنِيبٌ** : قَوله تَعالَى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النّساء : ٩٣] الآية .

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ[١] : إِنَّها نَزَلَتْ فِي مِقْيَسِ بن صُبابَةَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ أَخُوهُ هِشام بن صُبابَة فِي بَنِي النَّجّارِ ، وَلم يَعلموا لَه قاتِلاً ، وَأَعطوهُ دِيَتَهُ مِئَةً من الإِبلِ ، ثم انْصَرَفَ هو والفِهْرِيُّ رِسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ راجِعَيْنِ نَحْوَ المَدِيْنَةِ ، فَأَتَى الشَّيْطانُ مِقْيَساً ، وَوَسْوَسَ إِلَيهِ ، فَقَالَ : تَقْبَلُ دِيَةَ أَخيكَ ، فَتَكونُ عليكَ وَصْمَةً وَسُبَّةً ؟ فاقْتُلِ الرَّجُلَ الذِي معكَ ، فَتَكُونُ نَفْسٌ مَكانَ نَفْسٍ ، وَفَضْلُ الدِّيَةِ ؛ فَغَفَلَ الفِهْرِيُّ عن نَفْسِهِ ، فَرَماهُ مِقْيَسٌ بصَخْرَةٍ ، فَشَدَخَهُ ؛ ثُمَّ رَكِبَ بَعِيراً من إِبلِ الدِّيَةِ ، وَسَاقَ باقِيْها ، وَرَجَعَ إِلى مَكَّةَ كافِراً ؛ فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الآيَةَ .

وَمِقْيَسٌ هذا هُوَ الَّذِي اسْتَثْنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يومَ فَتْحِ مَكَّةَ مِمَّنْ أَمَّنَهُ ، فَقُتِلَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتارِ الكَعْبَةِ .

وقد اخْتُلِفَ في حُكْمِ هَذِهِ الآيَةِ ، فَرَوَى البَغَوِيُّ وَغَيرهُ ، عن ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قَالَ : قاتِلُ المُؤْمِنِ عَمْداً ، لا تَوْبَةَ لَهُ .

وَقَالَ زَيْدُ بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : لَمّا نَزَلَتِ الآيَةُ التي في الفُرقانِ ، وَهِيَ قولهُ تَعالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفُرقان : ٦٨] عَجِبْنا من لِيْنِها ، فَلَبِثْنا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ نَزَلَتِ الغَلِيظَةُ ، فَنَسَخَتِ الغَلِيظَةُ اللَّيِّنَةَ ؛ وَأَرادَ

---

(١) تفسير القرطبي ٥/ ٣٣٣ وأسباب النُزول للواحدي ٢٠١ ـ ٢٠٢ وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٣ .

بِالغَلِيظَةِ هَذِهِ الآيَةَ[1] ، وَبِاللَّيِّنَةِ آيَةَ الفُرْقَانِ .

وَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : آيَةُ الفُرقَانِ مَكِّيَّةٌ ، وَآيَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّةٌ ، لم يَنْسَخْها شَيْءٌ .

وَالذِي عَلَيهِ جُمْهُورُ المُفَسِّرِينَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ قاطِبَةً : أَنَّ تَوْبَةَ قاتِلِ المُسْلِمِ عَمْداً مَقْبُولَةٌ ؛ لِقَوله تَعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النِّساء : ٤٨] .

وَمَا رُوِيَ عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، فَهُوَ تَشْدِيدٌ وَمُبالَغَةٌ في الزَّجْرِ عن القَتْلِ ، كَمَا رُوِيَ عن سُفْيَان بن عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ المُؤْمِنَ إِذا لَمْ يُقْتَلْ ، يُقَالُ لَهُ : لا تَوْبَةَ لَكَ ، وإِن قُتِلَ يُقالُ : لَهُ تَوْبَةٌ ؛ وَرُوِيَ مِثْلُهُ عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما .

وَليسَ في الآيَةِ مُسْتَنَدٌ لِمَن يَقُولُ بِالتَّخْلِيدِ في النّارِ بِارْتِكابِ الكَبائِرِ ، لأَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ في قاتِلِ كافِرٍ ، هُوَ مِقْيَسُ بن صُبابَة كَمَا تَقَدَّمَ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ وَعِيدٌ لمن قَتَلَ مُؤْمِناً مُسْتَحِلاً لِقَتْلِه بِسَبَبِ إِيمانِه ؛ وَمَنِ اسْتَحَلَّ قَتْلَ أَهْلِ الإِيْمانِ لإِيمانِهِم ، كان كافِراً مُخَلَّداً في النّارِ .

وَرُوِيَ[2] أَنَّ عَمرو بن عُبيد ، قَالَ لأَبِي عَمرِو بن العَلاءِ : هَلْ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ؟ فَقَالَ أَبُو عَمرٍو : لا ؛ فقال : أَلَيْسَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النّساء : ٩٣] فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمرٍو : من العُجْمَةِ أُتِيتَ يَا أَبا عُثْمان ، أَلَمْ تَعلَمْ أَنَّ العَرَبَ لا تَعُدُّ الإِخْلافَ في الوَعِيدِ خُلْفاً وَذَمّاً ، وإِنَّما تَعُدُّ إِخلافَ الوَعْدِ خُلْفاً وَذَمّاً ؟ وَأَنْشَدَ

---

(١) أَي آية النِّساء ، المذكورة في بداية التذنيب .

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٧٤ والمنتقى من مكارم الأَخلاق ٥٣ وإِنباه الرواة ٤/ ١٣٣ وطبقات النحويين واللغويين للزُّبيديّ ٣٩ ومراتب النحويين ٣٨ والمناقب والمثالب ١٦٣ .

قائلاً[1] : [من الطّويل]

وإنِّــي وإنْ أَوْعَــدْتُــهُ أَوْ وَعَــدْتُــهُ   لَمُخْلِفُ إيْعـادِي وَمُنْجِـزُ مَـوْعِـدِي

● وَالدَّليلُ عَلَى أَنَّ غيْرَ الشِّرْكِ لا يُوجِبُ التَّخْلِيدِ في النّارِ ، ما رَوى « البُخارِيُّ »[2] عن عُبادَةَ بن الصّامِتِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ـ وَكَانَ قد شَهِدَ بَدْراً ، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَباءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ، وَحَوْلَهُ أَصْحابهُ : « بايِعُونِي عَلَى أَن لا تُشْرِكُوا باللهِ شَيْئاً ، وَلا تَسْرِقُوا ، ولا تَزْنُوا ، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ ، وَلا تَأْتُوا بِبُهْتانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيْكُمْ وأَرْجُلِكُمْ ، وَلا تَعْصُوا في مَعْرُوفٍ ؛ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ؛ وَمن أَصابَ من ذَلِكَ شَيئاً فَعُوقِبَ في الدُّنْيا فَهُوَ كَفّارَتُهُ ؛ وَمَنْ أَصابَ من ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ عليهِ ، فَهُوَ إِلى اللهِ إن شَاءَ عَفا عنهُ وإِنْ شَاءَ عاقَبَهُ » . قَالَ : فَبايَعْناهُ عَلَى ذَلِكَ .

وَمَا رُوِيَ أَيضاً في الحَدِيثِ الصَّحيح ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ[3] : « مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً ، دَخَلَ الجَنَّةَ » . واللهُ المُوَفِّقُ .

٢٩٣ الخَمَلُ[4] : بِالتَّحريكِ : ضَرْبٌ من السَّمَكِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

٢٩٤ الخُنْتُعَةُ : كَقُنْفُذَةٍ : الأُنْثَى من الثَّعالِبِ . قَالَهُ الأَزْهَرِيُّ .

٢٩٥ الخُنْدَعُ : كَجُنْدَبٍ ، زِنَةً وَمَعْنَىً : صِغارُ الجَنادِبِ .

---

(١) البيت لعامر بن الطفيل ، في ديوانه ١٥٥ (طبعة ليدن) و ١٨٢ (طبعة دمشق) و ٩٤ (طبعة عمّان) . ونُسب في المناقب والمثالب ١٦٣ إلى حاتم الطائي ، وليس في ديوانه .

(٢) البخاري ٨/ ١٢٥ ومسلم (١٧٠٩) والتّرمذيّ (١٤٣٩) والنَّسائيّ (٤١٧٨) و (٤٢١٠) و (٥٠٠٢) .

(٣) البخاري ١/ ٤١ ومسلم (٩٢) و (٩٣) والتّرمذيّ (٢٦٤٤) وابن ماجه (٢٦١٨) .

(٤) في المخصص ١٠/ ٢١ : الجَمَل ـ بالجيم ـ . وقال في اللِّسان « خمل » ٢/ ١٢٦٩ : والخَمَلُ : ضربٌ من السَّمكِ ، مثل اللَّخم . قال أَبو منصور : لا أَعرف الخَمَلَ بالخاءِ في بابِ السَّمكِ ، وأَعرفُ الجَمَل ، فإنْ صحَّ لِثِقَةٍ ، وإلاّ فلا يُعْبأُ بِهِ .

وَقَالَ في « المُحكم » : إِنَّهُ الخُفّاشُ في بعضِ اللُّغاتِ .

٢٩٦ الخِنْزِيرُ البَرِّيُّ : بِكَسْرِ الخَاءِ المُعجمةِ ، جَمْعُهُ خَنازِيرٌ ، وَهُوَ عِند أَكثرِ اللُّغويِّينَ رُباعيٌّ .

وَحَكَى ابنُ سِيْدَه[١] عن بعضِهم ، أَنَّهُ مُشْتَقٌّ من خَزَرِ العَيْنِ ، لأَنَّهُ كَذَلِكَ ينظرُ ؛ فَهُوَ عَلَى هَذَا ثُلاثيٌّ ؛ يُقالُ : تَخازَر الرَّجُلُ : إِذا ضَيَّقَ جَفْنَهُ لِيحَدِّدَ النَّظَّرَ ؛ كَقَوْلِكَ : تَعَامَى وَتَجاهَلَ .

قَالَ عَمرُو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه في يوم صِفِّين[٢] : [من الرجز]

إِذا تَخَازَرْتُ وَمَا بِي من خَزَرْ ... ثُمَّ كَسَرْتُ الطَّرْفَ من غَيْرِ عَوَرْ
أَلْفَيْتَنِي أَلْوَى بَعِيْدَ المُسْتَمَرْ ... كَالحَيَّةِ الصَّمّاءِ في أَصْلِ الشَّجَرْ
أَحْمِلُ مَا حُمِّلْتُ من خَيْرٍ وَشَرْ

وَكُنْيَةُ الخِنْزِيرِ[٣] : أَبُو جَهْمٍ ، وَأَبُو زُرْعَة ، وَأَبُو دُلَفٍ ، وَأَبُو عُقْبَةَ ، وَأَبُو عُلْيَةَ ، وَأَبُو قادِمٍ .

وَهُوَ يَشترِكُ بينَ البَهِيمِيَّةِ والسَّبعِيَّةِ ، فالذِي فِيهِ من السَّبُعِ : النّابُ وَأَكْلُ الجِيَفِ ؛ وَالذِي فيهِ من البَهِيمِيَّةِ : الظِّلْفُ وَأَكْلُ العُشْبِ والعَلَفِ .

وَهَذَا النَّوعُ يُوصَفُ بالشَّبَقِ[٤] ، حَتَّى إِنَّ الأُنْثَى مِنْهُ يَرْكَبُها الذَّكَرُ وَهِيَ تَرْتَعُ ، فَرُبَّما قَطَعَتْ أَمْيالاً وَهُوَ عَلَى ظَهْرِها ، وَيُرَى أَثَرُ سِتَّةِ أَرْجُلٍ ؛ فَمَن لا يَعرِفُ ذَلِكَ يَظُنُّ أَنَّ فِي الدَّوابِّ ما لَهُ سِتَّةُ أَرْجُلٍ .

---

(١) المخصَّص ١/ ١١٩ و ١٤/ ١٨٠ .

(٢) مضى تخريج الأشطار في « الحيَّة » .

(٣) المرصّع ١٢١ و ١٩٤ و ١٦٧ و ٢٤٢ ، ٢٧٣ والمستطرف ٣/ ٤٧٤ .

(٤) الحيوان ٣/ ٢٥٤ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤/ ٩٤ و ٥/ ٢١٩ و ٦/ ٤٥٨ و ٧/ ٢٤٩ وعجائب المخلوقات ٢٥٧ والمستطرف .

وَالذَّكَرُ[١] من هَذَا النَّوْعِ يَطْرُدُ الذُّكُورَ عن الإناثِ ، وَرُبَّما قَتَلَ أَحَدُهما صاحِبَهُ ، وَرُبَّما هَلَكا جَمِيعاً .

وإذا كَانَ[٢] زَمَنُ هَيَجَانِ الخَنَازِيرِ ، طَأْطَأَتْ رُؤُوسَها ، وَحَرَّكَتْ أَذْنابَها ، وَتَغَيَّرَتْ أَصواتُها .

وَتَضَعُ[٢] الخِنزيرَةُ عِشْرِينَ خِنَّوْصاً ، وَتَحْمِلُ من نَزْوَةٍ واحِدَةٍ .

وَالذَّكَرُ[٣] يَنْزُو إذا تَمَّتْ له ثَمانِيَةُ أَشهرٍ ، وَالأنثى تَضَعُ إذا مَضَى لَهَا سِتَّةُ أَشهرٍ ؛ وَفِي بعْضِ البِلادِ يَنْزُو الخِنْزِيْرُ إذا تَمَّتْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشهرٍ .

وَالأُنْثَى تَحمِلُ جِراءَها وَتُرَبِّيها إذا تَمَّت لَهَا سِتَّةُ أَشهرٍ أَوْ سبعَةٌ ؛ وإذا بَلَغَتِ الأُنْثَى خَمسَ عشرةَ سَنَةً لا تَلِدُ .

وَهَذَا الجِنْسُ أَنْسَلُ الحَيوانِ ، والذَّكَرُ أَقْوَى الفُحُولِ عَلَى السِّفادِ ، وَأَطْوَلُها مَكْثاً فِيهِ .

يُقَالُ[٤] : إِنَّهُ لَيْسَ لِشَيْءٍ من ذَواتِ الأَنْيَابِ والأَذْنابِ ما لِلخِنْزيرِ من القُوَّةِ في نابِهِ ، حَتَّى إِنَّه يَضرِبُ بِنابِهِ صاحِبَ السَّيْفِ وَالرُّمْحِ ، فَيَقْطَعُ كُلَّ ما لاقَى من جَسَدِهِ من عَظْمٍ وَعَصَبٍ ؛ وَرُبَّما طَالَ ناباهُ فَيَلْتَقِيَانِ ، فَيَمُوتُ عند ذَلِكَ جُوعاً ، لأَنَّهُما يَمْنَعانِهِ من الأَكْلِ .

وَهُوَ مَتَى عَضَّ كَلْباً ، سَقَطَ شَعْرُ الكَلْبِ .

---

(١) الحيوان ٤/ ٥٤ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٤٤ وعجائب المخلوقات والمستطرف .

(٢) الحيوان ٤/ ٥٥ و ٦٥ و ٩٤ و ٥/ ٤٥٦ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٤٤ وعجائب المخلوقات والمستطرف .

(٣) الحيوان ٤/ ٥٦ والمستطرف .

(٤) الحيوان ٦/ ٣٧٤ ومسالك الأَبصار وعجائب المخلوقات والمستطرف .

وهو[1] إذا كان وَحْشِيًّا ثم تأَهَّلَ ، لا يَقْبَلُ التَّأديبَ .

ويأكلُ[2] الحَيّاتِ أَكْلاً ذَريعاً ، ولا تُؤَثِّرُ فيه سُمومُها .

وَهُوَ[3] أَرْوَغُ من الثَّعْلَبِ .

وإذا[3] جاعَ ثَلاثَةَ أَيّامٍ ، ثُمَّ أَكَلَ ، سَمِنَ في يومينِ ، وَهَكَذَا تَفْعَلُ النَّصارَى بِالخَنازيرِ في الرُّومِ ، يُجِيْعُونَها ثلاثَةَ أَيّامٍ ، ثُمَّ يُطْعِمُونَها يَوْمَيْنِ لِتَسْمَنَ .

وإذا[3] مَرِضَ أَكَلَ السَّرطَانَ فَيَزُولُ مَرَضُهُ ؛ وإذا رُبِطَ عَلى حِمارٍ رَبْطاً مُحْكَماً ، ثم بَالَ الحِمارُ ، مَاتَ الخِنْزيرُ .

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ[4] : أَنَّهُ إذا قُلِعَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَاتَ سَرِيعاً .

وَفِيهِ من الشَّبَهِ بالإِنْسَانِ[5] : أَنَّهُ لَيسَ له جِلْدٌ يُسْلَخُ إِلاّ أَنْ يُقْطَعَ بِما تَحْتَهُ من اللَّحْمِ .

● وَرَوَى « البُخاريُّ » و« مُسلِمٌ »[6] وَغَيْرُهُما ، عن أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « وَالذِي نَفْسِي بيَدِهِ ، لَيُوشِكُنَّ أَن ينزِلَ فِيكُم ابنُ مَريَمَ عَلَيهِ السَّلامُ حَكَماً مُقْسِطاً ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقتلُ الخِنزِيرَ ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ ، وَيُفِيضُ المَالَ ، حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ » .

---

(١) الحيوان ٤/ ٤٨ .

(٢) الحيوان ١/ ٢٨ و ٢/ ٥٢ و ٤/ ١٦٥ و ٦/ ٥٥ و ٣٧٤ ومسالك الأبصار .

(٣) الحيوان ٤/ ٥٠ و ٩٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٤٤ ـ ٤٥ وعجائب المخلوقات والمستطرف .

(٤) الحيوان ٤/ ٥٦ و ١١٢ ومسالك الأبصار وعجائب المخلوقات .

(٥) الحيوان ٤/ ٧٦ والمستطرف .

(٦) البخاري ٣/ ٤٠ و ١٠٧ و ٤/ ١٤٣ ومسلم (١٥٥) وأبو داود (٤٣٢٤) والتّرمذيّ (٢٢٣٣) وابن ماجه (٤٧٨) ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ١٤٤ .

وَفِي رِوايَةٍ ، « ويُهلكُ في زَمانِه المِلَلَ كُلَّها إلاّ الإِسْلامَ ، وَيُهلكُ الدَّجّالَ ، وَيمكثُ في الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنةً ، ثُمَّ يَتَوَفَّاهُ اللهُ ، فَيُصَلِّي عليهِ المُسلمونَ » .

وَهَذَا الحَدِيثُ رَواهُ « أَبُو داود » فِي آخِرِ « سُنَنِهِ » في كِتابِ المَلاحِمِ مُطَوَّلاً .

قَالَ الخَطّابيُّ : وَفِي قَولِهِ : « وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ » دَليلٌ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ الخَنازِيرِ ، وَبَيانِ أَنَّ أَعْيَانَها نَجِسَةٌ ؛ وَذَلِكَ أن عِيسى عليهِ السَّلامُ إِنَّما يَنزِلُ في آخِرِ الزَّمانِ وَشَرِيعَةُ الإِسْلامِ باقِيَةٌ ؛ وَقَوْلُهُ : « وَيَضَعُ الجِزْيَةَ » مَعناهُ : أَنَّهُ يَضَعُها عن النَّصارَى وَاليَهُودِ وَأَهْلِ الكِتابِ ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الإِسْلامِ ، فَلا يَقْبَلُ منهم غَيْرَ دِيْنِ الحَقِّ ؛ فَذَلِكَ مَعنى وَضْعِها .

● وَفِي أَواخِرِ « المُوَطّأ »[1] عن يَحيى بن سَعيد : أَنَّ عِيسى بن مَريمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَقِيَ خِنْزِيراً عَلَى الطَّرِيقِ ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ بِسَلامٍ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَقُولُ هَذَا لِخِنْزِيرٍ ؟ فَقَالَ عِيسى عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : إِنِّي أَخافُ أَن أُعَوِّدَ لِسانِي النُّطْقَ بالسُّوءِ .

● فائِدَةٌ : ذَكَرَ أَهْلُ التَّفسِيرِ وَأَصْحَابُ السِّيَرِ[2] ، أَنَّ عِيسى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، استقبلَ رَهْطاً من اليَهُودِ ، فلمّا رَأَوهُ قَالُوا : قد جَاءَ السّاحِرُ ابن السّاحِرَةِ ؛ وَقَذَفُوهُ وَأُمَّهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عِيسى دَعا عليهِم ، وَلَعَنَهُمْ ، فَمَسَخَهُمُ اللهُ تَعالَى خَنازِيرَ ، فَلَمّا رَأَى ذَلِكَ يَهودا ، وَهُوَ رَأْسُ اليَهُودِ وَأَمِيرُهُم ، فَزِعَ من ذَلِكَ وَخَافَ دَعْوَتَهُ ، فَجَمَعَ اليَهُودَ واسْتَشَارَهُم في أَمْرِ عِيسى عليهِ الصَّلاةُ السَّلامُ ، فاجتمَعَتْ كَلِمَةُ اليَهُودِ عَلَى قَتْلِه ، فَطَرَقُوا عِيسى

---

(١) الموطأ ٢/ ٩٨٥ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ١٣٨ والبداية والنهاية ٢/ ٥٠٨ وما بعد .

عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في بَعضِ اللَّيْلِ ، وَنَصبُوا خَشَبَةً لِيَصْلِبُوهُ عَلَيها ، فَأَظْلَمَتِ الأَرْضُ ، وَأَرْسَلَ اللهُ تَعالَى مَلائِكَةً فَحَالَتْ بينَهم وبينَه ؛ فَجَمَعَ عِيسى عليه السَّلامُ الحَوارِيِّينَ تِلكَ اللَّيلَةَ ، وَأَوْصاهُمْ ، ثم قَالَ : لَيَكْفُرَنَّ بي أَحَدُكُمْ قبلَ أَن يَصِيحَ الدِّيكُ ، وَيَبِيعُنِي بِدَارَهِمَ يَسِيرةٍ .

ثم إِن الحَوارِيِّينَ خَرَجُوا من عِنْدِهِ وَتَفَرَّقُوا ، وَكَانَتِ اليَهُودُ تطلُبه ، فأَتَى إِلَيهم أَحَدُ الحَوارِيِّينَ وَقَالَ لهم : ما تَجعلونَ لِي إِن دَلَلْتُكُمْ عَلَى المَسِيحِ ؟ فَجَعَلُوا له ثَلاثِينَ دِرْهَماً ، فَأَخذَها وَدَلَّهُمْ عليه ؛ فَلَمّا دَخَلَ البيتَ ، أَلْقَى اللهُ تَعالَى عليه شَبَهَ عِيسى ، وَرَفَعَ اللهُ عِيسى إِليه ، فَدَخَلُوا فَرَأَوْهُ ، فَأَخَذُوه ، فَقَالَ لهم : أَنَا الذِي دَلَلْتُكُم عليهِ ؛ فَلَم يَلْتَفِتُوا إِلى قَوْلِهِ ، وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ عِيسى .

وَقِيلَ : إِنَّ الذِي أُلْقِيَ عليهِ شَبَهُهُ كان من اليَهودِ ، وَاسْمُهُ ططيانوس .

وَقِيلَ : إِنَّ عِيسى عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قَالَ للحَوارِيِّينَ : أَيُّكُمْ يُقْذَفُ عليه شَبَهِي فَيُقْتَلُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنهم : أَنا يَا نَبِيَّ اللهِ ؛ فَقُتِلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَصُلِبَ ، وَرَفَعَ اللهُ تَعالَى عِيسى عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إِليهِ ، وَكَسَاهُ الرِّيْشَ ، وَأَلْبَسَهُ النُّورَ ، وَقَطَعَ عنه لَذَّةَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ ؛ فَهُوَ عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ طائِرٌ مَعَ المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ حولَ العَرْشِ .

● وَقَالَ أَهْلُ التَّارِيخِ : حَمَلَتْ مَريم بِعِيْسَى عليهِما السَّلامُ ، وَلَها ثَلاثَ عَشرةَ سَنَةً(١) ، وَولَدَتْ عِيسى بِبيتِ لَحمٍ من أَرْضِ أُورشَلِيم ، لِمُضِيِّ خَمسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً من غَلَبَةِ الإِسْكَنْدَرِ عَلَى أَرْضِ بَابِلِ ، وأَوحى اللهُ إِليهِ عَلَى رَأْسِ ثَلاثِينَ سَنَةً من عُمرِه ، وَرُفِعَ من بيتِ المَقْدِسِ لَيْلَةَ القَدْرِ من شهرِ رَمَضَانَ وَهو

---

(١) في مروج الذهب ١/ ٧٠ : ولمّا بلغت مريم بنت عمران سبع عشرة سنة ، بعث الله إليها جبريل . ، فنفخ فيها الروح . . .

ابْنُ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ سنةً ، وَماتَت أُمُّهُ مريمَ بعد رَفْعِهِ عليهِ السَّلامُ بِستِّ سِنِينَ .

● وَذَكَرَ ابنُ أَبِي الدُّنْيَا ، عن سَعِيدِ بن عبدِ العَزِيز ، أَنَّهُ قَالَ[1] : قِيلَ لأَبِي أُسَيْدٍ الفَزَارِيّ : من أَيْنَ تَعِيشُ ؟ فَحَمَدَ اللهَ تَعالَى وَكَبَّرَهُ ، وَقَالَ : يَرزُقُ اللهُ الكلبَ والخِنزيرَ ، وَلا يَرْزُقُ أَبَا أُسَيْدٍ ؟ .

● وَرَوَى « ابْنُ ماجَهْ »[2] عن أَنَسِ بن مالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَواضِعُ العِلْمِ في غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الخَنازِيرِ الجَوْهَرَ واللُّؤْلُؤَ والدُّرَّ وَالذَّهَبَ » .

وفي إِسنادِهِ كَثِيرُ بن شِنْظِيْرُ ، وهو مُخْتَلَفٌ في تَوْثِيقِهِ وَتَضْعِيفِهِ .

● وَقَالَ في « الإِحياءِ » : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابنِ سِيرِينَ ، فقال : رَأَيْتُ أَنِّي أُقَلِّدُ الدُّرَّ أَعْنَاقَ الخَنازِيرِ ؛ فَقَالَ : أَنْتُ تُعَلِّمُ الحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِها .

● وَفِيهِ أَيضاً « في البابِ السَّادِسِ من أَبْوابِ العِلمِ »[3] : رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً كان يخدمُ موسى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : حدَّثني موسى صَفِيُّ اللهِ ، حَدَّثَنِي موسى نَجِيُّ اللهِ ، حَدَّثَنِي مُوسَى كَلِيمُ اللهِ ، حَتّى أَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ ، فَفَقَدَهُ موسَى عليهِ السَّلامُ ، وَجَعَلَ يَسأَلُ عنه ، فَلَم يَجِد لَهُ أَثَراً ؛ حَتَّى جَاءَهُ رَجُلٌ ذَاتَ يَوم وَفِي يَدِه خِنْزِيرٌ ، وَفِي عُنُقِهِ حَبْلٌ أَسْوَدُ ، فَقَالَ : يَا موسى ، أَتَعْرِفُ فُلاناً ؟ قَالَ : نعم . قَالَ : هو هَذَا الخِنزِيرُ ! فَقَالَ مُوسَى عليهِ السَّلامُ : يَا رَبِّ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّهُ إِلى حالِهِ الأُولَى ، حَتى أَسْأَلَهُ لِمَ أَصابَهُ ذَلِكَ . فَأَوحَى اللهُ تَعالَى إِلَيه : لو دَعَوْتَنِي بِالَّذِي دَعَا به آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ ، ما أَجَبْتُكَ فِيهِ ، وَلَكِن أُخبِرُكَ لِمَ صَنَعْتُ بِهِ هَذَا ؛ لأَنَّهُ كان يَطْلُبُ الدُّنْيَا بالدِّيْنِ . وَكَذَلِكَ رَواهُ الإِمامُ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٣١ .

(٢) ابن ماجه (٢٢٤) .

(٣) إحياء علوم الدِّين ١/ ٥٥ وقوت القلوب ١/ ٢٩٧ .

أَبُو طالِبِ المَكِّيّ فِي « قُوتِ القُلُوبِ » .

● وَفِي « المستدركِ »[1] عن أَبِي أُمامَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « يَبِيتُ قَوْمٌ من هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى طَعامٍ وَشَرابٍ وَلَهْوٍ ، فَيُصْبِحُونَ وَقد مُسِخُوا خَنازِيرَ ، وَلَيَخْسِفَنَّ اللهُ بِقَبائِلَ مِنها ، وَدُورٍ مِنها ، حَتَّى يُصْبِحُوا فَيَقُولُوا : قد خُسِفَ اللَّيْلَةَ بِدارِ بَنِي فُلانٍ ؛ وَلَيُرْسِلَنَّ عليهم حِجارَةً كَمَا أُرْسِلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ ، وَلَيُرْسِلَنَّ عليهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ ، بِشُرْبِهِمُ الخَمْرَ ، وَأَكْلِهِمُ الرِّبا ، وَلُبْسِهِمُ الحَرِيرَ ، واتِّخاذِهِمُ القَيْنَاتِ ، وَقَطْعِهِمُ الرَّحِمَ » .

ثُمَّ قَالَ : صَحِيحُ الإِسْنادِ .

الحُكْمُ : لا يَجُوزُ بَيْعُ الخِنْزِيرِ ، لِمَا رَوَى « أَبُو داود »[2] من حَدِيثِ أَبِي الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ الخَمْرَ وَثَمَنَها ، وَحَرَّمَ المَيْتَةَ وَثَمَنَها ، وَحَرَّمَ الخِنْزِيرَ وَثَمَنَهُ » .

وَاختلفوا فِي جَوازِ الانْتِفاعِ بِهِ ، فَكَرِهَت طائِفَةٌ ذَلِكَ .

وَمِمَّنْ مَنَعَ منهُ : ابنُ سِيرِينَ والحَكَم وَحَمّاد والشّافعيُّ وَأَحمد وإِسحاق ؛ وَرَخَّصَ فِيهِ : الحَسَنُ والأَوْزَاعِيُّ وَمَالِكٌ وَأَصْحابُ الرَّأْيِ .

وَهُوَ نَجِسُ العَيْنِ كَالكَلْبِ ، يُغْسَلُ ما نَجَسَ بِمُلاقاةِ شَيْءٍ من أَجْزائِهِ سَبْعاً ، إِحْداهُنَّ بِالتُّرابِ .

وَيُحَرَّمُ أَكْلُهُ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] وَالرِّجْسُ : النَّجِسُ .

---

(١) المستدرك ٤/ ٥١٥ .

(٢) أبو داود (٣٤٨٥) .

قَالَ الإمامُ العَلاّمَةُ أَقْضى القُضَاةِ الماوَرديُّ : الضَّمِيرُ فِي قَولِه تَعَالى : ﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ عائِدٌ عَلَى الخِنزِيرِ ، لِكَوْنِهِ أَقْرَبُ مَذْكُورٍ ، وَنَظِيرُهُ قولُه تَعالَى : ﴿ وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل : ١١٤] .

وَنَازَعَهُ الشَّيْخُ أَبُو حَيّانَ ، وَقَالَ : إِنَّهُ عائِدٌ عَلَى اللَّحْمِ ، لأَنّهُ إِذا كان فِي الكَلامِ مُضافٌ وَمُضافٌ إِلَيهِ ، عَادَ الضَّمِيرُ عَلَى المُضَافِ دُونَ المُضَافِ إِلَيهِ ؛ لأَنَّ المُضَافَ هو المُحَدَّثُ عنهُ ، وَالمُضَافُ إِليهِ وَقَعَ ذِكْرُهُ بِطَرِيقِ العَرَضِ ، وَهُوَ تَعرِيفُ المُضافِ وَتَخْصِيصُه .

وَقَالَ شَيْخُنا الإِسْنَويُّ رَحِمَهُ اللهِ تَعالَى : وَمَا ذَكَرَهُ الماوَرديُّ أَوْلَى من حيثُ المَعنَى ؛ وَذَلِكَ أَنَّ تَحْرِيمَ اللَّحْمِ قد اسْتُفِيدَ من قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ﴾ فَلَو عَادَ الضَّمِيرُ عليهِ ، لَزِمَ خُلُوُّ الكَلامِ من فائِدَةِ التَّأْسِيسِ ، فَوَجَبَ عَوْدُهُ إِلى الخِنزِيرِ لِيفيدَ تَحْرِيمَ الشَّحْمِ والكَبِدِ والطِّحَالِ وسَائِرِ أَجْزَائِه .

● وَقَالَ القُرْطبيُّ في « تَفْسِيرِ سُورَةِ البَقَرَةِ »[1] : لا خِلافَ أَنَّ جُمْلَةَ الخِنْزِيرِ مُحَرَّمَةٌ ، إِلاّ الشَّعْرَ ، فإِنَّهُ يَجُوزُ الخَرازَةُ بِهِ .

وَنَقَلَ ابنُ المُنذِرِ الإِجْمَاعَ عَلَى نَجاسَتِهِ ؛ وَفِي دَعواهُ الإِجماعَ نَظَرٌ ، لأَنَّ مالِكاً يُخالِفُ فِيهِ ؛ نَعم ، هُوَ أَسْوَأُ حالاً من الكَلْبِ ، فإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ قَتْلُهُ وَلا يَجُوزُ الانْتِفاعُ بِهِ في حَالةٍ ، بِخِلافِ الكَلْبِ .

وَقَالَ شَيْخُ الإِسلامِ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ : لَيْسَ لَنا دَلِيلٌ عَلَى نَجاسَتِهِ ، بَل مُقْتَضَى المَذْهَبِ طَهارَتُهُ كَالأَسَدِ والذِّئْبِ والفَأْرِ .

● وَقد رُوِيَ : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عن الخَرازَةِ بِشَعْرِهِ ، فَقَالَ : « لا بَأْسَ بِذَلِكَ » . رَواهُ ابْنُ خُوَيْزِمَنْداد .

---

(١) تفسير القرطبي ٢/ ٢٢٣ .

قَالَ : وَلأَنَّ الخَرازَةَ بِهِ كانَت عَلَى عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ مَوْجُودَةً ظاهِرَةً ، وَلم يُعْلَمْ أَنَّهُ ﷺ أَنْكَرَها ، وَلا أَحَدٌ من الأَئِمَّةِ بَعْدَهُ .

● وَقَالَ الشَّيْخُ نَصْرُ المَقْدِسيّ : لا يَجُوزُ المَسْحُ عَلَى خُفٍّ خُرِزَ بِشَعْرِهِ ، وَلا الصَّلاةُ فِيهِ ، وإِن غَسَلَهُ سَبْعاً إِحْداهُنَّ بِالتُّرابِ ، لأَنَّ التُّرابَ وَالمَاءَ لا يَصِلانِ إِلَى مَواضِعِ الخَرْزِ المُتَنَجِّسَةِ .

قَالَ الإِمامُ النَّوويُّ : وَهَذَا الذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو الفَتْحِ نَصر ، هو المَشْهُورُ .

وَقالَ القَفَّالُ في « شَرحِ التَّلخِيصِ » : سَأَلتُ الشَّيْخَ أَبا زَيْدٍ عنه ، فَقَالَ : الأَمْرُ إِذا ضَاقَ اتَّسَعَ ؛ وَمُرادُهُ : أَنَّ بَالنّاسِ ضَرُورَةٌ إِلَيهِ ، فَتَصِحُّ الصَّلاةُ فِيهِ لِذَلِكَ .

وَفِي « الشَّرحِ » وَ« الرَّوضَةِ » في أَواخِرِ كِتابِ الأَطعِمَةِ : قَرِيبٌ من ذَلِكَ .

وَلا يَجُوزُ اقْتِنَاءُ الخِنزِيرِ ، سَواءٌ كان يَعْدُو عَلَى النّاسِ أَو لم يَكُنْ يَعدو ؛ فإِذا كان يَعْدُو وَجَبَ قَتْلُهُ قَطْعاً ، وَإِلاّ فَوَجْهانِ : أَحَدُهُما يَجِبُ قَتْلُهُ ، وَالثّانِي : يَجُوزُ قَتْلُهُ ، وَيَجُوزُ إِرْسَالُهُ ، وَهُوَ ظاهِرُ نَصِّ الشَّافعيِّ ؛ فَالوَجْهانِ في وُجُوبِ قَتْلِهِ .

وَأَمَّا اقْتِناؤُهُ : فَلا يَجُوزُ بِحَالٍ ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي « شَرْحِ المُهَذَّبِ » وَغيره .

● وَفِي « سُنَنِ أَبِي داود »[١] من حَدِيثِ عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ الله تعالى عنهما ، قَالَ : أَحْسَبُهُ عن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : « إِذا صَلّى أَحَدُكُمْ إِلى غَيْرِ سُتْرَةٍ ، فإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلاتَهُ : الكَلْبُ ، وَالحِمَارُ والخِنْزِيرُ واليَهُوديُّ

---

(١) أبو داود (٧٠٤) .

والمَجُوسيُّ والمَرْأَةُ الحائِضُ ، وَيُجْزِىءُ عَنْهُ إِذا مَرّوا بين يَدَيْهِ عَلَى قَذْفَةٍ بِحَجَرٍ »[1] .

● وَفِيهِ أَيْضاً[2] من حَدِيثِ المُغِيرةِ بن شُعبةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « من بَاعَ الخَمْرَ ، فَلْيُشَقِّصِ الخَنازِيرَ » .

قَالَ الخَطّابيُّ : معناهُ : فَلْيَسْتَحلَّ أَكْلَها .

وَقَالَ فِي « النِّهايَةِ »[3] : مَعناهُ : فَلْيُقَطِّعْها [قِطَعاً] ، ويُفَصِّلْها أَعْضَاءً ، كَمَا تُفَصَّلُ الشَّاةُ إِذا بِيعَ لَحْمُها . وَالمعنى : من اسْتَحَلَّ بَيْعَ الخَمْرِ ، فَلْيَسْتَحِلَّ بَيْعَ الخِنْزِيرِ، فإِنَّهُما في التَّحْرِيمِ سَواءٌ؛ وَهَذَا لَفْظُ أَمْرٍ، مَعْناهُ النَّهْيُ؛ تَقْدِيْرُهُ : من بَاعَ الخَمْرَ فَلْيَكُنْ لِلخَنازِيرِ قَصّاباً ؛ وَجَعَلَهُ الزَّمخشرِيُّ من كَلامِ الشَّعْبِيِّ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[4] : « أَطْيَشُ من عِفْرٍ » . والعِفْرُ : وَلَدُ الخِنزِيرِ ، وَالعِفرُ أَيضاً : الشَّيْطَانُ ؛ وَالعِفْرُ أَيْضاً : العِفْرِيتُ .

وَقَالُوا[5] : « أَقْبَحُ من خِنْزِيرٍ » . وَقَالُوا[6] : « أَكْرَهُهُ كَراهَةَ الخَنَازِيرِ المَاءَ المُوغَرَ » . وَأَصْلُهُ أَنَّ النَّصارَى تَغْلِي المَاءَ لِلخَنازِيرِ ، فَتُلْقِيها فِيهِ فَتَنْضَجُ ، فَذَلِكَ هو الإِيْغارُ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَمِنه قولُ الشّاعِرِ[7] : [من الكامل]

---

(1) قال أَبو داود : في نفسي من هذا الحديث شيءٌ . . . والمنكَر فيه ذكر المجوسيّ ، وفيه : على « قذفةٍ بحجرٍ » وذكر الخنزير ؛ وفيه نَكارةٌ . قالَ أَبو داود : ولم أَسمع هذا الحديث إِلاّ من محمد بن إِسماعيل بن سمينة ، وأَحسبه وهم ، لأَنَّه كان يحدِّثنا من حفظه .

(2) أَبو داود (٣٤٨٩) .

(3) النهاية ٢/ ٤٩٠ .

(4) الميداني ١/ ٤٣٩ .

(5) الميداني ٢/ ١٢٩ والعسكري ٢/ ١١٥ والزمخشري ١/ ٢٧٦ والدُّرّة الفاخرة ١/ ٣٥١ .

(6) الميداني ٢/ ١٤٤ والزمخشري ٢/ ٢١٨ وأمثال أَبي عبيد ٣١٩ .

(7) البيت لمسروح بن أَدهم الكلبيّ ، في ديوان بني كلب ١/ ٢٥٤ عن جمهرة نسب معدّ واليمن الكبير لابن الكلبيّ ٢/ ٣٦٦ (تحقيق العظم) و ٢/ ٦١٤ (تحقيق د . ناجي حسن) . =

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَكانَهُمْ فَكَرِهْتُهُمْ كَكَراهَةِ الخِنْزِيرِ لِلإِيْغارِ

وَقالَ ابنُ دُرَيْدٍ : الإِيْغارُ أَنْ يُغْلَى المَاءُ لِلخَنازِيرِ ، فَتُسَمَّطَ وَهِيَ حَيَّةٌ .

● **إِشَارَةٌ** : ابنُ دُرَيْدٍ[1] : هُوَ محمّد بن الحَسَنِ بن دُرَيْدٍ ، أَبُو بَكْرٍ الأَزْدِيُّ البَصرِيُّ ، إمامُ عَصرِه في اللُّغَةِ وَالأَدَبِ والشِّعْرِ ؛ وَمن جَيِّدِ شِعْرِهِ المَقْصُورَةُ التي مَدَحَ بِها الشاه بن مِيْكَالٍ وَوَلَدَهُ إسماعِيل ، وَعَارَضَهُ فِيها جَمَاعَةٌ كَثِيرةٌ من الشُّعَرَاءِ ، وَاعْتَنَى بِمَقْصُورَتِهِ جَماعَةٌ من العُلَمَاءِ فَشَرَحُوها .

وَمِنْ تَصانِيْفِهِ : « الجَمْهَرَةُ » وَهُوَ من الكُتُبِ المُعْتَبَرَةِ .

قَالَ بعضُ العُلَمَاءِ : ابْنُ دريدٍ أَعْلَمُ الشُّعَرَاءِ ، وَأَشْعَرُ العُلَمَاءِ .

وَعَرَضَ له في أَواخِرِ عُمرِهِ فَالِجٌ ، فَكَانَ إذا دَخَلَ عليه الدّاخِلُ ضَجَّ وَتَأَلَّمَ لِدُخُولِهِ ، وَإِن لم يَصِلْ إِلَيهِ ؛ وَسُقِيَ التِّرْيَاقَ فَبَرِىءَ منهُ ، وَصَحَّ وَرَجَعَ إِلى إِسْماعِ تَلامِذَتِهِ ، ثُم عاوَدَهُ الفَالِجُ بَعْدَ حَوْلٍ لِغذاءٍ ضَارٍّ تَنَاوَلَهُ ، فَكَانَ يُحَرِّكُ يَدَيهِ حَرَكَةً ضَعِيفَةً ، وَبَطَلَ من مَحْزِمِهِ إِلى قَدَمَيْهِ .

قَالَ تِلمِيْذُه أَبُو عليّ [القَالِي] : كُنْتُ أَقُولُ في نَفْسِي : إِنَّ اللهَ تَعالَى عاقَبَهُ بِقَولِهِ في « المَقْصُورَةِ » حِيْنَ ذَكَرَ الدَّهْرَ بِقَوْلِهِ[2] : [من الرَّجز]

مَارَسْتُ من لو هَوَتِ الأَفْلاكُ مِن جَوانِبِ الجَوِّ عليهِ ما شَكَا

وَعَاشَ بِهَذِهِ الحَالَةِ عَامَينِ ، وَكَانَ آخِرُ كَلامِهِ[3] : [مِنَ الطَّويل]

= ونسب في اللّسان « غنظ » ٥/ ٣٣٠٦ إلى جرير ، وهو في ملحقات ديوانه ٢/ ١٠٢٩ ! ! . وبلا نسبة في الميداني والزمخشري وأبي عبيد واللّسان والصحاح والتاج « وغر » .

(١) ترجمته في : إنباه الرُّواة ٣/ ٩٢ وتاريخ بغداد ٢/ ٥٩٤ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٦ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٤٨٩ والوافي بالوفيات ٢/ ٣٣٩ ووفيات الأعيان ٤/ ٣٢٣ .

(٢) المقصورة بشرح التبريزي ١٩ وبشرح ابن خالويه ١٧٨ .

(٣) هذا البيت ممّا كان يتمثّل به ابن دريد كثيراً ، وليس له . ونَقْلُ المُؤَلِّفِ عن ابن خلّكان فيه =

فَـوَاحَـزَنِـي أَنْ لا حَيَـاةَ لَـذِيْـذَةٌ   وَلا عَمَـلٌ يَـرْضَـى بِـهِ اللهُ صَـالِـحُ

ثُمَّ قُبِضَ .

● قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ[1] : سَهِرْتُ لَيْلَةً ، فلمّا كان آخِرُ اللَّيْلِ رَأَيْتُ رَجُلاً دَخَلَ عَلَيَّ في المَنامِ ، فَأَخَذَ بعضادَتي الباب وَقَالَ : أَنْشِدْنِي أَحْسَنَ ما قُلْتَ في الخَمْرِ ، فقلتُ : ما تَرَكَ أَبُو نُواسٍ لأَحَدٍ شَيْئاً ؛ فَقَالَ : أَنا أَشْعَرُ مِنْهُ . قُلْتُ : مَن أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنا أَبُو ناجِيَةَ من أَهْلِ الشّامِ ؛ ثُمَّ أَنْشَدَنِي[2] : [من الطويل]

وَحَمْـرَاءَ قَبْـلَ المَـزْجِ صَفْـرَاءَ بَعْـدَهُ   أَتَـتْ بَيْـنَ ثَـوْبَـيْ نَـرْجِـسٍ وَشَقَـائِـقِ

حَكَتْ وَجْنَةَ المَعْشُوقِ صِرْفاً فَسَلَّطُوا   عَلَيْها مِزاجاً فَاكْتَسَتْ لَوْنَ عاشِقِ

فَقُلتُ لَهُ : أَسَأْتَ ؛ فَقَال : وَلِمَ ؟ قُلْتُ : قُلْتَ : وَحَمْرَاءَ ، فَقَدَّمْتَ الحُمْرَةَ ، ثم قُلْتَ : بَيْنَ ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ ، فَقَدَّمْتَ الصُّفْرَةَ ؛ فَقَالَ : ما هَذَا الاسْتِقْصَاءُ في هَذَا الوَقْتِ يا بَغِيضُ .

وَيُقَالُ : إِنَّ ابنَ دُرَيْدٍ أَنْشَدَهُما لِنَفْسِهِ .

وَكَانَ ابنُ دُرَيْدٍ يَشْرَبُ الخَمْرَ إِلى أَن جاوَزَ تِسعِينَ سَنَةً .

وَكَانَ حِينَ أَصابَهُ الفالِجُ صَحِيحَ الذِّهْنِ والعَقْلِ ، يَرُدُّ فِيْمَا يُسْأَلُ عنهُ رَدّاً صَحِيحاً .

= خللٌ ونقصٌ ، وإِيهامٌ بأَنَّ البيتَ له .

قال ابن خلكان : وقالَ أَبو علي [القالي] : وآخر شيء سأَلتُه عنه جاوبني أَن قال لي : يا بُنَيَّ ، حال الجريض دون القريض . فكان هذا الكلام آخر ما سمعتُه منه . وكَانَ قبل ذلكَ كثيراً ما يتمثَّل : فواحزني . . . .

(١) الخبر في وفيات الأَعيان ٤/ ٣٢٧ عن نور القبس للمزرباني ٣٤٣ .

(٢) البيتان لديك الجن في ديوانه ٢١٦ ولابن دريد في ديوانه ٨٦ . وبلا نسبة في التوفيق ٢٩ وقطب السُّرور ٦٥١ والمستطرف ٣/ ١٠٧ .

وَتُوُفِّيَ في شَعْبَان ، سَنَةَ إِحدَى وَعِشرِينَ وثلاثمئة ببَغدادَ .

وَدُرَيْدٌ : تَصْغِيرُ أَدْرَدَ ، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ فِي فِيهِ سِنٌّ . قَالَهُ ابْنُ خلّكان وَغيرُه .

الخَواصُّ[1] : كَبِدُهُ : إذا أُكِلَتْ أَوْ سُقِيَتْ لإنْسَانٍ : نَفَعَتْ من نَهْشِ الهَوامِّ ، خُصوصاً الحَيّاتِ . وَإِنْ جُفِّفَتْ وَسُقِيَتْ لِمَن بِهِ رِيْحُ الفالِجِ والقُوْلَنْجِ : بَرِىءَ من وَقْتِهِ .

وَإِذا قُطِّرَتْ مَرارَتُهُ فِي أَنْفِ رَجُلٍ مَرْبُوطٍ ، فِي كُلِّ جانِبٍ من أَنْفِهِ ثَلاثَ قَطَراتٍ ، انْطَلَقَ وَبَرِىءَ .

وَإِذا أُحْرِقَ عَظْمُهُ ، وَسُحِقَ ، وَشَرِبَهُ من بِهِ البَواسِيرُ : فإنَّها تَهْدَأُ وَتَبْرَأُ بإِذنِ اللهِ تَعالَى ؛ وَقِيلَ : إن حُشِيَ بِهِ مَوْضِعُ النّاسُورِ أَبْرَأَهُ ؛ وَعَظْمُهُ يُعَلَّقُ عَلَى من بِهِ حُمّى الرّبْعِ : تَذْهَبُ عنهُ .

وَقَالَ يُوحَنّا : إنَّ مِمَّا جَرَّبَتْهُ الحُكَمَاءُ القُدَمَاءُ : أَنَّ عَظْمَ الخِنْزِيرِ يُعَلَّقُ عَلى من بِهِ حُمَّى الرِّبْعِ في خِرْقَةٍ تُعْقَدُ فِيهِ : يَبْرَأُ مِنها .

وإِنْ جُفِّفَتْ مَرارَتُهُ ، وَوُضِعَتْ عَلَى البَواسِيرِ : قَلَعَتْها من سَاعَتِها .

وَزِبْلُهُ : إذا أَمْسَكَهُ من بِهِ فُواقٌ دائِمٌ : أَبْرَأَهُ . وإِنْ شَرِبَهُ صاحِبُ الحَصَاةِ فَتَّتَ الحَصَاةَ ، وأَجْوَدُهُ زِبْلُ البَرِّيّ ؛ وإِنْ عُجِنَ بِخَلٍّ ، وَطُلِيَ بِهِ الرَّأْسُ : نَفَعَ من سَائِرِ الجِراحاتِ والجُرُوحِ التي تَظْهَرُ بِهِ ؛ وإذا لُطِّخَ بِهِ أَصْلُ شَجَرَةِ الرُّمّانِ الحامِضِ : أَبْدَلَهُ حُلْواً .

وَعرقوبُهُ إذا أُحْرِقَ وَسُحِقَ وَعُجِنَ بِعَسَلٍ ، وَسُقِيَ لِمَن بِهِ مَغْصٌ وَنَفْخٌ في

---

(١) مفردات ابن البيطار ٢/٧٩ وتذكرة داود ١/١٤٧ ومسالك الأَبصار ٢٠/٤٥ وعجائب المخلوقات ٢٥٧ .

مَعِدَتِهِ وَأَمْعائِهِ وَزْنَ مِثْقَالٍ : فإِنَّهُ يَنْفَعُ نَفْعاً عَظِيماً .

التَّعبيرُ[1] : الخِنزِيرُ : تَدُلُّ رُؤيتُه عَلَى الشَّرِّ والنَّكَدِ والإِفْلاسِ ، وَعَلَى المَالِ الحَرَامِ . وَتَدُلُّ رُؤْيَةُ إِناثِهِ عَلَى كَثْرَةِ النَّسْلِ .

فإِن حَصَلَ لَهُ مِنهُ ضَرَرٌ في المَنامِ ، رُبَّما تَنَكَّدَ من نَصْرانيٍّ .

وَقِيلَ : الخِنْزِيرُ في المَنامِ عَدُوٌّ قَوِيٌّ ، مَلْعُونٌ ، خَدُوعٌ عِنْدَ النَّوائِبِ ، غَدّارٌ .

فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ رَكِبَ خِنْزِيراً : نَالَ مالاً ، وَقَهَرَ عَدُوّاً ، كَمَا وَصَفْتُ .

وَمَنْ أَكَلَ لَحْمَ الخِنْزِيرِ مَطْبُوخاً : نَالَ مالاً وَتِجارَةً من غَيْرِ حِلٍّ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ تَحَوَّلَ خِنْزِيراً : نَالَ مالاً مع ذِلَّةٍ ، وَوَهْنٍ في الدِّيْنِ .

وَمن رَأَى أَنَّهُ يَمشِي كَمَا يَمشِي الخنزيرُ : نَالَ سُرُوراً وَقُرَّةَ عَيْنٍ .

وَأَوْلادُ الخَنَازِيرِ : هُمُومٌ لِمن مَلَكَها .

وَالخِنزِيرُ الأَهْلِيُّ : خِصْبٌ لِمَن رَآهُ بدارِهِ ؛ وَكُلُّ حيوانٍ يَتَرَبّى عاجِلاً ، وَيَأْلَفُ : فَهُوَ تَمامُ قَصْدِ من رآهُ ، وَقَضَاءُ حاجَتِهِ .

وَالبَرِّيُّ : يَدُلُّ لِلمُسافِرِ عَلَى مَطَرٍ أَو بَرْدٍ .

وَمَن رَعَى الخَنازِيرَ في المَنامِ : فإِنَّهُ يَلِي عَلَى قَوْمٍ من اليَهُودِ والنَّصارى .

وَمَن رَأَى كَأَنَّ زَوْجَتَهُ صارَتْ خِنزِيرةً : فإِنهُ يُطَلِّقُها ، لأَنَّها حَرُمَتْ عَلَيهِ .

وَلَحْمُهُ : خَيْرٌ لِجَمِيعِ النّاسِ ، لأَنَّ الخِنْزِيرَ لا يَنْفَعُ إِلاّ بعد مَوتِهِ ؛ وَهُوَ مالٌ حَرامٌ ، لِقَولِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [النحل : ١١٥] فَفِيهِ إِشارَةٌ لِذَلِكَ ؛ وَاللهُ أَعلَمُ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٥ وتفسير الواعظ ٢٨٧ .

٢٩٧ **الخِنْزِيرُ البَحْرِيُّ** : سُئِلَ مالِكٌ عنه ، فَقَالَ : أَنتم تُسَمُّوْنَهُ خِنْزِيراً . يَعنِي أَنَّ العَرَبَ لا تُسَمِّيهِ بذَلِكَ ، لأَنَّها لا تَعْرِفُ في البَحْرِ خِنْزِيراً ؛ وَالمَشهورُ أَنَّهُ الدُّلْفِينُ ؛ وسيأتي إن شاء الله تعالى في « باب الدال المهملة » .

قَالَ الرَّبيعُ : سُئِلَ الشّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عنه عن خِنزِيرِ المَاءِ ، فَقَالَ : يُؤْكَلُ ؛ وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ العِراقَ ، قال فِيهِ : حَرَّمَهُ أَبُو حَنِيْفَةَ ، وَأَحَلَّهُ ابْنُ أَبِي لَيْلَى .

وَرُوِيَ هَذَا القَولُ عن عُمر وَعُثمان وابنِ عَبّاسٍ وَأَبِي أَيُّوبِ الأَنْصارِيِّ وَأَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم والحَسَنِ البَصْرِيِّ وَالأَوْزاعيِّ وَاللَّيْثِ ؛ وَأَبَى مالِكٌ أَن يَقُولَ فِيهِ شَيئاً ، وَأَبْقاهُ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى جِهَةِ الوَرَعِ .

● وَحَكَى ابنُ أَبِي هُرَيرةَ ، عن ابنِ خَيْران ، أَنَّ أَكّاراً صَادَ لَهُ خِنْزِيرَ مَاءٍ ، وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ ، فَأَكَلَهُ وَقَالَ : كَأَنَّ طَعْمَهُ مُوافِقٌ لِطَعْمِ الحُوتِ ، سَواءً .

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ : سَأَلْتُ اللَّيْثَ بن سَعْدٍ عنه ، فَقَالَ : إِنْ سَمّاهُ النَّاسُ خِنْزِيراً لَمْ يُؤْكَلْ ، لأَنَّ اللهَ حَرَّمَ الخِنزِيرَ .

٢٩٨ **الخُنْفَساءُ** : مَعْرُوفَةٌ . وَكَانَ من حَقِّها أَنْ تُكْتَبَ قَبلَ هَذَا ، لأَنَّ نُونَها زائِدَةٌ .

وَهِيَ بِفَتْحِ الفَاءِ مَمْدُودَةٌ . الأَنْثَى خُنْفَساءَةٌ .

وَقَالَ ابْنُ سِيْدَه[1] : الخُنْفَساءُ : دُوَيْبَّةٌ سَوْدَاءُ ، أَصْغَرُ من الجُعَلِ ، مُنْتِنَةُ الرِّيْحِ ، الأَنْثَى خُنْفَسَةٌ وَخُنْفَساءَةٌ ؛ وَضَمُّ الفَاءِ في كُلِّ ذَلِكَ لُغَةٌ ؛ وَالخُنْفَسُ : اسمٌ لِلكَثِيرِ من الخَنافِسِ .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : لا يُقَالُ خُنْفَساةٌ بِالهَاءِ .

---

(١) يقارن بما ورد في المخصّص ٨/١١٦ .

وَكُنْيَتُها[١] : أُمُّ الفَسْوِ ، وَأُمُّ الأَسْوَدِ ، وَأُمُّ مَخْرَجٍ ، وَأُمُّ اللَّجَاجِ ، وَأُمُّ النَّتْنِ .

تَتَوَلَّدُ من عُفُونَةِ الأَرْضِ ، وَهِيَ طَوِيْلَةُ الظِّمْءِ[٢] .

وَبينَها وَبينَ العَقْرَبِ صَداقَةٌ ، وَلِهَذَا يُسَمِّيها أَهْلُ المَدِينَةِ الشَّرِيْفَةِ : جَارِيَةَ العَقْرَبِ .

وَهِيَ أَنْواعٌ : مِنْها الجُعَلُ ، وحِمارُ قَبَّانَ ، وَبَنَاتُ وَرْدَانَ ، والحُنْظَبُ ـ وَهُوَ ذَكَرُ الخَنافِسِ ـ وَالخُنْفَساءُ مَخْصُوصَةٌ بكَثْرَةِ الفَسْوِ كَالظَّرِبَانِ ، وَلِذَلِكَ تَقُولُ العَرَبُ في أَمْثَالِها : إِذا تَحَرَّكَتِ الخُنْفَسَاءُ فَسَتْ[٣] .

قَالَ حُنين بن إِسْحَاقَ : طَرِيقُ طَرْدِ الخَنافِسِ : أَنْ يُطْرَحَ في أَماكِنِها الكَرَفْسُ ، فإِنَّها تَهْرُبُ من ذَلِكَ المَكَانِ .

● وَرَوَى ابْنُ عَدِيٍّ في « كامِلِه »[٤] في تَرجَمَةِ أَبي مَعْشَرٍ ، وَاسْمُهُ نَجِيح [السِّنْديّ] ، عن المَقْبُريّ ، عَن أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لَيَدَعُنَّ النّاسُ فَخْرَهُمْ فِي الجاهِلِيَّةِ ، أَو لَيَكُونَنَّ أَبغَضَ إِلى اللهِ تَعالَى من الخَنافِسِ » .

---

(١) المرصع ٢٦٩ و ٦٠ و ٣٠٥ و ٢٩٦ و ٣٢٤ و ٣٦٠ .

(٢) كذا في ط . وفي أ ، ب : وهي طويلة الظهر . وأَرى أَنَّ ذلكَ كله غير صحيح ، وأَنَّ الصَّواب : وهي طويلة الذَّماء . وانظر ما قاله الجاحظ في الحيوان ٣/ ٥٠٠ و ٥٠٨ و ٦/ ٥٤ .
وبطول ذَمائه يُضرب المثل ، فيقال : أَطول ذَماءً من الخنفساء .(الميداني ١/ ٤٣٧ والعسكري ٢/ ٢١ والزمخشري ١/ ٢٢٧ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٨٤ و ٢٨٦) .

(٣) في أ ، ب : كالخنفساء إِذا تحرَّكت فَسَت . وفي الميداني ١/ ٢٤٥ : الخنفساء إِذا مُسَّت نَتَنَت .

(٤) الكامل في الضُّعفاء ٨/ ٣١٣ وميزان الاعتدال ٤/ ٢٤٧ .

● غَرِيْبَةٌ : حَكَى القَزوِينيُّ[1] : أَنَّ رَجُلاً رَأَى خُنْفَسَاءَ ، فَقَالَ : ماذا يُرِيدُ اللهُ تَعالَى من خَلْقِ هَذِهِ ؟ أَلِحُسْنِ شَكْلِها ، أَوْ لِطِيْبِ رِيْحِها ؟ فَابْتَلاهُ اللهُ بقَرْحَةٍ عَجَزَ عَنها الأَطِبّاءُ ، حَتى تَرَكَ عِلاجَها ؛ فَسَمِعَ يَوماً صَوتَ طَبِيبٍ من الطُّرُقِيِّينَ يُنادِي في الدَّرْبِ ، فَقَالَ : هاتُوهُ ، حَتَّى ينظرَ في أَمْرِي ؛ فَقَالُوا : وَمَا تَصْنَعُ بطُرُقيٍّ ، وَقَد عَجزَ عَنكَ حُذَّاقُ الأَطِبَّاءِ ؟ فَقَالَ : لا بُدَّ لِي مِنهُ ؛ فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ ، وَرَأَى القَرْحَةَ ، اسْتَدْعَى بخُنْفَسَاءَ ، فَضَحِكَ الحاضِرُونَ مِنه ، فَتَذَكَّرَ العَلِيلُ القَولَ الذِي سَبَقَ مِنهُ ، فَقَالَ : أَحْضِرُوا لَهُ ما طَلَبَ ، فإِنَّ الرَّجُلَ عَلَى بَصِيرَةٍ من أَمْرِهِ ؛ فَأَحْضَرُوها لَهُ ، فَأَحْرَقَها وَذَرَّى رَمادَها عَلَى قَرْحَتِه ، فَبَرِىءَ بإِذنِ اللهِ تَعالَى ؛ فَقَالَ لِلحاضِرِينَ : إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى أَرادَ أَنْ يُعَرِّفَنِي أَنَّ أَخسَّ المَخْلُوقاتِ أَعَزُّ الأَدْوِيَةِ .

● وَحَكَى « ابنُ خلِّكانَ »[2] فِي تَرجَمَةِ جَعفر بنِ يحيى بن خالِد بن بَرْمَك البَرْمَكيّ : أَنَّهُ كان عِنْدَهُ أَبُو عُبيدٍ الثَّقفيّ ، فَقَصَدَتْهُ خُنْفساء ، فَأَمَرَ جَعْفَرُ بإِزالَتِها ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : دَعُوها ، عَسَى أَنْ يَأْتِيَنِي بِقَصْدِها إِليَّ خَيْرٌ ، فإِنَّهُمْ يَزعمونَ ذَلِكَ . فَأَمَرَ له جَعفرٌ بأَلفِ دِينارٍ ، فَقَالَ : تَحَقَّقَ زَعْمُهُم . فَأَمَرَ بِتَنْحِيَتِها ، فَقَصَدَتْهُ ثانياً ، فَأَمَرَ له بِأَلْفِ دِينارٍ أُخرى .

الحُكم : يُحَرَّمُ أَكْلُها لاستِخْبَاثِها .

وَقَالَ الأَصحَابُ : ما لا يَظهَرُ فِيهِ ضرٌّ وَلا نَفْعٌ كَالخَنافِسِ ، وَالدُّودِ ، والجُعْلانِ ، وَالسَّرَطَانِ ، وَالبُغاثِ ، والرَّخْمَةِ ، والعَظَاءَةِ ، والسُّلَحْفاةِ ، وَالذُّبابِ وأَشْباهِها ، يُكْرَهُ قَتْلُها لِلمُحْرِمِ وَغَيْرِهِ ؛ هَكَذَا قَطَعَ بِهِ الجُمهورُ .

وَحَكَى إِمامُ الحَرَمَيْنِ وَجْهاً شَاذّاً ، أَنَّهُ لا يُحَرَّمُ قَتْلُ الطُّيُورِ والحَشَراتِ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٠٨ والمستطرف ٣/ ٤٧٥ .

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٣٣١ .

وَدَليلُ الكَراهَةِ ، أَنَّهُ عَبَثٌ بلا حاجَةٍ ؛ وَقَدْ ثَبَتَ في « صَحِيح مُسلِمٍ »[1] عن شَدَّاد بن أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ تَعالَى كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فإِذا قَتَلْتُمْ فأَحْسِنُوا القِتْلَةَ » . وَلَيسَ من الإِحْسَانِ قَتْلُها عَبَثاً .

وَرَوَى البَيْهَقيُّ عن قُطْبَةَ الصَّحابيّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ كان يَكْرَهُ أَنْ يَقْتُلَ الرَّجُلُ ما لا يَضُرُّهُ .

الأَمْثَالُ : يُقَالَ : « أَفْسَى من الخُنْفَسَاءِ »[2] . وَقَالُوا[3] : « الخُنْفَسَاءُ إِذا مُسَّتْ نَتَنَتْ » : أَي جاءَتْ بالنَّتْنِ الكَثِيرِ ؛ يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْطَوي عَلى خُبْثٍ . مَعناهُ : لا تُفَتِّشُوا عَلَى ما عِنْدَهُ ، فإِنَّهُ يُؤْذِيكم بنَتْنِ مَعايِبِهِ[4] .

وَقَالَ خَلَفُ الأَحمر النَّحْويُّ يَهْجُو العُتْبيَّ والفَيْضَ بن عبدِ الحَميدِ[5] : [مِن المُتقارب]

---

(١) مسلم (١٩٥٥) وأبو داود (٢٨١٥) والتّرمذي (١٤٠٩) والنَّسائي (٤٤٠٥) و (٤٤١١ ـ ٤٤١٤) وابن ماجه (٣١٧٠) .

(٢) لم يرد هذا المثل في كتب الأَمثال .

(٣) الميداني ١/ ٢٤٥ .

(٤) ينبغي أَن يزاد هنا : وقالوا : « أَلَجُّ من الخُنْفَساء » . [العسكري ٢/ ١٨٠ والزمخشري ١/٣٠٨] . وقالوا : « أَلَحُّ من الخنفساء » . [الميداني ٢/ ٢٥٠ والدُّرَّة الفاخرة ٢/٣٦٩] .
وذلك ليتناسب مع الشاهد الآتي .

(٥) هما له في أَخبار المصحفين ٤٣ ـ ٤٤ وتصحيفات المحدّثين ١/ ٢١ وشرح ما يقع فيه التصحيف ١٩ (القاهرة) و ١/ ٢٥ (دمشق) والحيوان ٣/ ٥٠٠ والتَّنبيه على حدوث التصحيف ٨ ـ ٩ . وفي أَخبار الشُّعراء المحدثين من الأَوراق ٣٥ ومعجم الأُدباء ٥/ ٢١٤٨ يهجو أَبا العتبيّ (ويصحّح ما في معجم الأُدباء) . وفي فصل المقال ٤٩٢ يهجو أَبا عبيدة معمر بن المثنّى . ونسبهما ابن المعتز في طبقات الشعراء ٣٣٥ إلى درست المعلم .
وهما بلا نسبة في عيون الأَخبار ١/ ٢٧٤ وثمار القلوب ٢/ ٦٣٨ .

لَنَا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخِلافِ   كَثِيرُ الخَطَاءِ قَلِيلُ الصَّوابِ
أَلَجُّ لَجاجاً من الخُنْفَسَاءِ   وَأَزْهَى إذا ما مَشَى من غُرابِ

الخَواصُّ[1] : إذا أُخِذَتْ رُؤُوسُ الخَنافِسِ ، وَجُعِلَتْ في بُرْجِ حَمامٍ : اجْتَمَعَ الحَمامُ إِلَيهِ .

والاكْتِحَالُ بِمَا فِي جَوْفِها من الرُّطُوبَةِ : يُحِدُّ البَصَرَ ، وَيَجْلُو غَشاوَةَ العَيْنِ ، وَيُزِيلُ البَيَاضَ ، وَيَنْفَعُ السَّبَلَ[2] نَفْعاً عَظِيماً بَلِيغاً .

وَإِذا بُخِّرَ المَكانُ بِوَرَقِ الدُّلْبِ : هَرَبَتْ مِنهُ الخَنافِسُ .

وإِنْ أُخِذَتْ خُنْفَسَاءُ ، وَطُبِخَتْ بِعَصِيرِ السّمسمِ ، وَقُطِّرَ في الأُذُنِ مِنهُ ، فإِنَّهُ نافِعٌ من جَمِيعِ أَوْجَاعِ الأُذُنِ .

وإن شُدِخَتْ خُنْفَسَاءُ ، وَرُبِطَتْ عَلَى لَسْعَةِ العَقْرَبِ : أَبْرَأَتْها .

وإِنْ أُحْرِقَتْ ، وَذُرَّ رَمادُها عَلَى القَرْحَةِ : أَبْرَأَتْها .

وَمَنْ أَكَلَ الخُنْفَسَاءَ ، وَلَم يَشْعُرْ بِها حتى دَخَلَتْ إِلى جَوْفِهِ وَهِيَ حَيَّةٌ : قَتَلَتْهُ من وَقْتِهِ .

التَّعْبيرُ[3] : الخُنْفَسَاءُ في المَنامِ : تَدُلُّ رُؤْيَتُها عَلَى مَوْتِ النُّفَساءِ ؛ وَرُؤْيَةُ الذَّكَرِ تَدُلُّ عَلَى رَجُلٍ يَخدمُ الأَشْرارَ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤيَتُه عَلَى عَدُوٍّ قَذِرٍ بَغِيضٍ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٢٩٩ الخِنَّوصُ : بِكَسْرِ الخَاءِ ، وَتَشْدِيدِ النُّونِ : وَلَدُ الخِنْزِيرِ ؛

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩٣ وتذكرة داود ١/ ١٤٧ ومفردات ابن البيطار ٢/ ٧٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٠٧ والمستطرف ٣/ ٤٧٥ .

(٢) السَّبَل : سيلان الماء من العين . (القاموس) .

(٣) تفسير الواعظ ٣١٢ .

وَالجَمْعُ : الخَنانيصُ .

قَالَ الأَخْطَلُ يُخاطِبُ بِشْرَ بن مَرْوانَ بِقَوْلِه[1] : [من المُتقارب]

أَكَلْتَ الدَّجاجَ فَأَفْنَيْتَها فَهَلْ فِي الخَنانِيصِ من مَغْمَزِ

وَيُرْوَى : أَكَلت القَطاةَ[2] . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

وَحُكْمهُ وَتَعبِيرُهُ : كَالخنزيرِ .

الخَواصُّ : مَرارَتُهُ تُحَلِّلُ الأورام اليابِسَةَ ؛ وَإذا خُلِطَتْ بِعَسَلٍ ، وَطُلِيَ بِها إِحْلِيلُ الرَّجُلِ : هَيَّجَ الباهَ بِشَهْوَةٍ عَظِيمَةٍ .

وَشَحْمُهُ المُذَابُ ، إذا مُسِحَ بِهِ أَصْلُ شَجَرِ الرُّمَّانِ الحامِضِ : أَبْدَلَهُ حُلْواً .

٣٠٠ الخَيْتَعُور : الذِّئْبُ ، لأَنَّهُ لا عَهْدَ لَهُ ؛ وَقِيلَ : الخَيْتَعُورُ : الغُولُ ، وَاليَاءُ فيه زائِدَةٌ .

● وَفِي الحَدِيثِ[3] : « ذَاكَ ذِئْبُ العَقَبَةِ ، يُقَالُ لَهُ : الخَيْتَعُورُ » يُرِيدُ به شَيْطَانَ العَقَبَةِ ، فَجَعَلَ الخَيْتَعُورَ اسْماً لَهُ .

وَقِيلَ : الخَيْتَعُورُ : كُلُّ شَيْءٍ يَضْمَحِلُّ ، وَلاَ يَدُومُ عَلَى حالَةٍ واحِدَةٍ ، أَو لا تَكُونُ لَهُ حَقِيقَةٌ كَالسَّرابِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[4] : [من الخفيف]

كُلُّ أُنْثَى وإِنْ بَدَا لَكَ مِنْها آيَةُ الحُبِّ حُبُّها خَيْتَعُورُ

---

(١) ليس في ديوانه ، وهو له في اللِّسان والتَّاج « خنص » .

(٢) في اللِّسان : ويُروى : أَكلتَ الغَطاطَ . وهي القطا .

(٣) عن النِّهاية ٢/ ٩٠ وعنه اللسان « ختعر » .

(٤) البيت لجدّ امرىء القيس ، الملك حجر بن عمرو بن معاوية آكل المرار ، في : الأَغاني ١٦/ ٣٥٣ و ٣٥٨ والبيان والتبيين ٣/ ٣٢٨ وشرح شواهد الشافية ٣٩٣ وحاشية البغدادي على شرح بانت سعاد ٢/ ٩٦ والتذكرة الحمدونية ٧/ ٣٨٦ .

وبلا نسبة في : اللّسان والتاج « ختعر » والجمهرة ٢/ ١٢٢١ والأَزمنة والأَمكنة ٢/ ٢٤٢ .

وَقِيلَ الخَيْتَعُورُ : دُوَيْبَّةٌ تكُونُ في وَجْهِ المَاءِ ، لا تَثْبُتُ في مَوْضِعٍ إلاّ دَبَّتْ .

وَقِيلَ : الخَيْتَعُورُ : الذِي يَنْزِلُ في الهَواءِ أَبْيَضَ كَالخَيْطِ ، أَوْ كَنَسْجِ العَنْكَبُوتِ .

وَقِيلَ : الخَيْتَعُورُ : الدُّنْيَا الذّاهِبَةُ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٣٠١ الخَيْدَعُ ، وَالخَيْطَلُ : السِّنَّوْرُ ؛ وسيأتي إن شاء الله تعالى في « باب السين » .

٣٠٢ الأَخْيَلُ[١] : طائِرٌ أَخضَرُ ، عَلَى جَناحَيْهِ لُمَعٌ تُخالِفُ لَوْنَهُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ للخَيَلانِ .

وَقِيلَ[٢] : الأَخْيَلُ : الشِّقِرّاقُ ، وَهو مَشْؤُومٌ ، وَلَفْظُهُ يَنْصَرِفُ في النَّكِرَةِ إذا سَمَّيتَ بِهِ ، وَمِنهم من لا يَصْرِفُهُ في مَعْرِفَةٍ وَلا نَكِرَةٍ ، وَيَجْعَلُهُ في الأَصْلِ صِفَةً من التَّخَيُّلِ ، وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِ حَسّان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[٣] : [من الطويل]

ذَرِيْنِـي وَعِلْمِـي بِـالأُمُـورِ وَشِيْمَتِـي ... فَمَـا طَـائِـرِي فِيها عَلَيْـكِ بِـأَخْيَـلا

٣٠٣ الخَيْلُ : جَمَاعَةُ[٤] الأَفْراسِ ، لا واحِدَ لَهُ من لَفْظِه ، كَالقَوْمِ والرَّهْطِ والنَّفرِ ؛ وَقِيلَ : مُفْرَدُهُ خائِلٌ . قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ ؛ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ ؛ وَالجَمْعُ خُيُولٌ .

وَقَالَ السِّجِسْتانيُّ : تَصْغِيرُها خُيَيْلٌ . وَسُمِّيَتِ الخَيْلُ خَيْلاً لاخْتِيَالِها في المِشْيَةِ ، فَهُوَ عَلَى هَذَا اسْمٌ للجَمْعِ عِند سِيْبَوَيْه ، وَجَمْعٌ عِندَ أَبِي الحَسَنِ .

---

(١) المادة مكررة ، وقد مضت في باب الألف ، برقم ٧ . وهي ساقطة من أ هنا .

(٢) عن الصحاح « خيل » ٤/ ١٦٩٣ .

(٣) ديوانه ١/ ٤٤ (عرفات) و ٢٧١ (حنفي) و ٤٠٤ (برقوقي) .

(٤) المخصص ٦/ ١٣٥ .

وَيَكفِي في شَرَفِ الخَيْلِ ، أَنَّ اللهَ تَعالَى أَقْسَمَ بها في كِتابِه ، فَقَالَ : ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾ [العاديات : ١] وَهِيَ خَيْلُ الغَزْوِ التي تَعْدُو فَتَضْبَحُ ؛ أَي تُصَوِّتُ بِأَجْوافِها .

وَفِي « الصَّحيح »[1] عن جَرير بن عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَلوِي ناصِيَةَ فَرَسِه بِأُصْبَعَيْه ، وَهو يَقُولُ : « الخَيْلُ مَعْقُودٌ في نَواصِيْها الخَيْرُ إِلى يومِ القِيامَةِ ، الأَجْرُ والغَنِيْمَةُ » .

وَمَعنى عَقْدِ الخَيْرِ بِنواصِيها أَنَّهُ مُلازِمٌ لَها ، كَأَنَّهُ مَعْقُودٌ فِيها ؛ وَالمُرادُ بِالنّاصِيَةِ هُنا : الشَّعْرُ المُسْتَرْسِلُ عَلَى الجَبْهَةِ ؛ قَالَهُ الخَطّابيُّ وَغَيْرُهُ . قَالُوا : وَكَنّى بِالنّاصِيَةِ عن جَمِيعِ ذَاتِ الفَرَسِ ، كَمَا يُقَالُ : فُلانٌ مُبارَكُ النّاصِيَةِ ، وَمَيْمُونُ الغُرَّةِ ؛ أَي الذّاتِ .

● وَفِي « صَحِيح مُسلم »[2] عن أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ، قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى المَقْبَرَةَ ، فَقَالَ : « السَّلامُ عَلَيكمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وإِنّا إِن شَاءَ اللهُ بِكُم لاحِقُونَ ؛ وَدِدْتُ أَنّا قد رَأَيْنا إِخْوانَنا » . قَالُوا : أَوَ أَلَسْنَا إِخْوانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ ﷺ : « بَلْ أَنْتُمْ أَصْحابِي ، وإِخْوانُنا الذِينَ لم يَأْتُوا بعدُ » . فَقَالُوا : كيفَ تَعرِفُ من لم يَأْتِ بعدُ من أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ ﷺ : « أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ، أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ » قَالُوا : بَلى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ ﷺ : « فإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ القِيامَةِ غُرّاً

---

(١) البخاري ٤/ ١٨٧ ومسلم (١٨٧٢) و (١٨٧٣) وأَبو داود (٢٥٤٢) وابن ماجه (٢٧٨٦) والموطأ ٢/ ٤٦٧ ومسند أَحمد ٣/ ٣٩ و ٥/ ١٨١ وفضل الخيل للدمياطي ٥٨ والخيل لابن جزيّ ٣٧ وحلية الفرسان ٣٨ والخيل لأَبي عبيدة ١١٠ وجرّ الذيل ٣٧ وغريب الحديث للخطابي ٢/ ٥٧٩ .

(٢) مسلم (٢٤٩) والنَّسائيّ (١٥٠) وابن ماجه (٤٣٠٦) والموطأ ١/ ٢٨ ـ ٢٩ ومسند أَحمد ٢/ ٣٠٠ و ٤٠٨ .

مُحَجَّلِينَ من آثَارِ الوُضُوءِ ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ » . وَفِي رِوايَةِ البَيهقِيِّ : « إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يومَ القِيامَةِ غُرّاً من السُّجُودِ ، مُحَجَّلِينَ من الوُضُوءِ ، وَلا يَكُونَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ من الأُمَمِ غَيْرِهِمْ » .

● وَرَوَى « مُسْلِمٌ » و« أَبُو داوُد » و« التِّرمذيُّ » و« النِّسائيُّ » و« ابنُ ماجه »[1] عن أَبِي هُرِيرةَ : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَكْرَهُ الشِّكالَ من الخَيْلِ » .

وَالشِّكَالُ : أَن يَكُونَ الفَرَسُ في رِجْلِهِ اليُمْنَى بَيَاضٌ ، وَفِي يَدِهِ اليُسْرَى بَياضٌ ، أَو فِي يَدِهِ اليُمْنَى وَرِجْلِهِ اليُسْرَى ، كَذَا وَقَعَ تَفْسِيرُهُ في « صَحيحِ مسلمٍ » . وَهَذَا أَحَدُ الأَقْوالِ في الشِّكالِ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ[2] وَجُمْهُورُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالغَرِيبُ : هُوَ أَنْ يَكُونَ مِنهُ ثَلاثُ قَوائِمَ مُحَجَّلَةٌ ، وَوَاحِدَةٌ مُطْلَقَةٌ ، تَشْبِيهاً بِالشِّكَالِ الَّذِي يُشْكَلُ بِهِ الخَيْلُ ، فإِنَّهُ يَكُونَ في ثَلاثِ قَوائِمَ غالِباً .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ[3] : وَقَدْ يَكُونُ الشِّكَالُ ثَلاثَ قَوائِمَ مُطْلَقَةً ، وَوَاحِدَةً مُحَجَّلَةً .

قَالَ : وَلا تَكُونُ المُطْلَقَةُ أَوِ المُحَجَّلَةُ إِلاَّ في الرِّجْلِ .

وَقَالَ ابْنُ دُرِيدٍ : هو أَن يَكُونَ مُحَجَّلاً في شِقٍّ واحِدٍ في يَدِهِ وَرِجْلِهِ ، فإِن كان مُخالِفاً قِيلَ : شِكالٌ مُخالِفٌ .

وَقِيلَ : الشِّكَالُ بياضُ اليَدَيْنِ ؛ وَقِيلَ : بَيَاضُ الرِّجْلَيْنِ .

قَالَ العُلَمَاءُ : إِنَّما كَرِهَهُ ﷺ لأَنَّهُ عَلَى صُورَةِ المَشْكُولِ ؛ وَقِيلَ : يُحْتَمَلُ

---

(١) مسلم (١٨٧٥) وأبو داود (٢٥٤٧) والترمذيّ (١٦٩٨) والنَّسائيّ (٣٥٦٦ ـ ٣٥٦٧) وابن ماجه (٢٧٩٠) ومسند أحمد ٢/ ٢٥٠ و ٤٣٦ و ٤٦١ و ٤٧٦ .

(٢) الخيل ٢٣٩ ـ ٢٤٠ وليس فيه هذا الكلام بنصّه .

(٣) الخيل ٢٣٩ ـ ٢٤٠ وليس فيه هذا الكلام بنصّه .

أَن يَكُونَ جَرَّبَ ذَلِكَ الجِنْسَ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ نَجابَةٌ .

وَقال بعضُ العُلماءِ : فإذا كان مع ذَلِكَ أَغَرَّ ، زالَتِ الكَراهَةُ لِزَوالِ شَبَهِهِ بِالشِّكَالِ .

● وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ في « عُمْدَتِهِ » في « باب مَنافِعِ الشِّعْرِ وَمَضارِّهِ »[١] : إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي ، لَمّا ذَهَبَ إِلى بِلادِ فارِسَ ، وَمَدَحَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ ابن بُوَيْهِ الدَّيْلَميّ ، وَأَجْزَلَ جائِزَتَهُ ، رَجَعَ من عِندِهِ قاصِداً بَغدادَ ، وَكَانَ مَعَهُ جماعَةٌ ، فَخَرَجَ عليهِمْ قُطّاعُ الطَّرِيقِ بِالقُرْبِ من بَغدادَ ، فَلَمَّا رَأى الغَلَبَةَ فَرَّ هارِباً ، فَقَالَ لَهُ غُلامُهُ : لا يَتَحَدَّثُ النّاسُ عنكَ بِالفرارِ أَبَداً ، وَأَنتَ القائِلُ[٢] : [من البسيط]

الخَيْلُ وَاللَّيْلُ والبَيْداءُ تَعْرِفُنِي ... وَالحَرْبُ والضَّرْبُ وَالقِرْطَاسُ والقَلَمُ

فَكَرَّ راجِعاً ، وَقاتَلَ حَتّى قُتِلَ ، فَكَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ هَذَا البَيْتُ . وَذَلِكَ في شَهرِ رَمضان ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمسِينَ وَثَلاثمئةٍ[٣] .

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي سُليمانَ الخَطّابيِّ في مَدْحِ العُزْلَةِ وَالانْفِرادِ ، وإِن لم يكن له تَعَلُّقٌ بِهَذَا المَعْنَى[٤] : [مِنَ الوافر]

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي ... فَدَامَ الأُنْسُ لِي وَنَما السُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي الزَّمانُ فَلا أُبالِي ... هُجِرْتُ فَلا أُزَارُ وَلا أَزُورُ

---

(١) العمدة ١/١٠٨ . ونصُّه فيه : وأَبو الطَّيِّب المتنبِّي لما فرّ ، ورأَى الغلَبَةَ ، قَال له غلامه . . . . وعنه ابن خلّكان ١/ ١٢٣ .

(٢) ديوانه ٣/ ٣٦٩ .

(٣) مصادر ترجمة المتنبِّي كثيرة جدّاً ، أَهمُّها : يتيمة الدهر ١/ ١١٠ وتاريخ بغداد ٥/ ١٦٤ ومختصر تاريخ دمشق ١/٤٨ ووفيات الأعيان ١/ ١٢٠ وسير أَعلام النبلاء ١٦/ ١٩٩ والصُّبح المنبي . . .

(٤) الأَبيات لعليّ بن يعقوب بن إبراهيم الهمْدانيّ ، المعروف بابن أَبي العقب ؛ في تاريخ دمشق ٥٢/ ٤٢ ومختصره ١٨/ ١٨٩ .

وَلَسْتُ بِسَائِلٍ ما دُمْتُ حَيّاً : أَسَارَ الخَيْلُ ، أَمْ رَكِبَ الأَمِيرُ

● فائِدَةٌ : ذَكَرَ ابنُ خلكان في « تاريخه »[(١)] : أَنَّ شَخْصاً سَأَلَ المُتَنَبِّي عن قَوْلِهِ[(٢)] : [من الكامل]

بَادِرْ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرا

كَيْفَ يُثْبِتُ الأَلِفَ في « تَصْبِرا » مع وُجودِ لم الجازِمَة ؛ وَمِن حَقِّهِ أَنْ يَقُولَ لَمْ تَصْبِرْ .

فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي : لو كان أَبُو الفَتْحِ ابْن جِنِّي هَا هُنا لأَجابَكَ ؛ هَذِهِ الأَلِفُ هِيَ بَدَلُ النُّونِ السّاكِنَةِ، لأَنَّهُ كان في الأَصْلِ «لَمْ تَصْبِرَنْ» ؛ وَنُونُ التَّأْكِيدِ الخَفِيفَةِ إِذا وَقَفَ الإِنْسَانُ عليها ، أَبْدَلَ مِنْها أَلِفاً . قَالَ الأَعْشَى[(٣)] : [من الطويل]

وَلا تَعْبُدِ الشَّيْطَانِ وَاللهَ فَاعْبُدا

كَانَ الأَصْلُ « فاعْبُدَنْ » فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيها أَتَى بِالأَلِفِ بَدَلاً من النُّونِ .

وَمُرادُهُ بِأَبِي الفَتْحِ[(٤)] : عُثْمان بن جِنِّي المَوْصِلِيّ النَّحْوِيّ المَشْهُور ؛ وَكَانَ ابْنُ جِنِّي قد قَرَأَ عَلَى أَبِي عَلِي الفارِسِيِّ ، وَفَارَقَهُ وَقَعَدَ للإِقْراءِ بِالمَوْصِلِ ، فَمَرَّ بِهِ شَيْخُهُ أَبُو عَلِيٍّ يوماً ، فَرَآهُ في حَلقتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : تَزَبَّبْتَ وَأَنْتَ حِصْرِمٌ ؟ فَتَرَكَ حَلْقَتَهُ وَتَبِعَهُ ، وَلَم يَزَلْ مُلازِماً لَهُ حَتّى مَهَرَ .

وَأَبُوهُ جِنِّي : مَمْلُوكٌ رُومِيٌّ . وَلَهُ أَشْعارٌ حَسَنَةٌ ؛ وَكَانَ أَعْوَرَ بِعَيْنِ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٨ .

(٢) ديوان المتنبي ٢/ ١٦٠ . وعجزه : وبُكاكَ إن لم يَجْرِ دَمْعُكَ أو جرى .

(٣) ديوان الأعشى ٨٧ . وصدره : وذا النُّصُبَ المَنْصوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ .

(٤) ترجمة ابن جنّي ، في : وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٦ وإنباه الرُّواة ٢/ ٣٣٥ وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٠٥ ومعجم الأدباء ٤/ ١٥٨٥ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٧ والوافي بالوفيات ١٩/ ٤٧٢ . . .

واحِدَةٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ[1] : [من المتقارب]

صُـدودُكَ عَنِّـي ولا ذَنْـبَ لِـي ... يَـدُلُّ عَلَـى نِيَّـةٍ فـاسِـدَهْ
فقـدَ وَحَيـاتِـكَ مِمّـا بَكَيْـتُ ... خَشِيْـتُ عَلَـى عَيْنِـيَ الـواحِـدَهْ
وَلَـوْلا مَخـافَـةُ أَنْ لا أَراكَ ... لَمَـا كـان فـي تَـرْكِهـا فـائِـدَهْ

وَلَهُ تَصانِيفُ مُفِيْدَةٌ ، وَشَرَحَ « دِيوان المُتَنَبِّي » . وَلِذَلِكَ أَشَارَ إِلَيهِ المُتَنَبِّي كَمَا تَقَدَّمَ .

وَكَانَتْ وَفاةُ ابْنِ جِنِّي : في صَفَر بِبَغْدادَ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلاثمئة .

● وَفِي « سُنَنِ النَّسائيِّ »[2] من حَدِيثِ سَلَمَةَ بنِ نُفَيْلٍ السَّكُونيِّ : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عن إذالَةِ الخَيْلِ » وَهُوَ امْتِهانُها في الحَمْلِ عليها واسْتِعْمالُها .

وأَنْشَدَ أَبُو عُمر بن عبدِ البَرِّ في « التَّمهِيدِ » لابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما[3] : [من الوافر]

أَحِبُّـوا الخَيْـلَ واصْطَبِـرُوا عَلَيْهـا ... فـإِنَّ العِـزَّ فِيْهـا والجَمـالا
إذا مـا الخَيْـلُ ضَيَّعَهـا أُنـاسٌ ... رَبَطْنـاهـا فـأَشْـرَكَـتِ العِيَـالا
نُقَـاسِمُهـا المَعِيْشَـةَ كُـلَّ يَـوْمٍ ... وَنَكْسُـوهـا البَـراقِـعَ والجِـلالا

● فائِدَةٌ : رَأَيتُ في « تارِيخِ نَيْسَابُور » لِلحاكِمِ أَبي عبد اللهِ ، في تَرجَمَةِ أَبِي جَعفر الحَسَن بن مُحمَّد بن جعفر الزّاهد العابِد ، أَنَّهُ رَوَى بِإِسْنادِهِ عن عَليّ

---

(١) الأَبيات في مصادر ترجمته . وقال ابن خلّكان : وقيل : إنّ هذه الأَبيات لأَبي منصور الدَّيلميّ .

(٢) النَّسائيّ (٣٥٦١) والخيل لأَبي عبيدة ١١٠ وفضل الخيل للدّمياطيّ ٩٢ والخيل لابن جزيّ ٤٢ .

(٣) جرّ الذيل ١١٣ . عدا الأَوّل في الخيل لابن جزي ٤٤ . والثَّلاثة في حلية الفرسان ١٨٣ وفيه : وقال الأخطل ، وتنسب لعبد الله بن عبّاس . وبلا نسبة في المستطرف ٣/ ٤٧٧ . وليست في ديوان الأَخطل .

ابن أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قَالَ[1] :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَمّا أَرادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى أَن يَخلقَ الخَيْلَ ، قَالَ لِرِيحِ الجَنُوبِ : إِنِّي خالِقٌ مِنْكِ خَلْقاً ، أَجْعَلُهُ عِزّاً لأَوْلِيَائِي ، وَمَذَلَّةً لأَعْدائِي ، وجَمالاً لأَهْلِ طَاعَتِي ؛ فقَالَتِ الرِّيْحُ : اخْلُقْ يَا ربُّ ؛ فَقَبَضَ مِنها قَبْضَةً ، فَخَلَقَ مِنها فَرَساً ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلا : خَلَقْتُكَ عَرَبِيّاً ، وَجَعَلْتُ الخَيْرَ مَعْقُوداً بناصِيَتِكَ ، وَالغَنائِمَ مُحتازَةً عَلَى ظَهْرِكَ ، وَبَوَّأْتُكَ سَعَةً من الرِّزْقِ ، وَأَيَّدْتُكَ عَلَى غَيرِكَ من الدَّوابِّ ، وَعَطَفْتُ عليكَ صاحِبَكَ ، وَجعَلْتُكَ تَطِيرُ بلا جَناحٍ ؛ فَأَنتَ لِلطَّلَبِ ، وَأَنتَ لِلهَرَبِ ؛ وإِنِّي سَأَجْعَلُ عَلَى ظَهْرِكَ رِجالاً يُسَبِّحُونِي وَيَحْمَدُونِي وَيُهَلِّلُونِي وَيُكَبِّرُونِي » .

ثُمَّ قَالَ ﷺ : « مَا منْ تَسبِيحَةٍ وَتَهلِيلَةٍ وَتكبِيرَةٍ يُكَبِّرُها صاحِبُها فَتَسْمَعُهُ إِلاّ تُجِيبُهُ بِمِثْلِها » .

قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَتِ المَلائِكَةُ بِخَلْقِ الفَرَسِ ، قَالَتْ : يَا رَبُّ ، نَحْنُ مَلائِكَتُكَ ، نُسَبِّحُكَ وَنَحمَدُكَ وَنهَلِّلُكَ وَنُكَبِّرُكَ ، فَمَاذا لَنا ؟ فَخَلَقَ اللهُ تَعالَى خَيْلاً لَهَا أَعْناقٌ كَأَعْناقِ البُخْتِ ، يَمُدُّ بِها من شَاءَ من أَنْبيائِهِ وَرُسُلِهِ .

قَالَ : فَلَمّا اسْتَوَتْ قَوائِمُ الفَرَسِ في الأَرضِ ، قال الله تعالى له ، إِنِّي أُذِلُّ بِصَهِيلِكَ المُشرِكِينَ ، وَأَمْلأُ مِنهُ آذانَهُمْ ، وَأُذِلُّ بِهِ أَعْناقَهُمْ ، وَأُرْعِبُ بِهِ قُلُوبَهُمْ .

قَالَ : فَلَمّا أَن عَرَضَ اللهُ تَعالَى عَلَى آدَمَ كُلَّ شَيْءٍ مِمّا خَلَقَ ، قال له : اخْتَرْ من خَلْقِي ما شِئْتَ ؟ فَاختَارَ الفَرَسَ ، فَقِيلَ لَهُ : اخْتَرْتَ عِزَّكَ وَعِزَّ وَلَدِكَ خالِداً ما خُلِّدُوا ، وَبَاقِياً ما بَقَوا ، أَبَدَ الآبِدِينَ ، وَدَهْرَ الدَّاهِرين » .

● وَهُوَ فِي « شِفاءِ الصُّدُورِ » عن ابنِ عَبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما بغير

---

(١) فضل الخيل للدِّمياطيّ ٨٣ وحلية الفرسان ٢٧ وجزّ الذيل ٢٤ ـ ٢٥ و٢٦ .

هذا اللَّفظِ ، وَلَفْظُهُ :

أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لَمّا أَرادَ اللهُ أَن يَخلُقَ الخَيْلَ ، أَوْحَى إِلى رِيْحِ الجَنُوبِ : إِنِّي خالِقٌ مِنكِ خَلْقاً فاجْتَمِعِي ؛ فَاجْتَمَعَتْ ، فَأَتَى جِبرِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ فَقَبَضَ مِنها قَبْضَةً ، ثُمَّ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ له : هَذِهِ قَبْضَتِي ؛ ثُمَّ خَلَقَ مِنها فَرَساً كُمَيْتاً . وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : خَلَقْتُكَ فَرَساً ، وَجَعَلْتُكَ عَرَبِيّاً ، وَفَضَّلْتُكَ عَلَى سائِرِ ما خَلَقْتُ من البَهائِمِ بِسَعَةِ الرِّزْقِ ؛ وَالغَنائِمُ تُقَادُ عَلَى ظَهْرِكَ ، وَالخَيْرُ مَعْقُودٌ بناصِيَتِكَ ؛ ثُمَّ أَرْسَلَهُ فَصَهَلَ ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلا : يا كُمَيْتُ ، بِصَهِيلِكَ أُرْهِبُ المُشْرِكِينَ ، وَأَمْلأُ بِهِ مَسَامِعَهُمْ ، وَأُزَلْزِلُ أَقْدامَهُمْ . ثُمَّ وَسَمَهُ بِغُرَّةٍ وَتَحْجِيلٍ .

فَلَمّا خَلَقَ اللهُ تَعالَى آدَمَ قَالَ : يا آدَمُ ، اخْتَرْ أَيَّ الدّابَّتَيْنِ أَحْبَبْتَ ـ يَعنِي الفَرَسَ أَوِ البُراقَ ؛ وَهُوَ عَلَى صُورَةِ البَغْلِ ، لا ذَكَرَ ولا أُنْثَى ـ فَقَالَ : يَا جِبرِيلُ ، اخْتَرْتُ أَحْسَنَهُما وَجْهاً ، وَهُوَ الفَرَسُ ؛ فقال الله تعالى له : يَا آدَمُ ، اخْتَرْتَ عِزَّكَ وَعِزَّ أَوْلادِكَ باقِياً ما بَقوا ، وَخَالِداً ما خُلِّدُوا » .

● وَفِيهِ أَيضاً ، عن عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَكَرَّمَ وَجْهَهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ[1] :

« إِنَّ في الجَنَّةِ شَجَرَةً ، يَخرُجُ من أَعلاها حُلَلٌ ، وَمِنْ أَسْفَلِها خَيْلٌ بُلْقٌ من ذَهَبٍ ، مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ بِلُجُمٍ من دُرٍّ وَيَاقُوتٍ ، لا تَروثُ وَلا تَبُولُ ، لَهَا أَجْنِحَةٌ ، خُطْوَتُها مَدُّ بَصَرِها ، يَركَبُها أَهْلُ الجَنَّةِ ، فَتَطِيرُ بهم حيثُ شَاؤُوا ، فَيَقُولُ الذِينَ أَسفَلَ مِنهم دَرَجَةً : يا رَبَّنَا ، بِمَ بَلَغَ عِبادُكَ هَذِهِ الكَرَامَةَ كُلَّها ؟ فَيَقُولُ : بِأَنَّهُمْ كانُوا يَقُومُونَ اللَّيْلَ وَكُنْتُمْ تَنامُونَ ، وَكَانُوا يَصُومُونَ النَّهارَ وَكُنْتُمْ تَأْكُلُونَ ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ وَكَنتم تَبْخَلُونَ ، وَكَانُوا يُقاتِلُونَ وَكُنْتُمْ تَجْبُنون ؛ ثُمَّ

---

(١) بعضه في جزّ الذيل ١١٢ .

جَعَلَ اللهُ في قُلُوبِهِمُ الرِّضَا ، فَيَرضَونَ وَتَقَرُّ أَعْيُنُهُم » .

● فائِدَةٌ أُخْرَى[١] : أَوَّلُ من رَكِبَ الخَيلَ : إِسماعِيلُ عليهِ السَّلامُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بالعِرابِ ؛ وَكانَت قَبلَ ذَلِكَ وَحْشِيَّةً كَسَائِرِ الوُحوشِ ، فَلَمّا أَذِنَ اللهُ تَعالَى لإِبراهِيمَ وإِسماعِيلَ عَلَيهِما السَّلامُ بِرَفْعِ القَواعِدِ من البَيتِ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنِّي مُعْطِيكُمَا كَنْزاً ادَّخَرْتُهُ لَكُمَا ؛ ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلى إِسماعِيلَ : أَنِ اخْرُجْ فَادْعُ بِذَلِكَ الكَنْزِ ؛ فَخَرَجَ إِلى أَجْيَادٍ ، وَكَانَ لا يَدرِي ما الدُّعَاءُ والكَنْزُ ، فَأَلْهَمَهُ اللهُ تَعالَى الدُّعاءَ ، فَلَم يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَرَسٌ بِأَرْضِ العَرَبِ إِلاّ أَجابَتْهُ ، فَأَمْكَنَتْهُ من نَواصِيها ، وَتَذَلَّلَتْ لَهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ نَبِيُّنا ﷺ : « ارْكَبُوا الخَيْلَ ، فإِنَّها مِيْراثُ أَبِيكُمْ إِسماعِيل » .

● وَرَوَى « النَّسائيُّ »[٢] عن أَحمد بن حَفصٍ ، عن أَبِيهِ ، عن إِبراهيم بن طَهْمَان ، عن سَعيد بن أَبِي عَروبة ، عن قَتادة ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ، قَالَ : « إِنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيهِ بعدَ النِّسَاءِ من الخَيْلِ » . إِسنادُهُ جَيِّدٌ .

● وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ بِإِسنادِهِ[٣] ، عن النَّبيِّ ﷺ ، أَنَّه قَالَ : « مَا مِن فَرَسٍ إِلاّ وَيُؤْذَنُ له عِندَ كُلِّ فَجْرٍ بِدَعْوَةٍ يَدْعُو بها : اللَّهُمَّ ، [خَوَّلْتَنِي] من خَوَّلْتَنِي من بَنِي آدم ، وَجَعَلْتَنِي له ، فاجْعَلْنِي أَحَبَّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيهِ » .

● وَقَالَ ﷺ[٤] : « الخَيْلُ ثَلاثَةٌ : فَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ ، وَفَرَسٌ للإِنْسَانِ ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ ؛ فأَمّا فَرَسُ الرَّحمن : فَما اتُّخذ في سَبيلِ الله تعالى ، وقُوتِلَ

---

(١) الخيل لابن جزيّ ٣٤ و ٣٥ وجرّ الذيل ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) النّسائيّ (٣٥٦٤) و (٣٩٤١) وفضل الخيل للدّمياطيّ ٧٠ ومسند أحمد ٥/ ٢٧ .

(٣) النّسائيّ (٣٥٧٩) وفضل الخيل ٧٨ .

(٤) فضل الخيل ٦٦ و ٦٧ ومسند أحمد ١/ ٣٩٥ وجرّ الذيل ٣٤ .

عليه أعداؤُه ؛ وفَرَسَ الإنْسان : ما اسْتُطْرِقَ عليه ؛ وَفَرَسُ الشَّيْطَانِ : ما رُوهِنَ عَلَيه » .

● وَفِي « طَبَقَاتِ ابن سَعْدٍ »[1] بسَنَدِهِ ، عن عَريب المُلَيْكِيّ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ عن قَوْلِهِ تعالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] من هُم ؟ فَقَالَ ﷺ : « هُمْ أَصْحَابُ الخَيْلِ » . ثُمَّ قَالَ ﷺ : « إِنَّ المُنْفِقَ عَلَى الخَيْلِ ، كَبَاسِطِ يَدِهِ بِالصَّدَقَةِ لا يَقْبِضُها ، وَأَبْوالُها وأَرْواثُها يَوْمَ القِيامَةِ كَذَكِيِّ المِسْكِ » .

وَعُريب : بِضَمِّ العَيْنِ المُهْمَلَةِ[2] .

● وَرَوَى « الشَّيخَانِ »[3] عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سابَقَ بينَ الخَيْلِ التي ضُمِّرَتْ ، وَكَانَ أَمَدُها من الحَفْيَاءِ إِلى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ ؛ وَسابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ التي لَمْ تُضَمَّرْ من الثَّنِيَّةِ إِلى مَسجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ » وَكَانَ ابْنُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما فِيمَنْ أَجْرى .

● وَرَوَى شَيخُ الإسلامِ الحافِظُ الذهَبيُّ فِي آخِرِ « طَبَقَاتِ الحُفَّاظِ »[4] عن شيخِهِ الحافِظ شَرَفِ الدِّيْنِ الدِّمياطي ، بِإسنادِهِ ، إِلى أَبِي أَيُّوبِ الأَنْصارِيِّ

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٣٧ وأُسد الغابة ٤/ ٣٤ وأَبو داود (٤٠٨٩) ومسند أَحمد ٤/ ١٨٠ وفضل الخيل ٧١ .

(٢) بل هو بفتح العين المهملة . (توضيح المشتبه ٦/ ٢٤٣) . وكذا ضبط بفتح العين ضبط قلم في طبقات ابن سعد وأُسد الغابة .

(٣) البخاري ١/ ١٠٨ و ٣/ ٢١٩ و ٨/ ١٥٤ ومسلم (١٨٧٠) وأَبو داود (٢٥٧٥) والتِّرمذيّ (١٦٩٩) وابن ماجه (٢٨٧٧) ومسند أَحمد ٢/ ٥ و ١١ و ٥٦ و ٦٧ وفضل الخيل ١٢٨ ـ ١٣٠ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٩ وفضل الخيل ٨٠ .

رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا تَحْضُرُ المَلائِكَةُ من اللَّهْوِ شَيْئاً إلاّ ثَلاثَةً : لَهْوَ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ ، وإِجْراءَ الخَيْلِ ، والنِّضَالَ » .

● وَرَوَى « التِّرمذيُّ »[1] في صِفَةِ أَهْلِ الجَنَّةِ بإِسْنادٍ ضَعِيفٍ ، عن واصِل بن السّائِبِ ، عن أَبي سَوْرَةَ ، عن أَبي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : جاءَ أَعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ الخَيْلَ ، فَهَلْ في الجَنَّةِ خَيْلٌ ؟ فقَالَ ﷺ : « إِنْ دَخَلْتَ الجَنَّةَ ، أُتِيتَ بفَرَسٍ من ياقُوتَةٍ ، لَهَا جَناحانِ ، فَتُحْمَلُ عَلَيها ، فتَطِيرُ بِكَ فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ » .

● وَفِي « مُعجمِ ابنِ قانِعٍ »[2] : أَنَّ هَذَا الأَعرابيَّ ، اسمُهُ عَبدُ الرَّحمن بن ساعِدَةَ الأَنْصارِيّ ؛ وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الدِّيْنَوَرِيُّ في « أَوائِلِ المُجالَسَةِ » .

● وَذَكَرَ « ابْنُ عَدِيٍّ »[3] بِهَذَا الإِسْنادِ الضَّعِيفِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَزاوَرُونَ عَلَى نَجائِبَ بِيْضٍ ، كَأَنَهُنَّ اليَاقُوتُ » وَليسَ في الجَنَّةِ من البَهائِمِ إلاّ الخَيْلُ والإِبِلُ وَالطَّيْرُ .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : خَيْلُ السِّباقِ عَشَرَةٌ ، ذَكَرَها الرَّافعيُّ وَغَيْرُهُ ، وَحَذَفَها من « الرَّوْضَةِ » وَهِيَ : مُجَلٌّ ، وَمُصَلٌّ ، وَتَالٍ ، وَبارِعٌ ، وَمُرتاحٌ ، وَحَظِيٌّ ، وَعَاطِفٌ ، وَمُؤَمَّلٌ ، وَالسُّكَيْتُ ، وَالفِسْكِلُ .

وإلى ذَلِكَ أَشَرْتُ في المَنْظُومَةِ بِقَولِي : [من الرجز]

مُهِمَّـــةٌ خَيْـــلُ السِّبـــاقِ عَشَـــرَه ... في «الشَّرْحِ» دُونَ «الرَّوْضَةِ» المُعْتَبَرَهْ
وَهِـــيَ مُجَـــلٌّ وَمُصَـــلٌّ تَـــالِـــي ... وَالبَـــارِعُ المُـــرْتَـــاحُ بِـــالتَّـــوالِـــي

---

(١) الترمذيّ (٢٥٤٤) وتهذيب الكمال ٣٠/ ٤٠٤ وأُسد الغابة ٣/ ٤٥٢ والمجالسة ٢/ ١٥٣ .

(٢) وأُسد الغابة ٣/ ٤٥٢ والاستيعاب ٢/ ٨٣٤ والإصابة ٤/ ٢٥٩ رقم (٥١٣٩) والمجالسة ٢/ ١٥٠ .

(٣) الكامل في الضُّعفاء ٨/ ٣٧٢ وميزان الاعتدال ٤/ ٥٣٥ .

ثُـمَّ حَظِـيٌّ عـاطِـفٌ مُـؤَمِّـلٌ ثُـمَّ السُّكَيْـتُ والأَخيـرُ الفِسْكِـلُ

● **فائِدَةٌ أُخْرى** : قَالَ السُّهيْلِيُّ في « التَّعريفِ والإِعلام »[1] : وَأَمَّا خَيْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَسماؤُها : **السَّكْبُ** ، وَهُوَ من سَكْبِ المَاءِ ، كَأَنَّهُ سَيْلٌ ؛ وَالسَّكْبُ أَيْضاً : شَقائِقُ النُّعْمَانِ . **وَالمُرْتَجِزُ** ، سُمِّيَ بذلك لِحُسْنِ صَهيلِه . **وَاللَّحِيفُ** ، كَأَنَّهُ يَلْحَفُ الأَرْضَ بجَرْيِه ؛ وَيُقَالُ فِيه : اللَّخِيف بالخَاءِ المُعْجَمَةِ ، ذَكَرَهُ البُخاريُّ في « جامِعِه » . **وَاللِّزازُ** ، وَمَعْناهُ أَنَّهُ ما سَابَقَ شَيْئاً إِلاّ لَزَّهُ ، أَي أَثْبَتَهُ . **وَمُلاوحٌ** ، **والظَّرِبُ** ، **وَالوَرْدُ** ، وَهَبَهُ لِعُمَرَ بن الخطّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَحَمَلَ عَلَيهِ عمرُ في سَبيلِ اللهِ تَعالَى ، وَهو الذِي وَجَدَهُ يُبْتَاعُ بِرُخْصٍ . انتهى .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى** : رَوَى « ابْنُ السِّنِّيِّ »[2] وَ« أَبُو القاسِمِ الطَّبرانيُّ » عن أَبان بن أَبي عَيّاشٍ ، وَالمُستغفريُّ أَيضاً ، عن أَنَس بن مالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ :

كَتَبَ عبدُ المَلِكِ إِلى الحَجّاجِ بن يُوسف : أَنِ انْظُرْ أَنَسَ بنِ مالِكٍ خادِمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَدْنِ مَجْلِسَهُ ، وَأَحْسِنْ جائِزَتَهُ ، وَأَكْرِمْهُ .

قَالَ : فأَتَيتُه ، فقَالَ لِي : يَا أَبَا حَمزَة ، إِنِّي أُرِيدُ أَن أَعرِضَ عَلَيكَ خَيْلِي ، فَتُعْلِمَنِي أَينَ هِيَ من الخَيلِ التي كانَت مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ . ؟ فَعَرَضَها ، فقُلْتُ : شَتّانَ ما بَيْنَهُما ، تِلكَ كانَت أَرْواثُها وَأَبْوالُها وأَعْلافُها أَجْراً ، وَهَذِهِ هُيِّئَتْ للرِّيَاءِ والسُّمْعَةِ ؛ فَقَالَ الحَجّاجُ : لَولا كِتابُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فِيكَ ، لَضَرَبْتُ الذِي فِيهِ عَيْنَاكَ ؛ فقلتُ : ما تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قلتُ : لأَنَّ

---

(١) أَنساب الخيل لابن الكلبي ١٩ ـ ٢٠ وأَسماء خيل العرب لابن الأَعرابيّ ٧٩ ـ ٨٠ وحلية الفرسان ١٥١ والخيل لابن جزيّ ٨٨ وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٢/٢٣٧ وما بعد والمعارف ١٤٩ وجرّ الذيل ١٠٣ ـ ١٠٩ .

(٢) عمل اليوم واللّيلة ١٦٨ (٣٤٦) .

رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَّمَنِي دُعاءً أَقُولُهُ، لا أَخافُ مَعَهُ من شَيْطَانٍ وَلا سُلْطَانٍ وَلا سَبُعٍ؛ فَقَالَ : يَا أَبَا حَمزَةَ ، عَلِّمْهُ ابنَ أَخِيكَ - يَعنِي ابنَهُ محمَّد بن الحجّاجِ - فَأَبَيْتُ عَلَيهِ ، فقَالَ لابنِهِ : ائْتِ عَمَّكَ أَنساً ، فَاسْأَلْهُ أَنْ يُعَلِّمَكَ ذَلِكَ .

قَالَ أَبان : فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفاةُ ، دَعانِي ، فَقَالَ : يَا أَبَا أَحمد ، إِنَّ لَكَ إِلَيَّ انْقِطاعاً ، وَقَدْ وَجَبَتْ حُرْمَتُكَ ، وَإِنِّي مُعَلِّمُكَ الدُّعَاءَ الَّذِي عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَلا تُعَلِّمْهُ من لا يَخافُ اللهَ ؛ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .

وَهُوَ هَذَا الدُّعَاءُ المُبارَكُ : « اللهُ أَكبرُ ، اللهُ أَكبرُ ، اللهُ أَكبرُ ، بسمِ اللهِ عَلَى نَفْسِي وَدِيْنِي ، بِسْمِ اللهِ عَلَى أَهْلِي وَمَالِي ، بِسْمِ اللهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَعطَانِيهِ رَبِّي ، بِسْمِ اللهِ خَيْرِ الأَسْمَاءِ ، بِسمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ دَاءٌ ، بِسمِ اللهِ الذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ، بِسمِ اللهِ افْتَتَحْتُ ، وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ ، اللهُ اللهُ رَبِّي ، لا أُشْرِكُ بِهِ شَيئاً .

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِخَيْرِكَ من خَيْرِكَ الذِي لا يُعْطِيهِ أَحَدٌ غَيْرُكَ .

عَزَّ جارُكَ ، وَجَلَّ ثَناؤُكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ، اجْعَلْنِي في عِبادِكَ ، وَاحْفَظْنِي من شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ خَلَقْتَهُ ، وَأَحْتَرِزُ بِكَ من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْتَرِسُ بِكَ من شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ خَلَقْتَهُ، وَأَحْتَرِزُ بِكَ مِنهم، وَأُقَدِّمُ بينَ يَدَيَّ: بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] وَمِن خَلْفِي مِثْلُ ذَلِكَ ، وَعن يَمِينِي مِثْلُ ذَلِكَ ، وَعن يَسَارِي مثلُ ذَلِكَ ، وَمِن فَوْقِي مِثْلُ ذَلِكَ ، وَمِن تَحتِي مِثْلُ ذَلِكَ .

● مَسأَلَةٌ[١] : قَالَ شَيْخُ الإِسلامِ تَقِيُّ الدِّيْنِ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : وَرَدَ مِثالٌ كَرِيمٌ ، مِمَّن هُوَ حَقِيقٌ بِالتَّبجِيلِ والتَّعظِيمِ ، يَتَضَمَّنُ السُّؤَالَ عن الخَيْلِ :

---

(١) المسألة وجوابها ، في جزّ الذيل ١١٣ - ١١٦ .

هَل كَانَت قبلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَو خُلِقَتْ بَعدَهُ ؟ وَهَلْ خُلِقَ الذُّكُورُ قبلَ الإِناثِ ، أَوِ الإِناثُ قَبلَ الذُّكُورِ ؟ وَهَلِ العَرَبيّاتُ قَبْلَ البَراذِينِ ، أَوِ البَراذِينُ قَبْلَ العَرَبيّاتِ ؟ وهل وَرَدَ في الحَدِيثِ ، أَوِ الأَثَرِ ، أَوِ السِّيَرِ ، أَوِ الأَخْبَارِ ، ما يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ؟ .

وَالجَوابُ : إِنّا نَختَارُ أَنَّ خَلْقَ الخَيْلِ ، كان قَبلَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِيَومينِ أَو نَحوهما ، وَأَنَّ خَلْقَ الذُّكُورِ قَبلَ الإِناثِ ، وَأَنَّ العَرَبياتِ قَبلَ البَراذِينِ .

أَمَّا قَولُنا : إِنّ خَلْقَهَا كان قَبْلَ خَلْقِ آدَم : فَلِآيَاتٍ فِي القُرآنِ ، سَنَذْكُرُها آيَةً آيَةً ، وَنَذْكُرُ وَجْهَ الاسْتِدْلالِ ، وَالمَعْنَى فِيهِ .

وَهُوَ أَنَّ الرَّجُلَ الكَبِيرَ يُهَيَّأُ لَهُ ما يَحْتاجُ إِلَيهِ قَبلَ قُدُومِهِ . قَالَ تَعالَى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] فَالأَرْضُ وَكُلُّ ما فِيها مَخلوقٌ لآدم وَذُرِّيَّتِه إِكْراماً لَهُمْ ، وَمِن كَمَالِ إِكرامِهِمْ وُجُودُها قَبْلَهُمْ ، فَجَمِيعُ ذَلِكَ مُقَدَّمٌ عَلَى خَلْقِهِ ؛ ثُمَّ كان خَلْقُ آدَمَ بعدَ ذَلِكَ آخِرَ الخَلْقِ ، لأَنَّهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَشْرَفُ الخَلْقِ ؛ أَلا تَرَى أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَشْرَفُ من الجَمِيعِ ، وَلِذَلِكَ كان آخِراً ، لأَنَّ بِهِ ﷺ تَمَّ كَمَالُ الوُجُودِ ، وَمَا سِوَى آدَم مِمّا هُيِّىءَ لَهُ حَيوانٌ وَجَمادٌ ؛ وَالحَيْوانُ أَشْرَفُ من الجَمادِ ، وَالخَيْلُ من أَشْرَفِ الحَيَوانِ غَيرِ الآدَمِيِّ ، فَكَيْفَ يُؤَخَّرُ خَلْقُها عنهُ ؟ .

فَهَذِهِ الحِكْمَةُ تَقْتَضِي تَقْدِيمَ خَلْقِها مع غَيرِها من المَنافِعِ .

وَإِنَّما قُلْنا : بِيَوْمَيْنِ أَوْ نَحوهما ، لِحَدِيثٍ وَرَدَ فِيهِ ، يَتَضَمَّنُ أَنَّ بَثَّ الدَّوابِّ يَوْمَ الخَمِيسِ ؛ وَالحَدِيثُ في « الصَّحِيح » لكن فِيهِ كَلامٌ ؛ وَلا شَكَّ أَنَّ خَلْقَ آدَمَ عليهِ السَّلامُ كان يوم الجُمعةِ ، وَالحَدِيثُ المَذْكُورُ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ بعد العَصْرِ ، فَلِذَلِكَ قُلْنا : إِنَّهُ بِيومينِ أَوْ نَحوِهما عَلَى التَّقْرِيبِ .

وَأَمَّا التَّقَدُّمُ ، فَلا تَرَدُّدَ فِيهِ ، وَالمعنى فِيهِ قد ذَكَرناهُ .

وَأَمَّا الآيَاتُ التي تَدُلُّ لَهُ : فَمِنها قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة : ٢٩] وَوَجْهُ الاسْتِدلالِ أَنَّ الآيَةَ الكَرِيمَةَ اقْتَضَتْ خَلْقَ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً قَبلَ تَسوِيَةِ الرَّحمَنِ السَّمَاءَ ، وَمِن جُملةِ ما فِي الأَرْضِ الخَيْلُ ؛ فَالخَيْلُ مَخْلُوقَةٌ قَبلَ تَسوِيَةِ السَّمَاءِ ، عَمَلاً بالآيَةِ ، وَدَلالَةً ، ثُمَّ عَلَى التَّرتِيبِ ؛ وَتَسوِيَةُ السَّمَاءِ قبلَ خَلْقِ آدم عليه السَّلامُ ، لأَنَّ تَسْوِيَةَ السَّمَاءِ كانَت في جُملةِ الأَيَّام السِّتَّةِ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ إِلى قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النَّازعات : ٢٨ ـ ٣٠] .

وَدَلالَةُ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ المُجْمَع عَلَيْهِ ، عَلَى أَنَّ خَلْقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ يومَ الجُمعةِ بعد كَمَالِ المَخلوقاتِ . إِمَّا آخِرَ الأَيَّام السِّتَّةِ ، إِنْ قُلْنا : إِنَّ ابْتِدَاءَ الخَلْقِ يَوْمُ الأَحَدِ ، كَمَا يَقُولُهُ المُؤَرِّخُونَ وَأَهْلُ الكِتَابِ ، وَهُوَ المَشْهُورُ عِندَ أَكْثَرِ النَّاسِ ؛ وَإِمَّا في اليَومِ السَّابِعِ ، فَهُوَ خارِجٌ عن الأَيَّامِ السِّتَّةِ كَمَا يَقتَضِيهِ الحَدِيثُ الذي أَشَرْنا إِلَيْهِ فِيْمَا سَبَقَ ، الذِي في « صَحِيح مُسلِمٍ » الذِي صَدْرُهُ « إِنَّ اللهَ تَعالَى خَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ »[1] وإِن كان فِيهِ كَلامٌ .

وَأَمَّا تَأَخُّرُ خَلْقِ آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ ، فَلا كَلامَ فِيهِ ؛ فَثَبَتَ بِهَذَا أَنَّ خَلْقَ الخَيْلِ قَبلَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهِيَ من جُمْلَةِ المَخْلُوقَاتِ في الأَيَّامِ السِّتَّةِ ، لا كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الجَهَلَةِ الكَفَرَةِ ، وَيَروِي فِيهِ أَحادِيثَ مَوْضُوعَةً لا تَصدُر إِلاّ عن أَسْخَفِ المَجانِينِ ، لا حَاجَةَ بِنا إِلى ذِكْرِها .

وَمِنَ الآيَاتِ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٨٩) .

﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣] .

وَجْهُ الاسْتِدلالِ بِهَذِهِ الآيَةِ : أَنَّ الأَسْمَاءَ كُلَّها إِمّا أَن يُرادَ بِهَا نَفْسُ الأَسْمَاءِ ، أَو صِفَاتُ المُسَمَّيَاتِ وَمَنافِعُها ؛ وَعَلَى كِلا التَّقْدِيرينِ ، فَالمُسَمَّيَاتُ مَوْجُودَةٌ في ذَلِكَ الوَقتِ للإِشَارَةِ إِلَيها بِقَولِهِ : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وَمِن جُملةِ المُسَمَّياتِ : الخَيْلُ ، فَلتكُنْ مَوْجُودَةً حِينَئِذٍ .

وَالأَسْمَاءُ عامٌّ بالأَلِفِ وَاللاَّمِ ، مُؤَكَّدَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿كُلَّهَا﴾ فَتقَوَّى العُمُومُ فِيهِ ، وَالمُسَمَّياتُ لا بُدَّ من إِرادَتِها بِقَولِهِ تَعالَى : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ وَقوله تَعالَى : ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فَهَذَا دَلِيلٌ قاطِعٌ في ذَلِكَ ، وَالعُمُومُ شَامِلٌ لِلخَيْلِ .

فَمَن رَأَى دِلالَةَ العُمُوم قَطعِيَّةً ، يَقْطَعُ بِدُخُولِها ؛ وَمَن لا يَرَى ذَلِكَ يَسْتَدِلُّ بِهِ فِيهِ ، كَمَا يَسْتَدِلُّ بِسَائِرِ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ .

وَمِنَ الآياتِ قَولُه تَعَالَى في سُورَةِ « الم تنزيل » ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السَّجدة : ٤] .

وَجْهُ الاسْتِدلالِ اقْتِضَاؤهاخَلْقَ ما بَيْنَهُما فِي السِّتَّةِ ؛ وَقد قلنا : إِنَّ خَلْقَ آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ خَارِجٌ عن الأَيَّامِ السِّتَّةِ بعدَها ، أَوْ حاصِلٌ في آخِرِها بعدَ خَلْقِ غَيْرِهِ ، كَمَا سَبَقَ .

وَمِنَ الآيَاتِ قَولُه تَعالَى في « سُورة ق » : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق : ٣٨] . وَجْهُ الاسْتِدلالِ بها ، ما قَدَّمْناهُ فِيما قَبْلَها ؛ فَهَذِهِ أَرْبَعُ آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ، فِيها كِفَايَةٌ .

وَقد جَاءَ عن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ فِي الإِسرائِيلِيّاتِ : أَنَّ الخَيلَ خُلِقَتْ من رِيحِ الجُنوبِ ، وَذَلِكَ لا يُنافِي ما قُلْناهُ ، وَلا نَلْتَزِمُ صِحَّتَهُ ؛ لأَنَّا لا نُصَحِّحُ إِلاَّ ما صَحَّ لَنَا عن اللهِ تَعالَى وَرَسُولِهِ ﷺ .

وَقد جَاءَ عن ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ الخيلَ كَانَت وُحُوشاً ،

وَأَنَّ اللهَ تَعالَى ذَلَّلَها لإِسْماعِيلَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ وَذَلِكَ لا يُنافِي ما قُلناهُ ، فقد تكُونُ مَخْلُوقَةً من قِبَلِ آدمَ عَلَيهِ السَّلامُ ، وَاسْتَمَرَّتْ عَلَى وَحْشِيَّتِها إِلى عَهْدِ إِسْماعِيلَ عليهِ السَّلامُ ، أَو كانَتْ تُرْكَبُ فِي وَقْتٍ ثم تَوَحَّشَتْ ، ثم ذُلِّلَتْ لإِسْماعِيلَ عليهِ السَّلامُ ؛ وَليسَ في ذَلِكَ عن النَّبيِّ ﷺ وَلا عن الصَّحابَةِ دَلِيلٌ ؛ فَالمُعتمدُ ما قُلْناهُ من دَلالَةِ القُرْآنِ .

وَالذِي قِيلَ من أَنَّ إِسْماعِيلَ عليهِ السَّلامُ أَوَّلُ من رَكِبَها ، أَمْرٌ مَشْهُورٌ ، وَلَكِنَّ إِسنادَهُ لَيسَ صَحِيحاً حَتَّى نَلتزِمَهُ ؛ وَقد قُلْنا : إِنَّا لا نَلْتَزِمُ إِلاّ ما صَحَّ عن اللهِ تَعالَى وَرَسُولِه ﷺ .

وَفِي « تَفسِيرِ القُرْطبي » من رِوايَةِ التِّرمذيِّ الحَكِيمِ ، عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، قَالَ : لَمّا أَذِنَ اللهُ تَعالَى لإِبراهِيمَ وَإِسماعِيلَ عليهِما الصَّلاةُ وَالسَّلامُ برَفْعِ القَواعِدِ ، قَالَ اللهُ تَبارَكَ وَتعالَى : إِنِّي مُعطِيكُمَا كَنْزاً ادَّخَرْتُهُ لَكُمَا . ثُمَّ أَوحَى اللهُ إِلى إِسماعِيلَ عليهِ السَّلامُ أَنِ اخرُجْ إِلَى أَجْيادَ ، فادْعُ يأْتِكَ الكَنْزُ ؛ فخرج إلى أَجْيادَ ، وَلا يَدْرِي ما الدُّعَاءُ وَلا الكَنْزُ ، فَأَلْهَمَهُ اللهُ تَعالَى الدُّعاءَ ، فَلَم يبقَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَرَسٌ بِأَرْضِ العَرَبِ ، إِلاّ جاءَتْهُ وَأَمْكَنَتْهُ من ناصِيَتِها ، وَذَلَّلَها اللهُ تَعالَى له .

ولو ذَكَرْنَا ما قَالَ النّاسُ في ذَلِكَ ، وَشَرَحْناهُ بطُولِهِ لَطَالَ ؛ فقد تكَلَّمَ النَّاسُ في ذَلِكَ كَثِيراً ، وَذَكَرُوا من خَواصِّ الخَيْلِ وَمَنافِعِها شيئاً كَثِيراً ، لَيسَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِمّا نَلْتَزِمُ صِحَّتَهُ ؛ وَمُطالَبَةُ القاصِدِ بِسُرْعَةِ الجَوابِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ ، تَقْتَضِي الاقْتِصَارَ عَلَى ما قُلْناهُ ، وَفِيهِ كِفايَةٌ .

وَأَمَّا قَوْلُنا : إِنَّ خَلْقَ الذُّكُورِ قبلَ الإِناثِ ؛ فَلأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُما شَرَفُ الذَّكَرِ على الأُنْثَى ، وَالثّانِي حَرارَتُهُ ؛ وإِن كان الاثْنَانِ من جِنْسٍ واحِدٍ ، من مِزاجٍ واحِدٍ ، فَأَحَدُهُما أَكْثَرُ حَرارَةً من الآخَرِ ؛ فقد جَرَت عادَةُ القُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ بتكوِينِ أَقْواهما حَرارَةً قَبلَ الآخَرِ ، وَالذَّكَرُ أَقْوَى حَرارَةً من الأُنْثَى ، فَناسَبَ أَنْ يَكُونَ

وَجُودُهُ أَسْبَقَ ، وَلِتَحْصُلَ المِنَّةُ بِهِ أَكْثَرَ ، وَلِذَلِكَ كان خَلْقُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَبْلَ خَلْقِ حَوّاءَ ؛ وَلأَنَّ أَعْظَمَ ما يُقْصَدُ له الخَيْلُ : الجِهادُ ، وَالذَّكَرُ فِي الجِهادِ خَيْرٌ من الأُنْثَى ، لأَنَّ الذَّكَرَ أَجْرَى وَأَجْرَأُ - أَعْنِي أَشَدُّ جَرْياً ، وَأَقْوَى جَراءَةً - وَيُقاتِلُ مَعَ راكِبِهِ ، وَالأُنْثَى بِخِلافِ ذَلِكَ ، وَقد تَقْطَعُ بصاحِبِها أَحْوَجَ ما يَكُونُ إِلَيها ، إِذا كانَت وَدِيقاً[1] وَرَأَتْ فَحْلاً ، وَلا يُرَدُّ عَلَى ذَلِكَ رُكُوبُ جِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ أُنْثَى لَمّا جازَ البَحْرَ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، لأَنَّ ذَلِكَ لِرُكُوبِ فِرْعَوْنَ فَحْلاً ، فَقَصَدَ طَلَبَهُ لِلأُنْثَى ، وَعَجْزَ فِرْعوْن عن إِمْسَاكِ رَأْسِهِ .

وَأَمَّا قَولُنا : إِنَّ خَلْقَ العَرَبِيّاتِ قَبلَ البَراذِينِ ؛ فَلِمَا ذُكِرَ من حَدِيثِ إِسمَاعِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ ، وَلأَنَّ العَرَبِيّاتِ أَشْرَفُ وآصَلُ ، وَالبِرذَون إِنَّما يَكُونُ بَعارِضٍ أَوْ عِلَّةٍ ؛ إِمّا فِيهِ وإِمّا في أَبيهِ أَو أُمِّهِ ، وَلَم تَكُنِ البَراذِينُ تُذْكَرُ فِيما خَلا من الزَّمانِ ؛ أَلا تَرَى إِلى قِصَّةِ إِسماعِيلَ عليهِ السَّلامُ ، وَقِصَّةِ سُلَيمانَ عليهِ السَّلامُ ؟ وإِنَّما البَراذِينُ ما انْتُحِسَ من الخَيلِ ، حَتى اختلفَ العُلَماءُ : هل يُسْهَمُ لَهُ كَمَا يُسْهَمُ للفَرَسِ العَربيِّ أَوْ لا ؟ .

وَفِي حَدِيثٍ من مَراسيلِ مَكحول ، فِي بعضِ أَلْفاظِهِ : « لِلفَرَسِ سَهْمانِ ، وَلِلهَجِينِ سَهْمٌ » . فَهَذِهِ الرِّوايَةُ تَقْتَضِي أَنَّ الهَجِينَ لا يُسَمَّى فَرَساً .

وَالهَجِينُ : هُوَ البِرْذَوْنُ أَوْ قَرِيبٌ مِنه ؛ وَبالجُمْلَةِ : البَراذِيْنُ حُثالَةُ الخَيْلِ ، وَمَا كان اللهُ تَعالَى لِيَخْلُقَ من الجِنْسِ حُثالَةً في الأَوَّلِ .

وَأَمَّا الأَحادِيثُ النَّبَوِيَّةُ ، وَالآثارُ الصَّحِيحَةُ ، فَإِنَّ ما جَاءَ مِنها فِي فَضِيلَةِ الخَيْلِ وَسِباقِها وَغَايَاتِها ، وَشِياتِها ، وَفَضِيلَةِ اتِّخاذِها ، وَبَرَكَتِها ، وَالنَّفَقَةِ عَلَيها ، وَخِدْمَتِها ، وَمَسْحِ نَواصِيْها ، وَالْتِمَاسِ نَسْلِها وَثَمَنِها وَنمائِها ، وَالنَّهْيِ عن خِصَائِها ، وَجَزِّ نَواصِيْها وَأَذْنابِها وإِزالَتِها ، وَفِيْمَا يُقْسَمُ لَهَا وَلِصاحِبِها من

(١) الفرس الوديق : هي التي أرادت الفحل . (القاموس) .

الغَنِيمَةِ ، وَاخْتِلافِ العُلَمَاءِ فِيهِ ، وَهَل يَجِبُ فِيْها زَكاةٌ أَو لا ؟ وَغَيرِ ذَلِكَ ، أَضْرَبْنا عَنْهُ لِلعَجَلَةِ .

وَهَذِهِ نُبْذَةٌ يَسِيرَةٌ ، كَتَبْتُها عَلَى سَبِيلِ العَجَلَةِ في سَاعَةٍ من النَّهارِ ، لِعَجَلَةِ المُطَالِبِ بها ، وإِنِ اخْتَرْتُم كَتَبْتُ فِيها كِتاباً مُسْتَقِلاً إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى .

الحُكْمُ : أَكْلُ لُحومِ الخَيْلِ ، يَأتي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الفَاءِ » في لَفظِ « الفَرَسِ » .

وَذَكَرَ الصَّيْمَرِيُّ في « شَرحِ الكِفَايَةِ » أَنَّهُ لا يَجُوزُ بَيْعُها لأَهْلِ الحَرْبِ كَالسِّلاحِ ، وَيُكْرَهُ أَنْ تُقَلَّدَ الأَوْتَارُ لِمَا رَوَى « البُخَارِيُّ » وَ« مُسلمٌ » و« أَبُو داود » و« النَّسائِيُّ »[1] عن أَبِي بَشِيرِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن ذلك » .

قَالَ الخَطَّابيُّ : وَأَمْرُهُ ﷺ بقَطْعِ قَلائِدِ الخَيْلِ ، قَالَ مَالِكٌ : أَراهُ من أَجْلِ العَيْنِ ؛ وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّما أَمَرَ بِقَطْعِها ، لأَنَّهُمْ كانُوا يُعَلِّقُونَ فِيها الأَجْراسَ ؛ وَقَالَ آخَرُونَ : لِئَلاَّ تَخْتَنِقَ بها عِندَ شِدَّةِ الرَّكْضِ .

وَيُحْتَمَلُ أَن يَكُونَ أَرادَ عينَ الوَتَرِ خَاصَّةً ، دُونَ غَيْرِهِ من السُّيُورِ والخُيُوطِ .

وَقِيلَ : معناهُ : لا تَطْلُبُوا عليها الأَوْتَارَ والذُّحُولَ ، وَلا تُرْكضوها في دَرْكِ الثَّأرِ عَلَى ما كَانَ من عاداتِهِم فِي الجاهِلِيَّةِ .

وَالسَّبْقُ فِيها مُعْتَبَرٌ بالأَعْناقِ ، وَفِي الإِبِلِ بالأَكْتَافِ ؛ لأَنَّ الإِبِلَ تَرْفَعُ أَعْنَاقَها في العَدْوِ ، فَلا يُمْكِنُ اعْتِبَارُ مَدِّها ، وَالخَيْلُ تَمُدُّها ؛ وَالمُرادُ : إِذا اسْتَوَتْ أَعْناقُها في الطُّولِ والقِصَرِ وَالارْتِفاعِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ[2] : « بُعِثْتُ أَنا

---

(١) لم يرد ذلك في الصَّحيحين ، وهو في أَبي داود (٢٥٥٢ و٢٥٥٣) والنّسائيّ (٣٥٦٥) ومسند أحمد ٣/ ٣٥٢ و ٤/ ٣٤٥ وغريب الحديث للخطابي ١/ ٤٢٣ .

(٢) مسند أحمد ٥/ ٣٣١ .

وَالسَّاعَةُ كَفَرَسَيْ رِهانٍ كَادَ أَحَدُهُما أَنْ يَسْبِقَ الآخَرَ بِأُذُنِه » .

● وَفِي « المستدركِ » وَ« سُنَنِ أَبِي داود » و« ابنِ ماجه » و« مُسْنَد أَحمد »[1] من حَدِيثِ أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَن أَدْخَلَ فَرَساً بَينَ فَرَسَينِ ، وَلا يَأْمَنُ أَنْ يَسْبِقَ ، فَلَيْسَ بِقِمارٍ ؛ وَمَنْ أَدْخَلَ فَرَساً بَيْنَ فَرَسَيْنِ ، وَقَدْ أَمِنَ أَنْ يَسْبِقَ ، فَهُوَ قِمارٌ » .

وَالصَّحِيْحُ أَنَّ الذِّمِّيَّ يُمْنَعُ من رُكُوبِها ، لِقَولِه تَعالَى : ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] فَأَمَرَ أَوْلِيَاءَهُ بِإِعْدَادِها لأَعْدائِه ، وَلأَنَّ ظُهُورُها عِزٌّ ، وَهُم ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةَ .

وَفِي وَجْهٍ : أَنَّهُمْ لا يُمْنَعُونَ وَيُنْسَبُ لأَبِي حَنيفةَ مثلُهُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو محمَّد الجُوَيْنِيّ : يُمْنَعُونَ من الشَّرِيْفَةِ دُونَ البَراذِيْنِ الخَسِيْسَةِ .

وَأَلحَقَ الإِمامُ الغَزاليُّ البِغَالَ النَّفِيْسَةَ بِالخَيْلِ ؛ وَجَزَمَ بِهِ الفَورانيُّ ، وَلَمْ يُقَيِّدْهُ بِالنَّفِيْسَةِ .

وَلا زَكاةَ في الخَيلِ عِند الجُمهورِ ، لِقَوْلِه ﷺ[2] : « لَيسَ عَلَى المُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ ولا فَرَسِه صَدَقَةٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْه .

وَأَوْجَبَها أَبُو حَنِيفَةَ في إِناثِها المُنْفَرِدَةِ أَوِ المُجْتَمِعَةِ مَعَ الذُّكُورِ ، فَعِندَ ذَلِكَ صَاحِبُها بِالخيارِ إِنْ شَاءَ أَعْطَى عن كُلِّ فَرَسٍ دِيْناراً ، وإِنْ شَاءَ قَوَّمَها وَأَعْطَى من كُلِّ مِئَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةَ دَراهِمَ ؛ وإِن كانَتْ ذُكُوراً مُنْفَرِدَةً ، فَلا شَيْءَ فِيْها .

---

(١) المستدرك ٢/ ١١٤ وأبو داود (٢٥٧٩) وابن ماجه (٢٨٧٦) ومسند أحمد ٢/ ٥٠٥ وفضل الخيل ١٣٠ .

(٢) البخاري ٢/ ١٢٧ ومسلم (٩٨٢) وأبو داود (١٥٩٤ و ١٥٩٥) والترمذيّ (٦٢٨) والنسائيّ (٢٤٦٧ ـ ٢٤٧٠) وابن ماجه (١٨١٢) .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « الخَيْلُ مَيامين » : أَي مُبارَكَاتٌ .

وَقَالُوا[2] : « الخَيْلُ أَعْلَمُ بِفُرْسَانِها » يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ الذِي يُظَنُّ أَنَّ عِنْدَهُ غَنَاءً وَلا غَنَاءَ عِنْدَهُ .

● وَمِن كَلِمَاتِ النَّبيِّ ﷺ التِي لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْها ، قَوْلُهُ : « يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي »[3] . قَالَها يَوْمَ حُنَيْنٍ ، في حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ « مُسْلِمٌ » ، وَهُوَ عَلَى حَذْفِ مُضافٍ ، أَرادَ ﷺ : يَا فُرْسَانَ خَيْلِ اللهِ ارْكَبِي ؛ وَهُوَ من أَحْسَنِ المَجَازاتِ [وَأَلْطَفِها] . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء : ٦٤] .

قَالَ الجاحِظُ في كِتابِ « البيانِ وَالتَّبيينِ »[4] عن يُونس بن حبيب ، أَنَّه قَالَ : لَمْ يَبْلُغْنا من بَدائِعِ الكَلامِ ما بَلَغَنا عن النبيِّ ﷺ وغُلِّطَ في هذا الحديث ، ونُسِبَ إلى التَّصحيف ؛ وإنّما قال القائل : ما بلغنا عن البَتِّي ، يُرِيدُ عُثمان البَتِّيّ ، فَصَحَّفَ الجاحِظُ .

قَالُوا : وَالنَّبيُّ ﷺ أَجَلُّ من أَنْ يُخْلَطَ مَع غَيْرِهِ من الفُصَحَاءِ ، حَتَّى يُقَالَ : ما بَلَغَنا عنهُ من الفَصَاحَةِ أَكْثَرَ من الذِي بَلَغَنا عن غَيْرِهِ ؛ كَلامُهُ أَجَلُّ من ذَلِكَ وَأَعْلَى ﷺ .

الخَواصُّ : الخَيْلُ إِذا سُقِيَتِ الزَّرْنِيخَ الأَحْمَرَ ، قَتَلَها .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى بَيَانُ ذَلِكَ في « بابِ الفاءِ » في « لَفْظِ الفَرَسِ » وَيَأْتِي طَرَفٌ من خَواصِّهِ .

---

(١) الميداني ١/ ٢٤٧ والعسكري ١/ ٤١٩ .

(٢) الميداني ١/ ٢٣٨ والعسكري ١/ ٤١٨ وحمزة ٢/ ٤٥٤ والزمخشري ١/ ٣١٦ .

(٣) عن النهاية ٢/ ٩٤ والزيادة منه .

(٤) البيان والتبيين ٢/ ١٨ و ٤/ ٣٩٤ .

التَّعْبِيرُ[1] : الخَيْلُ في المَنامِ : قُوَّةٌ ، وَزِينَةٌ ، وَعِزٌّ ؛ وَهِيَ أَشْرَفُ ما رُكِبَ من الدَّوابِّ .

فَمَنْ رَأَى عِنْدَهُ مِنها شَيْئاً ، نَالَ قُوَّةً وَعِزّاً ؛ وَرُبَّمَا دَلَّ ذَلِكَ عَلى اتِّسَاعِ حالِهِ ، وإِدْرارِ رِزْقِهِ ، وَانْتِصارِهِ عَلَى أَعْدائِهِ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران : ١٤] .

وَرُبَّما ظَفرَ بِعَدُوِّهِ ، لِقَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وَمَن رَأَى خَيْلاً تَتَطايَرُ في الهَواءِ : فإِنَّها فِتْنَةٌ .

وَلا خَيْرَ في رُكُوبِ الخيلِ في غَيرِ مَحَلِّ الرُّكُوبِ ، كَالسَّطْحِ وَالحائِطِ ونَحْوِهما .

وَخَيْلُ البَرِيدِ في الرُّؤْيا : قُرْبُ أَجَلِ من رَكِبَها .

وَسَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى تَتَمَّةُ الكَلامِ في « بابِ الفَاءِ » في لَفْظِ « الفَرَسِ » كَمَا وَعَدْنا ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

● وَمِمَّا جُرِّبَ لِمَغْلِ[2] الخَيْلِ وَالدَّوابِّ : أَنْ يُكْتَبَ عَلَى الحَوافِرِ الأَرْبَعِ : بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة : ٢٦٦]. عجفون عجفون عجفون شاشيك شاشيك شاشيك .

وَأَيْضاً يُكْتَبُ لِحَمَرِ الخَيْلِ وَالدَّوابِّ[3] ، وَيُعَلَّقُ عَلَيْها ، وَقَدْ جُرِّبَ ، ولا

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٧١ وتفسير الواعظ ٢٦٦ .

(٢) المَغْلُ : وجعٌ في بطن الدَّابَّة ، لأكلها التُّراب من البقل . (القاموس) .

(٣) حَمِرَ الفَرَسُ ـ كَفَرِحَ ـ : سَنِقَ من أكل الشَّعيرِ ، أو تغيَّرت رائحةٌ فيه . (القاموس) .

طلهه هو هو هو رهست هر هر هر هر هر وهو هو هو هو هو ه ه ه ه ه
أمهاهيا لولوس درر وبر حفرب ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ .

٣٠٤ أُمُّ خَنُّور[١] : عَلَى وَزْنِ التَّنُّورِ وَالسَّفُّودِ : الضَّبُعَ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الضَّادِ المُعْجَمَةِ » الكَلامُ عَلَيْهِ ، وَاللهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ .

---

(١) المرصع ١٥٧ ، ويقال : أُم خِنَّوْرٍ . بوزن سِنَّوْرٍ .

بابُ الدّالِ المُهْمَلَةِ

٣٠٥ الدَّابَّةُ : ما دَبَّ من الحَيْوانِ كُلِّه ؛ وَقد أَخْرَجَ بعضُ النّاسِ مِنها الطَّيْرَ ، لِقَولِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام : ٣٨] . وَرُدَّ [بِأَنَّ الطَّيْرَ قد يَدبُّ عَلَى الأَرْضِ في بَعْضِ حالاتِهِ ، و][1] بقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هُود : ٦] .

قَالَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّيْنِ ابن عَطَاءِ الله رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : وَهَذِهِ الآيَةُ مُصَرِّحَةٌ بِضَمانِ الحَقِّ الرِّزْقَ ، وَقَطَعَتْ وُرُودَ الهَواجِسِ والخَواطِرِ عن قُلُوبِ المُؤْمِنِيْنَ ؛ فإِن وَرَدَتْ عَلَى قُلُوبِهم ، كَرَّتْ عَلَيْها جُيُوشُ الإِيمانِ باللهِ تَعالَى والثِّقَةِ بِهِ ، فَهَزَمَتْها ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

وَلأَنَّ الطَّيْرَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ بِرِجْلَيْهِ في بعضِ حالاتِهِ ، قَالَ الأَعْشَى[2] :

[من الطَّويل]

نِيافٌ كَغُصْنِ البَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ ... دَبِيْبَ قَطَا البَطْحَاءِ في كُلِّ مَنْهَلِ[3]

وَقَالَ تَعالَى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٦٠] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢] قَالَ ابنُ عَطِيَّةَ : مَقْصُودُ الآيَةِ أَن يُبَيِّنَ أَنَّ هَذِهِ

---

(١) ما بين معقوفتين من ب .

(٢) ديوانه ٤٠٣ .

(٣) في أ : . . . تهتزُّ إن مَشَتْ × . وفي الأُصول : بنات . . . × ! .

الطّائِفَةَ العاتِيَةَ من الكُفَّارِ ، هِيَ شَرُّ النّاسِ عِند اللهِ تَعالَى ، وأَنَّها في أَخَسِّ المنازِلِ لَدَيْهِ ؛ وَعَبَّرَ بالدَّوابِّ لِيَتَأَكَّدَ ذَمُّهُمْ ، وَلِيُفَضِّلَ الكَلْبَ وَالخِنزِيرَ والفَواسِقَ الخَمْسَ وَغيرَها عَلَيهم .

وَالدَّوابُّ : كُلُّ ما دَبَّ ، فَهُوَ يَجْمَعُ الحَيوانَ بِجُمْلَتِهِ .

● وَفِي « الصَّحِيحينِ »[١] عن أَبي قَتادةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ مُرَّ عَلَيهِ بِجَنازَةٍ ، فَقَالَ : « مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَراحٌ مِنه » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، ما المُسْتَرِيحُ والمُسْتَراحُ منهُ ؟ فَقَالَ ﷺ : « العَبْدُ المُؤْمِنُ مُسْتَرِيْحٌ من وَصَبِ الدُّنْيَا وَنَصَبِها إِلى رَحْمَةِ الله تَعالَى ، والعَبْدُ الفاجِرُ تَسْتَرِيحُ مِنهُ العِبادُ والبِلادُ والشَّجَرُ وَالدَّوابُّ » .

● وَفِي « سُنَنِ أَبي داود » و« التِّرمذيّ » و« النَّسائيّ »[٢] بِأَسانِيدَ صَحِيحَةٍ ، عن إِبْراهِيم بن محمَّد عن أَبي سَلَمَةَ ، عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَا مِن دابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُصِيْخَةٌ يوم الجُمُعَةِ ، خَشْيَةَ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ » . يُرْوَى : مُصِيْخَةٌ وَمُسِيْخَةٌ ، بِالصَّادِ والسِّيْنِ ، وَالأَصْلُ الصَّادُ ، وَمَعْناهُما : مُنْصِتَةٌ مُسْتَمِعَةٌ .

● وَفِي « الحِلْيَةِ »[٣] في تَرْجَمَةِ أَبي لُبابَةَ الأَنْصاريّ ، رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ، وَهُوَ من أَهْلِ الصُّفَّةِ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ يومَ الجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ ، وَأَعْظَمُها عِند اللهِ تَعالَى من يوم الفِطْرِ وَيَوْمِ الأَضْحَى ؛ ما مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، وَلا سَماءٍ ، وَلا أَرْضٍ ، وَلا جِبَالٍ ، وَلا رياح ، وَلا بَحْرٍ ، إِلاّ وَهُوَ مُشْفِقٌ من

---

(١) البخاري ٧/ ١٩٢ ومسلم (٩٥٠) والنَّسائي (١٩٣٠ و ١٩٣١) والموطأ ١/ ٢٤١ ومسند أحمد ٥/ ٢٩٦ و ٣٠٢ ـ ٣٠٣ و ٣٠٤ .

(٢) مضى تخريج الحديث في « الحوت » .

(٣) كذا قال المؤلِّف رحمه الله ! . وليس لأَبي لبابة ترجمة في الحلية . وهذا الحديث في مسند الإمام أحمد ٣/ ٤٣٠ .

يَوْمِ الجُمُعَةِ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ » .

● وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ »[1] عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ : أَخَذَ النَّبيُّ ﷺ بيَدِي ، وَقَالَ : « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخلَقَ فِيْها الجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلاثَاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يومَ الأَرْبعاءِ ، وَبَثَّ فِيها الدَّوابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ بَعْدَ العَصْرِ من يَوْمِ الجُمُعَةِ ، في آخر ساعةٍ من ساعات الجمعة ، فِيمَا بينَ العَصْرِ إِلى المَغْرِبِ » .

واعْلَمْ أَنَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعالَى يَخْلُقُ ما يَشَاءُ بِلا كُلْفَةٍ وَنَصَبٍ ، وَيَخْتَارُ ما يَشَاءُ بِلا زُلْفَةٍ وَسَبَبٍ ؛ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ بِلا عِلاجٍ ، وَيَخْتَارُ ما يَشَاءُ بِلا احْتِيَاجٍ ؛ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ عَلَماً عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَخْتَارُ ما يَشَاءُ دَلالَةً عَلَى وَحْدَانِيَّتِه ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ والجاحِدُونَ عُلُوّاً كَبِيراً .

● وَفِي « كامِلِ ابنِ الأَثِيرِ »[2] : أَنَّ كِسرى كان له خمسونَ أَلف دابَّةٍ ، وَاثنا عَشَرَ أَلف امرَأَةٍ ، وَقيل : ثَلاثَةُ آلافِ امْرَأَةٍ .

● غَرِيْبَةٌ : فِي « تاريخِ ابنِ خلّكان »[3] في تَرْجَمَةِ « رُكْنِ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهِ » : أَنَّهُ حَارَبَ عَدُوّاً لَهُ[4] ، وَضَاقَتِ المِيْرَةُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ حَتّى ذَبَحُوا دَوَابَّهُمْ ، وَلَوْ أَمْكَنَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ الانْهِزامُ لَفَعَلَ ؛ فاستَشَارَ وَزِيرهُ أَبَا الفَضلِ ابنَ العَمِيدِ في الهَرَبِ ، فَقَالَ : لا مَلجَأَ لَكَ إِلاّ إِلى اللهِ تَعالَى ، فَانْوِ للمُسلِمِينَ خَيراً ، وَصَمِّمِ العَزْمَ عَلَى حُسْنِ السِّيرةِ والإِحسانِ ، فَإِنَّ الحِيَلَ البَشَرِيَّةَ كُلَّها

---

(١) مسلم (٢٧٨٩) ومسند أحمد ٢/ ٣٢٧ . وقد مضى .

(٢) الكامل ١/ ٤٩٢ عن تاريخ الطَّبري ٢/ ٢١٥ . وكسرى هو أبرويز .

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ١١٨ ـ ١١٩ .

(٤) هو منصور بن قراتكين .

تَقَطَّعَتْ بنَا ؛ وَإِنِ انهَزَمْنا تَبِعُونا وَقَتَلُونا ، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنّا ؛ فَقَالَ : قد سَبَقْتُكَ إلى هَذَا يَا أَبا الفَضْلِ .

قَالَ أَبُو الفَضْلِ : ثُمَّ إِنَّ رُكْنَ الدَّوْلَةِ اسْتَدعَانِي في تِلكَ اللَّيلَةِ ، في الثُّلُثِ الأَخِيرِ ، وَقَالَ : رَأَيْتُ السَّاعَةَ في مَنامِي ، كَأَنِّي عَلى دابَّتِي فَيروز ، وَقَدِ انْهَزَمَ عَدُوُّنا ، وَأَنتَ تَسِيرُ إلى جانِبِي ، وَقد جَاءَنا الفَرَجُ من حَيْثُ لا نَحْتَسِبُ ، فَمَدَدْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ عَلَى الأَرْضِ خاتَماً فَأَخَذْتُهُ ، فإِذا فَصُّهُ فَيروزَجٌ ، فجعلته في أُصبَعِي ، وَتَبَرَّكْتُ بِهِ ، فانْتَبَهْتُ وَقد أَيْقَنتُ بِالظَّفَرِ ، فإِنَّ الفَيْروزج : الفَرَجُ جَاءَ ، ومَعْناهُ الظَّفَرُ ، وَكَذَلِكَ لَقَبُ الدَّابَّةِ فَيروز .

قَالَ ابنُ العَمِيدِ : فَلَمْ أَبْرَح إِذْ أَتانَا الخَبرُ والبِشَارَةُ بِأَنَّ العَدُوَّ قد رَحَلَ ، وَتَرَكُوا خِيَامَهُمْ ؛ فَمَا صَدَّقْنا حَتَّى تَواتَرَتِ الأَخْبَارُ ، فَرَكِبْنَا وَلا نَعْرِفُ سَبَبَ هَزِيمَتِهِم ، وَسِرْنا حَذِرَيْنِ من كَيْدِهم وَمَكْرِهِم ، وَسِرْتُ إِلى جانِبِهِ وَهُوَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيروز ، فَصَاحَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بِغُلامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ : نَاوِلْنِي ذَلِكَ الخاتَمَ ؛ فَأَخَذَ خاتَماً من الأَرْضِ ، فَناوَلَهُ إِيّاهُ ، فإِذا هُوَ من فَيروزجٍ ، فَجَعَلَهُ فِي أُصبَعِهِ ، وَقَالَ : هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ ، وَهَذَا هُوَ الخاتَمُ الذِي رَأَيْتُهُ فِي مَنامِي بِعَيْنِهِ .

قَالَ : وَهَذَا من أَعْجَبِ ما يُحْكَى .

وَاسْمُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ : الحَسَنُ أَبُو عَليّ[1] ، وَكَانَ مَلِكاً جَلِيلاً مُهاباً ، وَكَانَ قد مَلَكَ أَصْبَهانَ والرَّيَّ وهَمَذانَ وَجَمِيْعَ عِراقِ العَجَمِ ، وَقَد فَتَحَ أَكْثَرَ البِلادِ وَمَلَكَها ، وَقَرَّرَ قَواعِدَها وَضَبَطَها .

تُوُفِّيَ في المُحَرَّمِ ، سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وثَلاثمئةٍ ، وَكَانَ عُمرهُ تِسعاً وَتِسعِينَ

---

(١) هو أَبو عليّ الحسن بن بُويه بن فَنّاخُسرو الدَّيلميّ ، الملقّب ركن الدَّولة .
ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/١١٨ وسير أعلام النبلاء ١٦/٢٠٣ والوافي بالوفيات ١١/٤١١ والبداية والنهاية ١٥/٣٧٨ والمنتظم ١٤/٢٤٩ .

سَنةً[1] ، وَكانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ أَرْبَعاً وَأَرْبَعِيْنَ سَنَةً .

● وَفِي « شِفاءِ الصُّدُورِ » لابنِ سبعٍ السَّبْتِيّ ، عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا تَضْرِبُوا وُجُوهَ الدَّوابِّ ، فإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ » .

وَقَدْ تَقَدَّمَ عنه حَدِيثٌ في « البَهِيمَةِ » قَرِيبٌ من هَذَا .

● وَفِي كِتابِ « الإِحيَاءِ » في « بابِ كَسْرِ الشَّهْوَتَيْنِ » حَدِيثٌ[2] : « لا يَسْتَدِيرُ الرَّغِيفُ ، وَيُوضَعُ بينَ يَدَيْكَ ، حَتى يَعملَ فِيهِ ثَلاثمئةٍ وَسِتُّونَ صانِعاً ؛ أَوَّلُهُمْ مِيْكَائِيْلُ الذِي يَكِيلُ المَاءَ من خَزَائِنِ الرَّحْمَةِ ، ثُمَّ المَلائِكَةُ التي تُزْجِي سَحاباً ، ثُم الشَّمْسُ ، وَالقَمَرُ ، وَالأَفْلاكُ ، وَمُلُوكُ الهَوَاءِ ، وَدَوابُّ الأَرْضِ ، وَآخَرُ ذَلِكَ الخَبَّازُ ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤ وَالنَّحل : ١٨] .

● وَرَوَى « الإِمامُ أَحمد » والبَيْهَقِيُّ في « الشُّعَبِ »[3] : عن محمَّد بن سِيرين ، قَالَ : خَرَجَتْ دَابَّةٌ تَقْتُلُ النَّاسَ ، فَمَن دَنَا مِنها قَتَلَتْهُ ، فَجاءَ رَجُلٌ أَعْوَرُ ، فقَالَ : دَعُونِي وإِيّاها ، فَدَنا مِنها ، فَوَضَعَتْ رَأْسَها لَهُ حَتى قَتَلَها ، فَقَالُوا : حَدِّثْنا بأَمْرِكَ ، فقَالَ : ما أَصَبْتُ ذَنْباً قَطُّ إِلاَّ ذَنْباً واحِداً بِعَيْنِي هَذِهِ ؛ فَأَخَذْتُ سَهْماً وَفَقَأْتُها بِهِ » .

قَالَ الإِمامُ أَحمدُ : وَلَعَلَّ هَذَا كان جائِزاً في شَرِيعَةِ بَنِي إِسرَائِيل ، أَو فِي شَرِيعَةِ من كان قَبْلَنا ؛ أَمَّا في شَرِيعَتِنا ، فَلا يَجُوزُ فَقْءُ العَيْنِ التي يُنْظَرُ بِها إِلى

---

(١) هذا لا يصحُّ . بل كان عمره اثنتين وثمانين سنةً ؛ لأَنَّ مولده تقديراً في سنة أَربع وثمانين ومئتين كما قالَ ابن خلِّكان . وفي المنتظم والوافي والبداية والنِّهاية : ومُدَّة عمره ثمانٍ وسبعون سنةً .

(٢) إِحياء علوم الدِّين ٣/ ٥٨١ . وقال الحافظ العراقي : الحديث ، لم أَجدْ لَهُ أَصلاً .

(٣) ليس في الزُّهد للإِمام أَحمد ! وهو في شعب الإِيمان ٥/ ٤٣١ رقم (٧١٦٤) .

ما لا يَحِلُّ لَهُ ، لَكِنْ يَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَى من ذَلِكَ ، وَلا يَعُودُ إلَيه .

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلّكان »[1] في تَرجَمَةِ « الرَّبيعِ الجِيْزِيّ » : أَنَّهُ مَرَّ يوماً ، بِسِكَّةٍ من سِكَكِ مِصْرَ ، فَطُرِحَتْ عَلَيه إجّانَةٌ من رَمادٍ ، فَنَزَلَ عن دابّتِه ، وَنَفَضَ ثِيابَهُ ؛ فَقِيلَ لَهُ : أَلا تَزْجُرُهُمْ ؟ فَقَالَ : من اسْتَحَقَّ النَّارَ ، فَصُولِحَ عَلَى الرَّمادِ ، لَمْ يَجُزْ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ .

وَالرَّبيْعُ بن سُلَيمان هَذَا[2] : صاحِبُ الشّافعيِّ ، وَهُوَ أَحَدُ رُواةِ القَولِ الجَدِيدِ عن الشّافِعِيِّ ؛ وَتُوُفّيَ سَنَةَ ستٍّ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ[3] .

وَالجِيْزِيُّ : نِسْبَةً إلى الجِيْزَةِ ، قِبالَة مِصْرَ ، وَالأَهْرامُ في عَمَلِها بِالقُرْبِ مِنْها ، وَهِيَ من عَجائِبِ أَبْنِيَةِ الدُّنْيا .

وَالأَهْرامُ[4] قُبورٌ لِمُلُوكٍ عِظامٍ ، أَرادُوا أَن يَتَمَيَّزُوا بِها عَلَى سائِرِ المُلُوكِ بعدَ مَمَاتِهِمْ ، كَمَا تَمَيَّزُوا عَلَيْهِمْ في حَيَاتِهِم .

قِيلَ : إنَّ المَأْمُونَ لَمَّا وَصَلَ مِصْرَ ، أَمَرَ بنَقْبِ أَحَدِ الهَرَمينِ ، فَنُقِبَ بعدَ جهدٍ شَديدٍ ، وَغَرامَةِ نَفَقَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَوُجِدَ داخِلَهُ مَراقٍ وَمَهاوٍ يَعْسُرُ سُلُوكُها ، وَوُجِدَ في أَعْلاها بَيْتٌ مُكَعَّبٌ ، طُولُ كُلِّ ضِلْعٍ من أَضْلاعِه ثَمانِيَةُ أَذْرُعٍ ، وَفِي وَسَطِهِ حَوْضٌ من صَوّانٍ مُطْبَقٌ ، فِيهِ رِمَّةٌ بالِيَةٌ ، قد أَتَتْ عَلَيْها العُصُورُ ، فَكَفَّ عن نَقْبِ ما سِواهُ .

وَنُقِلَ أَنَّ هِرْمِسَ الأَوَّلَ ، وَهُوَ أَخْنوخ ، وَهُوَ إدرِيس ، اسْتَدَلَّ من أَحوالِ

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٢ .

(٢) ترجمته في : ابن خلّكان وطبقات الفقهاء ٩٩ وطبقات السبكي ١/ ٢٥٩ وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٥٩١ والوافي بالوفيات ١٤/ ٨١ .

(٣) في الأُصول : سنة خمسٍ ومئتين ! ! .

(٤) عن وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٣ . وينظر ثمار القلوب ٢/ ٧٥٣ ومعجم البلدان ٥/ ٣٩٩ والروض المعطار ١٦ ولطائف المعارف ١٦٤ ـ ١٦٥ .

الكَواكِبِ عَلَى كَوْنِ الطُّوفانِ ، فَأَمَرَ بِبُنْيَانِ الأَهْرام .

وَيُقَالُ : إِنَّهُ ابْتَنَاهَا في مُدَّةِ سِتَّةِ أَشهرٍ ، وَكَتَبَ فِيها : قُلْ لِمَن يَأْتِي بَعْدَنا يَهْدِمْها في سِتِّمئَةِ عامٍ ، وَالهَدْمُ أَيْسَرُ من البُنْيَانِ ؛ وَكَسَوْناها الدِّيْبَاجَ ، فَلْيَكْسُها الحُصُرَ ،وَالحُصُرُ أَيْسَرُ من الدِّيْبَاجِ .

● وَقَالَ الإِمامُ أَبُو الفَرَجِ ابنِ الجَوزيّ في « كِتابِ سَلْوَةِ الأَحْزانِ »[1] : وَمِن عَجَائِبِ الهَرَمَيْنِ : أَنَّ سُمْكَ كُلِّ واحِدٍ مِنهما أَرْبعمئة ذِراعٍ ، من رُخامٍ وَمَرْمَرٍ ، وَفِيهَا مَكْتُوبٌ : أَنَا بَنَيْتُها بِمُلْكِي ، فَمَنِ ادَّعَى قُوَّةً فَلْيَهْدِمْها ؛ فإِنَّ الهَدْمَ أَيْسَرُ من البِنَاءِ .

قَالَ ابْنُ المُنادِي : بَلَغَنا أَنَّهُم قَدَّرُوا خَراجَ الدُّنْيَا مِراراً ، فإذا هو لا يَقُومُ بِهَدْمِها ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

● وَفِي « صَحِيْحِ مُسْلِمٍ »[2] وَغَيرِهِ : عن صُهيبٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « كَانَ مَلِكٌ من المُلُوكِ ، وَكَانَ لِذَلِكَ المَلِكِ كاهِنٌ يَكْهَنُ له ـ وَفِي رِوايَةٍ : ساحِرٌ ـ فَقَالَ السَّاحِرُ : إِنِّي قد كَبِرتُ ، وَأَخافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ عَنْكُمْ عِلْمِي ، وَلا يَكُونُ فِيْكُمْ من يَعْلَمُهُ ، فانْظُرُوا لِي غُلاماً فَهِيماً ـ أَو قَالَ : فَطِناً لَقِناً ـ فَأُعَلِّمَهُ عِلْمِي هَذَا ؛ فَنَظَرُوا لَهُ غُلاماً عَلَى ما وَصَفَ ، وَأَمَرُوهُ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ السّاحِرَ ، وَأَن يَخْتَلِفَ إِليه ؛ فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِليه ، وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الغُلامِ راهِبٌ في صَوْمَعَةٍ ـ قَالَ مَعْمَرٌ : أَحسبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوامِعِ يَوْمَئِذٍ كَانُوا مُسلِمِينَ ـ فَجَعَلَ الغُلامُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّما مَرَّ بِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ

---

(١) مروج الذَّهب ٢/ ٩٠ والمصادر السابقة .

(٢) مسلم (٣٠٠٥) والتّرمذيّ (٣٣٤٠ م) وابن حبّان (٨٧٣) ومسند أَحمد ٦/ ١٧ والكامل في التّاريخ ١/ ٤٢٩ وتاريخ الطبري ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢ وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤ ـ ٣٥ والبداية والنهاية ٣/ ٢٣ ـ ٢٨ وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٩٣ .
والمؤلِّف يُلَفِّقُ نصّاً بين روايتي مسلم والتّرمذيّ ! ! .

حَتَّى أَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : إِنَّما أَنا أَعبدُ اللهَ ؛ فَجَعَلَ الغُلامُ يَمْكُثُ عِندَ الرّاهِبِ وَيُبْطِىءُ عَلَى السّاحِرِ ، فَأَرْسَلَ [الكاهِنُ] إلى أَهْلِ الغُلامِ أَنَّهُ لا يَكَادُ يَحْضُرنِي ؛ فَأَخْبَرَ الغُلامُ الرّاهِبَ بذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الرّاهِبُ : إِذا خَشِيْتَ السّاحِرَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذا خَشِيْتَ أَهْلَكَ فَقُلْ : حَبَسَنِي السّاحِرُ ، فَبَيْنَما الغُلامُ عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ أَتَى عَلَى دابَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَقَدْ حَبَسَتِ النّاسَ ، فَقَالَ : اليَومَ يَبِينُ أَمْرُ الرّاهِبِ من أَمْرِ السّاحِرِ ؛ فَأَخَذَ حَجَراً وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِن كان أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيكَ من أَمرِ السّاحِرِ ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدّابَّةَ . ثم رَماهَا فَقَتَلَها ؛ فَقَالَ النَّاسُ : مَن قَتَلَها ؟ فَقَالُوا : الغُلامُ ؛ فَفَزِعَ النّاسُ وَقَالُوا : لقد عَلِمَ هَذَا الغُلامُ عِلْماً لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ .

قَالَ : فَسَمِعَ بِهِ أَعْمَى كان جَلِيْساً لِلمَلِكِ ، فَقَالَ له : إِنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَلَكَ كَذَا وَكَذَا ؛ فَقَالَ لَهُ : لا أُرِيدُ مِنْكَ شَيْئاً ، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعَ إِلَيْكَ بَصَرُكَ ، أَتُؤْمِنُ بِالَّذِي رَدَّهُ عَلَيكَ ؟ قَالَ : نَعم ؛ فَدَعا اللهَ تَعالَى ، فَرَدَّ عَلَيهِ بَصَرَهُ ، فَآمَنَ الأَعْمَى ، وَأَنَّهُ جاءَ إِلى المَلِكِ بَعدَما شُفِيَ ، فَجَلَسَ مَعَهُ كَما كان يَجلِسُ ، فَقَالَ لَهُ : مَن رَدّ عَلَيكَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي . قَالَ : وَهَل لَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَ : اللهُ رَبِّي وَرَبُّكَ ؛ فَأَمَرَ بِالمِنْشَارِ فَوُضِعَ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقّاهُ ـ وَفِي رِوايَةِ التِّرمذيِّ : أَنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ كانَتْ أَسَداً ـ وَأَنَّ الغُلامَ لَمَّا قَتَلَها ، أَخْبَرَ الرَّاهِبَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ لَكَ لَشَأْناً ، وإِنَّكَ تُبْتَلَى ، فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ ؛ وإِنَّ المَلِكَ بلَغَهُ أَمَرُهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيهِم ، فَأُتِيَ بِهِم إِلَيه ، فَقَالَ : لأَقْتُلَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْكُمْ قِتْلَةً لا أَقْتُلُ بِها صَاحِبَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرّاهِبِ وَبَالرَّجُلِ الذي كان أَعْمَى ، فَوَضَعَ المِنْشَارَ عَلَى مَفْرِقِ أَحَدِهِما فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ قَتَلَ الآخَرَ بِقِتْلَةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ أَمَرَ بِالغُلامِ فَقَالَ : انْطَلِقُوا بِهِ إِلى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَأَلْقُوهُ من رَأْسِهِ ؛ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلى ذَلِكَ الجَبَلِ ؛ فلمّا انْتَهَوا بِهِ إِلى ذَلِكَ المَكَانِ الذي أَرادُوا أَنْ يُلقُوهُ مِنهُ ، قَالَ الغُلامُ : اللَّهمَّ اكْفِنِيهم بِما شِئْتَ ؛ فَجَعَلُوا يَتَهافَتُونَ من ذَلِكَ الجَبَلِ ، وَيَتَرَدَّونَ

منه ، حتّى لَم يبقَ مِنهم إلاّ الغُلامُ .

قَالَ : فَرَجَعَ الغُلامُ يَمشِي حَتّى أَتى المَلِكَ ، فقَالَ لَهُ : ما فَعَلَ أَصْحابُكَ ؟ قَالَ : كَفانِيْهِم رَبِّي بِمَا شَاءَ ؛ فَأَمَرَ المَلِكُ أَنْ يَنْطَلِقُوا بِهِ إِلى البَحْرِ فَيُلْقُوهُ فِيه ؛ فانْطَلَقُوا بِهِ إِلى البَحْرِ ، فَقَالَ الغُلامُ : اللَّهُمَّ اكْفِنيهم بِمَا شِئْتَ ؛ فَأَغْرَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الذِينَ كانُوا مَعَهُ وأَنْجاهُ ، فَأَقْبَلَ الغُلامُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ المَاءِ حَتَّى أَتى المَلِكَ ؛ فَتَحَيَّرَ المَلِكُ في نَفْسِه ، فقَالَ لَهُ الغُلامُ : أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي . قَالَ : نَعم . قَالَ : إِنَّكَ لا تَقدرُ عَلَى ذَلِكَ حَتّى تَصْلُبَنِي وَتَرْمِينِي بِسَهْمٍ من كِنانَتِي ، وَتَقُولَ إِذا رَمَيْتَنِي : بِسمِ اللهِ رَبِّ هَذَا الغُلامِ ، بعد أَنْ تَجْمَعَ النّاسَ فِي صَعِيدٍ واحِدٍ .

قَالَ : فَجمَعَ المَلِكُ النّاسَ في صَعِيدٍ واحِدٍ ، وَأَمَرَ بِالغُلامِ أَنْ يُصْلَبَ ، فَصُلِبَ ؛ وَأَخذَ المَلِكُ سَهْماً من كِنانَةِ الغُلامِ ، وَقَالَ : بِسمِ اللهِ رَبِّ هَذا الغُلامِ ، وَرَماهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ فَقَتَلَهُ ، وَوَضَعَ الغُلامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ ؛ فَقَالَ النّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ هَذَا الغُلامِ . فَقِيلَ لِلمَلِكَ : إِنَّكَ جَزِعْتَ حِينَ خَالفَكَ ثَلاثَةٌ ، فَهَذَا العالَمُ كُلُّهُمْ قد خالَفُوكَ . فَأَمَرَ بِالأُخدودِ ، فَخَدَّ أُخْدُوداً ، ثُمَّ أَلقى فِيهِ الحَطَبَ وَالنّارَ ، ثُمَّ جَمَعَ النّاسَ وَقَالَ لهم : من رَجَعَ عن دِيْنِهِ تَرَكْناهُ ، وَمن لَم يَرجِعْ أَلْقَيْناهُ في هَذِهِ النّارِ ؛ فَجعَلَ يُلقِيهم في ذَلِكَ الأُخدودِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ [البُرُوج : ٤ ـ ٥] .

زادَ مُسْلِمٌ : « فَأُتِيَ بِامْرَأَةٍ لِتُلْقى فِي النّارِ ، وَمَعَها صَبِيٌّ رَضِيعٌ ، فَجزِعَتْ ، فقَالَ لَهَا الغُلامُ : يا أُمَّاهُ لا تَجْزَعِي ، فإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ » .

وَذَكَرَ ابنُ قُتَيْبَةَ[1] أَنَّ الغُلامَ الرَّضِيعَ كان عُمره سبعةَ أَشْهُرٍ .

قَالَ التِّرمذيُّ : وإِنَّ الغُلامَ أُخرِجَ في زَمانِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَيَدُهُ

---

(١) المعارف ٦٣٧ .

على صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَها حِيْنَ قُتِلَ .

● وَذَكَرَ صاحِبُ « السِّيرةِ » محمَّد بن إِسْحاقَ فِيها[1] : أَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ اللهِ ابن الثّامِرِ ، وأَنَّ رَجُلاً من أَهْلِ نَجْرانَ حَفَرَ خَرِبَةً في زَمَنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه في بَعْضِ حاجَتِهِ ، فَوَجَدهُ تَحْتَ الرَّدْمِ قاعِداً ، واضِعاً يَدَهُ عَلَى ضَرْبَةٍ في صُدْغِهِ ، وَفِي يَدِهِ خاتمٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْه : « رَبِّيَ الله » . فَكَتَبُوا بذَلِكَ إلى عُمرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فَكَتَبَ إِلَيهم : أَنْ أَقِرُّوهُ عَلَى حالِهِ ؛ فَفَعَلُوا .

قَالَ السُّهيلِيُّ : وَيُصَدِّقُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾ [آل عِمْران : ١٦٩] الآيَةَ ، وَقَوْلُهُ ﷺ[2] : « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ » . خَرَّجَهُ « أَبُو داود » .

وَذَكَرَ أَبُو جعفر الدَّاوديّ هَذَا الحَدِيثَ ؛ بِزِيادَةِ ذِكْرِ الشُّهَدَاءِ وَالعُلَمَاءِ وَالمُؤَذِّنِينَ . قَالَ : وَهِيَ زِيادَةٌ غَرِيْبَةٌ ، لَكِنَّ الدَّاوديَّ من أَهْلِ الثِّقَةِ والعِلْمِ . انتهى .

قَالَ ابنُ بَشْكُوال : وَكَانَ اسمُ ذَلِكَ المَلِكِ يُوسف ذا نُواس ، وَكَانَ بِنَجْرانَ ، وَكَانَ مَلِكَ حِمْيَرَ ، وَمَا حَوْلَهُ ؛ وَقِيلَ : اسْمُهُ زُرْعَةُ ذُو نُواسٍ ، وَكَانَ عَلَى دِيْنِ اليَهُودِيَّةِ . قَالَهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ .

وَالواقِعَةُ كانَت قَبلَ مَبْعَثِ النَّبيِّ ﷺ بِسَبعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ اسمُ ذَلِكَ الرَّاهِبِ فيتمون . قَالَهُ ابْنُ بَشْكُوال .

● وَفِي المَثَلِ السَّائِرِ[3] : « فُلانٌ أَكْذَبُ مَن دَبَّ وَدَرَجَ » . قَالَ

---

(١) السِّيرة النّبويّة ١/ ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) أَبو داود (١٥٣١) والنَّسائيّ (١٣٧٤) وابن ماجه (١٠٨٥) ومسند أَحمد ٤/ ٨ .

(٣) الميداني ٢/ ١٦٧ والعسكري ٢/ ١٧٣ والزمخشري ١/ ٢٩٢ والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٣٦١ و ٣٦٤ .

الجَوهريُّ[1] : مَعْناهُ : أَكْذَبُ الأَحْيَاءِ وَالأَمْواتِ ؛ لأَنَّهُمْ يُدْرَجُونَ في الأَكْفَانِ .

● وَرَوَى التِّرمذيُّ الحَكِيمُ ، عن زَيد بن أَسلم : أَنَّ الأَشْعَرِيِّينَ أَبَا مُوسى وَأَبا مَالِكٍ وَأَبا عامِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، في نَفَرٍ مِنْهُمْ لمّا هاجَرُوا ، قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَرْمَلُوا من الزّادِ ، فَأَرْسَلُوا قاصِدَهُمْ إِلى النَّبيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ ، فَلَمَّا انْتَهى إِلَيْه سَمِعَهُ يَقْرَأُ ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هُود : ٦] فَقَالَ الرَّجُلُ : ما الأَشْعَرِيُّونَ بِأَهْوَنَ عَلَى اللهِ من الدَّوابِّ . فَرَجَعَ وَلَم يَدْخُلْ عَلَى النَّبيِّ ﷺ ، فَأَتَى أَصْحابَهُ وَقَالَ لَهُمْ : أَبْشِرُوا ، فقد جَاءَكُمُ الغَوْثُ . فَظَنُّوا أَنَّهُ قد أَعْلَمَ النَّبيَّ ﷺ بحالِهِمْ .

فَبَيْنَما هم كَذَلِكَ ، إِذْ أَتاهُمْ رَجُلانِ ، مَعَهُما قَصْعَةٌ مَمْلُوءَةٌ خُبْزاً وَلَحْماً ، فَأَكَلُوا ما شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ بعضُهم لِبعضٍ : رُدُّوا بَقِيَّةَ هَذَا الطَّعام عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَرَدُّوهُ ، ثُمَّ إِنَّهم أَتَوْهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَمْ نَرَ طَعاماً أَكْثَرَ وَلا أَطْيَبَ من طَعامٍ أَرْسَلْتَهُ إِلينَا ، فَقَالَ ﷺ : « مَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ شَيْئاً » . فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهم أَرْسَلُوا صاحِبَهُم إِلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ ﷺ فَأَخْبَرهُ بِمَا صَنَعَ ، فَقَالَ ﷺ : « ذَلِكُم شَيْءٌ رَزَقَكُمُوهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

● وَذَكَرَ ابْنُ السُّنِّيِّ[2] ، عن عبدِ اللهِ بن مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِذا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلاةٍ ، فَلْيُنادِ : يَا عِبادَ اللهِ احْبِسُوا ، فإِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ في الأَرْضِ حابِساً يَحْبِسُها » .

● قَالَ الإِمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : حَكَى لِي بعضُ شُيُوخِنا الكِبَارِ في العِلْمِ ، أَنَّهُ انفَلَتَتْ لَهُ دَابَّةٌ ـ أَظُنُّها بَغْلَةً ـ وَكَانَ يَعْرِفُ هَذَا الحَدِيثَ ، فَقَالَهُ ،

---

(١) الصحاح « درج » ١/ ٣١٣ .
(٢) في عمل اليوم واللّيلة ٢٤٠ (٥٠٨) .

فَحَبَسَها اللهُ تعالَى عَلَيه فِي الحَالِ .

● قَالَ : وَكُنْتُ أَنَا مَرَّةً مع جَماعَةٍ ، فانْفَلَتَتْ مِنهم بهَيمَةٌ ، فَعَجزُوا عنها ، فقلتُ هَذَا الحَدِيثَ ، فوَقَفَتْ في الحَالِ ، بِغيرِ سَبَبٍ سِوَى هَذَا الكَلامِ .

● وَرَوَى ابْنُ السُّنِّيِّ أَيْضاً[1] ، عن الإمامِ السَّيِّدِ الجَليلِ المُجْمَعِ عَلَى جَلالَتِه وَحِفْظِهِ وَدِيانَتِه وَوَرَعِهِ وَنزاهَتِه ، أَبي عبدِ اللهِ يُونس بن عُبيد بن دِينار المِصْرِيّ ، التَّابعيّ المَشْهُورِ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى ، أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ رَجُلٌ يَكُونُ عَلَى دابَّةٍ صَعْبَةٍ ، فَيَقُولُ فِي أُذُنِها : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] إلاّ وَقَفَتْ بإذنِ اللهِ تَعالَى .

● وَرَوَى الطَّبرانيُّ في « مُعجمِهِ الأَوسط »[2] من حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَن ساءَ خُلُقُهُ من الرَّقِيقِ والدَّوابِّ والصِّبْيَانِ ، فاقْرَؤُوا في أُذُنِه : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] . وَقد تَقَدَّمَ في « بابِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ » في لفظِ « البغلةِ » : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَكِبَ بَغْلَةً ، فَحادَتْ بِهِ ، فَحَبَسَها ، وَأَمَرَ رَجُلاً أَنْ يَقْرَأَ عَلَيها ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق : ١] فَسَكَنَتْ » .

● فَرْعٌ : في كُتُبِ الحَنابِلَةِ : يَجُوزُ الانْتِفَاعُ بالدَّابَّةِ في غيرِ ما خُلِقَتْ لَهُ ، كَالبَقَرِ لِلْحَمْلِ ولِلرُّكُوبِ ، وَالإبلِ والحَمِيرِ لِلْحَرْثِ .

وَقَوْلُهُ ﷺ[3] : « بَيْنَما رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً ، إِذْ أَرادَ أَنْ يَرْكَبَها ، فَقَالَتْ : إِنَّا

---

(١) عمل اليوم واللَّيلة ٢٤٠ (٥١٠) .

(٢) المعجم الأَوسط ١/ ٦٢ رقم (٦٤) .

(٣) البخاري ٣/ ٦٧ و ٤/ ١٤٩ ومسلم (٢٣٨٨) والترمذيّ (٣٦٧٧) ومسند أَحمد ٢/ ٢٤٥ و٣٨٢ و ٥٠٢ .

لَمْ نُخْلَقْ لِذَلِكَ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . المُرادُ : أَنَّهُ مُعْظَمُ مَنافِعِها ، وَلا يَلْزَمُ مِنه منعُ غيرِ ذَلِكَ .

● وَقَالَ الإِمامُ أَحمد : من شَتَمَ دابَّةً ، قَالَ الصَّالِحُونَ : لا تُقْبَلُ شَهادَتُهُ ، لِحَدِيثِ المَرْأَةِ التِي لَعَنَتِ النَّاقَةَ .

● وَفِي « صِحيح مُسْلِمٍ »[1] عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : « لا يَكُونَ اللّعّانُونَ شُفَعَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يومَ القِيامَةِ » .

● فَرْعٌ : يَجِبُ عَلَى مالِكِ الدَّابَّةِ عَلَفُها وَرَعْيُها وَسَقْيُها ، لِحُرْمَةِ الرُّوْحِ ، كَمَا فِي « الصَّحيحِ »[2] : « عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ » لأَنَّها ذَاتُ رُوحٍ ، فَأَشْبَهَتِ العَبْدَ .

فإِنْ لَمْ تكنْ تَرْعَى لَزِمَهُ أَن يَعلِفَها وَيَسقِيها إِلَى أَوَّلِ شِبَعِها وَرِيِّها دون غَايَتِهما .

وَإِنْ كَانَتْ تَرْعَى ، لَزِمَهُ إِرْسَالُها لِذَلِكَ حَتى تَشْبَعَ وَتَروى ، بِشَرطِ فَقْدِ السِّباعِ العادِيَةِ وَوُجُودِ المَاءِ .

فإِنْ اكْتَفَتْ بِكُلٍّ من الرَّعْيِ أَوِ العَلَفِ خُيِّرَ بَيْنَهُما ، فإِنْ لَم تكتَفِ إِلاَّ بِهِمَا لَزِماهُ .

وإِنِ احتاجَتِ البَهِيمَةُ إِلى السَّقيِ وَمَعهُ مَاءٌ يَحتاجُ إِلَيْهِ لِطَهارَتِهِ ، سَقَاهَا وَتَيَمَّمَ ؛ فإِنِ امتنعَ من العَلفِ ، أُجْبِرَ في مَأْكُولَةٍ عَلَى بَيْعٍ ، أَوْ عَلَفٍ أَوْ ذَبْحٍ ، وَفِي غَيرِها عَلَى بَيْعٍ أَوْ عَلَفٍ ، صِيانَةً لَها عن الهَلاكِ .

فإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَ الحاكِمُ مَا تَقْتَضِيْهِ المصلحَةُ ، فإِن كان له مَالٌ ظاهِرٌ بِيْعَ

---

(١) مسلم (٢٥٩٨) وأَبو داود (٤٩٠٧) ومسند أَحمد ٦/ ٤٨٨ .

(٢) البخاري ٣/ ٧٧ و ٤/ ١٥٢ ومسلم (٢٢٤٢) والنَّسائيّ (١٤٨٢) و (١٤٩٦) ومسند أَحمد ٢/ ١٥٩ و ١٨٨ و ٢٨٦ و ٣/ ٣٣٥ و ٢٧٤ .

في النَّفقَةِ ؛ فإِنْ تَعذَّرَ جَميعُ ذَلِكَ فَمِنْ بَيْتِ المَالِ .

● **فائِدَةٌ** : يُستحبُّ أن يَقولَ عِندَ رُكُوبِ الدّابَّةِ ، ما رَواهُ « الحاكِمُ » وَ« التِّرمذيُّ » وَصَحَّحَاهُ[1] ، عن عليِّ بن رَبيعة ، قَالَ : شَهِدتُ عليَّ بن أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَقَدْ أُتِيَ بدَابَّةٍ لِيركَبَها ، فلمّا وَضَعَ رِجْلَهُ في الرِّكابِ ، قَالَ : بسمِ اللهِ . فلمّا اسْتَوى عَلَى ظَهْرِها ، قَالَ : الحَمْدُ للهِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزُّخرف : ١٣ ـ ١٤] . ثم قَالَ : الحمدُ للهِ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : اللهُ أَكبرُ ، ثَلاثَ مَرّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : سُبْحانَكَ اللّهُمَّ ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي ، فإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ؛ ثُمَّ ضَحِكَ ، فَقِيلَ : يَا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ، من أَيِّ شَيءٍ ضَحِكْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، من أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ ؟ قَالَ : « إِنَّ رَبَّكَ تَعالَى يَعْجَبُ من عَبْدِهِ إِذا قَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي » .

● وَرَوَى أَبُو القاسِمِ الطَّبرانيُّ في كِتابِ « الدَّعواتِ »[2] عن عطاءٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِذا رَكِبَ العَبْدُ الدَّابَّةَ ، وَلَمْ يذكُرِ اسْمَ اللهِ تَعالَى ، رَدِفَهُ الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ لَهُ : تَغَنَّ ؛ فإِن كان لا يُحْسِنُ الغِنَاءَ ، قَالَ لَهُ : تَمَنَّ ؛ فَلا يَزَالُ في أُمْنِيَّتِه حَتَّى يَنْزِلَ » .

● وَفِيهِ[3] عن أَبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « من قَالَ إِذا رَكِبَ دَابَّةً : بِسمِ اللهِ الذي لا يَضُرُّ مَع اسمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيْعُ العَلِيمُ ، سُبْحانَهُ لَيسَ لَهُ سَمِيٌّ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا

---

(١) التِّرمذيّ (٣٤٤٦) وأَبو داود (٢٦٠٢) ومستدرك الحاكم ٢/ ٩٨ ـ ٩٩ والنَّسائيّ في عمل اليوم واللَّيلة (٥٠٢) وابن السُّنِّيّ (٤٩٦) .

(٢) الدُّعاء للطَّبرانيّ ٢/ ١١٦٥ .

(٣) الدعاء ٢/ ١١٥٩ .

وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزُّخرف : ١٣ ـ ١٤] والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَيهِ السَّلامُ ، قَالَتِ الدَّابَّةُ : بارَكَ اللهُ عَلَيكَ من مُؤمنٍ ، خَفَّفتَ عن ظَهْرِي ، وَأَطَعْتَ رَبَّكَ ، وَأَحْسَنْتَ إلى نَفسِكَ ، بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي سَفَرِكَ ، وَأَنْجَحَ حاجَتَكَ » .

● وَرَوَى ابنُ أَبِي الدُّنيا ، عن محمَّد بن إدرِيسَ ، عن أَبِي النَّضْرِ الدِّمَشْقِيِّ ، عن إسماعِيلَ بن عيّاشٍ ، عن عَمرو بن قَيْس المُلائيّ ، أَنَّهُ قَالَ : إذا رَكِبَ الرّجُلُ الدابّةَ ، قَالَتْ : اللَّهُمَّ اجعَلْهُ بِي رَفِيقاً رَحِيماً . فإذا لَعَنَها قَالَت : عَلَى أَعْصانَا للهِ لَعْنَةُ اللهِ .

● وَفِي « كامِلِ ابنِ عَدِيٍّ »[(١)] في تَرجَمَةِ « عبَّاد بن كَثير الثَّقفيّ » ـ وَكَانَ شُعْبَةُ لا يَسْتَغْفِرُ لَهُ ـ أَنَّهُ رَوَى عن ابنِ طَاوُوس ، عن أَبِيهِ ، عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « اضْرِبُوا الدَّوابَّ عَلَى النِّفارِ ، وَلا تَضْرِبُوها عَلَى العِثَارِ » .

● فَرْعٌ : يَجُوزُ الإردافُ عَلَى الدَّابَّةِ إذا كانَت مُطِيقَةً ، وَلا يَجُوزُ إذا لم تُطِقْهُ ؛ فَفِي « الصَّحِيْحَيْنِ »[(٢)] عن أُسامَةَ بن زَيدٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَرْدَفَهُ حِينَ دَفَعَ من عَرَفاتٍ إلى المُزْدَلِفَةِ ، ثُمَّ أَردَفَ الفَضْلَ بن العبّاسِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما من المُزْدَلِفَةِ إلى مِنى ، وَأَنَّهُ ﷺ أَرْدَفَ مُعاذاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه عَلَى الرَّحْلِ ، وَأَرْدَفَهُ عَلَى حِمارٍ يُقَالُ لَهُ : عُفَيْرٌ ، وَأَمَرَ ﷺ عَبْدَ الرَّحمَنِ بنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما أَنْ يَعْتَمِرَ بِأُخْتِهِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها من التَّنْعِيْمِ ، فَأَرْدَفَها وَراءَهُ عَلَى راحِلَتِهِ ، وَأَرْدَفَ ﷺ صَفِيَّةَ أُمَّ المُؤْمِنِيْنَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها وَراءَهُ حِيْنَ تَزَوَّجَها بِخَيْبَرَ » .

---

(١) الكامل في الضُّعفاء ٥/ ٣٤٠ وميزان الاعتدال ٢/ ٣٧٥ .

(٢) البخاري ١/ ١٤٦ و ١٧٩ ـ ١٨٠ ومسلم (٣٠) وابن ماجه (٣٠٤٠) .

وإذا أَرْدَفَ صاحِبُ الدَّابَّةِ ، فَهُوَ أَحَقُّ بِصَدْرِها ، وَيَكُونُ الرَّدِيفُ وَراءَهُ ؛ إلاَّ أَن يَرْضَى صاحِبُها بِتَقدِيمِه لِجَلالَتِه أَو غيرِ ذلك .

● وَأَفادَ الحافِظُ ابْنُ مَنْدَه ، أَنَّ الَّذِينَ أَرْدَفَهُمُ النَّبيَّ ﷺ ثَلاثةٌ وَثَلاثُونَ نَفساً ، ولم يَذكرْ فِيهم عُقْبَةَ بن عامِرِ الجُهَنيَّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ؛ وَلَم يذكرْ أَحَدٌ من عُلماءِ الحَدِيثِ والسِّيَرِ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَرْدَفَهُ .

● وَرَوَى « الطَّبرانيُّ »[1] عن جابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : « أَنَّ النَّبي ﷺ نَهَى أَن يَركَبَ ثَلاثَةٌ عَلَى دابَّةٍ » .

● فَرْعٌ : قَالَ أَصْحابُنا : ما ليسَ مَأْكُولاً من الدَّوابِّ وَالطُّيُورِ ، إِن كان فِيهِ مَضَرَّةٌ مُتَمَحِّضَةٌ ، اسْتُحِبَّ قَتْلُهُ لِلْمُحْرِمِ وَغَيرِهِ ، كَالفَواسِقِ الخَمْسِ ، وَالذِّئْبِ وَالأَسَدِ والنَّمرِ والنَّسْرِ والحِدَأَةِ والبُرْغُوثِ وَالقَمْلِ والزَّنْبُورِ والبَقِّ وَالقَرادِ وَأَشْباهِهَا ؛ فإِن كان فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَمَضَرَّةٌ ، كَالفَهْدِ وَالكَلبِ المُعَلَّمِ والعُقَابِ والبازِي وَالصَّقْرِ وَنَحوِها ، فَلا يُسْتَحَبُّ قَتْلُهُ ، لِمَا فِيهِ من مَنْفَعَةِ الاصْطِيَادِ ، وَلا يُكْرَهُ لِمَا فِيهِ من الضَّرَرِ ، وَهُوَ الصِّيالُ عَلَى حَمامِ الناسِ والعَقْرِ ؛ وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ نَفْعٌ وَلا ضَرَرٌ ، كَالخَنافِسِ والدُّودِ والجِعْلانِ والسَّرَطَانِ وَالبُغاثِ والرَّخْمَةِ والعَظَاءَةِ واللَّجاةِ[2] وَالذُّبابِ وَأَشْبَاهِها ، فَيُكرَهُ قَتْلُهُ وَلا يُحَرَّمُ ، عَلَى ما قَطَعَ بِهِ الجُمهورُ .

● وَحَكَى الإِمامُ وَجْهاً شَاذّاً ، أَنَّهُ يُحَرَّمُ قَتْلُ الطُّيُورِ دُونَ الحَشَراتِ ، لأَنَّهُ عَبَثٌ بِلا حاجَةٍ .

● **وَأَمَّا دابَّةُ الأَرْضِ التي ذَكَرَها اللهُ تَعالَى في « سُورَةِ سَبأ »** : فَهِيَ الأَرَضَةُ ، وَقِيلَ : سُوسَةُ الخَشَبِ .

---

(١) المعجم الأوسط ٧/ ٣٣٥ رقم (٧٥١٢) .

(٢) اللَّجاة : الضّفدع . (القاموس) .

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سَبَأ : ١٤] .

وَالسَّبَبُ في ذَلِكَ[(١)] : أَنَّ سُلَيمانَ عَلَيهِ السَّلامُ كان قد أَمَرَ الجِنَّ بِبِنَاءِ صَرْحٍ ، فَبَنَوْهُ لَهُ ، وَدَخَلَهُ مُخْتَفِياً ، لِيَصفُوَ لَهُ يَوْمٌ واحِدٌ من الدَّهْرِ عن الكَدَرِ ، فَدَخَلَ عَلَيهِ شَابٌّ ، فَقَالَ له : كيفَ دَخَلتَ من غيرِ اسْتِئذانٍ ؟ فَقَالَ له : إِنَّما دَخَلْتُ بإِذْنٍ . قَالَ : وَمَن أَذِنَ لَكَ ؟ قَالَ : رَبُّ هَذَا الصَّرحِ ؛ فَعَلِمَ سُلَيْمانُ أَنَّهُ مَلَكُ المَوتِ ، أَتَى لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ؛ فَقَالَ : سُبحَانَ اللهِ ، هَذَا اليَوْمُ الَّذِي طَلَبْتُ فِيهِ الصَّفَاءَ ؛ فَقَالَ لَهُ : طَلَبْتَ ما لَمْ يُخْلَقْ ؛ فاسْتَوْثَقَ من الاتِّكَاءِ عَلَى العَصَا ، وَقَدْ كان بَقِيَ من تَمامِ بِنَاءِ المَسْجِدِ عَمَلُ سَنَةٍ ، فَسَأَلَ الله تَعالَى تَمامَها عَلَى يَدِ الإِنْسِ وَالجِنِّ ، وَكَانَ يَخلو بنَفسِهِ الشَّهرَينِ وَالثَّلاثَة ، فَكانُوا يَقُولُونَ : إِنَّهُ يَتَحَنَّثُ ، أَي يَعبدُ رَبَّهُ ، فَقَبَضَ رُوحَهُ ، وَكَانَتِ الجِنُّ تَدَّعِي عِلْمَ الغَيبِ ، فَلَمَّا قُبِضَ بَقِيَتِ الجِنُّ تعملُ على عادَتِها .

وَقِيلَ : إِنَّ مَلَكَ المَوتِ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ بَقِيَ من عُمرِهِ ساعَةٌ ، فَدَعَا الجِنَّ ، فَبَنَوْا لَهُ الصَّرْحَ ، وَقَامَ يُصَلِّي مُتَّكِئاً عَلَى عَصَاهُ ، فَمَاتَ وَهُوَ مُتَّكِىءٌ عَلَيها ، وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَجتَمِعُ حَولَ مِحرابِهِ ، فَلا ينظرُ أَحَدٌ مِنهم إِلَيهِ في صَلاتِهِ إِلاّ احترقَ ، فَمَرَّ واحِدٌ مِنهم فلم يسمعْ صوتاً ، ثُمَّ رَجَعَ فَسَلَّمَ ، فَلَم يسمعْ لَهُ كَلاماً ، فَنظَرَ فإِذا هُوَ قد خَرَّ مَيّتاً ، فَعَلِمَتِ الإِنْسُ أَنَّ الجِنَّ ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سَبَأ : ١٤] سَنَةً ؛ وَكَانَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ ثَلاثاً وَخَمسِينَ سَنَةً .

وَالمِنْسَأَةُ : العَصَا ، وَكَانَتْ من خَرُّوبٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كان يَتَعَبَّدُ في بيتِ المَقْدِسِ ، فَينبتُ له فِي مِحرابِهِ كُلَّ سَنَةٍ شَجَرَةٌ ، فَيَسأَلَها : ما اسْمُكِ ؟ فَتَقُولُ

---

(١) تاريخ الطَّبري ١/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣ ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٥٤ ـ ١٥٥ والبداية والنِّهاية ٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٥ والمستطرف ٣/ ٤٧٨ .

الشَّجَرَةُ : اسمِي كَذَا ، فَيَقُولُ لَها : لأَيِّ شَيءٍ أَنْتِ ؟ فتقُولُ : لِكَذَا وَكَذا ؛ فَيأْمُرُ بها فَتُقْلَعُ ، فإن كانَت تَنْبُتُ بغَرْسٍ غُرِسَتْ ، وَإِنْ كَانَتْ لِدَواءٍ كُتِبَتْ ؛ فَبَيْنَما هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ رَأَى شَجَرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَها : ما اسْمُكِ ؟ قَالَتْ : أَنَا الخَرُّوبَةُ ، خَرَجْتُ لِخَرابِ مُلْكِكَ ؛ فَعَرفَ أَنَّهُ قد حَضَرَ أَجَلُهُ ، فَاسْتَعَدَّ واتَّخذَ مِنْها عَصاً ، واسْتَدعَى بزَادِ سَنَةٍ ، وَالجِنُّ تَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَأْكُلُ بِاللَّيْلِ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

وَكَانَ الذِي ابْتَدَأَ فِي بِناءِ بيتِ المَقدِسِ داودُ عليهِ السَّلامُ ، فَرَفَعَهُ قامَةَ رَجُلٍ ، ثُمَّ مَاتَ ، فلَمّا استخلَفَ ابْنُهُ سُليمانَ عليهِ السَّلامُ ، أَحَبَّ إِتمامَهُ ، فَجَمَعَ الجِنَّ وَالشَّياطِينَ ، وَقَسمَ عليهِمُ الأَعمالَ ، فَخَصَّ كُلَّ طائِفَةٍ مِنهم بعَمَلٍ يَستصلحُها له ، فَأَرْسَلَ الجِنَّ وَالشَّياطِيْنَ فِي تَحصِيلِ الرُّخامِ وَالمَهَا الأَبْيَضِ ، وَأَمَرَ بِبناءِ المَدِينَةِ بالرُّخامِ والصُّفّاحِ ، وَجعَلَها اثني عَشَرَ رَبضاً ، وَأَنزلَ في كُلِّ رَبَضٍ مِنْها سِبْطاً ، فلَمّا فَرَغَ من بناءِ المَدِينَةِ ، ابتَدَأَ فِي عِمارَةِ المسجِدِ ، فوَجَّهَ الشَّياطِينَ فِرَقاً فِرَقاً يَسْتَخرِجُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَاليَاقُوتَ من مَعادِنِها ، وَالدُّرَّ الصّافِي من البحرِ ، وَفِرَقاً يَقْلَعُونَ الجَواهِرَ وَالرُّخَامَ من أَماكِنِها ، وَفِرَقاً يَأْتُونَهُ بالمِسْكِ وَالعَنْبَرِ وَسَائِرِ أَنْواعِ الطِّيْبِ ؛ فَأُتِيَ من ذَلِكَ بَشَيْءٍ لا يُحصِيهِ إِلاَّ اللهُ تَعالَى ، ثُمَّ أَحضرَ الصُّنَّاعَ ، وَأَمَرَهُمْ بنَحْتِ تِلك الحِجَارَةِ المرتَفِعَةِ وَتَصْيِيرِها أَلْواحاً ، وَثَقْبَ اليَواقِيتَ وَاللَّآلِيءَ وَصَلاحَ الجَواهِرِ ، فَبَنَى المَسجِدَ بالرُّخامِ الأَبْيَضِ وَالأَصْفَرِ وَالأَخْضَرِ ، وَعَمَّدَهُ بأَسَاطِيْنِ المَهَا الصَّافِي ، وَسَقَّفَهُ بأَلواحِ الجَواهِرِ الثَّمِينَةِ ، وَنَضَّدَ سُقُوفَهُ وَحِيْطَانَهُ بِاللَّآلِيءِ وَاليَواقِيْتِ وَسَائِرِ الجَواهِرِ ، وَبَسَطَ أَرْضَهُ بِأَلْواحِ الفَيْروزَجِ ؛ فَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ في الأَرْضِ بَيْتٌ أَبْهَى وَلا أَنْوَرَ من ذَلِكَ المَسْجِدِ ؛ كان يُضِيْءُ في الظَّلْمَاءِ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ؛ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ ، جَمَعَ إِلَيْهِ أَحْبَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ قد بَناهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ خالِصاً ، واتَّخَذَ ذَلِكَ اليومَ عِيْداً .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ بعضُ العُلماءِ : سَخَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الجِنَّ لِسُلَيمَانَ عَلَيهِ السَّلامُ ، وَأَمَرَهُمْ بطَاعَتِه ، وَوَكَّلَ بِهم مَلَكاً بِيَدِهِ سَوْطٌ من نَارٍ ، فَمَن زَاغَ مِنهم عن أَمْرِهِ ضَرَبَهُ المَلَكُ ضَرْبَةً أَحْرَقَتْهُ .

قَالَ أَهْلُ التَّفسِيرِ : أَجرَى اللهُ تعالَى لِسُلَيمانَ عينَ النُّحَاسِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ بلَيالِهِنَّ كَجَرْيِ المَاءِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِأَرْضِ اليَمَنِ ، وَإِنَّما يَنْتَفِعُ النّاسُ اليومَ بِمَا أَخرَجَ اللهُ لِسُليمانَ من النُّحَاسِ .

● وَرَوَى « الحاكِمُ »[1] عن إِبراهِيم بنِ طَهْمان ، عن عَطَاء بن السّائِبِ ، عن سَعيد بن جُبيرٍ ، عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « كَانَ سُلَيْمَانُ نَبِيُّ اللهِ ، إِذا قَامَ فِي مُصَلاّهُ ، رَأَى شَجَرَةً نابتَةً بينَ يَدَيْه ، فَيَقُولُ : ما اسْمُكِ ؟ فتَقُولُ : كَذَا ؛ فيَقُولُ : لأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ ؟ فتَقُولُ لِكَذا وَكَذَا ؛ فإِذا كانَتْ لِدَواءٍ كُتِبَتْ ، وإِن كَانَتْ لِغَرْسٍ غُرِسَتْ ؛ فَبينما هو يُصَلِّي يوماً إِذْ رَأَى شَجَرَةً ، فقَالَ : ما اسْمُكِ ؟ قَالَتْ : الخَرُّوبُ ؛ فقَالَ : لأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : لِخَرابِ هَذَا البيتِ ؟ فقَالَ سُليمانُ عِند ذَلِكَ : اللَّهُمَّ عَمِّ عَلَى الجِنِّ مَوْتِي ، حَتَّى تَعْلَمَ الإِنْسُ أَنَّ الجِنَّ لا تَعلَمُ الغَيْبَ .

قَالَ : فاتَّخَذَ مِنها عَصاً ، وَتوَكَّأَ عَليها ، فَأَكَلَتْها الأَرَضَةُ ، فَسَقَطَ ، فَوَجَدُوهُ مَيِّتاً حَوْلاً ، فتَبَيَّنَتِ الإِنْسُ أَنَّ الجِنَّ ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ﴾ حَوْلاً ﴿فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سَبَأ : ١٤] .

وَكَانَ ابنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، يَقْرَؤُها هَكَذَا « مَا لَبِثُوا حَوْلاً فِي العَذَابِ المُهِيْنِ » .

فَشَكَرَتِ الجِنُّ الأَرَضَةَ ، وَكَانَتْ تَأْتِيها بِالمَاءِ والتُّرابِ حيثُ كَانَتْ ؛ ثُمَّ قَالَ : صَحِيحُ الإِسنادِ .

---

(١) المستدرك ٤/ ٤٠٢ .

● **وَأَمَّا الدَّابَّةُ التِي هِيَ أَحَدُ أَشراطِ السّاعَةِ**[1] : فَقَالَ ابنُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، في قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النّمل : ٨٢] .

قَالَ : إِذا لَمْ يَأْمُرُوا بِالمَعروفِ ، وَلَمْ يَنْهَوا عن المُنْكَرِ .

قِيلَ : إِنَّها دابَّةٌ طُولُها سِتُّونَ ذِراعاً ، ذَاتُ قَوائِمَ وَوَبَرٍ .

وَقِيلَ : هِيَ مُخْتَلِفَةُ الخِلْقَةِ ، تُشْبِهُ عِدَّةً من الحَيَواناتِ ، يَنْصَدِعُ لَهَا جَبَلُ الصَّفَا ، فَتَخْرُجُ مِنْهُ لَيْلَةَ جَمْعٍ ، وَالنّاسُ سائِرُونَ إِلى مِنَى ؛ وَقِيلَ : تَخرجُ من الحِجْرِ ؛ وَقِيلَ : من أَرْضِ الطّائِفِ ، وَمَعَها[1] عَصَا مُوسَى وَخاتَم سُلَيمانَ عليهما السَّلامُ ، لا يُدْرِكُها طَالِبٌ ، وَلا يُعْجِزُها هارِبٌ ؛ تَضْرِبُ المُؤْمِنَ بِالعَصَا وَتَكْتُبُ فِي وَجهِهِ « مُؤْمِنٌ » ، وَتَطْبَعُ الكافِرَ بِالخاتَمِ وَتكتبُ في وَجهِهِ « كافِرٌ » . كَذَا رَوَاهُ الحاكِمُ في أَواخِرِ « المُستدرك » عن أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ .

● وَفِيْهِ[2] عن أَبِي الطُّفَيْلِ ، عن أَبِي سَرِيحَةَ ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

يَكُونُ للدَّابَّةِ ثَلاثُ خَرْجَاتٍ في الدَّهْرِ ، تَخْرُجُ أَوَّلَ خَرْجَةٍ بِأَقْصَى اليَمَنِ ، فَيَفْشُو ذِكْرُها بِالبادِيَةِ ، وَلا يَدْخُلُ ذِكْرُها القَرْيَةَ ، يَعْنِي مَكَّةَ ؛ ثُمَّ يَكُونُ زَمانٌ طَوِيلٌ ، ثُم تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى قَرِيباً من مَكَّةَ ، فَيَفْشُو ذِكْرُها في البادِيَةِ ، وَيَدخلُ ذِكْرُها القَريةَ ، يَعنِي مَكَّةَ ؛ ثُمَّ يَكُونُ زَمانٌ ، فَبَيْنَما النَّاسُ يَوْماً في أَعْظَمِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً ، وَأَحَبِّها إِلى اللهِ تَعالَى ، وَأَكْرَمِها عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ،

---

(١) المستدرك ٤/ ٤٨٥ والمستطرف ٣/ ٤٧٨ والبداية والنهاية ١٩/ ٢٥٢ وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٥ .

(٢) المستدرك ٤/ ٤٨٤ والبداية والنهاية ١٩/ ٢٤٩ وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٥ عن مسند أَبي داود الطّيالسيّ (١٠٩٦) .

يعنِي المَسجِدَ الحَرامَ ، لَمْ يَرُعْهُمْ إلاّ وَهِيَ في ناحِيَةِ المَسجِدِ ، بينَ الرُّكْنِ الأَسْوَدِ وَبَابِ بَنِي مَخْزُومٍ ، فَيَرْفَضُّ النّاسُ عنها شَتَّى ، وَتَثْبُتُ لِها عِصَابَةٌ من المُسْلِمِينَ ، عَرفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوا اللهَ هَرَباً ، فَتنفضُ عن رَأْسِها التُّرابَ ، فَتَجلُو عن وُجُوهِهم ، حَتّى تَظَلَّ كَأَنَّها الكَواكِبُ الدُّرِّيَّةَ ؛ ثُمَّ تَذْهَبُ في الأَرضِ لا يُدْرِكُها طَالِبٌ ولا يُعْجِزُها هارِبٌ ، حتّى إنَّ الرَّجُلَ لَيَعُوذُ مِنها بالصَّلاةِ ، فَتَأْتِيهِ من خَلْفِهِ فتقُولُ : أَي فُلان ، الآنَ تُصَلِّي ؟ فَيَلْتَفِتُ إِلَيْها ، فَتَسِمُهُ في وَجْهِهِ ؛ ثُم تَذهَبُ .

فَيَتَجاوَرُ النّاسُ في دِيارِهِم ، وَيَصْطَحِبُونَ في أَسْفارِهِمْ ، وَيَشْتَرِكُونَ في أَمْوالِهِم ؛ يُعْرَفُ المُؤْمِنُ من الكافِرِ ، حتّى إِنَّ الكافِرَ يَقُولُ : يَا مُؤْمِنُ اقْضِنِي ؛ وَيَقُولُ المُؤْمِنُ : يَا كافِرُ اقْضِنِي .

● وَرَوَى السُّهيلِيُّ أَنَّ موسى عليهِ السَّلامُ ، سَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرِيَهُ الدَّابَّةَ التِي تُكَلِّمُ النَّاسَ ، فَأَخْرَجَها الله له من الأَرضِ ، فَرَأَى مَنْظَراً أَفْزَعَهُ وَهَالَهُ . قَال : أَي رَبِّ ، رُدَّها ؛ فَرَدَّها .

قَالَ : وَالدَّابَّةُ اسْمُها « اقْصدْ » . كَذَا ذَكَرَهُ مُحمَّد بن الحَسَنِ المُقْرِىءُ في « تَفْسِيرِهِ » . انتهى .

● رَوِيَ أَنَّها تَخرُجُ حِينَ يَنْقَطِعُ الخَيْرُ ، وَلا يُؤْمَرُ بِالمَعروفِ ، وَلا يُنْهَى عن المُنْكَرِ ، وَلا يَبْقَى مُنِيبٌ ولا تائِبٌ .

● وَفِي الحَدِيثِ[1] : أَنَّ الدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من المَغْرِبِ ، من أَوَّلِ أَشْراطِ السّاعَةِ ، وَلَمْ يُعَيِّنِ الأَوَّلَ مِنهما ، وَكَذَلِكَ الدَّجّالُ ؛ وَظَاهِرُ الأَحادِيثِ أَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ آخِرُها ، وَالظّاهِرُ أَنَّ الدَّابَّةَ التي تَخرُجُ واحِدَةٌ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ يَخرُجُ من كُلِّ بَلَدٍ دابَّةٌ ، مِمَّا هُوَ مَبْثُوثٌ نَوْعُها فِي الأَرْضِ ،

---

(١) مسلم (٢٩٤١) والبداية والنهاية ١٩/ ٢٥٤ .

وَليستْ بِواحِدَةٍ ؛ فعلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ ﴿ دَآبَّةٍ ﴾ اسْمُ جِنْسٍ .

● وَعن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّها الثُّعْبَانُ الذِي كان في جَوْفِ الكَعْبَةِ ، وَاختَطَفَتْهُ العُقَابُ حِينَ أَرادَتْ قُرَيْشٌ بناءَ البَيْتِ الحَرامِ ، وَأَنَّ الطَّائِرَ حِيْنَ اخْتَطَفَها أَلْقاها بِالحَجُونِ ، فَالْتَقَمَتْها الأَرْضُ ، فَهِيَ الدَّابَّةُ التي تَخْرُجُ تُكَلِّمُ النَّاسَ .

وَتَخْرُجُ عِنْدَ الصَّفَا ، قَالَهُ محمَّد بن الحَسَنِ المُقْرِىء ، وَهُوَ غَرِيبٌ ؛ غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ من أَهْلِ العِلْمِ ، وَلِذَلِكَ حَكَيْنا قَوْلَهُ .

وَقَالَ القُرطبيُّ : إِنَّها فَصِيلُ ناقَةِ صَالِحٍ ، لِقَوْلِهِ في الحَدِيث : « تَخْرُجُ وَلَهَا رُغاءٌ » . وَالرُّغَاءُ لا يَكُونُ إِلاَّ للإِبلِ ؛ وَهُوَ غَرِيبٌ أَيْضاً .

● وَفِي « المِيزانِ » للذَّهبيِّ[1] : عن جَابِرٍ الجُعْفيِّ ، أَنَّهُ كان يَقُولُ : دابَّةُ الأَرْضِ : عَليٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

قَالَ : وَكَانَ جابِرٌ الجُعْفيُّ شِيْعِيّاً يَرَى الرَّجْعَةَ : أَي أَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه يَرْجِعُ إِلى الدُّنْيا .

وَقَالَ الإِمامُ أَبُو حَنيفةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : ما لَقِيْتُ أَحَداً أَكْذَبَ من جابِرٍ الجُعْفيّ ، ولا أَفْضَلَ من عَطاء بن أَبِي رَباحٍ .

وَقَالَ الإِمامُ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَخْبَرَنِي سُفْيان بن عُيَيْنَةَ ، قَالَ : كُنَّا في مَنْزِلِ جابِرٍ الجُعْفيِّ، فتكَلَّمَ بِشَيْءٍ، فَخَرَجْنا مَخافَةَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْنَا السَّقْفُ .

قُلْتُ : وَمَع ذَلِكَ رَوَى لَهُ أَبُو داود والتِّرمذيُّ وابْنُ ماجَهْ .

وَكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ ستٍّ وَستِّيْنَ وَمِئَةٍ[2] .

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٣٨٤ . والأقوال الآتية في ترجمة جابر الجعفيّ ١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٤ .

(٢) في الميزان : سنة سبع وستّين ومئة .

● وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ في كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الدَّابَّةِ اخْتِلافاً كَثِيراً ، فَقِيلَ : إِنَّها عَلَى خِلْقَةِ الآدَمِيِّين .

وَقِيلَ : جَمَعَتْ خَلقَ كُلِّ حَيَوانٍ .

● **وَهُنا فائِدَةٌ** : وَهِيَ أَنَّ المُفَسِّرِينَ اخْتَلَفُوا في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النَّمل : ٨٢] قِيلَ : تُكَلِّمُهُمْ بِبُطْلانِ الأَدْيَانِ سِوَى دِيْنِ الإِسْلامِ . قَالَهُ السُّدِّيُّ .

وَقِيلَ : كَلامُها ، أَنْ تَقُولَ لِواحِدٍ : هَذَا مُؤْمِنٌ ، وَتَقُولُ لِآخَرَ : هَذَا كافِرٌ .

وَقِيلَ : كَلامُها ، ما قَالَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النَّمل : ٨٢] وَيَكُونُ كَلامُها بِالعَرَبِيَّةِ .

● وَرُوِيَ[١] عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قَالَ : لَيسَت بِدَابَّةٍ لَهَا ذَنَبٌ ، وَلَكِنْ لَهَا لِحْيَةٌ ؛ كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلى أَنَّها رَجُلٌ ؛ وَالأَكْثَرونَ على أَنَّها دَابَّةٌ .

● وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ ، عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ وَصَفَ الدَّابَّةَ ، فَقَالَ[٢] : رَأْسُها رَأْسُ ثَوْرٍ ، وَعَيْناها عَيْنَا خِنْزِيرٍ ، وَأُذُنُها أُذُنُ فِيلٍ ، وَقَرْنُها قَرْنُ أَيِّلٍ ، وَصَدْرُها صَدْرُ أَسَدٍ ، وَلَوْنُها لَوْنُ نَمِرٍ ، وَخاصِرَتُها خاصِرَةُ هِرٍّ ، وَذَنَبُها ذَنَبُ كَبْشٍ ، وَقوائِمُها قَوائِمُ بَعِيرٍ ، بين كُلِّ مفصَلَيْنِ اثنا عَشَرَ ذِراعاً .

● وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ[٣] ، عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قَالَ : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ من صَدْعٍ فِي الصَّفَا ، تَجْرِي كَجَرْيِ الفَرَسِ ثَلاثَةَ أَيّامٍ ، وَمَا خَرَجَ ثُلُثُها » .

---

(١) البداية والنِّهاية ١٩/ ٢٥٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٦ والبداية والنِّهاية ١٩/ ٢٥٣ .

(٣) التَّفسير والبداية ١٩/ ٢٥٠ .

● وَرَوَى أَيْضاً عن حُذَيْفَةَ بن اليمانِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ الدَّابَّةَ تَخْرُجُ من أَعْظَمِ المَسَاجِدِ حُرْمَةً عِندَ اللهِ تَعَالَى ؛ بينما عِيسى عليهِ السَّلامُ يَطُوفُ بالبيتِ ، وَمَعَهُ المُسْلِمُونَ ، فَتَضْطَرِبُ الأَرْضُ من تَحتِهم ، وَيَنْشَقُّ الصَّفَا مِمّا يَلِي المَسْعَى ، وَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ من الصَّفا ، أَولُ ما يَبْدُو مِنها رَأْسُها ، مُلَمَّعَةٌ ذَاتُ وَبَرٍ وَرِيْشٍ ، لا يُدْرِكُها طالِبٌ ، وَلا يَفُوتُها هارِبٌ ؛ تَسِمُ النَّاسَ مُؤْمِناً وَكافِراً . أَمَّا المُؤْمِنُ فَتَتْرُكُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، تَكْتُبُ بينَ عَيْنيهِ « مُؤْمِنٌ » ، وَأَمَّا الكافِرُ فتتركُ في وَجهِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ ، وَتَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْه « كافِرٌ » .

● وَرَوَى عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قَرَعَ الصَّفَا بِعَصَاهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ ، وَقَالَ : إِنَّ الدَّابَّةَ لَتَسْمَعُ قَرْعَ عَصَايَ هَذِهِ .

● وَعَنْ عبدِ اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قَالَ : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ من شِعْبِ أَبِي قُبَيْسٍ ، رَأْسُها في السَّحَابِ وَرِجْلاها في الأَرْضِ .

● وَعن أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ[1] : « بِئْسَ الشِّعْبُ شِعْبُ أَجْيَادَ » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً . قِيلَ : وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ ﷺ : « لأَنَّهُ تَخرُجُ مِنْهُ الدَّابَّةُ ، فَتَصْرُخُ ثَلاثَ صَرخاتٍ ، يَسْمَعُها مَن بَيْنَ الخافِقَيْنِ » .

● وَقِيلَ : إِنَّ وَجْهَها وَجْهُ رَجُلٍ ، وَسَائِرُ خِلْقَتِها كَخِلْقَةِ الطَّيْرِ ؛ فَتُكَلِّمُ من رَآها : أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كانُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالقُرْآنِ لا يُوقِنُونَ .

● فَرْعٌ : أُوْصِيَ لِرَجُلٍ بدابَّةٍ : حُمِلَ عَلَى فَرَسٍ وَبَغْلٍ وَحِمَارٍ ، لأَنَّها في اللُّغَةِ اسْمٌ لِمَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، ثُمَّ قَصَرَها العُرْفُ عَلَى ذَواتِ الأَرْبَعِ ، وَالوَصِيَّةُ تَنْزِلُ عَلَى العُرْفِ ، وإِذا ثَبَتَ عُرْفٌ في بَلَدٍ عَمَّ جَمِيعَ البِلادِ .

---

(١) البداية ١٩/ ٢٥٢ .

كَمَا لو حَلَفَ لا يَرْكَبُ دابَّةً ، فَرَكِبَ كافِراً ، لا يَحْنَثُ ، وإِنْ كان اللهُ تَعالَى قد سَمَّاهُ دابَّةً .

وَكَمَا لو حَلَفَ لا يَأْكُلُ خُبْزاً ، حَنِثَ بِأَكْلِ خُبْزِ الأَرُزِّ في طَبَرَستان ، عَلَى الأَصَحِّ ، هَذَا هُوَ المَنْصُوصُ .

وَقَالَ ابنُ سُرَيْجٍ : إِنَّما ذَكَرَ الشَّافِعِيُّ هَذَا عَلَى عُرْفِ أَهْلِ مِصْرَ في رُكُوبِها جَمِيعاً ، واسْتِعمَالِ لَفْظِ الدَّابَّةِ فِيْها .

أَمَّا حَيْثُ لا يُستعملُ إِلاَّ فِي الفَرَسِ ، كَالعِراقِ ، فَإِنَّهُ لا يُعْطَى سِواها .

وَقِيلَ : إِن قَالَهُ بِمِصرَ ، لَمْ يُعْطَ إِلاَّ حِماراً . قَالَهُ في « البَحْرِ » .

وَيَدْخُلُ في لَفْظِ الدَّابَّةِ الكَبِيرُ والصَّغِيرُ ، وَالذَّكَرُ وَالأُنْثَى ، وَالسَّلِيْمُ وَالمَعِيبُ .

وَقَالَ المُتَوَلِّي : لا يُعْطَى إِلاَّ ما يُمْكِنُ رُكُوبُهُ .

● فَرْعٌ : يُكْرَهُ دَوامُ الوُقُوفِ عَلَى الدَّابَّةِ لِغَيْرِ حاجَةٍ ، وَتَرْكُ النُّزولِ عنها لِلْحاجَةِ ، لِمَا في « سُنَنِ أَبِي داود » و« البَيْهَقِيِّ »[1] من حَدِيثِ أَبِي مَريم ، عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوابِّكُمْ مَنَابِرَ ، فإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّما سَخَّرَها لَكُمْ لِتُبْلِغَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَنْ تَكُونُوا بَالِغِيْهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ ، وَجَعَلَ لكم في الأَرْضِ مُسْتَقَرّاً ، فَاقْضُوا عليها حاجاتِكُم » .

وَيَجُوزُ الوُقُوفُ عَلَى ظَهْرِها لِلحاجَةِ رَيْثَمَا تُقْضَى ، لِمَا رَوَى « مُسلِمٌ » و« أَبُو داود » و« النَّسائيُّ »[2] عن أُمِّ الحُصَيْنِ الأَحْمَسِيَّةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها ،

---

(١) أَبو داود (٢٥٦٧) .

(٢) مسلم (١٢٩٨) وأَبو داود (١٨٣٤) والنَّسائيّ (٣٠٦٠) وابن حبَّان (٤٥٦٤) ومسند =

قالت : « حَجَجْتُ مَع رَسُولِ الله ﷺ حِجَّةَ الوَدَاعِ ، فَرَأَيْتُ أُسامَةَ وَبلالاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَحَدُهُما آخِذٌ بِخِطامِ ناقَةِ النَّبيِّ ﷺ والآخَرُ رافِعٌ ثَوْبَهُ يَسْتُرُهُ من الحَرِّ ، حتّى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ » .

وهكذا رَواهُ « أَحمدُ » و« الحاكِمُ » و« ابنُ حِبّانَ » وَصَحَّحَاهُ .

● وَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ ابن عبدَ السَّلامِ في « الفَتَاوى المَوْصِلِيَّةِ » : النَّهْيُ عن رُكُوبِ الدَّوابِّ وَهِيَ واقِفَةٌ ، مَحمولٌ عَلى ما إِذا كان لِغَيْرِ غَرَضٍ صَحِيحٍ ؛ وَأَمَّا الرُّكُوبُ الطَّوِيلُ في الأَغْراضِ الصَّحِيحَةِ ، فَتَارةً يَكُونُ مَنْدُوباً كالوُقُوفِ بعَرَفَةَ ، وَتارةً يَكُونَ واجِباً كَوُقُوفِ الصُّفُوفِ في قِتالِ المُشرِكِيْنَ وَقِتالِ كُلِّ من يَجِبُ قِتالُهُ ؛ وَكَذَلِكَ الحِراسَةُ فِي الجِهادِ إِذا خِيْفَ هَجْمَةُ العَدُوِّ ، وَهَذا لا خِلافَ فيهِ .

وَفِي حَدِيْثِ أُمِّ الحُصَيْنِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ للمُحْرِمِ أَنْ يَسْتَظِلَّ بالمَظَالِّ ، نازِلاً بالأَرْضِ ، وَراكِباً عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ ؛ وَرَخَّصَ فِيهِ أَكْثَرُ أَهْلِ العِلْمِ ، إِلاَّ أَنَّ مَالِكَ بن أَنَسٍ وأَحمد رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما كانَا يَكْرَهانِ لِلْمُحْرِمِ أَنْ يَسْتَظِلَّ رَاكِباً ، لِمَا رَوَى الإِمامُ أَحمدُ ، عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما[1] ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً قد جَعَلَ عَلَى رَحْلِهِ عُوداً لَهُ شُعْبَتَانِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ ثَوْباً يَسْتَظِلُّ بِهِ وَهُوَ مُحْرِمٌ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَضْحِ لِلَّذِي أَحْرَمْتَ له ؛ أَي ابرزْ للشَّمْسِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «لاتَتَّخِذُوا ظُهُورَ الدَّوابِّ مَنابِرَ» فإِنَّما أَرادَ أَنْ [لا] يَسْتَوْطِىءَ

= أحمد ٥/ ٤١٧ و ٦/ ٤٠٢ .

(١) النِّهاية ٣/ ٧٧ والصِّحاح « ضحا » ٦/ ٢٤٠٧ .
وقال الجوهريُّ : هكذا يرويه المحدِّثون : بفتح الأَلف وكسر الحاءِ ، من أَضْحَيْتُ . وقالَ الأَصمعيُّ : إِنَّما هو : اضْحَ لمن أَحْرَمْتَ لَهُ . بكسر الأَلف وفتح الحاء ؛ من ضَحِيْتُ أَضحى ؛ لأَنَّهُ إِنَّما أَمَرَهُ بالبُروزِ للشَّمس .

ظُهُورَها لِغَيْرِ أَرَبٍ في ذَلِكَ وَلا حَاجَةٍ .

● وَقالَ الرِّياشيُّ[1] : رَأَيْتُ أَحمدَ بن المُعَذَّلْ في المَوْقِفِ ، فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الحَرِّ ، وَقد ضَحِيَ للشَّمْسِ ؛ فقلتُ له : يَا أَبا الفَضْلِ ، إِنَّ هَذَا أَمْرٌ قد اخْتُلِفَ فِيهِ ، فَلَوْ أَخَذْتَ بِالتَّوْسِعَة ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ : [من الطويل]

ضَحِيْتُ لَهُ كَيْ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّهِ إِذا الظِّلُّ أَضْحَى فِي القِيَامَةِ قَالِصا
فَوَا أَسَفا إِنْ كانَ سَعْيُكَ باطِلاً وَيَا حَسْرَتَا إِنْ كان حَجُّكَ ناقِصا

وَأَحمدُ بن المُعَذَّل هَذَا بَصْرِيٌّ مَالِكِيُّ المَذْهَبِ ، يُعَدُّ من زُهّادِ البَصْرَةِ وَعُلَمائِها[2] .

وَأَخُوهُ عَبْدُ الصَّمَدِ بنِ المُعَذَّلِ : شاعِرٌ مَاهِرٌ[3] .

٣٠٦ الدَّاجِنُ : الشَّاةُ التي يَعْلِفُها النَّاسُ في مَنَازِلِهِم ، وَكَذَلِكَ النَّاقَةُ وَالحَمامُ البُيُوتيُّ ؛ وَالأُنْثَى : داجِنَةٌ ، وَالجَمْعُ : دَواجِن .

وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : دَوَاجِنُ البُيُوتِ : ما أَلِفَها من الطَّيْرِ وَالشّاةِ وَغَيرِهِما ؛ وَقد دَجَنَ في بَيْتِهِ : إِذا لَزِمَهُ .

قَالَ ابْنُ السِّكِّيْتِ : شَاةٌ داجِنٌ وَراجِنٌ : إِذا أَلِفَتِ البُيُوتَ وَاسْتَأْنَسَتْ . قَالَ : وَمِنَ العَرَبِ من يَقُولُها بِالهَاءِ ، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الشّاةِ كِكِلابِ الصَّيْدِ .

وَقد أَنْشَدَ عليهِ الجوهرِيُّ بَيْتاً لِلَبيد رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه[4] .

---

(١) المجالسة ٢/ ٢٧٧ وترتيب المدارك ٤/ ٨ و ٩ .

(٢) **ترجمته في** : طبقات ابن المعتز ٣٦٨ وترتيب المدارك ٤/ ٥ والوافي بالوفيات ٨/ ١٨٤ .

(٣) **ترجمته في** : الأغاني ١٣/ ٢٢٧ وطبقات ابن المعتز ٣٦٨ وفوات الوفيات ٢/ ٣٣٠ والوافي بالوفيات ١٨/ ٤٥٤ .

(٤) قال لبيد : [الصحاح « دجن » ٥/ ٢١١١ وديوانه ٣١١] .

حتَّى إذا يَئِسَ الرُّماةُ وأَرسلوا غُضْفاً دَواجِنَ قافِلاً أَعْصامُها

قَالَ : وَأَبُو دُجانَةَ : كُنْيَةُ سِماكِ بنِ خَرَشَةَ ؛ وَسَيأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُهُ في « القُنْفُذِ » .

● وَفِي « صَحِيح مُسْلِم »[1] عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ مَيْمُونَةَ أَخْبَرَتْهُ ، أَنَّ داجِنَةً كانَتْ لِبَعْضِ نِسَاءِ النَّبيِّ ﷺ فماتَتْ ، فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلا أَخَذْتُمْ إِهابَها فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ » .

● وَفِيهِ وَفِي « السُّنَنِ الأَربعةِ »[2]:عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت : « لقد نَزَلَتْ آيَةُ الرَّجْمِ وَرَضاعَةُ الكَبِيرِ عَشْراً ، ولقد كانَت في صَحيفةٍ تحتَ سَرِيري ؛ فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَشَاغَلْنا بِمَوْتِهِ ، دَخَلَ داجِنٌ فَأَكَلَها » .

● وَفِي حَدِيثِها أَيضاً : « كَانَ عندَنا داجِنٌ ، فإذا كان رَسُولُ اللهِ ﷺ عِندَنا قَرَّ وَثَبَتَ ، وإِذا خَرَجَ ﷺ جاءَ وَذَهَبَ » .

● وَفِي الحَدِيْثِ[3] : « لَعَنُ اللهُ من مَثَّلَ بِدَواجِنِه » .

● وَعَن عِمران بن حُصينٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ[4] : « كانَتِ العَضْباءُ داجِناً ، لا تُمْنَعُ من حَوْضٍ ولا نَبْتٍ ، وَهِيَ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ » .

● وَفِي حَدِيثِ الإِفْكِ[5] : « فَتَدْخُلُ الدّاجِنُ فَتأْكُلُ من عَجِيْنِها » .

● تَتِمَّةٌ : دُجَيْنُ بن ثابِتٍ ، أَبُو الغُصْنِ اليَرْبُوعِيُّ البَصْرِيُّ[6] : رَوَى عن

---

(١) مسلم (٣٦٤) .

(٢) الحديث في مسند أحمد ٦/ ٢٦٩ وابن ماجه (١٩٤٤) . ولم أَقف عليه في غيرهما .

(٣) النهاية ٢/ ١٠٢ . وقال : والمُثْلَةُ بها : أَن يَخْصِيَها ويجدَعَها .

(٤) مسند أحمد ٤/ ٤٣٠ والنهاية ٢/ ١٠٢ .

(٥) حديث الإفك للمقدسي ٢٠ و ٢٥ و ٢٨ و ٣٠ و ٣٣ . وفي ص ١٥ منه تخريج ضافٍ لحديث الإفك . والمؤلِّف بنقل النَّصَّ أعلاه عن النهاية ٢/ ١٠٢ .

(٦) ترجمته في : ميزان الاعتدال ٢/ ٢٣ ومعرفة الرِّجال لابن معين ١/ ٥٨ و ٢/ ١٠٧ والتاريخ =

أَسلَمَ مَوْلَى عُمر ، وَهَشَام بن عُرْوَةَ بن الزُّبيرِ .

قَالَ ابنُ معينٍ : حَدِيثُهُ لَيسَ بشَيءٍ . وَقَالَ أَبُو حاتِمٍ وَأَبُو زُرْعَةَ : ضَعِيفٌ . وَقَالَ النَّسائيُّ : لَيسَ بثِقَةٍ . وَقَالَ الدَّار قُطْنيُّ وَغيرُهُ : لَيس بِالقَوِيِّ . وَقَالَ ابنُ عَدِيٍّ : رُوِيَ لَنا عن ابنِ معينٍ ، أَنَّهُ قَالَ : دُجَيْنٌ ، هُوَ جُحَا .

وَقَالَ البُخاريُّ : دُجينُ بنُ ثابتٍ : هُوَ أَبو الغُصْنِ ، سَمِعَ مَسْلَمَةَ وَابنَ المُبَارَكِ ؛ وَرَوَى عنه وَكِيعٌ .

● قَالَ عَبْدُ الرَّحمنِ بن مَهْدِيّ : قَالَ لَنَا مَرَّةً دُجَيْنٌ ، وَهُوَ جُحا : حَدَّثَنِي مَولى لِعُمر بن عبدِ العَزيزِ ؛ فَقُلْنا لَهُ : إِنَّ مَولىً لِعُمر بن عبدِ العَزيزِ لَم يُدْرِكِ النَّبيَّ ﷺ ؛ فَقَالَ : إِنَّما هُوَ أَسْلَمُ مَولى عُمر بن الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه . قَالَ : قُلْنا لِعُمر : ما بَالُكَ لا تُحَدِّثُنا عن رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : إِنَّما أَخْشَى أَنْ أَزِيدَ أَوْ أُنْقِصَ ، وإِنِّي قد سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « من كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ » .

● وَقَالَ حَمْزَةُ وَالمَيْدَانِيُّ في « الأَمْثَالِ »[1] : جُحا : رَجُلٌ من فَزارَةَ ، كُنْيَتُهُ أَبُو الغُصْنِ ، وَهُوَ من أَحْمَقِ النّاسِ .

● فَمِنْ حُمْقِه : أَنَّ مُوسَى بنَ عِيسى الهاشميَّ مَرَّ بِهِ يوماً وَهُوَ يَحْفِرُ بظَهْرِ الكُوفَةِ موضِعاً ، فَقَالَ لَهُ : ما بَالُكَ يَا أَبَا الغُصْنِ ؟ لأَيِّ شَيْءٍ تَحْفِرُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي دَفَنْتُ فِي هَذِهِ الصَّحْرَاءِ دَراهِمَ ، وَلَستُ أَهتَدِي إِلى مَكانِها ! فَقَالَ لَهُ مُوسَى : كان يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ عليها عَلامَةً : قَالَ : لقد فعلتُ . قَالَ : مَاذا ؟ قَالَ : سَحابَةٌ في السَّمَاءِ كَانَتْ تُظِلُّها ، وَلَسْتُ أَدْرِي مَوْضِعَ العَلامَةِ الآنَ .

= الكبير للبخاري ٣/ ٢٥٧ والجرح والتعديل ٣/ ٤٤٤ والكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٥ وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٢ والمغني في الضعفاء ١/ ٢٢٢ والوافي بالوفيات ١٣/ ٥١١ ولسان الميزان ٣/ ٤١٥ .

(١) الميداني ١/ ٢٢٣ والعسكري ١/ ٣٨٧ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ١٣٨ والزَّمخشري ١/ ٧٦ .

● وَمِن حُمقِهِ أَيْضاً[1] : أَنَّهُ خَرَجَ يَوْماً بغَلَسٍ ، فَعَثَرَ فِي دِهْلِيزِ مَنزِلِهِ بِقَتِيلٍ ، فَأَلْقَاهُ فِي بِئْرٍ هُناكَ ، فَعَلِمَ بِهِ أَبُوهُ ، فَأَخرَجَهُ وَدَفَنَهُ ، ثُمَّ خَنَقَ كَبْشاً وَأَلْقاهُ في البِئْرِ ؛ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ القَتِيلِ طافُوا في سِكَكِ الكُوفَةِ يَبْحَثُونَ عنه فَتَلَقّاهُم جُحا ، وَقَالَ : فِي دارِنا رَجُلٌ مَقْتُولٌ ، فانْظُرُوا لَعَلَّهُ صاحِبُكُمْ . فَغَدوا إِلى مَنزِلِهِ ، فَأَنْزَلُوهُ في البِئْرِ ، فَلَمّا رَأَى الكَبْشَ ناداهُمْ : هَل كان لِصَاحِبِكُمْ قُرُونٌ ؟ فَضَحِكُوا مِنْهُ وانْصَرَفُوا .

● وَمِنْ حُمْقِهِ أَيْضاً[1] : أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ الخُراسانيَّ صاحِبَ الدَّعْوَةِ ، لَمّا وَرَدَ الكُوفَةَ قَالَ لِمن حَولَهُ : أَيُّكُمْ يَعْرِفُ جُحا فَيَدْعُوهُ إِليَّ ؟ فَقَالَ يَقطِينُ : أَنَا ، فَخَرَجَ وَدَعاهُ ، فَلَمّا دَخَلَ لَم يَجِدْ فِي المَجلِسِ غيرَ أَبي مُسلِمٍ وَيَقْطِينَ ، فَقَالَ جُحا : يَا يَقْطِينُ ، أَيُّكما أَبُو مُسلِمٍ ؟ .

وَجُحا[1] : اسمٌ لا يَنصَرِفُ ، لأَنَّهُ مَعدولٌ من جاحٍ ، مِثل عُمَرَ من عامِرٍ ؛ يُقال : جَحا يَجْحُو جَحْواً : إِذا رَمَى .

٣٠٧ الدّارِمُ : القُنْفُذُ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[2] ؛ وَسَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ القافِ » .

٣٠٨ الدَّبى : بِفَتْحِ الدّالِ المهملةِ ، وَتَخفِيفِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ : الجَرادُ قَبلَ أَن يَطِيرَ ؛ الواحِدَةُ : دَباةٌ .

قَالَ الرَّاجِزُ[3] : [من الرَّجز]

---

(١) المَيْدانيّ ١/ ٢٢٣ ، والعَسْكَريّ ١/ ٣٨٧ ، والدُّرةُ الفاخِرَةُ ١/ ١٣٨ ، والزَّمَخشريّ ١/ ٧٦ .

(٢) لم يذكر ذلك في المخصص ٨/ ٩٤ ـ ٩٥ ، ولعلَّه في المحكم . وقال في اللِّسان « درم » ٢/ ١٣٦٧ : والدَّرّام: القُنفذ، لِدَرَمانِهِ؛ والدَّرَمانُ: مِشْيَةُ الأَرنب والفأر والقُنفذ وما أَشبهه .

(٣) الشَّطران لسيَّار الأَبانيّ ، في الصِّحاح واللِّسان التَّاج « خوق » . وفي الصِّحاح « دبا » بلا نسبة . والخوق : الحلقة .

كَــأَنَّ خَــوْقَ قُــرْطِهــا المَعْقُــوبِ عَلــى دَبــاةٍ أَوْ عَلــى يَعْسُــوبِ

وَأَرْضٌ مُدْبِيَةٌ : أَي كَثِيْرَةُ الدَّبى[1] .

وَقَالُوا فِي أَمْثَالِهِمْ[2] : « أَكْثَرُ من الدَّبَى » .

● وفِي حَدِيثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها[3] ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ النَّاسُ بعد ذلك ؟ قَالَ ﷺ : « دَبىً يَأْكُلُ شِدادُهُ ضُعَفَاءَهُ ، حَتّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

وَقد تَقَدَّمَ الكَلامُ عَلَى عُمُومِ الجَرادِ .

٣٠٩ الدُّبُّ : من السِّبَاعِ ، مَعروفٌ ، وَالأُنْثَى دُبَّةٌ .

وَكُنيتهُ[4] : أَبُو جُهَيْنَةَ ، وَأَبُو الحَلاَّجِ ، وَأَبُو سَلَمَةَ ، وَأَبُو حُمَيْدٍ ، وَأَبُو قَتادَةَ ، وَأَبُو اللِّماسِ .

وَأَرْضٌ مَدَبَّةٌ : أَي ذَاتُ دِببَةٍ[5] .

● وَالدُّبُّ[6] يُحِبُّ العُزْلَةَ ، فإِذا جَاءَ الشِّتاءُ ، دَخَلَ وِجَارَهُ الَّذِي اتَّخَذَهُ في الغِيْرانِ ، وَلا يَخْرُجُ حَتّى يَطِيبَ الهَوَاءُ ؛ وإِذا جَاعَ يَمْتَصُّ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَيَنْدَفِعُ عنه بِذَلِكَ الجُوعُ ؛ وَيَخرجُ في الرَّبِيعِ كَأَسْمَنِ ما يَكُونُ .

وَهُوَ مُختلِفُ الطِّباعِ ، لأَنَّهُ يَأكلُ ما تَأكلُهُ السِّبَاعُ ، وَمَا تَرعاهُ البَهائِمُ ،

---

(١) إلى هنا عن الصِّحاح « دبا » ٦/ ٢٣٣٣ .

(٢) الميداني ٢/ ١٧١ ، والعسكري ٢/ ١٣٧ ، والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٤٤٧ .

(٣) عن النِّهاية ٢/ ١٠٠ .

(٤) المرصّع ١٢١ ، ١٣٨ ، ٢٠٠ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٣٦٢ .

(٥) عن الصِّحاح « دبب » ١/ ١٢٤ .

(٦) عن عجائب المخلوقات ٢٥٨ ، وعنه مسالك الأبصار ٢٠/ ٤٥ ـ ٤٦ ، والمستطرف ٢/ ٤٧٩ .

وَمَا يَأكلُهُ النّاسُ .

وَمِن طَبْعِه : أَنَّهُ إذا كان أَوانُ السّفَادِ ، خَلا كُلُّ ذَكَرٍ بأَنْثاهُ ؛ وَالذَّكَرُ يُسافِدُ أُنْثاهُ مُضْطَجِعَةً عَلَى الأَرْضِ .

وَتَضَعُ[1] الأُنْثَى جُرْوَها قِطعَةَ لَحْمٍ ، غَير مُمَيَّزِ الجَوارِحِ ، فتهربُ بِهِ من مَوضِعٍ إلى مَوْضِعٍ ، خَوْفاً عَلَيْهِ من النَّمْلِ ، كَمَا تَقَدَّمَ في « جَهْبَر » ، وَهِيَ مع ذَلِكَ تَلْحَسُهُ حَتّى تَتَمَيَّزَ أَعْضاؤُهُ وَيَتَنَفَّسَ .

وَفِي وَلادَتِها صُعُوبَةٌ ، وَرُبَّما أَشرَفَتْ عَلَى التَّلَفِ حَالَةَ الوَضْعِ .

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّها تَلِدُ من فِيها ، وإِنَّما تَلِدُهُ ناقِصَ الخَلْقِ ، شَوْقاً لِلْذَّكَرِ ، وَحِرْصاً عَلَى السّفادِ ؛ وَلِشِدَّةِ شَهْوَتِها تَدْعُو الآدَمِيَّ إِلى وَطْئِها .

وَمِنْ شَأْنِ هَذَا الجِنسِ أَن يَسْمَنَ في الشِّتَاءِ ، وَتَقِلُّ فِيهِ حَرَكَتُهُ ، وَتَضَعُ الإِناثُ حِينَئِذٍ .

وإِذا جَثَمَ في مَكانٍ ، لا يَتَحَرَّكُ مِنه إِلى أَن يمضِيَ عليهِ أَربعةَ عَشَرَ يوماً ، وبعدَ ذَلِكَ يَتَدَرَّجُ في الحَرَكَةِ .

وَالأُنْثَى إِذا انْهَزَمَتْ دَفَعَتْ جِراءَها بَيْنَ يَدَيْها ، فإِذا اشْتَدَّ خَوْفُها عليها صَعَدَتْ بِها الأَشجَارَ .

وَفِي طَبْعِهِ فِطْنَةٌ عَجِيبةٌ لِقَبُولِ التَّأْدِيبِ ، لَكِنَّهُ لا يُطِيعُ مُعَلِّمَهُ ، إِلاّ بِعُنْفٍ وَضَرْبٍ شَدِيدٍ .

وَحُكمه : تَحرِيمُ الأَكْلِ ؛ لأَنَّهُ سَبُعٌ يَتَقَوَّى بنابِهِ .

وَقَالَ الإِمامُ أَحمد : إِن لم يَكُنْ له نابٌ ، فَلا بَأسَ بِهِ ، لأَنَّ الأَصْلَ

---

(١) عن عجائب المخلوقات ٢٥٨ ، وعنه مسالك الأبصار ٢٠/٤٥ ـ ٤٦ ، والمستطرف ٢/٤٧٩ .

الإِباحَةُ ، ولم يَتَحَقَّقْ وُجُودُ المُحَرَّمِ .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ الإمامُ أَبُو الفَرَجِ ابن الجَوزيِّ في آخِرِ « الأَذكِيَاءِ »[1] :

هَرَبَ رَجُلٌ من أَسَدٍ ، فَوَقَعَ في بِئرٍ ، فَوَقَعَ الأَسَدُ خَلْفَهُ ، فإذا في البِئْرِ دُبٌّ ، فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ : مُنْذُ كَمْ لَكَ هَا هُنا ؟ قَالَ : مُنْذُ أَيَّامٍ وَقَدْ قَتَلَنِيَ الجُوعُ ؛ فقال له الأَسَدُ : أنَا وأَنتَ نأكلُ هذا الإنسانَ ، وقد شَبِعْنا ؛ فقال له الدُّبُّ : فإذا عاوَدَنا الجوعُ ما نَصْنَعُ ؟ وإنَّما الرَّأْيُ أَنْ نَحْلِفَ لَهُ أَنَّا لا نُؤْذِيه ، لِيَحْتَالَ فِي خَلاصِنا وَخَلاصِه ، فإِنَّهُ عَلَى الحِيلَةِ أَقْدَرُ مِنّا . فَحَلَفَا له ، فَتَشَبَّثَ حَتّى وَجَدَ نَقْباً ، فَوَصَلَ إِلَيهِ ، ثُمَّ إلى الفَضَاءِ ، فَتَخَلَّصَ وَخَلَّصَهُما .

وَمعنى هَذَا أَنَّ العاقِلَ لا يَتْرُكُ الحَزْمَ فِي كُلِّ أُمُورِهِ ، وَلا يَتَّبِعُ شَهْوَتَهُ ، لا سِيَّمَا إذا عَلِمَ أَنَّ فِيها هَلاكَهُ ، بَلْ ينظرُ في عاقِبَةِ أَمْرِهِ ، وَيَأْخُذُ بِالحَزْمِ في ذَلِكَ .

● وَحَكَى القَزوينيُّ في « عَجائِبِ المَخلوقاتِ »[2] : أَنَّ أَسداً قَصَدَ إِنساناً ، فَهَرَبَ والْتَجَأَ إلى شَجَرَةٍ ، فإذا عَلَى بَعْضِ أَغْصانِها دُبٌّ يَقْطِفُ ثَمَراتِها ، فَلَما رَأَى الأَسَدُ أَنَّهُ قَصَدَ الشَّجَرَةَ ، جاءَ وافْتَرَشَ تَحْتَها يَنْتَظِرُ نُزُولَ الإِنسَانِ .

قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلى الدُّبِّ ، فإذا هُوَ يُشِيرُ بأُصبعِهِ إِلى فِيهِ : أَنِ اسكتْ ، لِئَلاّ يعرفَ الأَسَدُ أَنِّي هُنا .

قَالَ : فَبَقِيتُ مُتَحَيِّراً بينَ الأَسَدِ وَالدُّبِّ ؛ وَكَانَ مَعِي سِكِّينٌ صَغِيرٌ ، فَأَخْرَجْتُهُ وَقَطَعْتُ بَعْضَ الغُصْنِ الذِي عَلَيهِ الدُّبُّ ، حتى إذا لَم يبقَ مِنهُ إِلاّ اليَسِير ، سَقَطَ الدُّبُّ بِسَبَبِ ثِقَلِهِ ، فَوَثَبَ الأَسَدُ عليهِ ، وَتَصَارَعا زَماناً ، ثُمَّ

---

(١) أخبار الأذكياء ٢٥٦ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٥٨ ، وعنه مسالك الأبصار ٢٠/٤٦ .

غَلَبَهُ الأَسَدُ ، فَافْتَرَسَهُ وَرَجعَ عَنِّي .

الأَمْثَالُ : تَقَدَّمَ أَنَّهم قالوا : « أَحْمَقُ من جَهْبَرٍ » ، وَهِيَ أُنْثَى الدُّبِّ .

وَأَمَّا قولُهُم[(١)] : « أَلْوَطُ من دُبٍّ » : فَهُوَ رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ ، كان يَتَجاهَرُ بِعَمَلِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا قولُهم[(١)] : « أَلْوَطُ من ثَفَرٍ »[(٢)] : فَإِنَّما قَالُوهُ لأَنَّ الثَّفَرَ لا يُفارِقُ دُبُرَ الدَّابَّةِ .

وَقولُهُم[(١)] : « أَلْوَطُ من راهِبٍ » : هَذَا من قَوْلِ الشَّاعِرِ[(٣)] : [مِنَ المُتقارب]

وأَلْوَطُ مِنْ راهِبٍ يَدَّعِي   بِأَنَّ النِّساءَ عليهِ حَرامْ

الخَوَاصُّ[(٤)] : نابُهُ : يُلْقَى في لَبَنِ المُرْضِعَةِ ، وَيُسْقَاهُ الصَّبِيُّ ، تَنْبُتُ أَسْنانُهُ بِسُهُولَةٍ .

وَشَحْمُهُ : يُزِيلُ البَرَصَ طِلاءً .

وإذا شُدَّتْ عينُه اليُمنى في خِرْقَةٍ ، وَعُلِّقَتْ عَلَى عَضُدِ إِنسانٍ ، لم يَخَفِ السِّبَاعَ ؛ وإِنْ عُلِّقَتْ عَلَى من بِهِ الحُمّى الدَّائِمَةُ أَبْرَأَتْهُ .

وَمَرارَتُهُ : إذا اكْتُحِلَ بها مَعَ العَسَلِ وَمَاءِ الرّازِيانجِ ، أَذْهَبَتْ ظُلْمَةَ البَصَرِ .

وَإِذا طُلِيَ بِشَحْمِهِ مَوْضِعُ دَاءِ الثَّعْلَبِ ، أَنْبَتَ الشَّعْرَ فِيهِ .

وإذا شُرِبَ من مَرارَتِهِ وَزْنُ دانِقَيْنِ ، بِعَسَلٍ وَمَاءٍ حَارٍّ ، نَفَعَ الرِّئَةَ

---

(١) الميداني ٢/ ٢٥٤ ، والعسكري ٢/ ٢٢٣ ، والزَّمخشري ١/ ٣٥٥ .

(٢) في الميداني : أَلوط من نُغَر .

(٣) بلا نسبة في الميداني والزَّمخشري والدّيارات ١٠٨ ، وأَمالي يموت بن المزرّع ٨٥ ، ومسالك الأَبصار ١/ ٢٦١ . ونسب في عيون الأَخبار ٤/ ١١٢ إلى أَبي المهنَّد .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٥٨ ، ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٤٦ ، ومفردات ابن البيطار ٢/ ٨٧ ، وتذكرة داود ١/ ١٥١ .

وَالبَواسِيرَ ، وَطَرَدَ الرِّيَاحَ .

وإذا رُبطَتْ مَرارَتُهُ عَلَى فَخْذِ الرَّجُلِ اليُمْنَى ، جامَعَ ما شَاءَ ولا يَضُرُّهُ .

وَدَمُهُ : إذا اكْتُحِلَ بِهِ ، مَنَعَ طُلُوعَ الشَّعْرِ فِي أَجْفانِ العَيْنِ ؛ وإِنِ اكْتُحِلَ بِهِ بَعْدَ نَتْفِهِ لَمْ يَنْبُتْ .

وإذا دُلِكَ الوَلَدُ بشَحمِهِ ، كان لَهُ حِرْزاً من كُلِّ سُوءٍ ؛ وإذا حُشِيَ بِشَحمِهِ مَوْضِعُ النّاسُورِ ، نَفَعَهُ ؛ وإذا طُلِيَ بِشَحْمِهِ كَلْبٌ جُنَّ .

وَقِطْعَةٌ من جِلدِهِ إذا عُلِّقَتْ عَلَى الصَّبيِّ الَّذِي سَاءَ خُلُقُهُ ، يَزولُ عنه ذلك .

وَعينهُ اليُمنى إذا جُفِّفَتْ وَعُلِّقَتْ عَلَى الطِّفْلِ ، لَمْ يفزَعْ في نَومِهِ .

التَّعْبيرُ[1] : الدُّبُّ فِي المَنامِ : يَدُلُّ عَلَى الشَّرِّ وَالنَّكَدِ وَالفِتْنَةِ ، وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى المَكْرِ وَالخَدِيعَةِ ، وَعَلَى المَرأَةِ الثَّقِيلَةِ البَدَنِ ، المُوحِشَةِ المَنْظَرِ ، ذَاتِ اللَّهْوِ واللَّعِبِ وَالطَّرَبِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى الأَسْرِ والسَّجْنِ ؛ وَرُبَّمَا دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى عَدُوٍّ أَحْمَقَ ، لِصٍّ مُحْتالٍ مُخَنَّثٍ .

فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ رَكِبَ دُبّاً ، نَالَ وِلايَةً دَنِيئَةً ، إن كان لَها أَهلاً ؛ وإِلاَّ نَالَهُ هَمٌّ وَخَوْفٌ ثُمَّ يَنْجُو .

وَرُبَّما دَلَّ عَلَى سَفَرٍ ، ثُمَّ يرجِعُ إِلى مَكانِهِ ؛ وَاللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

٣١٠ الدَّبْدَبُ : حِمَارُ الوَحْشِ . قَالَهُ فِي « العُباب » . وقد تَقَدَّمَ الكَلامُ عليهِ فِي « بابِ الحَاءِ المهملة » .

٣١١ الدَّبْرُ : بِفَتْحِ الدّالِ : جَماعَةُ النَّحْلِ . وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ : الدَّبْرُ : الزَّنابيرُ ؛ وَأَمَّا الدِّبْرُ بِكَسْرِ الدَّالِ : فَصِغارُ الجَرَادِ .

---

(١) تفسير الواعظ ٢٨٦ .

قَالَ الأَصمَعِيُّ : لا واحِدَ له من لَفْظِهِ ؛ وَيُقالُ : إِنَّ واحِدَهُ خَشْرَمَةٌ . وَيُجْمَعُ الدَّبْرُ عَلَى دُبُورٍ .

● قَالَ الهُذَلِيُّ في وَصْفِ عَسّالٍ(١) : [من الطويل]

إذا لَسَعَتْــهُ الــدَّبْــرُ لَــمْ يَــرْجُ لَسْعَهــا

أَي : لَمْ يَخَف لَسْعَها ؛ وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ [الكَهف : ١١٠] وَقَوْلُهُ تعالَى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ ﴾ [العنكبوت : ٥] أَي من كان يَخافُ لِقَاءَهُ .

قَالَ النَّحّاسُ : أَجْمَعَ أَهْلُ التَّفسيرِ عَلَى أَنَّ الرَّجَاءَ في الآيَتَيْنِ بِمَعْنَى الخَوْفِ .

وَيُقَالُ أَيْضاً للزَّنابيرِ : دَبْرٌ ؛ كَمَا قَالَهُ السُّهيلِيُّ .

وَمِنهُ قِيلَ لِعاصِم بن ثَابتٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : حَمِيُّ الدَّبْرِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ المُشْرِكِينَ لَمّا قَتَلُوهُ ، أَرادُوا أَنْ يُمَثِّلُوا بهِ ، فَحَماهُ اللهُ تعالَى بالدَّبْرِ ، فارْتَدعوا عنهُ حَتَّى أَخَذَهُ المُسْلِمُونَ فَدَفَنُوهُ(٢) . وَكَانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قد عاهَدَ اللهَ أَن لا يَمَسَّ مُشْرِكاً ، وَلا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ ، فَحَماهُ الله تعالى منهم بعد وفاته .

---

(١) صدر بيتٍ لأَبي ذؤيب الهذلي ، في ديوان الهذليّين ١/ ١٤٣ ، وشرح أَشعار الهذليّين ١/ ١٤٤ . وروايته عند السّكّريّ :

إذا لَسَعَتْــهُ النَّحْــلُ لَــمْ يَــرْجُ لَسْعَهــا وخــالَفَهــا فــي بَيْــتِ نُــوبٍ عــوامِــلِ

وفي ديوان الهذليّين كرواية المؤلِّف أَعلاه .

(٢) هذا ما قالَهُ الجوهريُّ ـ مصدر المؤلِّف ـ في الصِّحاح دبر » ٢/ ٦٥٢ ، وعنه اللِّسان والتَّاج « دبر » ! ! وهو خطأٌ ؛ صوابه : أَنَّ المشركين لمَّا عجزوا عن أَخذ رأْسه ليبيعوه من سلافة التي نذرت أَن تشرب الخمرَ فيهِ ، بعث الله عليْهِ الدَّبْرَ فحمته من رُسُلِهم ؛ فلمَّا أَعجزهم قالوا : إنَّ الدَّبْرَ سيذهبُ إذا جاء اللَّيْلُ ؛ فبعث اللهُ مطراً ، فجاء سَيْلٌ فحَمَلَهُ فلمْ يوجدْ . (السِّيرة ٢/ ١٧١ ، وطبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ، والاستيعاب ٢/ ٧٧٩ ـ ٧٨٠ ، وأُسد الغابة ٣/ ١١١ ـ ١١٢ ، والإصابة ٣/ ٤٦٠ (رقم ٤٣٦٥)) .

● وَفِي أَوائِلِ « تاريخِ نَيسَابُور » للحاكِمِ[1] ، عن ثُمامَة بن عبدِ اللهِ بن أَنس بن مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، وَهُوَ مِمَّنْ رَوَى لَهُ الجَماعَةُ ، أَنَّهُ قَالَ :

خَرجنَا مَرَّةً من خُراسانَ ، وَمَعَنا رَجُلٌ يَشتمُ ، أَو يَنَالُ من أَبِي بَكرٍ وَعُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، فنَهَيْناهُ ، فَأَبَى ؛ فَحَضَرَ غَدَاؤُنا ذاتَ يوم ، ثُمَّ مَضَى إِلى حاجَتِهِ ، فَأَبطَأَ علينا ، فَبعَثْنا في طَلَبِهِ ، فَرَجَعَ إِلَينَا الرَّسولُ ، وَقَالَ : أَدْرِكُوا صاحِبَكُمْ ؛ فَذَهبنا إِليهِ فإِذا هُوَ قد قَعَدَ عَلَى جُحْرٍ يَقْضِي حاجَتَهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ عُنُقٌ من الدَّبْرِ ، فَنَثَرَتْ مَفاصِلَهُ مَفْصِلاً مَفْصِلاً .

قَالَ : فَجَمَعْنا عِظامَهُ ، وإِنَّها لَتَقعُ عَلَيْنا فَمَا تُؤْذِيْنَا ، وَهِيَ تَبْرِي مَفاصِلَهُ .

● وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ[2] : « لَتَسْلُكُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ ذِراعاً بِذِراعٍ ، حَتى لو سَلَكُوا خَشْرَمَ دَبْرٍ ، لَسَلَكْتُمُوهُ » .

وَالخَشْرَمُ : مَأْوَى النَّحْلِ .

● وَفِي « الفائِقِ »[3] : أَنَّ سُكَيْنَةَ بنتَ الحُسينِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، جاءَت إِلى أُمِّها الرَّبابِ ، وَهِيَ صَغِيرةٌ تَبْكِي ، فَقَالَتْ : ما بِكِ ؟ قَالَت : مَرَّت بِي دُبَيْرَةٌ ، فَلَسَعَتْنِي بِأُبَيْرَةٍ .

أَرادَتْ تَصْغِيرَ دَبْرَةٍ ، وَهِيَ النَّحْلَةُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتدبيرِها في عَمَلِ العَسَلِ .

٣١٢ الدَّبْسِيُّ : بِفَتْحِ الدّالِ المُهملةِ ، وَكَسْرِ السِّينِ المُهملَةِ ؛ وَيُقَالُ لهُ أَيضاً[4] : الدُّبْسِيُّ ، بِضَمِّ الدّالِ : طائِرٌ صَغِيرٌ ، مَنْسُوبٌ إِلى دِبْسِ الرُّطَبِ ؛

---

(١) سيأْتي مثل هذا الخبر ، في مادَّة « الزُّنبور » .

(٢) عن النِّهاية ٢/ ٣٣ .

(٣) والنِّهاية ٢/ ٩٩ .

(٤) عن الصِّحاح « دبس » ٣/ ٩٢٦ ، والنِّهاية ٢/ ٩٩ .

لأنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ في النَّسَبِ ، كَالدُّهْرِيِّ وَالسُّهْليّ ، وَالفاميُّ بائِعُ الفُومِ ، وَالقِيَاسُ فُوميٌّ ؛ وَالأَدْبَسُ من الطَّيْرِ والخَيْلِ : الَّذِي في لَوْنِهِ غُبْرَةٌ ، بَيْنَ السَّوادِ وَالحُمْرَةِ .

وَهَذَا النَّوْعُ : قِسْمٌ من الحَمامِ البَرِّيِّ ، وَهُوَ أَصْنافٌ : مِصْرِيٌّ وَحِجَازِيٌّ وعِراقِيٌّ ؛ وَهِيَ مُتقارِبَةٌ ، لَكِنَّ أَفْخَرَها المِصْرِيُّ ، وَلَوْنُهُ الدُّكْنَةُ ؛ وَقِيلَ : هُوَ ذَكَرُ اليَمامِ .

● قَالَ الجاحِظُ(١) : قَالَ صاحِبُ « مَنْطِقِ الطَّيْرِ » : يُقَالُ في الحَمامِ الوَحْشِيِّ من القَمَارِي والفَواخِتِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ : دباسيٌّ .

وَيُقَالُ : هَدَلَ يَهْدِلُ هَدِيلاً ، إذا صَاحَ ؛ فإذا طَرَّبَ ، قِيلَ : غَرَّدَ يُغَرِّدُ تَغْرِيداً ؛ وَالتَّغْرِيدُ يكونُ أيضاً للإِنسَانِ ، وَأَصْلُهُ من الطَّيْرِ ؛ وَبَعْضُهُمْ يَزْعمُ أَنَّ الهَدِيلَ من أَسمَاءِ الحَمامَةِ الذَّكَرِ ؛ قَالَ الرّاعِي(٢) : [من الكامل]

كَهُداهِدٍ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَهُ ... يَدْعُو بِقارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيْلا

وَسَيَأْتِي إن شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ الهَدِيلِ فِي « بابِ الهَاءِ » .

● رَوَى « الإِمامُ أَحمد » وَ« الطَّبرانيُّ » - وَرِجَالُ « المُسْنَدِ » رِجَالُ الصَّحِيحِ(٣) - عن يَحيى بن عُمارَة ، عن جَدِّهِ أَبِي حَسَنٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ الأَسْواقَ ، فأَخَذْتُ دُبسِيَّتَيْنِ ، وَأُمُّهُما تُرَفْرِفُ عَلَيهِما ، وَأَنا أُرِيدُ أَن أَذْبَحَهُما .

قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيَّ أَبُو حَسَنٍ ، فأَخَذَ مِتْيَخَةً فَضَرَبَنِي بِها ، [فَقَالَتْ لِي امْرَأَةٌ مِنَّا يُقَالُ لَها مَرْيَمُ : لَقَدْ تَعِسْتُ من عَضدِهِ وَمِنْ تَكْسِيرِ المِتْيَخَةِ](٤) ، وَقَالَ

---

(١) الحيوان ٣/ ٢٤٣ .

(٢) في أ ، ط : قَالَ الرّاجز ! ! . والبيت للرّاعي النُّميريّ في ديوانه ٢٣٨ ، وأَمالي المرزوقي ٤٧٨ .

(٣) مسند أَحمد ٤/ ٧٧ .

(٤) ما بينهما من ب .

لِي : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَرَّمَ ما بَيْنَ لابَتَي المَدِيْنَةِ ؟ .

المِتَّيْخَةُ : أَصْلُ جَرِيدَةِ النَّخْلِ ، وَأَصْلُ العُرجونِ وَالأَسواقِ .

وسيأتي إن شاء الله تَعالَى ذِكْرُهُ في « النّهّاس » أيضاً في « باب النُّونِ » .

● وَفِي « المُوَطَّأ »[1] عن عبد اللهِ بن أَبي بَكرٍ : « أَنَّ أَبا طَلْحَةَ الأَنْصارِيَّ رَضِيَ اللهُ عنه ، كان يُصَلِّي فِي حائِطٍ لَهُ ، فَطَارَ دُبْسِيٌّ ، فَأَعْجَبَهُ وَهُوَ طائِرٌ في الشَّجَرِ يَلْتَمِسُ مَخْرجاً ، فَأَتْبَعَهُ بَصَرَهُ ساعَةً وَهُوَ في صَلاتِهِ ، فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلّىٰ ، فَذَكَرَ لِلنَّبيِّ ﷺ ما أَصابَهُ من الفِتْنَةِ ، ثُم قالَ : يَا رَسُول اللهِ ، هُوَ صَدَقَةٌ ، فَضَعْهُ حَيْثُ شِئْتَ » .

● قالَ مالِكٌ[2] : « وَعن عبدِ اللهِ بن أَبي بكرٍ : أَنَّ رَجُلاً من الأَنْصارِ كان يُصَلِّي في حائِطٍ لَهُ بالقُفِّ فِي زَمَنِ الثَّمَرِ ، وَالنَّخْلُ قد ذُلِّلَتْ فَهِيَ مُطَوَّقَةٌ بِثَمَرِها ؛ فنظَرَ إِلَيها فَأَعْجَبَهُ ما رَأَى من ثَمَرِها ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى صَلاتِهِ ، فإذا هُوَ لا يَدرِي كم صَلَّى ، فقَالَ : لَقَدْ أَصابَتْنِي في مَالِي هَذَا فِتْنَةٌ ، فَجاءَ عُثْمانَ بن عَفّانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه وهوَ يومئِذٍ خَلِيفةٌ ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : هُوَ صَدَقَةٌ ، فَاجعلْهُ في سُبُلِ الخَيْرِ ؛ فَباعَهُ عُثْمانُ بن عفان رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه بِخَمسِينَ أَلْفاً ؛ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الحائِطُ الخَمْسِينَ » .

وَالقُفُّ : وادٍ من أَوْدِيَةِ المَدِينَةِ .

● وَكَانَ[3] ابنُ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، لا يعجِبُهُ شَيءٌ من مَالِهِ إلاَّ خَرَجَ عنه للهِ تَعالَى ، وَكَانَ رَقِيْقُهُ يَعرِفُونَ مِنه ذَلِكَ ؛ فَرُبَّما لَزِمَ أَحَدُهُمْ المَسجِدَ ، فإذا رآهُ ابنُ عمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما على تِلك الحَالَةِ الحَسَنَةِ

---

(١) الموطأ ١/ ٩٨ .

(٢) الموطأ ١/ ٩٩ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠ .

أَعْتَقَهُ ، فَيَقُولُ لَهُ أَصْحابُهُ : إِنَّهُمْ يَخْدَعُونَكَ ؛ فَيَقُولُ : من خَدَعَنا بِاللهِ تَعَالَى انْخَدَعْنا لَهُ .

وَطُلِبَ مِنْهُ خادِمٌ بِثَلاثِين أَلفاً ، فَقَالَ : أَخافُ أَنْ تَفْتِنَنِي دراهِمُ ابنِ عامِرٍ ـ وكان هو الطَّالِبُ لَهُ ـ فَقَالَ لِلخادِمِ : اذهبْ ، فَأَنْتَ حُرٌّ للهِ تَعَالَى .

وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو سعِيدٍ الخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : ما مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ وَقد مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا ، إِلاّ ابْنَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما .

وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى أَعْتَقَ أَلْفَ نَسَمَةٍ أَوْ أَكْثَرَ من ذَلِكَ ؛ وَمَنَاقِبُهُ وَفَضَائِلُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه لا تُحْصَى .

قَالَ حُجَّةُ الإِسلامِ الغَزالِيُّ : وَكَانُوا يَفعلونَ ذَلِكَ قَطْعاً لِمادَّةِ الفِكْرَةِ ، وَكَفَّارَةً لِمَا جَرَى من نُقْصَانِ الصَّلاةِ ، وَهَذَا هُوَ الدَّوَاءُ القامِعُ لِمَادَّةِ العِلَّةِ ، وَلا يُغْنِي غَيْرُهُ .

● وَمِنْ طَبْعِ الدُّبْسِيِّ : أَنَّهُ لا يُرَى ساقِطاً عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، بَل فِي الشِّتَاءِ له مَشْتىً ، وَفِي الصَّيْفِ لَهُ مَصِيفٌ ؛ وَلا يُعْرَفُ لَهُ وَكْرٌ .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ بِالاتِّفاقِ .

● وَفِي « سُنَنِ البَيْهَقِيّ » عن ابنِ أبي لَيْلَى ، عن عَطَاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قَالَ في الخُضَرِيِّ والدُّبْسِيِّ وَالقُمْرِيِّ وَالقَطَا وَالحَجَلِ إِذا قَتَلَهُ المُحْرِمُ ، شاةً شاةً .

الخَواصُّ : قَالَ صاحِبُ « المِنْهَاجِ في الطِّبِّ » : إِنَّهُ أَفْضَلُ الطَّيْرِ البَرِّيِّ ، وَبَعْدَهُ الشُّحْرورُ وَالسُّمانى ، ثُمَّ الحَجَلُ والدُّرَّاجُ وَفِراخُ الحَمامِ والوَرَشَانُ ، وَهُوَ حارٌّ يابِسٌ .

وَالدَّباساءُ ـ مَمدوداً ـ : الأُنْثَى من الجَرَادِ .

وَهُوَ فِي المَنَامِ : كَالسُّمانى ؛ وَسَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى الكَلامُ عَلَيهِمَا في

« بابِ السِّينِ المُهْمَلَةِ » فَلْيُنْظَرْ هُناكَ .

٣١٣ الدَّجاجُ : مُثَلَّثُ الدّالِ ، حَكَاهُ ابنُ معنِ الدِّمَشْقِيُّ وَابْنُ مَالِكٍ وَغَيْرُهُما ؛ الواحِدَةُ دَجاجَةٌ ؛ الذَّكَرُوَالأُنْثَى فِيهِ سَواءٌ ، وَالهَاءُ فِيهِ كَبَطَّةٍ وَحَمامَةٍ .

قَالَ ابْنُ سِيْدَه[١] : سُمِّيَتِ الدَّجاجَةُ دَجاجَةً لإِقْبالِها وإِدْبارِها . يُقَالُ : دَجَّ القَوْمُ يَدِجُّونَ ، دَجّاً وَدَجِيْجاً : إِذا مَشَوْا مَشْياً رُوَيْداً ، فِي تَقارُبِ خَطْوٍ . وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يُقْبِلُوا وَيُدْبِرُوا .

وَقَالَ الأَصمَعِيُّ : الدَّجاجَةُ بالفَتْحِ : الواحِدَةُ من الدَّجاجِ ، وَبالكَسْرِ : الكُبَّةُ من الغَزْلِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : الكُبَّةُ من الغَزْلِ : دَجاجَةٌ بِفَتْحِ الدّالِ أَيْضاً[٢] . قَالَهُ الإمامُ ابْنُ بُنْدار في « شَرْحِ الفَصِيْحِ » .

● وَكُنْيَةُ الدَّجاجَةِ[٣] : أُمُّ الوَلِيْدِ ، وَأُمُّ حَفْصَةَ ، وَأُمُّ جَعْفَر ، وَأُمُّ عُقْبَةَ ، وَأُمُّ إِحْدَى وَعِشْرِيْنَ ، وَأُمُّ قُوبٍ ، وَأُمُّ نافِعٍ .

وَإِذا[٤] هَرِمَتِ الدَّجاجَةُ لَمْ يَكُنْ لِبَيْضِها مُخٌّ ، وإِذا كانَتْ كَذلِكَ لَمْ يُخْلَقْ مِنها فَرْخٌ .

وَمِنْ[٥] عَجِيْبِ أَمْرِها : أَنَّهُ يَمُرُّ بِها سائِرُ السِّباعِ فَلا تَخْشَاها ، فإِذا مَرَّ بِها ابْنُ آوَى وَهِيَ عَلَى سَطحٍ أَو جِدارٍ أَو شَجَرَةٍ ، رَمَتْ بِنَفْسِها إِلَيهِ .

وَتُوصَفُ الدَّجاجَةُ بِقِلَّةِ النَّوْمِ ، وَسُرْعَةِ الانْتِباهِ .

---

(١) اللِّسان « دجج » ٢/١٣٢٨ .

(٢) وكذا في اللِّسان .

(٣) المرصّع ١٤١ ، ١٢٣ ، و ٢٤٦ و ٥٨ و ٢٧٦ و ٣٢٤ و ٣٦٢ . ولم يرد فيه : أُمُّ الوليد .

(٤) الحيوان ٢/ ٣٤٧ .

(٥) الحيوان ٢/ ٥٤ و ٦/ ٣٧٦ .

يُقَالُ[1] : إنَّ نَوْمَها وَاسْتيقاظَها إنَّما هُوَ بِمِقْدَارِ خُرُوجِ النَّفَسِ وَرُجُوعِهِ .

وَيُقَالُ : إنَّها تَفْعَلُ ذَلِكَ من شِدَّةِ الجُبْنِ ؛ وَأَكْثَرُ ما عِندَها من الحِيْلَةِ أَنَّها لا تَنامُ عَلَى الأَرضِ ، بَل تَرتفِعُ عَلَى رَفٍّ أَو عَلَى جِذْعٍ أَوْ جِدارٍ أَوْ ما قَارَبَ ذَلِكَ ، وإذا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَزِعَتْ إلى تِلْكَ العادَةِ ، وَبادَرَتْ إلَيها .

وَالفَرْخُ[2] يخرجُ من البيضَةِ كاسِياً كاسِباً ، ظَرِيفاً مَقْبُولاً ، سَرِيعَ الحَرَكَةِ ، يُدْعَى فَيُجِيبُ ؛ ثُمَّ هُوَ كُلّما مَرَّتْ عَلَيْهِ الأَيَّامُ حَمُقَ ، وَنَقَصَ حُسْنُهُ وَكَيْسُهُ ، وَزادَ قُبْحُهُ ، فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْسَلِخَ من جَميعِ ما كَانَ فِيهِ إلى ضِدِّهِ ، وَيَصِيرُ إلى حالَةٍ لا يَصْلُحُ فِيْها إلاَّ لِلذَّبْحِ أَوِ الصِّيَاحِ أَوِ البَيْضِ .

وَالدَّجاجُ[3] مُشْتَرِكُ الطَّبِيْعَةِ ، يَأْكُلُ اللُّحُومَ والذُّبابَ ، وَذَلِكَ من طِباعِ الجَوارِحِ ؛ وَيَأْكُلُ الخُبْزَ ، وَيَلْتَقِطُ الحَبَّ ، وَذَلِكَ من طِبَاعِ البَهائِمِ والطَّيْرِ .

وَيُعَرفُ الدِّيْكُ من الدَّجاجَةِ وَهو فِي البيضَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ البيضَةَ إذا كانَتْ مستَطِيلَةً مَحدودَةَ الأَطرافِ ، فَهِيَ مَخْرَجُ الإناثِ ، وإذا كانَتْ مُستَدِيرَةً عَرِيضَةَ الأَطْرافِ فَهِيَ مَخْرَجُ الذُّكُورِ .

وَالفَرْخُ يَخْرُجُ من البَيْضَةِ تارَةً بِالحَضْنِ ، وَتارةً بِأَنْ يُدْفَنَ فِي الزِّبْلِ وَنَحْوِهِ .

وَمِنَ الدَّجاجِ[4] ما يَبِيضُ مَرَّتَيْنِ فِي اليَومِ ؛ وَالدَّجاجَةُ تَبِيضُ في جَمِيعِ السَّنَةِ إلاّ فِي شَهرينِ منها شتوِيَّينِ ، وَيَتِمُّ خَلْقُ البَيْضِ في عَشَرَةِ أَيّامٍ ، وَتَكُونُ البَيْضَةُ عِنْدَ خُرُوجِها لَيِّنَةَ القِشْرِ ، فإذا أَصابَها الهَواءُ يَبِسَتْ .

---

(١) الحيوان ٣/ ٤٠٦ .

(٢) الحيوان ٢/ ٢٧٩ و ٣/ ١٨٤ و ٤١٠ و ٦/ ١١٨ .

(٣) الحيوان ٤/ ٢٩٥ .

(٤) الحيوان ٣/ ١٦٩ و ١٧٦ .

وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى بَيَاضٍ وَصُفْرَةٍ ، بَيْنَهُما قِشْرٌ يُسَمَّى قَمِيصاً ، وَيَعْلُوهُ قِشْرٌ صُلْبٌ ؛ فَالبَيَاضُ رُطُوبَةٌ مُخْتَلِطَةٌ لَزِجَةٌ مُتَشَابِهَةُ الأَجْزَاءِ ، وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ المَنِيِّ ، وَالصُّفْرَةُ رُطُوبَةٌ سَلِسَةٌ ناعِمَةٌ ، أَشْبَهُ شَيْءٍ بِدَمٍ قد جَمَدَ ؛ وَهِيَ لِلْفَرْخِ مَادَّةٌ يَتَغَذَّى بها من سُرَّتِهِ .

وَالذِي يَتَكَوَّنُ من الرُّطُوبَةِ البَيضَاءِ : عَيْنُ الفَرْخِ ، ثُمَّ دِمَاغُهُ ، ثُمَّ رَأْسُهُ ، ثُمَّ يَنْحَازُ البَيَاضُ في لُفافَةٍ واحِدَةٍ هِيَ جِلْدَةُ الفَرْخِ ، وَتَنْحازُ الصُّفْرَةُ في غِشَاءٍ واحِدٍ هِيَ سُرَّتُهُ ، فَيَتَغَذَّى مِنْها كَتَغَذِّي الجَنِينِ من سُرَّتِهِ من دَمِ الحَيْضِ .

وَرُبَّما وُجِدَ في البَيْضَةِ الواحِدَةِ مُحّانِ أَصْفَرانِ ، فإذا حُضِنَتْ هَذِهِ البَيْضَةُ ، خَرَجَ مِنْها فَرْخانِ ، وَقد شُوهِدَ ذلك .

وَأَغْذَى البَيْضِ وأَلْطَفُهُ ، ذَواتُ الصُّفْرَةِ ؛ وَأَقَلُّهُ غِذَاءً ما كانَ من دَجاجٍ لا دِيكَ لَهَا ؛ وَهَذَا النَّوعُ من البيضِ لا يَتَوَلَّدُ مِنه حَيوانٌ ، وَلا مِمّا يُباضُ فِي نُقْصَانِ القَمَرِ عَلَى الأَكْثرِ ؛ لأَنَّ البيضَ من الاسْتِهلالِ إِلى الإِبْدَارِ يَمْتَلِىءُ وَيَرْطُبُ فَيَصْلُحُ لِلكَوْنِ ، وَبالضِّدِّ من الإِبْدَارِ إِلى المَحاقِ .

وَيُعْرَفُ الفَرْخُ الذَّكَرُ من الأُنْثَى بعدَ عشرةِ أَيّامٍ ، بِأَنْ يُعَلَّقَ بِمنْقارِهِ ، فَإِنْ تَحَرَّكَ فَذَكَرٌ ، وإِنْ سَكَنَ فَأُنْثَى .

● وَقَدْ وَصَفَ الشُّعَراءُ البَيْضَةَ بِأَوْصَافٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنها قَوْلُ أَبِي الفَرَجِ الأَصْبَهانيِّ من أَبياتٍ : [مِنَ الكامِل]

فِيهَا بَدائِعُ صَنْعَةٍ وَلَطائِفٌ ... أُلِّفْنَ بِالتَّقْدِيرِ والتَّعْلِيقِ
خِلْطانِ مائِيّانِ مَا اخْتَلَطَا عَلَى ... شَكْلٍ وَمُخْتَلِفِ المِزاجِ رَقِيقِ[1]

● رَوَى « ابن ماجه »[2] من حَدِيثِ أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ

---

(١) في ب : × . . . ومختلط . . . .

(٢) ابن ماجه (٢٣٠٧) .

أَمَرَ الأَغْنِيَاءَ باتِّخَاذِ الغَنَمِ ، وَأَمَرَ الفُقَرَاءَ باتِّخَاذِ الدَّجاجِ ، وَقَالَ : « عِندَ اتِّخَاذِ الأَغْنِيَاءِ الدَّجاجَ ، يَأْذَنُ اللهُ تَعَالَى بِهَلاكِ القُرَى » .

وَفِي إِسنادِهِ عَلِيُّ بن عُرْوَةَ الدِّمشقيُّ . قَالَ ابْنُ حِبّان : كان يَضَعُ الحَدِيثَ .

● قَالَ عبدُ اللَّطِيفِ البَغداديّ : إِنَّما أَمَرَ الأَغْنِيَاءَ باتِّخاذِ الغَنَمِ ، وَالفُقَرَاءَ باتِّخاذِ الدَّجاجِ ؛ لأَنَّهُ أَمَرَ كُلَّ قومٍ بحَسَبِ مقدرَتِهم ، وَمَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُوَّتُهم ؛ وَالقَصْدُ من ذَلِكَ كُلِّهِ : أَن لا يَقعدَ النَّاسُ عن الكَسبِ ، وإِنْمَاءِ المَالِ ، وَعِمارَةِ الدُّنْيا ، وَأَن لا يَدَعوا التَّسَبُّبَ ؛ فإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ التَّعَفُّفَ والقَناعَةَ ، وَرُبَّما أَدَّى إِلَى الغِنَى وَالثَّرْوَةِ .

وَتَرْكُ الكَسْبِ ، وَالإِعْراضُ عنه ، يُوجِبُ الحاجَةَ وَالمَسأَلَةَ لِلنّاسِ وَالتَّكَفُّفَ منهم ، وَذَلِكَ مَذمومٌ شَرْعاً .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « عِندَ اتِّخاذِ الأَغنِيَاءِ الدَّجاجَ ، يَأْذَنُ اللهُ تَعالَى بِهَلاكِ القُرَى » يعنِي أَنَّ الأَغنِيَاءَ إِذا ضَيَّقُوا عَلَى الفُقَرَاءِ في مَكَاسِبِهِم ، وَخَالَطُوهُم فِي مَعايِشِهِم ، تَعَطَّلَ سَبَبُهُم وَهَلَكُوا ، وَفِي هَلاكِ الفُقَرَاءِ بَوارٌ ، وَفِي ذَلِكَ هَلاكُ القُرَى وَبَوارُها .

● وَفِي آخِرِ « البُخَاري » وَغَيرِه[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « تِلكَ الكَلِمَةُ من الحَقِّ يَخْطَفُها الجِنِّيُّ ، فَيُقَرْقِرُها فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجاجَةِ » .

● وَذَكَرَ الإِمامُ العَلاَّمَةُ أَبُو الفَرَجِ ابن الجَوزيِّ فِي « الأَذكِيَاءِ »[2] عن أَحمد ابن طُولون صاحِبِ مِصْرَ ، أَنَّهُ جَلَسَ يوماً فِي مُنْتَزَهٍ لَهُ يَأكلُ مَع نُدَمائِه ، فَرَأَى سائِلاً وَعليهِ ثَوْبٌ خَلَقٌ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي رَغِيفٍ وَدَجاجَةٍ وَقِطْعَةِ لَحْمٍ وفَالُوذَجٍ ،

---

(١) البخاري ٧/ ١٢٢ و ٨/ ٢١٨ ، ومسلم (٢٢٢٨) ، ومسند أحمد ٦/ ٨٧ .

(٢) أخبار الأذكياء ٥٩ ـ ٦٠ ، والمغرب في حلى المغرب (قسم مصر) ١٠٠ ـ ١٠١ .

وَأَمَرَ بعضَ الغِلْمَانِ بِمُناوَلَتِهِ ، فَأَخَذَ ذَلِكَ الغُلامُ وَذَهَبَ بِهِ إِلى السّائِلِ ؛ وَرَجَعَ فَذَكَرَ أَنَّهُ ما هَشَّ له وَلا بَشَّ ، فَقَالَ ابنُ طُولُونَ لِلغُلامِ : ائْتِنِي بِهِ ، فَأَحْضَرَهُ بينَ يَدَيهِ فَاسْتَنْطَقَهُ ، فَأَحْسَنَ الجَوابَ وَلم يَضْطَرِبْ من هَيْبَتِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَحْضِرْ لِيَ الكُتُبَ التي مَعَكَ ، واصْدُقْنِي عَمَّنْ بَعَثَ بكَ ؛ فقد صَحَّ عِندِي أَنَّكَ صاحِبُ خَبَرٍ ؛ وَأَحْضَرَ السِّياطَ ، فاعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ بعضُ من حَضَرَ[1] : هَذَا واللهِ السِّحْرُ ؛ فَقَالَ أحمد : ما هُوَ بِسِحْرٍ ، وَلَكِنَّهُ قِيَاسٌ صَحِيْحٌ وفِراسَةٌ ؛ وَذَلِكَ أَنِّي لَمَّا رَأَيْتُ سُوءَ حالِهِ ، وَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِطَعام ، يَشْرَهُ إِلى أَكْلِهِ الشَّبْعانُ ، فَمَا هَشَّ وَلا بَشَّ ، وَلا مَدَّ يَدَهُ إِلَيهِ ، فَأَحضرتُهُ وَخاطَبْتُهُ ، فتَلَقَّانِي بِقُوَّةِ جَأْشٍ وَجَوابٍ حاضِرٍ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَثاثَةَ حالِهِ ، وَقُوَّةَ جَأْشِهِ ، وَسُرْعَةَ جوابِهِ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ صاحِبُ خَبَرٍ . انتهى .

● وَقَالَ « ابنُ خلّكان » في ترجمَتِهِ[2] : كان أَبو العَبّاسِ أَحمد بن طُولون صاحِبُ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ والشّامِيَّةِ وَالثُّغُورِ ، مَلِكاً عادِلاً ، شُجاعاً ، مُتَواضِعاً ، حَسَنَ السِّيْرَةِ ، يُحِبُّ اَهْلَ العِلمِ ، كَرِيماً ، له مائِدَةٌ يَحْضُرُها الخَاصُّ والعامُّ ، كَثِيْرَ الصَّدَقَةِ .

نُقِلَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ وَكِيْلُهُ يوماً : إِنَّ المَرْأَةَ تَأْتِينِي ، وَعَلَيْها الإِزارُ الرَّفِيعُ ، وَفِي يَدِها الخاتمُ الذَّهَبُ ، فتَطْلُبَ مِنِّي ، أَفَأُعْطِيها ؟ فقَالَ له : مَن مَدَّ يَدَهُ إِلَيكِ ، فَأَعْطِهِ .

وَكَانَ يَحفَظُ القُرْآنَ ، وَرُزِقَ حُسْنَ الصَّوْتِ فِيهِ ، وَكَانَ مَع ذَلِكَ طائِشَ السَّيْفِ ، سَفَّاكَ الدِّماءِ .

قِيلَ : إِنَّهُ أُحْصِيَ مَن قَتَلَهُ صَبْراً ، وَمَن مَاتَ في حَبْسِهِ ، فَكَانَ ثَمانِيَةَ عَشَرَ أَلْفاً .

---

(١) اسمه عند ابن سعيد : طبارجي ، وكان ذا دالَّةٍ عليه ، وذا موقعٍ منه .

(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٧٣ .

تُوُفِّيَ سَنَة سَبعِينَ وَمِئتين ، بَزَلَقِ الأَمْعَاءِ .

وَيُقَالُ : إِنَّ طُولُونَ تَبَنَّاهُ وَلَمْ يَكُنِ ابْنَهُ .

● وَرُوِيَ[1] أَنَّ رَجُلاً كان يُواظِبُ القِراءَةَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَرَآهُ ذَاتَ لَيلَةٍ فِي المَنامِ ، فَقَالَ : أُحِبُّ مِنكَ أَن لا تَقْرَأَ عَلَيَّ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لأَنَّهُ لا تَمُرُّ آيَةٌ ، إلاّ قُرِّعْتُ بِها ، وَيُقَالُ لِي : أَما سَمِعْتَ هَذِهِ ؟ أَمَا مَرَّتْ بِكَ هَذِهِ ؟ . اهـ .

● وَرَوَى الإِمامُ الحافِظُ ابنُ عساكِرَ في « تارِيخِهِ »[2] : أَنَّ سُليمانَ بن عبدِ المَلِكِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، كان نَهِماً في الأَكْلِ ، وَقد نُقِلَ عنه فيه أَشْياءُ غَرِيبَةٌ . فمنها : أَنَّهُ اصْطَبَحَ فِي بَعضِ الأَيَّامِ بأَربعِينَ دَجاجَةً مَشْوِيَّةً ، وَأَربعِين بَيْضَةً ، وَأَربعِ وَثَمانِينَ كُلْوَةً بِشَحْمِها ، وَثمانِيْنَ جَرْدَقَةً ؛ ثُمَّ أَكَلَ مَعَ النّاسِ عَلَى السِّماطِ العامِّ .

● ومنها[3] : أَنَّهُ دَخَلَ ذَاتَ يومٍ بُسْتاناً لَهُ ، وَكَانَ قد أَمَرَ قَيِّمَهُ أَنْ يَجْنِيَ ثِمارَهُ ، وَيَستَطِيبَ لَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ أَصحابُهُ ، فَأَكَلَ القومُ حَتّى اكْتَفَوا ، وَاستمرَّ هو يَأكلُ ، فَأَكَلَ أَكْلاً ذَرِيْعاً ، ثم اسْتَدْعَى بِشَاةٍ مَشْوِيَّةٍ فَأَكَلَها ، ثم أَقبَلَ عَلَى الفاكِهَةِ فَأَكَلَ أَكْلاً ذَرِيعاً ، ثم أُتِيَ بِدَجاجَتَيْنِ مَشْوِيَّتَيْنِ فَأَكَلَهُما ، ثُمَّ مَالَ إِلى الفاكِهَةِ فَأَكَلَ أَكْلاً ذَرِيعاً ، ثُم أُتِيَ بِقَعْبٍ يَقْعُدُ فِيهِ الرَّجُلُ ، مَملُوءٍ سَمْناً وَسَوِيقاً وَسُكَّراً ، فَأَكَلَهُ أَجْمَعَ ، ثُمَّ سَارَ إِلى دَارِ الخِلافَةِ ، وَأُتِيَ بِالسِّماطِ ، فَمَا نَقَصَ من أَكْلِهِ شَيْءٌ .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٦ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٧ .

(٣) ينظر في أخبار سليمان بن عبد الملك : مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٧ ـ ١٧٨ ، وعيون الأخبار ٣/ ٢٢٧ ، والعقد الفريد ٦/ ٣٠١ ، والتَّذكرة الحمدونية ٩/ ٩٨ ، ومحاضرات الرَّاغب ١/ ٦٣٥ ، ونزهة الأنام للبدري ٣١٥ ، والمستطرف ١/ ٥٥٠ .

● وَمِنْها : أَنَّهُ حَجَّ فَأَتَى الطَّائِفَ ، فَأَكَلَ سَبعمئَةِ رُمّانَةٍ ، وَخَرُوفاً ، وَسِتَّ دَجاجاتٍ ، وَأُتِيَ بِمَكُّوكِ زَبيبٍ طائِفِيٍّ ، فَأَكَلَهُ أَجْمَعَ .

● وَقِيلَ : إِنَّهُ كان لَهُ بُسْتانٌ ، فَجاءَ رَجُلٌ لِيَضْمَنَهُ ، وَدَفَعَ لَهُ قَدْراً من المَالِ ، فاسْتُؤْذِنَ فِي ذَلِكَ ، فَدَخَلَ البُسْتانَ لِيَنْظُرَهُ ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ من ثِمارِهِ ، ثُمَّ أَذِنَ في ضَمانِهِ ؛ فَلَمَّا قِيلَ لِلضَّامِنِ : احْمِلِ المَالَ . قَالَ : كان ذَلِكَ قَبلَ أن يَدْخُلَهُ أَميرُ المُؤمِنِينَ .

● قِيلَ : كان سَبَبُ مَرَضِهِ : أَنَّهُ أَكَلَ أَربعمئَةَ بيضَةٍ ، وَثَمانمئَةَ حَبَّةِ تِينٍ ، وَأَرْبَعمئَةَ كُلْوَةٍ بِشَحْمِها ، وَعِشرِينَ دَجاجَةً ، فَحُمَّ ، وَفَشَتِ الحُمّى في عَسْكَرِهِ ؛ وَكَانَ مَوْتُهُ بِالتُّخَمَةِ ، رَحمةُ اللهِ تَعالَى عَلَيْهِ ، في مَرْجِ دابق .

● **فائِدَةٌ** : ذَكَرَ بعضُ العُلَمَاءِ : أَنَّ من أَكَلَ كَثِيراً ، وَخَافَ عَلَى نفسِهِ من التُّخَمَةِ ، فَلْيَمْسَحْ عَلَى بَطْنِهِ بيَدِهِ ، وَلْيَقُلْ : اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ عِيْدِي يا كرشي ، وَرَضِيَ اللهُ عن سَيِّدِي أَبِي عبدِ اللهِ القُرَشيّ ؛ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثاً ؛ فإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ الأَكْلُ ، وَهُوَ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ !!! .

● وَقد رَوَيْنا بِأَسانِيْدَ شَتَّى ، من طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ : أَنَّ امْرَأَةً جاءَتْ بوَلَدِها إِلى سَيِّدِي الشَّيْخ عبدِ القادِرِ الكِيلانيّ ، قَدَّسَ اللهُ رُوحه ، وَقَالَت : إِنِّي رَأَيْتُ قَلْبَ ابْنِي هَذَا شَدِيْدَ التَّعَلُّقِ بكَ ، وَقَدْ خَرَجتُ عن حَقِّي فِيهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكَ ، فَاقْبَلْهُ ؛ فَقَبِلَهُ الشَّيْخُ ، وَأَمَرَهُ بِالمُجاهَدَةِ وَسُلُوكِ الطَّرِيقِ .

فَدَخَلَتْ عَلَيهِ أُمُّه يَوْمَاً ، فَوَجَدَتْهُ نَحِيلاً مُصْفَرّاً من آثارِ الجُوعِ وَالسَّهَرِ ، وَوَجَدَتْهُ يَأْكُلُ قُرصاً من الشَّعِيرِ ، فَدَخَلَتْ إِلى الشَّيْخِ ، فَوَجَدَت بينَ يَدَيهِ إِناءً فِيهِ عِظَامُ دَجاجَةٍ مَصْلُوقَةٍ قد أَكَلَها ، فَقَالَت : يَا سَيِّدِي ، تَأْكُلُ لَحْمَ الدَّجاجِ ، وَيَأْكُلُ ابني خُبْزَ الشَّعِيرِ ؟ فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَى تلكَ العِظَامِ ، وَقَالَ : قُومِي بِإِذنِ الله تعالى الذِي يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ ؛ فَقَامَتْ دَجاجَةً سَوِيَّةً وَصَاحَتْ ،

فَقَالَ الشَّيْخُ : إذا صارَ ابْنُكِ هَكَذَا ، فَلْيَأْكُلْ ما شَاءَ .

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلّكانَ » أَيضاً في تَرجَمَةِ الهَيْثَمِ بن عَدِيٍّ[1] : أَنَّ رَجُلاً من الأَوَّلِينَ ، كان يَأْكُلُ وَبينَ يَديهِ دَجاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ ، فَجاءَهُ سائِلٌ ، فَرَدَّهُ خائِباً ، وَكَانَ الرَّجُلُ مُتْرَفاً ، فَوقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ فُرْقَةٌ ، وَذَهَبَ مالُهُ ، وَتَزَوَّجَتِ امْرأَتُهُ ؛ فَبَيْنَما الزَّوْجُ الثَّانِي يَأْكُلُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ دَجاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ ، إِذْ جَاءَهُ سائِلٌ ، فَقَال لامْرَأَتِهِ : ناوِلِيْهِ الدَّجاجَةَ ؛ فَناوَلَتْهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ، فإِذا هُوَ زَوْجُها الأَوَّلُ ، فَأَخْبَرَتْ زَوْجَها الثّاني بالقِصَّةِ ، فقَالَ الزَّوْجُ الثّاني : وَأَنا وَاللهِ ذَلِكَ المِسْكِينُ الأَوَّلُ ؛ خَوَّلَنِي اللهُ نِعْمَتَهُ وَأَهْلَهُ ، لِقِلَّةِ شُكْرِهِ .

● وَقَالَ الهَيْثَمُ[2] : خرجتُ فِي سَفَرٍ عَلى ناقَةٍ ، فَأَمْسَيْتُ عِندَ خَيْمَةِ أَعْرابيٍّ ، فَنَزَلْتُ ، فَقَالَتْ رَبَّةُ الخِبَاءِ : مَن أَنتَ ؟ فقلتُ : ضَيْفٌ . قَالَت : وَمَا يَصْنَعُ الضَّيْفُ عِنْدَنا ؟ إِنَّ الصَّحْراءَ لَواسِعَةٌ ؛ ثُمَّ قامَتْ إِلَى بُرٍّ ، فَطَحَنَتْهُ وَعَجَنَتْهُ وَخَبَزَتْهُ ، ثُمَّ قَعَدَتْ تَأْكُلُ .

فلم أَلبَثْ أَن جاءَ زَوْجُها ، وَمَعَهُ لَبَنٌ ، فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : مَن الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : ضَيْفٌ . قَالَ : أَهْلاً وَسَهْلاً ، حَيَّاكَ اللهُ ؛ وَمَلأَ قَعْباً من لَبَنٍ وَسَقانِي ، ثُمَّ قَالَ : ما أَراكَ أَكَلْتَ شَيْئاً ، وَمَا أَراها أَطْعَمَتْكَ ؟ فَقُلْتُ : لا واللهِ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْها مُغْضَباً ، وَقَالَ : وَيْلَكِ ، أَكَلْتِ وَتَرَكْتِ الضَّيْفَ ؟ قَالَت : وَمَا أَصْنَعُ بِه ؟ أُطْعِمُهُ طَعَامِي ؟ . وَزَادَ بينَهُما الكَلامُ ، فَضَرَبَها حتّى شَجَّها ؛ ثُمَّ أَخَذَ شَفْرَةً ، وَخَرَجَ إِلى ناقَتِي فَنَحَرَها ، فَقلتُ : ما صَنَعْتَ ، عافاكَ اللهُ ؟ فَقَالَ : وَاللهِ لا يَبِيتُ ضَيْفِي جائِعاً ؛ ثُمَّ جَمَعَ حَطَباً ، وَأَجَّجَ ناراً ، وَأَقْبَلَ يَشْوِي

---

(١) وفيات الأَعيان ٦/ ١٠٨ ونثر الدُّرّ ٧/ ٤١٠ وربيع الأَبرار ٣/ ٣٤٠ والمستطرف ١/ ٤١ .

(٢) وفيات الأَعيان ٦/ ١٠٧ ونثر الدُّرّ ٧/ ٤٢٥ وإِنباه الرُّواة ٣/ ٣٦٦ والمنتقى من أَخبار الأَصمعيُّ ١٣٧ والمستطرف ١/ ٥٣٥ .

وَيُطْعِمُنِي ، وَيأْكُلُ ، وَيُلْقِي إِلَيْها ، وَيَقُولُ : كُلِي ، لا أَطْعَمَكِ اللهُ ؛ حَتَّى إذا أَصْبَحَ ، تَرَكَنِي وَمَضَى ؛ فقعدتُ مَغْمُوماً ، فَلَمَّا تَعَالَى النّهارُ ، أَقْبَلَ وَمَعَهُ بَعِيرٌ ما يَسْأَمُ النَّاظِرُ من النَّظَرِ إِلَيهِ ، وَقَالَ : هَذَا مَكانَ ناقَتِكَ ؛ ثُمَّ زَوَّدَنِي من ذَلِكَ اللَّحْمِ وَمِمَّا حَضَرَهُ ، وَخَرَجْتُ من عِنْدِهِ .

فَضَمَّنِي اللَّيْلُ إِلَى خَيْمَةِ أَعْرابِيٍّ ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّتْ صاحِبَةُ الخِبَاءِ عَلَيَّ السَّلامَ ، وَقَالَتْ : مَنِ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : ضَيْفٌ . فَقَالَتْ : مَرْحَباً بِكَ ، حَيَّاكَ اللهُ وَعافاكَ ؛ فَنَزَلْتُ ، ثُمَّ عَمَدَتْ إِلى بُرٍّ ، فَطَحَنَتْهُ وَعَجَنَتْهُ وَخَبَزَتْهُ ، ثُمَّ رَوَّتْ ذَلِكَ بِالزُّبْدِ وَاللَّبَنِ ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَمَعَهُ دَجاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ ، وَقَالَتْ : كُلْ واعْذُرْ .

فَلَمْ أَلْبَثْ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرابِيٌّ كَرِيهُ المَنْظَرِ ، فَسَلَّمَ ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ السَّلامَ ، فَقَالَ : مَنِ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : ضَيْفٌ . قَالَ : وَمَا يَصْنَعُ الضَّيْفُ عِنْدَنا ؟ ثُمَّ دَخَلَ إِلى أَهله ، وَقَالَ : أَيْنَ طَعَامِي ؟ قَالَتْ : أَطْعَمْتُهُ لِلضَّيْفِ . فَقَالَ : أَتُطْعِمِيْنَ طَعامِي لِلأَضْيَافِ ؟ ثُمَّ تَكالَمَا ، فَضَرَبَها فَشَجَّها ، فَجَعَلْتُ أَضْحَكُ ، فَخَرَجَ إِلَيَّ وَقَالَ : ما يُضْحِكُكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِقِصَّةِ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ اللَّذَيْنِ نَزَلْتُ عِنْدَهُما قَبْلَهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ المَرْأَةَ التِي عِنْدِي ، أُخْتُ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَتِلْكَ المَرْأَةُ التِي عِنْدَهُ أُخْتِي .

قَالَ : فَنِمْتُ لَيْلَتِي مُتَعَجِّباً ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ انصرفْتُ .

الحُكم : يَحِلُّ أَكْلُ الدَّجاجِ ، لأَنَّهُ من الطَّيِّباتِ ؛ لِمَا رَوَى الشَّيْخَانِ والتِّرمذيُّ والنَّسائِيُّ[1] ، عن زَهْدَم بن مُضَرِّبِ الجَرْميّ ، قَالَ :

كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه ، فَدعا بِمَائِدَةٍ عَلَيْها لحمُ

---

(١) البخاري ٦/٢٢٨ و ٢٢٩ و٧/٢٣٩ ومسلم (١٦٤٩) والترمذيّ (١٨٢٦) و (١٨٢٧) والنّسائيّ (٤٣٤٦ ـ ٤٣٤٨) ومسند أحمد ٣٩٤ و ٣٩٧ و ٤٠١ و ٤٠٦ .

دَجاجٍ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ من بَنِي تَيمِ اللهِ ، أَحْمَرُ شَبِيْهٌ بالمَوالِي ، فَقَالَ لَهُ : هَلُمَّ ؛ فَتَلَكَّأَ ، فَقَالَ : هَلُمَّ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يأْكُلُ منهُ .

وَفِي لفظٍ : رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ يأْكُلُ دَجاجَةً .

وَهَذَا الرَّجُلُ إِنَّما تَلَكَّأَ ، لأَنَّهُ رآهُ يأْكُلُ العَذِرَةَ ، فَقَذِرَهُ ؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَرَدَّدَ لالْتِبَاسِ الحُكْمِ عَلَيْهِ ، أَو لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ دَلِيلٌ ، فَتَوَقَّفَ حَتى يعلمَ حُكْمَ اللهِ تَعالَى فيهُ .

وَقد جَاءَ النَّهْيُ عن لَبَنِ الجَلاَّلَةِ وَلَحْمِها وَبَيْضِها .

● وَفِي « الكامِلِ » وَ« المِيزَانِ »[1] في تَرْجَمَةِ غَالِبِ بن عُبَيْدِ اللهِ الجَزَرِيّ ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ ، عن نافِعٍ عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إِذا أَرادَ أَن يَأْكُلَ دَجاجَةً ، أَمَرَ بِهَا فَرُبِطَتْ أَيَّاماً ، ثُمَّ يَأْكُلُها بَعْدَ ذَلِكَ » .

● وَفِي « فَتاوَى » القاضِي حُسَين : لو قَالَ رَجُلٌ لامْرَأَتِهِ : إِن لَم تَبِيْعِي هَذِهِ الدَّجاجاتِ ، فَأَنْتِ طَالِقٌ ، فَقَتَلَتْ واحِدَةً مِنْهُنَّ : طُلِّقَتْ لِتَعَذُّرِ البَيْعِ ؛ وإِنْ جَرَحَتْها ثُمَّ باعَتْها ، فإِن كَانَتْ بِحَيْثُ لو ذُبِحَتْ لَمْ تَحُلَّ ؛ لَمْ يَصِحَّ البَيْعُ ، وَوَقَعَ الطَّلاقُ ، وَإِلاّ فَيَنْحَلُّ اليَمِينُ .

● فَرْعٌ : لا يَجُوزُ بَيْعُ دَجاجَةٍ فِيْها بَيْضٌ بِبَيْضٍ ، كَمَا لا يَجُوزُ بَيْعُ شَاةٍ في ضَرْعِها لَبَنٌ بِلَبَنٍ .

وَيَحْرُمُ بَيْعُ الحِنْطَةِ بِدَقِيْقِها ، والسِّمْسِم بِكسْبِهِ ، وَمَا أَشْبَهَ ، لأَنَّهُ يُحَرَّمُ بَيْعُ مَالِ الرِّبَا بِأَصْلِهِ المُشْتَمِلِ عليهِ .

● فَرْعٌ : البَيْضَةُ التي فِي جَوْفِ الطَّائِرِ المَيِّتِ : فِيْها ثَلاثَةُ أَوْجُهٍ ، حَكاهَا

---

(١) الكامل في الضُّعفاء ٧/ ١٠٩ وميزان الاعتدال ٣/ ٣٣١ ولسان الميزان ٦/ ٢٩٧ .

الماوَرْدِيُّ والرُّويانيُّ والشَّاشِيُّ ؛ أَصَحُّها هُوَ قَوْلُ ابْنِ القَطَّانِ وَأَبِي الفَيَّاضِ ، وَبِهِ قَطَعَ الجُمْهُورُ : إِنْ تَصَلَّبَتْ فَطَاهِرَةٌ وإلاّ فَنَجِسَةٌ .

وَالثَّانِي : طاهِرَةٌ مُطْلَقاً ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ، لِتَمَيُّزِها عنه ، فَصَارَتْ بِالوَلَدِ أَشْبَهَ .

وَالثَّالِثُ : نَجِسَةٌ مُطْلَقاً ، وَبِهِ قَالَ مالِكٌ ، لأَنَّها قَبْلَ الانْفِصَالِ جُزْءٌ من الطَّائِرِ ؛ وَحَكاهُ المُتَوَلِّي عن نَصِّ الشَّافعيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، وَهُوَ نَقْلٌ غَرِيْبٌ شاذٌّ ضَعِيْفٌ .

وَقَالَ صاحِبُ « الحاوِي » وَ« البَحر » : فلو وُضِعَتْ هَذِهِ البَيْضَةُ تَحْتَ طائِرٍ ، فَصَارَتْ فَرْخاً ، كان الفَرْخُ طاهِراً عَلَى الأَوْجُهِ كُلِّها كَسَائِرِ الحَيَوانِ ، وَلا خِلافَ أَنَّ ظاهِرَ البَيْضَةِ نَجِسٌ .

وَأَمَّا البَيْضَةُ الخارِجَةُ فِي حَالِ حَيَاةِ الدَّجاجَةِ ، فَهَلْ يُحْكَمُ بِنَجاسَةِ ظاهِرِها ؟ فِيهِ وَجْهانِ حَكاهُما الماورْدِيُّ والرُّويانيُّ والبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُمْ ، بِنَاءً عَلَى الوَجْهَيْنِ في نَجاسَةِ رُطُوبَةِ فَرْجِ المَرْأَةِ .

قَالَ فِي « المُهَذَّبِ » : إِنَّ المَنْصُوصَ نَجاسَةُ رُطُوبَةِ فَرْجِ المَرْأَةِ .

وَقَالَ المَاورِدِيُّ : إِنَّ الشَّافعيَّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قد نَصَّ في بعضِ كُتُبِهِ عَلَى طَهارَتِها ، ثُمَّ حَكَى التَّنْجِيْسَ عن ابنِ سُرَيجٍ ؛ فَمُلَخَّصُ الخِلافِ فِيْها قَوْلانِ ، لا وَجْهانِ .

وَقَالَ الإِمامُ النَّوويُّ : رُطُوبَةُ الفَرْجِ طَاهِرَةٌ مُطْلَقاً ، سَواءٌ كان الفَرْجُ من بَهِيْمَةٍ أَوِ امْرَأَةٍ ، وَهُوَ الأَصَحُّ .

وإِذا فَرَّعْنا عَلَى نَجاسَةِ رُطُوبَةِ الفَرْجِ ، فَنَقَلَ النَّوويُّ في « شَرْحِ المُهَذَّب » عن فَتاوَى ابْنِ الصَّبَّاغِ ، وَلَمْ يُخالِفْهُ أَنَّ المَوْلُودَ لا يَجِبُ غَسْلُهُ إِجْماعاً .

وَقَالَ فِي آخِرِ « بابِ الآنِيَةِ » من « الشَّرْحِ » المَذْكُورِ : إِنَّ فيه وَجهينِ ،

حَكَاهُمَا الماوَرْدِيُّ والرُّويانيُّ ، وَقد حَكاهُما الشَّيْخُ أَبُو عَمرو ابن الصَّلاح فِي « فَتاوِيْه » .

وَرَأَيْتُ فِي « الكافِي » لِلخَوارزمِيِّ : أَنَّ المَاءَ لا يَنْجَسُ بِوُقُوعِهِ فِيْهِ ، فَيُحْتَمَلُ أَن يَكُونَ الخِلافُ مُفَرَّعاً عَلَى القَولِ القَدِيمِ ، بِعَدَمِ وُجُوبِ الغَسْلِ ، لِكَوْنِهِ نَجَساً مُعْفُوّاً عنه .

وَأَمَّا إِذَا انْفَصَلَ الوَلَدُ حَيّاً بَعْدَ مَوْتِها ، فَعَيْنُهُ طاهِرَةٌ بِلا خِلافٍ ، وَيَجِبُ غَسْلُ ظَاهِرِهِ بِلا خِلافٍ .

وَأَمَّا البَلَلُ الخارِجُ مَعَ الوَلَدِ أَوْ غَيْرِهِ : فَنَجِسٌ ، كَمَا جَزَمَ بِهِ الرَّافعيُّ في « الشَّرحِ الصَّغِيرِ » وَالنَّوويُّ في « شَرحِ المُهَذَّبِ » . وَقَالَ الإِمامُ : لا شَكَّ فيهِ .

وَأَمَّا الرُّطُوبَةُ الخارِجَةُ من باطِنِ الفَرْجِ : فإِنَّها نَجِسَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ ؛ وإِنَّما قُلْنا بِطَهارَةِ ذَكَرِ المُجامِعِ وَنَحوهِ عَلَى ذَلِكَ القَوْلِ ، لأَنَّا لا نَقْطَعُ بِخُرُوْجِها .

قَالَ فِي «الكِفايَةِ» : والفَرْقُ بَيْنَ رُطُوبَةِ فَرْجِ المَرْأَةِ ، وَرُطُوبَةِ بَاطِنِ الذَّكَرِ ، لأَنَّها لَزِجَةٌ لا تَنْفَصِلُ بِنَفْسِها ، وَلا تُمازِجُ سائِرَ رُطُوباتِ البَدَنِ ، فَلا حُكْمَ لَها .

قُلْتُ : والرُّطُوبَةُ : هِيَ مَاءٌ أَبْيَضُ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ المَذْيِ والعَرَقِ ، كَمَا قَالَهُ في « شَرْحِ المُهَذَّبِ » وَغَيْرِهِ .

وَسَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى الكَلامُ عَلَى الجَلاَّلَةِ من الدَّجاجِ وَغَيرِهِ ، فِي « بَابِ السِّيْنِ المُهْمَلَةِ » في حُكْمِ « السَّخْلَةِ » ، واللهُ المُوَفِّقُ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « أَعْطَفُ من أُمِّ إِحدى وَعِشرِينَ » وَهِيَ الدَّجاجَةُ كَمَا تَقَدَّمَ .

---

(١) الميداني ٢ / ٥٣ . وقال : لأَنَّها تحضن جميع فراخها ، وتَزُقُّ كلَّها ؛ وإِن ماتت إِحداهنَّ تبيَّنَ الغمُّ فيها .

الخَواصُّ[1] : لَحْمُ الدَّجاجِ مُعْتَدِلُ الحَرارَةِ جَيِّدٌ .

وَأَكْلُ لَحْمِ الفَتِيِّ من الدَّجاجِ ، يَزِيدُ في العَقلِ والمَنِيِّ ، وَيُصَفِّي الصَّوْتَ ، لَكِنَّهُ يَضُرُّ بالمَعِدَةِ وَالمُرْتاضِين ؛ وَدَفْعُ مَضَرَّتِهِ : أَنْ يَتَناوَلَ بَعْدَهُ شَرابَ العَسَلِ ؛ وَهُوَ يُوَلِّدُ غِذَاءً مُعْتَدِلاً ، يُوافِقُ من الأَمْزِجَةِ المعتدلَةَ ، وَمِنَ الإِنسَانِ الفِتْيَانَ ، ومن الأَزْمانِ الرَّبيعَ .

واعلمْ أَنَّ الدَّجاجَ المُعْتَدِلَةَ الغِذَاءِ ، لَيْسَتْ حَارَّةً مُسْتَحِيلةً إِلَى الصَّفْراءِ ، وَلا بارِدَةً مُوَلِّدَةً لِلبَلْغَمِ . وَلا أَعْلَمُ من أَيْنَ أَجْمَعَتِ العامَّةُ وَالأَطِبّاءُ الأَغْمارُ عَلَى مَضَرَّتِها بِالنِّقْرِسِ وَتَولِيدِها له ؛ وَالقائِلُونَ بِذَلِكَ لَعَلَّهُمْ مُعتقِدونَ بِالخاصِّيَّةِ فَحَسْبُ لا غَير .

وَهِيَ مُحَسِّنَةٌ لِلَّوْنِ ، وَأَدْمِغَتُها تَزِيدُ في الأَدْمِغَةِ والعَقْلِ ، وَهِيَ من أَغْذِيَةِ المُتَرَفِّهين ، لا سِيَّمَا من قَبْلِ أَن تَبِيضَ .

وَأَمّا بَيْضُها : فَحارٌّ ، مائِلٌ إِلى الرُّطُوبَةِ واليُبْسِ .

وَقَالَ تياذوق : بَيَاضُهُ بارِدٌ رَطْبٌ ، وَصُفْرَتُهُ حَارَّةٌ جَيِّدَةٌ لِلْكِبارِ ، وَالطَّرِيُّ مَنْفَعَتُهُ تَزِيْدُ فِي الباهِ ، لَكِنَّهُ إِذا أُدمِنُ أَكْلُهُ يُوَلِّدُ كَلَفاً ، وَهُوَ بَطِيءُ الهضمِ ؛ وَدَفْعُ ضَرَرِهِ بِالاقْتِصارِ عَلَى صُفْرَتِهِ ، وَهُوَ يُوَلِّدُ خَلْطاً مَحْمُوداً .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَجْوَدَ البَيْضِ للإِنْسَانِ ، بَيْضُ الدَّجاجِ والدراجِ ، إِذا كَانا طَرِيَّيْنِ مُعْتَدِلَي النُّضْجِ ، فَإِنَّ الصُّلْبَ إِمَّا أَنْ يُتْخِمَ ، أَوْ يُورِثَ حُمَّىً ؛ وَهُوَ يَلْبَثُ طَوِيلاً ، وَيَغْذُو إِذا انهَضَمَ كَثِيراً ، وَالنِّيمبرِشْت[2] يَغذُو غِذَاءً كَثِيراً ، وَالمَسْلُوقُ بِخَلٍّ يَعْقِلُ البَطْنَ ، وَالسَّاذَجُ يَنْفَعُ من حَرارَةِ المَعِدَةِ وَالمَثَانَةِ وَنَفْثِ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٧٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٧٤ وتذكرة داود ١/ ١٥١ ومفردات ابن البيطار ٢/ ٨٨ والمستطرف ٢/ ٤٨٠ .

(٢) كلمتان فارسيَّتان : نيم = نصف . وبرشت = مسلوق .

الدَّم ، وَيُصَفِّي الصَّوْتَ ؛ وَأَنْفَعُ السَّلِيقِ ما أُلْقِيَ عَلَى المَاءِ وَهُوَ يَغْلِي ، عَدَّ مئةٍ وَيُرْفَعُ .

● وَمِمَّا يَنْفَعُ لِحلِّ المَعْقُودِ : أَنْ يُكْتَبَ عَلَى جوانِبِ السَّيْفِ هَذِهِ الأَحْرُفُ : بكصم لا لا وم ماما لا لا لا ٥٥٥ ، وَتُقْطَعَ بِهِ بَيْضَةُ دَجاجَةٍ سَوْدَاءَ نَظِيفَةٌ مُناصفَةً ، فتَأْكُلُ المَرْأَةُ النِّصْفَ وَالرَّجُلُ النِّصْفَ ، فإِنَّهُ مُجَرَّبٌ ، وَهُوَ يَحُلُّ اثْنَيْنِ وسَبعِينَ باباً ، بإِذنِ اللهِ تَعالَى .

● وَمِمَّا يَنْفَعُ لِحلِّ المَعْقُودِ أَيْضاً : أَنْ يُكْتَبَ وَيُعَلَّقَ فِي عُنُقِ الرَّجُلِ ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر : ١١ ـ ١٤] .

● وَمِمَّا جُرِّبَ أَيْضاً لِحَلِّ المَعْقُودِ : أَنْ تَكْتُبَ وَتُعَلِّقَ عَلَيْهِ : الفاتِحَةَ ، وَالإِخْلاصَ ، وَالمُعَوِّذَتَيْنِ ، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه : ١٠٥ ـ ١٠٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢] ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩ ـ ٢٠] ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشُّعراء : ٦٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه : ١١١] ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطّلاق : ٣] وَتكْتُبَ اسْمَ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ في آخِرِ الكِتابِ ، وَتقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَجمَعَ بَيْنَ فُلانِ بنِ فُلانَةٍ ، وَبَيْنَ فُلانَةٍ بنتِ فُلانَةٍ ، بِحَقِّ هَذِهِ الأَسْمَاءِ والآيَاتِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، بِأهيا شراهيا أصباؤت آل شداي ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العليِّ العَظِيْمِ ، فى فى فى

فى تم وكمل .

قَالَ ابْنُ وَحْشِيَّةَ : وَدِماغُ الدجاجَةِ ، إذا وُضِعَ عَلَى لَسْعَةِ الحَيَّةِ خاصَّةً ، أَبْرَأَتْها .

● وَقَالَ القَزوِينيُّ[1] : إذا طُبِخَتِ الدجاجَةُ مع عَشْرِ بَصَلاتٍ بِيْضٍ ، وَكَفٍّ سِمْسِمٍ مَقْشُورٍ ، حَتَّى تَتَهَرَّى ، وَيؤكلُ لَحْمُها ، ويشربُ مَرَقَتُها ، فإِنَّهُ يَزِيْدُ فِي الباهِ وَيُقَوِّي الشَّهْوَةَ .

● وَقَالَ غَيْرُهُ : المُداوَمَةُ عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الدَّجاجِ ، تُوَرِّثُ البَوَاسِيرَ والنِّقْرِسَ ، وَهَذَا قَوْلُ جاهِلٍ بِالطِّبِّ ؛ وَهُوَ قَوْلُ أَغْمَارِ الأَطِبَّاءِ كَمَا تَقَدَّمَ .

● قَالَ القَزْوِيْنِيُّ[2] : وَفِي قانِصَةِ الدَّجاجَةِ حَجَرٌ ، إذا شُدَّ عَلَى المَصرُوعِ أَبْرَأَهُ ، وإِذا عُلِّقَ عَلَى إِنْسَانٍ زَادَ في قُوةِ البَاهِ ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ عَيْنَ السُّوْءِ ؛ وإِذا تُرِكَ تَحْتَ رَأْسِ الصَّبِيِّ ، فإِنَّهُ لا يَفزَعُ في نَوْمِهِ .

وَذَرَقُ الدَّجاجَةِ السَّودَاءِ : إِذا أُلْصِقَ عَلَى بابِ قَومٍ ، وَقَعَ بَيْنَهم الخُصُومَةُ والشَّرُّ .

وإِذا طُلِيَ الذَّكَرُ بِمَرارَةِ الدَّجاجَةِ السَّوْدَاءِ ، وَجَامَعَ الرَّجُلُ مَن شَاءَ ، لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ .

وإِذا دُفِنَتْ رَأْسُ دَجاجَةٍ سَوْدَاءَ ، في كُوزٍ جَدِيْدٍ ، تَحْتَ فِراشِ رَجْلٍ قد خاصَمَ زَوْجَتَهُ ، صَالَحَها من وَقْتِهِ .

وإِذا احْتَمَلَ رَجُلٌ من دُهْنِ الدَّجاجَةِ السَّوْدَاءِ قَدْرَ أَرْبَعَةِ دَراهِمَ ، هَيَّجَ البَاهَ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٧٦ .

(٢) عجائب المخلوقات ١٤٤ .

وإذا أَخَذَ عَيْنا دَجاجَةٍ سَوْدَاءَ شَدِيْدَةِ السوادِ ، وعَيْنَا سِنَّوْرٍ أَسْوَدَ ، وَجُفِّفْنَ وَسُحِقْنَ واكْتُحِلَ بهِنَّ ، رَأَى مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ الرُّوحانيِّينَ ، فإِنْ سَأَلَهُمْ أَخْبَرُوهُ بِمَا يُرِيْدُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

التَّعْبِيرُ[1] : الدَّجاجُ فِي المَنام : نِسَاءٌ ذَلِيلاتٌ مَهِينَاتٌ ؛ فَالرَّقَّادَةُ ذَاتُ نشَاطٍ وَأَصَالَةٍ وَبدالَةٍ ، والدَّبِيبَةُ امْرَأَةٌ دَنِيئَةُ الأَصْلِ ، أَوْ خائِنَةٌ ، وَفُرُوخُها أَوْلادُ زِنا .

وَرُبَّما دَلَّتِ الدَّجاجَةُ عَلَى المَرْأَةِ ذَاتِ الأَوْلادِ ، وَدُخُولُها عَلَى المريضِ عافِيَتُهُ ، وَأَذانُ الدَّجاجَةِ شَرٌّ وَنَكَدٌ ، أَوْ مَوْتٌ ، وَكَذلكَ الفُروخُ .

وَرُبَّما دَلَّ دُخُولُها عَلَى السَّلِيْمِ عَلَى إِنْذارٍ بِمَرَضٍ يُحْتاجُ فِيهِ إِلَيهَا .

وَرُبَّما دَلَّ دُخُولُها عَلَى زَوَالِ الهُمُومِ وَالأَنْكَادِ ، وَعَلَى الأَفْراحِ والتَّظاهُرِ بِالرَّفاهِيَّةِ والنِّعَمِ .

وَالفَرُّوْجُ : وَلَدٌ ، أَوْ مَلْبُوسٌ مُفْرِحٌ ، أَوْ فَرَجٌ لِمَنْ هُوَ في شِدَّةٍ .

وَرُبَّما كانَتِ الدَّجاجَةُ فِي المَنامِ تَدُلُّ رُؤْيَتُها عَلَى امْرَأَةٍ رَعْنَاءَ حَمْقَاءَ ، ذَاتِ جَمَالٍ ، أَوْ سَرِيَّةٍ ، أَوْ خادِمٍ .

فَمَن رَأَى كَأَنَّهُ ذَبَحَ دَجاجَةً : افْتَضَّ جارِيَةً .

وَمَن صادَها : نَالَ وِلايَةً ومالاً هَنِيئاً من العَجَمِ .

وَمَن رَأَى الدَّجاجَ أَوِ الفَرَارِيجَ تُسَاقُ من مَكانٍ إِلى مَكانٍ : فإِنَّهُ سَبْيٌ .

وَمَن رَأَى الدَّجاجَ أَوِ الطَّواوِيْسَ تَهدرُ في مَنْزِلِهِ : فإِنَّهُ صاحِبُ فُجُورٍ .

وَرِيْشُ الدَّجاجِ مالٌ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٢ وتفسير الواعظ ٣٠١ و ١٦٣ .

وَالبَيْضُ في المَنامِ يُعَبَّرُ بِالنِّسَاءِ ، لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصَّافَّات : ٤٩] .

وَالبيضَةُ الواحِدَةُ لِمَنْ رَآها بِيَدِهِ : فَإِنْ كانَتْ زَوْجَتُه حامِلاً ، فإنَّها تَضَعُ بِنْتاً ، وَإِن كان أَعْزَبَ تَزَوَّجَ .

وَمَن رَأَى البيضَ يُجْرَفُ من مَكانٍ إلى مَكَانٍ ، كَمَا تُجْرَفُ الزِّبَالَةُ ، فإنَّهُ سَبْيُ نِسَاءِ ذَلِكَ المَكَانِ .

وَمَن رَأَى بيضاً نَيِّئاً ، وَهُوَ يَأْكُلُهُ ، فإنَّهُ يَأْكُلُ مالاً حَراماً ؛ وَالمَطبوخُ رِزْقٌ حَلالٌ بِتَعَبٍ .

وَإِذا رَأَتِ الحامِلُ كَأَنَّها أُعْطِيَتْ بَيْضَةً مُقَشَّرَةً ، فإنَّها تَلِدُ بِنْتاً .

وَفَرارِيْجُ الدَّجاجِ : أَوْلادُ زِنَا .

وَمَنْ قَشَّرَ بَيْضَةً ، فَأَكَلَ بَيَاضَها ، وَرَمَى صَفارَها ، فإنَّهُ نَبَّاشٌ لِلْقُبُورِ ، وَيَأْخُذُ أَكْفَانَ المَوْتَى .

لِمَا[1] رُوِيَ عن ابنِ سِيرِينَ ، أَنَّهُ أَتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أُقَشِّرُ بَيْضَةً ، وَأَرْمِي صَفارَها ، وَآكُلُ بَيَاضها . فَقَالَ ابنُ سِيرين : هَذَا رَجُلٌ نَبَّاشٌ لِلقُبورِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : من أَينَ أَخَذْتَ هَذَا ؟ فَقَالَ : البَيْضَةُ : القَبْرُ ، وَالصَّفارُ : الجَسَدُ ، وَالبَيَاضُ : الكَفَنُ ؛ فَيُلْقِي المَيِّتَ ، وَيَأْكُلُ ثَمَنَ الكَفَنِ وَهُوَ البَيَاضُ .

وَحُكِيَ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ إِلى ابْنِ سِيرِينَ ، فقالت : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَضَعُ البَيضَ تحتَ الخَشَبِ ، فَتَخْرُجُ فَرارِيجَ . فَقَالَ ابنُ سِيرين : وَيْلَكِ ، اتَّقِي اللهَ ، فإنَّكِ امْرَأَةٌ تُوَفِّقِينَ بينَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ فِيما لا يُحِبُّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ :

---

(١) تعبير الرُّؤيا ٩٤ والمستطرف ٢/ ٤١٣ وتفسير الواعظ ١٦٤ .

قَذَفَتِ المَرأَةَ يَا مُحمَّد ؛ من أَينَ أَخذْتَ ذَلِكَ ؟ فقَالَ : من قَولِهِ تَعالَى في النِّسَاءِ يُشَبِّهُهُنَّ بِالبَيْضِ : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصَّافَّات : ٤٩] وَقَالَ جَلَّ وَعَلا يُشَبِّهُ المُنافِقِيْنَ بالخَشَب : ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المُنافقون : ٤] فَالبَيْضُ هُمُ النِّسَاءُ ؛ وَالخَشَبُ هُمُ المُفْسِدُونَ ، وَالفَرارِيْجُ أَوْلادُ الزِّنا ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

٣١٤ الدَّجاجَةُ الحَبَشِيَّةُ : هِيَ نَوْعٌ ممّا تَقدَّمَ .

قَالَ الشَّافِعِيُّ : يُحَرَّمُ عَلَى المُحْرِمِ الدَّجاجَةُ الحَبَشِيَّةُ ، لأَنَّها وَحْشِيَّةٌ تَمْتَنِعُ بِالطَّيَرانِ ، وإِن كانَتْ رُبَّما أَلِفَتِ البُيُوتَ .

قَالَ القاضِي حُسين : الدَّجاجَةُ الحَبَشِيَّةُ : شَبِيهَةٌ بِالدُّرَّاجِ .

قَالَ : وَتُسَمَّى بِالعِراقِ : الدَّجاجَةُ السِّنْدِيَّةُ ؛ فإِنْ أَتْلَفَها لَزِمَهُ الجَزَاءُ .

وَقَالَ مالِكٌ : لا جَزاءَ في دَجاجِ الحَبَشِ عَلَى المُحْرِمِ ، لاسْتِئْناسِهِ ؛ وَكَذَلِكَ كُلُّ ما تَأَنَّسَ من الوَحْشِيِّ عِند الشَّافِعِيِّ ، فِيهِ الجَزاءُ خِلافاً لِمَالِكٍ .

وَالدَّجاجُ الحَبَشِيُّ : هُوَ الدَّجاجُ البَرِّيُّ ، وَهُوَ في الشَّكْلِ وَاللَّوْنِ قَرِيْبٌ من الدَّجاجِ ، يَسكنُ في الغَالِبِ سَواحِلَ البَحرِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ بِبِلادِ المَغْرِبِ ، يَأْوِي مِواضِعَ الطَّرْفَاءِ ، وَيَبِيضُ فِيها .

قَالَ الجاحِظُ[1] : وَتَخرجُ فِراخُه - وَكَذَلِكَ فِراخُ الطَّاوُوسِ وَالبَطِّ السِّنْدِيِّ - كَيِّسَةً كاسِبَةً ، تَلْتَقِطُ الحَبَّ من سَاعَتِها كَفِراخِ الدَّجاجِ الأَهْلِيِّ ، وَيُقَالُ لَهُ : الغَرْغَرُ ؛ وَسَيَأْتِي الكَلامُ عليه إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الغَينِ المعجمةِ » .

٣١٥ الدُّجُّ[2] : طَائِرٌ صَغِيرٌ في حَدِّ اليَمامِ ، من طَيرِ المَاءِ ، سَمِينٌ طَيِّبُ اللَّحْمِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ بالإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمَا يُشابِهُها من بِلادِ السَّواحِلِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

---

(١) لم أقف على هذا القول في حيوان الجاحظ .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٨٠ .

٣١٦ **الدُّخْرُجُ** : بِضَمِّ الدَّالِ المُهْمَلَةِ : دُوَيْبَّةٌ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه .

٣١٧ **الدُّخاسُ** : كَنُحاسٍ : دُوَيْبَّةٌ تَغِيبُ فِي التُّرابِ ، وَالجَمْعُ الدَّخاخِيْسُ .

٣١٨ **الدُّخَسُ** : بِضَمِّ الدّالِ المُهْمَلَةِ ، وَتَشْدِيدِ الخَاءِ المُعجمةِ : ضَرْبٌ من السَّمَكِ ، وَهُوَ الدُّلْفِينُ . قَالَهُ ابنُ سِيْدَه أَيضاً .

وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ[١] : الدُّخَسُ : مِثَالُ الصُّرَدِ : دُوَيْبَّةٌ في البَحْرِ تُنْجِي الغَرِيْقَ ، تُمَكِّنُهُ من ظَهْرِها لِيَسْتَعِيْنَ عَلَى السِّباحَةِ ، وَتُسَمَّى الدُّلْفين ، وَسَيَأْتِي قَرِيباً إِن شَاءَ اللهُ تعالَى في هَذَا البابِ .

٣١٩ **الدُّخَّلُ**[٢] : بتَشْدِيدِ الخَاءِ المُعجمةِ أَيضَاً : طَائِرٌ صَغِيرٌ ؛ وَالجمعُ : الدَّخاخِيلُ ؛ وَهُوَ أَغْبَرُ يَسْقُطُ عَلَى رُؤُوْسِ الشَّجَرِ ؛ وَالدُّخَّلُ : واحِدَتُهُ دُخَّلَةٌ .

وَفِي « أَدَبِ الكاتِبِ » لابن قُتيبةَ[٣] : الدُّخَّلُ : ابنُ تَمْرَةَ .

٣٢٠ **الدُّرَّاجُ** : بِضَمِّ الدّالِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ ، المُهْمَلَتَينِ .

كُنْيَتُهُ[٤] : أَبُو الحَجّاجِ ، وَأَبُو خطّار ، وَأَبُو ضَبَّةَ ؛ وَسيأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الضَّادِ المُعْجَمَةِ » .

واحِدَتُهُ : دُرَّاجَةٌ ؛ وَهُوَ[٥] طائِرٌ مُبارَكٌ ، كَثِيْرُ النِّتَاجِ ، مُبَشِّرٌ بالرَّبِيْعِ ، وَهُوَ القائِلُ : بِالشُّكْرِ تَدُومُ النِّعَمُ ؛ وَصَوْتُهُ مُقَطَّعٌ عَلَى هَذِهِ الكَلِمَاتِ ؛ وَتَطِيبُ

---

(١) الصحاح « دخس » ٣/ ٩٢٧ .

(٢) اللِّسان « دخل » ٣/ ١٣٤٣ .

(٣) أَدب الكاتب ٢١٣ .

(٤) المرصّع ١٣٧ و ١٥٣ و ٢٢٧ و ٣٦٢ .

(٥) عجائب المخلوقات ٢٧٥ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧٥ .

نَفْسُهُ عَلَى الهَواءِ الصَّافِي وَهُبُوبِ الشّمالَ ، وَيَسُوءُ حَالُهُ بِهُبُوبِ الجَنُوبِ ، حتّى إِنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى الطَّيَرانِ .

وَهُوَ[1] طائِرٌ أَسْوَدُ باطِنِ الجَناحَيْنِ ، وَظاهِرُهُما أَغْبَرُ ، عَلَى خِلْقَةِ القَطَا ، إِلاَّ أَنَّهُ أَلْطَفُ .

وَالدُّرّاجُ : اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى ، حَتَّى تَقُولَ : الحَيْقُطان ، فَيَخْتَصُّ بِالذَّكَرِ ؛ وَأَرْضٌ مَدْرَجَةٌ : أَي ذَاتُ دُرَّاجٍ . كَذَا قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[2] .

وَقَالَ سِيبويْه : واحِدَةُ الدُّرّاجِ : دُرَجْرَجٌ[3] ؛ وَالدَّيْلَمُ : ذَكَرُ الدُّرّاجِ .

وَقَالَ ابْنُ سِيْدَه[4] : الدُّرّاجُ : طائِرٌ شَبِيْهٌ بِالحَيْقُطانِ وَهو من طيرِ العراقِ .

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ[5] : أَحْسَبُهُ مُوَلَّداً ، وَهُوَ الدُّرَجَةُ مِثْلُ الرُّطَبَةِ .

وَأَمَّا الجاحِظُ[6] فَجَعَلَهُ من أَقسامِ الحَمامِ ، لأَنَّهُ يَجمَعُ فِراخَهُ تحتَ جَناحَيْهِ كَمَا يَجْمَعُ الحَمامُ ، وَمِن شَأْنِهِ أَنَّهُ لا يَجْعَلُ بَيْضَهُ فِي مَوْضِعٍ واحِدٍ ، بَل ينقلُه لَئِلاَّ يَعْرِفَ أَحَدٌ مَكانَهُ ؛ وَلا يَتَسَافَدُ في البُيُوتِ ، وَإِنَّما يَفْعَلُ ذَلِكَ في البَسَاتِينِ .

---

(١) هذا قول ابن السِّكِّيت ، في اللِّسان « درج » ٢/ ١٣٥٤ .

(٢) الصِّحاح « درج » ١/ ٣١٤ .

(٣) في أ ، ط : درجوج . والمثبت من ب . ولم يذكر سيبويه هذا الكلام ، بل جاء فيه ٣/ ٤٣٢ و٤/ ٢٧٨ و٣٢٧ لفظة « ذُرحرح » وهي نوع من الزَّنابير سامَّة ، كما في تفسير غريب أبنية سيبويه لأبي حاتم ٥٠ وأبنية كتاب سيبويه للزبيدي ٣٤٢ ـ ٣٤٣ . وانظر ما سيأتي في « الذُّرّاح » .

(٤) المخصّص ٨/ ١٦٠ .

(٥) الجمهرة ١/ ٤٤٦ و ٤٤٧ .

(٦) لم أَقف على هذا النَّصّ في حيوان الجاحظ ، خلا المقطع الأَخير ، فهو بمعناه في الحيوان ٧/ ١٨٦ وبنصِّه عن الجاحظ في عجائب المخلوقات ٢٧٥ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧٥ .

● قَالَ أَبُو طالِبِ المَأْمُونيُّ يَصِفُ دُرَّاجَةً[1] : [من الخفيف]

قَـد بَعَثْنَـا بِـذَاتِ حُسْـنٍ بَـدِيـعِ　　كَنبـاتِ الـرَّبِيـعِ بَـلْ هِـيَ أَحْسَـنْ
فِـي رِداءٍ مـن جُلَّنـارٍ وآسٍ　　وَقَمِيـصٍ مـن يَاسَميـنٍ وَسَوْسَـنْ

وسيأتي إن شاء الله تعالى في « القُبَجِ » زِيادَةٌ في نَعْتِها ، في « بابِ القَافِ » .

قَالَ الجاحِظُ[2] : وَهُوَ من الخَلْقِ الذِي لا يَسْمَنُ بَلْ يَعْظُم ، وإذا عَظُمَ لم يَحْمِلِ اللَّحْمَ .

وَحُكمه : الحِلُّ ، لأَنَّهُ إمّا من الحَمامِ ، أَو من القَطَا ، وَهُما حَلالانِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[3] : « يَطْلُبُ الدُّرَّاجَ من خِيْسِ الأَسَدِ » . يُضْرَبُ لِمَنْ يَطْلُبُ ما يَتَعَذَّرُ وُجُودُهُ .

الخَواصُّ : يُؤْخَذُ شَحْمُهُ فَيُذَوَّبُ بِدُهْنٍ كاذِيٍّ ، وَيُقْطَرُ مِنْهُ في الأُذُنِ الوَجِعَةِ ثَلاثَ قَطراتٍ ، يَسْكُنُ وَجَعُها بإِذْنِ اللهِ تَعالَى .

● قَالَ ابنُ سِينا[4] : لَحْمُهُ أَفْضَلُ من لَحمِ الفَوَاخِتِ ، وَأَعْدَلُ ، وَأَلْطَفُ ؛ وَأَكْلُهُ يَزِيدُ في الدِّماغِ والفَهْمِ والمَنِيِّ .

---

(١) في الأُصول : قال أَبو الطيِّب المأمونيّ ! ! . والبيتان ليسا في وصف الدُّرّاج كما توهَّمَ المؤلِّف رحمه الله ، وقد وهم قبله الثّعالبيّ في ثمار القلوب ٢/ ٧٠٠ إذ جعلهما وبعدهما ثالث في وصف التُّدرُج ! . ثمَّ صحَّح الثَّعالبيّ خطأَه ، في التَّوفيق للتلفيق ١١٧ فقالَ : وأَنشدني أَبو طالب المأموني لنفسه في وصف مَدْرَجَةِ جُبَّةٍ أَهْداها لبعض أَصدقائه . وهما في اليتيمة أَيضاً ٤/ ١٨٧ .

(٢) الحيوان ٥/ ٥٣٠ و ٦/ ٣٥٣ .

(٣) الميدانيّ ٢/ ٤٢٣ .

(٤) بنصِّه عند ابن البيطار ٢/ ٩٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧٦ وعجائب المخلوقات ٢٧٥ . وانظر تذكرة داود ١/ ١٥٢ .

التَّعبيرُ[١] : الدُّرَّاجُ في المَنامِ : مَالٌ ؛ وقيل : امْرَأَةٌ ، أَوْ مَملوكٌ ؛ فَمَنْ مَلَكَهُ ، أَو رآهُ عندَه : فإِنَّهُ يَمْلُكُ مالاً ، أَوْ سُرِّيَّةً ، أَوْ مَمْلُوكاً ، أَوْ يَتَزَوَّجُ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

٣٢١ الدَّرّاجُ : بفَتْحِ الدَّالِ وَالرَّاءِ المُهملَتينِ : القُنْفُذُ ؛ صِفَةٌ غالِبَةٌ عَلَيه ، لأَنَّهُ يَدْرُجُ لَيْلَهُ كُلَّهُ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] .

● **فائِدَةٌ أَجْنَبِيَّةٌ** : اسْتِدْراجُ اللهِ تَعالَى العَبْدَ : أَنَّهُ كُلَّما جَدَّدَ خَطِيئَةً ، جَدَّدَ اللهُ له نِعْمَةً وَأَنْسَاهُ الاسْتِغفَارَ ؛ وَأَنْ يَأْخُذَهُ قَلِيْلاً قليلاً وَلا يُباغِتَهُ .

● رَوَى أَحمدُ في « الزُّهْدِ »[٣] عن عُقبة بن عامِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إذا رَأَيْتَ اللهَ تَعالَى يُعطِي العبدَ من الدُّنيا عَلَى مَعاصِيهِ ما يُحِبُّ ، فإِنَّما هو اسْتِدْراجٌ ؛ ثُمَّ تَلا قَولَهُ تَعالَى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

● قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : رُوِيَ عن بعضِ العُلَمَاءِ ، أَنَّهُ قَالَ : رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَدبَّرَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

● وَقَالَ محمَّدُ بن النَّضر الحارِثِيُّ : أَمْهَلَ هَؤُلاءِ القَومَ عِشرِينَ سَنَةً .

● وَقَالَ الحَسَنُ : واللهِ ما أَحَدٌ من النّاسِ بَسَطَ اللهُ تَعالَى لَهُ في الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَكُونَ قد مُكِرَ بِهِ فِيها ، إلاّ كان من نَقْصٍ فِي عَمَلِهِ وَعَجْزٍ فِي رَأْيِهِ ؛ وَمَا أَمْسَكَها اللهُ تَعالَى عن عَبْدٍ ، فَلَمْ يَظُنَّ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُ فِيهَا ، إِلاّ كان من نَقْصٍ في عَمَلِهِ وَعَجْزٍ فِي رَأْيِهِ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ وتفسير الواعظ ٢٩٦ .

(٢) المخصَّص ٨/ ٩٤ .

(٣) الزهد : ١٨ والمسند ٤/ ١٤٥ وتفسير ابن كثير ٢/ ١٣٢ ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٨١ .

● وَفِي الخَبَرِ[1] : « إِنَّ اللهَ تعالىٰ أَوْحَى إِلى موسى عَليهِ السَّلامُ : إِذا رَأَيْتَ الفَقْرَ مُقْبلاً إِلَيكَ ، فَقُلْ : مَرْحَباً بِشِعارِ الصّالِحِيْنَ ؛ وَإِذا رَأَيْتَ الغِنى مُقْبِلاً إِلَيْكَ ، فَقُلْ : ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهُ » .

٣٢٢ الدّربابُ : طائِرٌ مُرَكَّبٌ من الشِّقِرّاقِ والغُرابِ ، وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي لَوْنِهِ .

وَهُوَ كَمَا قَالَ أَرسطاطاليس في« النُّعُوتِ » : إِنَّهُ طائِرٌ يُحِبُّ الأُنْسَ ، وَيَقْبَلُ التَّأْدِيْبَ والتَّربيَة ؛ وَفِي صَفِيرِهِ وَقَرْقَرَتِهِ أَعاجِيبُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رُبَّما أَفْصَحَ بالأَصواتِ ، وقَرْقَرَ كَالقُمْرِيِّ ، وَرُبَّما حَمْحَمَ كَالفَرَسِ ، وَرُبَّما صَفَّرَ كَالبُلْبُلِ ، وَغِذاؤُهُ من النَّبْتِ وَالفاكِهَةِ وَاللَّحْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ وَمَأْلَفُهُ الغِيَاضُ وَالأَشْجَارُ المُلْتَفَّةُ . انتهى .

قُلْتُ : وَهَذِهِ صِفَةُ الطّائِرِ المُسَمَّى عِند النَّاسِ بِأَبِي زُرَيْقٍ ؛ فإِنَّهُ عَلَى هَذَا النَّعْتِ الذي ذَكَرَهُ ، وَيُقَالُ لَهُ : القِيْقُ أَيْضاً ؛ وَسَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى لَهُ مَزِيْدُ بَيَانٍ في « بابِ القافِ » .

٣٢٣ الدَّرْحَرَجُ : قَالَ القَزوِينيُّ[2] : إِنَّها دُوَيْبَّةٌ مُبَرْقَشَةٌ بِحُمْرَةٍ وَسَوادٍ ؛ يُقَالُ : إِنَّها سُمٌّ ؛ مَن أَكَلَها تَقَرَّحَتْ مَثانَتُهُ ، وَسُدَّ بَوْلُهُ ، وَأَظْلَمَ بَصَرُهُ ، وَتَوَرَّمَ قَضِيبُهُ وَعانَتُهُ ، وَيَعْرِضُ لَهُ اخْتِلاطٌ في عَقْلِهِ .

وَحُكْمُها : التَّحريمُ ، لِضَرَرِها بِالبَدَنِ والعَقْلِ .

---

(١) المجالسة ٤/ ٤٥٣ ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٧٧ . وبعضه في ثمار القلوب ٢/ ٨٦٦ والكناية والتَّعريض ١١٩ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٩٥ . وما قاله القزويني هنا ذكره العمريّ في مسالك الأبصار ٢٠/ ١١٠ في مادّة « الذّراريح » . وقد تصحّف الاسم على القزويني والدّميري معاً ، وأَنَّ صوابَه : « الذُّرحرح » بالذّال المعجمة في أوّله والحاء المهملة في آخره . [القاموس والتاج « ذرح »] . وقارن بما سيأتي في مادّة « الذُّرَّاح » . وعليه فإنَّ المادّة ليست في موضعها .

٣٢٤ **الدِّرْصُ** : بِكَسْرِ الدَّالِ : وَلَدُ القُنْفُذِ ، وَالأَرْنَبِ ، وَاليَرْبُوعِ ، وَالفَأْرَةِ ، وَالهِرَّةِ ، وَالذِّئْبَةِ ، وَنَحْوِها ؛ وَالجَمْعُ : أَدْراصٌ وَدِرَصَةٌ .

● قَالَ السُّهَيْلِيُّ في « التَّعْرِيْفِ والإِعْلامِ » : العَرَبُ تَقُولُ لِلأَحْمَقِ[١] : أَبُو أَدراصٍ ، لِلَعِبِهِ بِالأَدْراصِ ؛ وَهُوَ جَمْعُ دِرْصٍ ، وَهُوَ وَلَدُ الكَلْبَةِ ، وَوَلَدُ الهِرَّةِ ، وَنَحْو ذَلِكَ .

وَكُنيةُ اليَرْبُوعِ[١] : أُمُّ أَدْراصٍ ؛ قَالَهُ الأَصمعيُّ .

الأمثالُ : قَالَتِ العَرَبُ[٢] : « ضَلَّ دُرَيْصٌ نَفَقَهُ » أَيْ جُحْرَهُ ، يُضْرَبُ لِمَنْ يَعْيَا بِأَمْرِهِ .

● قَالَ طُفيلٌ[٣] : [من الطويل]

وَمَـا أُمُّ أَدْراصٍ بِـأَرْضٍ مَضَلَّـةٍ   بِـأَغْـدَرَ مـن قَيْـسٍ إِذا اللَّيْـلُ أَظْلَمَـا

٣٢٥ **الدُّرَّةُ** : بِضَمِّ الدَّالِ المُهْمَلَةِ : البَبَّغاءُ ، المُتَقَدِّمَةُ في « بابِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ » .

● حَكَى الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّيْنِ جعفر الأُدْفُويّ في كِتابِهِ « الطَّالع السَّعيد »[٤] في ترجمة محمَّد بن محمّد النَّصيبيّ القُوصيّ ، الفاضِلِ المُحَدِّثِ الأَدِيبِ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ :

---

(١) المرصّع ٥٩ و ٣٧٩ والعسكري ١/ ٤٣ والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٤٧٥ .

(٢) الميداني ١/ ٤١٩ والعسكري ٢/ ٧ والزَّمخشريّ ٢/ ١٤٩ وأَمثال أَبي عبيد ٢٦٦ .

(٣) هو طفيل الغنوي والبيت في ديوانه ١٤٠ (صادر) و ١١١ (دار الكتاب الجديد) . وهو ممَّا نسب إِلى عامر بن مالك ملاعب الأَسنَّة ، وإِلى شريح بن الأحوص ، وإِلى قيس بن زهير . (اللّسان والتّاج « درص ») . واقتصر الجوهريّ على نسبته إِلى طفيل (الصِّحاح ٣/ ١٠٣٩) وبلا نسبة في المرصّع ٥٩ . وروايته في ط : فما . . . × .

(٤) الطّالع السّعيد ٦٢١ ـ ٦٢٢ .

أَنَّهُ حَضَرَ مَرَّةً عِنْدَ عِزِّ الدِّيْنِ بن البَصْراويّ ، الحاجِبِ بقُوص ، وَكَانَ لَهُ مَجْلِسٌ يجتمع فِيْهِ الرُّؤَسَاءُ والفُضَلاءُ والأُدَبَاءُ ، فَحَضَرَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ الحَريريّ ، وَحَكَى أَنَّهُ رَأَى دُرَّةً تَقْرَأُ سُورة « يس » . فَقَالَ النَّصيبيُّ : وَكَانَ غُرابٌ يَقْرَأُ سُورَةَ « السَّجْدَةِ » ، فإذا جَاءَ إِلى مَحَلِّ السَّجْدَةِ سجد ، وَيَقُولُ : سَجَدَ لَكَ سَوادِي ، وَاطْمَأَنَّ بكَ فُؤَادِي .

٣٢٦ الدَّسَّاسَةُ[١] : بِفَتْحِ الدَّالِ : حَيَّةٌ صَمَّاءُ ، تَنْدَسُّ تَحْتَ التُّرابِ انْدِساساً : أَي تَنْدَفِنُ ؛ وَقِيلَ : هِيَ شَحْمَةُ الأَرْضِ ؛ وستأتي إن شاء الله تعالى في « بابِ الشِّينِ المُعجمةِ » .

٣٢٧ الدُّعْسُوقَةُ[٢] : بِفَتْح الدَّالِ[٣] : دُوَيْبَّةٌ كَالخُنْفساءِ ؛ وَرُبَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِلصَّبِيَّةِ وَالمَرْأَةِ القَصِيرَةِ ، تَشْبِيهاً بِها . قَالَهُ في « المُحْكَمِ » .

وَفِي « مُخْتَصَرِ العَيْنِ » للزُّبَيْدِيِّ أَيْضاً ، إلاَّ أَنَّهُ ضَبَطَهُ بِالقَلَمِ بِفَتْحِ الدّالِ[٤] ، فِي نُسْخَةٍ صَحِيحَةٍ .

٣٢٨ الدُّعْمُوصُ : بِضَمِّ الدَّالِ : دُوَيْبَّةٌ تَغُوصُ فِي المَاءِ ؛ والجَمْعُ : الدَّعامِيصُ ، كَبُرْغُوثٍ وَبَراغِيثُ . وَقَالَ السُّهَيلِيُّ : الدُّعْمُوصُ : سَمَكَةٌ

---

(١) اللِّسان « دسس » .

(٢) ذكرها الجوهريُّ في الصِّحاح ٤/ ١٤٧٥ بلفظ «الدُّعشوقة » وقالَ : دُوَيْبَّةٌ ؛ ولم يُحلِّها . وفي العين ٢/ ٢٨٦ واللِّسان ٢/ ١٣٨٠ : « الدُّعشوقة » . ثمَّ ذكر ما وردَ أَعلاهُ عن المحكم . وفي القاموس ٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ : والدُّعسوقة : دُوَيْبَّةٌ كالدُّعشوقة ، بالشِّين المعجمة . وفصَّل ذلك الزَّبيديُّ في التَّاج بأَنَّ رواية السِّين ذكرها الصَّاحب بن عبَّاد في « المحيط » . ثُمَّ قال : وأَنكر اللَّيث أَن تكونَ الدُّعشوقة عربيَّةً محضةً لخلوِّها من حروف الذَّلق والشَّفويَّة .

(٣) الصَّواب : بضمِّ الدال ، كما مرَّ .

(٤) ضُبطت اللَّفظة في العين ضبط قلم بضمّ الدَّال .

صَغِيْرَةٌ ، كَحَيَّةِ المَاءِ . وَدُعَيْميصُ : اسْمُ رَجُلٍ كان داهِياً ؛ سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي الأَمْثَالِ .

وَيُقَالُ : هَذَا دُعَيْميصُ هَذَا الأَمْرِ : أَيْ عالِمٌ بِهِ . انتهى .

● روَى « مُسْلِمٌ »[1] عن أَبِي حَسّان ، قَالَ : قُلْتُ لأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : إِنَّهُ قد مَاتَ لِي اثنَانِ من الوَلَدِ ، فَهَلْ أَنْتَ مُحَدِّثِي عن رَسُولِ اللهِ ﷺ بحَدِيْثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنا عن مَوْتانا ؟ قَالَ : نَعم « صِغارُكُمْ دَعامِيصُ الجَنَّةِ - أَي لا يُمْنَعُونَ من بَيْتٍ - فَيَلْقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ : أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ، أَوْ بِثَوْبِهِ ، كَمَا آخُذُ أَنا بِبَعْضِ ثَوْبِكَ هَذَا ، فَيَقُولُ : هَذَا فُلانٌ ، فَلا يَتَناهَى حَتَّى يَدْخُلَ هُوَ وَأَبُوهُ الجَنَّةَ » .

● وَفِي الحَدِيْثِ : « أَنَّ رَجُلاً زَنَى ، فَمَسَخَهُ اللهُ تَعالَى دُعْمُوصاً » .

● وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : الدُّعْمُوصُ : هُوَ الآذِنُ عَلَى المَلِكِ ، المُتَصَرِّفُ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ[2] : [من مجزوء الكامل]

دُعْمُـــوصُ أَبْـــوابِ المُلُـــو ... كِ وَجـائِـبٌ لِلْخَـرْقِ فـاتِـحْ[3]

● قَالَ الحافِظُ المُنْذِرِيُّ في « التَّرْغِيْبِ والتَّرْهِيْبِ » في الكَلامِ عَلَى هَذَا الحَدِيْثِ[4] : الدَّعامِيْصُ : بِفَتْحِ الدَّالِ : جَمْعُ دُعْمُوصٍ بِضَمِّها ؛ وَهِيَ دُوَيْبَّةٌ

---

(١) مسلم (٢٦٣٥) ومسند أَحمد ٢/ ٤٧٧ و ٥١٠ والترغيب والترهيب للمنذريّ ٣/ ٧٦ وبعضه في النِّهاية ٢/ ١٢٠ .
وراوية مسلم : صغارهم . . . يتلقَّى أَحدهم أَباهُ . . . كما آخذُ أَنا بِصَنَفَةِ . . . فلا ينتهي . . .

(٢) ديوانه ٣٤٨ .

(٣) روايته في ط : × وحاجب للخلق . . . وفي أ : × وحاجب للحقّ . . . ! صوابه في ب والدِّيوان . وهو بلا نسبة في ثمار القلوب ١/ ١٩٩ برواية : × ورائق للخرق فاتق .

(٤) الترغيب والترهيب ٣/ ٧٦ والزِّيادة منه .

صَغِيْرَةٌ ، يَضْرِبُ لَوْنُها إِلَى السَّوادِ ، تكُونُ فِي الغُدْرانِ [إِذَا نَشَفَتَ] ، شَبَّهَ الطِفْلَ بها فِي الجَنَّةِ لِصِغَرِهِ ، وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ .

وَقِيْلَ : هُوَ اسْمٌ لِلرَّجُلِ الزَّوَّارِ للمُلُوكِ ، الكَثِيْرِ الدُّخُولِ عَلَيْهِم والخُرُوجِ ، لا يَتَوَقَّفُ عَلَى إِذْنٍ مِنْهُمْ ، وَلا يَخافُ أَيْنَ يَذْهَبُ من دِيارِهِمْ ، شُبِّهَ طِفْلُ الجَنَّةِ بِهِ ، لِكَثْرَةِ ذَهابِهِ في الجَنَّةِ حَيْثُ شاءَ ، لا يَمْتَنِعُ من بَيْتٍ فِيْها وَلا موْضِعٍ ؛ وَهَذَا قَوْلٌ ظاهِرٌ . انتهى .

● قَالَ الجاحِظُ[1] : إِذا كبرَ النَّامُوسُ ، صَارَ دَعامِيص ؛ وَهُوَ يَتَوَلَّدُ من المَاءِ الرَّاكِدِ ، وإِذا كبر صَارَ فَراشاً ؛ وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ عُمْدَةُ من جَعَلَ الجَرادَ بَحْرِيَّاً .

وَالدُّعْمُوصُ من الخَلْقِ : الَّذِي لا يَعِيْشُ ـ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ إِلاَّ فِي المَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَحِيْلُ بَعُوضاً وَنامُوساً .

الحُكْمُ : في « فَتَاوى القاضِي حُسين » : أَنَّ دُودَ المَاءِ ، لو انْشَقَّ أَوْ ذَابَ ، فَخَرَجَ مِنْهُ مَاءٌ ، كان ذَلِكَ المَاءُ طَهُوراً ، يَجُوزُ مِنْهُ التَّوَضُّؤُ ؛ وَعَلَّلَهُ بأَنَّ هَذَا الدُّودَ لَيْسَ بِحَيَوانٍ ، بَلْ هُوَ مُنْعَقِدٌ من بُخارٍ يَصعدُ من المَاءِ فَيُشْبِهُ الدُّودَ ؛ وَهَذَا مِنْهُ صَرِيْحٌ في جوازِ شُرْبِ الدَّعامِيْصِ مَعَ المَاءِ ، لأَنَّها مَاءٌ مُنْعَقِدٌ .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ اخْتِيَارٌ ؛ لأَنَّ دُودَ الخَلِّ وَالفاكِهَةِ يُعْطَى حُكْمَ ما يَتَوَلَّدُ مِنْهُ ، حَتَّى يَجُوزَ أَكْلُهُ مُنْفَرِداً ، كَمَا هُوَ وَجْهٌ فِي المَذْهَبِ ، مُوَجَّهاً بِأَنَّهُ يُشْبِهُهُ طَعْماً وَطَبْعاً .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا لا يُوافِقُ عَلَيْه الجُمْهُورُ ؛ وَالمشْهُورُ خِلافُ ما قَالَهُ تَفْسِيراً وَحُكْماً ؛ وَأَنَّ الدُّعْمُوصَ مُحَرَّمُ الأَكْلِ لاسْتِقْذَارِهِ ، لأَنَّهُ من الحَشَراتِ .

---

(١) الحيوان ٣/ ٥٠٢ و ٤/ ٢٢٥ و ٥/ ٣٧٣ و ٦/ ٤٥٤ و٧/ ٤٥ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « أَهْدَى من دُعَيْميصِ الرَّمْلِ » . وَهُوَ عَبْدٌ أَسْوَدُ ، كان داهِيَةً خِرِّيتاً ، لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ فِي بِلادِ وَبَارَ[2] غَيْرُهُ ؛ فَقَامَ فِي المَوْسِمِ وَقَالَ[3] : [مِنَ الطَّويل]

فَمَـنْ يُعْطِنِـي تِسْعـاً وَتِسْعِيْـنَ بَكْـرَةً هِجَـانـاً وَأُدْمـاً أَهْـدِهِ لِـوَبَـارِ

فَقَامَ رَجُلٌ من مَهْرَةَ ، وَأَعْطاهُ ما سَأَلَ ، وَتَحَمَّلَ مَعَهُ بِأَهْلِه وَوَلَدِهِ ؛ فَلَمَّا تَوَسَّطُوا الرَّمْلَ ، طَمَسَتِ الجِنُّ عينَ دُعَيْمِيصٍ فَتَحَيَّرَ ، وَهَلَكَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ في تِلْكَ الرِّمَالِ ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الفَرَزْدَقُ[4] : [من الكامل]

كَهَـلاكِ مُلْتَمِـسٍ طَـرِيـقَ وَبَـارِ

٣٢٩ الدَّغْفَلُ : كَجَعْفَرٍ : وَلَدُ الفِيْلِ[5] ، وَذَكَرُ الثَّعالِبِ أَيْضاً[6] .

● وَكَانَ دَغْفَلُ بن حَنْظَلَةَ النَّسَّابَةُ[7] ، أَحَدُ بَنِي شَيْبَانَ ، يُسَمَّى بِذَلِكَ .

---

(١) الميداني ١/ ٢٧٤ و ٢/ ٤٠٩ والعسكري ١/ ٤٥٧ و ٢/ ٣٧٥ والزمخشري ١/ ١١٨ و٢ ٤٤٢ وثمار القلوب ١/ ١٩٩ والدُّرَّة الفاخرة ٢/ ٤٣٤ والبرصان ٥٠٣ (خولي) و ٥٠٩ (هارون) والمحبَّر ١٨٩ ومعجم البلدان ٥/ ٣٥٧ ومعجم ما استعجم ٤/ ١٣٦٧ .
وفي هواتف الجنَّان للخرائطي ٤٢ أنَّهُ رجل من بني تَميم ، يقال له : رافع بن عمير .

(٢) وبار : قال الخليل : كانت محلَّة عادٍ ، وهي بين اليمن ويبرين . وقيل غير ذلك . (ياقوت والبكري والرَّوض المعطار ٦٠٦) .

(٣) البيت في الميداني ٢/ ٤٠٩ ومعجم ما استعجم ٤/ ١٣٦٧ .

(٤) ديوانه ١/ ٣٦٠ . وصدره : ولقد ضَلَلْتَ أَباكَ تَطْلُبُ دارِماً × .

(٥) في القاموس والتَّاج « دغفل » : الدَّغْفَلُ ـ كجعفر ـ : ولد الفيل ، أَو ولد الذِّئب .

(٦) كذا في الأُصول ، وهو تحريف ، صوابه : ذكر العناكب . قال في اللِّسان « دغفل » : والدَّغفل : ذكر العنكبوت .

(٧) ترجمته في : التَّاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٢٥٤ والجرح والتَّعديل ٣/ ٤٤١ وطبقات ابن سعد ٩/ ١٤٠ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٩٨ والأنساب ١٢/ ٧٣ وتهذيب الكمال ٨/ ٤٨٦ وميزان الاعتدال ٢/ ٢٧ .

رَوَى عَنْهُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ شَيْئاً من سُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخُولِفَ فِيهِ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّ لَهُ صُحْبَةٌ ، وَلَمْ يَصِحَّ ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحمدُ بن حَنْبل .

● وَرَوَى عنه الحَسَنُ أَنَّهُ قَالَ[1] : كان عَلَى النَّصَارَى صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَوَلِيَ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ ، فَمَرِضَ ، فَنَذَرَ إِنْ شَفَاهُ اللهُ أن يزيدَ الصَّوم عَشْراً ، ثم كان عليهم مَلِكٌ بعده ، فأَكَلَ اللَّحْمَ فمرضَ ، فنذرَ إن شفَاهُ الله أَنْ لا يَأْكُلَ اللَّحْمَ ، وَيَزِيْدَ الصَّوْمَ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ كان مَلِكٌ بَعْدَهُ فَقَالَ : ما نَدَعُ هَذِهِ الأَيَّامَ ، إِلاَّ أَنْ نُتِمَّها خَمسِينَ ، وَنَجْعَلَها فِي الرَّبِيْعِ ؛ فَصَارَتْ خَمسِينَ يَوْماً .

● قَالَ البُخَارِيُّ : لا يُتَابَعُ دَغْفَلُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلا يُعْرَفُ لِلْحَسَنِ سَماعٌ مِنْهُ .

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : كان دَغْفَلُ رَجُلاً عالِماً ، لَكِنَّهُ اغْتَلَبَهُ النَّسَبُ[2] .

● أَرْسَلَ[3] إِلَيْهِ مُعاويَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، يَسْأَلُهُ عن أَنْسَابِ العَرَبِ ، وعن النُّجُومِ ، وَعَنِ العَرَبِيَّةِ ، وَعَنْ أَنْسَابِ قُرَيْشٍ ؛ فَأَخْبَرَهُ ، فإذا هُوَ رَجُلٌ عالِمٌ ، فَقَالَ لَهُ : من أَيْنَ حَفِظْتَ هَذَا يا دَغْفَلُ ؟ قَالَ : بِلِسَانٍ سَؤُولٍ ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ ؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يُعَلِّمَ وَلَدَهُ يَزِيد .

٣٣٠ الدُّغْنَاشُ : طائِرٌ صَغِيرٌ ، من أَنْواعِ العَصَافِيْرِ ، أَصْغَرُ من الصُّرَدِ ، مُخَطَّطُ الظَّهْرِ بِحُمْرَةٍ ، مُطَوَّقٌ بِالسَّوادِ والبَيَاضِ ، وَهُوَ شِرِّيْرُ الطَّبْعِ ، شَدِيْدُ المِنْقَارِ ، يُوجَدُ كَثِيْراً بِسَواحِلِ البَحْرِ المِلْحِ وَغَيرِهِ .

---

(١) تاريخ البخاري ٣/ ٢٥٤ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٩٩ والمعجم الكبير للطَّبرانيّ (٤٢٠٣) وتهذيب الكمال ٨/ ٤٩٠ وميزان الاعتدال ٢/ ٢٧ .

(٢) في ط : اغتلمته النِّساء ! وفي أ ، ب : اغتلبته النِّساء ! . والصَّواب في ميزان الاعتدال ٢/ ٢٧ .

(٣) المعجم الكبير (٤٢٠١) ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٩٩ وتهذيب الكمال ٨/ ٤٨٩ وميزان الاعتدال ٢/ ٢٧ .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ ، لأَنَّهُ من أَنْواعِ العَصافِيرِ .

٣٣١ الدُّقَيْشُ : بِضَمِّ الدَّالِ ، وَفَتْحِ القَافِ : طائِرٌ صَغِيرٌ ، أَصْغَرُ من الصُّرَدِ ؛ وَتُسَمِّيْه العامَّةُ : الدُّقْناشُ .

وَحُكْمُهُ : كَالذِي قَبْلَهُ ، وَلَعَلَّهُ هُوَ ، وَلَكِنْ تَلاعَبُوا بِهِ ، فَسَمُّوهُ تارةً كَذا وَتَارةً كَذا .

● وَفِي « الصِّحاحِ »[١] : قِيلَ لأَبِي الدُّقَيْشِ الشَّاعِرِ : ما الدُّقَيْشُ ؟ فَقَالَ : لا أَدْرِي ، إِنَّما هِيَ أَسْمَاءٌ نَسْمَعُها فَنَتَسَمَّى بِها .

٣٣٢ الدُّلْدُلُ : عَظِيمُ القَنافِذِ ، وَالدَّلْدَالُ : الاضْطِّرابِ ، وَقَدْ تَدَلْدَلَ السَّحَابُ : أَيْ تَحَرَّكَ مُتَدَلِّيًا[٢] ؛ وَبِهِ سُمِّيَتْ بَغْلَةُ النَّبِيِّ ﷺ التي أَهْداها لَهُ المُقَوْقِسُ .

● وَفِي[٣] حَدِيثِ أَبِي مَرْثَدِ ، الآتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ العَيْنِ » : قَالَتْ عَناقُ البَغِيُّ : يَا أَهْلَ الخِيَامِ ، هَذَا الدُّلْدُلُ الَّذِي يَحْمِلُ أَسْراكُمْ[٤] ؛ وإِنَّما شَبَّهَتْهُ بِالقُنْفُذِ ، لأَنَّهُ أَكْثَرُ ما يَظْهَرُ في اللَّيْلِ ، وَلأَنَّهُ يُخْفِي رَأْسَهُ فِي جَسَدِهِ

---

(١) الصِّحاح « دنقش » ٣/١٠٠٦ والجمهرة ١/٦٥١ والقاموس والتَّاج واللِّسان « دقنش » .
والقائل : هو يونس النَّحويُّ .
وفي الوافي بالوفيات ١٤/٢٢ والاشتقاق ٤ أَنَّ السَّائل هو الخليل . وأَبُو الدُّقيش : ذكره النَّديم في الفهرست ٥٣ فقال : أَبو الدُّقيش القنانيّ الغنويّ .

(٢) عن الصِّحاح « دلل » .

(٣) عن النِّهاية ٢/١٢٩ . والحديث من رواية مرثد بن أَبي مرثد الغنوي في سنن النَّسائيّ (٣٢٢٨) وأُسد الغابة ٥/١٣٨ .

(٤) في أ ، ط والنِّهاية : أَسراءَكم ! . صوابه في ب . وفي سنن النَّسائي : الذي يحملُ أَسرارَكم ؛ وفي أُسد الغابة : إِنَّ هذا يحملُ الأَسْرَى إِلى مكَّة . وسيأتي الحديث بطوله على الصَّواب في مادَّة « عناق » .

ما اسْتَطاعَ .

● وَقالَ الجاحِظُ[1] : الفَرْقُ بَيْنَ الدُّلْدُلِ وَالقُنْفُذِ ، كَالفَرْقِ بَيْنَ البَقَرِ والجَوَامِيسِ ، وَالبَخاتيِّ وَالعِرابِ ، وَالجُرَذِ وَالفَأْرِ ؛ وَهُوَ كَثِيْرٌ بِبِلادِ الشَّامِ والعِراقِ وَبِلادِ المَغْرِبِ ، فِي قَدْرِ الثَّعْلَبِ القَلَطِيِّ[2] .

● وَقالَ الإِمامُ الرَّافِعِيُّ : الدُّلْدُلُ : عَلَى حَدِّ السَّخْلَةِ ، وَمِنْ شَأْنِه أَنَّهُ يَسْفِدُ قائِماً ، وَظَهْرُ الأَنْثَى لاصِقٌ بِظَهْرِ الذَّكَرِ ؛ وَالأُنْثَى تَبِيْضُ خَمْسَ بَيْضَاتٍ ، وَلَيْسَ هُوَ بَيْضاً في الحَقِيْقَةِ ، إِنَّما هُوَ عَلَى صُورَةِ البَيْضِ يُشْبِهُ اللَّحْمَ .

وَمِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ يَجْعَلُ لِجُحْرِهِ بابَيْنِ ، أَحَدُهُما فِي جِهَةِ الجُنُوبِ ، وَالآخَرُ في جِهَةِ الشِّمالِ ، فَإِذا هَبَّتْ رِيْحٌ ، سَدَّ بابَ جِهَتِها ؛ وَإِذا رَأَى ما يَكْرَهُهُ ، انْقَبَضَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ شَوْكٌ كَالمَسَالِّ يَجْرَحُ من أَصابَهُ ؛ وَالشَّوْكُ الَّذِي عَلَى ظَهْرِهِ نَحْوَ الذِّراعِ .

● وَزَعَمَ بَعْضُ المُتَكَلِّمِيْنَ عَلَى طَبَائِعِ الحَيوانِ : أَنَّ الشَّوْكَ الَّذِي عَلَى ظَهْرِهِ نَحْوَ الذِّراعِ شَعْرٌ ، وَأَنَّهُ لَمَّا غَلُظَ البُخارُ ، وَاشْتَدَّ غلظُهُ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ اليُبْسُ عِنْدَ صُعُودِهِ من المَسَامِّ ، صَارَ شَوْكاً .

الحُكْمُ : نَصَّ الشَّافِعِيُّ عَلَى حِلِّهِ ، رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ ماجه وَغَيْرُهُ .

وَقَالَ الرَّافِعِيُّ : قَطَعَ الشَّيْخُ أَبُو محمَّد بِتَحْرِيْمِهِ .

وَفِي « الوَسِيْطِ » أَنَّهُ كان يَعُدُّهُ من الخَبَائِثِ .

وَقَالَ ابْنُ الصَّلاحِ : هَذَا غَيْرُ مَرْضِيٍّ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ ما الدُّلْدُلُ ، وَاعْتَقَدَ ما بَلَغَنا عن الشَّيْخِ أَبِي أَحمد الأُشْنُهِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : الدُّلْدُلُ : كِبَارُ السَّلاحِفِ ؛

---

(١) لَم أَقف على هذا النَّصِّ بتمامه في الحيوان ؛ وينظر ٣/ ١٤٥ و ٧/ ١٧٦ .

(٢) القَلَطيّ : القصير جدّاً . (القاموس) .

وَهَذا غَيْرُ مَرْضِيٍّ .

وَالمَحْفُوظُ أَنَّهُ ذَكَرَ القَنافِذِ ؛ وَقَطَعَ بِحِلِّهِ الماوَرْدِيُّ والرُّويانيُّ وَغَيْرُهُما ، وَهُوَ الصَّوابُ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « أَسْمَعُ من دُلْدُلٍ » .

وَخَواصُّهُ وَتَعبِيرُهُ : كَالقَنافِذِ ؛ وَسَتَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي « بابِ القَافِ » .

٣٣٣ الدُّلْفِيْنُ : الدُّخَسُ ؛ وَضَبَطَهُ الجَوْهَرِيُّ في « بابِ السِّيْنِ المُهْمَلَةِ » بضَمِّ الدَّالِ ، فَقَالَ[2] : الدُّخَسُ ، مِثالُ الصُّرَدِ : دابَّةٌ في البَحْرِ تُنَجِّي الغَرِيْقَ ، تُمَكِّنُهُ من ظَهْرِها لِيَسْتَعِيْنَ عَلَى السِّباحَةِ ، وَيُسَمَّى الدُّلْفِيْنَ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّهُ خِنْزِيرُ البَحْرِ ، وَهُوَ دابَّةٌ تُنَجِّي الغَرِيقَ ، وَهُوَ كَثِيْرٌ بأَواخِرِ نِيلِ مِصْرَ من جِهَةِ البَحْرِ المِلْحِ ، لأَنَّهُ يَقْذِفُ بِهِ البَحْرُ إِلى النِّيْلِ ؛ وَصِفَتُهُ كَصِفَةِ الزِّقِّ المَنْفُوخِ ، وَلَهُ رَأْسٌ صَغِيرٌ جِدّاً ، وَلَيْسَ في دَوابِّ البَحْرِ ما لَهُ رِئَةٌ سِواهُ ، فَلِذَلِكَ يُسْمَعُ مِنْهُ النَّفْخُ والنَّفَسُ ؛ وَهُوَ إِذا ظَفِرَ بِالغَرِيقِ ، كان أَقْوَى الأَسْبابِ في نَجاتِهِ ؛ لأَنَّهُ لا يَزالُ يَدْفَعُهُ إِلى البَرِّ حَتَّى يُنَجِّيه .

وَلا يُؤْذِي أَحَداً ، وَلا يَأْكُلُ إِلاَّ السَّمَكَ ، وَرُبَّما ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ المَاءِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ ؛ وَهُوَ يَلِدُ وَيُرْضِعُ ، وَأَوْلادُهُ تَتبعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ ، وَلا يَلِدُ إِلاَّ فِي الصَّيْفِ .

وَمِنْ طَبْعِهِ الأُنْسُ بِالنَّاسِ ، وَخاصَّةً بِالصِّبْيَانِ ؛ وَإِذا صِيْدَ جَاءَتْ دَلافِيْنُ كَثِيْرَةٌ لِقِتالِ صائِدِهِ ، وإِذا لَبِثَ في العُمْقِ حِيْناً ، حَبَسَ نَفَسَهُ وَصَعَدَ بَعْدَ ذَلِكَ

---

(١) الميداني ١/ ٣٥٥ والعسكري ١/ ٥٣٠ والزَّمخشري ١/ ١٧٢ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢١٨ .
قلت : ويقال : أَسرع من دلدل . (الدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٢٦) . وأَسهر من دلدل . (الدُّرَّة ٢/ ٤٤٧) .

(٢) الصِّحاح « دخس » ٣/ ٩٢٧ واللِّسان ٢/ ١٣٤٠ .

مُسْرِعاً مِثْلَ السَّهْمِ لِطَلَبِ النَّفَسِ ؛ فإنْ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَفِيْنَةٌ ، وَثَبَ وَثْبَةً ارْتَفَعَ بِهَا عن السَّفِينَةِ ، وَلا يُرَى مِنْها ذَكَرٌ إلاَّ مَع أُنْثَى .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُهُ لِعُمُومِ حِلِّ السَّمَكِ إلاَّ ما اسْتُثْنِيَ مِنْهُ ، وَلَيْسَ هَذَا من المُسْتَثْنَيَاتِ كَمَا سَيَأْتِي إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

الخَوَاصُّ[1] : إذا غُلِيَ شَحْمُهُ فِي حَنْظَلَةٍ فارِغَةٍ ، وَقُطِّرَ فِي الأُذُنِ : نَفَعَ من الصَّمَمِ .

وَلَحْمُهُ بارِدٌ بَطِيءُ الهَضْمِ .

وإذا عُلِّقَتْ أَسْنانُهُ عَلَى الصِّبْيَانِ ، لَمْ يَفْزَعُوا .

وَأَكْلُ شَحْمِهِ يَنْفَعُ من أَوْجاعِ المَفاصِلِ ؛ وَشَحْمُ كُلاهُ إذا أُذِيبَ بالنَّارِ ، وَدُهِنَ بِهِ مع دهنِ الزِّئْبَقِ وَجْهُ امْرَأَةٍ : أَحَبَّها زَوْجُها ، وَطَلَبَ مَرْضاتِها .

وَكَفَّاهُ يُعَلَّقَانِ عَلَى مَن يَفزعُ ، فَيَذْهَبُ فَزَعُهُ .

وإذا وُضِعَ نابُهُ الأَيْمَنُ في دُهْنِ وَرْدٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَمُسِحَ بِهِ وَجْهُ إِنْسَانٍ ، كان مَحْبُوباً عِنْدَ عامَّةِ النَّاسِ ؛ وَنابُهُ الأَيْسَرُ بالضِّدِّ من ذَلِكَ .

التَّعْبِيْرُ : الدُّلْفِيْنُ : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى ما دَلَّتْ عَلَيْهِ رُؤْيَةُ التِّمْسَاحِ ؛ وَرُبَّمَا دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى المَكايِدِ ، وَالاخْتِفَاءِ بالأَعْمَالِ ، وَعَلَى التَّلَصُّصِ وَاسْتِراقِ السَّمْعِ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى كَثْرَةِ الدُّعاءِ والمَطَرِ . قَالَهُ ابْنُ الدَّقَّاقِ .

وَقَالَ المَقْدِسِيُّ : مَن رَآهُ فِي المَنامِ ، وَكَانَ خائِفاً ، أَمِنَ وَنَجا ؛ لأَنَّهُ يُنَجِّي الغَرْقَى .

وَكُلُّ حَيَوانٍ يُرَى ، مِمَّا يُخْشَى مِنْهُ فِي اليَقَظَةِ ، كَالتِّمْسَاحِ وَنَحْوِهِ ، إذا كان خارِجَ المَاءِ ، فَهُوَ عَدُوٌّ عاجِزٌ ، لا يَقْدِرُ عَلَى مَضَرَّةِ مَن رَآهُ فِي المَنامِ ، لأَنَّ

---

(١) مفردات ابن البيطار ٢/ ٩٥ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٣٦ .

قُوَّتَهُ وَبَطْشَهُ فِي المَاءِ ، فإذا خَرَجَ مِنْهُ زَالَتْ قُوَّتُهُ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

٣٣٤ الدَّلَقُ : بِالتَّحْرِيكِ ، فارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ ، وَهُوَ دَوَيْبَّةٌ تَقربُ من السَّمُّورِ[١] .

قَالَ عَبدُ اللَّطِيفِ البَغْدادِيُّ : إِنَّهُ يَفْتَرِسُ فِي بَعْضِ الأَحايِيْنِ ، وَيَكْرَعُ الدَّمَ .

وَذَكَرَ ابْنُ فارِسٍ في « المُجْمَلِ » : أَنَّهُ النِّمْسُ ، وَفِيهِ نَظَرٌ .

قَالَ الرَّافعيُّ : وَالدَّلَقُ يُسَمَّى ابْنَ مِقْرَضٍ[٢] .

وَقَالَ القَزْوِينيُّ[٣] : إِنَّهُ حَيوانٌ وَحْشِيٌّ عَدُوُّ الحَمامِ ، إِذا دَخَلَ البُرْجَ لا يتركُ فِيهِ واحِداً ، وَتَنْقَطِعُ الثَّعابِيْنُ عِنْدَ صَوْتِهِ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى الكَلامُ فِي « بابِ المِيمِ » عَلَى ابنِ مِقْرَضٍ ، وَمَا وَقَعَ فِيهِ للرَّافعِيِّ والنَّوويِّ .

● وَفِي « رِحْلَةِ ابْنِ الصَّلاحِ » عن كِتابِ « لَوامِعِ الدَّلائِلِ فِي زَوايا المَسَائِلِ » للكِيا الهَراسيّ : أَنَّهُ قَالَ : يَجُوزُ أَكْلُ الفَنَكِ وَالسِّنْجابِ وَالدَّلَقِ والقاقُمِ[٤] والحَواصِلِ وَالزَّرافَةِ كَالثَّعْلَبِ ؛ ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الصَّلاحِ كَتَبَ بِخَطِّهِ : الدَّلَقُ : النِّمْسُ . فَاسْتَفَدْنا من هَذَا حِلَّ النِّمْسِ والزَّرافَةِ ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ بَيَانُهما في بابَيْهِما .

---

(١) في معجم الألفاظ الفارسيَّة والمعرّبة ٦٥ : الدَّلق ، تعريب دَلَهْ ، وهي دُوَيْبَّةٌ كالسَّمُّورِ ، جلدها أَبيض ، تُصنع منه فراءٌ ، ويقال لها قاقِم بالتُّركيَّة . وانظر ما قاله صاحب المصباح المنير ٢٧٠ فهو قريبٌ من هذا .

(٢) قال الجوهريُّ « قرض » ٣/ ١١٠٢ : وابنُ مِقْرَضٍ : دُوَيْبَّةٌ يقال لها بالفارسيَّة : دَلَهْ . وهو قتَّالُ الحمامِ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٥٨ .

(٤) القاقم : هو الدَّلَق ، كما مرَّ .

الخَوَاصُّ : عَيْنُهُ اليُمْنَى ، تُعَلَّقُ عَلَى من بِهِ حُمَّى الرِّبْعِ : تَزُولُ عنه بِالتَّدرِيجِ ؛ وإِذا عُلِّقَتِ اليُسرَى عَليهِ عادَت .

وَشَحمُهُ : إِذا بُخِّرَ بِهِ بُرْجُ الحَمامِ ، هَرَبَتْ كُلُّها ؛ وَهُوَ يُزِيلُ الكَلالَ الحاصِلَ للإِنْسَانِ من أَكْلِ الحامِضِ .

وَدَمُهُ يُقطرُ فِي أَنْفِ المَصْرُوعِ مِنْهُ نصف دانِقٍ ، يَنْفَعُهُ .

وَجِلْدُهُ يَجْلِسُ عَلَيْهِ صاحِبُ القُوْلَنْجِ وَالبَواسِيرِ ، يَنْفَعُهُ .

٣٣٥ الدَّلَمُ : نَوْعٌ من القُرادِ[١] .

قَالَتِ العَرَبُ في أَمْثَالِها[٢] : « فُلانٌ أَشَدُّ من الدَّلَمِ » .

٣٣٦ الدِّلْهاثُ[٣] : قَالَ القَزْوِينيُّ : هُوَ شَيْءٌ يُوجَدُ في جَزائِرِ البِحَارِ ، عَلَى هَيْئَةِ إِنْسَانٍ راكِبٍ عَلَى نَعامَةٍ ، يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ الذِينَ يَقذِفهم البحرُ .

وَذَكَرَ بعضُهم : أَنَّهُ عَرَضَ لِمَرْكَبٍ فِي البَحْرِ ، فَحَارَبَهُمْ وَحَارَبُوهُ ، فَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً خَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِم ، فَأَخَذَهُمْ .

٣٣٧ الدِّم : بِكَسْرِ الدَّالِ[٤] : السِّنَّوْرُ ؛ حَكَاهُ في « المُحْكَمِ » عن النَّضْرِ فِي كِتابِ « الوَحْشِ » .

---

(١) هذا غير صحيحٌ . قال الميدانيّ : الدَّلَمُ : شيءٌ يشبهُ الحيَّةَ وليس بالحيَّةِ ، يكون بناحِيَةِ الحجازِ . ومثله في القاموس واللِّسان « دلم » .

(٢) الميداني ١/ ٣٩١ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٣٩١ .

(٣) في أ : الدهلان . وفي ط : الدلهام . وفي عجائب المخلوقات ٢٣٧ : الدلهاب . وفي المستطرف ٢/ ٥٤٤ : الولهان . والمثبت من ب . ولست على ثقة من صوابه ! .
والدِّلهاث : السَّريع الجريء . ويطلق على الأَسد . (القاموس والتَّاج واللِّسان «دلهث»).

(٤) ضُبط في المخصّص ٨/ ٨٥ بفتح الدَّال ، ضبط قلمٍ .

٣٣٨ **الدِّنَّةُ** : بِتَشدِيدِ النُّونِ : دُوَيْبَّةٌ كَالنَّمْلَةِ ، قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[١] .

٣٣٩ **الدُّنَيْلس** : مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ نَوْعٌ من الصَّدَفِ والحَلَزُونِ .

قَالَ جِبرِيلُ بن بُختيشُوع : إِنَّهُ يَنْفَعُ من رُطُوبَةِ المَعِدَةِ والاستِسْقَاءِ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ من طَعامِ البَحْرِ ، وَلا يَعِيشُ إِلاّ فِيهِ ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَى تَحرِيمِهِ دَلِيلٌ . كَذَا أَفْتَى بِهِ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّيْنِ ابن عَدْلانَ ، وَعُلَمَاءُ عَصْرِهِ وَغَيرُهُمْ .

وَمَا نُقِلَ عن الشَّيْخِ عِزِّ الدِّيْنِ ابْنِ عَبْدِ السَّلامِ من الإِفْتَاءِ بِتَحرِيمِ أَكْلِهِ ، لَمْ يَصِحَّ .

[وَقَدْ أَفْتَى بِهِ بَعْضُ فُقَهَاءِ عَصْرِنا بِتَحرِيمِ أَكْلِهِ ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ الأَصَحُّ ؛ وَهَذِهِ غَباوَةٌ مِنْهُ][٢] .

فَقَدْ نَصَّ الشَّافِعِيُّ عَلَى أَنَّ حَيَوانَ البَحْرِ الَّذِي لا يَعِيْشُ إِلاّ فِيهِ يُؤْكَلُ ، لِعُمُومِ الآيَةِ ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ : « هُوَ الطهُورُ ماؤُهُ ، الحِلُّ مِيْتَتُهُ » .

ووَراءَ ذَلِكَ وَجهَانِ ، وَقِيلَ : قَوْلانِ : أَحَدُهُما : يُحَرَّمُ ، لأَنَّهُ ﷺ خصَّ السَّمَكَ بالحِلِّ ؛ والثَّانِي : ما أُكِلَ شَبَهُهُ في البَرِّ كَالبَقَرِ وَالشَّاءِ حَلالٌ ، وَمَا لا يُؤْكَلُ كَخِنزِيرِ المَاءِ وَكَلْبِهُ فَهُوَ حَرامٌ ، وَعَلَى هَذَا لا يُؤْكَلُ ما أَشْبَهَ الحِمَارَ ، وَإِنْ كان في البَرِّ الحِمَارُ الوَحْشِيُّ حَلالاً[٣] .

---

(١) المخصّص ٨/ ١١٩ .

(٢) ما بين معقوفتين من أ .

(٣) زاد بعضُ العلماء ما يلي ـ وهذه الزِّيادة ليست في أ ، ب ـ : قَالَ في كِتابِ « التِّبيان فيما يحلُّ ويَحرمُ من الحيوان » للشَّيخ عِماد الدِّين الأَقْفَهْسيّ : وقد نُقلَ عن الشَّيْخ عِزِّ الدِّينِ ابن عبد السَّلام ، أَنَّهُ يُفتي بتَحريمِ الدُّنَيْلس . قَالَ : وهذا مِمَّا لا يَرْتابُ فِيهِ سَلِيمُ الطَّبْع .
قلتُ : وقد ذَكَرَ أَرسطاطاليس في كِتابِهِ « نُعوت الحيوان » : أَنَّ السَّرطانَ لا يُخلَقُ بتَوَلُّدِ =

٣٤٠ الدُّهانِجُ : بِضَمِّ الدَّالِ : الجَمَلُ الضَّخْمُ ذُو السَّنامينِ ؛ وَسَيَأْتي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي « بابِ الفَاءِ » فِي « الفالِجِ » .

٣٤١ الدَّوْبَلُ : الحِمَارُ الصَّغِيرُ الَّذِي لا يَكْبُرُ ؛ وَكَانَ الأَخْطَلُ يُلَقَّبُ بِهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيْرٍ[1] : [من الطويل]

بَكَى دَوْبَلٌ لا يُرْقِىءُ اللهُ دَمْعَهُ   أَلا إِنَّما يَبْكِي من الذُّلِّ دَوْبَلُ

= ونِتاجٍ ، وإِنَّما يَستَحيلُ في الصَّدَفِ ، أَي يَتَخَلَّقُ فِيهِ ثُمَّ يخرجُ ، ومنه ما يَتَوَلَّدُ ، ثُمَّ يَنْشَقُّ عنهُ الصَّدَفُ ويخرجُ ، كما أَنَّ البَعوضَ يَتَوَلَّدُ من أَوْسَاخِ المياهِ ونَتَنِها .
فقد استَفَدْنا من كلامِ أَرسطاطاليس أَنَّ ما في داخِلِ الدُّنَيْلس وغيره من الأَصْدافِ ، يَستحيلُ سَرطاناتٍ ، وإِذا كانَ الحيوانُ غيرَ مأكولٍ فأَصْلُهُ كذلكَ ، إِلاَّ على القَوْلِ الضَّعيفِ .
وسَمِعتُ عن بعضِ الفُقَهاءِ ، أَنَّهُ كان يُفْتِي ، بِحِلِّ الدُّنَيْلس ، ويأخذُهُ من كلامِ الأَصْحابِ : ما أُكِلَ مِثْلُهُ في البَرِّ ، أُكِلَ مِثْلُهُ في البَحْرِ .
وَقَالَ : إِنَّ الدُّنَيْلس له نَظيرٌ في البَرِّ ، وهو الفُسْتُقُ ؛ وهَذِهِ غَباوَةٌ منهُ ، لأَنَّ مُرادَ الأَصْحابِ : ما أُكِلَ في البَرِّ من حَيوانٍ ، أُكِلَ مِثْلُهُ في البَحْرِ ؛ ثُمَّ هل يَجِبُ مع ذلك ذَبْحُهُ أَم لا ؟ فِيهِ وَجهانِ .
وَلَيْسَ مُرادُهم تَشبيهُ حَيوانٍ بَحْرِيٍّ بجَمادٍ بَرِّيٍّ ، حتَّى يَصِحَّ القِياسُ ؛ وبالجُمْلَةِ فهذا القائِلُ قد قاسَ الخَبيثَ بالطَّيِّبِ ، ويَلزمُهُ أَن يقولَ بِحِلِّ سائِرِ المَحارِ والأَصْدافِ ، لأَنَّ الدُّنَيْلس مَحارٌ صَغيرٌ ، ثُمَّ يأْخُذُ بعدَ ذَلِكَ في الكِبرِ ؛ والدَّليلُ على ذلكَ أَنَّهُ يوجدُ منهُ صَغيرٌ وكَبيرٌ ، فإِذا تَكامَلَ بقِيَ مَحاراً ، فَينبغي القَطْعُ بتَحريمِ الدُّنَيْلس ، لأَنَّهُ من أَنْواعِ الصَّدَفِ ، والصَّدَفُ مُستَخبَثٌ كالسُّلَحْفاةِ والحلزونِ .
● قال الجاحظُ : والملاَّحونَ يأْكُلونَ البُلْبُلَ وهو في جَوْفِ الصَّدَفَةِ ؛ وهذا يدلُّ على أَنَّهُ غيرُ مُستَطابٍ ، وإِلاَّ لَما عَدَّهُ من خَواصِّ الملاَّحين .
وأَهْلُ مِصرَ يَعيبونَ أَهْلَ الشَّام بأَكْلِهم السَّرطان ، وأَهلُ الشَّامِ يَعِيبُونَ أَهلَ مِصرَ بأَكلهم الدُّنَيْلِس ؛ ولَمْ أَجِدْ لَهم مَثَلاً إِلاَّ قولَ الشَّاعر : [من الكامل]
وَمِنَ العَجائِبِ والعَجائِبُ جَمَّةٌ   أَنْ يَلْهَجَ الأَعْمَى بِعَيْبِ الأَعْمَشِ
انتهى كلامُ الأَقْفَهسيِّ ، وهو مُخالفٌ لِما ذَكَرَهُ المؤلِّفُ ؛ واللهُ أَعلمُ .

(١) ديوانه ١/ ١٤١ .

٣٤٢ الدُّودُ : جَمْعُ[(١)] دُودَةٍ ؛ وَجَمْعُ الدُّودِ : دِيدَانٌ ، وَالتَّصْغِيرُ : دُوَيْدٌ ، وَقِياسُهُ دُوَيْدَةٌ[(٢)] .

وَدَادَ الطَّعامُ يَدادُ ، وَأَدادَ ، وَدَوَّدَ : إِذا وَقَعَ فِيْهِ السُّوسُ ؛ قَالَ الرَّاجِزُ[(٣)] :

[من الرجز]

قَدْ أَطْعَمَتْنِي دَقَلاً حَوْلِيّا مُسَوِّسَاً مُدَوِّداً حَجْرِيّا

وَالدُّوادُ أَيْضاً : صِغارُ الدُّودِ .

● وَدُوَيْدُ بن زَيْدٍ : عاشَ أَربعمِئَةً وَخمسِينَ سَنَةً ، وَأَدْرَكَ الإِسْلامَ وَهُوَ لا يعقلُ ، وَارْتَجزَ وَهُوَ مُحْتَضِرٌ[(٤)] : [من الرجز]

اليَوْمَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ لَوْ كانَ لِلدَّهْرِ بِلىً أَبْلَيْتُهُ
أَوْ كانَ قِرْنِي واحِداً كَفَيْتُهُ يَا رُبَّ نَهْبٍ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ
وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ وَمِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ

● وَفِي « تارِيخِ ابْن خلّكان »[(٥)] : أَنَّهُ سُعِيَ بِأَبِي الحَسَنِ [عليّ] الهادِي ابن محمَّد الجَواد بن عليّ الرِّضا إِلى المُتَوَكِّلِ ، بِأَنَّ فِي مَنْزِلِهِ سِلاحاً وَكُتُباً من

---

(١) عن الصِّحاح « دود » ٢/ ٤٧٠ .

(٢) قال ابن برِّيّ : وهو وهمٌ منه (= الجوهريّ) وقياسه : دُوَيْدٌ ، كما صَغَّرَتْهُ العربُ ، لأَنَّهُ جنسٌ بمنزلَةِ تَمْرٍ وقمحٍ ، جمع تَمرَةٍ وقمحةٍ ؛ فكما تَقُولُ في تصغيرهما : تُميرٌ وقُميحٌ ، كذلك تقول في تصغير دودٍ : دُوَيْدٌ . (اللِّسان والتَّاج : « دود ») .

(٣) الشَّطران لزرارة بن صعب في اللِّسان « دود » ٢/ ١٤٥٠ . وبلا نسبة في الصِّحاح « دود » .

(٤) الأَشطار في : المعمّرون ٢٥ ـ ٢٦ وطبقات ابن سلاَّم ٣١ ـ ٣٢ وأَمالي المرتضى ٢٣٧ والمؤتلف والمختلف للآمدي ١٦٤ والشِّعر والشُّعراء ١/ ١٠٤ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٦/ ٣٤ والزينة ٩٨ والمزهر ٢/ ٤٧٥ والقاموس المحيط والتَّاج والتَّكملة « دود » وديوانه ١٧٠ (ضمن الشُّعراء الجاهليِّين الأَوائل) . والغَيْلُ : السَّاعدُ الحَسَنُ الممتلىء .

(٥) وفيات الأَعيان ٣/ ٢٧٢ .

شِيْعَتِه ، وَأَنَّهُ يَطْلُبُ الأَمْرَ لِنَفْسِهِ ، فَبَعَثَ المُتَوَكِّلُ إِلَيْه جماعَةً ، فَهَجَمُوا عَلَيْه فِي مَنْزِلِه ، فوجَدوهُ على الأَرْضِ ، مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ ، يَقْرَأُ القُرْآنَ ، فَحَمَلُوهُ عَلَى حَالِهِ إِلى المُتَوَكِّلِ ، وَالمُتَوَكِّلُ يَشْرَبُ ، فَأَعْظَمَهُ وَأَجَلَّهُ . وَقَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي ؛ فَقَالَ : إِنِّي قَلِيْلُ الرِّوايَةِ للشِّعْرِ ؛ فَقَالَ لَهُ المُتَوَكِّلُ : لا بُدَّ من ذَلِكَ ؛ فَأَنْشَدَهُ[1] : [من البسيط]

باتُوا عَلَى قُلَلِ الأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ ... غُلْبُ الرِّجَالِ فَمَا أَغْنَتْهُمُ القُلَلُ
وَاسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ من مَعَاقِلِهِمْ ... وَأُوْدِعُوا حُفَراً يَا بِئْسَ ما نَزَلُوا
ناداهُمُ صَارِخٌ من بَعْدِ ما قُبِروا : ... أَيْنَ الأَسِرَّةُ والتِّيْجَانُ والحُلَلُ
فَأَفْصَحَ القَبْرُ عَنْهُمْ حِيْنَ سَاءَ لَهُمْ : ... تِلْكَ الوُجُوهُ عَلَيْها الدُّودُ يَقْتَتِلُ
قَدْ طَالَ ما أَكَلُوا دَهْراً وَمَا شَرِبُوا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَاكَ الأَكْلِ قد أُكِلُوا

فَبَكَى المُتَوَكِّلُ والحاضِرُونَ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ المُتَوَكِّلُ : يَا أَبَا الحَسَنِ ، هَلْ عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نعم ، أَرْبَعَةُ آلافِ دِرْهَمٍ ، فَأَمَرَ لَهُ بها ، وَصَرَفَهُ مُكَرَّماً .

فَلَمَّا كَثُرَتِ السِّعايَةُ بِهِ عِنْدَ المُتَوَكِّلِ ، أَحْضَرَهُ من المَدِيْنَةِ ، وَأَقَرَّهُ بِسُرَّ من رَأَى ، وَتُدْعَى العَسْكَرَ ، لأَنَّ المُعْتَصِمَ لَمَّا بَنَاها انْتَقَلَ إِلَيْها بِعَسْكَرِهِ ، فَقِيْلَ لَها : العَسْكَرُ ؛ فَأَقَامَ بِهَا عِشرِينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشهرٍ ، وَلِهَذَا قِيْلَ لَهُ : العَسْكَرِيُّ .

وَتُوُفِّيَ في جُمادَى الآخِرة ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمسِينَ وَمِئتين ، وَهُوَ أَحَدُ الأَئِمَّةِ الاثْنَي عَشَرَ ، عَلَى مَذْهَبِ الإِمامِيَّةِ ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ وَعَنْ آبائِه الكِرامِ .

● وَالدُّودُ أَنْوَاعٌ كَثِيرةٌ ، يَدخلُ فِيها الأَسَارِيعُ ، وَالحَلَمُ ، وَالأَرَضَةُ ،

---

(١) الأَبيات بلا نسبة في : وفيات الأَعيان وعيون الأَخبار ٢/٣٠٣ ومروج الذهب ٤/١٢ والمجالسة ١/٣٩١ والبصائر والذَّخائر ٤/١٩٨ وسراج الملوك ١/٣٧ ـ ٣٨ والمستطرف ٣/٣٥٩ .

وَدُودُ الخَلِّ وَالزِّبْلِ ، وَدُودُ الفاكِهَةِ ، وَدُودُ القزِّ ، وَالدُّودُ الأَخضر الَّذِي يُوْجَدُ فِي شَجَرِ الصَّنَوْبَرِ ، وَهُوَ فِي القُوَّةِ والفِعْلِ كَالذَّرارِيحِ ، وَكُلُّهُ مَعْرُوفٌ ؛ وَمِنْهُ ما يَتَوَلَّدُ فِي جَوْفِ الإِنْسَانِ .

● رَوَى « ابْنُ عَدِيٍّ »[1] بِسَنَدٍ فِيْهِ عِصْمَةُ بن مُحَمَّد بن فَضالة ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « كُلُوا التَّمْرَ عَلَى الرِّيْقِ ، فإِنَّهُ يَقْتُلُ الدُّودَ » .

● وَقَالَتِ الحُكَمَاءُ : شُرْبُ الوَخْشيزق[2] يَرْمِي الدُّودَ من البَطْنِ ؛ وَوَرَقُ الخَوخِ ، إِذا ضُمِّدَتِ السُّرَّةُ بِهِ ، قَتَلَ دِيْدَانَ البَطْنِ .

● رَوَى البَيْهَقِيُّ فِي « الشُّعَبِ »[3] عن صَدَقَة بن يَسَار ، أَنَّهُ قَالَ : كان داودُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي مِحْرابِهِ ، فَأَبْصَرَ دُودَةً صَغِيرةً ، فَتَفَكَّرَ فِي خَلْقِها ، وَقَالَ : ما يَعْبَأُ اللهُ بِخَلْقِ هَذِهِ الدُّودَةِ ؟ فَأَنْطَقَها اللهُ فَقَالَتْ : يَا داودُ ، أَتُعْجِبُكَ نَفْسُكَ ؟ لأَنا عَلَى قَدْرِ ما آتانِيَ اللهُ أَذْكَرُ للهِ وَأَشْكَرُ لَهُ مِنْكَ عَلَى ما آتاكَ اللهُ ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

● **وَأَمَّا دُودُ الفاكِهَةِ** : فَذَكَرَ الزَّمخشريُّ[4] في تَفسِيرِ قولِه تَعالَى : ﴿ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ [النمل : ٣٥] الآيةُ ؛ أَنَّها بَعَثَتْ خَمْسَمِئَة غُلامٍ عَلَيهِم ثِيَابُ الجَوَارِي وَحُلِيُّهُنَّ ؛ وَخَمْسَمِئَةَ جارِيَةٍ عَلَى زِيِّ الغِلْمَانِ ، كُلُّهُمْ عَلَى سُرُوجِ الذَّهَبِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ ، وَأَلْفَ لَبِنَةٍ من ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَتاجاً مُكَلَّلاً بالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ وَالمِسْكِ والعَنْبَرِ ، وَحُقّاً فيْهِ دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ ، وَجَزْعَةً مُعَوَّجَةَ الثَّقْبِ ؛

---

(١) الكامل في الضُّعفاء ٧/ ٨٧ .

(٢) الوخشيزق : بزر الخلَّة ، المعروف بالصّقلين ، ذو أَعواد تنكش بها الأَسنان . (تذكرة داود ٢/ ٢٣٩ ومفردات ابن البيطار ٤/ ١٨٨) .

(٣) شعب الإيمان ٤/ ٣٠٣ رقم (٥١٩٠) ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ١١٢ .

(٤) الكشّاف ٣/ ١٤٧ .

وَبعَثَتْ بِرَجُلَيْنِ من أَشْرافِ قَوْمِها ؛ المُنْذِرَ بنَ عمرو ، وآخرَ ذَا رَأْيٍ وَعَقْلٍ وَقَالَتْ : إِنْ كان نَبِيّاً مَيَّزَ بَيْنَ الغِلْمَانِ والجَوَارِي ، وَثَقَبَ الدُّرَّةَ ثَقْباً مُسْتَوِياً ، وَسَلَكَ في الخَرَزَةِ خَيْطاً ؛ ثُمَّ قَالَتْ لِلْمُنْذِرِ : إِنْ نَظَرَ إِلَيْكَ نَظَرَ غَضْبَانَ ، فَهُوَ مَلِكٌ ، فَلا يَهُولَنَّكَ أَمْرُهُ ؛ وإِنْ رَأَيْتَهُ بَشّاً لَطِيفاً ، فَهُوَ نَبِيٌّ ؛ فأَعْلَمَ اللهُ نَبِيَّهُ سُلَيمان بذَلِكَ ، فَأَمَرَ الجِنَّ فَضَرَبُوا لِبَنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، وَفُرِشَتْ فِي مَيْدَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِ طُولُهُ سَبْعَةُ فَرَاسِخَ ، وَجَعَلُوا حَوْلَ المَيْدَانِ حائِطاً ، شُرْفَةٌ من ذَهَبٍ وَشُرْفَةٌ من فِضَّةٍ ؛ وَأَمَرَ بِأَحْسَنِ الدَّوابِّ في البَرِّ وَالبَحرِ فَرَبَطُوها عن يَمِينِ المَيدَانِ وَيَسَارِهِ عَلَى اللَّبِنِ ، وَأَمَرَ بِأَوْلادِ الجِنِّ ، وَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ فأُقِيمُوا عَلَى اليَمِينِ وَاليَسَارِ ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ وَالكَرَاسِي عن يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ ، وَاصْطَفَّتِ الشَّيَاطِينُ صُفُوفاً فَراسِخَ ، وَالجِنُّ صُفُوفاً فَراسِخَ ، وَالإِنْسُ صُفُوفاً فَراسِخَ ، وَالوَحْشُ وَالسِّبَاعُ والطُّيُورُ والهَوامُّ كَذَلِكَ ؛ فَلَمَّا دَنَا القَوْمُ ، وَنَظَرُوا فَرَأَوا الدَّوابَّ تَرُوثُ عَلَى لَبِناتِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، رَمَوْا بِمَا مَعَهُمْ مِنْها .

فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، نَظَرَ إِلَيْهِمْ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الحُقُّ الذِي فِيهِ كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَدَّمُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَمَرَ الأَرَضَةَ فَأَخَذَ شَعْرَةً ، وَنَفَذَتْ فِيها ؛ فَجَعَلَ رِزْقَها في الشَّجَرِ ؛ وَأَخَذَتْ دُودَةٌ بَيْضَاءُ بِفِيْها الخَيْطَ ، وَنَفَذَتْ فِيْها ، فَجَعَلَ رِزْقَها في الفَوَاكِهِ ؛ وَدَعَا بالمَاءِ ، فكَانَتِ الجَارِيَةُ تَأْخُذُ المَاءَ بِيَدِها فَتَجْعَلُهُ فِي الأُخْرَى ، ثُمَّ تَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهَا ؛ وَالغُلامُ كَمَا يَأْخُذُهُ يَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهُ ؛ ثُمَّ رَدَّ الهَدِيَّةَ ، وَقَالَ لِلْمُنْذِرِ : ارْجِعْ إِلَيْهِم ؛ فَلَمَّا رَجَعَ وَأَخْبَرَها الخَبَرَ قَالَتْ : هُوَ نَبِيٌّ ، وَمَا لَنَا بِهِ طَاقَةٌ ؛ فَشَخَصَتْ إِلَيهِ في اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفِ قَيْلٍ ، تَحْتَ يَدِ كُلِّ قَيْلٍ أُلُوفٌ .

● **وَأَمَّا دُودُ القَزِّ**[1] : فَيُقَالُ لَها : الدُّودَةُ الهِنْدِيَّةُ ، وَهِيَ من أَعْجَبِ

---

(1) المستطرف ٢/ ٤٨١ ، وعجائب المخلوقات ٢٩٤ .

المَخْلُوقاتِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكُونُ أَوَّلاً بزراً فِي قَدْرِ حَبِّ التِّيْنِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ الدُّودُ عِنْدَ اسْتِقْبَالِ فَصْلِ الرَّبِيْعِ وَيَكُونُ عِنْدُ الخُرُوجِ أَصْغَرَ من الذَّرِّ وَفِي لَوْنِهِ ، ويَخْرُجُ في الأَماكِنِ الدَّفِئَةِ من غَيْرِ حَضْنٍ إِذا كان مَصْرُوراً مَجْعُولاً في حُقٍّ ، وَرُبَّمَا تَأَخَّرَ خُرُوجُهُ ، فَتَصُرُّهُ النِّسَاء ، وَتَجْعَلُهُ تَحْتَ ثُدِيِّهِنَّ .

وإِذا خَرَجَ أُطْعِمَ وَرَقَ التُّوتِ الأَبْيَضِ ، وَلا يَزَالُ يَكْبُرُ وَيَعْظُمُ إِلى أَنْ يَصِيرَ فِي قَدْرِ الإِصْبَعِ ، وَيَنْتَقِلُ من السَّوادِ إِلى البَيَاضِ أَوَّلاً فَأَوَّلاً ، وَذَلِكَ فِي مُدَّةِ سِتِّيْنَ يوماً عَلَى الأَكْثَرِ .

ثُمَّ يَأْخُذُ في النَّسْجِ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يُخْرِجُهُ من فِيهِ ، إِلى أَنْ يَنْفَدَ ما فِي جَوْفِهِ مِنه ، وَيَكملَ عليهِ ما يَبْنِيهِ ، إِلى أَنْ يَصِيرَ كَهَيْئَةِ الجَوْزَةِ ، وَيَبْقَى فِيْهِ مَحْبُوساً قَرِيباً من عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، ثُم يَنقبُ عن نفسِهِ تِلْكَ الجوزَةَ ، فَيَخْرُجُ مِنها فَراشاً أَبْيَضَ لَهُ جَناحانِ لا يَسْكُنانِ من الاضْطِّرابِ .

وَعِنْدَ خُرُوجِهِ يَهِيجُ إِلى السِّفَادِ ، فَيُلْصِقُ الذَّكَرُ ذَنَبَهُ بِذَنَبِ الأُنْثَى ، وَيَلْتَحِمانِ مُدَّةً ثُمَّ يَفْترِقَانِ ؛ وَتَبْزُرُ الأُنْثَى البِزْرَ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، عَلَى خِرَقٍ بِيضٍ تُفْرَشُ لَهُ قَصْداً ، إِلَى أَنْ يَنْفَدَ ما فِيْهَا مِنْهُ ، ثُمَّ يَمُوتَانِ ؛ هَذَا إِنْ أُرِيْدَ مِنْهُمَا البِزْرُ .

وإِنْ أُرِيْدَ الحَرِيرُ : تُرِكَ في الشَّمْسِ بَعْدَ فَرَاغِهِ من النَّسْجِ بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، فَيَمُوتُ .

وَفِيهِ من أَسْرارِ الطَّبِيْعَةِ : أَنَّهُ يَهْلَكُ من صَوْتِ الرَّعْدِ ، وَضَرْبِ الطّسْتِ والهاوُنِ ، وَمن شَمِّ الخَلِّ والدُّخَانِ ، وَمَسِّ الحائِضِ وَالجُنُبِ ؛ وَيُخْشَى عَلَيْهِ من الفَأْرِ ، وَالعُصْفُورِ ، وَالنَّمْلِ ، وَالوَزَغِ ، وَكَثْرَةِ الحَرِّ وَالبَرْدِ .

● وَقَدْ أَلْغَزَ فِيْهِ بَعْضُ الشُّعَراءِ ، فَقَالَ : [من الرجز]

وَبَيْضَـــةٍ تُحْضَـــنُ فِـــي يَـــوْمَيْـــنِ ... حَتَّـــى إِذَا دَبَّـــتْ عَلَـــى رِجْلَيْـــنِ

وَاسْتَبْـدَلَـتْ بِلَـوْنِهـا لَـوْنَيْـنِ   حَـاكَـتْ لَهَـا خِيْسـاً بِـلا نِيْـرَيْـنِ
بِـلا سَمَـاءٍ وَبِـلا بـابَيْـنِ   وَنَقَبَتْـهُ بَعْـدَ لَيْلَتَيْـنِ
فَخَـرَجَـتْ مَكْحُـولَـةَ العَيْنَيْـنِ   قَـدْ صَبَغَـتْ بِـالنَّقْـشِ حـاجِبَيْـنِ
قَصِيْـرَةً ضَئِيْلَـةَ الجَنْبَيْـنِ   كَـأَنَّهـا قَـدْ قُطِعَـتْ نِصْفَيْـنِ
لَهَـا جَنـاحٌ سَـابِـغُ البُـرْدَيْـنِ   مَـا نَبَتَـا إِلاَّ لِقُـرْبِ الحَيْـنِ

إِنَّ الـرَّدَى كُحْـلٌ لِكُـلِّ عَيْـنِ

● قَالَ الإِمامُ أَبُو طَالِبٍ المَكِّيُّ فِي كِتابِهِ « قوت القُلُوب »[1] : وَقد مَثَّلَ بَعْضُ الحُكَماءِ ابْنَ آدَمَ بَدُودِ القَزِّ ، لا يَزَالُ يَنْسُجُ عَلَى نَفْسِهِ من جَهْلِهِ حَتَّى لا يَكُونَ له مَخْلَصٌ ، فَيَقتلُ نَفْسَهُ ، وَيَصِيرُ القَزُّ لِغَيْرِهِ ؛ وَرُبَّما قَتَلُوهُ إذا فَرَغَ من نَسْجِهِ ، لأَنَّ القَزَّ يَلْتَفُّ عليه ، فَيَرُومُ الخُرُوجَ عَنْهُ فَيُشَمَّسُ ؛ وَرُبَّما غُمِزَ بِالأَيْدِي حَتَّى يَمُوتَ ، لِئَلاَّ يَقْطَعَ القَزَّ ، لِيَخْرُجَ القَزُّ صَحِيحاً ؛ فَهَذِهِ صُورَةُ المُكْتَسِبِ الجاهِلِ الذِي أَهْلَكَهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَتَتَنَعَّمُ وَرَثَتُهُ بِمَا شَقِيَ هُوَ بِهِ ؛ فإِنْ أَطاعُوا بِهِ كان أَجْرُهُ لَهُمْ وَحِسَابُهُ عَلَيْهِ ، وإِنْ عَصَوا بِهِ كان شَرِيكَهُم فِي المَعْصِيَةِ ، لأَنَّهُ أَكْسَبَهُمْ إِيّاها بِهِ ؛ فَلا يَدْرِي أَيَّ الحَسْرَتَيْنِ عَلَيْهِ أَعْظَمُ : إِذْهابُهُ عُمُرَهُ لِغَيْرِهِ ، أَوْ نَظَرُهُ إِلى مَالِهِ فِي مِيْزَانِ غَيْرِهِ . انتهى .

● وَقَدْ أَشَارَ إِلى ذَلِكَ أَبُو الفَتْحِ البُسْتِيّ بِقَوْلِهِ[2] : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ المَـرْءَ طُـوْلَ حَياتِـهِ   مُعَنّـىً بِـأَمْـرٍ لا يَـزَالُ يُعـالِجُـهْ
كَـدُودٍ كَـدُودِ القَـزِّ يَنْسُـجُ دائِمـاً   وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسْطَ ما هُوَ نَاسِجُهْ[3]

وَلَهُ أَيْضاً ، وَأَجادَ[4] : [من الخفيف]

---

(١) لَم أَقف على هذا النص في قوتِ القلوب .
(٢) ديوانه ٢٣٣ ، والمستطرف ٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢ .
(٣) روايته في أ : تراه كدود القزّ . . . × .
(٤) ديوانه ١٧٠ .

لا يَغُـرَّنْـكَ أَنَّنـي لَيِّـنُ اللَّمْـسِ فَعَـزْمِـي إذا انْتَضَيْـتُ حُسَـامُ
أَنـا كَـالـوَرْدِ فِيْـهِ راحَـةُ قَـوْمٍ ثُـمَّ فِيْـهِ لآخَـرِيـنَ زُكـامُ

وَقَالَ آخَرُ فِي المَعْنَى[1] : [مِن البَسيط]

يُفْني الحَرِيصُ بِجَمْعِ المَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَـوادِثِ مـا يُبْقِـي وَمَـا يَـدَعُ
كَـدُودَةِ القَـزِّ مـا تَبْنِيْـهِ يُهْلِكُهـا وَغَيْـرُهـا بِـالـذِي تَبْنِيْـهِ يَنْتَفِـعُ

● لَمَّا أَخَذَتْ دُوْدَةُ القَزِّ تَنسجُ ، أَقْبَلَ العَنْكَبُوتُ يَتَشَبَّهُ بها ، وَقَالَ : لِي نَسْجٌ ؛ ولكِ نَسْجٌ ؛ فَقَالَتْ دُودَةُ القَزِّ : إِنَّ نَسْجِي مَلابسُ المُلُوكِ ، وَنَسْجُكَ مَلابِسُ الذُّبابِ ، وَعِنْدَ مَسِّ الحاجَةِ يَتَبَيَّنُ الفَرْقُ ؛ وَلِذَلِكَ قِيْلَ[2] : [مِنَ الوافر]

إذا اشْتَبَكَـتْ دُمُـوعٌ فـي خُـدُودٍ تَبَيَّـنَ مَـن بَكَـى مِمَّـنْ تَبـاكَـى

● تَتِمَّةٌ : شَجَرَةُ الصَّنَوْبَرِ تُثْمِرُ فِي ثَلاثِينَ سَنَةً ، وَشَجَرَةُ الدُّبَّاءِ تَصْعَدُ فِي أُسبوعَيْنِ ، فَتَقُولُ لِشَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ : إِنَّ الطَّرِيقَ التي قد قَطَعتِها فِي ثَلاثِيْنَ سَنةً ، قَطَعْتُها في أُسبوعَيْنِ ؛ وَيُقَالُ لَكِ : شَجَرَةٌ ، وَلِي شَجَرَةٌ ، فتَقُولُ شَجَرَةُ الصَّنوبرِ لَهَا : مَهْلاً إِلى أَنْ تَهُبَّ رِياحُ الخَرِيفِ ، فَحِيْنَئِذٍ يَتَبَيَّنُ لَكِ اغْتِرارُكِ بِالاسْمِ .

● وَقَالَ « المَسعُوديُّ » فِي تَرْجَمَةِ الرَّاضِي[3] : إِنَّ دُوْدَةً بِطَبَرِسْتَانَ ، تَكُونُ من المِثْقَالِ إِلى ثَلاثَةِ مَثاقِيْلَ ، تُضِيءُ فِي اللَّيْلِ كَمَا يُضِيءُ الشَّمْعُ ، وتَطِيْرُ بِالنَّهَارِ فَتُرَى لَها أَجْنِحَةٌ ، وَهِيَ خَضْراءُ مَلْسَاءُ لا جَناحَيْنِ لَها في الحَقِيْقَةِ ؛

---

(١) هما لابن الشّبل محمّد بن الحسين البغداديّ في المنتظم ١٦/ ٢١٣ والمحمدون ٣٩١ والوافي بالوفيات ٣/ ١١ وفوات الوفيات ٣/ ٣٤٠ والبداية والنّهاية ١٦/ ٧٨ . وبلا نسبة في المستطرف ٢/ ٤٨٢ .

(٢) البيت للمتنبّي في ديوانه ٢/ ٣٩٤ برواية : إذا اشتبهت . . . × .

(٣) مروج الذّهب ٥/ ٢٢٣ .

غِذاؤُهَا التُّرابُ ، لَمْ تَشْبَعْ قَطُّ مِنْهُ خَوْفاً أَنْ يَفْنَى تُرابُ الأَرْضِ فتَهْلَكَ جُوعاً .

قَالَ : وَفِيْهَا مَنافِعُ كَثِيْرَةٌ ، وَخَواصٌّ واسِعَة . انتهى .

وَسَيَأتِي عن الجاحِظِ قَرِيبٌ من هَذَا[1] .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ بجَمِيْعِ أَنْواعِهِ ، لأَنَّهُ مُسْتَخْبَثٌ إلاَّ ما تَوَلَّدَ من مَأكُولٍ ؛ فَعِنْدَنا فِيه ثَلاثَةُ أَوْجُه : أَصَحُّها : جَوازُ أَكْلِه مَعهُ ، لا مُنْفَرِداً ؛ وَالثَّانِي : يَجِبُ تَمْيِيزُهُ ، وَلا يُؤْكَلُ أَصْلاً ؛ وَالثَّالِثُ : يُؤْكَلُ مَعَهُ وَمُنْفَرِداً .

وَعَلَى الأَصَحِّ ظَاهِرُ إطْلاقِهِمْ ، أَنَّهُ لا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَسْهُلَ تَمييزُهُ أَوْ يَشُقَّ .

وَلا يَجُوزُ بَيْعُ الدُّودِ إلاَّ القِرْمِزَ الَّذِي يُصْبَغُ بِهِ ؛ وَهُوَ دُودٌ أَحْمَرُ ، يُوجَدُ في شَجَرِ البَلُّوطِ فِي بَعْضِ البِلادِ ، صَدَفِيٌّ يُشْبِهُ الحَلَزُونَ ، تَجْمَعُهُ نِساءُ تِلْكَ البِلادِ بِأَفْواهِهِنَّ .

وَأَمَّا دُودُ القَزِّ : فَيَجُوزُ بَيْعُهُ ، وَيَجِبُ إطْعامُهُ وَرَقَ الفِرْصادِ ، وَهُوَ التُّوتُ الأَبْيَضُ ؛ وَيَجُوزُ تَشْمِيْسُهُ - وإنْ هَلَكَ - لِتَحصِيلِ فائِدَتِهِ .

وَيَجُوزُ بَيْعُ الفَيْلَجِ[2] وَفِي باطِنِهِ الدُّودُ المَيِّتُ ، لأَنَّ بَقاءَهُ فِيهِ من مَصْلَحَتِهِ ، فَيَجُوزُ بَيْعُهُ وَزْناً وَجُزافاً ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ القاضِي حُسين .

وَقَالَ الإِمامُ : إنْ باعَهُ جُزافاً جازَ ، وإِنْ باعَهُ وَزْناً لَمْ يَجُزْ .

قُلْتُ : وَهَذَا هُوَ الصَّحِيْحُ المُعْتَمدُ ، لأَنَّ الدُّودَ الذِي فِيهِ يَمْنَعُ مَعْرِفَةَ مِقْدَارِ ما فِيهِ من المَقْصُودِ ، وَهُوَ القَزُّ ؛ وَقَدْ جَزَمَ بِهِ الشَّيْخَانِ في آخِرِ « كِتابِ السَّلَمِ » ، وَجَزَمَ بِهِ ابْنُ الرِّفْعَةِ وَغَيْرِهِ .

وَفِي رَوْثِهِ الخِلافُ فِي رَوْثِ ما لا نَفْسَ لَهُ سائِلَةَ .

---

(١) في مادّة « مالك الحزين » .

(٢) الفيلجة : جوزة القزّ .

وَفِي بِزْرِهِ الوَجْهَانِ ، كَمَا فِي بَيْضِ ما لا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ ؛ وَالأَصَحُّ الطَّهارَةُ .

وَقالَ الفورانيّ وَالمُتولِّي : إِنْ قُلنا : دُودُ القَزِّ طاهِرٌ بَعْدَ المَوْتِ ، فَبِزْرُهُ طاهِرٌ ؛ وَإِنْ قُلْنا : إِنَّهُ نَجِسٌ ، فَالبِزْرُ كَالبَيْضِ ، لأَنَّ لَهُ نَماءً مِثْلَه .

وَفِي « فَتاوَى القَفّالِ » : إِنَّ بِزْرَ القَزِّ لا مِثْلَ لَهُ ، وَلا يَجُوزُ السَّلَمُ فِيهِ ، لأَنَّ أَهْلَ الصَّنْعَةِ لا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا البِزْرَ يَكُونُ نَسْجُهُ أَحْمَرَ أَوْ أَبْيَضَ ، فَهُوَ كَالسَّلَمِ فِي الجَواهِرِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « أَصْنَعُ من دُودِ القَزِّ » . وَرُبَّما قَالُوا : « أَكْثَرُ من الدُّودِ » . و« أَضْعَفُ من الدُّودِ » .

● قَالَ ابْنُ رُشْدٍ فِي « جامِعِ البَيَانِ وَالتَّحصِيلِ »[2] : سَأَلَ عُمرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه عمرَو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه عن البَحْرِ ، فَقَالَ : خَلْقٌ قَوِيٌّ ، يَرْكَبُهُ خَلْقٌ ضَعِيفٌ ؛ دُودٌ عَلَى عُودٍ ؛ إِنْ ضَاعُوا هَلَكُوا ، وإِنْ بَقَوْا فَرَقُوا ؛ فَقَالَ عُمرُ : لا أَحْمِلُ فِيهِ أَحَداً أَبداً .

الخَواصُّ[3] : إِذا أُخِذَ دُودُ القَزِّ ، وَخُلِطَ بِالزَّيْتِ ، وَلُطِّخَ بِهِ بَدَنُ إِنْسَانٍ : نَفَعَ من نَهْشِ الهَوامِّ وَذَواتِ السُّمُوم .

وَدُوْدَةُ القَزِّ إِذا أُخرِجَتْ مِنْهُ ، وَأَكَلَهَا الدَّجاجُ ، حَصَلَ لَهُ سِمَنٌ كَثِيرٌ .

وَدُودُ الزِّبْلِ الأَصْفَرِ ، الَّذِي يُخْلَقُ مِنْهُ ، إِذا طُبِخَ في زَيْتٍ عَتِيقٍ حَتَّى يَنْضَجَ ، وَيُدْهَنُ بِذَلِكَ الزَّيْت دَاءُ الثَّعْلَبِ ، فَإِنَّهُ يُبْرِئُهُ ؛ وَهُوَ فِي ذَلِكَ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ إِذا داوَمَ عَلَيْه .

---

(١) الميدانيّ ١/ ٤١٧ والعسكري ١/ ٥٨٣ والزَّمخشري ١/ ٢١٢ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٦٣ .

(٢) الخبر في تاريخ الطَّبريّ ٤/٢٥٨ و ٢٥٩ وتاريخ الإسلام ٣٢٣ ـ ٣٢٤ (عهد الخلفاء الرَّاشدين) .

(٣) مفردات ابن البيطار ٢/ ١٢٠ وتذكرة داود ١/ ١٥٩ ومسالك الأَبصار ٢٠/١٠٨ ـ ١٠٩ .

التَّعبيرُ : الدُّودُ فِي المَنام : عَدُوٌّ من الأَهْلِ ؛ وَدُودُ القَزِّ : زَبُونٌ لِلتّاجِرِ ، وَرَعِيَّةٌ للسُّلْطَانِ ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً ، نَالَ مَنْفَعَةً مِنْهُمْ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤيَةُ الدُّودِ عَلَى مَالٍ حَرامٍ .

وَيُعَبَّرُ أَيْضاً بِالضُّرِّ ؛ فَمَنْ زَالَ عَنْهُ ، زَالَ ذَلِكَ عَنْهُ .

وَرُبَّما عُبِّرَ الدُّودُ بِالأَوْلادِ القَصِيري الأَعْمَارِ ، وَأَصْحَابِ التَّركَاتِ السَّنِيَّةِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى قُرْبِ الأَجَلِ وَنِهايَةِ العُمْر .

وَرُبَّما دَلَّتْ عَلَى الحاكَةِ من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ ، وَالمُحاكِيْنَ للصُّوَرِ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ .

٣٤٣ دُؤَالَةٌ(١) : كَثُمَالَةٍ : من أَسْمَاءِ الثَّعْلَبِ ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِنَشَاطِهِ وَخِفَّةِ مَشْيِهِ ؛ وَالدَّأَلانُ : مِشْيَةُ النَّشِيْطِ .

٣٤٤ الدُّودَمِس : ضَرْبٌ من الحَيّاتِ ، مُحْرَنْفِشُ الغَلاصِمِ ، يَنفخُ فَيُحْرِقُ ما أَصَابَ ؛ وَالجَمْعُ : دُودَمِساتٌ ، وَدَوامِيْسُ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه(٢) .

٣٤٥ الدَّوْسَرُ : الجَمَلُ الضَّخْمُ ؛ وَالأُنْثَى دَوْسَرَةٌ ؛ وَجَمَلٌ دَوْسَرِيٌّ : كَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ(٣) .

٣٤٦ الدَّيْسَمُ : بالفَتْح : وَلَدُ الدُّبِّ . قَالَ الجَوْهَرِيُّ(٤) : قُلْتُ لأَبِي الغَوْثِ : يُقَالُ : إِنَّهُ وَلَدُ الذِّئْبِ من الكَلْبَةِ ؛ فَقَالَ : ما هُوَ إِلاّ وَلَدُ الدُّبِّ .

---

(١) كذا أَورد المؤلِّف رحمه الله هذا الاسم هنا ، وصوابه بالذَّال المعجمة « ذُؤالة » وهو اسم عَلَمٍ للذِّئب ، لا للثَّعلب كما ذُكر أَعلاه ! ! . (الصِّحاح والقاموس واللِّسان « ذَأَلَ » والمخصّص ٨/ ٦٦) . وسيذكره في باب الذَّال المعجمة على الصَّواب .

(٢) المخصّص ٨/ ١١١ .

(٣) عن الصِّحاح « دسر » ٢/ ٦٥٧ .

(٤) الصِّحاح « دسم » ٥/ ١٩١٩ واللِّسان ٢/ ١٣٧٦ .

وَقَالَ في « المُحكمِ » : إِنَّهُ وَلَدُ الثَّعْلَبِ[1] .

وَقَالَ الجاحِظُ[2] : إِنَّهُ وَلَدُ الذِّئْبِ من الكَلْبَةِ ؛ وَهُوَ أَغْبَرُ اللَّوْنِ ، وَغُبْرَتُهُ مُمْتَزِجَةٌ بِسَوادٍ .

وَحُكْمُهُ : تَحريمُ الأَكْلِ عَلَى كُلِّ تَقدِيرٍ .

٣٤٧ الدِّيْكُ : ذَكَرُ الدَّجاجِ ، وَجَمْعُهُ : دِيُوكٌ ، وَدِيَكَةٌ ؛ وَتَصْغِيْرُهُ : دُوَيْكٌ .

وَكُنْيَتُهُ[3] : أَبُو حَسّانَ ، وَأَبُو حَمّادٍ ، وَأَبُو سُلَيْمَانَ ، وَأَبُو عُقْبَةَ ، وَأَبُو مُدْلِجٍ ، وَأَبُو المُنْذِرِ ، وَأَبُو نَبهانَ ، وَأَبُو يَقْظَانَ ، وَأَبُو بُرائِلٍ ؛ وَالبُرائِلُ : الَّذِي يَرْتَفِعُ من رِيْشِ الطَّائِرِ في عُنُقِه ، وَيَنْفُشُهُ الدِّيْكُ لِلْقِتالِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ لِلدِّيْكِ خاصَّةً ؛ وَيُسَمَّى : الأَنِيْسَ والمُؤانِسَ .

● وَمِنْ شَأْنِه أَنَّهُ لا يَحْنُو عَلَى وَلَدِهِ ، وَلا يَأْلَفُ زَوْجَةً واحِدَةً ؛ وَهُوَ أَبْلَهُ الطَّبِيعَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذا سَقَطَ من حائِطٍ ، لَمْ تَكُنْ لَهُ هِدَايَةٌ تُرْشِدُهُ إِلى دَارِ أَهْلِهِ .

وَفِيهِ من الخِصَالِ الحَمِيْدَةِ ، أَنَّهُ يُسَوِّي بَيْنَ دَجاجِهِ ، وَلا يُؤثِرُ واحِدَةً عَلَى واحِدَةٍ إِلاّ نادِراً ؛ وَأَعْظَمُ ما فِيهِ من العَجَائِبِ : مَعْرِفَةُ الأَوْقَاتِ اللَّيْلِيَّةِ ، فَيُقَسِّطُ أَصْواتَهُ عَلَيْهَا تَقْسِيْطاً لا يَكَادُ يُغادِرُ مِنْهُ شَيْئاً ، سَواءٌ طَالَ أَوْ قَصُرَ ؛ وَيُوالِي صِياحَهُ قَبْلَ الفَجْرِ وَبَعْدَهُ ؛ فَسُبْحَانَ من هَدَاهُ لِذَلِكَ .

وَلِهَذَا أَفْتَى القاضِي حُسَيْن وَالمُتَوَلِّي والرَّافعيُّ بِجَوازِ اعْتِمَادِ الدِّيْكِ المُجَرَّبِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ .

---

(١) صواب العبارة كما في اللِّسان : ولد الثَّعلب من الكلبة . ولم يذكر ابن سيده ذلك في المخصّص ٨/ ٧٦ .

(٢) الحيوان ١/ ١٨٣ .

(٣) المرصّع ١٣٧ و ١٣٨ و ٢٠٠ و ٢٤٢ و ٣٠١ و ٣٠٤ و ٣٢٢ و ٣٤٩ و ٨٨ و ٣٦٢ .

وَمِنْ غَرِيبِ أَمْرِهِ : إذا كَانَتِ الدِّيَكَةُ بِمَكانٍ ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا دِيْكٌ غَرِيبٌ ، سَفَدَتْهُ كُلُّها .

● وَقَدْ أَجادَ أَبُو بَكْرٍ الصَّنَوْبَرِيُّ فِي مَدْحِهِ ، حَيْثُ قَالَ[1] : [من البسيط]

مُغَـرِّدُ اللَّيْـلِ مـا يَـأْلُـوكَ تَغْـرِيـدَا ... مَلَّ الكَرَى فَهْوَ يَدْعُو الصُّبْحَ مَجْهُودا

لَمّا تَطَرَّبَ هَزَّ العِطْفَ من طَرَبٍ ... وَمَـدَّ لِلصَّـوْتِ لمّـا مَـدَّهُ الجِيْـدَا

كَـلابِـسٍ مُطْـرَفـاً مُـرْخـىً ذَوائِبُـهُ ... تُضاحِكُ البِيْضُ من أَطْرافِهِ السُّودا

حَـالِـي المُقَلَّـدِ لـو قِيْسَـتْ قَـلائِـدُهُ ... بِـالـوَرْدِ قَصَّـرَ عَنْهـا الـوَرْدُ تَـوْرِيـدا

● وَفِي « تارِيخِ ابْنِ خلّكَانَ » في تَرْجَمَةِ محمّد بنِ مَعن بن محمَّد بن صُمادح ، المَنْعُوت بالمُعْتَصِمِ ؛ من قَصِيدَةٍ مَدَحَهُ بِهَا أَبُو القاسِمِ الأَسْعَدُ بنِ بلّيْطَةَ في صِفَةِ الدِّيْكِ[2] : [مِنَ الطَّويل]

كَـأَنَّ أَنُـوشِـروانَ أَعْـلاهُ تـاجَـهُ ... وَنَاطَتْ عَلَيْهِ كَفُّ مَارِيَّةَ القُرْطا[3]

سَبَى حُلَّةَ الطَّاوُوسِ حُسْنُ لِباسِهِ ... وَلَمْ يَكْفِهِ حَتّى سَبَى المِشْيَةَ البَطّا

● قَالَ الجاحِظُ[4] : وَيَدْخُلُ فِي الدِّيْكِ : الهنديّ ، وَالخِلاسيّ ، وَالنَّبطيّ ، وَالسِّنْدِيّ ، وَالزَّنْجِيّ .

● قَالَ[5] : وَزَعَمَ أَهْلُ التَّجْربَةِ ؛ أَنَّ الدِّيْكَ الأَبْيَضَ وَالأَفْرَقَ ، من خَواصِّهِ أَنْ يَحْفَظَ الدَّارَ التي هُو فِيها .

---

(١) ديوانه ٤١٨ .

(٢) البيتان في وفيات الأعيان ٥/ ٤٣ ونفح الطيب ٤/ ٥١ ومطمح الأنفس ٣٤٣ وشرح مقامات الحريري للشّريشيّ ٥/ ٢٩٦ . والأوّل في الذّخيرة لابن بسّام ١/ ٦٠٧ .

(٣) في ط : . . . أَعطاهُ تاجهُ × وناط . . .

(٤) الحيوان ٣/ ١٤٥ . والخلاسيّ : هو المتولّد بين دجاجتين هنديّة وفارسيّة .

(٥) الحيوان ٢/ ٢٠٧ . وذكرَ أَنَّهُ من قول العوامّ ، لا من قول أَهل التّجربة كما ذُكر أَعلاه ! .

وَزَعَمُوا[1] أَنَّ الرَّجُلَ إِذا ذَبَحَ الدِّيْكَ الأَبْيَضَ الأَفْرَقَ ، لَمْ يَزَلْ يُنْكَبُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ .

● وَرَوَى عَبْدُ البَاقِي بن قانِعٍ[2] ، بإِسْنادِهِ إِلى جابر بن [مَالك ، عن] أَثْوَبَ ـ بِسُكُونِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ ، وَفَتْحِ الوَاوِ ـ وَهُوَ أَثْوَبُ بن عُتْبَةَ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ[3] : « الدِّيْكُ الأَبْيَضُ خَلِيلِي » . وإِسْنادُهُ لا يَثْبُتُ .

وَرَواهُ غَيْرُهُ بِلَفْظِ[4] : الدِّيْكُ الأَبْيَضُ صَدِيقِي ، وَعَدُوُّ الشَّيْطَانِ ، يَحْرُسُ صاحِبَهُ وَسَبْعَ دُورٍ خَلْفَهُ » .

قَالَ : « وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقْتَنِيهِ في البَيْتِ وَالمَسْجِدِ » .

● وَفِي « التَّهْذِيْبِ »[5] في تَرْجَمَةِ البَزِّيِّ ، الرَّاوِي عن ابْنِ كَثِيرٍ ، وَهُوَ أَبُو الحسنِ أَحمد بن محمَّد بن عَبد الله بن القاسِمِ بن نافع أَبي بَزَّةَ المَكِّيّ ، وَهُوَ ضَعِيْفُ الحَدِيثِ ، عن الحَسَنِ ، عن أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ[6] : « الدِّيْكُ الأَبْيَضُ الأَفْرَقُ حَبِيبِي ، وَحَبِيبُ حَبِيبِي جِبرِيل ؛ يَحْرُسُ بَيْتَهُ وَسِتَّةَ عَشَرَ بَيْتاً من جِيْرانِهِ » .

---

(١) الحيوان ٢/ ٢٥٩ . وذكر أَنَّ هذا من قول أَهل التَّجربة . وكذا في المستطرف ٢/ ٤٨٣ . والأَفرق : هو المفروق العرف .

(٢) في الأُصول : عبد الحقّ بن قانع ! . وانظر ترجمته ومصادرها في : سير أَعلام النُّبلاء ١٥/ ٥٢٦ .

(٣) أُسد الغابة ١/ ٦٥ والإِصابة ١/ ١٨٤ (رقم ٣٧) ولسان الميزان ٢/ ٤٠٦ والزِّيادة منه . وإِسناده منكر .

(٤) الحيوان ٢/ ٢٥٩ وميزان الاعتدال ٤/ ٤٠٢ .

(٥) لست أَدري أَيَّ تهذيبٍ هذا ، فليست له ترجمة في تهذيب الكمال ، وتهذيب التَّهذيب متأَخّر عنه .

(٦) ميزان الاعتدال ١/ ١٤٤ ولسان الميزان ١/ ٦٣٢ .

● وَرَوَى الشَّيْخُ محبُ الدِّيْنِ الطَّبريّ[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان لَهُ دِيْكٌ أَبْيَضُ ، وَكَانَ الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يُسَافِرُونَ بِالدِّيَكَةِ لِتُعَرِّفَهُمْ أَوْقَاتَ الصَّلَواتِ .

● وَفِي « الصَّحِيحينِ » وَ« سُنَنِ أَبي داود » و« التِّرمذي » و« النَّسائيِّ »[2] عن أَبِي هُريرة رَضِيَ الله تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إذا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ من فَضْلِه ، فإِنَّها رَأَتْ مَلَكاً ؛ وإذا سَمِعْتُمْ نَهِيْقَ الحَمِيرِ ، فَتَعَوَّذُوا باللهِ من الشَّيْطَانِ ، فَإِنَّها رَأَتْ شَيْطَاناً » .

● قَالَ القاضِي عِياضٌ : سَبَبُهُ رَجاءُ تَأْمِينِ المَلائِكَةِ عَلَى الدُّعَاءِ ، وَاسْتِغْفارِهِمْ ، وَشَهادَتِهِمْ لَهُ بالإِخْلاصِ والتَّضَرُّعِ والابْتِهَالِ .

وَفِيْهِ اسْتِحبَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ حُضُورِ الصالِحِيْنَ ، والتَّبَرُّكِ بِهِمْ ؛ وإِنَّما أَمَرَنَا بِالتَّعَوُّذِ من الشَيْطَانِ عِنْدَ نَهِيْقِ الحَمِيْرِ ، لأَنَّ الشَّيْطَانَ يُخَافُ من شَرِّهِ عِنْدَ حُضُورِهِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَعَوَّذَ مِنْهُ . انتهى .

● وَفِي « مُعْجَمِ الطَّبرانيّ » و« تارِيخِ أَصْبَهان »[3] عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ للهِ سُبْحَانَهُ دِيكاً أَبْيَضَ ، جَناحَاهُ مَوْشِيَّانِ بالزَّبَرْجَدِ وَاليَاقُوتِ واللُّؤْلُؤِ ؛ جَناحٌ بِالمَشْرِقِ وَجَناحٌ بِالمَغْرِبِ ، وَرَأْسُهُ تَحتَ العَرْشِ ، وَقَوائِمُهُ فِي الهَواءِ ؛ يُؤَذِّنُ في كُلِّ سَحَرٍ ، فَيَسْمَعُ تِلْكَ الصَّيْحَةَ أَهْلُ السَّماوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ ـ الإِنْس وَالجِنّ ـ فَعِنْدَ ذَلِكَ تُجِيْبُهُ دُيُوكُ الأَرْضِ ؛ فإذا دَنَا يَوْمُ القِيَامَةِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : ضُمَّ جَناحَيْكَ ، وَغُضَّ صَوْتَكَ ؛ فَيَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ

---

(١) الحيوان ٢/ ٢٥٩ .

(٢) البخاريّ ٤/ ٩٨ والأدب المفرد (١٢٣٦) ومسلم (٢٧٢٩) وأبو داود (٥١٠٢) والتِّرمذيّ (٣٤٥٩) والنَّسائي في عمل اليوم والليلة (٩٤٣ و ٩٤٤) وابن السُّنِّيّ (٣١١) ومسند أحمد ٢/ ٣٠٦ و ٣٢١ و ٣٦٤ .

(٣) المعجم الكبير للطَّبراني ٨/ ٦٨ رقم (٧٣٩١) .

الأَرْضِ ، إلاَّ الثَّقَلَيْنِ ، أَنَّ السَّاعَةَ قد اقْتَرَبَتْ » .

● وَرَوَى « الطَّبـرانـي » وَالبَيْهَقِـيُّ فـي « الشُّعَـبِ »[١] عـن مُحمَّـد بـن المُنْكَدِر ، عن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ للهِ دِيْكاً ، رِجْلاهُ فِي التُّخُومِ ، وَعُنُقُهُ تَحْتَ العَرْشِ مُنْطَوِيَةٌ ؛ فإِذا كان هَنَةٌ من اللَّيْلِ صَاحَ : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، فَتَصِيحُ الدِّيَكَةُ » .

وَهُوَ في « كامل ابن عَدِيٍّ » فِي تَرْجَمَةِ علي بن أَبي عليّ اللَّهَبيّ ، قَالَ : هُوَ يَروي أَحادِيثَ مُنْكَرَةً عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ .

● وَفِي كِتابِ « فَضْل الذِّكْرِ » لِلحافِظِ العَلاَّمَةِ جَعفر بن محمَّد بن حَسَن الفَريابيّ ، عَنْ ثَوْبان مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ[٢] : « إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ دِيْكاً ، رِجْلاهُ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى ، وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ العَرْشِ ، وَجَناحَاهُ فِي الهَوَاءِ ، يَخفقُ بِهِما في السَّحَرِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، يَقُولُ : سُبْحانَ المَلِكِ القُدُّوسُ ، رَبنا المَلِكِ الرَّحْمَنِ ، لا إِلَهَ غَيْرُهُ » .

● وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[٣] : « ثَلاثَةُ أَصْواتٍ يُحِبُّها اللهُ تَعالَى : صَوْتُ الدِّيْكِ ، وَصَوْتُ قارِىءِ القُرْآنِ ، وَصَوْتُ المُسْتَغْفِرِيْنَ بِالأَسْحَارِ » .

● وَرَوَى « الإِمامُ أَحمدُ » وَ« أَبُو داود » وَ« ابْنُ مَاجَه »[٤] ، عن زَيد بن خالِد الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا تَسُبُّوا الدِّيْكَ ، فإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ » . إِسْنادُهُ جَيِّدٌ .

---

(١) شعب الإيمان ٤/ ٣٠٠ والكامل في الضُّعفاء ٦/ ٣١٤ وميزان الاعتدال ٣/ ١٤٧ وميزان الاعتدال ٥/ ٥٦٧ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٢/ ٢٥٩ . وقارن المستطرف ٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

(٣) المستطرف ٢/ ٤٨٣ .

(٤) لم يخرجه غير الإمام أَحمد في مسنده ٥/ ١٩٣ . وهو في الحيوان ٢/ ٢٥٨ والمستطرف ٢/ ٤٨٣ .

وَفِي لَفْظِ : « فإِنَّهُ يَدْعُو إِلى الصَّلاةِ » .

قَالَ الإمامُ الحَلِيْميّ : فِي قَوْلِه ﷺ : « فإِنَّهُ يَدْعُو لِلصَّلاةِ » دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ من استُفِيْدَ مِنْهُ خَيْرٌ ، لا يَنْبَغِي أَنْ يُسَبَّ وَيُسْتَهانَ بِهِ ، بَلْ حَقُّهُ أَنْ يُكرمَ وَيُشكَرَ وَيُتَلَقَّى بالإِحْسَانِ ؛ وَلَيْسَ مَعْنَى دُعَاءِ الدِّيْكِ إلى الصَّلاةِ ، أَنَّهُ يَقُولُ بصُراخِهِ حَقِيْقَةً : الصَّلاةَ ، أَوْ قد حَانَتِ الصَّلاةُ ؛ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ العادَةَ قد جَرَتْ بِأَنَّهُ يَصرخُ صَرَخاتٍ مُتَتابِعَةً عِنْدَ طُلُوعِ الفَجْرِ ، وَعِنْدَ الزَّوالِ ، فِطْرَةً ، فَطَرَهُ اللهُ عَلَيْهَا ، فَيَتَذَكَّرُ النَّاسُ بِصُراخِهِ الصَّلاةَ ؛ وَلا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يُصَلُّوا بِصُراخِهِ من غَيْرِ دَلالَةٍ سِواهُ ، إِلاَّ من جَرَّبَ مِنْهُ ما لا يختلفُ ، فَيَصِيْرُ ذَلِكَ لَهُ إِشارَةً ؛ وَاللهُ أَعلمُ . انتهى .

● وَرَوَى الحاكِمُ في « المُستدركِ » في أَوائِلِ « كِتابِ الإِيمانِ » وَالطَّبرانيّ[1] ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيْحِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عن دِيْكٍ ، رِجْلاهُ فِي الأَرْضِ ، وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ العَرْشِ ، وَهُوَ يَقُولُ : سُبْحَانَكَ ما أَعْظَمَ شَانَكَ . قَالَ : فَيَرُدُّ عَلَيْهِ : ما يَعْلَمُ ذَلِكَ مَن حَلَفَ بِي كاذِباً » .

● وَرَوَى الإِمامانِ أَبُو طالِبٍ المكِّيّ وَحُجَّةُ الإِسْلامِ الغزاليّ ، عن مَيمون ابن مِهْران ، أَنَّهُ قَالَ[2] : بَلَغَنِي أَن تَحتَ العَرْشِ مَلَكاً فِي صُورَةِ دِيْكٍ ؛ بَراثِنُهُ من لُؤْلُؤَةٍ ، وَصِيْصِيَّتُهُ من زَبَرْجَدٍ أَخْضَرَ ؛ فَإِذا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلِ ضَرَبَ بِجَناحَيْهِ وَزَقا ، وَقَالَ : لِيَقُمِ القائِمُونَ ؛ فَإِذا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ ضَرَبَ بِجَناحَيْهِ وَزَقا ، وَ[قَالَ : لِيَقُمْ المتهجدونَ ؛ فَإِذا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخرِ ضَرَبَ بِجَناحَيْهِ][3] ، وَقَالَ : لِيَقُمِ المُصَلُّونَ ؛ فَإِذا طَلَعَ الفَجْرُ ، ضَرَبَ بِجَناحَيْهِ

---

(١) المستدرك ٤/ ٢٩٧ والمعجم الأوسط ٧/ ٢٦٦ رقم (٧٣٢٤) .

(٢) قوت القلوب ١/ ٨٠ والمستطرف ٢/ ٤٨٢ .

(٣) بين المعقوفتين من ب .

وَزَقا ، وَقَالَ : لِيَقُمِ الغافِلُونَ ، وَعَلَيْهم أَوزَارُهُمْ .

وَمَعْنَى زَقَا : صَاحَ .

● **نُكْتَةٌ** : كان سَهْلُ بن هارُونَ بن راهويه فِي خِدْمَةِ المَأْمُونِ ، وَكَانَ حَكِيماً فَصِيحاً شاعِراً ، فارسيَّ الأَصْلِ ، شُعوبيَّ المَذْهَبِ ، شَدِيْدَ التَّعَصُّبِ عَلَى العَرَبِ ، ولَهُ مُصَنَّفاتٌ عَدِيْدَةٌ فِي الأَدَبِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ الجاحِظُ يَصِفُ براعَتَهُ وَحِكْمَتَهُ ويَحْكِي عَنْهُ في كُتُبِهِ ، وَكَانَ إِلَيْهِ النِّهايَةُ فِي البُخْلِ ، وَلَهُ فِيهِ حِكاياتٌ عَجِيْبَةٌ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ :

قَالَ دِعْبِلُ[1] : كُنَّا عِنْدَهُ يَوْماً ، فَأَطَلْنَا القُعُودَ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ جُوعاً ، ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ يَا غُلامُ ، غَدِّنا . فَأَتاهُ بِقَصْعَةٍ فِيْها دِيْكٌ مَطْبُوخٌ ، فَتَأَمَّلَهُ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الرَّأْسُ يَا غُلامُ؟ قَالَ: رَمَيْتُ به. فَقَالَ: إِنِّي وَاللهِ لأَمْقُتُ مَن يَرمِي بِرِجْلِه ، فَكَيْفَ بِرَأْسِهِ ؟ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْمَا فَعَلْتَ إِلاَّ الطِّيَرَةُ والفَأْلُ لِكَرِهْتُهُ ؛ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّأْسَ رَئِيسُ الأَعضَاءِ ، ومِنْهُ يَصْرُخُ الدِّيْكُ ، وَلَوْلا صَوْتُهُ ما أُرِيدَ ؟ وَفِيْهِ عُرْفُهُ الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ ؟ وَعَيْنُهُ التِي يُضْرَبُ بها المَثَلُ فِي الصَّفَاءِ ، فَيُقَالُ : شَرابٌ كَعَيْنِ الدِّيْكِ ؟ وَدِماغُهُ عَجِيبٌ لِوَجَعِ الكِلْيَتَيْنِ ، وَلَمْ يُرَ عَظْمٌ أَهَشَّ تَحْتَ الأَسْنَانِ مِنْهُ ؟ وَهَبْ أَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنِّي لا آكِلُهُ ، أَلَيْسَ العِيَالُ كانُوا يَأْكُلُونَهُ ؟ فَإِنْ كان قد بَلَغَ من نُبْلِكَ أَنَّكَ لا تَأْكُلُهُ ، فَعِنْدَنَا مَن يَأْكُلُهُ ؛ أَوَ ما عَلِمْتَ أَنَّهُ خَيْرٌ من طَرَفِ الجَناحِ ، وَمِنْ رَأْسِ العُنُقِ ؟ انْظُرْ لِي أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَ : واللهِ ما أَدْرِي أَيْنَ هُوَ ، وَلا أَيْنَ رَمَيْتُ بِهِ . فَقَالَ : أَنا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ ، رَمَيْتَهُ فِي بَطْنِكَ ؛ قَاتَلَكَ اللهُ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُهُ لِمَا تَقَدَّمَ فِي « الدَّجاجِ » ، وَيُكْرَهُ سَبُّهُ لِمَا تَقَدَّمَ فِي

---

(١) عيون الأَخبار ٣/ ٢٥٩ والعقد الفريد ٦/ ١٨٠ وربيع الأَبرار ٤/ ٦١٢ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٣٨٧ وسرح العيون ٢٤٣ والوافي بالوفيات ١٦/ ١٩ وفوات الوفيات ٢/ ٨٤ والمستطرف ١/ ٥٢٥ .

حَدِيثِ زَيْدِ بنِ خالِد الجُهَنِيِّ ؛ وَيَجُوزُ اعْتِمَادُ الدِّيْكِ المُجَرَّبِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ كَمَا تَقَدَّمَ قَرِيباً .

● قَالَ أَصْبَغُ بنِ زَيْدِ الواسِطِيّ[1] : كان لِسَعيدِ بن جُبَيْرٍ دِيْكٌ ، يَقُومُ فِي اللَّيْلِ بِصِياحِهِ ، فَلَمْ يَصِحْ لَيْلَةً حتّى أَصْبَحَ ، فَلَمْ يُصَلِّ سَعِيْدٌ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عليهِ ، فَقَالَ : ما لَهُ ؟ قَطَعَ اللهُ صَوْتَهُ . فَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ صَوْتٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

● وَفِي « مَنَاقِبِ إِمامِنا الشَّافعيِّ » رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ عن رَجُلٍ خَصَى دِيْكاً لَهُ ، فَقَالَ : عَلَيْهِ أَرْشُهُ[2] .

● وَفِي « الكامِلِ »[3] : فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللهِ بن نافعٍ مَوْلَى ابن عُمر عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عن خِصَاءِ الدِّيْكِ والغَنَمِ والخَيْلِ ، وَقَالَ : « إِنَّما النَّماءُ في الخَيْلُ » .

وَتُحَرَّمُ المُناقَرَةُ بالدِّيَكَةِ ؛ وَسَيَأْتِي ما وَرَدَ فِي ذَلِكَ من النَّهْيِ فِي « بابِ الكافِ » فِي المُناطَحَةِ . بِالكِبَاشِ ، فِي لَفْظِ « الكَبْشِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[4] : « أَشْجَعُ من دِيْكٍ » ، « أَسْفَدُ من دِيْكٍ »[5] .

● **فائِدَةٌ** : رَوَى « مُسْلِمٌ » وَغَيْرُهُ[6] : أَنَّ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَطَبَ الناسَ يَوْماً ، فَحَمَدَ اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا ، لا أَراها إِلاَّ لِحُضُورِ أَجَلِي ، وَهِيَ أَنَّ دِيْكاً نَقَرَنِي ثَلاثَ نَقَراتٍ .

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٢٧٤ وسير أعلام النُّبلاء ٤/ ٣٢٣ .

(٢) الأَرش : الدِّيَة .

(٣) الكامل في الضُّعفاء ٢/ ٤٤٤ في ترجمة « جبارة بن المغلّس بن محمد الحمّاني » .

(٤) الميداني ١/ ٣٩١ والعسكري ١/ ٥٣٨ والزَّمخشري ١/ ١٩٠ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٣٦ .

(٥) لم يرد هذا المثل في كتب الأمثال ، وهو في ثمار القلوب ٢/ ٦٨٩ .

(٦) مسلم (٥٦٧) ومسند أحمد ١/ ١٥ و ٢٧ و ٤٨ و ٥١ وتاريخ دمشق (جزء عمر) ٣٤٨ .

وَفِي لَفْظٍ : رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيْكاً أَحْمَرَ نَقَرَنِي نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ ، فَحَدَّثْتُها أَسْمَاءَ بنتَ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فَحَدَّثَتْنِي أَنَّهُ يَقْتُلُنِي رَجُلٌ من الأَعاجِمِ .

وَكَانَ هَذَا القَوْلُ مِنْهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، فَطُعِنَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

● وَرَوَى « الحاكِمُ »[1] عن سَالِمِ بن أَبِي الجَعْدِ ، عن مَعْدانَ بن أَبِي طَلْحَةَ ، عن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ عَلَى المِنْبَرِ : رَأَيْتُ فِي المَنامِ ، كَأَنَّ دِيْكاً نَقَرَنِي ثَلاثَ نَقَراتٍ ، فَقُلْتُ : أَعْجَميٌّ يَقْتُلُنِي ؛ وَإِنِّي جَعَلْتُ أَمْرِي إِلى هَؤُلاءِ السِّتَّةِ الَّذِيْنَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ راضٍ : عُثْمانَ ، وَعَلِيٍّ ، وَطَلْحَةَ ، وَالزُّبَيْر ، وَعَبْد الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ ، وَسَعْد بن أَبِي وَقَّاصٍ ؛ فَمَنْ اسْتُخْلِفَ فَهُوَ الخَلِيْفَةُ .

● وَذَكَرَ « ابْنُ خلِّكان » وَغَيْرُهُ[2] : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا طُعِنَ اخْتَارَ من الصَّحابَةِ سِتَّةَ نَفَرٍ ـ وَهُمُ المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ ـ وَكَانَ سَعْدُ بن أَبِي وَقَّاصٍ غائِباً ، وَجَعَلَ عَبْدَ اللهِ ابْنَهُ مُشِيراً ، ولَيْسَ لَهُ من الأَمْرِ شَيْءٌ ، وَأَقامَ المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ وَثَلاثِيْنَ نَفْساً من الأَنْصارِ ، وَقَالَ : إِنِ اتَّفَقُوا عَلَى واحِدٍ إِلى ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، وإِلاَّ فاضْرِبُوا رِقَابَ الكُلِّ ، فَلا خَيْرَ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِيْهِم ؛ وإِنِ افْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَالفرقةُ التي فِيْها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ .

وَأَوْصَى أَنْ يُصَلِّيَ صُهَيْبٌ بِالنَّاسِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ نَفْسَهُ من الشُّوْرَى ، وَاخْتَارَ عُثْمَانَ ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ .

● وَنُقِلَ أَنَّ العَبَّاسَ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ قَالَ لِعَلِيٍّ : يَا ابْنَ أَخِي ، لا تُدْخِلْ نَفْسَكَ في الشُّورَى مَعَ القَوْمِ ، فإِنِّي أَخافُ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنْها ، فَتَبْقَى وَصْمَةً فِيْكَ . فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ .

---

(١) المستدرك ٣/ ٩٠ وتاريخ الخلفاء ١٦٢ .

(٢) لم يرِد هذا النَّصُّ في وفيات الأَعيان ، وليس لعمر فيه ترجمة .

● وَكَانَ عُمرُ قد بُويعَ لَهُ بالخِلافَةِ يَوْمَ مَاتَ الصِّدِّيْقُ بِعَهْدٍ مِنْهُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، كَمَا سَبَقَ فِي « بابِ الهَمْزَةِ » في لَفْظِ « الإِوَزِّ » .

● وَضَرَبَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ فَيْرُوز الفارِسِيُّ ، غُلامُ المُغِيْرَةِ بن شُعْبَةَ ، وَكَانَ مَجُوسِيًّاً ، وَقِيْلَ : كان نَصْرانِيّاً ، ثَلاثَ ضَرَباتٍ ، إِحْداهُنَّ تَحْتَ سُرَّتِه ، فَقَالَ قَتَلَنِي الكَلْبُ ، وَخَرَجَ من المِحْرَابِ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ فَأَتَمَّ الصَّلاةَ بالنّاسِ ، وَمَرَّ أَبُو لُؤْلُؤَة هارِباً ، وَفِي يَدِهِ خِنجَرٌ يَضْربُ به يَمِيْناً وَشِمالاً ، فَطَرَحَ عَلَيْهِ رَجُلٌ من الأَنْصَارِ رِداءَهُ ، فَلَمّا عَلِمَ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ .

وَكَانَ بَعْضُ الذِين فِي المَسْجِدِ لَمْ يَشعروا بِذَلِكَ لِشُغْلِهِمْ بِالصَّلاةِ ، إلاَّ أَنَّهُمْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمر وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا سَبَبُهُ .

وَأَنَّهُ لَمَّا طُعِنَ قِيْلَ لَهُ : ما أَحَبُّ الأَشْرِبَةِ إِلَيْكَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمنينَ ؟ قَالَ : النَّبِيْذُ ؛ فَسَقوهُ النَّبيذَ ، فَخَرَجَ من جُرْحِه ، فَقَالَ قَوْمٌ : نَبِيذٌ ، وَقَالَ قَوْمٌ : دَمٌ ؛ فَسَقَوْهُ لَبَناً ، فَخَرَجَ من جُرْحِهِ ، فَقِيْلَ لَهُ : أَوْصِ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ . فَأَوْصَى بِالشُّوْرَى كَمَا تَقَدَّمَ .

وَكَانَ قَتْلُهُ فِي ذِي الحِجَّةِ ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشرِينَ ؛ وَبَقِيَ ثلاثَةَ أَيَّام ، وَتُوُفِّيَ لأَرْبَعٍ بَقِينَ من ذِي الحجَّةِ ، وَقِيلَ : لِلَيْلَتَيْنِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ ذَلِكَ في « الإِوَزِّ » .

● وَيُقَالُ[1] : إِنَّ عُبَيْدَ اللهِ بن عُمر وَثَبَ عَلَى الهُرْمُزَانِ فَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُ رَجُلاً نَصْرانِيّاً يُعْرَفُ بِجُفَيْنَةَ من أَهْلِ نَجْرانَ ، كانا قد اتُّهِمَا بِإِغْراءِ أَبي لُؤْلُؤَة بِعُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَقَتَلَ بِنْتاً لأَبِي لُؤْلُؤَةَ طِفْلَةً ، وَوَداهُمْ عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عنه ، وَلَحِقَ عُبَيْدُ اللهِ بِمُعاوِيَةَ في خِلافَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنه .

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٤٩٠ وطبقات ابن سعد ٧/ ١٨ .

● وَكَانَ فِي أَيَّامِ عُمر الفُتُوحاتُ العِظَامُ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّى الغَزَواتِ : الشَّواتِي والصّوائِف .

وَهُوَ أَوَّلُ[1] من أَرَّخَ التَّارِيخَ بعامِ الهِجْرَةِ ، وَأَوَّلُ من دُعِيَ بِأَمِيرِ المُؤمِنِينَ ، وَأَوَّلُ من خَتَمَ الكُتُبَ ، وَكَانَ فِي يَدِهِ خاتَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَفِيْهِ نَظَرٌ ، وَأَوَّلُ من ضَرَبَ بالدِّرَّةِ وَحَمَلَها ، وَأَوَّلُ من قَالَ : أَطَالَ اللهُ بَقاءَكَ . قالَها لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهما ، وَهُوَ الذِي أَخَّرَ المَقامَ إلى مَوْضِعِهِ اليَوْمَ ، وَكَانَ مُلْصَقاً بالبَيْتِ ، وَهُوَ أَوَّلُ من جَمَعَ النَّاسَ عَلَى إِمامٍ واحِدٍ في التَّراوِيْحِ ، وَحَجَّ بالنَّاسِ عَشْرَ سِنِيْنَ مُتَوالِيَةً ، آخِرُها سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِيْنَ ، وَمَعَهُ نِساءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الهَوادِجِ ، وَرَجَعَ إلى المَدِيْنَةِ فَرَأَى الرُّؤْيَا المُتَقَدِّمِ ذِكْرُها .

وَتَزَوَّجَ عُمر أُمَّ كُلْثُوم بنتَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَأَصْدَقَها أَرْبَعِيْنَ ألف دِرْهَمٍ .

وَكَانَ ـ أَي عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قد حَدَّ ابْنَهُ عُبَيْدَ اللهِ عَلَى الشَّراب ، فَقَالَ لَهُ وَهُوَ يَحُدُّهُ : قَتَلْتَنِي يا أَبَتاهُ ؛ فَقَالَ : يا بُنَيَّ إذا لَقِيْتَ رَبَّكَ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ أَباكَ يُقِيْمُ الحُدُودَ[2] .

وَالذِي[3] فِي السِّيَرِ أَنَّ المَحْدُودَ في الشُّرْبِ ابْنُهُ الأَوْسَطُ أَبُو شَحْمَةَ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهُ لُهَيَّة ؛ وقَتْلُ عُبَيْدِ اللهِ الرَّجُلَيْنِ مُشْكِلٌ ، وَقَتْلُهُ الطِّفْلَةَ أَشْكَلُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

---

(1) أَوَّليّات عمر ، في : الأوائل للعسكريّ ١/ ٢٢١ ـ ٢٥٨ وتاريخ الخلفاء ١٦٥ .

(2) ليس كذلك ، فإنَّ المحدود في الشَّراب ، هو أَبو شحمة عبد الرحمن الأَصغر ، وأُمُّه فكيهة امرأة من اليمن ، ويُقالُ : أُمُّ ولدٍ . (أَنساب الأَشراف ٥/ ٤٤١ وتاريخ المدينة المنوَّرة ٣/ ٨٤١) .

(3) أَرى أَنَّ هذا المقطع إضافة من قارئ . ولُهَيَّة : هي أُمُّ عبد الرَّحمن الأَوسط ، الذي يُقالُ لهُ : المجبر . (أَنساب الأَشراف) .

● وَذَكر غَيْرُ واحِدٍ من الثِّقَاتِ : أَنَّهُ[1] كان لِرُقَيَّةَ بنتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ من عُثْمان وَلَدٌ ، يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللهِ ، وَبِهِ كان يُكْنَى ، بَلَغَ سَبْعَ سِنِيْنَ ، نَقَرَهُ دِيْكٌ فِي وَجْهِهِ ، فَمَاتَ بَعْدَ أُمِّهِ في جُمادَى ، سَنَةَ أَرْبَعٍ ؛ وَلَمْ يُولَدْ لَهُ غَيْرُهُ من بَناتِ النَّبيِّ ﷺ .

وَلَمَّا هاجَرَتْ رُقَيَّةُ إِلى الحَبَشَةِ ، كان فِتْيَانُ الحَبَشَةِ يَتَعَرَّضُونَ لِرُؤْيَتِها ، وَيَتَعَجَّبُونَ من جَمَالِها ، فآذاها ذَلِكَ ، فَدَعَتْ عَلَيْهِمْ ، فَهَلَكُوا جَمِيعاً .

● وَقَالُوا[2] : « مَا كَلَّمْتُهُ إِلاَّ كَحَسْوِ الدِّيْكِ » يُرِيْدُونَ السُّرْعَةَ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[3] : [مِنَ الطَّويل]

وَنَوْمٍ كَحَسْوِ الدِّيْكِ قد باتَ صُحْبَتِي ... يَنَالُونَهُ فَوْقَ القِلاصِ العَباهِلِ

يُرِيْدُ قِلَّتَهُ وَسُرْعَتَهُ .

● وَضَرَبُوا المَثَلَ بِصَفَاءِ عَيْنِهِ ، فَقَالُوا[4] : « أَصْفَى من عَيْنِ الدِّيْكِ » .

● وَمِنَ المَشْهُورِ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةُ عَدِيّ بن زَيدٍ العِباديّ ، التي يَقُولُ فِيها[5] : [مِنَ الخَفيفِ]

بَكَرَ العاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصُّبْـ ... ـحِ يَقُولُونَ لِي : أَمَا تَسْتَفِيْقُ
وَيَلُومُونَ فِيْكِ يَا ابْنَةَ عَبْدِ الـ ... ـلَّـهِ وَالقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْهُوقُ
لَسْتُ أَدْرِي إِذْ أَكْثَرُوا العَذْلَ فِيْهَا ... أَعَدُوٌّ يَلُومُنِي أَمْ صَدِيقُ

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٦ وأُسد الغابة ٧/ ١١٤ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ٢٩٥ والزَّمخشري ٢/ ٢١٦ .

(٣) البيت بلا نسبة في الميدانيّ .

(٤) الميدانيّ ١/ ٤١٧ والزَّمخشريّ ١/ ٢١٠ والعسكري ١/ ٥٦٧ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٦٣ والحيوان ٢/ ٣٤٩ وثمار القلوب ٢/ ٦٩٠ .

(٥) ديوانه ٧٦ ـ ٧٩ .

وَدَعَـوا بـالصَّبُـوحِ يَـوْمـاً فَجَـاءَتْ قَيْنَـــةٌ فِـــي يَمِينِهـــا إِبْـــرِيـــقُ
قَــدَّمَتْــهُ عَلَــى عُقَــارٍ كَعَيْــنِ الــدْ دِيْــكِ صَفَّــى سُــلافَهــا الــرَّاوُوقُ

● وَلِهَذِهِ الأَبْيَاتِ حِكايَةٌ حَسَنَةٌ مَشْهُورَةٌ ، مَذْكُورَةٌ في « دُرَّةِ الغَوَّاصِ » وَفِي « تَارِيْخِ ابْنِ خلِّكانَ » فِي تَرْجَمَةِ حمّاد الرّاوِيَةِ ، قَالَ[1] :

كُنْتُ مُنْقَطِعاً إِلى يَزيد بن عَبدِ المَلِكِ ، وَكَانَ أَخُوهُ هِشامٌ يَجْفُونِي لِذَلِكَ فِي أَيّامِهِ ، فَلَمّا مَاتَ يَزِيدٌ وَأَفْضَتِ الخِلافَةُ إِلى هِشَامٍ ، خِفْتُهُ ، فَمَكَثْتُ فِي بَيْتِي سَنَةً لا أَخْرُجُ إِلاّ لِمَنْ أَثِقُ بِهِ من إِخْوانِي سِرّاً ؛ فَلَمّا لَمْ أَسْمَعْ أَحَداً ذَكَرَنِي في السَّنَةِ أَمِنْتُ ، فَخَرَجْتُ يَوْماً وَصَلَّيْتُ الجُمُعَةَ بِالرّصافَةِ ، وإِذا شُرْطِيّانِ قد وَقَفَا عَلَيَّ ، وَقالا : يَا حَمَّادُ ، أَجِبِ الأَمِيْرَ يُوسُفَ بن عُمر ، وَكَان وَالِياً عَلَى العِراقِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : من هَذَا كُنْتُ أَخافُ ؛ ثُم قُلْتُ للشُّرْطِيَّيْنِ : هَلْ لَكُمَا أَنْ تَدَعانِي ، حَتَّى آتِيَ أَهْلِي ، فَأُوَدِّعَهُمْ وَدَاعَ مَن لا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَداً ، ثُمَّ أَسيرَ مَعَكُما إِلَيْهِ ؟ فَقَالا : مَا إِلى ذَلِكَ سَبِيلٌ ؛ فَاسْتَسْلَمْتُ فِي أَيدِيهما ، ثُمَّ صِرْتُ إِلى يُوسفَ بن عُمر ، وَهُوَ فِي الإِيوَانِ الأَحْمَرِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلام ، وَرَمَى إِلَيَّ كِتاباً فِيْهِ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ ، من عَبْدِ اللهِ هِشَامٍ أَمِيرِ المُؤْمِنِيْنَ إِلى يُوسُفَ بن عُمَر الثَّقفي : أَمَّا بَعْدُ ، فإِذا قَرَأْتَ كِتابي هَذَا ، فَابْعَثْ إِلى حمّاد الرَّاوِيَة مَن يَأْتِيْكَ بِهِ من غَيْرِ تَرْوِيعٍ ، وَادْفَعْ لَهُ خَمْسَمِئَةِ دِيْنَارٍ ، وَجَمَلاً مَهْرِيّاً يَسِيرُ عَلَيْهِ الاثْنَتَيْ عَشَرَةَ لَيْلَةً إِلى دِمَشْق .

قَالَ : فَأَخَذْتُ الدَّنانِيْرَ ، وَنَظَرْتُ فإِذا جَمَلٌ مَرْحُولٌ ، فَجَعَلْتُ رِجْلِي في الغَرْزِ ، وَسِرْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، حَتَّى وافَيْتُ دِمَشْقَ ، فَنَزَلْتُ عَلَى بابِ

---

(١) درّة الغوّاص ٣٨٨ ـ ٣٩١ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ونزهة الأَلباء ٣٥ ـ ٣٩ والأَغاني ٦/ ٧٥ ـ ٧٧ والجليس والأَنيس ٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ومعجم الأُدباء ٣/ ١٢٠٢ ـ ١٢٠٤ وشرح مقامات الحريري للشّريشيّ ٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ وثمرات الأَوراق ٩٠ ـ ٩٢ .

هِشام ، فَاسْتَأْذَنْتُ فَأُذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي دارٍ قَوْرَاءَ ، مَفْرُوشَةٍ بالرُّخام ، وَبَيْنَ كُلِّ رُخامَتَيْنِ قَضِيبٌ من ذَهَبٍ ؛ وَهِشامٌ جالِسٌ عَلَى طِنْفِسَةٍ حَمْراءَ ، وعَلَيْه ثِيابٌ حُمْرٌ من الخَزِّ ، وَقَدْ تَضَمَّخَ بالمِسْكِ وَالعَنْبَرِ ؛ فَسَلَّمْتُ عَلَيْه ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ ، ، وَاسْتَدْنانِي ، فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ حَتَّى قَبَّلْتُ رِجْلَهُ ، فإذا جارِيَتانِ لَمْ أَرَ مِثْلَهُما قطُّ ، فِي أُذُنِ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُمَا حَلَقتانِ فِيهما لُؤْلُؤَتانِ تَتَّقِدانِ ، فَقَالَ لِي : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَمَّادُ ؟ وَكَيْفَ حَالُكَ ؟ قُلْتُ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : أَتَدْرِي فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قُلْتُ : لا . قَالَ : بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِبَيْتٍ خَطَرَ بِبَالِي ، لَمْ أَدْرِ قائِلَهُ . قُلْتُ : وَمَا هُو ؟ قَالَ :

وَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْماً فَجَاءَتْ ... قَيْنَةٌ فِي يَمِينِها إِبْرِيقُ

فَقُلْتُ : يَقُولُهُ عَدِيُّ بن زَيْدٍ العِباديّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ؛ فَقَالَ : أَنْشِدنِيها ، فَأَنْشَدْتُهُ :

بَكَرَ العاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصُّبْـ ... ـحِ يَقُولُونَ لِي : أَمَا تَسْتَفِيقُ
وَيَلُومُونَ فِيكِ يا ابْنَةَ عَبْدِ الـ ... ـلَّهِ وَالقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْهُوقُ
لَسْتُ أَدْرِي إِذْ أَكْثَرُوا العَذْلَ فِيها ... أَعَدُوٌّ يَلُومُنِي أَمْ صَدِيقُ

قَالَ حَمَّادَ : فانْتَهَيْتُ فِيها إِلى قَوْلِهِ :

وَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْماً فَجَاءَتْ ... قَيْنَةٌ فِي يَمِينِها إِبْرِيقُ
قَدَّمَتْهُ عَلَى عُقَارٍ كَعَيْنِ الدِّ ... يكِ صَفيّ سُلافَها الرَّاوُوقُ
مُزَّةً قَبْلَ مَزْجِها فإذا مَا ... مُزِجَتْ لَذَّ طَعْمُها من يَذُوقُ
وَطَفَا فَوْقَها فَقَاقِيعُ كاليا ... قُوتِ حُمْرٌ يَزِينُها التَّصْفِيقُ
ثُمَّ كان المِزَاجُ مَاءَ سَحابٍ ... لا صِرىً آجِنٌ وَلا مَطْرُوقُ

قَالَ : فَطَربَ هِشَامٌ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَحْسَنْتَ يَا حَمَّادُ والله ، يَا جارِيَةُ اسْقِيهِ ، فَسَقَتْنِي شربَةً ذَهَبَتْ بِثُلُثِ عَقْلِي ، فَقَالَ : أَعِدْهُ ، فَأَعَدْتُهُ ، فَاسْتَخَفَّهُ

الطَّرَبُ حَتَّى نَزَلَ عن فَرْشِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْجارِيَةِ الأُخْرَى : اسقِيهِ . فَسَقَتْنِي شَرْبَةً ذَهَبَتْ بِثُلُثٍ آخَرَ من عَقْلِي ، ثُمَّ قَالَ : سَلْ حاجَتَكَ يَا حَمَّادُ . فَقُلْتُ : كائِنَةً ما كانَتْ ؟ قَالَ : نعمْ . قُلْتُ : إِحْدَى هاتَيْنِ الجارِيَتَيْنِ ، فَقَالَ : هُمَا لَكَ بِمَا عَلَيْهِمَا وَمَا لَهُمَا ؛ ثُمَّ قَالَ لِلجارِيَةِ الأُوْلَى : اسْقِيْه . فَسَقَتْنِي شَرْبَةً ، فَسَقَطْتُ مِنها فَلَمْ أَعقلْ حَتَّى أَصْبَحْتُ ، وَالجارِيَتَانِ عِنْدَ رَأْسِي ، فإذا عَشْرَةٌ من الخَدَمِ ، وَمَعْ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ بَدْرَةٌ فِيْهَا عَشْرَةُ آلافِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامُ ، وَيَقُولُ لَكَ : خُذْ هَذِهِ ، وَانْتَفِعْ بِهَا فِي سَفَرِكَ ؛ فَأَخَذْتُها وَالجارِيَتَيْنِ ، وَعُدْتُ إلى أَهْلِي . انتهى .

هَكَذَا سَاقَها الحَرِيرِيُّ فِي كِتابِهِ « دُرَّةُ الغَوَّاصِ » وَفِيْه اعْتِراضانِ ؛ أَحَدُهُما : قَوْلُهُ : يَا جارِيَةُ اسْقِيْهِ . فَإِنَّ هِشَاماً لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ الخَمْرَ ، اللَّهُمَّ إِلاَّ إِنْ كان يُشْرَبُ بِحَضْرَتِهِ[1] .

وَالثَّانِي : قَوْلُهُ : إِنَّ هِشاماً بَعَثَ إِلى يُوسفَ بن عُمر الثَّقفيّ ؛ فإِنَّهُ فِي هَذَا التَّارِيْخِ لَمْ يَكُنْ مُتَوَلِّياً عَلَى العِراقِ ، وإِنَّما كان وَالِياً عَلَيْهِ فِي التَّارِيْخِ المَذْكُورِ خالد بن عَبْدِ اللهِ القَسْرِيّ ، حَسْبَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ التَّارِيْخ .

الخَواصُّ[2] : لَحْمُ الدُّيُوكِ : حَارٌّ يابسٌ باعْتِدَالٍ ؛ أجودُهُ عندَ اعتدال أَصْواتِها ؛ وهو ينفعُ أصحاب القُولَنْجِ ؛ وَيُسْتَحَبُّ كَدُّها قبل ذَبْحِها ؛ وَأَكْلُ لَحْمِها يُوَلِّدُ غِذَاءً مَحْمُوداً .

وَيُوافِقُ من الأَمْزِجَةِ البارِدَةَ ، وَمِنَ الأَسْنانِ الشُّيُوخَ ، وَمِنَ الزَّمانِ الشِّتَاءَ .

---

(١) وهذا أَيضاً لا يصحُّ . قَالَ أَبو الفَرَج في الأَغاني ٦/ ٧٧ : لأَنَّ هِشاماً لم يَكُنْ يشربُ ، ولا يُسْقَى أَحدٌ بحضرته مسكراً .

(٢) مفردات ابن البيطار ٢/ ٨٨ وتذكرة داود ١/ ١٥١ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧٦ ـ ٧٧ وعجائب المخلوقات ٢٧٥ .

وَالدُّيُوكُ العَتِيْقَةُ : تَنْحَلُّ مِنها قُوَّةٌ فِي الطَّبْخِ ، وَلَحْمُها يُطْلِقُ البَطْنَ ، وَيَنْفَعُ المفاصِلَ والرَّعْشَةَ والحُمَّى العَتِيْقَةَ ذَات الأَدْوارِ ، وَلا سِيَّمَا إِذا عُمِلَ بِمِلْحٍ كَثِيْرٍ ، وَمَاءِ كُرنبٍ ، وَلَبانِ القرطمِ والأَسفاناخ[1] .

وَأَمّا الفِراخُ : فغِذَاؤُها مُوافِقٌ لِجَمِيع النَّاسِ حَتَّى تَبْتَدِىءَ بِالصِّيَاحِ ، وَالدَّجاجُ قَبْلَ أَنْ يبيضَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يواصَلَ أَكْلُها دائِماً .

وَأَمّا خَواصُّ أَجْزائِهِ : فَدَمُ الدِّيْكِ ، أَوْ دِماغُهُ : إِذا طُلِيَ بِهِ عَلَى لَسْعِ الهَوامِّ ، أَبْرَأَهُ ؛ وَالاكْتِحَالُ بِدَمِهِ يَنْفَعُ البَيَاضَ فِي العَيْنِ .

وعُرْفُ الدِّيكِ : إذا أُحرقَ وسُقيَ منه مَنْ يبول في فراشه ، أزال عنه ذلك وأبرأَهُ .

وإذا طُليتِ جبهةُ الدِّيك وعُرْفُه بدُهنٍ : لم يَصِحْ .

وإِذا نُتِفَ الرِّيْشُ الطَّوِيلُ الَّذِي في ذَنَبِهِ عِنْدَ رُكُوبِهِ عَلَى الدَّجاجَةِ ، وَهُوَ يَسْفِدُها ، وَجُعِلَ فِي مَجْرَى الحَمّامِ ؛ فَمَنِ اغْتَسَلَ من ذَلِكَ المَاءِ أَنْعَظَ .

وَفِي طَرَفِ جَناحَيْه عَظْمَتانِ ، إذا عُلِّقَتِ اليُمْنَى عَلَى مَن بِهِ الحُمَّى الدَّائِمَةِ أَبْرَأَتْهُ . وإِذا عُلِّقَتِ اليُسْرَى عَلَى مَن بِهِ حُمَّى الرِّبعِ أَبْرَأَتْهُ ؛ وَهَاتَانِ العَظْمَتانِ يَمْنَعانِ الإِعْيَاءَ والنُّعَاسَ ، إذا عُلِّقَتا عَلَى بَهِيْمَةٍ .

وَخُصْيَتُهُ إِذا شُوِيَتْ ، وَأَكَلَتْها المَرْأَةُ التي لا تَحْبَلُ فِي حَيْضِها ، قَبْلَ الطُّهْرِ بِثَلاثَةِ أَيَّام ، وَجَامَعَهَا زَوْجُها : حَبِلَتْ .

وإِذا أَخَذَ هَذَا العُضْوَ من يُرِيْدُ الجِمَاعَ الكَثِيْرَ ، وَصَرَّهُ فِي قِرْطاسٍ ، وَعَلَّقَهُ عَلَى عُضُدِهِ الأَيْسَرِ : أَنْعَظَ إِنْعاظاً عَجِيْباً ؛ فإِذا حَلَّهُ سَكَنَ ذَلِكَ عَنْهُ .

---

(١) الاسفاناج : بقلة معروفة ، تعلو شبراً ، ولها ورق ذو شعب . (مفردات ابن البيطار ١/ ٢٥) .

وَعُرْفُ الدِّيْكِ الأَبْيَضِ أَوِ الأَحْمَرِ : إذا بُخِّرَ بِهِ المَجْنُونُ ، نَفَعَهُ نَفْعاً عَجِيْباً .

وَمَرارَتُهُ تُخْلَطُ بِمَرَقِ ضَأْنٍ ، وَتُؤْكَلُ عَلَى الرِّيْقِ : تُذْهِبُ النِّسْيانَ وَتُذَكِّرُ ما نُسِيَ .

وَدَمُهُ يُخْلَطُ بِعَسَلٍ ، وَيُعْرَضُ عَلَى النَّارِ ، وَيُطْلَى بِهِ الذَّكَرُ : يُقَوِّي الذَّكَرَ وَالباهَ .

وَخُصْيَةُ الدِّيْكِ تُعَلَّقُ عَلَى الدِّيْكِ المُهارِشِ ، فإِنَّهُ لا يَغْلِبُهُ دِيْكٌ .

التَّعْبِيْرُ(١) : الدِّيْكُ تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى الخَطِيْبِ ، وَالمُؤَذِّنِ ، وَالقارِىءِ المُطْرِبِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلا يَأْتِيْهِ ، لأَنَّهُ يُذَكِّرُ بِالصَّلاةِ وَلا يُصَلِّي .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى الرَّجُلِ الكَثِيْرِ النِّكاحِ ، أَوِ السِّمْسَارِ الكَثِيْرِ العِياطِ ، أَوِ الرَّمَّامِ(٢) الَّذِي يَأْوِي إِلى النِّسَاءِ ، أَوِ الحارِسِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى الرَّجُلِ الكَرِيْمِ المُؤْثِرِ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَحْتاجُ إِلِيهِ ، أَوِ القانِعِ بِمَا يَجِدُ ، أَوِ النّاقِصِ الحَظِّ ، أَوِ العائِلِ ، أَوِ الكَثِيْرِ الوُقُوعِ فِي الشَّدائِدِ

وَرُبَّما تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى رَبِّ الدّارِ ، كَمَا أَنَّ الدَّجاجَةَ رَبَّةُ البَيْتِ .

وَيُعَبَّرُ أَيْضاً بِمَمْلُوكٍ ، لأَنَّهُ ضَمِنَ التُّدْرُجَ لِنُوحٍ عليه السَّلامُ ، لَمّا أَنْفَذَهُ يَكْشِفُ خَبَرَ المَاءِ إِنْ كان نَقَصَ ، فَغَدَرَ وَلَمْ يَأْتِ ، فَبَقِيَ الدِّيْكُ رَهِيْناً كَالمَمْلُوكِ من ذَلِكَ الزَّمانِ ، وامْتَنَعَ من الطَّيَرانِ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٣ وتفسير الواعظ ٣٠٠ .

(٢) الرَّمُّ : إِصلاحُ الشَّيْء الذي فسد . والرَّمَّام : مُصلحها .

وَقِيْلَ : الدِّيْكُ فِي المَنامِ : رَجُلٌ مُحارِبٌ من قِبَلِ المَمَالِيْكِ .

وَقِيْلَ : الدِّيْكُ إِذا كان أَبْيَضَ أَفْرَقَ ، فإِنَّهُ مُؤَذِّنٌ ؛ فَمَنْ ذَبَحَهُ في المَنامِ : فإِنَّهُ لا يُجِيْبُ المُؤَذِّنَ .

وَقِيْلَ : رُؤْيَةُ الدِّيْكِ : تَدُلُّ عَلَى مُصاحَبَةِ العُلَمَاءِ وَأُولِي الحِكْمَةِ .

● رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً أَتَى ابنَ سيرين ، فَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيْكاً دَخَلَ مَنْزِلِي ، فَلَقَطَ حَبَّاتِ شَعِيْرٍ كانَتْ فِيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ سِيرِينَ : إِنْ سُرِقَ لَكَ شَيْءٌ فَأَعْلِمْنِي ؛ فَمَا كان إِلاّ أَيَّامٌ إِذْ أَتَى الرَّجُلُ إِلَيه ، فَقَالَ : سُرِقَ لِي بِسَاطٌ من سَطْحِ مَنْزِلِي ؛ فَقَالَ ابْنُ سِيْرِيْنَ : المُؤَذِّنُ أَخَذَهُ ، فَكَانَ كَذَلِكَ .

● وَقَالَ آخَرُ لابْنِ سيرينَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَخْنُقُ دِيْكاً . فَقَالَ ابْنُ سِيْرِيْنَ : هَذَا رَجُلٌ يَنْكَحُ يَدَهُ .

وَقَالَ لَهُ آخرُ : رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيْكاً يَصِيْحُ بِبَابِ بَيْتِ إِنْسَانٍ ، وَيُنْشِدُ : [من البسيط]

قَدْ كان من رَبِّ هَذَا البَيْتِ ما كانا ... هَيُّـوا لِصَـاحِبِـهِ يَـا قَـوْمُ أَكْفَـانَـا[1]

فَقَالَ : يَمُوتُ صاحِبُ الدَّارِ بعد أَرْبَعَةٍ وَثَلاثِيْنَ يَوْماً . فَكَانَ كَذَلِكَ . وَهِيَ عَدَدُ حُرُوفِ الدِّيْكِ بِالجُمَّلِ[2] .

● وَجَاءَهُ آخَرُ فَقَالَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيْكاً يَقُولُ : الله الله الله ؛ فَقَالَ لَهُ : بَقِيَ من أَجَلِكَ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ . فَكَانَ كَذَلِكَ .

٣٤٨ دِيْكُ الجِنِّ : دُوَيْبَّةٌ تُوجَدُ فِي البَسَاتِيْنِ ؛ إِذا أُلْقِيَتْ في خَمْرٍ عَتِيْقٍ حَتَّى تَمُوتَ ، وَتُتْرَكَ في فَخَّارَةٍ وَيُسَدَّ رأسُها ، وَتُدْفَنَ فِي وَسَطِ الدَّارِ ؛ فإِنَّهُ

---

(١) في أ : × . . . يا ناس أكفانا . ويقارن الخبر بما ورد في تفسير الواعظ ٣٠١ .
(٢) لأَنَّ الدَّال : أَربعة . والياء : عشرة . والكاف : عشرين .

لا يُرَى فِيْهَا شَيْءٌ من الأَرَضَةِ أَصْلاً . قَالَهُ القَزْوِيْنِيُّ[1] .

● **وَدِيْكُ الجِنِّ**[2] : لَقَبٌ لأَبِي محمَّد عَبْد السَّلام [بن رَغْبان] الحِمْصِيِّ ، الشَّاعِرِ المَشْهُورِ ، من شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ .

كَانَ يَتَشَيَّعُ تَشَيُّعاً حَسَناً ، وَلَهُ مَراثٍ فِي الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ وَكَان ماجِناً خَلِيْعاً ، عاكِفاً عَلَى القَصْفِ واللَّهْوِ ، مِتْلافاً لِمَا وَرِثَهُ .

مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّيْنَ وَمِئَةٍ ، وَعَاشَ بِضْعاً وَسَبْعِيْنَ سَنَةً ؛ وَتُوُفِّيَ فِي أَيَّامِ المُتَوَكِّلِ ، سَنَةَ خَمْسٍ أَوْ سِتٍّ وَثَلاثِيْنَ وَمِئَتَيْنِ .

● وَلَمّا[3] اجْتَازَ أَبُو نُواسٍ بِحِمْصَ قاصِداً مِصْرَ لامْتِدَاحِ الخَصِيبِ ، جاءَهُ إِلى بَيْتِه ، فَاخْتَفَى مِنْهُ ، فَقَالَ لأَمَتِهِ : قُولِي لَهُ : اخْرُجْ ، فَقَدْ فَتَنْتَ أَهْلَ العِراقِ بِقَوْلِكَ[4] : [من الطويل]

مُوَرَّدَةٌ من كَفِّ ظَبْيٍ كَأَنَّمَا تَنَاوَلَهَا من خَدِّهِ فَأَدارَهَا

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ دِيْكُ الجِنِّ خَرَجَ إِلَيْه ، وَاجْتَمَعَ بِهِ ، وَأَضَافَهُ .

● وَفِي « تاريخِ ابنِ خلّكان »[5] : أَنَّ دِعْبِلاً الخُزَاعِيَّ لَمّا اجْتَازَ بِحِمْصَ ، سَمِعَ دِيكُ الجِنِّ بِوُصُولِهِ ، فَاخْتَفَى مِنْهُ خَوْفاً أَنْ يَظْهَرَ لِدِعْبِلَ ، لأَنَّهُ كان قاصِراً بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ ، فقَصَدَهُ فِي دارِهِ ، فَطَرَقَ البَابَ وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَقَالَتِ الجارِيَةُ : لَيْسَ هُوَ هَا هُنا ؛ فَعَرفَ قَصْدَهُ ، فَقَالَ لَهَا : قُوْلِي لَهُ : اخْرُجْ ، فَأَنْتَ أَشْعَرُ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩٤ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٠٩ .

(٢) ترجمته وأخباره في: الأغاني ١٤/ ٥١ وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢٣٥ ومختصره ١٥/ ١١١ ووفيات الأعيان ٣/ ١٨٤ والوافي بالوفيات ١٨/ ٤٢٢ وثمار القلوب ١/ ١٤٤ و ٢/ ٦٨٦ والإعجاز والإيجاز ٢٣٧ وسير أعلام النُّبلاء ١١/ ١٦٣ ونسمة السّحر ٢/ ٣٥٥ . والزِّيادة لازمة.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ١٨٥ ونسمة السّحر ٢/ ٣٥٦ والوافي بالوفيات والسِّير .

(٤) ديوانه ١٠٧ .

(٥) لم يرد هذا الخبر في وفيات الأعيان .

الإِنْسِ وَالجِنِّ ، بِقَوْلِكَ[1] :

فَقَـامَ تكـادُ الكَـأْسُ تَحْـرِقُ كَفَّـهُ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ من وَجْنَتَيْهِ اسْتَعارَها
مُـوَرَّدَةٌ مـن كَـفِّ ظَبْـيٍ كَـأَنَّمـا تَنـاوَلَهـا مـن خَـدِّه فَـأَدارَهـا

فَلَمّا بَلَغَ ذَلِكَ دِيكَ الجِنِّ ، خَرَجَ إِلَيْهِ وَأَضافَهُ .

٣٤٩ الدَّيْلَمُ : ذَكَرُ الدُّرّاجِ .

وَحُكْمُهُ ، وَخَواصُّهُ ، وَأَمْثَالُهُ ، وَتَعبِيرُه : كَالدُّرّاجِ .

٣٥٠ ابْنُ دَأْيَةَ : الغُرابُ الأَبْقَعُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ إِذا رَأَى دَبَرَةً فِي ظَهْرِ بَعِيْرٍ ، أَوْ قَرْحَةً فِي عُنُقِهِ ، نَزَلَ عَلَيْها ، وَنَقَرَها إِلى الدَّأَياتِ .

● **فائِدَةٌ** : الدَّأَياتُ ، بِتَشْدِيْدِ الدّالِ ، وَبالياءِ المُثَنّاةِ تَحْتَ ، وَالتّاءِ المُثَنّاةِ فَوْقَ فِي آخِرِهِ : هِيَ عِظَامُ الرَّقَبَةِ ، وَفَقَارِ الظَّهْرِ .

قَالَ ابْنُ الأَعرابيِّ فِي « نَوادِرِهِ » : فَقَارُ البَعِيْرِ ثَماني عَشْرَةَ فَقْرَةً ، وَأَكْثَرُها إِحْدَى وَعِشْرُونَ فَقْرَةً ؛ وَفَقَارُ الإِنْسَانِ سَبْع عَشْرَةَ فَقْرَةً[2] .

وَقَال جَالِيْنُوس : خَرَزُ الظَّهْرِ من لَدُنْ مَنْبِتِ النُّخَاعِ من الدِّمَاغِ إِلى عَظْمِ العَجُزِ : أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ خَرَزَةً ؛ سَبْعٌ مِنْها في العُنُقِ ، وَسَبْعَ عَشْرَةَ فِي الظَّهْرِ ، ثِنْتَا عَشْرَةَ فِي الصُّلْبِ ، وَخَمْسٌ فِي البَطْنِ ، وَهُوَ العَجُزُ .

قَالَ : وَالأَضْلاعُ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ ؛ اثْنَتَا عَشْرَةَ فِي كُلِّ جانِبٍ .

وَجُمْلَةُ العِظَامِ التِي فِي جِسْمِ الإِنْسَانِ مِئَتَانِ وَثَمانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ عَظْماً ، حاشا العَظْمَ الذِي فِي القَلْبِ ، وَالعِظَامَ التي حُشِيَ بِها خَلَلُ المَفَاصِلِ ، وَتُسَمَّى

---

(١) ديوانه ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) في اللِّسان « فقر » ٥/ ٣٤٤٥ : وفقار الإنسان سبعٌ .
ولعلَّ صواب العبارة أعلاه : وفقار الإنسان [في الرّقبة سبعٌ ، وفي الظَّهر] سبع عشرةَ فقرةً . كما هو في قول جالينوس الآتي .

السِّمْسِمِيَّةَ ؛ وَإِنَّما سُمِّيَتْ بِالسِّمْسِمِيَّةِ لِصِغَرِها .

قَالَ : وَجَمِيْعُ الثُّقَبِ التي فِي بَدَنِ الإِنْسَانِ اثْنَتَا عَشْرَةَ : العَيْنانِ ، وَالأُذُنانِ ، وَالمِنْخَرانِ ، وَالفَمُ ، وَالثَّدْيَانِ ، وَالفَرْجَانِ ، والسُّرَّةُ ؛ حَاشَا الثُّقَبَ الصِّغَارِ ، التِي تُسَمَّى المَسَامَّ ، وَهِيَ التِي يَخْرُجُ مِنْها العَرَقُ ، فإِنَّها لا تَكادُ تَنْحَصِرُ .

● رُوِيَ[1] أَنَّ عُتْبَةَ بن أَبي سُفْيان ، وَلَّى رَجُلاً من أَهْلِه عَلَى الطَّائِفِ ، فَظَلَمَ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ ، فَأَتَى الأَزْدِيُّ عُتْبَةَ ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيْرَ[2] : [من البسيط]

أَمَرْتَ مَن كان مَظْلُوماً لِيَأْتِيَكُمْ ... فَقَدْ أَتَاكَ غَرِيْبُ الدَّارِ مَظْلُومُ

ثُمَّ ذَكَرَ ظُلامَتَهُ بِعُنْجُهِيَّةٍ وَجفاءٍ ؛ فَقالَ لَهُ عُتْبَةُ : إِنِّي أَراكَ أَعْرابيّاً جافِياً ، وَاللهِ ما أَحْسَبُكَ تَدْرِي كَمْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ من رَكْعَةٍ بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ؟ فَقَالَ الأَزْدِيُّ : أَرَأَيْتَكَ إِنْ أَنْبَأْتُكَ بِهَا ، أَتَجْعَلُ لِي عَلَيْكَ مَسْأَلَةً ؟ قَالَ عُتْبَةُ : نعم . فَقَالَ : [من الرجز]

إِنَّ الصَّلاةَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُ ... ثُمَّ ثَلاثٌ بَعْدَهُنَّ أَرْبَعُ

ثُمَّ صَلاةُ الفَجْرِ لا تُضَيَّعُ

فَقَالَ عُتْبَةُ : صَدَقْتَ ، ما مَسْأَلَتُكَ ؟ قَالَ : كَمْ فَقَارُ ظَهْرِكَ ؟ قَالَ عُتْبَةُ : لا أَدْرِي ؛ فَقَالَ : أَفَتَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَنْتَ تَجْهَلُ هَذَا من نَفْسِكَ ؟ فَقَالَ عُتْبَةُ : أَخْرِجُوهُ عَنِّي ، وَرُدُّوا عَلَيْهِ غَنَمَهُ وَإِبلَهُ .

---

(١) كامل المبرد ١/ ٤٦٠ والمجالسة ٥/ ٢٨٦ والاقتضاب ١/ ٧٥ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٧/ ١٥٩ . ومختصراً في عيون الأَخبار ٢/ ٦١ والعقد الفريد ٣/ ٤٥٨ .

(٢) ورد البيت في الأُصول نثراً : إِنَّك قد أَمرت من كان مظلوماً أَن يأتيكَ ، فقد أَتاك مظلومٌ غريب الدِّيار . والمثبت من مصادر الخبر .

● والإِبلُ تَعرفُ من الغُرابِ ذَلِكَ ، فَهِيَ تَخافُهُ ، وَتَحْذَرُهُ ؛ وَهُوَ الذِي تُسَمِّيْهِ العَرَبُ : الأَعْوَرَ ، وَتَتَشاءَمُ بِهِ .

وَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَيْهِ فِي « بابِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ » إن شاء الله تعالى .

٣٥١ الدُّئِلُ : بِضَمِّ الدَّالِ ، وَكَسْرِ الهَمْزَةِ : دَابَّةٌ شَبِيهَةٌ بابنِ عِرْسٍ ، وَكَانَ من حَقِّهِ أَنْ يُكْتَبَ فِي أَوَّلِ الباب[١] ، وَإِنَّمَا أَخَّرْناهُ لأَنَّهُ يُكْتَبُ فِي الرَّسْمِ بالياءِ ؛ قَالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ الأَنْصارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٢] : [من المنسرح]

جَاؤُوا بِجَيْشٍ لو قِيْسَ مُعْرَسُهُ ... مَا كانَ إِلاَّ كَمُعْرَسِ الدُّئِلِ

أَرادَ مَوْضِعَ نُزُولِهِمْ لَيْلاً كَبَيْتِ ابْنِ عِرْسٍ .

قَالَ أَحْمَدُ بن يَحْيَى : ما نَعْلَمُ اسْماً جاءَ عَلَى فُعِلٍ غَيْرَ هَذَا .

قَالَ الأَخْفَشُ : وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيّ قَاضِي البَصْرَةِ ، إِلاَّ أَنَّهُمْ فَتَحُوا الهَمْزَةَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي النِّسْبَةِ ، اسْتِثْقالاً لِتَوَالِي الكَسْرَتَيْنِ مَع ياءِ النَّسَبِ ، كَمَا نَسَبُوا إِلى نَمِرَةٍ : نَمَرِيّ[٣] ، وإِلى مَلِكٍ مَلَكِيّ .

● وَاسْمُ أَبِي الأَسْوَدِ[٤] : ظَالِم بن عَمرو بن سُفيان بن عمرو ؛ وَفِي اسْمِهِ وَنَسَبِهِ اخْتِلافٌ كَثِيْرٌ ؛ وَكَانَ من سَادَاتِ التَّابِعِيْنَ وأَعْيَانِهِم .

يَرْوِي عن عَلِيٍّ ، وَأَبِي مُوْسَى ، وَأَبِي ذَرٍّ ، وَعِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم أَجْمَعِيْنَ .

---

(١) هو كذلك في ب .

(٢) ديوانه ٢٥١ .

(٣) إلى هنا عن الصِّحاح « دأل » ٤/ ١٦٩٤ .

(٤) **ترجمته في** : طبقات ابن سعد ٩/ ٩٨ والمعارف ١٩٢ والأغاني ١٢/ ٢٩٧ ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣٥ وإنباه الرُّواة ١/ ١٣ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٤٦٤ ومختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢٢١ وسير أعلام النُّبلاء ٤/ ٨١ والوافي بالوفيات ١٦/ ٥٣٣ .

وَصَحِبَ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَشَهِدَ مَعَهُ وَقْعَةَ صِفِّيْنَ ، وَهُوَ بَصْرِيٌّ .

وَكَانَ من أَكْمَلِ الرِّجَالِ رَأْياً ، وَأَسَدِّهِمْ عقْلاً ؛ وَيُعَدُّ من الشُّعَرَاءِ ، وَالمُحَدِّثِيْنَ ، وَالبُخَلاءِ ، وَالفُرْسَانِ ، وَالبُخْرِ ، وَالعُرْجِ ، وَالمَفَالِيْجِ ، وَالنَّحْوِيِّيْنَ[1] .

وَهُوَ أَوَّلُ من وَضَعَ النَّحْوَ ؛ فَقِيْلَ : إِنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ وَضَعَ لَهُ : الكَلامُ كُلُّهُ ثَلاثَةُ أَضْرُبٍ : اسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : تَمِّمْ عَلَى هَذَا .

وَسُمِّيَ النَّحْوُ نَحْواً ، لأَنَّ أَبَا الأَسْوَدِ قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ فِي أَنْ أَضَعَ نَحْوَ ما وَضَعَ ، فَسُمِّيَ لِذَلِكَ نَحْواً .

وَهُوَ[2] القائِلُ لِبَنِيْهِ : لا تُجاوِدُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، فإِنَّهُ أَجْوَدُ وَأَمْجَدُ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ لَفَعَلَ ، فَلا تُجْهِدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي التَّوْسِعَةِ عَلَى النَّاسِ فَتَهْلِكُوا هُزْلاً .

● وَهُوَ صاحِبُ نَوادِرَ ، فَمِنْها : أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ : مَن يُعَشِّي الجائِعَ ؟ فَدَعاهُ وَعَشَّاهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ السائِلُ لِيَخْرُجَ ، قَالَ لَهُ : هَيْهَاتَ ، إِنَّما أَطْعَمْتُكَ عَلَى أَنْ لا تُؤْذِيَ المُسْلِمِيْنَ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الأَدْهَم حَتَّى أَصْبَحَ . وَالأَدْهَمُ : القَيْدُ .

وَمِنْها : أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنَّكَ ظَرْفُ عِلْمٍ ، وَوِعاءُ حِلْمٍ ، غَيْرَ أَنَّكَ بَخِيْلٌ ، فَقَالَ : لا خَيْرَ فِي ظَرْفٍ لا يُمْسِكُ ما فِيهِ .

وَمِنْها : أَنَّهُ اشْتَرَى حِصَاناً بِتِسْعَةِ دَنانِيرَ ، وَاجْتَازَ بِهِ عَلَى رَجُلٍ أَعْوَرَ ، فَقَالَ : بِكَمِ اشْتَرَيْتَهُ ؟ فَقَالَ : قَوِّمْهُ ؛ فَقَالَ : قِيْمَتُهُ أَرْبَعَةُ دَنانِيْرَ وَنِصْف ؛

---

(١) البرصان والعرجان ١٨٥ و٤٦١ .

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٥٣٩ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٤٦٨ والوافي ١٦/ ٥٣٨ .

فَقَالَ : مَعذُورٌ أَنْتَ ، لأَنَّكَ نَظَرْتَهُ بِعَيْنٍ واحِدَةٍ ، فَقَوَّمْتَهُ بِنِصْفِ قِيْمَتِهِ ، وَلَوْ نَظَرْتَهُ بِالعَيْنِ الأُخْرَى ـ لَوْ كانَتْ صَحِيْحَةً ـ لَقَوَّمْتَهُ بِبَقِيَّةِ القِيْمَةِ .

وَمَضَى إِلى دارِهِ وَنَامَ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ سَمِعَهُ يَقْضَمُ ، فَقَالَ : ما هَذَا ؟ قَالُوا : الفَرَسُ يَأْكُلُ شَعِيْرَهُ . فَقَالَ : لا أَتْرُكُ فِي مَالِي مَن أَنامُ وَهُوَ يَمْحَقُهُ وَيُتْلِفُهُ ، وَلا أَتْرُكُ إِلاّ ما يَزِيْدُهُ وَيُنَمِّيْهِ ؛ فَبَاعَهُ ، وَاشْتَرَى بِثَمَنِهِ أَرْضاً لِلزِّراعَةِ .

وَمِنْها[1] : أَنَّ جِيْرانَهُ بَالبَصْرَةِ كَانُوا يُخالِفُونَهُ فِي الاعْتِقَادِ ، وَيُؤْذُونَهُ ، وَيَرْجُمُونَهُ فِي اللَّيْلِ بِالحِجَارَةِ ، وَيَقُولُونَ لَهُ : إِنَّما يَرْجُمُكَ اللهُ تَعالَى ؛ فَيَقُولُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ، لو رَجَمَنِي اللهُ لأَصابَنِي ، وَأَنْتُمْ تَرْجُمُونِي فَلا تُصِيْبُونِي ؛ ثُمَّ بَاعَ الدَّارَ ؛ فَقِيْلَ لَهُ : بِعْتَ دارَكَ ؟ فَقَالَ : بَلْ بِعْتُ جَارِي ؛ فَأَرْسَلَها مَثَلاً .

● وَهَذَا عَكْسُ ما جَرَى لأَبِي الجَهْمِ العَدَوِيِّ[2] : فإِنَّهُ بَاعَ دارَهُ بِمِئَةِ أَلف دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ : بِكَمْ تَشْتَرُونَ جِوارَ سَعيد بن العاص ؟ فَقَالُوا : وَهَلْ يُشْتَرَى جِوارٌ قَطُّ ؟ قَالَ : رُدُّوا عَلَيَّ دَارِي ، وَخُذُوا دَراهِمَكُمْ ، وَاللهِ لا أَدَعُ جِوارَ رَجُلٍ ، إِنْ بَعُدْتُ سَأَلَ عَنِّي ، وَإِنْ رآنِي رَحَّبَ بي ، وإِنْ غِبْتُ حَفِظَنِي ، وَإِنْ شَهِدْتُ قَرَّبَنِي ، وَإِنْ سَأَلتُه أَعْطَانِي ، وإِنْ لَمْ أَسْأَلْهُ ابْتَدَأَنِي ، وَإِنْ نابَتْنِي جائِحَةٌ فَرَّجَ عَنِّي ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيْداً ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

● وَمِنْها[3] : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مُعاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يَوْماً ، فَبَيْنَما هُوَ يُخاطِبُه إِذْ ضَرَطَ أَبُو الأَسْوَدِ ، فَضَحِكَ مُعاوِيَةُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِير المُؤْمِنِين ، لا تُخْبِرْ بِهَا أَحَداً ؛ فَلَمّا خَرَجَ من عِنْدِهِ دَخَل عَمرو بن العاص ، فَأَخْبَرَهُ مُعاوِيَةُ

---

(١) معجم الأدباء ٤/ ١٤٧٠ وإنباه الرُّواة ١/ ٢١ ـ ٢٢ ووفيات الأَعيان ٢/ ٥٣٣ ومختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢٢٩ والأغاني ١٢/ ٣١٨ .

(٢) ربيع الأَبرار ١/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ونثر الدُّرّ ٧/ ١٧٤ والمستجاد ١٥٣ وشرح نهج البلاغة ١٧/ ٩ والتَّذكرة الحمدونيّة ٢/ ٢٧٢ وثمرات الأَوراق ٣١٦ ووفيات الأَعيان ٢/ ٥٣٥ .

(٣) معجم الأُدباء ٤/ ١٤٦٩ والأغاني ١٢/ ٣٠٩ والوافي بالوفيات ١٦/ ٥٣٩ .

بمَا كان من أَبي الأَسْوَدِ ، فَلَمّا رآهُ عَمْرٌو قَالَ لَهُ : يا أبا الأسودِ ، ضَرَطْتَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ ؟ فَلَمّا دَخَلَ عَلى مُعاوية قَالَ لَهُ : أَلَمْ أَسْأَلْكَ أَنْ لا تُخْبِرَ بها أَحَداً ؟ فَقَالَ لَهُ مُعاويةُ : ما عَلِمَ بها إلاّ عَمْرٌو ، فقَالَ : إيّاهُ كُنْتُ أَحْذَرُ ، وَلَكِنْ فَأَنْتَ لا تَصْلُحُ لِلْخِلافَةِ . قَالَ : كَيْفَ ؟ قَالَ : إذا لَمْ تكُنْ لَكَ أَمانَةٌ عَلى ضَرْطَةٍ ، فَكَيْفَ تُؤَمَّنُ عَلَى أَمْوالِ المُسْلِمِيْنَ وَدِمائِهِم ؟ فَضَحِكَ مُعاوية وَوَصَلَهُ .

وَمِنْها : أَنَّهُ قِيْلَ لَهُ : هَلْ شَهِدَ مُعاويةُ بَدْراً ؟ قَالَ : نَعم ، لَكِنْ من ذَلِكَ الجانِبِ .

وَكَانَ[1] أَبُو الأَسْوَدِ يُعَلِّمُ أَولاد زِياد بن أَبيهِ وَالِي العِراقَيْنِ ، فَخَاصَمَتْهُ امْرَأَتُهُ إلى زيادٍ في وَلَدِها ، وَقَالَتْ : إِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَغْلِبَنِي عَلَى وَلَدِي ، وَقَدْ كان بَطْنِي لَهُ وِعاءً ، وَثَدْيي لَهُ سِقَاءً ، وَحِجْرِي لَهُ وِطَاءً ؛ فَقَالَ أَبُو الأَسود : بِهَذا تُرِيْدِيْنَ أَنْ تغلِبِينِي عَلَى وَلَدِي ، وقد حَمَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلِيْه ، وَوَضَعْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَضَعِيْه ؛ فَقَالَتْ : وَلا سَواءَ ، إِنَّكَ حَمَلْتَهُ خِفّاً وَحَمَلْتُهُ ثِقْلاً ، وَوَضَعْتَهُ شَهْوَةً وَوَضَعْتُهُ كُرْهاً . فَقَالَ لَهُ زِيادٌ : إِنِّي أَرَى امْرَأَةً عاقِلَةً ، فَادْفَعْ ابْنَها إِلَيْهَا ، فَأَخْلِقْ أَنْ تُحْسِنَ أَدَبَهُ .

● تُوُفِّيَ أَبُو الأَسْوَدِ بالبَصْرَةِ ، فِي طَاعُونِ الجارِفِ ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّيْنَ ، وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَثَمانُونَ سَنَةً .

وَهَذَا الطَّاعُونَ كان بالبَصْرَةِ ، مَاتَ فِيهِ سَراةُ النَّاسِ ؛ قِيْلَ : إِنَّهُ مَاتَ فِيْهِ لأَنس بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ثَلاثُونَ وَلَداً ؛ وَاللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

---

(١) الأغاني ١٢/ ٣٢٣ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٤٦٩ والوافي ١٦/ ٥٣٨ .

بَابُ الذَّالِ المُعْجَمَةِ

٣٥٢ ذُؤَالَةُ : اسْمٌ لِلذِّئْبِ ، كَأُسامَةَ لِلأَسَدِ ، وَهُوَ مَعْرِفَةٌ ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ يَذْأَلُ فِي مِشْيَتِهِ ؛ من الذَّأَلانِ ، وَهُوَ المَشْيُ الخَفِيْفُ .

● وَفِي الحَدِيثِ[١] : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِجارِيَةٍ سَوْدَاءَ تُرَقِّصُ صَبِيّاً لَهَا ، وَتَقُولُ[٢] : [من الرَّجز]

ذُؤَالَ يَـــا ابْــنَ القَـــرْمِ يَـــا ذُؤَالَـــهْ

فَقَالَ ﷺ: « لا تَقُولِي ذُؤَالَ ، فَإِنَّهُ شَرُّ السِّباعِ » . وَذُؤَالُ : تَرْخِيْمُ ذُؤَالَةَ . وَالقَرْمُ : السَّيِّدُ .

٣٥٣ الذُّبابُ : مَعْرُوفٌ ، واحِدَتُهُ ذُبابَةٌ ، وَلا تَقُلْ : ذِبَّانَةٌ ؛ وَجَمْعُهُ فِي القِلَّةِ : أَذِبَّةٌ ؛ وَفِي الكَثْرَةِ : ذِبَّانٌ ؛ بِكَسْرِ الذَّالِ ، وَتَشْدِيْدِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ ، وَبالنُّونِ في آخِرِهِ ، كَغُرابٍ وَأَغْرِبَةٍ وَغِرْبانٍ ، وَقُرادٍ وَأَقْرِدَةٍ وَقِرْدانٍ . قَالَ النَّابِغَةُ[٣] : [من الرجز]

يَـــا أَوْهَـــبَ النّـــاسِ لِعَنْـــسٍ صُلْبَـــهْ ضَـــرَّابَـــةٍ بِـــالمِشْفَـــرِ الأَذِبَّـــهْ

---

(١) عن النِّهاية ٢/ ١٥١ و ١/ ٢١١ .

(٢) الشَّطر في النِّهاية ٢/ ١٥١ بلا نسبة ، وتمامُهُ فيه ١/ ٢١١ : × يمشي الثَّطا ويجلسُ الهَبَنْقَعَهْ .

(٣) هو الذُّبيانيُّ ، والشَّطران وبينهما آخر في التَّاج « ذبب » ٢/ ٤٢٥ والتَّكملة ١/ ١٢٧ . ورواية الأَول في الأُصول :

يـــا واهـــبَ النَّـــاسِ بَعيـــراً صُلْبَـــهْ

وليسا في ديوانه . والشَّطر الثَّاني وحده في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « ذبب » .

وَلا يُقَالُ : ذُباباتٌ إلاّ فِي الدُّيُونِ ؛ قَالَ الرَّاجِزُ[١] :

أَوْ يَقْضِـــيَ اللهُ ذُبــابـــاتِ الـــدَّيْـــنْ

وَأَرْضٌ مَذَبَّةٌ ، بفَتْحِ المِيْمِ وَالذَّالِ : أَي ذَاتُ ذُبابٍ . وَقَالَ الفَرَّاءُ : أَرْضٌ مَذْبُوبَةٌ ، كَمَا يُقَالُ : أَرْضٌ مَوْحُوشَةٌ : أَيْ ذَاتُ وُحُوشٍ[٢] .

وَسُمِّيَ ذُباباً : لِكَثْرَةِ حَرَكَتِهِ وَاضطرابِهِ ؛ وَقِيلَ : لأَنَّهُ كُلَّمَا ذُبَّ آبَ[٣] . وَكُنْيَتُهُ[٤] : أَبُو جَعْفَر ، وَأَبُو حَكِيمٍ ، وَأَبُو الخَدُوشِ .

وَالذُّبابُ أَجْهَلُ الخَلْقِ ، لأَنَّهُ يُلْقِي نَفْسَهُ فِي الهَلَكَةِ .

● قَالَ الجَوْهَرِيُّ : يُقَالُ : لَيْسَ شَيْءٌ من الطُّيُورِ يَلَغُ إلاّ الذُّبابُ .

● وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ » فِي « العَنْكَبُوتِ » من قَوْلِ أَفلاطُونَ : إِنَّ الذُّبابَ أَحْرَصُ الأَشْيَاءِ ؛ وَلَمْ يُخْلَقْ لِلذُّبابِ أَجْفَانٌ لِصِغَرِ أَحْدَاقِها ؛ وَمِنْ شَأْنِ الأَجْفَانِ أَنْ تَصقلَ مِرْآةَ الحَدَقَةِ من الغُبَارِ ، فَجَعَلَ اللهُ لَهَا عِوَضاً من الأَجْفَانِ يَدَيْنِ تَصْقُلُ بِهِمَا مِرْآةَ حَدَقَتِها ؛ فَلِهَذَا تَرَى الذُّبابَ أَبَداً يَمْسَحُ بِيَدَيْهِ عَيْنَيْهِ . وهُوَ أَصْنافٌ كَثِيْرَةٌ ، مُتَوَلِّدَةٌ من العُفُونَةِ .

● قَالَ الجاحِظُ[٥] : الذُّبَابُ عِنْدَ العَرَبِ يَقَعُ عَلَى الزَّنابِيْرِ ، وَالنَّحْلِ ، وَالبَعُوضِ بِأَنْواعِهِ كَالبَقِّ وَالبَراغِيْثِ والقَمْلِ والصُّؤَابِ والنَّامُوسِ والفَرَاشِ

---

(١) الشَّطر بلا نسبة في الصِّحاح واللِّسان « ذبب » .

(٢) إلى هنا عن الصِّحاح .

(٣) في تاج العروس ٢/٢٤١ : قال الدَّميريّ في حياة الحيوان : سُمِّيَ ذُباباً لكثرة حركته واضطرابه ، أَو لأَنَّهُ كلَّما ذُبَّ آب . قال :

إِنَّمـــا سُمِّـــيَ الـــذُّبـــابُ ذُبـــابـــاً حيـــثُ يَهـــوي وكلَّمـــا ذُبَّ آبـــا

(٤) المرصع ١٢٠ و ١٣٨ و ١٥٢ و ٣٦٣ .

(٥) ينظر الحيوان ٣/ ٣٠٥ و ٣١٤ و ٣٥١ و ٣٥٥ .

والنَّمْلِ ؛ وَالذُّبَابُ المَعْرُوفُ عِنْدَ الإِطْلاقِ العُرْفِيِّ ؛ وَهُوَ أَصْنافٌ : النُّعَرُ ، وَالقَمَعُ ، وَالخازِبازُ ، وَالشَّعْرَاءُ ، وَذُبابُ الكِلابِ ، وَذُبابُ الرِّيَاضِ ، وَذُبابُ الكَلأِ .

وَالذُّبَابُ الَّذِي يُخالِطُ النَّاسَ ، يُخْلَقُ من السِّفَادِ ، وَقَدْ يُخْلَقُ من الأَجْسَامِ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّ الباقِلاَّءَ إذا عَتَقَ فِيْ مَوْضِعٍ ، اسْتَحَالَ كُلُّهُ ذُباباً وَطَارَ من الكُوَى التِي في ذَلِكَ المَوْضِعِ ، وَلا يَبْقَى فِيْهِ غَيْرُ القِشْرِ . انتهى .

● رَوَى « الحاكِمُ »[1] عن النُّعْمَانِ بن بَشِيْرٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « أَلا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ من الدُّنْيَا إِلاَّ مِثْلُ الذُّبابِ تَمُورُ فِي جَوِّها ، فَاللهَ اللهَ فِي إِخْوانِكُمْ من أَهْلِ القُبُورِ ، فإِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيْهِم » .

وَمَعْنَى تَمُورُ : تَذْهَبُ وَتَجِيءُ ؛ وَالجَوُّ : ما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ .

● وَفِي « مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى المَوْصِلِيّ »[2] من حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « عُمْرُ الذُّبابِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، وَالذُّبابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلاَّ النَّحْل » .

وَهُوَ فِي « الكامِلِ »[3] فِي تَرْجَمَةِ عَمْرو بن شَقِيق ، عن مُجاهد ، عن ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الذُّبابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلاَّ النَّحْل » . قِيْلَ : كَوْنُهُ فِي النَّارِ لَيْسَ بِعَذَابٍ لَهُ ، وَإِنَّما لِيُعَذَّبَ بِهِ أَهْلَ النَّارِ بِوُقُوعِهِ عَلَيهِم .

---

(١) المستدرك ٤/ ٣٠٧ .

(٢) مسند أَبي يعلى ٧/ ٢٣٠ والحيوان ٣/ ٣٩٢ .

(٣) الكامل في الضُّعفاء ١/ ٤٦٠ ترجمة إسماعيل بن مسلم . وميزان الاعتدال ١/ ٢٤٩ و ٢٨٦ ولسان الميزان ٢/ ٢٣٩ والحيوان ٣/ ٣٩٢ .

● وَرَوَى « النَّسائيُّ » و« الحاكِمُ »[1] عن أَبي المَلِيحِ ، عن أَبيهِ أُسامَة بن عُمير بن عامِرِ الأُقَيْشَر الهُذَليّ البَصْرِيّ ، قَالَ : كُنْتُ رَدِيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَعَثَرَ بَعِيْرُنا ، فَقُلْتُ : تَعِسَ الشَّيْطَانُ ؛ فَقَالَ ﷺ : « لا تَقُلْ : تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، فإِنَّهُ يَعْظُمُ حَتّى يَصِيرَ مِثْلَ البَيْتِ ، وَيَقُولُ : بِقُوَّتِي ؛ وَلَكِنْ قُلْ : بِسْمِ اللهِ ، فإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبابَةِ » .

وَرَواهُ « أَبُو داود »[2] عن أَبي المَلِيحِ ، عن رَجُلٍ ، قَالَ : كُنْتُ رَدِيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَعَثَرَتْ دابَّتُهُ ، فَقُلْتُ : إلخ .

وَرَواهُ ابْنُ السُّنِّيِّ[3] كَمَا رَوَاهُ النَّسائيُّ الحاكِمُ ، وَصَرَّحَ فِيهِ بِأَنَّ أَبَا المَلِيحِ رَواهُ عن أَبِيْهِ أُسامة بن مالِكٍ ، وَكِلْتَا الرِّوايَتَينِ صَحِيحةٌ ، فإِنَّ الرَّجُلَ المَجْهُولَ فِي روايَةِ أَبِي داوُد صَحَابيٌّ ، وَالصَّحابَةُ كُلُّهُمْ عُدولٌ ، لا تَضُرُّ الجَهَالَةُ بِأَعْيَانِهِمْ .

وَقَالَ الإِمامُ العَلاَّمَةُ الذَّهبِيُّ : الرَّجُلُ المَجْهُولُ المُبْهَمُ أَبُو عَزَّةَ .

وَرَواهُ خَالد الحَذَّاء ، عن أَبي تَمِيمَةَ الهُجَيْميّ ، عن أَبِيهِ مُجالِدٍ[4] ، قَالَ : « كُنْتُ رَدِيفاً للنَّبِيِّ ﷺ ، فَعَثَرَتِ النَّاقَةُ » إلى آخِرِهِ . كَذَا هُوَ فِي « أُسْدِ الغَابَةِ »[5] فِي ذِكْرِ المَنْسُوبِينَ إِلى القَبَائِلِ .

وَأَمَّا قَوله : تَعس ؛ فقِيل : مَعناهُ : هَلَكَ ، وَقِيلَ : سَقَطَ ، وَقِيلَ :

---

(١) المستدرك ٤/ ٢٩٢ والنَّسائيّ في عمل اليوم واللَّيلة (٥٥٤ ـ ٥٥٦) وأُسد الغابة ١/ ٨٢ و ٦/ ٤٠٤ ومسند أَحمد ٥/ ٥٩ و ٧١ و ٣٦٥ .

(٢) أَبو داود (٤٩٨٢) .

(٣) عمل اليوم واللَّيلة لابن السُّنِّيّ (٥٠٩) .

(٤) في ط : عن أَبيه خالد . وفي أ ، ب : عن أبي خالد . وكلّه خطأ . صوابه من أُسد الغابة ٦/ ٤١ حيث ترجمة أَبي تميمة ، واسمه طريف بن مجالد الهُجيميّ .

(٥) أُسد الغابة ٦/ ٤٠٤ .

عَثَرَ ، وَقِيلَ : لَزِمَهُ الشَّرُّ ؛ وَتَعس : بِفَتْحِ العَيْنِ وَكَسْرِها ، وَالفَتْحُ أَشْهَرُ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الجوهرِيُّ غيرَ الفَتْحِ[1] .

● وَرَوَى « الطَّبرانيُّ »[2] وابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، من حَدِيْثِ أَبِي أُمامَةَ رَضِيَ الله تعالى عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « وُكِّلَ بِالمُؤْمِنِ مِئَةٌ وَسِتُّونَ مَلَكاً ، يَذبُّونَ عَنْهُ ما لَمْ يُقَدَّرْ عَلَيْهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ سَبْعَةُ أَمْلاكٍ يَذبُّونَ عنه كَمَا يُذَبُّ عن قَصْعَةِ العَسَلِ الذُّبابُ فِي اليَوْمِ الصَّائِفِ ؛ وَلو بَدَوْا لَكُمْ لَرَأَيْتُمُوهُمْ عَلَى كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ ، كُلٌّ باسِطٌ يَدَهُ ، فاغِرٌ فَاهُ ؛ وَلَوْ وُكِّلَ العَبْدُ إِلى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، لاخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِيْنُ » .

● وَالعَرَبُ تَجْعَلُ الذُّبابَ والفَراشَ والنَّحْلَ والدَّبْرَ وَنَحْوَها كُلَّها واحِداً ، كَمَا تَقَدَّمَ .

وَجَالِيْنُوس يَقُولُ : إِنَّهُ أَلْوانٌ ؛ فَلِلإِبِلِ ذُبابٌ ، وَلِلْبَقَرِ ذُبابٌ ، وَأَصْلُهُ دُودٌ صِغارٌ يَخْرُجُ من أَبْدَانِهِنَّ ، فَيَصِيْرُ ذُباباً وَزَنابِيْرَ ؛ وَذُبابُ النَّاسِ يَتَوَلَّدُ من الزِّبْلِ .

وَيَكْثُرُ الذُّبابُ إِذا هاجَتْ رِيْحُ الجَنُوبِ ، وَيُخْلَقُ فِي تِلْكَ السّاعَةِ ، وَإِذا هَبَّتْ رِيْحُ الشِّمَالِ ، خَفَّ وَتَلاشَى ، وَهُوَ من ذَواتِ الخَراطِيمِ كَالبَعُوضِ . انتهى .

وَمِن عَجِيبِ أَمْرِهِ أَنَّهُ يُلْقِي رَجِيْعَهُ عَلَى الأَبْيَضِ أَسْوَدَ ، وَعَلَى الأَسْوَدِ أَبْيَضَ ؛ وَلا يَقَعُ عَلَى شَجَرَةِ اليَقْطِيْنِ ، وَلِذَلِكَ أَنْبَتَها اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ يُونس عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ؛ لأَنَّهُ حينَ خَرَجَ من بَطنِ الحُوتِ ، لو وَقَعَتْ عَلَيْهِ ذُبابَةٌ لآلَمَتْهُ ؛ فَمَنَعَ اللهُ عنه الذُّبابَ بِذَلِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تَصَلَّبَ جِسْمُهُ .

---

(١) الصِّحاح « تعس » ٣/ ٩١٠ .

(٢) المعجم الكبير ٨/ ١٦٧ رقم (٧٧٠٤) .

وَلا يَظْهَرُ كَثِيراً إلاَّ فِي الأَماكِنِ العَفِنَةِ ، وَمَبْدَأُ خَلْقِهِ مِنْها ثُمَّ من السِّفادِ ؛ وَرُبَّما بَقِيَ الذَّكَرُ عَلَى الأُنْثى عامَّةَ اليَوْمِ .

وَهُوَ من الحَيَواناتِ الشَّمْسِيَّةِ ، لأَنَّهُ يَخْفَى شِتاءً وَيَظْهَرُ صَيْفاً .

وَبَقِيَّةُ أَنْواعِهِ كَالنَّامُوسِ والفَرَاشِ والنُّعَرِ والقَمَعِ وَغَيْرِها سَتُذْكَرُ فِي أَبْوابِها إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي العَلاءِ المَعَرّيّ ـ وَوَفاتُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وأربعمئة[1] ـ : [مِنَ الكامِل]

يَاطَالِبَ الرِّزْقِ الهَنِيِّ بِقُوَّةٍ ... هَيْهَاتَ أَنْتَ بِبَاطِلٍ مَشْغُوفُ
رَعَتِ الأُسُودَ بِقُوَّةٍ جِيَفَ الفَلا ... وَرَعَى الذُّبابُ الشَّهْدَ وَهْوَ ضَعيفُ

● وَلِمُحَمَّد الأَندلسيّ فِي المَعْنَى[2] : [من الرمل]

مَثَلُ الرِّزْقِ الذي تَطْلُبُهُ ... مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكْ
أَنْتَ لا تُدْرِكُهُ مُتَّبِعاً ... فَإِذا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكْ

● وَفِي المَعْنَى أَيْضاً لأَبِي الخَيْرِ الكاتِبِ الواسِطِيِّ[3] : [من الوافر]

جَرَى قَلَمُ القَضَاءِ بِمَا يَكُونُ ... فَسِيّانَ التَّحَرُّكُ وَالسُّكُونُ
جُنُونٌ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ ... وَيُرْزَقُ فِي غِشَاوَتِهِ الجَنِينُ

● وَقَدْ أَجادَ الأَمِيرُ سَيْفِ الدِّيْنِ عليّ بن قِلِيج الظَّاهريّ[4] ، فِي التَّحْذِيْرِ من احْتِقَارِ العَدُوِّ ، بِقَوْلِهِ : [من البسيط]

---

(١) ليسا في دواوينه .

(٢) هو محمَّد بن إدريس ، المعروف بمرج الكحل ، والبيتان له في الإحاطة ٢/ ٣٤٧ ونفح الطِّيب ٥/ ٩٤ . وبلا نسبة في المستطرف ٣/ ٣٥٠ .

(٣) هما له في وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٣ و٦/ ١٧٢ .

(٤) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٩٤ والدارس ١/ ٥٦٩ .

لا تَحْقِـــرَنَّ عَـــدُوّاً لانَ جـــانِبُـــهُ وإِنْ تَـراهُ ضَعِيـفَ البَطْـشِ والجَلَـدِ
فَلِلـذُّبـابَـةِ فِـي الجُـرْحِ المُمِـدِّ يَـدٌ تَنَـالُ مـا قَصَّـرَتْ عَنْـهُ يَـدُ الأَسَـدِ

● وَفِي « تارِيْخِ ابْنِ خلِّكان »[1] ، فِي تَرْجَمَةِ الإمامِ يُوسف بن أَيُّوب بن وَهرة الهَمْذانيّ الزَّاهِدِ ، صاحِبِ المَقَاماتِ وَالكَرامَاتِ ، وَالأَحْوالِ الباهِراتِ :

أَنَّهُ جَلَسَ يَوْما لِلوَعْظِ ، فَاجْتَمَعَ إِليهِ العَالَمُ ، فَقَامَ من بينِهِم فَقِيهٌ يُعرفُ بابنِ السَّقَّاءِ ، وآذاهُ ، وَسَأَلَهُ عن مَسأَلَةٍ ، فَقَالَ له الإِمامُ يُوسف : اجلِسْ ، فإِنِّي أَجِدُ من كَلامِكَ رائِحَةَ الكُفْرِ ؛ وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُوتَ عَلَى غَيْرِ دِيْنِ الإِسْلامِ ؛ فَقَدِمَ رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ إِلى الخليفَةِ ، فَخَرَجَ ابْنُ السَّقَّاءِ مَعَ الرَّسُولِ إِلى القُسطنطِينيَّةِ ، فتَنَصَّرَ وَمَاتَ نَصْرانِيّاً .

وَكَانَ ابْنُ السَّقَّاءِ قارِئاً لِلْقُرْآنِ ، مُجَوِّداً فِي تِلاوَتِهِ .

وَحَكَى من رَآهُ بالقُسْطَنطِينِيَّةِ ، قَالَ : رَأَيْتُهُ مَرِيضاً ، مُلقىً عَلَى دِكَّةٍ ، وَبيَدِهِ مِرْوَحَةٌ يَدْفَعُ بها الذُّبَابَ عن وَجْهِهِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : هَلِ القُرْآنُ باقٍ عَلَى حِفْظِكَ ؟ فَقَالَ : ما أَذْكُرُ مِنْهُ إِلاَّ آيَةً واحِدَةً ، وَهِيَ ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر : ٢] وَالباقِي أُنسِيْتُهُ . ا هـ .

نَعُوذُ باللهِ من سَخَطِهِ وَخِذْلانِهِ ، وَنَسْأَلُهُ حُسْنَ الخاتِمَةِ ؛ فانْظُر ـ يَا أَخِي ـ كَيْفَ هَلَكَ هَذَا الرَّجُلُ ، وَخُذِلَ بالانْتِقَادِ وَتَرْكِ الاعْتِقَادِ ؛ نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ ؛ فَعَلَيْكَ ـ يَا أَخِي ـ بالاعْتِقَادِ ، وَتَرْكِ الانْتِقَادِ عَلَى المَشَايِخِ العارِفين ، وَالعُلَمَاءِ العامِلِين ، وَالمُؤمِنِينَ الصَّالِحِينَ ؛ فإِنَّ حِرابَهُمْ مَسْمُومَةٌ ، فَقَلَّ مَن تعَرَّضَ لَهُمْ وَسَلِمَ ، فَسَلِّمْ تَسْلَمْ ، وَلا تَنْتَقِدْ تَنْدَمْ ؛ وَاقْتَدِ بِإِمامِ العارِفِيْنَ ؛ وَرَأْسِ

---

(١) وفيات الأعيان ٧/ ٧٨ والمستطرف ٢/ ٤٠٥ وغربال الزَّمان ٤٢١ . وقارن بما ورد في مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٦ و ١٥/ ٢٩٦ والأغاني ٦/ ١١٣ ومجالس ثعلب ١/ ٢٥ من تَنَصُّرِ الصَّلتِ بن العاصي بن وابصة المخزوميّ .

الصِّدِّيْقِيْنَ ، وَعلاّمَةِ العُلَمَاءِ العامِلِينَ فِي وَقتِه ، الشَّيْخ مُحيي الدِّيْنِ عبدِ القادِرِ الكيلانيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى ، لَمّا عَزمَ عَلَى زِيَارَةِ قُطْبِ الغَوْثِ بِمَكَّةَ ، وَقَالَ رَفِيْقَاهُ ما قالا ، فقَالَ : أَمّا أنا فَذاهِبٌ عَلَى قَدَمِ الزِّيَارَةِ وَالتَّبَرُّكِ ، لا عَلَى قَدَمِ الإِنْكَارِ والامْتِحَانِ ؛ فآلَ أَمْرُهُ إِلى أَنْ قَالَ : قَدَمِي هَذَا عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ ؛ وَآلَ أَمْرُ أَحَدِ رَفِيقَيْهِ إِلى الكُفْرِ ، وَتَرْكِ الإِيْمانِ ، بِالانْتِقادِ وَتَرْكِ الاعْتِقَادِ ، كَمَا اتَّفَقَ فِي هَذِهِ الحِكَايَةِ ، وَآلَ أَمْرُ الآخَرِ إِلى اشْتِغَالِهِ بِالدُّنْيَا ، وَتَرْكِهِ خِدْمَةَ المَوْلَى ، لِقِلَّةِ التَّوْفِيْقِ ؛ فَنَسْأَلُ اللهَ التَّوْفِيْقَ وَالهِدَايَةَ ، وَالإِماتَةَ عَلَى الإِيْمانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَالاعْتِقَادِ الحَسَنِ فِي أَوْلِيائِهِ وَأَصْفِيائِهِ بِمُحَمَّدٍ وآلِهِ .

● حَدَّثَ يَحْيَى بن مُعاذٍ[1] : أَنَّ أَبَا جَعْفر المَنْصُور كان جَالِساً ، فَأَلَحَّ عَلَى وَجْهِهِ ذُبابٌ حَتَّى أَضْجَرَهُ ، فَقَالَ : انْظُرُوا مَن بالبابِ ؟ فَقَالُوا : مُقاتِلُ بن سُلَيْمان ؛ فقال : عليَّ بِهِ ؛ فَلَمَّا دَخلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : هل تَعلَمُ لِمَاذا خَلَقَ اللهُ الذُّبابَ ؟ قَالَ : نَعمْ ، لِيُذِلَّ بِهِ الجَبابِرَةَ ؛ فَسَكَتَ المَنْصُورُ .

● وَمُقاتِلُ بن سُلَيْمانَ : مَشْهُورٌ بِتَفسِيرِ كِتابِ اللهِ العَزِيزِ ، وَأَخْذِ الحَدِيْثِ عن جَماعَةٍ[2] .

● قَالَ[3] الإمامُ الشَّافعيُّ رَضِيَ اللهُ عنه : النّاسُ كُلُّهُم عيالٌ عَلَى ثَلاثةٍ : عَلَى مُقاتِلِ بن سُلَيْمان فِي التَّفْسِيرِ ، وَعَلَى زُهَير بن أَبِي سُلْمَى في الشِّعْرِ ، وَعَلَى أَبِي حَنِيْفَةَ فِي الفِقْهِ .

---

(١) المستطرف ٢/ ٤٨٤ ووفيات الأعيان ٥/ ٢٥٥ وتاريخ بغداد ١٥/ ٢٠٨ وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٣٩ والسّير ٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ . وفي ربيع الأبرار ٥/ ٤٦٠ ، بين أبي الهذيل والمأمون . وسيأتي بعد قليل بين الشّافعي والمأمون .

(٢) **ترجمته في** : تاريخ بغداد ١٥/ ٢٠٧ ووفيات الأعيان ٥/ ٢٥٥ وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٣٤ وسير أعلام النّبلاء ٧/ ٢٠١ .

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٢٠٨ وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٣٦ .

● قَعَدَ[1] مُقاتلُ بن سُلَيْمَانَ يَوْماً فَقَالَ : سَلُونِي ، ما دُونَ العَرْشِ ؟ فقَالَ لَهُ رَجُلٌ : آدَمُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، لَمَّا حَجَّ أَوَّلَ حِجَّةٍ حَجَّها ، مَن حلَقَ رَأْسَهُ ؟ فقَالَ : لَيْسَ هَذَا من عِلْمِكُمْ ، وَلَكِنِّي ابْتُلِيْتُ لَمّا أَعْجَبَتْنِي نَفْسِي .

وَقِيْلَ[2] : إِنَّهُ قِيْلَ لَهُ : الذَّرَّةُ ، أَو النَّمْلَةُ ، أَمْعاؤُها فِي مُقَدَّمِها أَوْ مُؤَخَّرِها ؟ فلَمْ يَدْرِ ما يَقُولُ ، فكَانَتْ عُقُوبَةً عُوقِبَ بِها .

● وَأَنْشَدَ أَبُو عَمْرو بنِ العَلاءِ فِي هَذَا المَعْنَى[3] : [من الخفيف]

مَـنْ تَحَلّـى بِغَيْـرِ مـا هُـوَ فِيـهِ ... فضَحَتْـهُ شَـواهِـدُ الامْتِحَـانِ

وَالعُلَمَاءُ مُخْتَلِفُونَ فِيهِ : فمِنهم من وَثَّقَهُ ، وَمِنْهُمْ من كَذَّبَهُ وَتَرَكَ حَدِيثَهُ .

قِيْلَ : إِنَّهُ كان يَتَكَلَّمُ فِي الصِّفَاتِ بِمَا لا تَحِلُّ الرِّوايَةُ عنه .

وقيل : إِنَّهُ كان يَأْخُذُ عن اليَهُودِ وَالنَّصارَى عِلْمَ القُرْآنِ الَّذِي يُوافِقُ كُتُبَهُمْ ، وَكَانَ مُشَبِّهاً . قَالَهُ ابْنُ خلِّكانَ وَغَيْرُهُ ؛ وَهَذَا لا أَعْتَقِدُ صِحَّتَهُ .

وَتُوُفِّيَ مُقاتِلُ بن سُلَيْمَانَ في سَنَةِ خَمْسِيْنَ وَمِئَة .

● وَفِي « مَناقِبِ الإمامِ الشّافعِيِّ »[4] أَنَّ المَأْمُونَ سَأَلَهُ ، فَقَالَ : لأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ اللهُ الذُّبابَ ؟ فقَالَ : مَذَلَّةً لِلْمُلُوكِ . فَضَحِكَ المَأْمُونُ ، وَقَالَ : رَأَيْتَهُ وَقَدْ وَقَعَ عَلَى جَسَدِي ؟ فقَالَ : نَعم ، وَلَقَدْ سَأَلْتَنِي عنه وَمَا عِندِي جَوابٌ ، فلَمَّا

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٢١١ ووفيات الأَعيان ٥/ ٢٥٥ وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٤٧ وسير ٧/ ٢٠٢ . وفي روايةٍ في تاريخ بغداد ٢١٥ وتهذيب ٤٤٦ أَنَّ السَّائلَ هو قيس القيَّاس . وفي روايةٍ في تهذيب ٤٤٧ أَنَّه يوسف السَّمتيّ .

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٢١٤ و ٢١٥ ووفيات الأَعيان ٥/ ٢٥٦ وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٤٧ و ٤٤٨ وسير ٧/ ٢٠٢ .

(٣) البيت بلا نسبة في المجالسة ٦/ ١١٥ .

(٤) مناقب الشَّافعيّ للبيهقيّ ١٥٦ ـ ١٥٧ والجليسُ والأَنيسُ ٣/ ١٣٠ .

رَأَيْتُهُ قد سَقَطَ مِنكَ بِمَوْضِعٍ لا يَنَالُهُ مِنْكَ أَحَدٌ ، فَتَحَ اللهُ لِي فِيهِ بِالجَوابِ ؛ فَقَالَ : للهِ دَرُّكَ .

● وَفِي « شِفاءِ الصُّدُورِ » و« تارِيْخِ ابْنِ النَّجّارِ » مُسْنَداً : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان لا يَقَعُ عَلَى جَسَدِهِ وَلا ثِيابِهِ ، ذُبابٌ أَصْلاً .

الحُكْمُ : كُلُّ أَنْواعِهِ يُحَرَّمُ أَكْلُها ؛ وَفِيْهِ وَجْهٌ أَنَّهُ يَحِلُّ ، حَكَاهُ الرَّافعيُّ .

وَقَالَ المَاوَرْدِيُّ : وَمِنَ الفُقَهَاءِ من أَبَاحَ الذُّبابَ المُتَوَلِّدَ من مَأْكُولٍ كَالفُولِ وَنَحْوِهِ ؛ وَلَعَلَّ قائِلَ هَذَا القَوْلِ ، هُوَ الَّذِي يَقُولُ بِإِباحَةِ المُتَوَلِّدِ من الفَواكِهِ .

● فَرْعٌ : قَالَ فِي « الإِحْيَاءِ »[1] فِيْ أَوَّلِ كِتَابِ « الحَلالِ والحَرامِ » : لو وَقَعَتْ ذُبَابَةٌ أَوْ نَمْلَةٌ فِي قِدْرِ طَبِيْخٍ ، وَتَهَرَّتْ أَجْزاؤُها لَمْ يُحَرَّمْ أَكْلُ ذَلِكَ الطَّبِيْخِ ، لأَنَّ تَحريمَ أَكْلِ الذُّبَابِ وَالنَّمْلِ وَنَحوهما إِنَّما كان لِلاسْتِقْذارِ ، وَلا يُعَدُّ هَذَا مَسْتَقْذَراً .

قَالَ : وَلَوْ وَقَعَ فِيْهِ جُزْءٌ من لَحْمِ آدَمِيٍّ مَيِّتٍ ، لَمْ يَحُلَّ أَكْلُ ذَلِكَ الطَّبِيْخِ حَتَّى لو كان لَحْمُ الآدَمِيِّ وَزْنَ دانِقٍ ، حُرِّمَ الطَّبِيْخُ لا لِنَجاسَتِه ، فَإِنَّ الآدَمِيَّ المَيِّتَ طاهِرٌ عَلَى الصَّحِيْحِ خِلافاً لأَبِي حَنِيْفَةَ ، وَلَكِنْ لأَنَّ أَكْلَ لَحْمِ الآدَمِيِّ حَرامٌ ، لِحُرْمَتِهِ لا لاسْتِقْذَارِهِ ، بِخِلافِ الذُّبَابِ . هَذَا كَلامُ الغَزاليّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

● قَالَ فِيْ « شَرْحِ المُهَذَّب » : الصَّحِيْحُ المُخْتَارُ أَنَّهُ لا يُحَرَّمُ أَكْلُ الطَّبِيْخِ فِي مَسْأَلَةِ لَحْمِ الآدَمِيِّ ، لأَنَّهُ صَارَ مُسْتَهْلَكاً ، فَهُوَ كَالبَوْلِ وَغَيْرِهِ إِذا وَقَعَ فِي قُلَّتَيْنِ من المَاءِ ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ جَميعِه ، لأَنَّ البَوْلَ صَارَ بِاسْتِهْلاكِهِ كالعَدَمِ .

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٢/ ٨٣ .

● وَرَوَى « البُخارِيُّ » وَ« أَبُو داود » و« النَّسائيُّ » و« ابن ماجه » وَ« ابْنُ خُزَيْمَة » وَ« ابْنُ حِبَّانَ »[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إذا وَقَعَ الذُّبابُ في إناءِ أَحَدِكُمْ ، فَلْيَمْقُلْهُ ؛ فإِنَّ فِي أَحَدِ جَناحَيْه دَاءً ، وَفِي الآخَرِ دَواءً ؛ وَأَنَّهُ يَتَّقِي بِجَناحَيْه الذِي فِيه الدَّاءُ » .

وَفِي رِوايَةِ النَّسائيّ وَابْنِ ماجَه : « إِنَّ أَحَدَ جَناحَي الذُّبابِ سُمٌّ ، وَالآخَرُ شِفَاءٌ ؛ فإذا وَقَعَ فِي الطَّعامِ فَامْقُلُوهُ ، فإِنَّهُ يُقَدِّمُ السُّمَّ ويُؤَخِّرُ الشِّفاءِ » .

● قال الخَطَّابيُّ : وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَى هَذَا الحَدِيثِ بَعْضُ مَن لا خَلاقَ لَهُ ، وَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ هَذَا ؟ وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ الدَّاءُ وَالشِّفَاءُ فِي جَناحَيْ ذُبابَةٍ ؟ وكيفَ تعلمُ ذلكَ في نَفْسها ، حتّى تُقَدِّمَ جَناحَ الدّاءِ وتُؤَخِّرَ جناحَ الشّفاءِ ؟ وما أدّاها إلى ذلك ؟ قَالَ : وَهَذَ سُؤَالُ جَاهِلٍ أَوْ مُتَجاهِلٍ ؛ فإِنَّ الَّذِي يَجِدُ نَفْسَهُ وَنَفْسَ سائِرِ الحَيْوَاناتِ قد جُمِعَ فِيها بَيْنَ الحَرارَةِ والبُرُودَةِ ، وَالرُّطُوبَةِ وَاليُبُوسَةِ ، وَهِيَ أَشْيَاءُ مُتَضادَّةٌ ، إذا تَلاقَتْ تَفاسَدَتْ ، ثُمَّ يَرَى أَنَّ اللهَ قد أَلَّفَ بَيْنَها ، وَقَهَرَها عَلَى الاجْتِماعِ ، وَجَعَلَ مِنْهَا قِوَى الحَيَوانِ التي مِنْها بَقاؤُهُ وَصَلاحُهُ ؛ لَجَدِيرٌ أَنْ لا يُنْكِرَ اجْتِمَاعَ الدّاءِ وَالشِّفَاءِ فِي جُزْأَيْنِ من حَيوانٍ وَاحِدٍ .

وَأَنَّ الذِي أَلْهَمَ النَّحْلَةَ أَنْ تَتَّخِذَ البَيْتَ العَجِيْبَ الصَّنْعَةِ، وَتَعسلَ فِيهِ، وأَلْهَمَ الذَّرَّةَ أَنْ تَكْتَسِبَ قُوَّتَها وَتَدَّخِرَهُ لأَوَانِ حَاجَتِها إِلَيْه ، هُوَ الذِي خَلَقَ الذُّبَابَةَ ، وَجَعَلَ لَهَا الهِدَايَةَ إِلى أَنْ تُقَدِّمَ جَناحاً وَتُؤَخِّرَ جَناحاً ، لِمَا أَرادَهُ من الابْتِلاءِ الذِي هُوَ مَدْرَجَةُ التَّعَبُّدِ ، وَالامْتِحانِ الذِي هُوَ مِضْمَارُ التَّكْلِيْفِ ، وَلَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ وَعُنْوانٌ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة : ٢٦٩ وآل عِمران : ٧] . انتهى .

---

(١) النَّسائيّ (٤٢٦٢) وابن ماجه (٣٥٠٤ و ٣٥٠٥) وابن حبّان (١٢٤٦ و ٥٢٥٠) ومسند أَحمد ٣/ ٢٤ و ٦٧ . ولم أَقف عليه عند البخاري وأَبي داود . والمقلُ : الغمسُ والغوصُ في الماءِ .

● وَقَدْ تَأَمَّلْتُ الذُّبابَ ، فَوَجَدْتُهُ يَتَّقِي بجَناحِهِ الأَيْسَرِ ، وَهُوَ مُناسِبٌ لِلدَّاءِ ، كَمَا أَنَّ الأَيْمَنَ مُناسِبٌ لِلدَّواءِ ؛ وَقَدِ اسْتُفِيْدَ من الحَدِيْثِ أَنَّهُ إذا وَقعَ فِي المائِعِ لا يُنَجِّسُه ، لأَنَّهُ لَيسَ لَهُ نَفسٌ سائِلَةٌ ؛ هَذا هُوَ المَشْهُورُ ؛ وَفِي قَوْلٍ : يُنَجِّسُهُ كَسائِرِ المَيْتاتِ النَّجِسَةِ ؛ وَفِي ثالِثٍ مَخْرَجٌ : أَنَّ ما يَعُمُّ وَقُوعُهُ كَالذُّبابِ وَالبَعُوضِ لا يُنجسُ ، وَمَا لا يَعمُّ كَالخَنافِسِ وَالعَقارِبِ يُنجسُ ، وَهُوَ مُتَّجِهٌ لا مَحِيْدَ عَنْهُ .

وَمَحَلُّ الخِلافِ فِي مَيْتَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ ، أَمّا النّاشِىءُ مِنْهُ كَدُودِ الفَواكِهِ والجُبْنِ والخَلِّ ، فَلا يَنجسُ ما مَاتَ فِيهِ بِلا خِلافٍ . كَذَا قَالَهُ الشَّيْخَانِ وابْنِ الرِّفْعَةِ .

وَحَكَى الدَّارميُّ فِي المَسْأَلَةِ ثَلاثَةَ أَوْجُهٍ : ثالِثُها : الفَرْقُ بَيْنَ الكَثِيْرِ والقَلِيْلِ ، وَمَحَلُّ ذَلِكَ ما لَمْ يَتَغَيَّرْ بِهِ لِكَثْرَتِهِ ؛ فَإِنْ كَثُرَ وَتَغَيَّرَ بِهِ ، فَالأَصَحُّ أَنَّهُ يُنَجِّسُهُ ؛ وَمَحَلُّهُ أَيضاً إذا وَقَعَ فِيْهِ بِنَفْسِهِ ، فَإِذا طُرِحَ فِيْهِ ضَرَّ .

● فَرْعٌ : لو وَقَعَ الزّنبُورُ أَو الفَراشُ أَوِ النَّحْلُ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ فِي الطَّعامِ ، هَلْ يُؤْمَرُ بغَمْسِهِ ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ : « إذا وَقَعَ الذُّبابُ فِي إِناءِ أَحَدِكُمْ » الحَدِيثِ ؟

وَهَذِهِ الأَنْواعُ كُلُّها يَقَعُ عَلَيْها اسْمُ الذُّبابِ في اللُّغَةِ ، كَمَا تَقَدَّمَ نَقْلُهُ عن الجاحِظِ وَغَيْرِهِ .

وَقَدْ قَالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ في العَسَلِ : إِنَّهُ مَذْقَةُ ذُبابَةٍ .

وَرُوِيَ « الذُّبابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلاَّ النَّحْل » كَمَا سَبَقَ ، فَسَمَّى الكُلَّ ذُبابَةً ؛ وإِذا كان كَذَلِكَ ، فَالظَّاهِرُ وُجُوبُ حَمْلِ الأَمْرِ بِالغَمْسِ عَلَى الجَمِيْعِ ، إِلاَّ النَّحْلَ فإِنَّ الغَمْسَ قد يُؤَدِّي إِلى قَتْلِهِ ، وَهُوَ حَرامٌ .

الأَمْثَالُ : قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾ [الحجّ : ٧٣] الآية . مَعْنَى ضَرَبَ : أَثْبَتَ وَأَلْزَمَ نحو : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ [البقرة : ٦١ وآل عِمران : ١١٢]

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الجِزْيَةُ ؛ وَيحتملُ أَنْ يَكُونَ من الضَّرِيْبِ الذِي هُوَ المَثَلُ ؛ وَهَذَا المَثَلُ من أَبْلَغ ما أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي تَجهيلِ قُرَيْشٍ واسْتِركاكِ عُقُولِهم ، وَالشَّهادَةِ عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ خَدَعَهُمْ ، حَيْثُ وَصَفُوا بالإِلَهِيَّةِ التي تَقْتَضِي الاقْتِدارَ عَلَى المَقْدُوراتِ كُلِّها ، وَالإِحاطَةِ بالمَعْلُوماتِ عن آخِرِها ، صُوَراً وَتَماثِيْلَ ؛ وَأَدَلُّ من ذَلِكَ عَلَى عَجْزِهِمْ وانْتِفَاءِ قُدْرَتِهِمْ ، أَنَّ هَذَا الخَلْقَ الأَذَلَّ الأَقَلَّ ، لو اخْتَطَفَ مِنْهُمْ شَيْئاً ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَسْتَخْلِصُوهُ مِنْهُ ، لَمْ يَقْدِرُوا .

● وَعَنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما : أَنَّ الأَصْنامَ كانَتْ ثلاثمئة وَسِتِّيْنِ صَنَماً حَوْلَ الكَعْبَةِ ، وَكَانُوا يُضَمِّخُونَها بأَنْواعِ الطِّيْبِ ، وَيَطْلُونَ رُؤُوسَها بالعَسَلِ ، وَكَانَ الذُّبابُ يَذْهَبُ بِذَلِكَ ، وَكَانُوا يَتَأَلَّمُونَ من هَذِهِ الجِهَةِ ، فَجُعِلَتْ مَثَلاً .

وَقَالُوا : « أَجْرَأُ من ذُبابَةٍ »[١] ، وَ« أَهْوَنُ من ذُبابَةٍ »[٢] ، و« أَطْيَشُ[٣] وَأَخْطَأُ[٤] من الذُّبابِ » . لأَنَّهُ يُلْقِي نَفْسَهُ في الشَّيْءِ الحارِّ ، وَالشَّيْءِ الَّذِي يَلْتَصِقُ بِهِ وَلا يُمْكِنُهُ التَّخَلُّصُ . وَقَالُوا : « أَوغَلُ من ذُبابٍ »[٥] . قَالَ الشَّاعِرُ[٦] : [من الرجز]

أَوْغَلُ فِي التَّطْفِيلِ مِن ذُبابِ ... عَلَى طَعامٍ وَعَلَى شَرابِ
لَوْ أَبْصَرَ الرُّغْفَانَ فِي السَّحَابِ ... لَطَارَ فِي الجَوِّ بِلا حِجَابِ

---

(١) الميداني ١/ ١٨١ والدُّرَّة ١/ ١١٤ والعسكري ١/ ٣٢٧ والزَّمخشريّ ١/ ٤٦ .
(٢) الميداني ٢/ ٤٩ والدُّرَّة ٢/ ٤٢٩ والعسكري ٢/ ٣٥٣ والزمخشري ١/ ٤٤٦ .
(٣) الميدانيّ ١/ ٤٣٨ والدُّرَّة ١/ ٢٨٩ والعسكري ٢/ ٢٣ والزَّمخشري ١/ ٢٣٠ والمؤرّج ٦٣ .
(٤) الميدانيّ ١/ ٢٦١ والدُّرَّة ١/ ١٩٤ والعسكري ١/ ٤٤٠ والزَّمخشري ١/ ١٠١ .
(٥) في الميدانيّ ١/ ٤٤١ والدُّرَّة ١/ ٢٨٤ والزَّمخشريّ ١/ ٢٢٤ : أَطفل من ذبابٍ .
(٦) الأشطار بلا نسبة في الميدانيّ ٢/ ٣٨١ عند شرح المثل « أَوغل من طفيلٍ » . وهي من أُرجوزة لأَبي علي سليمان بن الفتح الموصليّ ، المعروف بابن الزّمكدم ، في تطفيل الخطيب ٨٧ . وعليه فإِنَّ المؤلِّفَ رحمه الله لفَّق بين المثلين أَعلاه ، فلا يُعتدُّ بتلفيقه ! .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ[1] : كان رَجُلٌ من أَهْلِ الكُوفَةِ يُقَالُ لَهُ : طُفَيْلٌ بن زَلاّلٍ ، من بَنِي عَبْدِ اللهِ بن غَطْفان ، وَكَانَ يأْتِي الوَلائِمَ من غَيْرِ أَنْ يُدْعَى إِلَيْها ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : طُفَيْلُ الأَعْراسِ ، وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ لابَسَ هَذَا العَمَلَ فِي الأَمْصَارِ ، فَصَارَ مَثَلاً يُنْسَبُ إِلَيْهِ كُلُّ من يَقْتَدِي بِهِ .

وَقَالُوا : « أَزْهَى من ذُبابَةٍ »[2] . وَقَالُوا : « أَصابَهُ ذُبابٌ لاذِعٌ »[3] . يُضْرَبُ لِمَنْ نَزَلَ بِهِ شَرٌّ عَظِيْمٌ ، يَرِقُّ لَهُ من سَمِعَهُ . وَقَالُوا : « مَا يُساوي مَتْكَ ذُبابٍ »[4] . يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ الحَقِيرِ ؛ وَالمَتْكُ : العِرْقُ الذِي فِي باطِنِ الذَّكَرِ ، وَهُوَ كَالخَيْطِ فِي باطِنِهِ ، عَلَى حَلَقَةِ العِجَانِ .

● وَفِي كِتابِ « النَّصَائِح » لابْنِ ظَفَر ، قَالَ : رَأَيْتُ فِي أَخْبَارِ بَعْضِ المُلُوكِ ، أَنَّ وَزِيْرَهُ أَشَارَ عَلَيْهِ بِجَمْعِ الأَمْوَالِ وادِّخارِها ، وَقَالَ : إِنَّ الرِّجَالَ ، وَإِنْ تَفَرَّقُوا عَنْكَ اليَوْمَ ، مَتَى احتَجْتَهُمْ عَرَضْتَ عَلَيْهِمُ الأَمْوَالَ ، فَتَهافَتُوا عَلَيْكَ ؛ فقَالَ : هَلْ لِهَذَا من شاهِدٍ ؟ قال : نعمْ ، هَلْ بِحَضْرَتِنا السَّاعَةَ ذُبابٌ ؟ قَالَ : لا . فَأَمَرَ الوزير بِجَفْنَةٍ فِيْهَا عَسَلٌ فَأُحْضِرَتْ ، فتَسَاقَطَ عَلَيْها الذُّبابُ .

فاستْشَارَ المَلِكُ بَعْضَ خَواصِّ أَصْحابِهِ ، فَنهاهُ عن ذَلِكَ ، وَقَالَ : لا تُغَيِّرْ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، فَلَيْسَ كُلَّ وَقْتٍ أَرَدْتَهُمْ يَحْضُرُونَ ، فَقَالَ : فَهَلْ لِذَلِكَ من دَلِيْلٍ ؟ قَالَ : نَعم ، إِذا أَمْسَيْنا أَخْبَرْتُكَ ؛ فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ قَالَ لِلْمَلِكِ : أَحْضِرْ جَفْنَةَ العَسَلِ ؛ فَأُحْضِرَتْ ، فَلَمْ تَحْضُرْ ذُبابَةٌ . فَرَجَعَ المَلِكُ عن رَأْيِهِ الأَوَّلِ .

---

(١) عن الميداني ٢/ ٣٨٠ . وانظر ما قيل عن طفيلٍ هذا في : الفاخر ٧٧ ونثر الدُّرّ ٢/ ٢٥٤ والمعارف ٦١٢ وثمار القلوب ١/ ٢٠٥ وإصلاح المنطق ٣٢٢ والدُّرَّة الفاخرة ٤٢٥ والمستقصى ١/ ٢٢٥ والتطفيل للخطيب ٦١ و ١٤١ .

(٢) الميدانيّ ١/ ٣٢٧ والدُّرَّة ١/ ٢١٣ والزَّمخشري ١/ ١٥١ .

(٣) الميدانيّ ١/ ٤٠٦ .

(٤) الميداني ٢/ ٢٩١ .

الخَوَاصُّ : قَالَ الجاحِظُ[1] : إِذا ضُرِبَ اللَّبَنُ بِالكُنْدُسِ ، وَنُضِحَ بِهِ البَيْتُ ، لَمْ يَدْخُلْهُ ذُبابٌ .

وإِذا[2] أُخِذَتْ ذُبابَةٌ وَفُصِلَ رَأْسُها ، وَدُلِكَ بِهَا قَرصَةُ الزُّنبُورِ سَكَنَتْ .

وإِذا أُحْرِقَ الذُّبابُ ، وَسُحِقَ وَخُلِطَ بِعَسَلٍ ، وَطُلِيَ بِهِ دَاءُ الثَّعْلَبِ ، فإِنَّهُ يَنْبُتُ فِيهِ الشَّعْرُ .

وإِذا ماتَتِ الذُّبابَةُ ، فَنُثِرَ عَلَيْها خَبَثُ الحَدِيْدِ ، عاشَتْ من وَقْتِها .

وإِذا بُخِّرَ البَيْتُ بِورَقِ القَرْعِ ، أَوكُنْدُسٍ ، أَوْ سَلِيْخَةٍ ، ذَهَبَ مِنْهُ الذُّبابُ .

وإِذا طُبِخَ وَرَقُ القَرْعِ ، وَرُشَّ بِهِ البَيْتُ وَالحِيْطَانَ ، لَمْ يَقَعْ فِيْهِ ذُبابٌ . انتهى .

● **صِفَةُ طِلَّسْمٍ لِمَنْعِ الذُّبابِ** : يُؤْخَذُ كُنْدُسٌ جَدِيْدٌ ، وَزَرْنِيْخٌ أَصْفَرُ ، أَجْزَاءً مُتَسَاوِيَةً ، يُسْحَقَانِ وَيُعْجَنانِ بِمَاءِ بَصَلِ الفَأْرِ ، وَيُدْهَنُ ، وَيُعْمَلُ مِنْهُ تِمْثَالٌ ، وَيُوضَعُ عَلَى المائِدَةِ ، فَلا يَقْرَبُها ذُبابٌ ما دامَ عَلَيْها .

وإِذا وُضِعَ عَلَى بابِ البَيْتِ باقَةٌ من الحَشِيْشَةِ التي يُقَالُ لَها : سادريون ، فَلا يَدْخُلُ البَيْتَ ذُبابٌ ما دامَتِ الباقَةُ مُعَلَّقَةً عَلَى البابِ .

وإِذا أَخَذْتَ الذُّبابَ الكَبِيْرَ ، فَقَطَعْتَ رُؤُوسَهُنَّ ، وَحَكَكْتَ بِجَسَدِهِنَّ مَوْضِعَ الشَّعْرَةِ التي تَنْبُتُ فِي الجَفْنِ حَكّاً شَدِيْداً ، فإِنَّهُ يُذْهِبُها أَصْلاً ؛ وَهُوَ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ .

وإِذا أُخِذَتْ ذُبابَةٌ ، وَجُعِلَتْ فِي خِرْقَةِ كَتَّانٍ ، وَرُبِطَتْ بِخَيْطٍ ، وَوُسِّعَ

---

(١) الحيوان ٣/ ٣٨٥ . والكُنْدُس : عروق نباتٍ داخله أَصفر وخارجه أَسود . (مفردات ابن البيطار ٤/ ٨٦) .

(٢) عن عجائب المخلوقات ٢٩٥ . وينظر تذكرة داود ١/ ١٦١ ومفردات ابن البيطار ٢/ ١٢٣ .

الرَّبْطُ عَلَيْها ، وَعُلِّقَتْ عَلَى مَن يَشْتكِي عَيْنَهُ ، سَكَنَ أَلَمُهُ ؛ وَتُعَلَّقُ فِي عُنُقِه أَوْ عَضُدِهِ .

وإنْ شُدِخَ الذُّبابُ ، وَضُمِّدَ بِهِ العَيْنُ الوارِمَةُ ، أَبْرَأَها .

وَقَالَ محمَّد بن زَكَرِيَّا القَزوينيّ : رَأَيْتُ فِي كُتُبِ الطَّبِيْعِيَّاتِ الرُّوميَّةِ : إذا عُلِّقَتْ ذُبابَةٌ حَيَّةٌ عَلَى مَن يَشْتَكِي ضِرْسَهُ ؛ بَرِىءَ ؛ وَمَنْ عَضَّهُ كَلْبٌ كَلِبٌ ، فَلْيَسْتُرْ وَجْهَهُ عن الذُّبابِ ، فإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْذِيْه ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

التَّعْبِيرُ[1] : الذُّبَابُ فِي المَنامِ : خَصْمٌ أَلَدُّ ، وَجَيْشٌ ضَعِيْفٌ ؛ وَرُبَّمَا دَلَّ اجْتِماعُه عَلَى الرِّزْقِ الطَّيِّبِ ؛ وَرُبَّمَا دَلَّ عَلَى الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ لِلْحَدِيْثِ المُتَقَدِّمِ ، وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ ، وَالوُقُوعِ فِيْمَا يُوجِبُ التَّقرِيعَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ [الحجّ : ٧٣] .

٣٥٤ الذَّرُّ : النَّمْلُ الأَحْمَرُ الصَّغِيْرُ ، واحِدَتُهُ : ذَرَّةٌ . قَالَ تَعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [النّساء : ٤٠] أَي لا يَبْخَسُ وَلا يَنْقُصُ أَحَداً من ثَوابِ عَمَلِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، أَي وَزْنَ ذَرَّةٍ .

وَسُئِلَ ثَعْلَبُ عَنْها ، فَقَالَ : إِنَّ مِئَةَ نَمْلَةٍ وَزْنُ حَبَّةٍ ، وَالذَّرَّةُ واحِدَةٌ مِنْها ؛ وَقِيْلَ : إِنَّ الذَّرَّةَ لَيْسَ لَهَا وَزْنٌ[2] .

وَيُحْكَى أَنَّ رَجُلاً وَضَعَ خُبْزاً حَتَّى عَلاهُ الذَّرُّ ، وَسَتَرَهُ ، ثُمَّ وَزَنَهُ فَلَمْ يَزِدْ شَيْئاً .

وَقِيلَ : الذَّرُّ : أَجْزَاءُ الهَبَاءِ فِي الكُوَّةِ ، وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ ذَرَّةٌ ، وَلاَ يَكُونُ لَهَا وَزْنٌ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ وتفسير الواعظ ٣٠٥ .

(٢) عن النهاية ٢/١٥٧ .

● وَفِي « صَحِيحِ مسلِمٍ » وغيرهُ[1] ، من حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، فِي شَفَاعَةِ النَّبيِّ ﷺ يَوْمَ القِيامَةِ : « ثُمَّ يَخْرُجُ من النَّارِ مَن قَالَ : لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ من الخَيْرِ ما يَزِنُ ذَرَّةً » .

صَحَّفَها شُعْبَةُ بِن بِسْطَامٍ ، وَقَالَ : مِثْقَالُ ذُرَةٍ ، بِضَمِّ الذَّالِ ، ، وَتَخْفِيْفِ الرَّاءِ .

وَقَالَ العَبْدَرِيُّ : إِنَّما قَالَ : دُرَّةٌ ، بِالدَّالِ المُهْمَلَةِ ، وَتَشْدِيْدِ الرَّاءِ ، واحِدَةُ الدُّرِّ ، وَهُوَ تَصْحِيفُ التَّصْحِيفِ .

قَالَ ابْنُ بَطَّةَ ، من الحَنَابِلَةِ ، فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ : مِثْقَالُ : مِفْعَالُ من الثّقلِ . وَالذَّرَّةُ : النَّمْلَةُ الصَّغِيْرَةُ الحَمْراءُ ، وَهِيَ أَصْغَرُ ما يَكُونُ إِذا مَرَّ عَلَيْها حَوْلٌ ، لأَنَّها تَصْغُرُ وَتَحْرى ، كَمَا تَفْعَلُ الأَفْعَى . تَقُولُ العَرَبُ : أَفْعَى حارِيَةٌ ، وَهِيَ أَشَدُّها سُمّاً .

قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ[2] : [مِنَ الطويل]

مِنَ القاصِراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِـنَ الـذَّرِّ فَـوْقَ الإِتْـبِ مِنْهـا لأَثَّـرَا

المُحْوِلُ : الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ . وَالإِتْبُ : ثَوْبٌ تُلْقِيْهِ المَرْأَةُ فِي عُنُقِها بِلا كُمٍّ وَلا جَيْبٍ . وَقَالَ حَسَّانُ[3] : [من الخَفِيفِ]

لَـوْ يَـدِبُّ الحَـوْلِـيُّ مـن وَلَـدِ الـذَّرْ ... رِ عَلَيْهَـا لأَنْـدَبَتْهـا الكُلُـومُ

أَي : لو دَبَّتِ الحَوْلِيَّةُ من الذَّرِّ لأَثَّرَتْ بِهَا الكُلُومُ .

---

(1) البخاري ١/١٦ و٨/١٧٣ ومسلم (١٨٣) والتّرمذيّ (٢٥٩٣) وابن ماجه (٤٣١٢) ومسند أحمد ١/٤١٦ و ٣/١١٦ .

(2) ديوانه ٦٨ .

(3) ديوانه ١/ ٤٠ (عرفات) و ٨١ (حسنين) و ٤٣٣ (برقوقي) .

● وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ[1] وَغَيْرُهُ : أَهْلَكَ اللهُ تَعَالَى جُرْهُمَ بِالذَّرِّ وَالرُّعَافِ ، حَتَّى كان آخِرَهُمْ مَوْتاً امْرَأَةٌ ، رُؤِيَتْ تَطُوفُ بِالبَيْتِ بَعْدَهُمْ بِزَمانٍ ، فَتَعَجَّبوا من طُولِها وَعِظَمِ خَلْقِها ، حَتَّى قَالَ لَها قائِلٌ : أَجِنِّيَّةٌ أَنْتِ أَمْ إِنْسِيَّةٌ ؟ فَقَالَتْ : بَلْ إِنْسِيَّةٌ من جُرْهُم ؛ ثُمَّ اكْتَرَتْ من رَجُلَينِ من جُهَيْنَةَ بَعِيراً إِلى أَرْضِ خَيْبَرَ ، فَلَمَّا أَنْزَلاها ، اسْتَخْبَراها عن المَاءِ ، فَأَخْبَرَتْهُما ، فَوَلَّيا ، فَأَتاهَا الذَّرُّ ، فَتَعَلَّقَ بِهَا إِلى أَنِ انْتَهَى إِلى خَيَاشِيمِها ، ثُمَّ نَزَلَ إِلى حَلْقِها ، فَهَلَكَتْ .

● وَعَبَّرَ عن الذَّرَّةِ يَزِيدُ بن هارُونَ بِأَنَّها دُودَةٌ حَمْراءُ ؛ وَهِيَ عِبارَةٌ فاسِدَةٌ .

وَرُوِي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما ، أَنَّه قال : الذَّرَّةُ : رأسُ النَّملةِ .

وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : لأَنْ تَفْضُلَ حَسَناتي سَيِّئاتي بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ من الدُّنْيا وَمَا فِيهَا ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزَّلْزَلَة : ٧ ـ ٨] اهـ . وَهَذِهِ الآيَةُ كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّيْهَا الجامِعَةَ الفاذَّةَ[2] : أَي المُنْفَرِدَةُ فِي مَعْناها .

● وَرَوَى البَيْهَقِيُّ فِي « الشُّعَبِ »[3] من حديث صَالِح المُرِّيّ ، عن الحَسَنِ ، عن أَنَسٍ ، أَنَّ سائِلاً أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُ تَمْرَةً ، فَقَالَ السَّائِلُ : سُبْحَانَ اللهِ ! نَبِيٌّ من أَنْبِيَاءِ اللهِ يَتَصَدَّقُ بِتَمْرَةٍ ! فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « أَوَ ما عَلِمْتَ أَنَّ فِيْهَا مَثَاقِيلَ ذَرٍّ كَثِيْرَةً ؟ » ثُمَّ أَتاهُ آخَرُ ، فَسَأَلَهُ ، فَأَعْطَاهُ تَمْرَةً ، فَقَالَ : تَمْرَةٌ من نَبِيٍّ من الأَنْبِيَاءِ ! لا تُفَارِقُنِي هَذِهِ التَّمرةُ ما بَقِيْتُ ، وَلا أَزالُ أَرْجُو بَرَكَتَها أَبَداً ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِمَعْرُوفٍ .

وَفِي رِوايَةٍ : قَالَ لِلْجارِيَةِ : « اذْهَبِي إِلى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَمُرِيْها فَلْتُعْطِهِ

---

(١) الروض الأنف ٢/ ١٢ .

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٨٨ .

(٣) شعب الإيمان ٦/ ٥٢٠ .

الأَرْبَعِيْنَ دِرْهَماً التي عِنْدَها » . قَالَ أَنَسٌ : فَمَا لَبِثَ الرَّجُلُ أَنِ اسْتَغْنَى .

● وَرَوَى الإِمامُ أَحمدُ فِي « مسنده »[١] بِإِسْنادٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « يُقْتَصُّ لِلْخَلْقِ بَعْضِهِمْ من بَعْضٍ ، حَتَّى الجَمَّاءِ من القَرْنَاءِ ، وَحَتَّى الذَّرَّةِ من الذَّرَّةِ » .

● وَأَعْطَى سَعْدُ بن أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سائِلاً تَمْرَتَيْنِ ، فَقَبَضَ السَّائِلُ يَدَهُ ، فقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَا هَذَا ، إِنَّ اللهَ قد قَبِلَ مِنَّا مَثَاقِيْلَ الذَّرِّ .

وَفَعَلَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها هَذَا ، فِي حَبَّةِ عِنَبٍ .

● وَسَمِعَ هَذِهِ الآيَةَ[٢] صَعْصَعَةُ بن عِقالٍ التَّميميُّ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ فقَالَ : حَسْبِي ، لا أُبَالِي أَنْ لا أَسْمَعَ آيةً غَيْرَها .

وَسَمِعَها رَجُلٌ عِنْدَ الحَسَنِ البَصريِّ ، فَقَالَ : انْتَهَتِ المَوْعِظَةُ . فقَالَ الحَسَنُ : فَقِهَ الرَّجُلُ .

● وَرَوَى الحاكِمُ فِي « المُسْتَدْرَكِ »[٣] عن أَبي أَسْمَاءَ الرَّحْبيّ ، أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ[٤] نَزَلَتْ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَأْكُلُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ، فتَرَكَ أَبُو بَكْرٍ الأَكْلَ وَبَكَى ؛ فقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « مَا يُبكِيْكَ ؟ » فقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَوَ نُسْأَلُ عن مَثَاقِيْلِ الذَّرِّ ؟ فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، ما رَأَيْتَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ ، فَمَثَاقِيْلُ ذَرِّ الشَّرِّ ؛ وَيَدَّخِرُ اللهُ لَكَ مَثَاقِيْلَ ذَرِّ الخَيْرِ إِلى الآخِرَةِ » .

قَالَ : وَالذَّرَّةُ : نَمْلَةٌ صَغِيْرَةٌ حَمْراءُ ، لا يَرْجَحُ بِهَا مِيْزانٌ .

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٣٦٣ .

(٢) أي آية الزَّلزلة .

(٣) المستدرك ٢/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ .

(٤) سورة الزَّلزلة .

وَرَوَى الإمامُ أَحمد فِي « الزُّهْدِ »[1] عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « يُجاءُ بالجَبَّارِيْنَ وَالمُتكَبِّرِيْنَ يَوْمَ القِيامَةِ ، رِجالٍ عَلَى صُوَرِ الذَّرِّ ، يَطَؤُهُمُ النَّاسُ من هَوانِهِم عَلَى اللهِ ، حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ . قَالَ : ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلى نَارِ الأَنْيَارِ » . قِيْلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا نَارُ الأَنْيَارِ ؟ قَالَ : « عُصَارَةُ أَهْلِ النّارِ » . وَرَواهُ صاحِبُ « التَّرْغِيْبِ وَالتَّرهِيبِ » .

● وَعَنْ عَمْرو بن شُعَيْبٍ ، عن أَبيهِ ، عن جَدِّهِ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[2] : « يُحْشَرُ المُتكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النّاسِ ، يَغْشَاهُمُ الصَّغَارُ من كُلِّ مَكَانٍ ، وَيُسَاقُونَ إِلى سِجْنٍ من النّارِ يُقَالُ لَهُ بُولس ، تَعْلُوهُمْ نارُ الأَنْيَارِ ، وَيُسْقَوْنَ من طِيْنَةِ الخَبَالِ ، وَهِيَ عُصارَةُ أَهْلِ النَّارِ » . رَواهُ التِّرمذيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

● وَفِي « شُعَبِ الإِيْمانِ »[3] لِلْبَيْهَقِيِّ ، عن الأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : مَرَرْتُ بأَعْرابِيَّةٍ فِي البادِيَةِ فِي كُوخٍ ، فَقُلْتُ لَهَا : يَا أَعْرابِيَّةُ ، مَن يُؤْنِسُكِ هَا هُنا ؟ قَالَت : يُؤْنِسُنِي مُؤْنِسُ المَوْتَى فِي قُبُورِهم ؛ قُلْتُ : وَمِنْ أَيْنَ تَأْكُلِيْنَ ؟ قَالَتْ : يُطْعِمُنِي مُطعمُ الذَّرَّةِ وَهِيَ أَصْغَرُ مِنِّي .

● وَفِي « المُدْهِشِ » للإمام العَلاَّمَةِ أَبي الفَرَجِ ابْن الجوزيّ : أَنَّ رَجُلاً من العَجَمِ طَلَبَ الأَدَبَ حِيْناً ، فَبَيْنَما هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيْقِ سَائِرٌ إِذْ مَرَّ بِصَخْرَةٍ مَلْسَاءَ ، فَتَأَمَّلَها فإِذا ذَرٌّ يَدِبُّ عَلَيْهَا ، وَقَدْ أَثَّرَ عَلَيْهَا من كَثْرَةِ دَبِيْبِه ، فَفَكَّرَ وَقَالَ : مَعْ صَلابَةِ هَذَا الحَجَرِ ، وَخِفَّةِ هَذَا الذَّرِّ ، قد أَثَّرَ فِيهِ هَذَا الأَثَرَ ، فَأَنا أَحْرَى عَلَى أَنْ أُداوِمَ عَلَى الطَّلَبِ ، فَلَعَلِّي أَظْفَرُ بِبُغْيَتِي . فَرَاجَعَ الإِثْبَاتَ عَلَى الأَدَبِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ مُبَرّزاً .

---

(١) الزُّهد ٣٠ .

(٢) مسند أَحمد ٢/ ١٧٩ والبخاري في الأَدب المفرد (٥٥٧) والتّرمذيّ (٢٤٩٢) .

(٣) شعب الإيمان ٢/ ١١٧ .

وَهكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ طَالِبُ فائِدَةٍ دِينِيَّةٍ أَو دُنْيَوِيَّةٍ ، لا سِيَّمَا طَالِبُ التَّوْحِيدِ وَالمَعْرِفَةِ ، أَنْ يَكُونَ كَرّاراً غَيْر فَرّارٍ ، فإِمَّا الظَّفَرُ والغَنِيْمَةُ ، وَإِمَّا القَتْلُ وَالشَّهادَةُ .

● وَسُئِلَ أَبُو يَزِيد البِسْطاميّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، عن العارِفِ فَقَالَ : هُوَ أَنْ يَكُونَ وَحْدانِيَّ التَّدْبِيْرِ ، فَرْدانِيَّ المَعْنَى ، صَمَدانِيَّ الرُّؤْيَةِ ، رَبَّانِيَّ القُوَّةِ ، وَحْدانِيَّ العَيْشِ ، نُورانِيَّ العِلْمِ ، خَلدانِيَّ العَجَائِبِ ، سَماوِيَّ الحَدِيْثِ ، وَحْشِيَّ الطَّلَبِ ، مَلَكُوتِيَّ السِّرِّ ؛ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ ، وَخَزائِنُ الحِكَمِ ، وَجَواهِرُ القُدُسِ ، وَسُرادقاتُ الأَبْرارِ ؛ فإِذا جاوَزَ الحَدَّ ، وارْتَفَعَ إِلى أَعْلَى ، فَهُوَ غَيرُ مُدْرَكٍ ، وَحالُهُ غَيْرُ مَوْصُوفٍ .

● وَفِي « صَحيح مُسْلِمٍ »[1] عن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كان فِي قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ » . فَقَالَ رجُلٌ : إِنَّ الرجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ؛ فَقَالَ : « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ؛ الكِبْرُ : بَطَرُ الحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » .

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَسَنٌ غَرِيْبٌ .

وَقِيْلَ : المُرادُ بِالكِبْرِ هَا هُنا : الكِبْرُ عن الإِيْمَانِ ، فَصَاحِبُهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَصْلاً إِذا مَاتَ عَلَيْهِ ؛ وَقِيلَ : لا يَكُونُ فِي قَلْبِهِ كِبْرٌ حِيْنَ دَخُولِ الجَنَّةِ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف : ٤٣ والحجر : ٤٧] الآيَةُ .

وَهَذَانِ التَّأْوِيْلانِ فِيهِمَا بُعْدٌ ، فَإِنَّ الحَدِيْثَ وَرَدَ فِي سِياقِ النَّهْيِ عن الكِبْرِ المَعْرُوف . وَهُوَ الارْتِفَاعُ عَلَى النَّاسِ واحْتِقارُهُمْ .

وَالظَّاهِرُ فِيْهِ ما اختاره القاضي عِياضٌ وغيرُه من المحققِّين ، أَنَّهُ لا يدخُلُها

(١) مسلم (٩١) وأبو داود (٤٠٩٢) والترمذيّ (١٩٩٩) .

دون مُجازاةٍ ، أو لا يدخلها مع أَوَّلِ الدَّاخِلِيْنَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : فَقَالَ رَجُلٌ ؛ فَذَلِكَ الرَّجُلُ هُوَ مَالِكُ بن مَرارَةَ الرَّهاويّ ، قَالَهُ القاضِي عِياضٌ ؛ وَأَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ[1] .

وَحَكَى أَبُو القاسِمِ خَلَف بن عبد المَلِكِ بن بَشْكُوالٍ في اسْمِهِ أَقْوالاً ، أَحَدُها أَنَّهُ أَبُو رَيْحانَةَ ، وَاسْمُهُ شَمْعُونَ ؛ وَقِيلَ : رَبيعَةُ بن عامِرٍ ؛ وَقِيلَ : سَواد ـ بِالتَّخْفِيْفِ ـ ابن عَمرو ؛ وَقِيلَ : مُعاذ بن جَبَلٍ ، ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتابِ « الخُمُولِ والتَّواضُع » ؛ وَقِيلَ : عَبْدُ اللهِ بن عَمْرو بن العاص .

ومعنى قوله : « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ » أَي : إِنَّ كُلَّ أَمْرِهِ سُبْحانَهُ حَسَنٌ وَجَمِيلٌ ، فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ، وَصِفَاتُ الجَمالِ والكَمالِ .

وقيل : جميلٌ بمعنى مُجْمِلٍ ، ككَرِيمٍ وسَمِيعٍ بمعنى مُكْرِمٍ وَمُسْمِعٍ .

وقال أَبُو القاسِمِ القُشَيْرِيّ : مَعْنَاهُ : جَلِيلٌ ؛ وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : ذُو النُّورِ وَالبَهْجَةِ ، أَي مالِكُهُما ؛ وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : جَمِيلُ الأَفْعَالِ بكُمْ ، والنَّظَرِ إِلَيْكُمْ ، يُكَلِّفُكُمُ اليَسِيرَ وَيُعِيْنُ عَلَيْهِ ، وَيُثِيبُ عَلَيْهِ الجَزِيلَ ، سُبْحَانَهُ ما أَكْرَمَهُ .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ مُحيي الدِّين النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ : هَذَا الاسْمُ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيْحِ ، وَوَرَدَ فِي الأَسْمَاءِ الحُسْنَى ، وَفِي إِسْنادِهِ مَقَالٌ ، وَالمُخْتَارُ جَوازُ إِطْلاقِهِ عَلَى اللهِ تَعالَى ؛ وَمِنَ العُلَمَاءِ مَن مَنَعَهُ .

وَقَالَ إِمامُ الحَرَمَيْنِ أَبُو المَعَالِي : ما وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ ، جَوَّزَنا إِطْلاقَهُ ؛ وَمَا لَمْ يَرِدْ فيه إِذْنٌ وَلا مَنْعٌ ، لَمْ نَقْضِ فِيْهِ بِتَجْوِيْزٍ وَلا مَنْعٍ ؛ فَإِنَّ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ تُتَلَقَّى من مَوارِدِ الشَّرْعِ ؛ وَلَوْ قَضَيْنَا بِتَحرِيمٍ أَوْ تَحلِيلٍ ، لَكُنَّا مُثْبتِينَ حُكْماً بِغَيْرِ الشَّرْعِ .

---

(١) ترجمته في أُسد الغابة ٥/٤٨ .

ثُمَّ لا يُشْتَرَطُ فِي جَوازِ الإطْلاقِ ، وَرُودُ ما نَقْطَعُ بِهِ فِي الشَّرْعِ بِمَنْعِهِ ، وَلَكِنَّ ما يَقْتَضِي العَمَلُ بِهِ ، وَإِنْ لَمْ يُوجِبِ العِلْمَ ، فَإِنَّهُ كافٍ ؛ إلاَّ أَنَّ الأَقْيِسَةَ الشَّرْعِيَّةَ من مُقْتَضَيَاتِ العَمَلِ ، وَلا يَجُوزُ التَّمَسُّكُ بِهَا فِي تَسْمِيَةِ اللهِ تَعالَى وَصِفَتِه .

قَالَ النَّوويُّ : وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي تَسْمِيَتِهِ تَعَالَى ، وَوَصْفِهِ من أَوْصَافِ الكَمَالِ وَالجَلالِ والمَدْحِ بِمَا لَمْ يَرِدْ بِهِ الشَّرْعُ وَلا مَنَعَهُ ؛ فَأَجازَهُ طائِفَةٌ وَمَنَعَهُ آخَرُونَ ، إلاَّ أَنْ يَرِدَ بِهِ شَرْعٌ مَقْطُوعٌ بِهِ من نَصِّ كِتابٍ ، أَوْ سُنَّةٍ مُتواتِرَةٍ ، أَوْ إِجْماعٍ عَلى إِطْلاقِهِ ؛ فَإِنْ وَرَدَ بِهِ خَبَرٌ واحِدٍ ، فَقَدِ اخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَأَجازَهُ طائِفَةٌ ، وَقَالُوا : الدُّعَاءُ بِهِ وَالثَّناءُ ، من بَابِ العَمَلِ ، وَذَلِكَ جائِزٌ بِخَبَرِ الواحِدِ ؛ وَمَنَعَهُ آخَرُونَ لِكَوْنِهِ راجِعاً إِلى اعْتِقَادِ ما يَجُوزُ أَنْ يَستَحِيلَ عَلَى اللهِ تَعالَى .

قَالَ القاضِي : وَالصَّوابُ جوازُهُ ، لاشْتِمَالِهِ عَلَى العَمَلِ ، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] وَهُوَ كَمَا قَالَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَغَمْطُ النَّاسِ » كَذَا في نُسَخِ « صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ أَبُو داود في مُصَنَّفِهِ ؛ وَذَكَرَ التِّرمذيُّ وَغَيْرُهُ : « غَمص » بِالصَّادِ المُهْمَلَةِ ، وَهُمَا بِمَعْنىً واحِدٍ ، وَهُوَ احْتِقارُهُمْ .

[**التَّعْبِيْرُ**] : وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ فِي المَنام ، فَإِنَّها تُعَبَّرُ بِالنَّسْلِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] والذَّرُّ أيضاً يُعَبَّرُ بِالضُّعفَاءِ من النَّاسِ ؛ وَقِيلَ : الذَّرُّ جُنْدٌ ، لأَنَّهُ من النَّمْلِ ؛ وَاللهُ تَعالَى أَعْلَمُ .

٣٥٥ الذُّرَّاحُ : قَالَ الجَوْهَرِيُّ[1] : الذُّرَّاحُ وَالذُّرُّوحُ ، بِالضَّمِّ : دُوَيْبَّةٌ

---

(١) الصِّحاح « ذرح » ١/٣٦٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/١١٠ وقارن بما ذكرناه في حاشية مادّة « الدرحرج » .

حَمْراءُ ، مُنْقَطَّةٌ بسَوادٍ ، تَطِيرُ ، وَهِيَ من السُّمُومِ ؛ وَالجَمْعُ ، : الذَّرارِيْحُ . وَقَالَ سِيبوَيْه[١] : واحِدُ الذَّرارِيحُ : ذُرَحْرَحٌ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ فِي الكَلامِ فَعُّولٌ بِواحِدَةٍ ؛ وَكَانَ يَقُولُ : سَبُّوحٌ قَدُّوسٌ ، بِفَتْحِ أَوائِلِهِما .

● وَالذُّرَّاحُ أَنْواعٌ ؛ فَمِنْهُ ما يَتَوَلَّدَ من الحِنْطَةِ ، وَمِنْهُ دُودُ الصَّنَوْبَرِ ، وَمِنْهُ ما فِي أَجْنِحَتِه خُطُوطٌ صُفْرٌ ، وَلَوْنُهُ مُخْتَلِفٌ ، وَأَجْسَامُها كِبَارٌ طِوَالٌ مُمْتَلِئَةٌ ، قَرِيْبَةُ الشَّبَهِ من بَناتِ وَرْدَانَ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُها لاسْتِخْبَاثِها .

الخَواصُّ[٢] : الذَّرارِيْحُ تَنْفَعُ الجَرَبَ ، وَالعِلَّةَ التي يَنْقَشِرُ مَعَها الجِلْدُ ؛ وَتُخْلَطُ فِي الأَدْوِيَةِ المُوافِقَةِ لِلأَوْرامِ كَالسَّرَطَانِ والقَوابِي الرَّدِيْئَةِ .

قَالَ الرَّازِي : الاكْتِحَالُ مِنْهَا يَنْفَعُ الظَّفْرَةَ فِي العَيْنِ ؛ وَإِذا طُلِيَ بِهَا مَسْحوقَةً قَتَلَتِ القَمْلَ ؛ وَإِذا طُبِخَتْ فِي زَيْتٍ ، أَبْرَأَ ذَلِكَ الزَّيْتُ داءَ الثَّعْلَبِ .

وَزَعَمَ القُدَماءُ من الأَطبَّاءِ ، أَنَّهُ إذا جُعِلَ شَيْءٌ مِنْها فِي خِرْقَةٍ حَمْرَاءَ ، وَعُلِّقَتْ عَلَى مَن بِهِ حُمَّى ، أَبْرَأَتْهُ بَخاصِّيَّةٍ عَجيبةٍ .

٣٥٦ الذَّرَعُ : بَالتَّحريكَ : وَلَدُ البَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ ؛ تَقُولُ منه : أَذْرَعَتِ البَقَرَةُ ، فَهِيَ مُذْرِعٌ[٣] .

٣٥٧ الذِّعْلِبُ ، وَالذِّعْلِبَةُ : النَّاقَةُ السَّرِيْعَةُ ؛ وَفِي حَدِيثِ سَواد بن مُطَرِّفٍ : « الذِّعْلِبُ الوَجْناءُ »[٤] .

٣٥٨ الذِّئْبُ : يُهْمَزُ ولا يُهْمَزُ ، وَأَصْلُهُ الهَمْزُ . وَالأُنْثَى : ذِئْبَةٌ ؛ وَجَمْعُ

---

(١) كتاب سيبويه ٣/ ٤٣٢ و٤/ ٢٧٨ و٣٢٧ . وانظر ما مضى برقم ٣٢٠ و٣٢٣ .

(٢) مفردات ابن البيطار ٢/ ١٢٣ وتذكرة داود ١/ ١٦١ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١١٠ .

(٣) عن الصِّحاح « ذرع » ٣/ ١٢١٠ .

(٤) عن النِّهاية ٢/ ١٦١ .

القِلَّةِ : أَذْؤُبٌ ؛ وَجَمْعُ الكَثْرَةِ : ذِئابٌ وَذُؤْبانٌ ؛ وَيُسَمَّى : الخاطِفَ ، وَالسِّيْدَ ، وَالسِّرْحانَ ، وَذُؤَالَةَ ، والعَمَلَّسَ ، وَالسِّلْقَ ـ وَالأُنْثَى سِلْقَةٌ ـ والسَّمْسَمَ[1] .

وَكُنْيَتُهُ : أَبُو مَذْقَةٍ ، لأَنَّ لَوْنَهُ كَذلِكَ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [مِنَ الرَّجز]

حَتَّى إذا جَنَّ الظَّلامُ وَاخْتَلَطْ ... جاؤُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ

وَمِنْ كُناهُ الشَّهِيْرَةُ : أَبُو جَعْدَةَ . قَالَ عَبيدُ بن الأَبْرَصِ لِلْمُنْذِرِ بن مَاءِ السَّمَاءِ مَلِكِ الحِيْرَةِ ، حِيْنَ أَرادَ قَتْلَهُ[3] : [من المُتقارِب]

وَقَالُوا : هِيَ الخَمْرُ تُكْنَى الطِّلا ... كَمَا الذِّئْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَهْ

ضَرَبَهُ مَثَلاً ؛ أَيْ تُظْهِرُ لِي الإِكْرامَ ، وَأَنْتَ تُرِيْدُ قَتْلِي ؛ كَمَا أَنَّ الخَمْرَةَ وإِنْ سُمِّيَتْ طِلاءً ، وَحُسِّنَ اسْمُها ، فَإِنَّ فِعْلَها قَبِيْحٌ ؛ وَكَذَلِكَ الذِّئْبُ ، وَإِنْ حَسُنَتْ كُنْيَتُهُ ، فَإِنَّ فِعْلَهُ قَبِيْحٌ .

وَالجَعْدَةُ : الشَّاةُ ؛ وَقِيلَ : نَبْتٌ طَيِّبُ الرِّيْحِ ، يَنْبُتُ فِي الرَّبِيْعِ ، وَيَجِفُّ سَرِيعاً .

● وَسُئِلَ[4] ابْنُ الزُّبَيْرِ عن المُتْعَةِ ، فَقَالَ : الذِّئْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَةَ .

يَعْنِي أَنَّ المُتْعَةَ حَسَنَةُ الاسْمِ ، قَبِيْحَةُ المَعْنَى ؛ كَمَا أَنَّ الذِّئْبَ حَسَنُ الكُنْيَةِ ، قَبِيْحُ الفِعْلِ .

---

(١) في الأُصول : والسّمسام ! . والسَّمْسَمُ : ولدُ الذِّئب .

(٢) الشَّطران بلا نسبة في : كامل المبرد ٢/ ٢٠٥٤ والمعاني الكبير ٢٠٤ و ٣٩٩ ، وأَمالي الزجاجي ٢٣٧ وأَمالي ابن الشّجريّ ٢/ ٤٠٧ وخزانة البغداديّ ٢/ ١٠٩ والمرصع ٣٠١ .
وقال البغداديّ في ٢/ ١٢٠ : وهذا الرّجز لم ينسبه أَحدٌ من الرُّواة إِلى قائله ؛ وقيل : قائله العجّاج . وهما في ملحقات ديوان العجّاج ٢/ ٣٠٤ (السّطلي) .

(٣) ديوانه ٦٢ (نصّار) و١٩٦ (دقة) .

(٤) الميداني ١/ ٢٧٧ .

● وَمِنْ كُناهُ[1] : أَبُو ثُمامَة ، وَأَبُو جاعِدَة ، وَأَبُو رَعْلَة ، وَأَبُو سِلْعامة ، وَأَبُو الغَطَلَّسِ ، وَأَبُو كاسِبٍ ، وَأَبُو نَسْلَة .

● وَمِنْ أَسْمائِهِ الشَّهِيْرَةِ : أُوَيْسٌ ، مُصَغَّراً ، كَكُمَيْتٍ وَلُحَيْفٍ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ الهُذَليُّ[2] : [من الرجز]

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ وَالأَمْرُ عَمَمْ مَـا فَعَـلَ اليَـوْمَ أُوَيْـسٌ بِـالغَنَـمْ

● وَمِنْ أَوْصافِهِ : الغَبَشُ ؛ وَهُوَ لَوْنٌ كَلَوْنِ الرَّمادِ ؛ يُقَالُ : ذِئْبٌ أَغْبَشُ ، وَذِئْبَةٌ غَبْشَاءُ .

● رَوَى الإمامُ أَحمدُ وَأَبُو يَعْلَى المَوصليّ وَعَبْدِ الباقِي بن قانِعٍ[3] : أَنَّ الأَعْشَى الشاعر المازِنيَّ الحِرْمَازِيَّ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بن الأَعْور ، كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا مُعاذَة ؛ فَخَرَجَ فِي شَهْرِ رَجَب ، يَمِيرُ أَهْلَهُ من هَجَرَ ، فَهَرَبَتِ امْرَأَتُهُ ناشِزَةً عَلَيْهِ ، فَعاذَتْ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : مُطَرِّف بن بُهْصُل بن كَعْب بن قُمَيْثع بن دُلَف بن أَهْصَم بن عَبْدِ اللهِ بن الحِرْمازِ ، فَجَعَلَها خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ لَم يَجِدْها فِي بَيْتِه ، فَأُخْبِرَ بِخَبَرِها ، فَطَلَبَها مِنْهُ فَلَمْ يَدْفَعْها إِلَيْهِ ، وَكَانَ مُطَرِّفٌ أَعَزَّ مِنْهُ فِي قَوْمِهِ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَعَاذَ بِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ : [مِنَ الرجز]

يَـا سَيِّـدَ النَّـاسِ وَدَيَّـانَ العَـرَبْ أَشْكُـو إِلَيْـكَ ذِرْبَـةً مِـن الـذِّرَبْ
كَـالـذِّئْبَـةِ الغَبْشَاءِ فِي ظِلِّ السَّرَبْ خـرَجْـتُ أَبْغِيْهَـا الطَّعَـامَ فِـي رَجَـبْ
فَخَـالَفَتْنِـي بِنِـزاعٍ وَهَـرَبْ وَقَـذَفَتْنِـي بَيْـنَ عِيْـصٍ مُـؤْتَشِـبْ

---

(١) المرصّع ١١٣ و ١١٨ و ١٨٢ و ٢٠٠ و ٢٦١ و ٢٨٧ و ٣٢٣ و ٣٦٣ .
(٢) الشَّطران من أُرجوزة لأَبي خراش الهذلي ، في شرح أَشعار الهذليّين ٢/ ٥٧٥ .
(٣) **ترجمة الأَعشى الحرمازي وخبره في** : مسند أَحمد ٢/ ٢٠١ و ٢٠٢ وطبقات ابن سعد ٩/ ٥١ و ٥٢ والتَّاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٦١ ومعرفة الصَّحابة ٣/ ١٢ والاستيعاب ١/ ١٤٣ و ٣/ ٨٦٦ ـ ٨٦٧ وأُسد الغابة ١/ ١٢٢ ـ ١٢٣ والإِصابة ٤/ ٨ (رقم ٤٥٥٣) والمؤتلف والمختلف للآمدي ١٤ والوافي بالوفيات ٩/ ٢٩١ والبداية والنِّهاية ٧/ ٣١٤ ـ ٣١٦ .

أَخْلَفَتِ العَهْدَ وَلَطَّتْ بِالذَّنَبْ وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ

فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : « وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ » .

كَنَّى عن فَسَادِها وَخِيانَتِها بالذِّرْبَةِ ، وَأَصْلُهُ من ذَرَبِ المَعِدَةِ ، وَهُوَ فَسَادُها ؛ وَقِيلَ : أَرادَ سَلاطَةَ لِسانِها ، وَفَسَادَ مَنْطِقِها ؛ مَأْخُوذٌ من قَوْلِهِمْ : ذَرِبَ لِسانُهُ ، إذا كان حادَّ اللِّسَانِ ، لا يُبَالِي بِمَا يَقُولُ .

وَالعِيْصُ : ـ بِالعَيْنِ وَالصَّادِ المُهْمَلَتَيْنِ ـ أَصْلُ الشَّجَرِ ؛ وَالمُؤْتَشِب : المُلْتَفّ .

وَقَوْلُهُ : لَطَّتْ بالذَّنَبِ ـ وَهُوَ بالطَّاءِ المُهْمَلَةِ ـ : أَرَادَ به أَنَّها مَنَعَتْهُ بُضْعَها ؛ من لَطَّتِ النَّاقَةُ بذَنَبِها : إذا سَدَّتْ فَرْجَها بِهِ إذا أَرادَها الفَحْلُ ؛ وَقِيلَ : أَرادَ : تَوارَتْ ، وَأَخْفَتْ شَخْصَها عَنْهُ ، كَمَا تُخْفِي النَّاقَةُ فَرْجَها بَذَنَبِها .

وَكَانَ الأَعْشَى المَذْكُورُ شَكَا إِلى النَّبيِّ ﷺ امْرَأَتَهُ وَمَا صَنَعَتْ ، وَأَنَّها عِنْدَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : مُطَرِّف بن بُهْصُل .

فَكَتَبَ النَّبيُّ ﷺ إلى مُطَرِّفٍ : « انْظُرِ امْرَأَةَ هَذَا مُعاذَةَ ، فادْفَعْها إِلَيْهِ » . فَأَتاهُ بِكِتابِ النَّبيِّ ﷺ ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : يَا مُعاذَةَ ، هَذَا كِتابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيْكِ ، وَأَنَا دافِعُكِ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَتْ : خُذْ لِيَ العَهْدَ وَالمِيْثَاقَ وَذِمَّةَ النَّبيِّ ﷺ أَنْ لا يُعَاقِبَنِي فِيْمَا صَنَعْتُ ؛ فَأَخَذَ لَهَا ذَلِكَ ، وَدَفَعَها مُطَرِّفٌ إِلَيْهِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ : [مِنَ الطَّويل]

لَعَمْرُكَ ما حُبِّي مُعاذَةَ بالَّذِي يُغَيِّرُهُ الواشِي وَلا قِدَمُ العَهْدِ
وَلا سَوْءُ ما جَاءَتْ بِهِ إِذْ أَزَالَها غُواةُ رِجَالٍ إِذْ يُنَاجُونَها بَعْدِي

● وَقَالَ الزَّمخشريُّ[1] فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾

(١) الكشّاف ٢/ ٣١٥ .

[يُوسف : ٢٨] اسْتَعْظَمَ كَيْدَ النِّسَاءَ عَلَى كَيْدِ الشَّيْطَانِ ، لأَنَّهُ وَإِنْ كان فِي الرِّجَالِ كَيْدٌ ، إلاَّ أَنَّ النِّسَاءَ أَلْطَفُ كَيْداً وَأَنْفَذُ حِيْلَةً ، وَلَهُنَّ فِي ذَلِكَ رِفْقٌ ، وَبذَلِكَ يَغْلِبْنَ الرِّجَالَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَـدِ ﴾ [الفلَق : ٤] وَالقَصْرِيَّاتُ من بَيْنِهِنَّ : اللَّاتِي لَهُنَّ ما لَيْسَ لِغَيْرِهِنَّ من البَوائِقِ .

وَعَنْ بَعْضِ العُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ : أَنا أَخافُ من النِّسَاءِ ، أَكْثَرَ مِمّا أَخافُ من الشَّيْطَانِ ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النِّساء : ٧٦] وَقَالَ فِي النِّسَاءِ : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

● وَفِي « تارِيْخ ابْنِ خلِّكان » في تَرْجَمَةِ عُمر بن أَبِي رَبِيْعَةَ ، قَالَ[١] : بَيْنَما عُمر بن أَبي رَبِيْعَةَ يَطُوفُ بالبَيْتِ إِذْ رَأَى امْرَأَةً تَطُوفُ بالبَيْتِ ، فأَعْجَبَتْهُ ، فَسَأَلَ عَنْها فإِذا هِيَ من البَصْرَةِ ، فَكَلَّمها مِراراً فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فإِنَّكَ فِي حَرَمِ اللهِ ، وَفِي مَوْضِعٍ عَظِيْمِ الحُرْمَةِ ؛ فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْها وَمَنَعَها من الطَّوافِ ، أَتَتْ مَحْرَماً لَهَا ، وَقَالَتْ لَهُ : تَعالَ مَعِي أَرِنِي المَناسِكَ ، فَحَضَرَ مَعَها ؛ فَلَمَّا رَآها عُمر بن أَبِي رَبيعةَ عَدَلَ عَنْها ، فَتَمَثَّلَتْ بِشِعْرِ الزِّبْرِقَانِ بنِ بَدْرٍ السَّعْدِيّ[٢] : [مِنَ البسيط]

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى من لا كِلابَ لَهُ ... وَتَتَّقِي مَرْبِضَ المُسْتأْسِدِ الضَّارِي

فَبَلَغَ المَنْصُورَ خَبَرُهُما ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ تَبْقَ فَتاةٌ فِي خِدْرِها إِلاَّ سَمِعَتْهُ .

---

(١) لم يرد هذا الخبر في وفيات الأعيان ، لا في ترجمة عمر ولا في غيره . وهو في الحيوان ٢/ ٨٣ وعيون الأخبار ٤/ ١٠٩ والأغاني ١/ ٧٨ و ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٢) نسب البيت إلى الزّبرقان ، في المؤتلف والمختلف للآمدي ٣٨٧ ، وهو في ديوانه ٥٢ (برواية : المستأسد الحامي) . وهو بهذه الرّواية للنّابغة الذُّبيانيّ في ديوانه ٢٢٢ وعيون الأخبار ٤/ ١٠٩ وطبقات فحول الشُّعراء ١/ ٥٧ . وفيه قول يونس : هو للنّابغة ، أظنّ الزّبرقان استزاده في شعره كالمثل . ونقله عنه السّيوطيّ في المزهر ١/ ١٨٣ . وبرواية (الضّاري) في الحيوان ٢/ ٨٣ بلا نسبة ، ثُمَّ أنشده ثانياً باختلاف طفيف منسوباً إلى جرير .

وَكَانَتْ وِلادَةُ عُمر بن أَبي رَبيعةَ فِي اللَّيْلَةِ التي قُتِلَ فِيْهَا عُمرُ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ؛ فَكَانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يَقُولُ إِذا جَرَى ذِكْرُ وِلادَتِه : أَيُّ حَقٍّ رُفِعَ ، وَأَيُّ باطِلٍ وُضِعَ ! .

وَغَزَا فِي البَحْرِ ، فَأَحْرَقُوا السَّفِيْنَةَ فَاحْتَرَقَ ، وَذَلِكَ في سَنَةِ ثلاثٍ وَتِسعِينَ[1] .

● وَلِلأَسَدِ وَالذِّئْبِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الجُوعِ ، ما لَيْسَ لِغَيْرِهِمَا من الحَيَوانِ ، لَكِنَّ الأَسَدَ شَدِيدُ النَّهَمِ ، حَرِيْصٌ ، رَغِيبٌ ، شَرِهٌ ؛ وَهُوَ مَعْ ذَلِكَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَبْقَى أَيَّاماً لا يَأْكُلُ شَيْئاً .

وَالذِّئْبُ وإِنْ كان أَقْفَرَ مَنْزِلاً ، وَأَقَلَّ خِصْباً ، وَأَكْثَرَ كَدّاً ، إِذْ لَمْ يَجِدْ شَيْئاً اكْتَفَى بِالنَّسِيْمِ فَيَقْتَاتُ بِهِ ؛ وَجَوْفُهُ يُذِيْبُ العَظْمَ المُصْمَتَ ، وَلا يُذِيْبُ نَوَى التَّمْرِ .

وَلا يُوجَدُ الالْتِحامُ عِنْدَ السِّفادِ إِلاَّ فِي الكَلْبِ والذِّئْبِ ؛ وَمَتَى الْتَحَمَ الذِّئْبُ والذِّئْبَةُ ، وَهَجَمَ عَلَيهِمَا هاجِمٌ ، قَتَلَهُمَا كَيْفَ شَاءَ ؛ إِلاَّ أَنَّهُما لا يَكادَانِ يُوجَدَانِ كَذَلِكَ ، لأَنَّهُمَا إِذا أَرادا السِّفَادَ تَوَخَّيَا مَوْضِعاً لا يَطَؤُهُ الإِنْسُ خَوْفاً عَلَى أَنْفُسِهِما ؛ وَيَسفدُ مُضْطجِعاً عَلَى الأَرْضِ .

وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِالانْفِرادِ وَالوَحْدَةِ . وَإِذا أَرادَ العَدْوَ فَإِنَّما هُوَ الوَثْبُ والقَفْزُ ؛ وَلا يَعُودُ إِلى فَرِيْسَةٍ شَبِعَ مِنْها أَبَداً .

وَمِنْ عَجِيْبِ أَمْرِهِ أَنَّهُ يَنامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ ، وَالأُخْرَى يَقْظَى حَتَّى تَكْتَفِيَ

---

(١) في الأُصول : ثلاث وثمانين ! وقيل في سبب وفاته غير ذلك .
وترجمته في : الأَغاني ١/ ٦١ والشِّعر والشُّعراء ٢/ ٥٥٣ وابن خلّكان ٣/ ٤٣٦ وخزانة البغداديّ ٢/ ٣٢ وسرح العيون ١٩٨ وثمار القلوب ١/ ٣٦١ وشرح أَبيات المغني ١/ ٢٩ ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٧٧ والوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٩٢ .

العَيْنُ النَّائِمَةُ من النَّوْمِ ، فَيَفْتَحُها وَيَنامُ بِالأُخْرَى ، لِيَحْتَرِسَ بِاليَقْظَى وَيَسْتَرِيحَ بِالنَّائِمَةِ .

● قَالَ حُمَيْدُ بن ثَوْر في وَصْفِهِ فِي أَبْيَاتٍ مَشْهُورَةٍ ، مِنْها[1] : [مِنَ الطَّويل]

وَنِمْتَ كَنَوْمِ الذِّئْبِ عن ذِي حَفِيْظَةٍ   أَكَلْتَ طَعاماً دُونَهُ وَهُوْ جائِعُ
يَنامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي   بِأُخْرَى الأَعادِي فَهْوَ يَقْظَانُ هاجِعُ[2]

وَهُوَ أَكْثَرُ الحَيَوانِ عُواءً إذا كان مُرْسَلاً ، فإذا أُخِذَ وَضُرِبَ بِالعِصِيِّ وَالسُّيُوفِ حَتَّى يَتَقَطَّعَ أَوْ يُهَشَّمَ ، لَمْ يُسْمَعْ لَهُ صَوْتٌ إلى أَنْ يَمُوتَ .

وَفِيهِ من قُوَّةِ حاسَّةِ الشَّمِّ ، أَنَّهُ يُدْرِكُ المَشْمُومَ من فَرْسَخٍ ؛ وَأَكْثَرُ ما يَتَعَرَّضُ لِلْغَنَمِ فِي الصُّبْحِ ، وَإِنَّما يَتَوَقَّعُ فَتْرَةَ الكَلْبِ وَنَوْمَهُ وَكَلالَهُ ، لأَنَّهُ يَظَلُّ طُولَ لَيْلِهِ حارِساً مُتَيَقِّظاً .

وَمِنْ غَرِيبِ أَمْرِهِ : أَنَّهُ إذا اجْتَمَعَ جِلْدُهُ مع جِلْدِ شَاةٍ ، تَمَعَّطَ جِلْدُ الشّاةِ ؛ وَأَنَّهُ مَتَى وَطِىءَ وَرَقَ العُنْصُلِ ، مَاتَ من سَاعَتِهِ .

وَالذِّئْبُ إذا كَدَّهُ الجُوعُ عَوى ، فَتَجْتَمِعُ لَهُ الذِّئَابُ ، وَيَقِفُ بَعْضُها إلى بَعْضٍ ، فَمَنْ وَلَّى مِنْها وَثَبَ إِلَيْهِ البَاقُونَ وَأَكَلُوهُ .

وإذا عَرَضَ للإِنْسَانِ وَخَافَ العَجْزَ عَنْهُ ، عَوى عُواءَ اسْتِغاثَةٍ ، فَتَسْمَعُهُ الذِّئَابُ ، فَتُقْبِلُ عَلَى الإِنْسَانِ إِقْبالاً واحِداً ، وَهُمْ سَواءٌ فِي الحِرْصِ عَلَى أَكْلِهِ ؛ فَإِنْ أَدْمَى الإِنْسَانُ واحِداً مِنْها ، وَثَبَ الباقُونَ عَلَى المُدَمَّى فَمَزَّقُوهُ وَتَرَكُوا الإِنْسَانَ .

● وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَراءِ يُعاتِبُ صَدِيقاً لَهُ ، وَكَانَ قد أَعانَ عَلَيْهِ فِي أَمْرٍ نَزَلَ

---

(١) ديوانه ١٠٥ (ميمني) و١٥٢ و١٥٤ (بيطار) .
(٢) في ب : × بأُخرى الرّزايا . . . .

بِهِ[1] : [مِنَ الطَّويل]

وَكُنْتَ كَذِئْبِ السُّوْءِ لَمَّا رَأَى دَماً ... بِصاحِبِهِ يَوْماً أَحَالَ عَلَى الدَّمِ

● رَوَى البَيْهَقِيُّ فِي « الشُّعَبِ » عن الأَصْمَعِيِّ ، قَالَ[2] : دَخَلْتُ البادِيَةَ فإذا بعَجُوزٍ بَيْنَ يَدَيْها شَاةٌ مَقْتُولَةٌ وَجَرْوُ ذِئْبٍ مُقْعٍ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ : أَتَدْرِي ما هَذَا ؟ قُلْتُ : لا . قَالَتْ : جَرْوُ ذئبٍ أَخَذْناهُ وَأَدْخَلْناهُ بَيْتَنا ، فَلَمَّا كَبُرَ قَتَل شَاتَنا ، وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ شِعْراً . قُلْتُ لَها : ما هُوَ ؟ فَأَنْشَدَتْ : [مِنَ الوافِر]

بَقَرْتَ شُوَيْهَتِي وَفَجَعْتَ قَلْبِي ... وَأَنْتَ لِشَاتِنا وَلَدٌ رَبِيبُ[3]

غُذِيْتَ بِدَرِّها وَرَبِيْتَ فِيْنَا ... فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذِيْبُ

إِذَا كانَ الطِّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ ... فَلَيْسَ بِنافِعٍ فِيْهَا الأَدِيْبُ[4]

● وَهُوَ إذا خافَهُ إِنْسَانٌ ، طَمِعَ فِيهِ ؛ وإِذا طَمِعَ الإِنْسَانُ فِيهِ خافَهُ ؛ وَيَقْطَعُ العَظْمَ بِلِسانِهِ وَيَبرِيهِ بَرْيَ السَّيْفِ ، وَلا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ .

وَيُقَالُ : عَوَى الذِّئْبُ ، كَمَا يُقَالُ : عَوَى الكَلْبُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[5] : [مِنَ الطويل]

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذِّئْبِ إِذْ عَوَى ... وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيْرُ

---

(١) البيت للفرزدق ، في ديوانه ٧٤٩ (صاوي) و ٩٨ (مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق) وثمار القلوب ١/ ٥٧٩ .

(٢) شعب الإيمان ٧/ ٤٥٤ رقم (١٠٩٧٣) وعيون الأَخبار ٢/ ٥ وثمار القلوب ١/ ٥٨١ والحيوان ٤/ ٤٨ وتمام المتون ٣٨٠ والمحاسن والمساوىء ١/ ٢٠٤ والميدانيّ ١/ ٤٤٦ والزَّمخشريّ ١/ ٢٣٣ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٢٥٢ والمستطرف ٢/ ٤٠ ـ ٤١ .

(٣) في أ ، ب : . . . قوماً× . وفي ب : بقرت شويهةً . . .× .

(٤) في أ ، ب : × فليس بنافع أَدب الأَديب ! (إقواء) .

(٥) البيت للأُحيمر السَّعديّ اللّصّ ، في الحيوان ١/ ٣٧٩ والشِّعر والشُّعراء ٢/ ٧٨٧ والمؤتلف والمختلف للآمدي ٤٣ وسمط اللآلي ١/ ١٩٦ وأَشعار اللُّصوص ٩٦ .

● وَقَالَ آخَرُ : [مِنَ الخَفِيف]

لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ الخَلاصُ من النّا ... سِ وَقَـدْ أَصْبَحُـوا ذِئَـابَ اعْتِـدَاءِ
قُلْتُ لَمَّـا بَـلاهُـمُ صِدْقُ خُبْـرِي : ... رَضِـيَ اللهُ عَـنْ أَبِـي الـدَّرْدَاءِ

أَشَارَ إِلى قَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِيَّاكُمْ وَمُعاشَرَةَ النَّاسِ ؛ فإِنَّهُمْ ما رَكِبُوا قَلْبَ امْرِىءٍ إِلاَّ غَيَّرُوهُ ، وَلا جَواداً إِلاَّ عَقَرُوهُ ، وَلا بَعِيراً إِلاَّ أَدْبَرُوهُ .

● وَرَوَى السُّهَيْلِيُّ فِي الكَلامِ عَلَى غَزْوَةِ أُحُدٍ ، فِي حَدِيثٍ مُسْنَدٍ ، أَنَّهُ قَالَ[1] : لَمَّا وُلِدَ عَبْدُ اللهِ بن الزُّبَيْرِ ، نَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ : « هُوَ هُوَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ » . فَلَمَّا سَمِعَتْ أَسْمَاءُ ذَلِكَ ، أَمْسَكَتْ عن إِرْضاعِهِ ؛ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ : « أَرْضِعِيهِ وَلَوْ بِمَاءِ عَيْنَيْكِ ؛ كَبْشٌ بَيْنَ ذِئَابٍ عَلَيْهَا ثِيَابٌ ، لَيَمْنَعَنَّ البَيْتَ أَوْ لَيُقْتَلَنَّ دُونَهُ » .

● وَرَوَى « ابْنُ مَاجَه » وَ« البَيْهَقِيُّ » عن كَعْبِ بنِ مَالِكٍ ، وَقَالَ[2] : حَدِيثٌ صَحِيْحٌ حَسَنٌ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَا ذِئْبَانِ جائِعانِ أُرْسِلا فِي زَرِيْبَةِ غَنَمٍ ، بِأَفْسَدَ لَهَا من حِرْصِ الرَّجُلِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِيْنِه » .

وَقَدْ نصَّ اللهُ تَعالَى عَلَى ذَمِّ الحِرْصِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [البقرة : ٩٦] .

● وَرَوَى « ابْنُ عَدِيٍّ »[3] عن عَمْرو بن خُلَيْفٍ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ ، فَرَأَيْتُ فِيها ذِئْباً ، فَقُلْتُ : أَذِئْبٌ فِي الجَنَّةِ ؟ فَقَالَ : أَكَلْتُ ابْنَ شُرطيٍّ » .

---

(١) تاريخ دمشق ٣٣/ ٣٩٨ ومختصره ١٢/ ١٧٢ والروض الأُنف ٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

(٢) القائل هو الترمذيّ ، والحديث في جامعه (٢٣٧٦) ومسند أحمد ٣/ ٤٥٦ و ٤٦٠ وابن حبّان (٣٢٢٨) . ولم يخرجه ابن ماجه ! .

(٣) وميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٨ وقال الذَّهبيُّ : وهذا كذبٌ . ولسان الميزان ٦/ ٢٠٤ .

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : هَذَا وإِنَّما أَكَلَ ابْنَهُ ، فَلَوْ أَكَلَهُ رُفِعَ فِي عِلِّيِّيْنَ .

وَقَدْ رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ فِي « تارِيْخ نَيسَابُور » لِلْحاكِمِ ، فِي تَرْجَمَةِ شَيْخِهِ عليّ بن محمَّد بن إِسْماعِيْلَ الطُّوسيّ ؛ وَهُوَ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ .

● وَرَوَى الحاكِمُ في « مُسْتَدْرَكِهِ »[1] بإِسْنادٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، عن أَبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عنه ، قَالَ : بَيْنَما راعٍ بالحَرَّةِ ، إِذْ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ ، فَحَالَ الرَّاعِي بَيْنَهُ وَبَيْنَها ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ ، وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللهِ ، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ ساقَهُ اللهُ إِليَّ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاعَجَباً ! ذِئْبٌ يُكَلِّمُنِي ! فَقَالَ الذِّئْبُ : أَلا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنِّي ؟ هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ ما قَدْ سَبَقَ .

فَزَوَى الرَّاعِي شِياهَهُ إِلى زاوِيَةٍ من زَوَايا المَدِيْنَةِ ، ثُمَّ أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « صَدَقَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ » .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ وَغَيْرُهُ[2] : كَلَّمَ الذِّئْبُ من الصَّحابَةِ ثَلاثَةً : رافِعَ بن عُمَيْرَةَ ، وَسَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ ، وَأُهْبَان بن أَوْس الأَسْلَميّ رَضِيَ اللهُ عنهم .

قَالَ : وَلِذَلِكَ تَقُولُ العَرَبُ : هُوَ كَذِئْبِ أُهْبَانَ ، يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ .

وَذَلِكَ[3] : أَنَّ أُهْبَانَ بن أَوْسٍ المَذْكُورَ ، كان فِي غَنَمٍ لَهُ ، فَشَدَّ الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ مِنْها ، فَصَاحَ بِهِ أُهْبَانُ ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ ، وَقَالَ : أَتَنْزِعُ مِنِّي رِزْقاً

---

(١) المستدرك ٤/ ٤٦٧ .

(٢) الاستيعاب ١/ ١١٥ و٢/ ٤٨٢ و٦٣٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤ ومعرفة الصَّحابة ٢/ ٣١٦ وأُسد الغابة ١/ ١٦١ والإصابة ١/ ٢٨٩ (رقم ٣٠٧) والأغاني ٢٠/ ١٣٨ وثمار القلوب ١/ ٥٧٥ والمعارف ٣٢٣ ورسالة الغفران ٣٠٦ والمحاسن والمساوىء ١/ ٣٠ والوافي بالوفيات ٩/ ٤٣٧ .

رَزَقَنِيْهِ اللهُ تَعالَى ؟ فقَالَ أُهْبانُ : ما سَمِعْتُ وَلا رَأَيْتُ أَعْجَبَ من هَذَا ، ذِئْبٌ يَتكَلَّمُ ! فقَالَ الذِّئْبُ : أَتَعْجَبُ من هَذَا ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ هَذِهِ النَّخلاتِ ـ وَأَوْمَأَ بيَدِهِ إِلى المَدِيْنَةِ ـ يُحَدِّثُ بمَا كان وَبمَا يَكُونُ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلى اللهِ وإِلى عِبادَتِهِ ، وَهُمَ لا يُجِيْبُونَهُ ؟ قَالَ أُهبانُ بن أَوْسٍ : فَجِئْتُ النَّبيَّ ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ بالقِصَّةِ وَأَسْلَمْتُ ؛ فقَالَ لِي : « حَدِّثْ بِهِ النَّاسَ » .

قَالَ عَبْدُ اللهِ بن أَبِي داود السِّجِسْتانيّ الحافظ : فَيُقَالُ لأُهْبَانَ : مُكَلِّمُ الذِّئْبِ ، وَلأَوْلادِهِ : أَوْلادُ مُكَلِّمِ الذِّئْبِ ؛ وَمُحَمَّد بن الأَشْعَثِ الخُزاعيّ من وَلَدِهِ .

وَاتَّفَقَ مِثْلُ ذَلِكَ لِرافِعِ بن عُمَيْرَةَ[1] ، وَسَلَمَةَ بن الأَكْوع[2] . انتهى .

● وَقَالَ « البُخارِيُّ »[3] : أَنْبَأَنَا شُعَيْبٌ ، عن الزُّهْرِيّ ، عن أَبِي سَلَمَةَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « بَيْنَما راعٍ فِي غَنَمِهِ ، إِذْ عَدَا عَلَيْهَا الذِّئْبُ ، فَأَخَذَ مِنْها شَاةً ، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ وَقَالَ : مَن لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ ، يَوْمَ لا راعِيَ لَهَا غَيْرِي ؟ وَبَيْنَما رَجُلٌ يُسُوقُ بَقَرَةً قد حَمَلَ عَلَيها ، فَالْتَفَتَتْ إِليه وَكَلَّمَتْهُ فقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا ، وَلَكنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ » فقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللهِ ، ذِئْبٌ يَتكَلَّمُ ! وَبقَرَةٌ تَتكَلَّمُ ! فقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « آمَنْتُ بذَلِكَ أَنا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمر » .

قَالَ ابْنُ الأَعرابِيِّ : السَّبْعُ بِسُكُونِ البَاءِ : المَوْضِعُ الذِي عِنْدَهُ المَحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ أَرادُ : من لَهَا يَوْمَ القِيامَةِ .

وَقِيلَ : هَذَا التَّفْسِيْرُ يَفْسُدُ بِقَوْلِ الذِّئْبِ فِي تَمامِ الحَدِيْثِ : يَوْمَ لا راعِيَ لَهَا

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

(٢) الاستيعاب ٢/ ٦٣٩ .

(٣) البخاري ٣/ ٦٧ و ٤/ ١٤٩ و ١٩٢ و ٢٠٠ ومسلم (٢٣٨٨) والترمذيّ (٣٦٩٥) .

غَيْرِي ، وَالذِّئْبُ لا يَكُونُ لَهَا راعِياً يَوْمَ القِيامَةِ .

وَقِيْلَ : أَرادَ : مَن لَهَا يَوْمَ الفِتَنِ ، حِيْنَ يَتْرُكُها النَّاسُ هَمَلاً لا راعِيَ لَهَا ، نُهْبَةً لِلسِّبَاعِ وَالذِّئابِ ؛ فَجَعَلَ السَّبُعَ لَها راعِيَاً ، إِذْ هُوَ مُنْفَرِدٌ بِهَا ، وَيَكُونُ حِيْنَئِذٍ بِضَمِّ البَاءِ .

وَهَذَا إِنْذَارٌ بِمَا يَكُونُ من الشَّدائِدِ وَالفِتَنِ التي تَأْتِي ، حَتَّى يُهْمِلَ النَّاسُ فِيها مَواشِيَهُمْ ، وَتَتَمَكَّنَ مِنْها السِّبَاعُ بِلا مانِعٍ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بن المُثَنَّى : يَوْمُ السَّبُعِ : عِيْدٌ كان لَهُمْ فِي الجاهِلِيَّةِ ، يَشْتَغِلُونَ فِيْهِ بِلَهْوِهِمْ وَلَعِبِهِمْ وَأَكْلِهِمْ ، فَيَجِيْءُ الذِّئْبُ فَيَأْخُذُها ؛ وَلَيْسَ هُوَ بِالسَّبُعِ الَّذِي يَفْتَرِسُ النَّاسَ .

قَالَ : وَأَمْلاهُ أَبُو عامِرٍ العَبْدِيّ الحافِظ : بِضَمِّ البَاءِ ؛ وَكَانَ من العِلْمِ والإِتْقَانِ بِمَكانٍ .

● وَفِي « الصَّحِيحينِ »[1] عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « كانَتِ امْرَأَتانِ مَعَهُمَا ابْناهُما ، إِذْ جاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُما ، فَقَالَتْ هَذِهِ لِصاحِبَتِها : إِنَّما ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْت ، وَقالَتِ الأُخْرَى : إِنَّما ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ ، فَتَحَاكَمَا إِلى داوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى ؛ فَخَرَجَتا عَلَى سُلَيْمانَ بن داوُد ، فَأَخْبَرَتاهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : ائْتُونِي بِالسِّكِّيْنِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا نِصْفَيْنِ . فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لا وَيَرْحَمُكَ اللهُ ، هُوَ ابْنُها ؛ فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى » .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : وَاللهِ ما سَمِعْتُ بِالسِّكِّيْنِ قَطُّ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلاَّ : المُدْيَةَ .

وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الحَدِيْثِ من جَوَّزَ أَنَّ المَرْأَةَ تَسْتَحِقُّ اللَّقِيْطَ ، وَأَنَّهُ يَلْحَقُها ،

---

(١) البخاري ٨/ ١٢ ومسلم (١٧٢٠) والنَّسائيّ (٥٤٠٢ ـ ٥٤٠٤) .

لأَنَّها أَحَدُ الأَبَوَيْنِ ، وَنَقَلَهُ صاحِبُ « التَّقْرِيْبِ » عن ابْنِ سُرَيج .

وَالأَصَحُّ أَنَّهُ لا يَلْحَقُها إذا اسْتَلْحَقَتْهُ ، لإِمْكَانِ إقامَةِ البَيِّنَةِ عَلَى الوِلادَةِ بِطَرِيقِ المُشَاهَدَةِ بِخِلافِ الرَّجُلِ .

وَفِيْهِ وَجْهٌ ثَالِثٌ : يَلْحَقُ الخَلِيَّةَ دُونَ المُزَوَّجَةِ ، لِتَعَذُّرِ الإِلْحَاقِ بِهَا دُونَهُ .

وَإذا قُلْنا : يَلْحَقُها بالاسْتِلْحَاقِ ، وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ : لَمْ يَلْحَقْهُ فِي الأَصَحِّ ؛ وَلَيْسَ المُرادُ بالزَّوْجِ مَن هِيَ فِي عِصْمَتِهِ ، بَلْ كَوْنُها فِراشاً لِشَخْصٍ ، لو ثَبَتَ نَسَبُ اللَّقِيْطِ مِنْهَا بِالبَيِّنَةِ ، لَحِقَ صاحِبَ الفِراشِ ، سَواءٌ كانَتْ فِي العِصْمَةِ أَوْ فِي العِدَّةِ .

● وَرَوَى « الإمامُ أَحمدُ » و« الطَّبرانيُّ »[1] بإِسْنادٍ جَيِّدٍ ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « الشَّيْطَانُ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الغَنَمِ ، يَأْخُذُ القاصِيَةَ ؛ إِيَّاكُمْ والشِّعَابَ ، وَعَلَيْكُمْ بالعامَّةِ وَالجَماعَةِ وَالمَسَاجِدِ » .

● وَفِي « تَارِيْخِ ابْنِ النَّجَّارِ » عن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ ، قَالَ[2] : بَيْنَما امْرَأَةٌ من بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى ساحِلِ البَحْرِ تَغْسِلُ ثِيَابَها ، وَصَبِيٌّ لَهَا يَدِبُّ بَيْنَ يَدَيْها ، إِذْ جَاءَ سَائِلٌ فَأَعْطَتْهُ لُقْمَةً من رَغِيْفٍ كان مَعَها ، فَمَا كان بأَسْرَعَ من أَنْ جاءَ ذِئْبٌ فَالْتَقَمَ الصَّبِيَّ ، فَجَعَلَتْ تَعْدُو خَلْفَهُ وَتَقُولُ : يَا ذِئْبُ ابْنِي يَا ذِئْبُ ابْنِي ، فَبَعَثَ اللهُ مَلَكاً ، فنَزَعَ الصَّبِيَّ من فَمِ الذِّئْبِ وَرَمَى بِهِ إِلَيْهَا ، وَقَالَ : لُقْمَةٌ بلُقْمَةٍ .

وَهُوَ فِي « الحِلْيَةِ »[3] عن مَالِكِ بن دِينار ، قَالَ : أَخَذَ السبع صَبِيّاً لامرأَةٍ ، فَتَصَدَّقَتْ بِلُقْمَةٍ ، فَرَمَاهُ السَّبُعُ فَنُودِيَتْ : لُقْمَةٌ بِلُقْمَةٍ .

---

(١) مسند أَحمد ٥/ ٢٣٣ و ٢٤٣ .

(٢) ربيع الأَبرار ٢/ ٣٩١ والمجالسة ٨/ ٢٦٣ والفرج بعد الشِّدَّة ٤/ ١٣٣ ونَشوار المحاضرة ٢/ ٤٢ والمستطرف ١/ ٣٧ .

(٣) حلية الأَولياء ٢/ ٣٨٤ .

● وَرَوَى الإمامُ أَحمدُ فِي « الزُّهْدِ »[١] عن سالم بن أَبِي الجَعْدِ ، قَالَ : خَرَجَتِ امْرَأَةٌ وَكَانَ مَعَها صِبيٌّ لَهَا ، فَجاءَ الذِّئْبُ فَاخْتَلَسَهُ منها ، فَخَرَجَت فِي أَثَرِه ، وَكَانَ مَعَها رَغِيفٌ ، فَعَرَضَ لَهَا سائِلٌ ، فَأَعْطَتْهُ الرَّغِيْفَ ، فَجاءَ الذِّئْبُ بِصَبِيِّها فَرَدَّهُ عَلَيها .

وَقد تَقَدَّمَ نَظِيرُ ذَلِكَ عنه ، فِي « بَابِ الهَمْزَةِ » فِي « الأَسْوَدِ السَّالِخِ » .

● قَالَ « ابْنُ سَعْدٍ »[٢] : كان مُوسَى بن أَعْيَنَ راعِياً بكَرْمَانَ فِي خِلافَةِ عُمَر ابن عَبْدِ العَزِيْزِ ، فَكَانَتِ الذِّئَابُ وَالشَّاءُ وَالوَحْشُ تَرْعَى فِي مَوْضِعٍ واحِدٍ ؛ فَبَيْنَما نَحْنُ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ عَرَضَ الذِّئْبُ لِشَاةٍ ، فَقُلْنَا : ما نَرَى الرَّجُلَ الصَّالِحَ إِلاّ قد مَاتَ ؛ فَنَظَرْنَا فإذا عُمرُ بن عَبْدِ العَزِيْزِ قد مَاتَ تِلْكَ اللَّيلةَ ، وَذَلِكَ لِعَشْرٍ بَقِيْنَ من شَهْرِ رَجَب ، سَنَةَ إِحْدَى وَمِئَة ـ كَمَا تَقَدَّمَ فِي « الإِوَزِّ » ـ وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلافَتِه سَنَتَيْنِ وَخَمْسَة أَشْهُرٍ .

● وَرَوَى الإمامُ أَحمد فِي « الزُّهْدِ »[٣] أَيضاً عن مالك بن دِينار ، قَالَ : لَمَا اسْتُعْمِلَ عمر بن عبدِ العَزِيزِ عَلَى النّاسِ ، قَالَ رُعاةُ الشَّاءِ : مَن هَذَا العَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي قَامَ عَلَى النَّاسِ ؟ قِيْلَ لَهُمْ : وَمَا أَعْلَمَكُمْ بِذَلِكَ ؟ قَالُوا : إِنَّهُ إِذا وُلِّيَ عَلَى النَّاسِ خَلِيْفَةُ عَدْلٍ ، كَفَّتِ الذِّئَابُ وَالأُسْدُ عن شِيَاهِنا .

● رَوَى[٤] « أَحمدُ » وَ« الطَّبرانيُّ » عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الذِّئْبِ لِلمُحْرِمِ .

---

(١) الزُّهد : ١٢٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٦ وحلية الأَولياء ٥/ ٢٥٥ وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٨٠ ومختصره ١٩/ ١١٩ وتاريخ الخلفاء ٢٧٥ .

(٣) ليس في الزُّهد للإمام أَحمد ، وهو في حلية الأَولياء ٥/ ٢٥٥ وتاريخ الخلفاء ٢٧٥ .

(٤) الحديث من ب . وهو في مسند أَحمد ٢/ ٢٢ و ٣٠ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ لِتَقْوِيَتِه بِنَابِهِ .

الأَمْثَالُ : وَصَفَتْهُ العَرَبُ بِأَوْصَافٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَقَالُوا : « أَغْدَرُ من ذِئْبٍ »[1] ، وَأَخْتَلُ[2] ، وَأَخْبَثُ[3] ، وَأَخْوَنُ[4] ، وَأَحْوَلُ[5] ، وَأَعْتَى[6] ، وَأَعْدَى[7] ، وَأَظْلَمُ[8] ، وَأَجْرَأُ ، وَأَكْسَبُ[9] ، وَأَجْوَعُ[10] ، وَأَنْشَطُ[11] ، وَأَوْقَحُ[12] ، وَأَجْسَرُ ، وَأَيْقَظُ[13] ، وَأَعَقُّ[14] ، وَأَلأَمُ من ذِئْبٍ[15] .

وَقَالُوا : « أَخُوكَ أَمِ الذِّئْبُ »[16] وَقَالُوا : « أَخَفُّ رَأْساً من الذِّئْبِ »[17]

---

(١) الميداني ٢/ ٦٧ وحمزة ١/ ٣٢١ والعسكري ١/ ١٦٧ و ٢/ ٧٩ والزمخشري ١/ ٢٥٨ .

(٢) حمزة ١/ ١٧٠ والعسكري ١/ ٤١٢ و ٤٣٩ .

(٣) الميدانيّ ١/ ٢٥٩ وحمزة ١/ ١٧٠ و ١٩٠ والعسكري ١/ ٤١٢ و ٤٣٨ و ٤٦٢ والزمخشري ١/ ٩٢ .

(٤) الميداني ١/ ٢٦٠ وحمزة ١/ ١٧٠ و ١٩٢ والعسكريّ ١/ ٤١٢ و ٤٣٩ والزمخشريّ ١/ ١١٢ .

(٥) الميدانيّ ١/ ٢٢٨ وحمزة ١/ ١٣٤ و ١٦١ والعسكري ١/ ٣٤٣ و ٤٠١ والزمخشري ١/ ٩٠ .

(٦) حمزة ١/ ٢٩٧ والزمخشري ١/ ٢٣٥ .

(٧) الميداني ٢/ ٤٥ وحمزة ١/ ٢٩٧ و ٣٠٢ والعسكري ٢/ ٦٧ والزمخشري ١/ ٢٣٨ .

(٨) الميداني ١/ ٤٤٦ وحمزة ١/ ٢٩٣ و ٢٩٤ والعسكري ٢/ ٣٠ والزمخشريّ ١/ ٢٣٢ .

(٩) الميداني ٢/ ١٦٨ و ٢/ ٣٦١ و ٣٦٦ والعسكري ٢/ ١٧٥ والزمخشري ١/ ٢٩٤ .

(١٠) الميدانيّ ١/ ١٨٦ وحمزة ١/ ١١٧ والعسكري ١/ ٢٩٨ و ٣٣٢ والزمخشري ١/ ٥٧ .

(١١) الميدانيّ ٢/ ٣٥٧ وحمزة ٢/ ٣٩١ والعسكري ٢/ ٢٩٨ والزمخشري ١/ ٣٩١ .

(١٢) الميداني ٢/ ٣٨٢ وحمزة ٢/ ٤١٥ والعسكري ٢/ ٣٢٩ والزمخشري ١/ ٤٣٨ .

(١٣) الميداني ٢/ ٤٢٧ وحمزة ٢/ ٤٣٧ والعسكري ٢/ ٤٢٠ والزمخشري ١/ ٤٤٩ .

(١٤) الميداني ٢/ ٤٩ وحمزة ١/ ٢٩٧ و ٣٠٨ والعسكري ٢/ ٦٩ والزمخشري ١/ ٢٥٠ .

(١٥) الميداني ٢/ ٢٥٦ وحمزة ١/ ٣٠٧ و ٢/ ٣٦٩ والعسكري ٢/ ١٨٠ والزمخشري ١/ ٢٩٩ .

(١٦) الميداني ١/ ٥٠ والعسكري ١/ ١٦٨ .

(١٧) الميداني ١/ ٢٥٤ وحمزة ١/ ١٧١ والعسكري ١/ ٤٢٨ والزمخشري ١/ ١٠٣ .

لأَنَّهُ يَنامُ بإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ؛ وَسَيَأْتِي لَهُ ذِكْرٌ فِي أَمْثَالِ الغُرابِ .

وَقَالُوا فِي الدُّعَاءِ عَلَى العَدُوِّ : « رَمَاهُ اللهُ بِدَاءِ الذِّئْبِ »[1] . أَي الجُوع . وَقَالُوا : « الذِّئْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَةَ » كَمَا تَقَدَّمَ . وَقَالُوا : « مَن اسْتَرْعَى الذِّئْبَ الغَنَمَ ، فَقَدْ ظَلَمَ »[2] : أَي ظَلَمَ الغَنَمَ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يُرادَ بِهِ : ظَلَمَ الذِّئْبَ ، حَيْثُ كَلَّفَهُ ما لَيْسَ فِي طَبْعِهِ ؛ وَأَوَّلُ من قَالَ ذَلِكَ أَكْثَمُ بن صَيْفيّ .

● وَقَالَهُ عُمرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ فِي قِصَّةِ سَارِيَةَ بن حِصْنٍ المَشْهُورة[3] ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كان يَخْطبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ بِالمَدِيْنَةِ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : يَا سَارِيَةُ بن حصْنٍ ، الجَبَلَ الجَبَلَ ، مَن اسْتَرْعَى الذِّئْبَ الغَنَمَ فَقَدْ ظَلَمَ ؛ فَالْتَفَتَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ وَلَمْ يَفْهَمُوا مُرادَهُ ، فَلَمّا قَضَى صَلاتَهُ قَالَ لَهُ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَ : ما هَذَا الذِي قُلْتَهُ ؟ قَالَ : أَسَمِعْتَهُ ؟ قَالَ : نَعم ، أَنا وَكُلُّ مَن فِي هَذا المَسْجِدِ . قَالَ : وَقَعَ فِي خَلَدِي أَنَّ المُشْرِكِيْنَ هَزَمُوا إِخوانَنَا ، وَرَكِبُوا أَكْتافَهُمْ ، وَأَنَّهُمْ يَمرُّونَ بِجَبَلٍ ، فإِنْ عَدَلُوا إِلَيْهِ ، قاتَلُوا مَن وَجَدُوا وَظَفرُوا ، وإِنْ جاوَزُوهُ هَلَكُوا ؛ فَخَرَجَ مِنِّي هَذَا الكَلامُ ؛ فَجاءَ البَشِيْرُ بَعْدَ شَهْرٍ ، فَذَكَرَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا فِي ذَلِكَ اليوم ، وَفِي تِلكَ السَّاعَةِ ، حِيْنَ جاوَزُوا الجَبَلَ ، صَوْتاً يُشْبِهُ صَوْتَ عُمرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ يَقُولُ : يَا سَارِيَةُ بن حِصْنٍ ، الجَبَلَ الجَبَلَ فَعَدَلُوا إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ اللهُ عليهِم .

---

(١) الميداني ١/ ٢٨٧ والعسكري ١/ ٤٦١ والزمخشري ٢/ ١٠٢ .

(٢) الميداني ٢/ ٣٠٢ وحمزة ١/ ١٩٢ و ٢٩٤ والعسكري ٢/ ٢٦٥ والزمخشريّ ٢/ ٣٥٢ .

(٣) تفرَّد الإمام النَّوويّ في تهذيب الأَسماء واللُّغات ١/ ١٠ ـ ١١ بتسميته سارية بن حصن ، والمشهور أَنَّهُ سارية بن زُنيم ، وانظر دلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم ٥٧٩ و ٥٨٠ وأُسد الغابة ٢/ ٣٠٦ وطبقات ابن سعد ٦/ ١٥٣ والإصابة ٣/ ٥ (رقم ٣٠٤١) والمنتظم ٤/ ٣٢٦ ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٨٥ و ١٨/ ٢٨٧ والبداية والنِّهاية ١٠/ ١٧٣ ـ ١٧٦ وتاريخ الخلفاء ١٥٢ .

كَذَا نَقَلَهُ فِي « تَهْذِيبِ الأَسماءِ واللُّغات » . وَفِي « طَبَقَاتِ ابنِ سعدٍ » وَ« أُسْدِ الغابَةِ » : أَنَّهُ سارِيَةُ بن زُنَيْمِ بن عَمرو بن عَبْدِ اللهِ بن جابِرٍ .

● وَأَنْشَدُوا فِي مَعْنَى هَذَا المَثَلِ هَذَا البَيْتَ : [من الوافر]

وَرَاعِي الشَّاءِ يَحْمِي الذِّئْبَ عَنْهَا   فَكَيْـفَ إِذا الـرُّعَـاةُ لَهَـا ذِئـابُ

● كَانَ يَحْيَى بن مُعاذٍ الرّازيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، يَقُولُ لِعُلَمَاءِ الدُّنْيَا فِي زَمانِهِ : يَا أَصْحَابَ العِلْمِ ، قُصُورُكُمْ قَيْصَرِيَّةٌ ، وَبُيُوتُكُمْ كِسْرَوِيَّةٌ ، وَأَثْوابُكُمْ طالُوتِيَّةٌ ، وَأَخْفافُكُمْ جَالُوتِيَّةٌ ، وَأَوانِيكُمْ فِرْعَوْنِيَّةٌ ، ومَراكِبُكُمْ قَارُونِيَّةٌ ، وَمَوائِدُكُمْ جاهِلِيَّةٌ ، وَمَذَاهِبُكُمْ شَيْطَانِيَّةٌ ، فَأَيْنَ المُحَمَّدِيَّةُ ؟ .

الخَواصُّ[(١)] : إِذا عُلِّقَ رَأْسُ الذِّئْبِ فِي بُرْجِ حَمامٍ : لَمْ يَقْرَبْهُ سِنَّوْرٌ وَلا شَيْءٌ يُؤْذِي الحَمامَ .

وَكَعْبُ الذِّئْبِ الأَيْمَنِ ، إِذا عُلِّقَ عَلَى رَأْسِ رُمْحٍ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَماعَةٌ ، لَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ ما دَامَ الكَعْبُ مُعَلَّقاً عَلَى رُمْحِهِ .

وَعَيْنُهُ اليُمْنَى : مَن عَلَّقَها عَلَيْهِ ، لَمْ يَخَفْ لِصّاً وَلا سَبُعاً .

وَخُصْيَتُهُ : إِذا شُقَّتْ وَمُلِّحَتْ بِمِلْحٍ وصَعْتَرٍ ، وَسُقِيَ مِنْها وَزْنُ مِثْقَالٍ بِمَاءِ الجِرْجِيرِ ، مَن بِهِ وَجَعُ الخاصِرَةِ : أَبْرَأَهُ . وَهُوَ نافِعٌ أَيْضاً لِذَاتِ الجَنْبِ ، إِذا شُرِبَ مِنْها بِمَاءٍ حَارٍّ وَعَسَلٍ .

وَدَمُهُ : يَنْفَعُ من الصَّمَمِ إِذا دِيفَ بِدُهْنِ الجَوْزِ ، وَقُطِّرَ فِي الأُذُنِ .

وَدِماغُهُ : يُدافُ بِمَاءِ السُّذَابِ والزَّيْتِ وَيُدْهَنُ بِهِ الجَسَدُ : يَنْفَعُ من كُلِّ عِلَّةٍ ظاهِرَةٍ وباطِنَةٍ فِي البَدَنِ من البَرْدِ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٥٩ وتذكرة داود ١/ ١٦٤ ومفردات ابن البيطار ٢/ ١٢٧ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٤٨ ـ ٤٩ .

وَأَنْيَابُهُ وَجِلْدُهُ وَعَيْنُهُ : إذا حَمَلَها الإِنْسَانُ مَعَهُ : غَلَبَ خَصْمَهُ ، وَكَانَ مُحَبَّباً إلى النّاسِ جَمِيعاً .

وَكَبِدُهُ : تَنْفَعُ من وَجَعِ الكَبِدِ .

وَقَضِيْبُهُ : إذا شُوِيَ فِي الفُرْنِ ، وَمُضِغَتْ مِنْهُ قِطْعَةٌ : هَيَّجَتِ البَاهَ .

وإذا خُلِطَتْ مَرارَتُهُ بِالعَسَلِ ، أَو بِالمَاءِ ، وَلُطِّخَ بِهَا الذَّكَرُ وَقْتَ الجِمَاعِ : أَحَبَّتِ المَرْأَةُ الرَّجُلَ حُبّاً شَدِيْداً .

وإذا عُلِّقَ ذَنَبُ الذِّئْبِ علىٰ مَعلفِ بَقَرٍ : لَمْ تقرَبْ إليهِ ما دَامَ مُعَلَّقاً ، وإنْ أَجْهَدَها الجُوعُ .

وإنْ بُخِّرَ مَوْضِعٌ بزبْلِهِ : لَمْ يقْرَبْهُ الفَأْرُ ؛ وَقِيلَ : يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الفَأْرُ .

وإذا اجْتَمَعَ جِلْدُهُ وَجِلْدُ شَاةٍ فِي مَوْضِعٍ واحِدٍ : تَجَرَّدَ جِلْدُ الشَّاةِ ، كَمَا تَقَدَّمَ . وَمَنْ أَدْمَنَ الجُلُوسَ عَلَى جِلْدِهِ ، أَمِنَ من القُولَنْجِ .

وإذا عُلِّقَ وَتَرٌ من ذَنَبِه عَلَى شَيْءٍ من المَلاهِي ، وَضُرِبَ بِها ، تَقَطَّعَتْ جَمِيْعُ أَوْتَارِ الغَنَمِ التي تكُونُ عَلَى المَلاهِي ، وَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا صوْتٌ .

وإذا بُخِّرَ بِجِلْدِ الذِّئْبِ حانُوتُ من يَعْمَلُ الدُّفُوفَ التي تَلْعَبُ بِهَا النِّسَاءُ ، تَشَقَّقَتْ .

وإنِ اتُّخِذَ طَبْلٌ من جِلْدِهِ ، وَضُرِبَ بِهِ بَيْنَ طُبُولٍ ، تَشَقَّقَتِ الطُّبُولُ كُلُّها .

وَشَحْمُهُ يَنْفَعُ من دَاءِ الثَّعْلَبِ .

وَشُرْبُ مَرارَتِهِ ، يَنْفَعُ من اسْتِرْخَاءِ البَطْنِ .

وَإذا لُطِّخَ بِهَا عَلَى الإِحْلِيْلِ : جَامَعَ الرَّجُلُ ما شَاءَ .

وإذا طُلِيَ بِمَرارَتِهِ مَعْ مَرارَةِ نَسْرٍ ، وَدُهْنِ الزِّئْبَقِ : هَيَّجَ البَاهَ ، وَأَنْعَظَ ، وَرُبَّما أَنْزَلَ من لَذَّةِ ذَلِكَ .

وإذا دِيفَت مَرارَتُهُ بِدُهْنِ وَرْدٍ ، وَدَهَنَ بِهَا الرَّجُلُ حاجِبَيْهِ : أَحَبَّتْهُ المَرْأَةُ إِذا مَشَى بَيْنَ يَدَيْها .

وإذا خُلِطَتْ مَرارَتُهُ بِوَرْسٍ ، وَطُلِيَ بِهَا الوَجْهُ : أَذْهَبَ البَهَقَ .

وَعَيْنُ الذِّئْبَةِ ، إذا عُلِّقَتْ عَلَى مَن يُصْرَعُ : تَمْنَعُ من الصَّرَعِ .

وَإِنْ أُخِذَ عَظْمٌ من العِظَامِ التي تُوجَدُ فِي زِبْلِ الذِّئْبِ ، وَخُدِشَ بِهَا الضِّرْسُ الوَجِعُ : أَبْرَأَهُ من وَقْتِهِ .

وَقَالَ جَالِيْنُوس : يُسعطُ بِمَرارَةِ الذِّئْبِ وَدُهْنِ البَنَفْسَجِ ، مَن بِهِ الشَّقِيْقَةُ المُزْمِنَةُ ، فإِنَّهُ يَبْرَأُ ؛ وإِنْ سُعِّطَ بِذَلِكَ المَوْلُودُ ، أَمِنَ من الصَّرَعِ ما عَاشَ .

وَعَيْنَاهُ إذا عُلِّقَتا عَلَى صَبِيٍّ ، لَمْ يُصْرَعْ .

وإِنْ أُخِذَ جُزْءٌ من مَرَارَةِ الذِّئْبِ ، وَجُزْءٌ من عَسَلٍ لَمْ يُصِبْهُ النَّارُ ، وَاكْتُحِلَ بِهِ : نَفَعَ من ظُلْمَةِ العَيْنِ ، وَضَعْفِ البَصَرِ .

وإِنْ عُقِدَ ذَنَبُ الذِّئْبِ باسْمِ امْرَأَةٍ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا أَحَدٌ من الرِّجَالِ حَتَّى تُحَلَّ العُقْدَةُ .

وإِنْ خُلِطَتْ مَرارَةُ الذِّئْبِ بِعَسَلٍ ، وَطُلِيَ بِهَا الذَّكَرُ ، وَجَامَعَ امْرَأَةً ، فإِنَّها تُحِبُّ ذَلِكَ الرَّجُلَ حُبّاً شَدِيْداً[١] .

وَدَمُ الذِّئْبِ يُنْضِجُ الجِراحَاتِ .

● **صِفَةُ طِلَّسْمٍ لِجَمْعِ الذِّئَابِ** : يُعْمَلُ تِمْثَالُ ذِئْبٍ من نُحاسٍ ، وَيُجَوَّفُ داخِلُهُ ، وَيُوضَعُ فِيهِ قَضِيبُ ذِئْبٍ ، وَيُصَفَّرُ بِهِ ، فَتَجْتَمِعُ الذِّئابُ التي تَسْمَعُ صَوْتَهُ إِلَيْهِ .

---

(١) مضت هذه الفقرة فيما مضى .

● **صِفةُ طِلَّسْمٍ تَهْرُبُ مِنْهُ الذِّئَابُ** : يُعْمَلُ تِمْثَالُ ذِئْبٍ من نُحَاسٍ ، وَيُحْشَى من خُرْءِ ذِئْبٍ ، وَيُدْفَنُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ أَرَدْتَ ، فإِنَّ الذِّئَابَ تَهْرُبُ من ذَلِكَ المَوْضِعِ .

التَّعْبِيرُ[1] : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى الكَذِبِ وَالحِيْلَةِ والعَدَاوَةِ لِلأَهْلِ ، وَالمَكْرِ بِهِمْ .

وَقِيْلَ : الذِّئْبُ فِي الرُّؤْيَا : لِصٌّ غَشُومٌ ظَلُومٌ .

وَجَرْوُهُ : وَلَدُ لِصٍّ ، فَمَنْ رَأَى جَرْوَ ذِئْبٍ ، فإِنَّهُ يَرَى لِصّاً لَقِيطاً .

وَإِنْ تَحولَ الذِّئْبُ حَيَواناً إِنْسِيّاً كَالخَرُوفِ وَشَبهِهِ ، فإِنَّهُ لِصٌّ يَتُوبُ .

وَمَنْ رَأَى ذِئْباً دَخَلَ دَارَهُ ، فَلْيَحْذَرِ اللُّصُوصَ .

وَمَنْ رَأَى ذِئْباً ، فإِنَّهُ يَتَّهِمُ إِنْسَاناً ، وَيَكُونُ المُتَّهَمُ بَرِيئاً ، لِقَصَّةِ يُوسفَ عليهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ .

وَمَنْ رَأَى ذِئْباً وَكَلْباً اتَّفَقَا وَاجْتَمَعَا : دَلَّ عَلَى النِّفاقِ والمَكْرِ والخَدِيْعَةِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

٣٥٩ ذُؤَالَةٌ[2] : اسْمٌ لِلذِّئْبِ ، كَأُسامَةَ لِلأَسَدِ ، وَهُوَ مَعْرِفَةٌ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ يَذْأَلُ فِي مِشْيَتِهِ ، وَهِيَ المِشْيَةُ الخَفِيْفَةُ .

● وَفِي الحَدِيثِ[3] : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ تُرَقِّصُ صَبِيّاً لَهَا : وَتَقُولُ :

ذُؤَالَ يَا ابْنَ القَرْمِ يَا ذؤَالَهْ

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٨٦ و ١٨٨ وتفسير الواعظ ٢٨٦ .

(٢) مضت هذه المادَّة في حرف الدَّال المهملة « دؤالة » ! وصواب ذكره في هذا الموضع .

(٣) عن النهاية ٢/ ١٥١ . وتمام الشطر فيه ١/ ٢١١ : يمشي الثطا ويجلس الهبنقعه .

فَقَالَ النَّبيِّ ﷺ : « لا تَقُولِي ذؤَالَ ، فإِنَّهُ شَرُّ السِّباعِ » . وَذُؤَالُ : تَرْخِيمُ ذُؤَالَةِ . والقَرْمُ : السَّيِّدُ .

٣٦٠ الذِّيْخُ : بكَسْرِ الذَّالِ : ذَكَرُ الضِّباعِ ، الكَثِيْرُ الشَّعْرِ ، وَالأُنْثَى ذِيْخَةٌ ؛ وَالجَمْعُ : ذُيُوخٌ ، وَأَذْيَاخٌ ، وَذِيَخَةٌ[١] .

● رَوَى « البُخارِيُّ » فِي « أَحادِيْثِ الأَنْبِيَاءِ » ، وفِي « التَّفْسِيرِ »[٢] عن إسماعِيلَ بن عبدِ اللهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَخِي عبدُ الحَمِيْدِ ، عن ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ ، عن سَعِيد المَقْبُرِيّ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يَلْقَى إِبْراهِيْمُ عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْراهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنْ لا تَعْصِيَنِي ؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَاليَوْمَ لا أَعْصِيْكَ ؛ فَيَقُولُ إِبْراهِيْمُ : يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى من أَنْ يَكُونَ أَبِي فِي النَّارِ ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعالَى : إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكافِرِيْنَ ؛ ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْراهِيْمُ ، ما تَحْتَ رِجْلَيْكَ ؟ فَيَنْظُرُ فإِذا بِذِيْخٍ مُتَلَطِّخٍ ؛ فَيُؤْخَذُ بقَوائِمِهِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ » .

● وَرَوَاه « النَّسائِيُّ » وَ« البَزّارُ » والحاكِمُ فِي أَواخِرِ « المُستدرِكِ »[٣] عن أَبِي سَعِيْدٍ الخُدريّ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لَيَأْخُذَنَّ رَجُلٌ بِيَدِ أَبِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، يُرِيْدُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، فَيُنادَى : أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُها مشرك ، لأَنَّ اللهَ حَرَّمَ الجَنَّةَ عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ . قَالَ : فَيَقُولُ : أَي رَبِّ أَبِي ، فَيُحَوَّلُ فِي صُورَةٍ قَبيحَةٍ ، وَرِيْحٍ مُنْتِنَةٍ ، فَيَتْرُكُهُ » .

قَالَ : فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبيِّ ﷺ يَرَوْنَ أَنَّهُ إِبْراهِيْمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ؛

---

(١) عن الصّحاح « ذيخ » ١/ ٤٢١ .

(٢) البخاري ٤/ ١١٠ .

(٣) المستدرك ٤/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨ .

وَلَمْ يَزِدْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ الحاكِمُ : صَحِيْحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ .

● ثُمَّ رَوَى « الحاكِمُ »[1] عن حَمَّاد بن سَلَمَةَ ، عن أَيُّوب [السِّخيتانيّ ، عن] ابْنِ سِيرِينَ ، عن أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « يَلْقَى رِجُلٌ أَبَاهُ يومَ القِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : يَا أَبَتِ ، أَيُّ ابْنٍ كنتُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : خَيْرَ ابْنٍ ؛ فَيَقُولُ : هَلْ أَنْتَ مُطِيعِي اليومَ ؟ فَيَقُولُ : نَعم ؛ فَيَقُولُ : خُذْ بِأُزْرَتِي ؛ فَيَأْخُذُ بِأُزْرَتِهِ ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ حَتّى يَأْتِيَ اللهَ وَهُوَ يَعْرِضُ الخَلْقَ ، فَيَقُولُ : يَا عَبْدِي ، ادخُلْ من أَيِّ أَبْوابِ الجَنَّةِ شِئْتَ ؛ فَيَقُولُ : أَي رَبِّ ، وَأَبِي مَعِي ؟ فَإِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخزِيَنِي . قَالَ : فَيَمْسَخُ اللهُ أَبَاهُ ضَبُعاً ، [فَيُعْرِضُ عَنْهُ ،] فَيَهْوِي فِي النّارِ ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفِهِ ، فَيَقُولُ اللهُ تَعالَى : يَا عَبْدِي أَبُوكَ هُوَ ؟ فَيَقُولُ : لا ، وَعِزَّتِكَ » . ثُمَّ قَالَ : صَحِيْحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

● وَفِي حَدِيثِ خُزَيمةَ بن ثابتٍ ، أَوِ ابْن حَكِيمٍ السُّلَمِيّ البَهْزِيّ وَلَيْسَ بِالأَنْصارِيّ : « والذِّيْخُ مُحْرَنجِمٌ ؛ أَي كَالِحٌ مُنْقَبِضٌ من شِدَّةِ الجَدْبِ » . وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ ، شَرَحَهُ ابْنُ الأَثيرِ أَوائِلَ كِتاب « مَنال الطَّالِب »[2] .

وَالحِكْمَةُ فِي كَوْنِهِ مُسِخ ضَبُعاً دُونَ غَيْرِهِ من الحَيَوانِ : أَنَّ الضَّبُعَ أَحْمَقُ الحَيَوانَاتِ ، كَمَا سَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ فِي أَمْثَالَ الضَّبُعِ .

وَمن حُمْقِهِ : أَنَّهُ يَغْفَلُ عَمَّا يَجِبُ التَّيَقُّظُ له ، وَلِذَلِكَ قَالَ عليٌّ بن أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ[3] : لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَسْمَعُ اللَّدْمَ ، فَتَخْرُجُ حَتَّى تُصَادَ . واللَّدْمُ : الضَّرْبُ الخَفِيْفُ .

---

(١) المستدرك ٤/ ٥٨٩ والزِّيادة منه .

(٢) منال الطَّالب في شرح طوال الغرائب ١/ ٢٥ .

(٣) ثمار القلوب ١/ ٥٩٨ والتَّمثيل والمحاضرة ٣٥٦ والميداني ١/ ٢٣٩ وفصل المقال ١٨٧ وشرح النَّهج ١/ ٢٢٣ .

فَلَمَّا لَمْ يَقْبَلْ آزَرُ النَّصِيْحَةَ من أَشْفَقِ النَّاسِ عَلَيهِ ، وَقَبِلَ خَدِيْعَةَ عَدُوِّهِ الشَّيْطانِ ، أَشْبَهُ الضَّبُعِ المَوْصُوفَةَ بالحُمْقِ ؛ لأَنَّ الصَّيَّادَ إِذا أَرادَ أَنْ يَصِيدَها ، رَمَى فِي جُحْرِها بحَجَرٍ ، فَتَحْسَبُهُ شَيْئاً تَصِيدُهُ ، فَتَخْرُجُ لِتَأْخُذَهُ ، فَتُصَادُ عِند ذَلِكَ ؛ وَيُقَالُ لَهَا وَهِيَ فِي جُحْرِهَا : أَطْرِقِي أَمَّ طَرِيقٍ ، خامِرِي أَمَّ عامِرٍ ، أَبْشِرِي بِجَرادٍ عَظْلَى وَشَاةٍ هَزْلَى ؛ فَلا يَزَالُ يُقَالُ لَها ذَلِكَ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهَا الصَّائِدُ ، فَيَرْبِط يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا ثُمَّ يَجُرَّهَا .

وَلأَنَّ آزَرَ لو مُسِخَ كلباً أَوْ خِنزِيراً ، لَكَانَ فِيهِ تَشوِيهٌ لِخَلْقِهِ ؛ فَأَرادَ اللهُ تَعالَى إِكرامَ إِبراهِيم عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِجَعْلِ أَبِيْهِ عَلَى هيْئَةٍ مُتَوَسِّطَةٍ .

قَالَ فِي « المُحكم »[1] : يُقال : ذيَّخْتُهُ : أَي ذَلَّلْتُهُ .

فلما خَفَضَ إبراهيمُ لأبيه جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَةِ ، فلم يَقبلْ ، حُشِرَ بصِفَةِ الذُّلِّ يَوْمَ القِيامَةِ ؛ وَهَذِهِ الحِكْمَةُ هِيَ أَحَدُ الأَسْبَابِ الباعِثَةِ عَلَى تَأْلِيْفِ هَذَا الكِتابِ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي خُطْبَتِهِ ؛ واللهُ أَعلمُ .



(١) وعنه اللِّسان « ذيخ » ٣/١٥٢٨ .

بابُ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ

٣٦١ **الرَّاحِلَةُ** : قَالَ الجَوْهَرِيُّ[١] : هِيَ النَّاقَةُ التي تَصْلُحُ لأَنْ تُرْحَلَ ، وَكَذَلِكَ الرَّحُولُ ؛ وَيُقَالُ : الرَّاحِلَةُ : المَرْكَبُ من الإِبلِ ، ذَكَراً كان أَوْ أُنْثَى . انتهى . وَالهَاءُ فِيْها لِلْمُبالَغَةِ ، كَالتِي فِي داهِيَةٍ ، وَراوِيَةٍ ، وَعَلاَّمَةٍ ؛ وإِنَّما سُمِّيَتْ راحِلَةً ، لأَنَّها تُرْحَلُ ؛ أَي : يُشَدُّ عَلَيْهَا الرَّحْلُ ، فَهِيَ فاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ ؛ كقَوْلِه تَعالَى : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٢١] أَي مَرْضِيَّةٍ .

وَقَدْ وَرَدَ فَاعِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ فِي عِدَّةِ مَواضِعَ من القُرْآنِ العَظِيْمِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هُود : ٤٣] أَي : لا مَعْصُومَ . وَكَقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطَّارق : ٦] أَي : مَدْفُوقٍ . وَكَقَوْلِه تَعالَى : ﴿ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [القصص : ٥٧ ، والعَنكبوت : ٦٧] أَي : مَأْمُوناً .

وَفِيْه جَاءَ أَيْضاً مَفْعُولٌ بِمَعْنَى فاعِلٍ ؛ كَقَوْلِه تَعالَى : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥] أَي : ساتِراً . وَ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم : ٦١] أَي : آتِياً .

● قَالَ الحَرِيْرِيُّ[٢] : وَقَدْ يُكْنَى عن النَّعْلِ بالرَّاحِلَةِ ، لأَنَّها مَطِيَّةُ القَدَمِ ؛ وَإِلَيْهَا أَشَارَ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ مُلْغزاً : [مِنَ الطويل]

رَوَاحِلُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلاثَةٌ ... نُجَنِّبُهُنَّ المَاءَ فِي كُلِّ مَوْرِدِ

● رَوَى البَيْهَقِيُّ فِي « الشُّعب » فِي أَواخِرِ البابِ الخامِسِ والخَمسِينَ[٣] ،

---

(١) الصِّحاح « رحل » ٤/ ١٧٠٧ . وعنه اللِّسان .

(٢) درّة الغوَّاص ٤٢٠ . والبيت فيه بلا نسبة ، وكذا في شرح المقامات للشّريشيّ ٣/ ٣٠٨ ، وشرح ديوان المتنبِّي المنسوب للعكبري ١/ ٣٠١ ، وفيه برواية × . . منهل .

(٣) شعب الإيمان ٦/ ٢٠٥ رقم (٧٩١٢) . والنِّهاية ٣/ ٢٦٩ ، واللِّسان « عقب » .

أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ مَشَى عن راحِلَتِه عُقْبَةً ، فكَأَنَّما أَعْتَقَ رَقَبَةً » . قَالَ أَحمدُ : العُقْبَةُ سِتَّةُ أَمْيالٍ .

● وَرَوَى « البُخارِيُّ » وَ« مُسْلِمٌ » وَغَيْرُهُمَا[1] ، من حَدِيْثِ الزُّهْرِيِّ ، عن سَالِمٍ ، عن ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « النَّاسُ كَإِبلٍ مِئَةٍ ، لا تَجِدُ فِيهَا راحِلَةً » .

وَقَالَ البيهقِيُّ فِي « سُنَنِهِ » فِي بابِ « إِنْصَافِ الخَصْمَينِ فِي الدُّخُولِ عَلَى القاضِي ، وَالاستِمَاعِ مِنْهُمَا ، وَالإِنْصَاتِ لَهُمَا » : هَذَا الحَدِيثُ يُتَأَوَّلُ عَلَى أَنَّ النَّاسَ فِي أَحْكامِ الدِّيْنِ سَواءٌ ، لا فَضْلَ فِيْهَا لِشَرِيْفٍ عَلَى مَشْرُوفٍ ، وَلا لِرَفِيْعٍ عَلَى وَضِيْعٍ ، كَالإِبلِ المِئَةِ لا يَكُونُ فِيْهَا راحِلَةٌ ، وَهِيَ الذَّلُولَةُ التي تُرْحَلُ وَتُرْكَبُ .

وَذَكَرَ قَبْلَهُ عن ابنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ : كان أَبُو عُبيدَةَ بن حُذَيْفَةَ قاضِياً ، فَدَخَلَ عَلَيه رَجُلٌ من الأَشْرافِ وَهُوَ يَسْتَوْقِدُ ناراً ، فَسَأَلَهُ حاجَةً ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبيدَةَ : أَسْأَلك أَنْ تُدْخِلَ أُصْبعَكَ فِي هَذِهِ النَّارِ . قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! قَالَ : أَبَخِلْتَ عَلَيَّ بِأُصْبَعٍ من أَصابِعِكَ أَنْ تُدْخِلَهُ فِي هَذِهِ النَّارِ ، وَتَسْأَلُنِي إِدْخَالَ جِسْمِي كُلَّهُ فِي نارِ جَهَنَّمَ .

● وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : الرّاحِلَةُ : النَّجِيْبَةُ المُخْتَارَةُ من الإِبلِ لِلرُّكُوبِ وَغَيْرِهِ ، وَهِيَ كامِلَةُ الأَوْصَافِ ، فإِذا كانَتْ فِي إِبلٍ عُرِفَتْ .

قَالَ : وَمَعْنَى الحَدِيْثِ : أَنَّ النّاسَ مُتَسَاوونَ ، لَيْسَ لأَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ فِي النَّسَبِ ، بَلْ هُمْ أَشْبَاهٌ كالإِبلِ المِئَةِ .

● وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ : الرَّاحِلَةُ عِنْدَ العَرَبِ : الجَمَلُ النَّجِيْبُ ، وَالنَّاقَةُ النَّجِيبَةُ .

قَالَ : وَالهَاءُ فِيهَا لِلمُبالَغَةِ ، كَمَا يُقَالُ : رَجُلٌ نَسَّابَةٌ ، وَداهِيَةٌ .

---

(١) البخاريّ ٧/ ١٧٩ ومسلم (٢٥٤٧) والتّرمذيّ (٢٨٧٢ و ٢٨٧٣) وابن ماجه (٣٩٩٠) وابن حبّان (٥٧٩٧) و (٦١٧٢) ومسند أحمد ٢/ ٧ و ٤٤ و ٨٨ و ١٢١ ـ ١٢٢ و ١٣٩ .

قَالَ : وَالمَعْنَى الذِي ذَكرهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ غَلَطٌ ، بَلْ مَعْنَى الحَدِيْثِ : أَنَّ الزَّاهِدَ فِي الدُّنْيَا ، الكامِلَ فِي الزُّهْدِ فِيْهَا ، الرَّاغِبَ فِي الآخِرَةِ ، قَلِيلٌ جِدّاً ، كَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ فِي الإِبلِ ؛ وَهَذَا كَلامُ الأَزْهَرِيِّ[1] .

● قَالَ الإِمامُ النَّوويُّ : وَهُوَ أَجْوَدُ من كَلامِ ابْنِ قُتَيْبَةَ ؛ وَأَجْوَدُ مِنْهُمَا قَوْلُ آخَرِيْنَ : إِنَّ المَرْضِيَّ الأَحْوَالِ من النَّاسِ ، الكامِلَ الأَوْصَافِ ، قَلِيلٌ فِيهم جِدّاً كَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ فِي الإِبلِ .

قَالُوا : وَالرَّاحِلَةُ : البَعِيْرُ الكامِلُ الأَوْصَافِ ، الحَسَنُ المَنْظَرِ ، القَوِيُّ عَلَى الأَحْمَالِ وَالأَسْفَارِ .

وَقَالَ الإِمامُ العَلاَّمَةُ الحافِظُ أَبُو العَبّاسِ القُرطبيُّ شَيْخُ المُفَسِّرِيْنَ فِي زَمانِهِ : الذِي يَقَعُ لِي : أَنَّ الذِي يُناسِبُ التَّمثِيلَ بالرَّاحِلَةِ ؛ إِنَّما هُوَ الرَّجُلُ الكَرِيمُ الجَوادُ ، الذِي يَتَحَمَّلُ كَلَّ النَّاسِ وَأَثْقَالَهُمْ ، بِمَا يَتَكَلَّفُ من القِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ ، وَالغَراماتِ عنهم ، وَكَشْفِ كُرَبِهِمْ ؛ فَهَذَا هُوَ القَلِيلُ الوُجُودِ ، بل قد يَصدقُ عليهِ اسمُ المَفقودِ .

قُلْتُ : وَهَذَا أَشْبَهُ القَولينِ . وَاللهُ أَعلمُ .

٣٦٢ الرَّأْلُ : وَلَدُ النَّعامِ ، وَالأُنْثَى : رَأْلَةٌ ؛ وَالجَمْعُ : رِئَالٌ وَرِئْلانٌ[2] .

وَسَيَأْتِي ذِكْرُ النَّعامَ فِي « بابِ النُّونِ » إن شَاءَ اللهُ تعالَى .

٣٦٣ الرَّاعِبِيُّ : بالرَّاءِ وَالعَيْنِ المُهْمَلَتَيْنِ : طائِرٌ مُتَوَلِّدٌ بَيْنَ الوَرشَانِ وَالحَمامِ ؛ وَهُوَ شَكْلٌ عَجِيْبٌ . قَالَهُ القَزوِينِيُّ[3] .

---

(١) ومثله في النِّهاية ١/١٦ .

(٢) عن الصِّحاح « رأل » ٤/١٧٠٣ .

(٣) عجائب المخلوقات ٣٠٧ .

● وَقَالَ الجاحِظُ[1] : إِنَّهُ مُتَوَلِّدٌ بَيْنَ الحَمامِ وَالوَرِشَانِ ، وَهُوَ كَثِيْرُ النَّسْلِ ، وَيَطُولُ عُمْرُهُ ، وَلَهُ فَضْلٌ وَعِظَمٌ فِي البَدَنِ ، وَالفَرْخُ عَلَيْهِما ؛ وَلَهُ فِي الهَدِيْلِ قَرْقَرَةٌ لَيسَتْ لأَبَوَيهِ ، حَتَّى صَارَتْ سَبَباً لِلزِّيَادَةِ فِي ثَمَنِه ، وَعِلَّةً لِلحِرصِ عَلَى اتِّخاذِهِ .

وَقد ضَبَطَهُ بَعْضُ مُصَنِّفِي العَصْرِ بالزَّايِ وَالغَيْنِ المُعجمتينِ ، وهو وَهْمٌ .

٣٦٤ الرُّبَّى : عَلَى وَزْنِ فُعْلَى بِالضَّمِّ[2] : الشَّاةُ التي وَضَعَتْ حَدِيثاً ، وَإِن مَاتَ وَلَدُها فَهِيَ أَيضاً رُبَّى .

وَقِيْلَ : رُبَابُها ما بَيْنَها وَبينَ عِشرِينَ يوماً .

وَقِيلَ : هِيَ رُبَّى ما بينَها وَبَيْنَ شَهرينِ من وَضْعِها . وَخَصَّها أَبُو زَيدٍ بِالمَعْزِ ، وَغَيْرُهُ بِالضَّأْنِ .

وَقِيْلَ : الرُّبى من المَعْزِ ، وَالرَّغُوثُ من الضَّأْنِ ؛ وَجَمْعُها رُبابٌ بالضَّمِّ .

قُلْتُ[3] : وَقد جَاءَ الجمعُ عَلَى فُعالٍ فِي خَمْسَ عَشْرَةَ كَلِمَةً : رُبابٌ جَمْعُ رُبَّى ، وَرُخَالٌ الآتِي فِي البابِ ، وَرُذَالٌ جَمْعُ رَذْلٍ ، وَبُساطٌ جَمْعُ بِسْطٍ ـ وَناقَةٌ بِسْطَةٌ : أَي هَزِيْلَةٌ ـ وَتُؤَامُ ـ تَقُولُ : هَذَا دُرٌّ تُؤَامٌ ، أَي من التَّوْأَمَيْنِ ـ وَنُذَالٌ جَمْعُ نَذْلٍ ، وَرُعاءٌ جَمْعُ رَاعٍ ، وَقُماءٌ جَمْعُ قَمِيءٍ ـ أَي حَقِير ـ وَجُمالٌ جَمْعُ جَمَلَ ، وَسُحاحٌ جَمْعُ سَحِّ المَطَرِ : أَي كَثْرَةُ انْصِبابِهِ ، وَعُراقٌ جَمْعُ عَرْقٍ ـ قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ من عُراقِ خِنزِيرٍ بِيَدِ أَجْذَمَ ـ وَظُؤارٌ جَمْعُ ظِئْرٍ ، وَهِيَ الدَّايَةُ ، وَثُناءُ جَمْعِ ثِنْيٍ ، وَاحِدُ أَثْنَاءِ الشَّيْءِ ، وَعُزازٌ جَمْعُ عَزِيْزٍ ، وَفُرارٌ جَمْعُ فَرِيرٍ ، وَهُوَ الظَّبيُ .

---

(١) الحيوان ٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٢) المخصّص ٧/ ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٣) المزهر ٢/ ٧٢ .

٣٦٥ **الرَّبَاحُ** : بِفَتْحِ الرّاءِ وَالبَاءِ المُوَحَّدَة المُخَفَّفَة : دُوَيْبَّةٌ كَالسِّنَّوْرِ ، وَهِيَ التِي يُجْلَبُ مِنْها الزَّبادُ ؛ وَهَذَا هُوَ الصَّوابُ فِي التَّعبيرِ .

وَوَهَمَ الجوهَرِيُّ فَقَالَ فِي النُّسْخَةِ التي بخَطِّه : الرَّباحُ : اسْمُ دُوَيْبَّةٍ[١] يُجْلَبُ مِنْها الكَافُورُ ؛ وَهُوَ وَهْمٌ عَجِيبٌ ، فإِنَّ الكافُورَ صَمْغُ شَجَرٍ بالهِنْدِ ، وَالرَّباحُ نَوْعٌ مِنْهُ ؛ فَكَأَنَّ الجَوْهَرِيَّ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ الزَّبادَ يُجْلَبُ من الحَيَوانِ ، سَرَى ذِهْنُهُ إِلى الكافُورِ فَذَكَرَهُ ـ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي « بابِ الزَّاي المُعجمةِ » ـ فَلَمَّا رَأَى ابْنُ القَطّاع هَذَا الوَهْمُ ، أَصْلَحَهُ فَقَالَ : وَالرَّبَاحُ : بَلَدٌ يُجْلَبُ مِنْهُ الكافُورُ ؛ وَهُوَ أَيْضاً وَهْمٌ ؛ لأَنَّ الكافُورَ صَمْغُ شَجَرٍ يَكُونُ داخِلَ الخَشَبِ ، وَيَتَخَشْخَشُ فِيْهِ إذا حُرِّكَ ، فَيُنْشَرُ وَيُسْتَخْرَجُ[٢] .

وَقد أَجادَ ابنُ رَشِيقٍ بقَوْلِه[٣] : [من الكامل]

فَكَّرْتُ لَيْلَةَ وَصْلِها فِي صَدِّها ... فَجَرَتْ بَقَايَا أَدْمُعِي كَالعَنْدَمِ
فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتِي فِي نَحْرِها ... إِذْ عادَةُ الكافُورِ إِمْسَاكُ الدَّمِ

٣٦٦ **الرُّبَّاحُ** : بِضَمِّ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ، وَتَشدِيدِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ: ذَكَرُ القُرُودِ . وَسَيَأتِي حُكمه .

الأَمْثَالُ : قَالُوا : « أَجْبَنُ من رُبّاحٍ »[٤] .

٣٦٧ **الرُّبَحُ** : بِضَمِّ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ : الفَصِيلُ ، كَأَنَّهُ لُغَةٌ فِي الرُّبَعِ .

---

(١) في الصحاح « ربح » ١/ ٣٦٣ : والرَّباحُ أَيضاً : بلدٌ يُجلبُ منه الكافور .
قلت : ولعلَّ ذلك من إصلاح ابن القطَّاع ، كما سيأتي .
(٢) عن القاموس « ربح » ١/ ٢٢٩ .
(٣) ديوانه ١٩٧ وشذرات الذهب ٥/ ٢٣٩ . وكلاهما عن الدَّميريّ .
(٤) الميداني ١/ ١٨٥ وحمزة ١/ ١١٣ والعسكري ١/ ٣٢٦ والزمخشري ١/ ٤٤ .

وَالرُّبَحُ أَيْضاً : طائِرٌ . قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[١] .

٣٦٨ **الرُّبْيَةُ** : دُوَيْبَّةٌ بَيْنَ الفَأْرِ وَأُمِّ حُبَيْنٍ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] . وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ الفَأْرُ .

٣٦٩ **الرُّتُوتُ** : الخَنازِيرُ . قَالَهُ الجوهرِيُّ بعدَ أَنْ قَالَ : الرَّتُّ : الرَّئِيْسُ ، وَهَؤُلاءِ رُتُوتُ البَلَدِ[٣] . وَقَالَ فِي « المُحكم »[٤] : الرَّتُّ : شَيْءٌ يُشْبِهُ الخِنْزِيْرَ البَرِّيَّ ، وَجَمْعُهُ : رُتُوتٌ ؛ وَقِيْلَ : هِيَ الخَنازِيْرُ الذُّكُورُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ فِي « بابِ الخَاءِ المعجمة » .

٣٧٠ **الرُّتَيْلا** : بِضَمِّ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ التَّاءِ المُثَلَّثَةِ : جِنْسٌ من الهَوامِّ ؛ وَيُمَدُّ أَيْضاً[٥] ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُها فِي آخِرِ « الصَّيْدِ » .

● وَقَالَ الجاحِظُ[٦] : الرُّتَيْلا : نَوْعٌ من العناكِبِ ، وَتُسَمَّى عَقْرَبَ الحَيّاتِ ، لأَنَّها تَقْتُلُ الحَيّاتِ وَالأَفاعِي . انتهى .

● وَقَالَ أَبُو عَمرو مُوسَى القُرطبيُّ الإِسْرائِيْلِيُّ : الرُّتَيْلا : اسْمٌ يَقَعُ عَلَى أَنواعٍ كثيرةٍ من الحيوانِ ، وَقِيلَ : إِنَّها سِتَّةُ أَنْواعٍ ، وَقِيلَ : ثَمانِيَةٌ ، وَكُلُّها من أَصْنَافِ العَنْكَبُوتِ[٧] .

وَذَكَرَ حُذّاقُ الأَطِبّاءِ ، أَنَّ أَعْظَمَ هَذِهِ الأَنْوَاعِ شَرّاً المِصْرِيَّةُ .

---

(١) الصحاح « ربح » ١/ ٣٦٣ .

(٢) وعنه اللِّسان « ربا » ٣/ ١٥٧٤ .

(٣) الصِّحاح « رتت » ١/ ٢٤٩ .

(٤) وعنه اللِّسان « رتت » . وكلاهما عن العين ٨/ ١٠٦ .

(٥) عن الصِّحاح « رتل » ٤/ ١٧٠٤ .

(٦) لم أَقف على هذا النَّصّ في الحيوان . وينظر ٦/ ٢١ و ٢/ ٢٣٧ و ٤/ ٢٢٦ .

(٧) قال داود في تذكرته ١/ ١٦٦ : رتيلا : من العناكب ، كبير البطن ، قصير الأَرجلِ ، بين صُفرةٍ وسوادٍ ، ونهشه يؤلم . . . .

أَمَّا النَّوْعَانِ المَوْجُودانِ فِي البُيُوتِ فِي أَكْثَرِ البِلادِ ، فَهُمَا العَنكبوتُ ، وَنِكايَتُهما قَلِيلَةٌ ؛ وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأنواعِ الأُخرَى من الرُّتَيْلاتِ ، فإِنَّها تُوجَدُ غَالِباً فِي الأَرْيَافِ ، وَمِنها نَوْعٌ لَهُ زَغَبٌ ، وَأَهْلُ مصرَ يُسَمُّونَهُ أَبَا صُوفَةَ ؛ وَنَهْشُ هَذِهِ الأَنْواعِ كُلِّها قَرِيْبٌ من لَسْعِ العقربِ .

وَسَيَأْتِي ذِكْرُها فِي « الصَّادِ » في « الصيد » إن شاء الله تعالى .

وَمِنْ خَواصِّها : أَنَّ شُرْبَ دِماغِها مع شيءٍ من الفُلْفُلِ ، يَنْفَعُ من سُمِّها .

[**التَّعْبِيْرُ** :] وَهِيَ فِي الرُّؤيَا ، تَدُلُّ عَلَى امْرَأَةٍ مُؤْذِيَةٍ مُفْسِدَةٍ لِمَا يُصْلِحُهُ النَّاسُ من نَسْجٍ ، ناقِضَةٍ لِمَا يُبْرِمُونَهُ مِنْهُ .

وَقِيلَ : هي فِي الرُّؤْيَا ، عَدُوٌّ قَتَّالٌ ، لأَنَّهُ حَقِيْرُ المَنْظَرِ ، شَدِيدُ الطَّعْنَةِ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

٣٧١ الرَّخْلُ : الأُنْثَى من وَلَدِ الضَّأْنِ ؛ وَالجمعُ : رُخَالٌ . كَمَا تَقَدَّمَ .

٣٧٢ الرُّخُّ : بِالخَاءِ المُعْجَمَةِ فِي آخِرِهِ : طائِرٌ فِي جَزائِرِ بَحْرِ الصِّيْنِ ، يَكُونُ جَناحُهُ الواحِدُ عَشْرَةَ آلافِ بَاعٍ . ذَكَرَهُ الجاحِظُ[1] وَأَبُو حامِدٍ الأَنْدَلُسيُّ .

● قَالَ[2] : وَكَانَ قد وَصَلَ إِلى أَرضِ المَغرِبِ رَجُلٌ من التُّجّارِ مِمَّن سَافَرَ إِلى الصِّينِ ، وَأَقَامَ بها مُدَّةً ، وَكَانَ عِندَهُ أَصْلُ رِيشَةٍ من جَناحِهِ ، كَانَتْ تَسَعُ قِرْبَةَ مَاءٍ ، وَكَانَ يَقُولُ :

إِنَّهُ سَافَرَ مَرَّةً فِي بَحْرِ الصِّيْنِ ، فَأَلْقَتْهُمُ الرِّيْحُ إلى جَزيرَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَخَرَجَ إِلَيهَا أَهْلُ السَّفِيْنَةِ لِيَأْخُذُوا المَاءَ والحَطَبَ ، فَرَأَوْا قُبَّةً عَظِيْمَةً ، أَعلى من مِئَةِ ذِراعٍ ، وَلَهَا لَمَعانٌ وَبَرِيْقٌ ، فَعَجِبُوا مِنهَا ، فَلَمّا دَنَوا منها إذا هِيَ بَيْضَةُ الرُّخِّ ،

---

(١) لم يرد له ذكر في حيوان الجاحظ .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٨٦ .

فَجَعَلُوا يَضرِبُونَها بالخَشَبِ وَالفُؤُوسِ وَالحِجَارَةِ حَتَّى انْشَقَّتْ عن فَرْخٍ كَأَنَّهُ جَبَلٌ ، فتَعَلَّقُوا بريشَةٍ من جَناحِهِ فَجَرُّوهُ ، فنَفَضَ جَناحَه ، فَبَقِيَتْ هَذِهِ الرِّيْشَةُ معهم ، خَرَجَ أَصْلُها من جَناحِهِ وَلَم يَكملْ بَعْدُ خَلْقُهُ ، فَقَتَلُوهُ ، وَحَمَلُوا ما قَدَرُوا عليهِ من لَحمِهِ ، وَقد كان بَعْضُهُمْ طَبَخَ بالجَزِيرَةِ قِدْراً من لَحمِهِ ، وَحَرَّكَها بِعُودِ حَطَبٍ ، ثم أَكَلُوهُ ، وَكَانَ فِيهم مَشايخُ ، فَلَمَّا أَصبحوا إِذا هُمْ قد اسْوَدَّتْ لِحاهُمْ ، وَلَمْ يَشِبْ بَعْدَ ذَلِكَ مَن أَكَلَ من ذَلِكَ الطَّعامِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّ ذَلِكَ العُودَ الذِي حَرَّكُوا بِهِ القِدْرَ من عُودِ شَجَرَةِ الشَّبَابِ[1] .

قَالَ : فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ إِذَا بالرُّخِّ قد أَقْبَلَ فِي الهَواءِ كَأَنَّهُ سَحابَةٌ عَظِيمَةٌ ، فِي رِجْلِهِ قِطْعَةُ حَجَرٍ كَالبَيْتِ العَظِيمِ ، أَكْبَرُ من السَّفِيْنَةِ ، فَلَمَّا حاذَى السَّفِيْنَةَ أَلْقَى ذَلِكَ الحَجَرَ بِسُرْعَةٍ ، فَوَقَعَ الحَجَرُ فِي البَحْرِ ، وَسَبَقَتِ السَّفِيْنَةُ ، وَنَجَّاهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالَى بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ .

● وَالرُّخُّ : من أَدواتِ الشِّطْرَنْجِ ، وَالجَمْعُ : رِخاخٌ وَرِخَخَةٌ . قَالَهُ ابنُ سِيْدَه .

● وَقَدْ أَجادَ سَرِيُّ الرَّفّاءُ حَيثُ قَالَ[2] : [مِنَ البَسِيْط]

وَفِتْيَــــةٍ زَهَــــرُ الآدابِ بَيْنَهُــمُ ... أَبْهَـى وَأَنْضَـرُ مـن زَهْـرِ الـرَّيَـاحِيْـنِ
راحُوا إِلى الرَّاحِ مَشْيَ الرُّخِّ وانْصَرَفُوا ... وَالرَّاحُ تَمْشِي بِهِمْ مَشْيَ الفَرازِيْنِ[3]

● وَمِنْ مُسْتَحْسَنِ شِعْرِهِ ، قَوْلُهُ[4] : [مِن الوافر]

بِنَفْسِـي مَــن أَجـودُ لَــهُ بِنَفْسِـي ... وَيَبْخَــلُ بِــالتَّحِيَّــةِ وَالسَّــلامِ

---

(١) في أ ، ط : شجرة النّشاب . والمثبت من ب والمستطرف .
(٢) ديوانه ٢٧٤ ، ومسالك الأبصار ١/ ٣٠٣ .
(٣) في ط ، × . . . البراذين ! .
(٤) ديوانه ٢٦٠ .

وَحَتْفِــي كــامِــنٌ فِــي مُقْلَتَيْــهِ   كُمُــونَ المَــوْتِ فِــي حَــدِّ الحُسَــامِ

التَّعْبِيْرُ : الرُّخُ فِي المَنامِ : يَدُلُّ عَلَى أَخبارٍ غَرِيبةٍ ، وَأَسفَارٍ بَعِيدَةٍ .

وَرُبَّمَا دَلَّ عَلَى الهَذْرِ فِي الكَلامِ الصَّحِيحِ والسَّقِيمِ ؛ وَكَذَلِكَ العَنْقَاءُ . وَاللهُ أَعلمُ .

وَسَيَأْتِي حُكْمُها فِي « بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ » .

٣٧٣ الرَّخَمَةُ : بِالتَّحرِيكِ : طائِرٌ أَبْقَعُ يُشْبِهُ النَّسْرَ فِي الخِلْقَةِ[١] .

وَكُنْيَتُها[٢] : أُمُّ جِعْران ، وَأُمُّ رِسَالَةٍ ، وَأُمُّ عَجِيبَةٍ ، وَأُمُّ قَيْسٍ ، وَأُمُّ كَثِيرٍ .

وَيُقَالُ[٣] لَهَا : الأَنُوقُ ؛ وَالجَمْعُ : رَخَمٌ ؛ وَالهَاءُ فِيهِ لِلجِنسِ .

● قَالَ الأَعْشَى[٤] : [مِنَ الرَّجز]

يَــا رَخَمــاً قَــاظَ عَلَــى مَطْلُــوبِ   يُعْجِــلُ كَــفَّ الخــارِىءِ المُطِيْــبِ

مَطْلُوب : اسْمُ جَبَلٍ ؛ وَالمُطِيْبُ : مَعْناهُ الَّذِي يَطْلُبُ طِيْبَ النَّفْسِ بِالاسْتِنْجَاءِ ؛ وَمِنْهُ الاسْتِطَابَةُ .

● وَتُسَمَّى الرَّخَمَةُ بِالأَنُوقِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَيُقَالُ لَهَا : ذَاتُ الاسْمَينِ لِذَلِكَ .

وَهِيَ تُحَمَّقُ مَعْ تَحَرُّزِها ؛ قَالَ الكُمَيْتُ[٥] : [مِنَ الوافِرِ]

---

(١) عن الصِّحاح « رخم » ٥/ ١٩٢٩ .

(٢) المرصّع ١٢٣ و ١٨٥ و ٢٤٥ و ٢٧٧ و ٢٨٨ و ٣٦٤ .

(٣) عن الصِّحاح « رخم » ٥/ ١٩٢٩ .

(٤) ديوانه ٣١٥ .

(٥) ديوانه ١/ ٣٦٢ . وانظر ما يقوله محمد بن سهل راوية الكميت في نفي الحمق عن الرَّخَمَة ، بصدد شرح هذا البيت ، في الحيوان ٧/ ١٨ ـ ١٩ ، وتاريخ دمشق ٣١/ ١٨٦ .

وَذَاتُ اسْمَيْــنِ والأَلْــوانُ شَتّــى تُحَمَّــقُ وَهْــيَ كَيِّسَــةُ الحَــوِيْــلِ

أَي : الحِيْلَة .

● وَذَكَرَ[1] الشَّعْبِيُّ الرّوافِضَ ، فَقَالَ : لو كانُوا من الدَّوابِّ لَكَانُوا حُمُراً ، وَلَوْ كانُوا من الطَّيْرِ لَكَانُوا رَخَماً .

● وَمِن طَبْعِ هَذَا الطَّائِرِ : أَنَّهُ لا يَرْضَى من الجِبَالِ إلاَّ بِالمُوحِشِ مِنها ، وَلا من الأَماكِنِ إلاَّ بَأَسْحَقِها وَأَبْعَدِها من أَماكِنِ أَعْدائِه ، وَلا من الهِضَابِ إلاَّ بِصُخُورِها ؛ وَلِذَلِكَ تَضرِبُ العَرَبُ المَثَلَ بِالامْتِنَاعِ بِبَيْضِه ، فَيَقُولُونَ : « أَعَزُّ من بَيْضِ الأَنُوقِ » كَمَا تَقَدَّمَ .

وَالأُنْثَى مِنه لا تُمَكِّنُ من نَفْسِها غيرَ ذَكَرِها ، وَتَبِيْضُ بَيْضَةً واحِدَةً ، وَرُبَّما أَتْأَمَتْ ، وَهِيَ من لِئَامِ الطَّيْرِ ، وَهُنَّ ثَلاثَةٌ ، البُومُ والغُرابُ والرَّخَمَةُ[2] .

وَحُكْمُها : تَحرِيمُ الأَكْلِ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

● رَوَى البَيْهَقِيُّ ، عن عِكرِمةَ ، عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، قَالَ : نَهَى رِسُولُ اللهِ ﷺ عن أَكْلِ الرَّخَمَةِ . وإِسْنادُهُ لَيْسَ بِالقَوِيِّ .

● وَقَالَ الإِمامُ العَلاَّمَةُ القُرْطُبِيُّ فِي تَفسِيرِ آخِرِ « سُورَةِ الأَحْزابِ »[3] ﴿ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٦٩] بِقَولِهِم : إِنَّهُ قَتَلَ أَخاهُ هَارُونَ ، فَتَكَلَّمَتِ المَلائِكَةُ بِمَوْتِهِ ، وَلَمْ يَعْرفْ مَوْضِعَ قَبْرِهِ إلاّ الرَّخَمَةُ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَهُ اللهُ أَصَمَّ أَبْكَمَ .

وَكَذَلِكَ رَواهُ الحاكِمُ فِي « المستدرك » فِي كِتابِ « تَوارِيخِ الأَنبِياءِ عَلَيهم

---

(١) تاريخ دمشق ٣١/ ١٨٥ ومختصره ١١/ ٢٥٥ .

(٢) الحيوان ٣/ ٥١٩ .

(٣) تفسير القرطبيّ ١٤/ ٢٥١ ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٩٠ والمستطرف ٢/ ٤٨٧ .

الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »[1] .

● وَقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : إِنَّها تَقُولُ فِي صِياحِها : سُبْحانَ رَبِّيَ الأَعلَى .

الأَمْثَالُ : قَالُوا : « أَحمَقُ من رَخمَةٍ » وَ« أَموَقُ »[2] . وإِنَّما خُصَّتْ من بينِ الطَّيْرِ بذَلِكَ ، لأَنَّها أَلأَمُ الطَّيْرِ ، وَأَظْهَرُها حُمْقاً وَمُوقاً ، وأَقْذَرُهَا طُعْماً ، لأَنَّها تأْكُلُ العَذِرَةَ .

وَقَالُوا[3] : « انْطِقِي يَا رَخَمُ ، فإِنَّكِ من طَيْرِ اللهِ » . أَصْلُهُ أَنَّ الطَّيْرَ صاحَتْ ، فَصَاحَتِ الرَّخَمَةُ ، فَقِيْلَ لَهَا يُهْزَأُ بهَا : إِنَّكِ من طَيْرِ اللهِ فانْطِقِي ؛ يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ الذِي لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ وَلا يُسْمَعُ مِنْهُ .

الخَواصُّ[4] : إذا بُخِّرَ البَيْتُ برِيْشِها ، طَرَدَ الهَوامَّ .

وَزِبْلُها يُداف بِخَلِّ خَمْرٍ ، وَيُطْلَى بِهِ البَرَصُ ، يُغَيِّرُ لَوْنَهُ وَيَنْفَعُهُ .

وَكَبِدُها تُشْوَى وَتُسْحَقُ وَتُدَافُ بِماءٍ ، وَيُسْقَى ذَلِكَ لِمَنْ بِهِ جُنُونٌ كُلَّ يَوْمٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةً يَشْفَى .

وإِنْ عُلِّقَ رَأْسُها عَلَى المَرْأَةِ التي عَسُرَتْ وِلادَتُها ، وَضَعَتْ سَرِيعاً .

وَالجِلْدُ الأَصْفَرُ الذِي عَلى قانِصَةِ الرَّخَمَةِ ، إِذا أُخِذَ وَسُحِقَ بَعْدَ تَجفِيفِهِ ، وَشُرِبَ بِشَرابِ العَسَلِ ، نَفَعَ من كُلِّ سُمٍّ .

وَعَظْمُ رَأْسِ الرَّخَمَةِ ، يَنْفَعُ من وَجَعِ الرَّأْسِ تعلِيقاً .

---

(١) المستدرك ٢/ ٥٧٩ .

(٢) أَحمق من رخمة : الميداني ١/ ٢٢٥ وحمزة ١/ ١٥٣ والعسكري ١/ ٣٩٤ والزمخشري ١/ ٨١ .
وأَموق من رخمة : الميداني ٢/ ٣٢٣ .

(٣) الميداني ٢/ ٣٣٦ والعسكري ١/ ١٥٢ والزمخشري ١/ ٤١٦ .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٧٧ ومفردات ابن البيطار ٢/ ١٣٧ وتذكرة داود ١/ ١٦٧ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧٧ .

التَّعْبِيْرُ[1] : الرَّخَمَةُ فِي الرُّؤْيَا : إِنْسَانٌ أَحْمَقُ قَذِرٌ ؛ فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ رَخَمَةً ، فإِنَّهُ يَقَعُ فِي حَرْبٍ يُسفكُ فِيهِ دَمٌ كَثِيْرٌ ؛ وَقِيلَ : مَن أَخَذَ رَخَمَةً ، مَرِضَ مَرَضاً شَدِيْداً .

وَقَالَتِ النَّصَارَى : الرَّخَمُ الكَثِيرُ ، يَدُلُّ عَلَى عَسْكَرٍ يَحِلُّ فِي ذَلِكَ المَكَانِ ، وَهُمْ سَفَلٌ يَأْكُلُونَ الحَرامَ .

وَقَالَ أَرطاميدورس : الرَّخَمُ : دَلِيْلُ خَيْرٍ لِمَنْ صَنْعَتُهُ خارجَ البَلَدِ ، كَالكَلاّسِينَ وَصُنّاعِ الآجُرِّ ؛ لأَنَّ الرَّخَمَ لا يَدْخُلُ البَلَدَ .

وَالرَّخَمُ فِي المَنَامِ : يَدُلُّ عَلَى ناسٍ يَغْسِلُونَ المَوتَى ، وَيَسْكُنُونَ المَقَابِرَ ؛ لأَنَّ الرَّخَمَ يَأْكُلُ الجِيْفَةَ ، وَلا يَدْخُلُ المُدُنَ .

وَمَنْ رَأَى رَخَمَةً فِي دَارٍ ، وَكَانَ فِيهَا مَرِيضٌ : فَإِنَّهُ يَمُوتُ ؛ وإِنْ لم يكنْ فِي الدّارِ مَرِيضٌ ، خُشِيَ عَلَى صاحِبِ الدّارِ من الموتِ ، أَوِ المَرَضِ الشَّدِيْدِ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ .

٣٧٤ الرَّشَأُ : بِفَتْحِ الرَّاءِ : الظَّبْيُ إذا قَوِيَ وَتَحَرَّكَ وَمَشَى مَع أُمِّهِ ؛ وَالجَمْعُ : أَرْشَاءٌ .

● أَنْشَدَنا شَيْخُنا الإِمامُ العَلاّمَةُ ، جَمالُ الدِّيْنِ عبد الرَّحِيمِ الإِسْنَوِيّ رَحِمَهُ اللهُ ، قَالَ : أَنْشَدَنا شَيْخُنا الشَّيْخُ أَثِيْرُ الدِّيْنِ أَبُو حَيّانَ ، قَالَ : أَنْشَدَنا شَيْخُنا أَبُو جعفر ابن الزُّبَيْرِ ، قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو الخَطَّابِ بن خَلِيلٍ ، قَالَ : أَنْشَدَنا شَيْخُنا أَبُو حَفصٍ عُمر بن عُمر قاضِي أَشبيليَّة لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ جارِيَةٌ ، فَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ قد كان وَطِىءَ أُمَّها ، فَرَدَّها وَمَعَها هَذِهِ الأَبْيَاتُ[2] : [مِنَ الكامل]

---

(١) تعبير الرُّؤيا ٤٥ وتفسير الواعظ ٢٩٨ .

(٢) الخبر والأبيات في خزانة البغدادي ٦/ ١٣٢ .

يَـا مُهْـدِيَ الـرَّشَـأِ الـذِي أَلْحـاظُـهُ تَرَكَتْ جُفُونِي نَصْبَ تِلْكَ الأَسْهُمِ
رَيْحَـانَـةٌ كُـلُّ المُنَـى فِـي شَمِّهـا لَـوْلا المُهَيْمِـنُ وَاجْتِنَـابُ المَحْـرَمِ
إِنَّ الغَـزَالَـةَ قـد عَلِمْنَـا سِـرَّهـا قَبْـلَ المَهَـاةِ ، وَلَيْتَنـا لَـمْ نَعْلَـمِ[1]
مَا عـن قِلىً صُـرِفَـتْ إِلَيْكَ وَإِنَّما صَيْـدُ الغَـزَالَـةِ لَـمْ يُبَـحْ لِلْمُحْـرِمِ
يَـا وَيْـحَ عَنْتَـرَةٍ يَقُـولُ وَشَفَّـهُ مَا شَفَّنِي وَجْداً ، وَإِنْ لَمْ أَكْتُمِ[2]
« يَـا شَـاةَ مـا قَنَصٍ لِمَـنْ حَلَّـتْ لَـهُ حَـرُمَـتْ عَلَـيَّ وَلَيْتَهـا لَـمْ تَحْـرُمِ »

● وَقَالَ أَبُو الفَتْحِ البُسْتِيّ ، وَأَجادَ[3] : [مِنَ الكامِلِ]

مِـنْ أَيْـنَ لِلـرَّشَـأِ الغَـرِيـرِ الأَحْـوَرِ فِـي الخَـدِّ مِثْـلُ عِـذارِكِ المُتَحَـدِّرِ
رَشَـأٌ كَـأَنَّ بِعـارِضَيْـهِ كِلَيْهِمَـا مِسْكـاً تَسـاقَـطَ فَـوْقَ وَرْدٍ أَحْمَـرِ[4]

٣٧٥ الرُّشْكُ : بِضَمِّ الرَّاءِ ، وَإِسكَانِ الشِّينِ المُعجمَةِ ؛ وَهُوَ بِالفارِسِيَّةِ اسْمٌ لِلْعَقْرَبِ[5] .

● ذَكَرَ القاضِي الإِمامُ أَبُو الوليد ابن الفَرَضِيّ ، فِي كِتابِ « الأَلْقَابِ فِي أَسْمَاءِ نَقَلَةِ الحَدِيثِ » ، وَالخَطِيْبُ أَبُو عليّ الغَسَّانِيّ ، فِي كِتَابِ « تَقيِيدِ المُهْمَلِ » ، وَالقَاضِي أَبُو الفَضْلِ عِياض بن مُوسَى ، فِي كِتابِ « مَشَارِقِ الأَنْوارِ » ، وَالحافظ أَبُو الفَرَجِ ابْنِ الجَوْزِيّ[6] وَغَيْرهم :

---

(١) البيت من ب . وفيها : × . . . وليتها لم تعلم ! . والمثبت من الخزانة .
(٢) في ب :
يـا ويـح عنتـرة الـذي قـد شفّـهُ مـا شفَّنـي وجـداً ولـم يتكلَّـمِ
(٣) ديوانه ٢٥١ ـ ٢٥٢ . عن الدَّميري .
(٤) في أ : × . . . فوق خَدٍّ أحمر .
(٥) نعم ، هذا صحيح . [معجم الألفاظ الفارسيَّة والمعرَّبة ٧٣] ولكن ليس من منهج هذا الكتاب ذكر أسماء الحيوان بلغة غير العربيَّة ؛ ولو فُتح هذا الباب لطال الأمر جدّاً .
(٦) في كتابه (كشف النِّقاب عن الأسماء والألقاب) . [هامش أصل تهذيب التَّهذيب ١١/ ٣٧٢] .

أَنَّ يَزِيدَ بن أَبِي يَزِيد ـ وَاسمُهُ سِنان ـ الضُّبَعِيُّ[1] مَوْلاهُمْ ، البَصْرِيّ الدّارِ ، المَعْرُوفُ بِالرِّشْكِ[2] ، أَنَّه لُقِّبَ بِذَلِكَ لِكِبَرِ لِحْيَتِهِ ؛ قيل : إنَّ العقربَ دخلَت في لِحْيَتِهِ ، فأقامت ثلاثةَ أيّامٍ ، وهو لا يَدري بها لِعِظَمِ لِحْيَتِهِ وَطُولِها .

قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ فِي كِتابِهِ « العَلَمُ المَنْشُورِ » : وَالعَجَبُ كَيْفَ لا يُحِسُّ بِهَا ؟ وَكَيْفَ لا تَسْقُطُ عِنْدَ وَضُوئِهِ لِلصَّلاةِ ؟ وَلَعَلَّهُ كان لا يُخَلِّلُ لِحْيَتَهُ لِكِبَرِها ، أَوْ كانَتِ العَقْرَبُ صَغِيرَةً جِدّاً ، فَاخْتَبَأَتْ بَيْنَ الشَّعَرِ ؛ وَأَمَّا كَوْنُها مُقَدَّرَةً بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، فَهَذَا التَّقْدِيرُ كيف يَصِحُّ ؟ لِأَنَّهُ لو عَلِمَ بِهَا فِي أَوَّلِ وُجُودِها فِي لِحيتِهِ ، ما تَرَكَها ؛ فمن أَينَ تُعْلَمُ هَذِهِ المُدَّةُ ؟ انتهى .

وَالذي عِنْدِي فِي ذَلِكَ : أَنَّهُ يُحتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِي مُنْتَزَهٍ ، أَوْ كان فِي مَكَانٍ

---

(١) كذا قال المؤلِّف رحمه الله ! . ويزيد بن أَبي يزيد الضُّبعيّ ، لا يُعرف اسم أَبيه . [الجرح والتَّعديل ٩/ ٢٩٧ والأَنساب ٦/ ١٢٣ وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٨١ و ٢٨٢] وأَمَّا ما ورد في مطبوعة تاريخ الإسلام [وفيات ١٢١ ـ ١٤٠] ص ٣١٣ ومعرفة علوم الحديث ٢١١ : قال عباس الدُّوريّ ، عن ابن معين : كان يزيد بن مطرّف يُسرِّح لحيته ، فخرج منها عقرب . . . ففي العبارة نقص ، وصوابها : كان يزيد بن [أَبي يزيد الضّبعيّ ، الذي يروي عن] مطرّف [بن الشّخّير] . . . .

(٢) هذا هو الصَّواب في ضبط لقب الرَّجل ، فقد ضبطه الإمام ابن حجر في نزهة الأَلباب في الأَلقاب ١/ ٣٢٦ بقوله : بكسر أَوَّله وسكون المعجمة ، وآخره كاف . وكذا في جميع مصادر ترجمته .
أَمَّا معنى الرِّشك : فقد قال ابن أَبي حاتم والسَّمعانيّ والحافظ المزّيّ وابن حجر في تهذيب التَّهذيب : أَنَّهُ كان غيُوراً ؛ والغيورُ يُسَمَّى بالفارسيّة : أَرْشِك ، فَعُرِّب ، فقيلَ : الرِّشك .
وقال إدّي شير ٧٣ : الرِّشك : الكبير اللِّحية ، معرَّب من « ريش كاو » أَي لحية الثَّور ؛ ويُطلق على الرَّجل الأَحمق .
وقال الزَّبيدي في التَّاج « رشك » ٢٧/ ١٧٣ : وحقيقة هذه اللَّفظةِ : ريشك ، بزيادة الياء ؛ و « ريش » هو اللِّحية ، والكاف للتَّصغير ، أُريد به التَّهويل والتَّعظيم ؛ ثمَّ عُرِّبت بحذف الياء ، فقيل : الرِّشك . هذا هو الصَّواب في هذا اللَّقب ، وما عدا ذلك فحدسيّات ، إذ لم يقفوا على حقيقة اللَّفظة .

فِيهِ العَقَارِبُ كَثِيْرَةٌ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ ثَلاثَةَ أَيَّام ، فَلَمَّا أَصَابَها بَعْدَ ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّ مَبْدَأَ وُجُودِها كان من ذَلِكَ الوَقتِ ؛ وَهَذَا أَوْلَى من تكذِيبِ من رَوَاهُ من الأَئِمَّةِ الأَعْلام .

فَقَدْ رَوَى الحاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي كِتابِ « عُلُومِ الحَدِيثِ » له ، عن يَحْيَى بن معينٍ ، أَنَّهُ قَالَ[1] : كان يَزِيْدُ يُسَرِّحُ لِحْيَتَهُ ، فَخَرَجَ مِنْها عَقْرَبٌ ، فَلُقِّبَ بالرِّشْكِ . انتهى .

وَالمَشْهُورُ أَنَّ الرِّشْكَ : هُوَ القَسَّامُ بِلُغَةِ أَهْلِ البَصْرَةِ[2] ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ كان يَقْسِمُ الأَرْضَ وَالدَّوْرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

مَاتَ بالبَصْرَةِ سَنَةَ ثَلاثِيْنَ وَمِئَةَ ، وَرَوَى لَهُ الجماعَةُ[3] .

● قَالَ « التِّرمذيُّ أَبُو عيسى » فِي بَابِ « مَا جَاءَ فِي صَوْمِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ من كُلِّ شَهْرٍ »[4] : حَدَّثَنَا محمود بن غَيْلانَ ، حَدَّثنا أَبُو داود ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عن يَزِيد الرِّشْك ، قَالَ : سَمِعْتُ مُعاذة تَقُولُ : قُلْتُ لِعائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها : أَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ من كُلِّ شَهْرٍ ؟ قَالَتْ : نَعم ؛ قُلْتُ : من أَيِّه كان يَصُومُ ؟ قَالَتْ : كان لا يُبَالِي من أَيِّه صَامَ » .

قَالَ التِّرمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ ؛ وَيَزِيْدُ الرِّشْكِ : هُوَ يَزِيْدُ بن أَبِي يَزِيد الضُّبعيُّ ؛ وَهُوَ يَزِيْدُ القاسِم ، وَهُوَ القَسّامُ ؛ والرِّشْكُ : هو القَسّامُ

---

(١) معرفة علوم الحديث ، للحاكم ٢١١ .

(٢) وقيل : ، الدّارع . وهما بمعنى .

(٣) ترجمته في : طبقات ابن سعد ٩/ ٢٤٤ والجرح والتّعديل ٩/ ٢٩٧ والأنساب ٦/ ١٢٣ وميزان الاعتدال ٤/ ٤٤٤ وتاريخ الإسلام ٣١٣ [وفيات ١٢١ ـ ١٤٠] وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٨١ وتهذيب التّهذيب ١١/ ٣٧١ وتاج العروس ٢٧/ ١٣٢ .

(٤) التّرمذيّ (٧٦٣) ومسلم (١١٦٠) وأبو داود (٢٤٥٣) وابن ماجه (١٧٠٩) وابن حبّان (٣٦٥٤) ومسند أحمد ٦/ ١٤٥ .

بِلُغَةِ أَهْلِ البَصْرَةِ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

٣٧٦ الرَّفْرافُ: طائِرٌ ، يُقَالُ لَهُ : ملاعِبُ ظِلِّهِ . ويُقالُ له : خاطِفُ ظِلِّه.

وَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَيْهِ فِي « بابِ المِيْمِ » .

وَالظَّلِيْمُ أَيْضاً يُقَالُ لَهُ : رَفْرافٌ ، لِرَفْرَفَتِه عِنْدَ عَدْوِهِ .

وَالرَّفْرَفُ : ضَرْبٌ من السَّمَكِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[١] .

٣٧٧ الرِّقُّ : بِكَسْرِ الرَّاءِ ، وَبِالقافِ : ضَرْبٌ من دَوابِّ المَاءِ ، يُشْبِهُ التِّمْسَاحَ .

وَالرِّقُّ أَيْضاً : العَظِيْمُ من السَّلاحِفِ ؛ وَجَمْعُهُ : رُقُوقٌ .

● وَفِي «غَرِيبِ الحَدِيثِ» : كان فُقَهَاءُ المَدِينَةِ يَشْتَرُونَ الرِّقَّ وَيَأْكُلُونَهُ[٢] ؛ رَوَاهُ الجَوْهَرِيُّ بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَالأَكْثَرُونَ بِكَسْرِهَا[٣] .

٣٧٨ الرِّكَابُ : بِكَسْرِ الرَّاءِ : الإِبلُ ؛ واحِدَتُها : راحِلَةٌ ؛ وَجَمْعُها : رَكائِبُ .

● وَفِي[٤] حَدِيثِ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بَعَثَ بَعْثاً ، عَلَيْهِم قَيْسُ بن سَعد بن عُبادَة ، فَجَهِدُوا ، فَنَحَرَ لَهُمْ قَيْسٌ تِسْعَ رَكائِبَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ الجُودَ لَمِنْ شِيْمَةِ أَهْلِ ذَلِكَ البَيْتِ » .

وَيُجْمَعُ أَيْضاً عَلَى رُكُبٍ ، وَمِنْهُ قِيْلَ : زَيْتٌ رِكابِيٌّ ، لأَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى ظُهُورِ الإِبلِ .

---

(١) وعنه في اللِّسان « رفف » ٣/ ١٦٩٣ ـ ١٦٩٤ .

(٢) النِّهاية ٢/ ٢٥٢ .

(٣) وضبط في اللِّسان « رقق » بفتح الرَّاء .

(٤) الإصابة ٥/ ٣٦٠ (رقم ٧١٩٢) . وقارن بما ورد في المغازي ٢/ ٧٧٥ وطبقات ابن سعد ٥/ ٣٧١ ومختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٠٦ .

وَالرَّكُوبَةُ : ما يُرْكَبُ ؛ يُقَالُ : ما لَهُ رَكُوبَةٌ وَلا حَلُوبَةٌ ، وَلا حَمُولَةٌ : أَي ما يَرْكَبُهُ وَيَحْلُبُهُ وَيَحْمِلُ عليهِ .

وَقَرَأَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها : « فَمِنْهَا رَكُوبَتُهُمْ » .

وَجَمْعُ الرَّكُوبَةِ : رَكائِبُ . ا هـ .

● وَقَالَ السُّهيليُّ قُبَيْلَ الكَلامِ عَلَى ما أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ : وَالرَّكُوبَةُ ، جَمْعُها : رَكائِبُ . ا هـ .

● وَلَوْ أَرادَ الجَمْعَ بغَيْرِ هاءٍ ، لَقَالَ : [رُكُبٌ ، كَمَا يُقَالُ[1] :] عُجُزٌ ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ : أَنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قَالَ[2] : « إِنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُها العُجُزُ » . قَالَها مُمازِحاً لِعَمَّتِهِ صَفِيَّة رَضِيَ اللهُ عنها ؛ وَقِيلَ : بَلْ قَالَها لامْرَأَةٍ من الأَنْصَارِ . ذَكَرَ ذَلِكَ هَنَّادُ بن السَّرِيّ فِي كِتابِ « الرَّقائق » له .

٣٧٩ الرَّكْنُ : الفَأْرُ ؛ وَيُسَمَّى رُكَيْناً عَلَى لَفْظِ التَّصغِيرِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[3] .

٣٨٠ الرَّمَكَةُ : بالتَّحرِيكِ : الأُنْثَى من البَرَاذِيْنِ ؛ وَالجَمْعُ : رِماكٌ ، وَرَمَكَاتٌ ، وَأَرْمَاكٌ أَيْضاً عن الفَرَّاءِ ، مِثْلُ ثِمارٍ وَأَثْمَارٍ[4] .

● وَوَقَعَ فِي « الوَسِيطِ » فِي البَابِ الثَّانِي من أَبْوابِ البَيْعِ : لو قَالَ : بِعْتُكَ هَذِهِ النَّعْجَة ، فَإِذا هِيَ رَمَكَةٌ ؛ فَفِي قَوْلٍ : يُعَوَّلُ عَلَى الإِشَارَةِ ؛ وَفِي قَوْلٍ آخَرَ : يُعَوَّلُ عَلَى العِبارَةِ .

---

(١) الزِّيادة لازمة ، لتستقيمَ العبارة .

(٢) ربيع الأَبرار ٥/ ١٧٣ ، وأَدب الدُّنيا والدِّين ٤٩١ ونثر الدُّرّ ٢/ ١٣٠ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٩/ ٣٦٤ ومحاضرات الرَّاغب ١/ ٢٨٢ والمستطرف ٣/ ٢٢٢ .

(٣) وعنه اللِّسان « ركن » ٣/ ١٧٢٢ .

(٤) عن الصِّحاح « رمك » ٤/ ١٥٨٨ .

قَالَ ابْنُ الصَّلاحِ : هَذَا تَصحِيفٌ ؛ إِنَّما هُوَ « البَغْلَةُ » ؛ فإِنَّ الرَّمَكَةَ لا تَشْتَبِهُ بِالنَّعْجَةِ .

٣٨١ الرَّهْدُونُ : الرَّهْدَنُ وَالرَّهْدَنَةُ ـ بِفَتْحِ الرّاءِ ـ : طائِرٌ يُشْبِهُ الحُمَّرَةَ ، يُرَهْدِنُ فِي مِشْيَتِهِ كَأَنَّهُ يَسْتَدِيْرُ ؛ وَجَمْعُهُ : رهادِنُ ، وَهُوَ كَثِيْرٌ بِمَكَّةَ ، خُصُوصاً بِالمَسْجِدِ الحَرامِ ؛ وَهُوَ يُشْبِهُ العَصَافِيْرَ إِلاّ أَنَّهُ أَدْبَسُ[1] .

٣٨٢ الرُّوبيانُ : هُوَ سَمَكٌ صَغِيْرٌ جِدّاً ، أَحْمَرُ .

الخَواصُّ[2] : إِنْ طُرِحَتْ رِجْلُ الرُّوْبيانِ فِي شَرابِ مَن يُحِبُّ الشَّرابَ : أَبْغَضَهُ .

وَرَقبَتُهُ يُبَخَّرُ بِهَا ، فَيَسْقُطُ الجَنِيْنُ .

وإِذا دُقَّ الرُّوبيانُ وَهُوَ طَرِيٌّ ؛ وَضُمِّدَ بِهِ مَوْضِعُ الشَّوْكِ أَوِ السَّهْمِ الغَائِصِ فِي البَدَنِ : أَخْرَجَهُ بِسُهُولَةٍ .

وإِنْ سُلِقَ مَعَ الحِمَّصِ الأَسْوَدِ ، وَضُمِّدَ بِهِ السُّرَّةُ : أَخْرَجَ حَبَّ القَرَعِ .

وإِنْ جُفِّفَ وَسُحِقَ واكْتَحَل بِهِ صاحِبُ الغَشَاوَةِ : نَفَعَهُ .

وإِنْ سُحِقَ مَعْ سَكَنْجَبين ، وَشُرِبَ : أَخْرَجَ حَبَّ القَرَعِ من الجَوْفِ . قَالَهُ عَبْدُ المَلِكِ بن زُهرٍ .

٣٨٣ الرِّيْمُ : وَلَدُ الظَّبْيِ ، وَالجَمْعُ : آرامٌ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[3] : [من الطويل]

بِهَـا العِيْـنُ وَالآرامُ يَمْشِيْـنَ خِلْفَـةً ... وَأَطْلاؤُهـا يَنْهَضْـنَ مـن كُـلِّ مَجْثَمِ

يَقُولُ : إِذا ذَهَبَ فَوْجٌ ، جَاءَ فَوْجٌ .

---

(١) عن الصِّحاح «رهدن» ٥/ ٢١٢٩ والمخصّص ٨/ ١٦٦ . وفي أ: إلاّ أَنَّهُ أحمر. وهما بمعنى.

(٢) تذكرة داود ١/ ١٧١ ومفردات ابن البيطار ٢/ ١٤٦ .

(٣) هو زهير بن أبي سلمى ، والبيت في ديوانه ٥ .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : الآرامُ : الظِّبَاءُ البِيْضُ ، الخالِصَةُ البَيَاضِ ؛ الواحِدَةُ : رِيْمٌ . قَالَ : وَهِيَ تَسْكُنُ الرِّمَالَ ، وَهَذَا النَّوْعُ من الظِّبَاءِ يُقَالُ إِنَّهُ ضَأْنُها ، لأَنَّهُ أَكْثَرُها شَحْماً وَلَحْماً .

● وَكَانَ زاكِي بن كامل القَطيعيُّ ، أَبُو الفَضْلِ ، يُعْرَفُ بِقَتِيْلِ الرِّيْمِ ، وأَسِيْرِ الهَوَى ؛ تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمسمئةٍ[1] ؛ وَمِنْ شِعْرِهِ[2] : [مِنَ الكامل]

لِـي مُهْجَـةٌ كـادَتْ بِحَـرِّ كُلُـومِهـا ... لِلنّـاسِ مـن فَـرْطِ الجَـوَى تَتَكَلَّـمُ[3]
لَـمْ يَبْـقَ مِنْهَـا غَيْـرُ أَرْسُـمِ أَعْظُـمٍ ... مُتَحَـدِّثَـاتٍ لِلْهَـوَى تَتَظَلَّـمُ

٣٨٤ أُمُّ رَبَاحٍ : بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَتَخفِيفِ المُوَحَّدَةِ ، وَحَاءٍ مُهْمَلَةٍ : طائِرٌ أَغْبَرُ ، أَحْمَرُ الجَناحَيْنِ وَالظَّهْرِ ، يَأْكُلُ العِنَبَ . قَالَهُ فِي « المُرَصَّعِ »[4] .

٣٨٥ أَبُو رِيَاحٍ : بِكسرِ الرَّاءِ ، وَتَخفِيفِ الياءِ المُثَنَّاةِ تحتَ : اليُؤْيُؤُ ؛ وَسَيَأْتِي فِي آخِرِ الكِتَابِ .

٣٨٦ ذُو رُمَيْحٍ : مُصَغَّرٌ : اليَرْبُوعُ ؛ وَرُمْحُهُ ذَنَبُهُ ؛ وَقِيْلَ : هُوَ ضَرْبٌ من اليَرابِيعِ ، طَوِيلُ الرِّجْلَينِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[5] .

---

(١) ترجمته في : معجم الأُدباء ٣/ ١٣١٤ وبغية الطَّلب ٨/ ٣٧٢٨ والوافي بالوفيات ١٤/ ١٦٣ وفوات الوفيات ٢/ ٢٧ وشذرات الذَّهب ٦/ ٢٣١ .
وفي الأُصول : زكي الدِّين بن كامل !! .

(٢) البيتان في الوافي والفوات .

(٣) في أ : . . لحرِّ كلومها × .

(٤) المرصّع ١٨٤ والمخصّص ٨/ ١٥٥ .

(٥) المخصّص ٨/ ٩٢ .

بابُ الزَّاي المُعْجَمَة

٣٨٧ الزَّاغُ : من أَنْواعِ الغِرْبَانِ ، يُقَالُ لَهُ : الزَّرْعِيُّ ، وَغُرابُ الزَّرْعِ .

وَهُوَ غُرابٌ أَسْوَدُ صَغِيْرٌ ، وَقَدْ يَكُونُ مُحْمَرَّ المِنْقَارِ وَالرِّجلينِ ؛ وَيُقَالُ له : غُرابُ الزَّيْتُونِ ، لأَنَّهُ يأْكُلُهُ ؛ وَهُوَ لَطِيْفُ الشَّكْلِ ، حَسَنُ المَنْظَرِ .

لَكِنْ وَقَعَ فِي « عَجَائِبِ المَخْلُوقاتِ »[١] أَنَّهُ الأَسْوَدُ الكَبِيرُ ، وَأَنَّهُ يعِيشُ أَكْثَرَ من أَلْفِ سَنَةٍ ، وَهُوَ وَهْمٌ ؛ وَالصَّوابُ الأَوَّلُ .

● **عَجِيبةٌ** : رَأَيْتُ فِي « المُنْتَقى » من انْتِخَابِ الحافِظِ السِّلَفِيّ ، وَفِي آخِرِ وَرَقَةٍ من «عَجَائِبِ المَخْلُوقاتِ» عن محمَّد بن إِسماعِيلَ السَّعْدِيّ ، أَنَّهُ قَالَ[٢] :

وَجَّهَ إِلَيَّ يَحْيَى بن أَكْثَمَ ، فَتَوَجَّهْتُ إِليه ، فلمّا دَخَلْتُ عليه إذا عن يَمِينِهِ قِمَطْرٌ[٣] ، فَأَجْلَسَنِي عَلَيْه ، وَأَمَرَ أَنْ يُفْتَحَ ، فإذا شَيْءٌ خَرَجَ مِنْهُ ، رَأْسُهُ كَرَأْسِ إِنْسَانٍ ، وَمِنْ أَسْفَلِهِ إِلى سُرَّتِهِ عَلَى هَيْئَةِ زَاغٍ ، وَفِي صَدْرِهِ وَظَهْرِهِ سِلْعَتانِ[٤] .

قَالَ : فَفَزِعْتُ مِنْهُ ، وَيَحْيَى يَضْحَكُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : ما هَذَا ، أَصْلَحَكَ اللهُ ؟ فَقَالَ لِي : سَلْ عَنْهُ مِنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : ما أَنْتَ ؟ فَنَهَضَ ، وَأَنْشَدَ بِلِسَانٍ فَصِيْحٍ :

[مِنَ الهزج]

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٧٧ .

(٢) الخبر عن محمَّد بن مسلم السَّعديّ البغداديّ ، في : مصارع العشّاق ١/ ٨٥ ـ ٨٦ والجليس والأَنيس ٢/ ٧١ ـ ٧٢ وعجائب المخلوقات ٣٠٨ ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١٦ وسُكردان السُّلطان ٢٠ والنُّجوم الزَّاهرة ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧ وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ١١ ـ ١٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٧٩ وتزيين الأَسواق ٢/ ٣٨٧ .

(٣) القِمَطْرُ : ما يُصانُ فيه الكتب . (القاموس) .

(٤) السِّلعة ـ بكسر السِّين وفتحها ـ : غُدَّةٌ في الجسد ، أَو خرَّاج في العنق . (القاموس) .

أَنَــا الــزَّاغُ أَبُــو عَجْــوَهْ — أَنَــا ابْــنُ اللَّيْــثِ واللَّبْــوَهْ

أُحِــبُّ الــرَّاحَ وَالــرَّيْحـا — نَ وَالقَهْــوَةَ والنَّشْــوَهْ[١]

فَــلا عَــدْوَى يَــدي تُخْشَــى — وَلا يُحْــذَرُ لِــي سَطْــوَهْ

وَلِــي أَشْيَــاءُ تُسْتَظْــرَ — فُ يَــوْمَ العُــرْسِ وَالــدَّعْــوَهْ

فَمِنْهَــا سِلْعَــةٌ فِــي الظَّهْـ — ــرِ لا تَسْتُــرُهــا الفَــرْوَهْ

وَأَمَّــا السِّلْعَــةُ الأُخْــرَى — فَلَــوْ كَــان لَهَــا عُــرْوَهْ

لَمــا شَــكَّ جَمِيْــعُ النَّــا — سِ فِيْهَــا أَنَّهــا رَكْــوَهْ[٢]

ثُمَّ صَاحَ ، وَمَدَّ صَوْتَهُ : زاغ زاغ ، وانْطَرَحَ فِي القِمَطْرِ . فَقُلْتُ : أَعَزَّ اللهُ القاضِي ، وعاشِقٌ أَيْضاً ؟ فَقَالَ : هُوَ ما تَرَى ، لا عِلْمَ لِي بأَمْرِهِ ؛ إلاَّ أَنَّهُ حُمِلَ[٣] إلى أَمِيرِ المُؤْمِنِيْنَ مِع كِتابٍ مَخْتُومٍ فِيْهِ ذِكْرُ حَالِهِ ، لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ . انتهى .

● وَهَذَا الخَبَرُ قد رَوَاهُ الحافِظُ أَبُو طاهِر السِّلَفيّ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الطَّرِيْقَةِ ؛ وَهُوَ ما أَخْبَرَ بِهِ مُوسَى الرِّضَا ، قَالَ : قَالَ أَبُو الحَسَنِ عليُّ بن محمَّد[٤] :

دَخَلْتُ عَلَى أَحْمَدَ بن أَبِي دُوادٍ ، وَعَنْ يَمِيْنِه قِمَطْرٌ ، فَقَالَ لِي : اكْشِفْ ، وانْظُرِ العَجَبَ ؛ فَكَشَفْتُ فَخَرَجَ عليَّ رَجُلٌ طُوْلُهُ شِبْرٌ ، من وَسَطِهِ إِلى أَعْلاهُ

---

(١) في ب : × والنَّشوة مع القهوة .

(٢) في أ : لَمَا شَكَّ جميعُ مَنْ × رآها أَنَّها ركوه .

وزادت المصادر بعد ذلك : ثُمَّ قالَ : يا كهلُ ، أَنشدني شعراً غَزِلاً . فقال لي يحيى : قد أَنشدك الزَّاغُ ، فأَنشدهُ . فأَنشدته : [من الطَّويل]

أَغَــرَّكِ أَنْ أَذْنَبْــتِ ثُــمَّ تَتَــابَعَــتْ — ذُنُــوبٌ ، فلـم أَهْجُـرْكَ ، ثُـمَّ ذُنُـوبُ

وأَكْثَـرْتِ حتَّـى قُلْـتِ : ليـسَ بِصـارِمـي — وقــد يُصْـرَمُ الإِنْسَــانُ وهــوَ حَبيــبُ

(٣) في ب : حمله صاحب اليمن .

(٤) الخبر بهذه الرِّواية ، وبهذا السَّند ، في : مصارع العشّاق ١/ ٨٦ ـ ٨٧ .

رجُلٌ ، وَمِنْ وَسَطِه إِلى أَسْفَلِه صُورَةُ زاغٍ ذَنَباً وَرِجْلاً ؛ فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ . فَانْتَسَبْتُ لَهُ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ عن اسْمِهِ ؟ فَقَالَ : [مِن الهزج]

أَنَــا الــزَّاغُ أَبُــو عَجْــوَهْ حَلِيْــفُ الخَمْــرِ وَالقَهْــوَهْ
وَلِــي أَشْيَــاءُ لا تُنْكَــرُ يَــوْمَ القَصْــفِ فِــي الــدَّعْــوَهْ
فَمِنْهــا سِلْعَــةٌ فِــي الظَّهْــــرِ لا تَسْتُــرُهــا الفَــرْوَهْ
وَمِنْهَــا سِلْعَــةٌ فِــي الصَّــدْرِ لَــو كَــان لَهــا عُــرْوَهْ
لَمــا شَــكَّ جَمِيــعُ النَّــاسِ حَقَّــاً أَنَّهــا رَكْــوَهْ

ثُمَّ قَالَ : أَنْشِدْنِي شَيْئاً فِي الغَزَلِ ؛ فَأَنْشَدْتُهُ : [مِنَ الوافِر]

وَلَيْــلٍ فِــي جَــوانِبِــهِ فُضُــولُ مِــنَ الإِظْــلام أَطْلَــسَ غَيْهَبَــانِ
كَــأَنَّ نُجُــومَــهُ دَمْــعٌ حَبِيْــسٌ تَــرَقْــرَقُ بَيْــنَ أَجْفَــانِ الغَــوانِــي

فَصَاحَ : وَاأَبِي ، وَاأُمِّي ؛ وَرَجَعَ إِلى القِمَطْرِ وَسَتَرَ نَفْسَهُ ؛ فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوادٍ : وَعاشِقٌ أَيْضاً ! .

● قَالَ ابْنُ خلّكان فِي تَرْجَمَةِ يحيى بن أكثمَ[1] : إِنَّهُ لَمَّا وَلِيَ قَضاءَ البَصْرَةِ ، كان سِنُّهُ نَحْوَ عشرينَ سَنَةً ، فَاسْتَصْغَرَهُ أَهْلُ البَصْرَةِ ، وَقَالُوا لَهُ : كَمْ سِنُّ القاضِي ؟ فَعَلِمَ أَنَّهُمْ اسْتَصْغَرُوهُ ، فَقَالَ : أَنا أَكْبَرُ من عتَّابِ بن أَسِيْدٍ ، الذِي وَجَّهَ بِه النَّبيُّ عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قَاضِياً عَلَى مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ ؛ وَمِنْ مُعاذ ابن جبَلٍ ، الَّذِي وَجَّهَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ قاضِياً عَلَى اليَمَنِ ؛ وَمِنْ كَعْبِ بن سُورٍ ، الذِي وَجَّهَ بِهِ عُمرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قاضِياً عَلَى البَصْرَةِ ؛ فَجَعَلَ جَوابَهُ احْتِجاجاً .

● قِيْلَ[2] : لَمَّا أَرادَ المَأْمُونُ أَنْ يُوَلِّيَ رَجُلاً القَضَاءَ ، وُصِفَ لَهُ يَحْيَى بن

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩١ ووفيات الأعيان ٦/ ١٤٩ وتهذيب الكمال ٣١/ ٢١٩ وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٧ ـ ٨ .

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ١٤٨ .

أَكْثَمَ ، فَاسْتَحْضَرَهُ ، فَرَآهُ دَمِيْمَ الخَلْقِ ، فَاستَحْقَرَهُ ، فَعَلِمَ يحيى ذَلِكَ ، فقَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ ، سَلْنِي إِن كان القَصدُ عِلْمِي لا خَلْقِي ؛ فَسَأَلَهُ فَأَجابَهُ ، فقَلَّدَهُ القَضاءَ .

قَالَ[1] : وَلَمْ يُعْلَمْ أَحَدٌ غَلَبَ عَلَى سُلْطانِه فِي زَمانِه ، إلاَّ يَحْيَى بن أَكْثَمَ وَأَحمد بن أَبِي دُوادٍ المُعْتَزليّ ، وَكَانَ حَنَفِيّاً ؛ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى الإِمامِ أَحْمد رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى فِي مِحْنَته أَشَدَّ منهُ ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُ طَرَفٍ من مِحنَتِه فِي « بابِ الكَافِ » فِي لَفْظِ « الكَلْبِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى .

● قَالَ : وَكانَتْ[2] كُتُبُ يَحْيَى فِي الفِقْهِ أَجَلَّ كُتُبٍ ، فتَرَكَها النَّاسُ لِطُولِها .

وَكَانَ[3] لِيَحْيَى يَوْمٌ فِي الإِسْلامِ لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ مِثْلُهُ ؛ وَهُوَ أَنَّ المَأْمُون كان فِي طَرِيقِ الشَّامِ ، فَأَمَرَ فَنُودِيَ بتَحلِيلِ المُتْعَةِ ، ولم يستطع أَحَدٌ أَنْ يَحْتجَّ عليه فِي تَحرِيمِها غيرَ يحيَى ، فقَرَّرَ عنده تحريمَ المُتْعَةِ . فَقَالَ المَأْمُونُ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعالَى ، نادُوا بتحريمِ نِكاحِ المُتْعَةِ .

● وَرُوِيَ[4] أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِيَحيَى : أَيُّها القاضِي ، كَمْ آكُلُ ؟ فقَالَ : فَوْقَ الجُوعِ ، وَدُونَ الشَّبَعِ . قَالَ : فَكَمْ أَضْحَكُ ؟ قَالَ : حَتَّى يُسْفِرَ وَجْهُكَ ، وَلا يَعْلُو صَوْتُكَ . قَالَ : فَكَمْ أَبْكِي ؟ قَالَ : لا تملَّ من البُكَاءِ من خَشيَةِ اللهِ ، قَالَ : فكَمْ أُخْفِي عَمَلِي ؟ قَالَ : ما استطعتَ . قَالَ : فكَمْ أُظْهِرُ مِنْهُ ؟ قال : ما يَقْتَدِي بكَ البَرُّ الخَيِّرُ ، وَيُؤْمَنُ عَلَيْكَ قَوْلُ النَّاسِ . فقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللهِ ، قَوْلٌ قاطِنٌ ، وَعَمَلٌ ظاعِنٌ .

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٠ ووفيات الأعيان ٦/ ١٤٨ .

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ١٥١ وتهذيب الكمال ٣١/ ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٢ ووفيات الأعيان ٦/ ١٥٠ وتهذيب الكمال ٣١/ ٢١٥ وسير ١٢/ ٨ .

(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٣ ووفيات الأعيان ٦/ ١٥٠ وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٢٠ .

قَالَ[1] : وَلَمْ يَكُنْ فِي يحيى ما يُعابُ به ، سِوَى ما كَانَ يُتَّهَمْ بِهِ مِمَّا هُوَ شائِعٌ عنه ، من مَحَبَّةِ الصِّبْيَانِ ، وَحُبِّ العُلُوِّ ؛ وَكَانَ إذا رَأَى فَقيهاً سأله عن الحديث ؛ أو مُحَدِّثاً ، سَأَلَهُ عن النَّحْوِ ؛ أَوْ نَحْوِيّاً ، سَأَلَهُ عن الكَلامِ ، لِيُخْجِلَهُ وَيَقْطَعَهُ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْماً رَجُلٌ من أَهْلِ خُراسانَ ، فناظَرَهُ ، فَرَآهُ مُتَفَنِّناً حافِظاً ، فقَالَ لَهُ : نَظَرْتَ فِي الحَدِيْثِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : ما تَحْفَظُ من الأُصُولِ ؟ قَالَ : أَحْفَظُ عن شَرِيكٍ ، عن أَبِي إِسحاق ، عن الحارِثِ : أَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ رَجَمَ لُوطِيّاً . فَأَمْسَكَ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ .

● وَتُوُفِّيَ بِالرَّبَذَةِ ، وَدُفِنَ هُناكَ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ ، أَوْ ثَلاثٍ ، وَأَرْبَعِيْنَ وَمِئَتَيْنِ[2] .

● وَنُقِلَ[3] أَنَّهُ رُؤِيَ فِي المَنامِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَقِيْلَ لَهُ : ما فَعَلَ اللهُ بكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي ، إلاّ أَنَّهُ وَبَّخَنِي ، وَقَالَ لِي : يَا يَحْيَى ، خَلَّطْتَ عَلَيَّ فِي دَارِ الدُّنْيا ؛ فَقُلْتُ : يَا رَبّ ، اتَّكَلْتُ عَلَى حَدِيْثٍ حَدَّثَنِي بهِ أَبُو مُعاويةَ الضَّرِيرُ ، عن الأَعْمَشِ ، عن أَبِي صَالِحٍ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّكَ قُلْتَ : إِنِّي لأَسْتَحْيِي أَنْ أُعَذِّبَ ذَا شَيْبَةٍ مُسْلِماً بالنَّارِ » . فَقَالَ : قد عَفَوْتُ عَنْكَ يَا يَحْيَى ، وَصَدَقَ نَبِيِّي ، إلاَّ أَنَّكَ خَلَّطْتَ عَلَيَّ فِي دَارِ الدُّنْيا .

● الذَّمامَةُ : بِالذّالِ المُعْجَمَةِ : رَدَاءَةُ الخُلُقِ ، بِضَمِّ اللاَّمِ ؛ وَبِالدَّالِ

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٦ ووفيات الأعيان ٦/ ١٥٢ وتهذيب الكمال ٣١/ ٢١٣ .

(٢) ترجمته في : أَخبار القُضاة ٢/ ١٦١ وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٢ ووفيات الأعيان ٦/ ١٤٧ وثمار القلوب ١/ ٢٧٠ ومروج الذَّهب ٤/٣١٩ وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٠٧ وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٥ .

(٣) الرِّسالة القشيريَّة ٣٦٧ وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٧ ووفيات الأعيان ٦/ ١٦٣ ـ ١٦٤ وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٢٢ .

المُهْمَلَةِ : رَدَاءَةُ الخَلْقِ ، بإِسْكَانِ اللاَّمِ ؛ وَأَكْثَمُ : بالثَّاءِ المُثَلَّثَةِ ؛ وَالرَّبَذَةُ ، بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالبَاءِ المُوَحَّدَةِ ، وَالذَّالِ المُعجمةِ : قَرْيَةٌ من قُرَى المَدِينَةِ ، عَلَى طَرِيقِ الحاجِّ ، وَهِيَ التِي نَفَى عُثمانُ بن عَفَّان أَبَا ذَرٍّ الغِفاريَّ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُما إِلَيْهَا ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ ، وَقَبْرُهُ ظاهِرٌ هُنَاكَ يُزَارُ ؛ كَمَا تَقَدَّمَ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُ الزّاغِ ، وَهُوَ الأَصَحُّ عِنْدَ الرَّافِعِيِّ ؛ وَبِهِ قَالَ الحَكَمُ وَحمّاد ومحمَّد بنُ الحَسَنِ .

● وَرَوَى البَيْهَقِيُّ فِي « شُعَبِهِ » قَالَ[١] : سَأَلْتُ الحَكَمَ عن أَكْلِ الغِرْبَانِ ؟ قَالَ : أَمَّا السُّودُ الكِبَارُ فَأَكْرَهُ أَكْلَها ، وَأَمَّا الصِّغَارُ التي يُقَالُ لَهَا : الزَّاغُ ، فَلا بَأْسَ بِهَا .

وَالأَمْثَالُ تَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي « بابِ الغينِ المعجمةِ » فِي لَفْظِ « الغُرابِ » .

الخَواصُّ[٢] : لِسَانُ الزَّاغِ : يُجَفَّفُ وَيَأْكُلُهُ العَطْشَانُ : يَذْهَبُ عَطَشُهُ وَلَوْ فِي وَسَطِ تَمُّوزَ .

وَكَذَلِكَ قَلْبُهُ ، إِذا جُفِّفَ وَسُحِقَ ، وَشَرِبَهُ إِنْسَانٌ : لا يَعْطَشُ فِي سَفَرِهِ ؛ فإِنَّ هذا الطَّائِرَ لا يَشْرَبُ مَاءً فِي تَمُّوزَ .

وَمرارَتُهُ تُخْلَطُ بِمَرَارَةِ الدِّيْكِ ، وَيُكْتَحَلُ بِهَا : تُذْهِبُ ظُلْمَةَ العَيْنِ ؛ وَتُسَوِّدُ الشَّعْرَ إِذا طُلِيَ بِهَا سَواداً عَجِيباً . وَحَوْصَلته تَمْنَعُ نُزُولَ المَاءِ عِنْدَ مَبَادِيهِ .

التَّعبيرُ : الزّاغُ الذِي فِي مِنْقَارِهِ حُمْرَةٌ ، تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى رَجُلٍ ذِي سَطْوَةٍ وَلَهْوٍ وَطَرَبٍ .

---

(١) ليس في شعب الإيمان .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٧٧ .

وَقَالَ أَرْطاميدورس: الزَّاغُ فِي المَنَامِ: يَدُلُّ عَلَى نَاسٍ يُحِبُّونَ المُشَارَكَةَ[1] ؛ وَرُبَّما دَلَّ عَلَى أُناسٍ فُقَرَاءَ .

وَقِيْلَ : إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الوَلَدِ من الزِّنا ؛ وَالرَّجُلِ المَمْزُوجِ بِالخَيْرِ وَالشَّرِّ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ .

٣٨٨ الزَّاقِي : الدِّيْكُ ، وَالجَمْعُ : الزَّواقِي . يُقَالُ : زَقَا يَزْقُو : إِذا صَاحَ ، وَكُلُّ صَائِحٍ زاقٍ .

● وَفِي حَدِيْثِ هِشَام بن عُرْوَةَ[2] : « أَنْتَ أَثْقَلُ من الزَّواقِي » . يُرِيْدُ أَنَّها إِذا زَقَتْ سَحراً ، تَفرَّقَ السُّمَّارُ وَالأَحْبَابُ ؛ والزَّقْوُ والزَّقْيُ مَصْدَرٌ ؛ وقَدْ زَقا الصَّدَى يَزْقُو وَيَزْقِي زُقَاءً : أَيْ صَاحَ ؛ وَكُلُّ زاقٍ صائِحٌ . قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[3] .

● وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي « البُومَةِ » قول تَوْبَةَ بْنِ الحُمَيِّرِ صاحِبِ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةِ[4] :

[مِنَ الطويل]

وَلَـوْ أَنَّ لَيْلَـى الأَخْيَلِيَّـةَ سَلَّمَـتْ عَلَـيَّ وَدُونِـي جَنْـدَلٌ وَصَفـائِـحُ[5]
لَسَلَّمْـتُ تَسْلِيـمَ البَشـاشَـةِ أَوْ زَقـا إِلَيْهَا صَدىً من جانِبِ القَبْرِ صائِحُ

وَسَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الصَّادِ المُهملَةِ » فِي لَفْظِ « الصَّدَى » .

٣٨٩ الزَّامُورُ : قَالَ التَّوحِيدَيّ[6] : إِنَّهُ حُوتٌ صَغِيْرُ الجِسْمِ ، أَلُوفٌ لأَصْواتِ النَّاسِ يَسْتَأْنِسُ بِاسْتِماعِهَا ؛ وَلِذَلِكَ يَصْحَبُ السُّفُنَ مُتَلَذِّذاً بِأَصواتِ أَهْلِها .

---

(١) في أ : يدلُّ على إنسانٍ يخونُ المشاركة .
(٢) النِّهاية ٢/ ٣٠٧ والمناقب والمثالب ٢٦٦ واللِّسان ٣/ ١٨٤٦ والصِّحاح « زقا » .
(٣) الصِّحاح « زقا » ٦/ ٢٣٦٨ .
(٤) ديوانه ٤٧ ـ ٤٨ .
(٥) في أ : وفوقي جندل . . .
(٦) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٩٤ ـ ١٩٥ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٣٧ والمستطرف ٢/ ٤٨٧ .

وإذا رَأى الحُوتَ الأَعْظَمَ يُرِيْدُ الاحْتِكَاكَ بِهَا وَكَسْرَها ، وَثَبَ الزَّامُورُ وَدَخَلَ أُذُنَهُ ، وَلا يَزَالُ يَزْمرُ فِيهِ حَتَّى يَفِرَّ الحُوتُ إلى السَّاحِلِ يَطْلُبُ جُرْفاً أَوْ صَخْرَةً ، فإذا أَصابَ ذَلِكَ فَلا يزال يَضْرِبُ بِهِ رَأْسَهُ حَتَّى يَمُوتَ .

وَرُكَّابُ السُّفُنِ يُحِبُّونَهُ وَيُطْعِمُونَهُ وَيَتَفَقَّدُونَهُ ، لِيَدُومَ إِلْفُهُ لَهُمْ ؛ وَصُحْبَتُهُ لِسُفُنِهِمْ ، لِيَسْلَمُوا من ضَرَرِ السَّمَكِ العادِي .

وَإذا أَلْقَوْا شِباكَ الصَّيْدِ فَوَقَعَ الزَّامُورُ فِيْها ، أَطْلَقُوهُ لِكَرامَتِهِ .

٣٩٠ الزَّبابَةُ : بِفَتْحِ الزَّاي وَالبَاءَيْنِ المُوَحَّدَتَيْنِ ، بَيْنَهُما أَلِفٌ : الفَأْرَةُ البَرِّيَّةُ ، تَسْرِقُ كُلَّ ما تَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَا تَسْتَغْنِي عنه .

وَقِيْلَ : هِيَ فَأْرَةٌ عَمْياءُ[1] صَمَّاءُ ، وَجَمْعُها : زَبابٌ ؛ وَيُشَبَّهُ بِهَا الرَّجُلُ الجاهِلُ .

● قَالَ الحارِثُ بن حِلِّزَةَ[2] : [من مجزوء الكامل]

وَلَقَــدْ رَأَيْــتُ مَعَــاشِــراً جَمَعُــوا لَهُــمْ مَــالاً وَوُلْــدَا
وَهُــمُ زَبَــابٌ حَــائِــرٌ لا تَسْمَــعُ الآذَانُ رَعْــدَا

أَي : لا يَسْمَعُونَ شَيْئاً ، يَعْنِي : مَوْتَى .

وَصَفَ الزَّبابَ بِالتَّحَيُّرِ ؛ وَالتَّحَيُّرُ إِنَّما يَحْصَلُ لِلأَعْمَى ، وَأَرادَ بِذَلِكَ أَنَّ الأَرْزاقَ لَمْ تُقْسَمْ عَلَى قَدْرِ العُقُولِ ؛ وَالوُلْدُ : بِضَمِّ الواوِ ، لِلْواحِدِ وَالجَمْعِ .

وَقَوْلُهُ : لا تَسْمَعُ الآذَانُ رَعْداً : أَي لا تَسْمَعُ آذانُهُمْ ؛ فَاكْتَفَى بِالأَلِفِ وَاللاَّمِ عن الإِضافَةِ ، كَقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعات : ٤١] وَبَيَّنَ

---

(١) كذا في الأُصول ، وهو خطأٌ . فالزَّبابة صمَّاءُ وليست عمياء . (الصِّحاح واللِّسان والقاموس والتَّاج « زبب ») .
أَمَّا الفأرة العمياء ، فهي الخُلد ، كما سيأتي بعد قليل .

(٢) في الأُصول : الحارث بن كلدة ! . والبيتان في ديوانه ٤٦ .

أَنَّ آذانَهُمْ لِشِدَّةِ صَمَمِهِم ، لا يَسْمَعُونَ بِهَا الرَّعْدَ .

● قَالَ الإِمامُ الثَّعالبيُّ فِي « فِقْهِ اللُّغَةِ »[1] يُقَالُ : فِي أُذُنِه وَقْرٌ ، فإِنْ زادَ فَهُوَ صَمَمٌ ، فإِنْ زَادَ فَهُوَ طَرَشٌ ، فإِنْ زَادَ حَتَّى لا يَسْمَعَ الرعْدَ ، فَهُوَ صَلَخٌ بِالصَّادِ المُهْمَلَةِ وَالخَاءِ المُعْجَمَةِ فِي آخِرِهِ . انتهى .

وَاخْتُصَّت هَذِهِ الفَأْرَةُ بِالصَّمَمِ ، كَمَا اخْتصَّ الخُلْدُ بالعَمَى ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ حُكْمِها فِي « بابِ الفَاءِ » فِي لَفْظِ « الفَأْرِ » .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[2] : « أَسْرَقُ من زَبابَةٍ » لأَنَّها تَسْرِقُ ما تَحْتاجُ إِلَيْهِ ، وَمَا تَستغنِي عنهُ .

٣٩١ الزَّبْزَبُ : دَابَّةٌ كَالسِّنَّوْرِ . قَالَهُ فِي « العُبَابِ » .

● وَفِي « كامِلِ ابْنِ الأَثِيرِ » فِي حَوادِثِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلاثمئة ، قَالَ[3] : وَفِيهَا ـ فِي الصَّيْفِ ـ خافَتِ العَامَّةُ بِبَغْدَادَ من حَيَوانٍ كَانُوا يُسَمُّونَهُ الزَّبْزَبَ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ فِي اللَّيْلِ عَلَى أَسْطِحَتِهِم ، وَإِنَّهُ يَأْكُلُ أَطْفَالَهُمْ ، وَرُبَّما عَضَّ يَدَ الرَّجُلِ ، أَوْ ثَدْيَ المَرْأَةِ فَيَقْطَعُهَا ، وَكَانَ الناسُ يَتَحارَسُونَ مِنْهُ وَيَتَزاعَقُونَ ، وَيَضْرِبُونَ بِالطُّسُوتِ وَالصَّوانِي وَغَيْرِها لِيُفْزِعُوهُ ؛ وَارْتَجَّتْ بَغْدادُ لِذَلِكَ ؛ ثُمَّ إِنَّ أَصْحابَ السُّلْطَانِ صَادُوا حَيَواناً فِي اللَّيْلِ ، أَبْلَقَ بِسَوادٍ ، قَصِيرَ اليَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ؛ فَقَالُوا : هَذَا هُوَ الزَّبْزَبُ ، وَصَلَبُوهُ عَلَى الجِسْرِ ، فَسَكَنَ النَّاسُ . انتهى .

---

(١) فقه اللُّغة ١١٠ .

(٢) الميداني ١/ ٣٥٣ وحمزة ١/ ٢٣٢ والعسكري ١/ ٥٣٣ والزَّمخشري ١/ ١٦٧ وأَمثال أَبي عبيد ٣٦٧ وزهر الأَكم ٣/ ١٦٦ والحيوان ٥/ ٢٥٤ .

(٣) الكامل لابن الأَثير ٨/ ١٠٥ وتاريخ الخلفاء ٤٥٠ والمنتظم ١٣/ ١٩٧ وتكملة تاريخ الطَّبري للهمذاني ٢١٠ والبداية والنِّهاية ١٤/ ٨٠٠ وتاريخ الإِسلام ٢٠ [وفيات ٣٠١ـ ٣٢٠] . والنُّجوم الزَّاهرة ٣/ ١٩٠ .

٣٩٢ **الزّخارِفُ** : جَمْعُ زُخْرُفٍ ، وَهُوَ ذُبابٌ صِغارٌ ، ذَاتُ قَوائِمَ أَرْبَعٍ ، تَطِيْرُ عَلَى المَاءِ[١] .

● قَالَ أَوْسُ بن حَجَرٍ[٢] : [من الطويل]

تَـذَكَّـرَ عَيْنـاً مِـن غُمـازَ وَمـاؤُهَـا ... لَـهُ حَـدَبٌ تَسْتَـنُّ فِيـهِ الـزَّخـارِفُ

٣٩٣ **الزُّرْزُورُ** : الزُّرْزُورُ بِضَمِّ الزّاي : طائِرٌ من نَوْعِ العُصْفُورِ ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِزَرْزَرَتِهِ . أَيْ تَصويتِه .

● قَالَ الجاحِظُ[٣] : كُلُّ طَائِرٍ جَيِّدِ الجَناحِ ، يَكُونُ ضَعِيفَ الرِّجلَينِ ، كَالزَّرازِيرِ وَالعَصَافِيرِ ؛ إذا قُطِعَتْ رِجْلاهُ لَم يَقدِر عَلَى الطَّيَرانِ ، كَمَا إِذا قُطِعَتْ رِجْلُ الإِنسَانِ فإِنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى العَدْوِ .

وَسَيَأْتِي حُكْمُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي «بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ» فِي «العُصْفُورِ» .

● **فائِدَةٌ** : رَوَى « الطَّبْرانيّ »[٤] وَ« ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ » عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرو ابن العاصِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ، أَنَّهُ قَالَ : « أَرْواحُ المُؤْمِنِيْنَ فِي أَجوافِ طُيُورٍ خُضْرٍ كَالزَّرازِيْرِ ، يَتَعارَفُونَ وَيُرْزَقُونَ من ثَمَرِ الجَنَّةِ » .

● وَمَا أَحْسَنَ قَولَ شَيْخِنَا الشَّيْخ بُرهان الدِّيْن القِيْراطيّ رَحْمَةُ اللهُ تَعالَى عليه : [من السريع]

قَـدْ قُلْـتُ لَمّـا مَـرَّ بِـي مُعْـرِضـاً ... بِكَفِّـــهِ يَحْمِـــلُ زُرْزُورا[٥]

---

(١) اللِّسان « زخرف » ٣/ ١٨٢١ .

(٢) ديوانه ٦٩ . وغُماز : بئر ـ أَو عينٌ ـ بين البصرة والبحرين . وقيل : عين معروفة بالسَّودة من تهامة . (معجم البلدان ٤/ ٢٠٩) .

(٣) الحيوان ٥/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٤) المعجم الكبير ٢٥/ ٢٧٢ .

(٥) في الأُصول : × وكفه . . . . ! .

يَــا ذَا الــذِي عَــذَّبَنِــي مَطْلُــهُ إِنْ لَــمْ تَــزُرْ حَقّــاً فَــزُرْ زُورا

● وَفِي « مَناقِبِ الإمامِ الشّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه » لِعبدِ المحسِنِ بن عُثمان بن غانِم :

قَالَ الشّافِعِيُّ[1] : من عَجَائِبِ الدُّنْيَا : طِلَّسْمٌ عَلَى صِفَةِ الزُّرْزُورِ من نُحاسٍ فِي رُومِيَّةَ ، يُصَفِّرُ فِي يَوْمٍ واحِدٍ من السَّنَةِ ، فَلا يَبْقَى طائِرٌ من جِنْسِهِ إِلاّ أَتَى رُومِيَّةَ ، وَفِي مِنْقَارِهِ زَيْتُونَةٌ ؛ فَإِذا اجْتَمَعَ ذَلِكَ عُصِرَ ، وَكَانَ مِنْهُ زَيْتُهُمْ فِي ذَلِكَ العامِ .

وَسَيَأْتِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي « السُّودانِيَّةِ » فِي « بابِ السِّيْنِ المُهْمَلَةِ » .

وَحُكْمُهُ : الحِلُّ ، لأَنَّهُ من أَنواعِ العَصَافِيرِ .

وَمِنْ خَواصِّهِ[2] : أَنَّ لَحْمَهُ يَزِيْدُ فِي الباهِ ، وَدَمُهُ إذا وُضِعَ عَلَى الدَّمامِيلِ نَفَعَها .

وَإِذا ذُرَّ رَمادُ الزُّرْزُورِ عَلَى الجُرْحِ ، فَإِنَّهُ يَخْتِمُ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى .

التَّعْبِيْرُ[3] : الزُّرزورُ : دَالٌّ عَلَى التَّرَدُّدِ فِي الأَسْفَارِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ .

وَرُبَّما دَلَّ عَلَى رَجُلٍ مُسافِرٍ يُسَافِرُ كَثِيْراً ، كَالمُكَارِي الذِي لا يَلْبَثُ فِي مَكانٍ وَنَحوِهِ .

وَطَعامٌ حَلالٌ ، لأنه حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الطَّعامَ وَالشَّرابَ لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ من الجَنَّةِ ، فَلَمْ يَتَناوَلْ شَيئاً من ذَلِكَ حَتَّى تابَ اللهُ تَعالَى عَلَيْهِ .

---

(١) كتاب البلدان لابن الفقيه ١٢٦ ومختصره ٧٢ ومعجم البلدان ٣/ ١٠٣ والرَّوض المعطار ٢٧٥ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٧٧ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٧٩ وتذكرة داود ١/ ١٧٨ .

(٣) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ وتفسير الواعظ ٢٩٧ .

وَرُبَّما دَلَّ عَلَى التَّخليطِ فِي الأعمالِ الصّالِحَةِ والسَّيِّئَةِ ؛ أَوْ عَلَى رَجُلٍ لَيْسَ بغَنِيٍّ وَلا فَقِيرٍ ، وَلا شَرِيفٍ ولا وَضيعٍ .

وَرُبَّما دَلَّ عَلَى المَهانَةِ ، وَالقَناعَةِ بِأَدْنَى العَيْشِ ، وَاللَّعِبِ .

وَرُبَّما كان كاتِباً ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ .

٣٩٤ الزُّرَّقُ : طائِرٌ يُصَادُ بِهِ ، بين البازِي والباشِقِ . قَالَهُ ابنُ سِيْدَه .

وَقَالَ الفَرّاءُ : هُوَ البازِي الأَبْيَضُ . وَالجَمْعُ : الزَّرارِيْقُ[1] .

● وَهُوَ صنفٌ من البَازِي لَطِيْفٌ ، إِلاَّ أَنَّهُ أَحَرُّ وَأَيْبَسُ مِزاجاً ، وَلِذَلِكَ هُوَ أَشَدُّ جَناحاً ، وَأَسْرَعُ طَيَراناً ، وَأَقْوَى إِقْداماً ؛ وَفِيهِ خَتَلٌ وَخُبْثٌ ؛ وَخَيْرُ أَلْوانِهِ الأَسْوَدُ الظَّهْرِ ، الأَبْيَضُ الصَّدْرِ ، الأَحْمَرُ العينِ .

● قَالَ الحَسَنُ بن هانِىء فِي طَرديَّتِهِ يَصِفُهُ[2] : [من الرجز]

قَدْ أَغْتَدِي بِسُفْرَةٍ مُعَلَّقَهْ ... فِيهَا الذِي تُرِيدُهُ من مَرْفَقَهْ

مُبَكِّراً بِزُرَّقٍ أَوْ زُرَّقَهْ ... وَصَفْتُهُ بِصِفَةٍ مُصَدَّقَهْ

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِحُسْنِ الحَدَقَهْ ... نَرْجِسَةٌ نابِتَةٌ فِي وَرَقَهْ

ذُو مَنْسَرٍ مُخْتَضِبٍ بِعَلَقَهْ ... كَمْ وَزَّةٍ صِدْنَا بِهِ وَلَقْلَقَهْ

سِلاحُهُ فِي لَحْمِها مُفَرَّقَهْ

الحُكْمُ : تَحرِيمُ الأَكْلِ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي « البازِي » .

٣٩٥ الزَّرافَةُ : كُنْيَتُها ، أُمُّ عيسى ؛ وَهِيَ بِفَتْحِ الزَّاي المُخَفَّفَةِ ، وَضَمِّها .

وَهِيَ حَسَنَةُ الخَلْقِ ، طَوِيْلَةُ اليَدَيْنِ ، قَصِيرَةُ الرِّجلَينِ ، مَجْموعُ يَدَيْهَا

---

(١) اللِّسان « زرق » ٣/ ١٨٢٨ .

(٢) ديوانه ٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ (فاغنر) .

وَرِجْلَيْهَا نحو عَشْرَةِ أَذْرُعٍ ، وَرَأْسُها كَرَأْسِ الإِبلِ ، وَقَرْنُها كَقَرْنِ البَقَرِ ، وَجِلْدُها كَجِلْدِ النَّمِرِ ، وَقَوائِمُها وَأَظْلافُها كَالبَقَرِ ، وَذَنَبُها كَذَنَبِ الظَّبْيِ ؛ لَيْسَ لَها رُكَبٌ فِي رِجْلَيْهَا ، وَإِنَّما رُكْبَتاها فِي يَدَيْها ، وَهِيَ إِذا مَشَتْ قَدَّمَتِ الرِّجْلَ اليُسْرَى وَاليَدِ اليُمْنَى ، بِخِلافِ ذَواتِ الأَرْبَعِ كُلِّها ، فَإِنَّها تُقَدِّمُ اليَدَ اليُمْنَى وَالرِّجْلَ اليُسْرَى .

وَمِنْ طَبْعِها التَّوَدُّدُ وَالتَّأَنُّسُ ، وَتَجْتَرُّ وَتَبْعَرُ ؛ وَلَمّا عَلِمَ اللهُ تَعالَى أَنَّ قُوتَها من الشَّجَرِ ، جَعَلَ يَدَيْهَا أَطْوَلَ من رِجْلَيْهَا ، لِتَستَعِينَ بِذَلِكَ عَلَى الرَّعْيِ منها بِسُهُولَةٍ . قَالَهُ القَزوِينِيُّ فِي « عَجَائِبِ المَخْلُوقاتِ »[1] .

● وَفِي « تارِيخِ ابنِ خلِّكان »[2] فِي تَرْجَمَةِ محمَّد بن عُبَيْد اللهِ العُتْبيّ البَصْرِيّ الأَخْبارِيّ ، الشّاعِرِ المَشْهُورِ ، أَنَّهُ كان يَقُولُ : الزّرافَةُ بِفَتْحِ الزّاي وَضَمِّها : الحَيوانُ المَعْرُوفُ ، وَهِيَ مُتَوَلِّدَةٌ بَيْنَ ثَلاثِ حَيواناتٍ ؛ بَيْنَ النّاقَةِ الوَحْشِيَّةِ ، وَالبَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ ، وَالضِّبْعانِ ـ وَهُوَ الذَّكَرُ من الضِّباعِ ـ ، فَيَقَعُ الضِّبْعانُ عَلَى النّاقَةِ فَتَأْتِي بِوَلَدٍ بَيْنَ النّاقَةِ والضَّبُعِ ؛ فَإِنْ كان الولد ذَكَراً وَقَعَ عَلَى البَقَرَةِ ، فَتَأْتِي بِالزَّرافَةِ ، وَذَلِكَ فِي بِلادِ الحَبَشَةِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهَا : الزَّرافَة ، وَهِيَ فِي الأَصْلِ : الجَمَاعَةُ ؛ فَلَمّا تَوَلَّدَتْ من جماعَةٍ قِيلَ لَهَا ذَلِكَ ؛ وَالعَجَمُ تُسَمِّيها : أُشْتُر كاو بلنك ، لأَنَّ أُشْتُرَ : الجَمَلُ ، وَكاو : البَقَرَةُ ، وَبلنك : الضَّبُعُ[3] .

● وَقَالَ قَوْمٌ[4] : إِنَّها مُتَوَلِّدَةٌ من حَيَواناتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَسَبَبُ ذاكَ اجْتِماعُ

---

(1) عجائب المخلوقات ٢٤٨ .

(2) وفيات الأعيان ٤/ ٤٠٠ والمستطرف ٢/ ٤٨٧ .

(3) كذا قال العتبي . والمعروف أَنَّ الضّبع يُسمَّى بالفارسيَّة : كُفتار . وأَنَّ « بلنك » هو النَّمر . وانظر معجم الألفاظ الفارسيَّة المعرّبة لإدّي شير ٧٨ والحيوان ٧/ ٢٤١ .

(4) نقل القزويني كلاماً مثل هذا عن طهمان الحكيم ، في عجائب المخلوقات ٢٤٨ .

الدَّوابِّ والوُحُوشِ فِي القَيْظِ عِنْدَ المِيَاهِ ، فَتَتَسَافَدُ ، فَيَلْقَحُ مِنْها ما يَلْقَحُ ، وَيَمْتَنِعُ منها ما يَمتنعُ ، وَرُبَّما سَفِدَ الأُنْثَى من الحَيَوانِ ذُكُورٌ كَثِيْرَةٌ ، فَتَخْتَلِطُ مِيَاهُهَا ، فَيَأْتِي مِنْهَا خَلْقٌ مُخْتَلِفُ الصُّوَرِ وَالألْوانِ وَالأَشْكَالِ .

● وَالجَاحِظُ لا يَرْضَى هَذَا القَوْلَ ، وَيَقُولُ[1] : إِنَّهُ جَهْلٌ شَدِيْدٌ ، لا يَصْدُرُ إلاَّ مِمَّنْ لا تَحصِيلَ لَدَيْهِ ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَخْلُقُ ما يَشَاءُ ؛ وَهُوَ نَوْعٌ من الحَيَوانِ قائِمٌ بِنَفْسِهِ كَقِيَامِ الخَيلِ والحَمِيرِ ، وَمِمّا يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَّهُ يَلِدُ مِثْلَهُ ، وَقَدْ شُوهِدَ ذَلِكَ وَتَحَقَّقَ .

وِفِي حُكْمِهَا : وَجْهَانِ : **أَحَدُهُما** : التَّحرِيمُ ، وَبِهِ جَزَمَ صاحِبُ « التَّنْبِيه » .

وَفِي « شَرْحِ المُهَذَّب » للنَّوَوِي : أَنَّها مُحَرَّمَةٌ بِلا خِلافٍ ؛ وَأَنَّ بعضَهم عَدَّها من المُتَوَلِّدِ بينَ المَأْكُولِ وَغَيرِهِ .

وَقَالَ بِتَحرِيمِها القاضِي أَبُو الخَطَّابِ من الحَنابِلَةِ .

وَالثّانِي : الحِلُّ ، وَبِهِ أَفْتَى الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّيْنِ ابْنِ أَبِي الدَّمِ الحَمَويّ ، وَنَقَلَهُ عن « فَتاوَى القاضِي حُسَيْن » .

وَذَكَرَ أَبُو الخَطّابِ ما يُوافِقُ الحِلَّ ؛ فإِنَّهُ حَكَى فِي فُرُوعِهِ قَولَينِ ، فِي أَنَّ الكُرْكِيَّ وَالبَطَّ والزَّرافَةَ ، هَلْ تُفْدَى بِشَاةٍ ، أَوْ تُفْدَى بِالقِيْمَةِ ؟ وَالفِدَاءُ لا يَكُونُ إلاَّ لِلْمَأْكُولِ .

قَالَ ابْنُ الرِّفْعَةِ : وَهُوَ المُعْتَبَرُ .

كَمَا أَفْتَى بِهِ البَغَوِيُّ ، قَالَ : وَمِنْهُمْ مَن أَوَّلَ لَفْظَها ، وَقَالَ : لَيْسَتِ الزَّرافَةُ بِالفَاءِ بَلِ القَافِ .

---

(١) الحيوان ٧/ ٢٤٢ .

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّيْنِ السُّبْكيّ : هَذَا التَّعلِيلُ لَيسَ بشَيءٍ ، لأَنَّهُ لا يُعْرَفُ ؛ وَاخْتَارَ فِي « الحَلَبِيَّاتِ » حِلَّها ، كَمَا أَفْتَى بِهِ ابْنُ أَبِي الدَّمِ ، وَنَقَلَهُ عن القاضِي حُسين ، وَ« تَتِمَّةِ التَّتِمَّةِ » ؛ قَالَ : وَمَا ادَّعاهُ النَّوويُّ مَمْنُوعٌ ؛ وَما ادَّعاهُ أَبُو الخَطَّابِ الحَنبليّ ، يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى جِنْسٍ يَتَقَوَّى بِنَابِهِ ، وَأَمّا هَذَا الذِي شَاهَدْنَاهُ ، فَلا وَجْهَ لِلتَّحرِيمِ فِيهِ ، وَمَا بَرِحتُ أَسْمَعُ هَذَا بِمصرَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدَّمِ فِي « شَرحِ التنبيهِ » : وَمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي « التَّنبيهِ » غيرُ مَذْكُورٍ فِي كُتُبِ المَذْهَبِ .

وَقد ذَكَرَ القاضِي حُسين أَنَّها تَحلُّ ، ثُمَّ قَالَ : قُلْتُ هَذَا مع أَنَّها أَقْرَبُ شَبَهاً بِمَا يَحِلُّ ، وَهُوَ الإِبلُ والبَقَرُ ؛ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى حِلِّها .

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّما ذَكَرَ الشَّيْخُ ذَلِكَ اعتِماداً عَلَى ما ذَكَرَ أَهلُ اللُّغَةِ أَنَّها من السِّبَاعِ ، وَتَسْمِيَتُهم لَها بِذَلِكَ تَقْتَضِي عَدَمَ الحِلِّ ؛ وإِذا كان كَذَلِكَ ، فَقَدْ ذَكَرَ صاحِبُ « كِتابِ العينِ » أَنَّ الزَّرافَةَ ، بِفَتْحِ الزّاي وَضَمِّها ، من السِّبَاعِ ، وَيُقَالُ لَهَا بالفارِسيَّةِ : أُشْتُر كاو بلنك[1] .

وَقَدْ ذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : أَنَّ الزَّرافَةَ مُتَوَلِّدَةٌ بَيْنَ النَّاقَةِ الوَحْشِيَّةِ والضَّبُعِ ، فَيَجِيءُ الوَلَدُ فِي خِلْقَةِ النَّاقَةِ وَالضَّبُعِ ، فإِنْ كان الوَلَدُ ذَكَراً ، عَرَضَ لِلأُنْثَى من بَقَرِ الوَحْشِ فَيُلْقِحُها ، فتَأْتِي بالزّرافَةِ ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنَّها جَمَلٌ وَناقَةٌ ؛ وَلَمّا كان كَذَلِكَ ، وَسَمِعَ الشَّيْخُ أَنَّها من السِّبَاعِ ، اعْتَقَدَ أَنَّها من السِّبَاعِ حَقِيقَةً ، وَلَمْ يَكُنْ رآها ، فَاسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى تَحرِيمِ أَكْلِها . انتهى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الجاحِظَ لَم يَرْتَضِ هَذَا القَوْلَ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا القَوْلَ جَهْلٌ بَيِّنٌ ؛ وَأَنَّ الزَّرافَةَ نَوْعٌ من الحَيَوانِ قائِمٌ بِنَفْسِهِ ، كَقِيَامِ الخَيْلِ والحَمِيرِ .

---

(١) لم يرد هذا في كتاب العين . وفيه ٧/ ٣٦٠ : والزَّرافة : دابَّةٌ له خَلْقٌ حَسَنٌ عند الله ، مُستشنعٌ عند الناس ، شبهُ البعير .

قُلْتُ : وَهَذَا الذِي قَالَهُ الجاحِظُ مُعارِضٌ لِمَا نَقَلَهُ ابْنُ أَبِي الدَّم عن صاحِبِ « كِتابِ العَيْنِ » من كَوْنِها مُتَوَلِّدَةً بَيْنَ مَأْكُولَيْنِ ، وَما تَمَسَّكَ بِهِ ابْنُ أَبِي الدَّمِ من الشَّبَهِ بالإِبلِ وَالبَقَرِ ، شَبَهٌ بَعِيْدٌ ، لِمَا يُشاهَدُ من طُولِ يَدَيْهَا ، وَقِصَرِ رِجْلَيْها ، وَلَوْ كان الشَّبَهُ البَعِيْدُ كافِياً لَحَلَّ أَكْلُ الصَّرَّارَةِ لِشَبَهِهَا بالجَرَادَةِ ، وَلَجَازَ أَكْلُهُ لأَنَّ خُفَّهُ يُشْبِهُ خُفَّ الجَمَلِ .

وَقَدْ ذُكِرَ فِي « شَرْحِ المُهَذَّبِ » أَنَّ بَعْضَهُمْ عَدَّ الزَّرافَةَ من المُتَوَلِّدِ بَيْنَ مَأْكُولٍ وَغَيْرِ مَأْكُولٍ ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى تَحرِيمِها .

وَكَلامُ الجاحِظِ يَنْفِي هَذَا وَيَقْتَضِي الحِلَّ ، وَهُوَ المُخْتَارُ فِي « الفَتَاوَى الحَلَبِيَّاتِ » كَمَا سَبَقَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الإِمامِ أَحمد ، وَمُقْتَضَى مَذْهَبِ مَالِكٍ ، وَقَواعِدُ الحَنَفِيَّةِ تَقتَضيه .

وإِذا تَعارَضَتِ الأَقْوَالُ ، وَتَسَاقَطَ اعْتِبَارُ مَدْلُولِها ، رَجَعَتْ إِلى الإِباحَةِ الأَصْلِيَّةِ ، وَالْتَحَقَتْ هَذِهِ بِمَا لا نَصَّ فِيْهِ بِالتَّحرِيمِ وَالتَّحلِيلِ . وَسَيَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ ما لا نَصَّ فِيهِ بِالتَّحرِيمِ والتَّحلِيلِ فِي « بابِ الواوِ » فِي « الوَرَلِ » .

وَمِن خَواصِّها[1] : أَنَّ لَحْمَها غَلِيظٌ ، سَوْدَاوِيٌّ ، رَدِيءُ الكَيمُوسِ .

التَّعبيرُ : الزَّرافَةُ فِي المَنامِ : تَدُلُّ عَلَى الآفَةِ فِي المَالِ ؛ وَرُبَّمَا دَلَّتْ عَلَى المَرْأَةِ الجَلِيلَةِ أَوِ الجَمِيلَةِ ، أَوِ الوُقُوفِ عَلَى الأَخْبَارِ الغَرِيبَةِ من الجِهَةِ المُقبلَةِ مِنها .

وَلا خَيْرَ فِيْهَا إِنْ دَخَلَتِ البَلَدَ ، فإِنَّها تَدُلُّ عَلَى الآفَةِ فِي المَالِ .

وَمَا تَأَنَّسَ من ذَلِكَ ، كان صَدِيقاً ، أَو زَوجاً ، أَو وَلَداً ، لا تُؤْمَنُ غائِلَته .

---

(١) مفردات ابن البيطار ٢/ ١٦٢ .

وَرُبَّما تُعَبَّرُ بالمَرْأَةِ التي لا تَثْبُتُ مَعَ الزَّوْجِ ، لأَنَّها خَالَفَتِ المَرْكُوباتِ فِي ظُهُورِها . وَاللهُ أَعْلَمُ .

٣٩٦ الزِّرْيَابُ : قَالَ فِي كِتابِ « مَنْطِقِ الطَّيْرِ » : إِنَّهُ أَبُو زُرَيْقٍ[١] .

● قَالَ : وَحُكِيَ أَنَّ رَجُلاً خَرَجَ من بَغْدَادَ ، وَمَعَهُ أَرْبَعُمئةِ دِرْهَمٍ لا يَمْلِكُ غَيْرَها ، فَوَجَدَ فِي طَرِيْقِهِ أَفْراخَ زِرْيَابٍ ، فَاشْتَرَاها بالمَبْلَغِ الذِي كان مَعَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى بَغدَادَ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ ، فَتَحَ دُكَّانَهُ ، وَعَلَّقَ الأَفْراخَ عَلَيْهَا ، فَهَبَّتْ رِيْحٌ بارِدَةٌ ، فَمَاتَتْ كُلُّها إلا فَرْخاً واحِداً ، وَكَانَ أَضْعَفَها وَأَصْغَرَها ، فَأَيْقَنَ الرَّجُلُ بالفَقْرِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَبْتَهِلُ إِلى اللهِ تَعَالَى بالدُّعَاءِ لَيْلَهُ كُلَّهُ ، وَيَقُولُ : يَا غِياثَ المُسْتَغِيْثِيْنَ أَغِثْنِي ؛ فَلَمّا أَصْبَحَ زَالَ البَرْدُ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الفَرْخُ يَنْفُشُ رِيْشَهُ ، وَيَصِيْحُ بصَوْتٍ فَصِيْحٍ : يا غِياثَ المُستغِيثِينَ أَغِثْنِي ؛ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْتَمِعُونَ صَوْتَهُ ، فَاجْتازَتْ بِهِ أَمَةٌ لأَمِيرِ المُؤمِنِينَ ، فَاشْتَرَتْهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . انتهى .

فَانْظُرْ كَيْفَ فَعَلَ الصِّدْقُ مَعَ اللهِ تَعَالَى ، وَالإِقْبَالُ بِكُنْهِ الهِمَّةِ فِي التَّضَرُّعِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَحُضُورِ القَلْبِ ، وَعَدَمِ الالْتِفَاتِ إِلى غَيْرِهِ ، من الغِنَى من الجِهَةِ المَيْئُوسِ مِنْها ؟ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ تَرَكَ الأَسْبابَ وَالوَسَائِطِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى اللهِ تَعالَى إِقْبالاً لا يَشْغَلُهُ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلا يَحْجُبُهُ حاجِبٌ ؟ لأَنَّ حِجَابَهُ نَفْسُهُ ، وَقَدْ فَنِيَ عَنْهَا ، فَهُنَاكَ لَذَّ الخِطَابُ ، وَطَابَ الشَّرابُ ؛ فَسُبْحَانَ مَن يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ، وَهُوَ العَزِيزُ الوَهَّابُ .

٣٩٧ الزُّغْبَةُ : دُوَيْبَّةٌ تُشْبِهُ الفَأْرَةَ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] .

قال : وَقَدْ سَمَّتِ العَرَبُ زُغْبَةَ ؛ وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلى عِيسى بن حَمَّاد

---

(١) وسيُذكر بعد قليل ، برقم ٤٠٨ .

(٢) المخصّص ٨/ ٩٨ .

المِصْرِيّ ، زُغْبَة .

رَوَى عن رِشْدين بن سَعْدٍ ، وَعَبْدِ الله بن وَهْبٍ ، وَاللَّيْثِ بن سَعْدٍ ؛ وَرَوَى عَنْهُ مُسْلِمٌ ، وَأَبُو داود ، وَالنَّسائيُّ ، وَابْنُ ماجَه .

وَمَاتَ سَنَةَ ثَمانٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمِئَتَيْنِ[1] .

٣٩٨ الزُّغْلُولُ : بِضَمِّ الزَّاي : فَرْخُ الحَمامِ ما دَامَ يُزَقُّ ؛ يُقَالُ : أَزْغَلَ الطَّائِرُ فَرْخَهُ : إذا زَقَّهُ . وَالزُّغْلُولُ أَيْضاً : اللاَّهِجُ بِالرَّضَاعِ من الغَنَمِ وَالإِبِلِ ؛ وَالزُّغْلُولُ أَيْضاً : الخَفِيْفُ من الرِّجَالِ[2] .

٣٩٩ الزُّغَيْمُ : طائِرٌ ؛ وقيل : بالرّاء غَيْرِ المُعْجَمَةِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[3] .

٤٠٠ الزُّقَّةُ : طَائِرٌ من طَيْرِ المَاءِ ، يَمْكُرُ حَتَّى يَكادَ يُقْبَضُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَغُوصُ فِي المَاءِ ، فَيخرُجُ بَعِيداً . قَالَهُ ابنُ سِيْدَهْ[4] .

٤٠١ الزُّلالُ : بِضَمِّ الزَّاي : دُودٌ يَتَرَبَّى فِي الثَّلْجِ ، وَهُوَ مُنَقَّطٌ بِصُفْرَةٍ ، يَقْرُبُ من الإِصْبَعِ ، يَأْخُذُهُ النَّاسُ من أَماكِنِه لِيَشْرَبُوا ما فِي جَوْفِهِ لِشِدَّةِ بَرْدِهِ ؛ وَلِذَلِكَ يُشَبِّهُ النَّاسُ المَاءَ البارِدَ بِالزُّلالِ[5] .

لَكِنْ فِي « الصِّحاحِ »[6] : مَاءٌ زُلالٌ : أَي عَذْبٌ .

● وَقَالَ أَبُو الفَرَجِ العِجْلِيُّ فِي « شَرْحِ الوَجِيْزِ » : المَاءُ الذِي فِي دُودِ الثَّلْجِ طَهُورٌ .

---

(١) ترجمته في : تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٩٥ وسير أعلام النُّبلاء ١١/ ٥٠٦ وتهذيب التَّهذيب ٨/ ٢٠٩ .

(٢) وهو الطّفل أيضاً . (الصّحاح « زغل » ٤/ ١٧١٦) .

(٣) في المخصَّص ٨/ ١٦٥ : زُغَيْم : طُوَيْئِرٌ أحمر الحلق ، وسائرهُ أَغبرُ .

(٤) المخصّص ٨/ ١٥٣ واللِّسان « زقق » ٣/ ١٨٤٥ .

(٥) قال في التّاج « زلل » ٢٩/ ١٣٤ : والزُّلال ـ بالضَّمِّ ـ : حيوان صغير الجسم ، أَبيضُه ؛ إذا مات جُعل في الماءِ فَيُبَرِّدُهُ ؛ ومنه سُمِّي الماءُ البارِدُ : زُلالاً .

(٦) الصِّحاح « زلل » ٤/ ١٧١٨ .

وَالذِي قَالَهُ يُوافِقُ قَوْلَ القاضِي حُسَيْن فِيْمَا تَقَدَّمَ فِي « الدُّودِ » .

وَالمَشْهُورُ عَلَى الأَلْسِنَةِ : أَنَّ الزُّلالَ هُوَ المَاءُ البارِدُ .

● قَالَ زَيْدُ[1] بن عَمرٍو بن نُفَيْلٍ ـ [وَابْنُهُ سَعِيْدٌ] أَحَدُ العَشْرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بِالجَنَّةِ ـ الذِي قَالَ فِيْهِ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ »[2][3] : [مِنَ المُتقارِب]

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ المُزْنُ تَحْمِلُ عَذْباً زُلالا

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي الفَوارِسِ ابْنِ حَمْدَان، وَاسْمُهُ الحارِثُ[4] : [مِنَ الكامِل]

قَدْ كُنْتَ عُدَّتِيَ التي أَسْطُو بهَا ... وَيَدِي إِذا خَانَ الزَّمانُ وَسَاعِدِي

فَرُمِيْتُ مِنْكَ بِضِدِّ ما أَمَّلْتُهُ ... وَالمَرْءُ يَشْرَقُ بِالزُّلالِ البارِدِ

● وَقَالَ الآخَرُ[5] : [مِنَ الوافِر]

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيْضٍ ... يَجِدْ مُرّاً بِهِ المَاءَ الزُّلالا

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ وَجِيهِ الدَّولَةِ أَبِي المُطَاعِ ابنِ حَمْدانَ، وَيُلَقَّبُ بِذِي القَرْنَيْنِ، وَكَانَ شَاعِراً مُجِيْداً ؛ وَوَفاتُهُ فِي سَنَةِ ثمانٍ وَعِشرِينَ وَأَربعمئة[6] : [من البسيط]

---

(١) في أ ، ط : قال سعيد بن زيد . . . ! . والمثبت من ب . والزِّيادة الآتية لازمة ، لتستقيم العبارة .

(٢) الحديث في الأَغاني ٣/ ١٢٧ ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٦٥ .

(٣) البيت له في الأغاني ٣/ ١٢٨ .

(٤) ديوان أَبي فراس الحمدانيّ ٩٣ .

(٥) البيت للمتنبِّي ، في ديوانه ٤/ ٢٢٨ .

(٦) الأَبيات له في يتيمة الدَّهر ١/ ٩٢ وابن خلِّكان ٢/ ٢٧٩ ونسمة السَّحر ٢/ ١٢٥ والوافي بالوفيات ١٤/ ٤٦ وبلا نسبة في التذكرة الفخرية ١٢٠ (بيروت) .
ونُسبت إِلى ابن طباطبا [أَحمد بن محمَّد بن إِسماعيل] في اليتيمة ١/ ٤١٣ وابن خلِّكان ١/ ١٢٩ والوافي بالوفيات ٧/ ٣٦٤ ونسمة السَّحر ١/ ١٦٧ .
وترجمة ذي القرنين ، في : يتيمة الدَّهر ١/ ٩١ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٣٠ ووفيات =

قَالَتْ لِطَيْفِ خَيَالٍ زَارَنِي وَمَضَى : بِــاللهِ صِفْــهُ وَلا تُنْقِــصْ وَلا تَــزِدِ
فَقَالَ : أَبْصَرْتُهُ لو مَاتَ من ظَمَأٍ وَقُلْتِ : قِفْ عن وُرُودِ المَاءِ لَمْ يَرِدِ
قَالَتْ: صَدَقْتَ، الوَفَا فِي الحُبِّ عادَتُهُ يَا بَرْدَ ذَاكَ الذِي قَالَتْ عَلَى كَبِدِي

● وَمِنْ مَحَاسِنِ شِعْرِهِ[1] : [من البسيط]

تَـرَى الثِّيَـابَ مـن الكَتَّـانِ يَلْمَحُهـا نُـورٌ مـن البَـدْرِ أَحْيـانـاً فَيُبْلِيْهَـا
فَكَيْـفَ تُنْكِـرُ أَنْ تَبْلَـى مِعـاجِـرُهـا وَالبَـدْرُ فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ طَـالِـعٌ فِيْهَـا

● وَقَالَ آخَرُ : [مِنَ المُنْسَرِح]

لا تَعْجَبُــوا مــن بِلَــى غَــلائِلِــهِ قَــدْ زَرَّ أَزْرارَهُ عَلَــى القَمَــرِ

● وَهَذَا وَمَا قَبْلَهُ يُسْتَشْهَدُ بِهِمَا عَلَى أَنَّ نُورَ القَمَرِ يُبْلِي ثِيَابَ الكَتّانِ ، كَمَا قَالَهُ حُذَّاقُ الحُكَمَاءِ ؛ لا سِيَّمَا إِذا طُرِحَتِ الثِّيَابُ فِي المَاءِ عِنْدَ اجْتِمَاعِ النَّيِّرَيْنِ ، الشَّمْسِ وَالقَمَرِ ، فإِنَّهَا تَبْلَى سَرِيعاً فِي غَيرِ وَقْتِها ؛ وَاجْتِماعُهُمَا من الخامِسِ والعِشرِينَ إِلى الثَّلاثِيْنَ ؛ وَمِنْ هُنَا يُقَالُ : ثَوْبٌ حَامٍ : إِذا تَفَصَّدَ سَرِيعاً ، وَسَبَبُهُ ما ذَكَرْناهُ ؛ وَقَدْ أَشَارَ إِلى ذَلِكَ الرَّئِيسُ ابْنُ سِيْنَا فِي أُرجُوزَتِهِ بِقَوْلِهِ : [من الرجز]

لا تَغْسِلَــنْ ثِيَــابَــكَ الكَتَّــانـــا وَلا تَصِــدْ فِيْهَــا كَــذَا الحِيْتَــانـا
عِنْــدَ اجْتِمَــاعِ النَّيِّــرَيْــنِ تَبْلَــى وَذَا صَحِيْــحٌ فَــاتَّخِــذْهُ أَصْــلا

فَيَنْبَغِي الاحْتِراسُ عَلَى ثِيَابِ الكَتَّانِ من نُورِ القَمَرِ ، وَمِنْ غَسْلِها عِنْدَ

= الأَعيان ٢/ ٢٧٩ والنُّجوم الزَّاهرة ٥/ ٢٧ ونسمة السحر ٢/ ١٢١ والوافي بالوفيات ١٤/ ٤٢ وأَخبار مصر للمسبّحي ١٠٠ .

(١) البيتان له في : يتيمة الدَّهر ١/ ٩٢ وتتمَّة اليتيمة ١/ ٤ ووفيات الأَعيان ٢/ ٢٨٠ والوافي بالوفيات ١٤/ ٤٤ ومعاهد التَّنصيص ٢/ ١٣٠ ونسمة السَّحر ٢/ ١٢٣ . والمعاجر : الثياب .

اجْتِماعِ النَّيِّرَيْنِ ، لِمَا ذَكَرْناهُ .

الحُكْمُ : قَالَ أَبُو الفَرَجِ العِجْلِيّ فِي « شرح الوجيز » : المَاءُ الذِي فِي دُودِ الثَّلْجِ طَهُورٌ .

وَالذِي قَالَهُ يُوافِقُ قولَ القاضِي حسين فيما تَقَدَّمَ فِي « الدُّودِ » .

وَالمَشْهُورُ عَلَى الأَلْسِنَةِ أَنَّ الزُّلالَ : المَاءُ البارِدُ ، كَمَا تَقَدَّمَ عن الجَوْهَرِيِّ وَغَيْرِهِ .

٤٠٢ الزُّمَّاحُ : كَرُمّانٍ : طائِرٌ كان يَقِفُ بِالمَدِيْنَةِ فِي الجاهِلِيَّةِ عَلَى أُطُمٍ ، وَيَقُولُ شَيئاً لا يُفْهَمُ .

وَقِيْلَ : كان يَسْقُطُ في مِرْبَدٍ لِبَعْضِ أَهْلِ المَدِيْنَةِ ، فَيَأْكُلُ تَمْرَهُ ، فَرَمَوْهُ فَقَتَلُوهُ ، وَلَمْ يَأْكُلْ أَحَدٌ من لَحْمِهِ إِلاَّ مَاتَ[1] .

● قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الخفيف]

أَعَلَى العَهْدِ أَصْبَحَتْ أُمُّ عَمْرٍو لَيْتَ شِعْرِي أَمْ غَالَهَا الزُّمّاحُ

قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه وَغَيْرُهُ .

٤٠٣ الزُّمَّجُ : مِثَالُ الخُرَّدِ ، طائِرٌ مَعْرُوفٌ ، يَصِيْدُ بِهِ المُلُوكُ الطَّيْرَ .

وَأَهْلُ البَزْدَرَةِ يَعُدُّونَهُ من خِفافِ الجَوارِحِ ، وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ فِي عَيْنِهِ وَحَرَكَتِهِ وَشِدَّةِ وَثْبِهِ ، وَيَصِفُونَهُ بِالغَدْرِ وَقِلَّةِ الوَفَاءِ وَالأُلْفَةِ لِكَثَافَةِ طَبْعِهِ ؛ وَهُوَ يَقْبَلُ

---

(١) المخصّص ٨/ ١٤٤ واللّسان « زمح » ٣/ ١٨٦٠ والتاج ٦/ ٤٤١ والجمهرة ١/ ٥٢٩ ومصادر المثل بعد قليل .

(٢) البيت بلا نسبة في اللّسان والتاج « زمح » ، وجمهرة اللُّغة ١/ ٥٢٩ . ونسبه الصّاغانيّ في التّكملة ٢/ ٣٨ إلى قيس بن رفاعة .
وهو في الميداني ١/ ٣٩٠ والعسكري ١/ ٥٥٨ والزَّمخشري ١/ ١٧٨ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٣٥ (عند ذكر المثل : أَشأم من الزُّمَّاح) : لقيس بن الخطيم ، وهو في ملحقات ديوانه ١٦٤ .

التَّعلِيمَ لَكِن بعدَ بُطْءٍ ، وَمِنْ عادَتِهِ أَنَّهُ يَصِيدُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ؛ وَالمَحْمُودُ من خَلْقِهِ أَنْ يَكُونَ لَوْنُهُ أَحمر ، وَهُوَ أَحَدُ نَوْعَي العُقَابِ ؛ وسيأتي فِي بَابِهِ إِن شاء الله تعالى .

قَالَ الجَوَاليقِيُّ : الزُّمَّجُ : جِنْسٌ من الطَّيْرِ ، يُصَادُ بِهِ .

وَقَالَ أَبُو حاتِمٍ : إِنَّهُ ذَكَرُ العُقَابِ ، وَالجَمْعُ : الزَّمامِجُ .

وَقَالَ اللَّيْثُ : الزُّمَّجُ : طائِرٌ دُونَ العُقَابِ ، حُمْرَتُهُ غالِبَةٌ ، تُسَمِّيْهِ العَجَمُ « دُوبِرادَرَان » وَتَرْجَمَتُهُ : أَنَّهُ إِذا عَجِزَ عن صَيْدِهِ ، أَعانَهُ أَخُوهُ عَلَى أَخْذِهِ[1] .

وَحُكْمُهُ : تَحرِيمُ الأَكلِ كَسَائِرِ الجَوارِحِ .

الخَوَاصُّ[2] : إِدْمانُ أَكْلِ لَحْمِ الزُّمَّجِ : يَنْفَعُ من خَفَقَانِ القَلْبِ .

وَمَرارَتُهُ : إِذا جُعِلَتْ فِي الأَكْحَالِ نَفَعَتْ من الغَشَاوَةِ وَظُلْمَةِ البَصَرِ نَفْعاً بَلِيْغاً .

وَزِبْلُهُ : يُزِيلُ الكَلَفَ والنَّمَشَ طِلاءً .

٤٠٤ زُمَّجُ المَاءِ : وَهُوَ الطَّائِرُ الَّذِي يُسَمَّى بِمِصْرَ : النَّوْرَسُ .

وَهُوَ أَبْيَضُ فِي حَدِّ الحَمامِ أَوْ أَكْبَرُ ، يَعْلُو فِي الجَوِّ ، ثُمَّ يَزُجُّ نَفْسَهُ فِي المَاءِ ، وَيَخْتَلِسُ مِنْهُ السَّمَكَ ، وَلا يَقَعُ عَلَى الجِيَفِ ، وَلا يَأْكُلُ غَيْرَ السَّمَكِ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ .

لَكِنْ حَكَى الرُّويانيُّ ، عن الصَّيْمَرِيّ : أَنَّ طَيْرَ المَاءِ الأَبْيَضَ ، حَرامٌ لِخُبْثِ لَحْمِهِ .

قَالَ الرَّافِعِيُّ : وَالأَصَحُّ أَنَّ جَمِيعَ طَيرِ المَاءِ حَلالٌ إِلاَّ اللَّقْلَق ؛ وَسَيَأْتِي

---

(١) المخصّص ٨/ ١٤٧ واللِّسان والتَّاج « زمج » .

(٢) مفردات ابن البيطار ٢/ ١٦٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٠ وعجائب المخلوقات ٢٧٧ .

ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى فِي « بابِ اللَّامِ » .

٤٠٥ الزُّنْبُورُ : الدَّبْرُ ، وَهِيَ تُؤَنَّثُ ، وَالزِّنْبَارُ لَغُةٌ فِيْهَا ـ وَرُبَّمَا سُمِّيَتِ النَّحْلَةُ زُنْبُوراً ـ وَالجَمْعُ : الزَّنابِيْرُ[1] .

● قَالَ ابْنُ خَالَوَيْه فِي كِتابِ « ليس » : ليس أَحَدٌ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ كُنْيَةَ الزُّنْبُورِ ، إلاَّ أَبَا عمر الزّاهِدَ ، فإِنَّهُ قَالَ : كُنْيَتُهُ أَبُو عَلِيٍّ .

وَهُوَ صِنْفَانُ: جَبَلِيٌّ وَسَهْلِيٌّ؛ فَالجَبَلِيُّ: يَأْوِي الجِبَالَ، وَيُعَشِّشُ فِي الشَّجَرِ، وَلَوْنُهُ إِلى السَّوادِ ؛ وَبَدْءُ خَلْقِه دُودٌ ، ثُمَّ يَصِيْرُ كَذَلِكَ ، وَيَتَّخِذُ بُيُوتاً من تُرابٍ كَبُيُوتِ النَّحْلِ ، وَيَجْعَلُ لِبَيْتِه أَرْبَعَةَ أَبْوابٍ لِمَهابِّ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ ، وَلَهُ حُمَةٌ يَلْسَعُ بِهَا ، وَغِذَاؤُهُ من الثِّمَارِ وَالأَزْهَارِ ، وَيَتَمَيَّزُ ذُكُورُها من إِناثِها بِكِبَرِ الجُثَّةِ .

وَالسَّهْلِيُّ[2] : لَوْنُهُ أَحْمَرُ ، وَيَتَّخِذُ عُشَّهُ تَحْتَ الأَرْضِ ، وَيُخْرِجُ مِنْهُ التُّرابَ كَمَا يَفْعَلُ النَّمْلُ ، وَيَخْتَفِي فِي الشِّتَاءِ ؛ لأَنَّهُ مَتَى ظَهَرَ فِيْهِ هَلَكَ ، فَهُوَ يَنامُ من البَرْدِ طُولَ الشِّتَاءِ كَالمَيْتَةِ ، وَلا يَدَّخِرُ القُوتَ لِلشِّتَاءِ ، بِخِلافِ النَّمْلِ ، فإِذا جَاءَ الرَّبِيْعُ وَقَدْ صَارَتِ الزَّنابِيْرُ من البَرْدِ وَعَدَمِ القُوتِ كَالخَشَبِ اليابِسِ ، نَفَخَ اللهُ تَعَالَى فِي تِلْكَ الجُثَّةِ الحَيَاةَ ، فَتَعِيْشُ مِثْلَ العامِ الأَوَّلِ ، وَذَلِكَ دَأْبُها .

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ صِنْفٌ مُخْتَلِفُ اللَّوْنِ ، مُسْتَطِيْلُ الجَسَدِ ، فِي طَبْعِهِ الحِرْصُ والشَّرَهُ ، يَطْلُبُ المَطَابِخَ وَيَأْكُلُ ما فِيْهَا من اللُّحُومِ ، وَيَطِيْرُ مُنْفَرِداً ، وَيَسْكُنُ بَطْنَ الأَرْضِ وَالجُدْرانَ .

وَهَذَا الحَيَوانُ بِأَسْرِهِ مَقْسُومٌ من وَسَطِه ، وَلِذَلِكَ لا يَتَنَفَّسُ من جَوْفِه أَلْبَتَّةَ ، وَمَتَى غُمِسَ فِي الدُّهْنِ سَكَنَتْ حَرَكَتُهُ ، وَإِنَّما ذَلِكَ لِضِيْقِ مَنافِذِهِ ، فإِذا طُرِحَ فِي الخَلِّ عَاشَ وَطَارَ .

---

(١) عن الصِّحاح « زبر » ٢/ ٦٦٧ .

(٢) مسالك الأبصار ٢٠/ ١١٢ ـ ١١٣ عن عجائب المخلوقات ٢٩٦ .

● وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي « تَفسِيرِ سُورَةِ الأَعْرافِ »[1] : قد يُجْعَلُ المُتَوَقَّعُ الذِي لا بُدَّ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ الواقِعِ ؛ وَمِنْهُ ما رُوِيَ[1] أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بن حَسَّانَ بن ثابتٍ الأَنْصاريَّ ، دَخلَ عَلَى أَبِيْه وَهُوَ يَبْكِي ، وَهُوْ إِذْ ذَاكَ طِفْلٌ ، فَقَالَ لَهُ : ما يُبْكِيْكَ ؟ فقَالَ : لَسَعَنِي طائِرٌ كَأَنَّهُ[2] مُلْتَفٌّ فِي بُرْدَي حِبَرَةٍ . فَقَالَ حَسّانُ : يا بُنَيَّ ، قُلْتَ الشِّعْرَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ؛ أَي سَتَقُولُهُ ؛ فَجَعَلَ المُتَوَقَّعَ كَالواقِعِ .

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الأَوَّلِ[3] : [من الوافر]

وَلِلزُّنْبُورِ وَالبازِي جَمِيعاً ... لَدَى الطَّيَرانِ أَجْنِحَةٌ وَخَفْقُ
وَلَكِنْ بَيْنَ ما يَصْطَادُهُ بازٍ ... وَمَا يَصْطَادُهُ الزُّنْبُورُ فَرْقُ

● وَقَدْ أَجادَ الشَّيْخُ ظَهِير الدِّيْنِ ابْنُ عَسَاكِرَ قاضِي السَّلامِيَّة بِقَوْلِه[4] : [من البسيط]

فِي زُخْرُفِ القَوْلِ تَزْيِينٌ لِباطِلِهِ ... وَالحَقُّ قد يَعْتَرِيْهِ سُوءُ تَعْبِيرِ
تَقُولُ : هَذَا مُجاجُ النَّحْلِ ، تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ ذَمَمْتَ فَقُلْ : قَيْءُ الزَّنابِيْرِ
مَدْحاً وَذَمّاً وَمَا غَيَّرْتَ من صِفَةٍ ... سِحْرُ البَيانِ يُرِي الظَّلْماءَ كَالنُّورِ

● وَقَالَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ ابْنُ مُنْقذ ، مُلْغِزاً فِي الزُّنْبُورِ وَالنَّحْلِ[5] : [مِنَ الكامِل]

---

(١) الكشّاف ٢/ ٨٨ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٥/ ٢٩٩ والحيوان ٣/ ٦٥ والكامل للمبرد ١/ ٣٤٢ .

(٢) في أ : كأَنَّهُ بسرة . . .

(٣) البيتان بلا نسبة في وفيات الأَعيان ٧/ ٤٢ . وهما للحسين بن عبد الله بن رواحة ، الأَنصاري الحموي ، في معجم الأُدباء ٣/ ١٠٩٠ .

(٤) الأَبيات في وفيات الأَعيان ١/ ٣٣ بلا نسبة ، وهي في التَّرجمة التي تسبق ترجمة ابن عسكر ، فلعلَّ ذلك سبق نظرٍ من المؤلِّف رحمه الله .
وابن عسكر : اسمه إبراهيم بن نصر بن عسكر ، قاضي السَّلاميّة ؛ توفِّي سنة ٦١٠ هـ . (ابن خلِّكان ١/ ٣٧ والوافي بالوفيات ٦/ ١٥٤) .

(٥) البيتان له في فوات الوفيات ١/ ١٧٨ والوافي بالوفيات ٩/ ١١٨ ومعجم الأُدباء ٢/ ٥٩٠ . =

وَمُغَــرِّدَيْــنِ تَــرَنَّمــا فِــي مَجْلِــسٍ   فَنَفَــاهُمَــا لأذاهُمَــا الأَقْــوامُ
هَــذَا يَجُــودُ بِمَــا يَجُــودُ بِعَكْسِــهِ   هَــذَا ، فَيُحْمَــدُ ذا وَذَاكَ يُــلامُ[١]

● رَوَى ابْنُ أَبي الدُّنْيا ، عن أَبي المُخْتارِ التَّيْمِيّ ، قالَ[٢] : حَدَّثَنِي رَجُلٌ ، قالَ :

خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ وَمَعَنا رَجُلٌ يَشْتُمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، فَنَهَيْنَاهُ فَلَمْ يَنْتَهِ ، فَخَرَجَ يَوْماً لِبَعْضِ حاجاتِهِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الزَّنابِيْرُ ، فَاسْتَغاثَ فَأَغْثْناهُ ، فَحَمَلَتْ عَلَيْنَا فَتَرَكْناهُ ، فَمَا أَقْلَعَتْ عَنْهُ حَتَّى قَطَّعَتْهُ قِطَعاً قِطَعاً .

وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ سَبُعٍ فِي « شِفاءِ الصُّدُورِ » ، وَزَادَ :

فَحَفَرْنا لَهُ قَبْراً ، فَتَصَلَّبَتِ الأَرْضُ فَلَمْ نَقْدِر عَلَى حَفْرِها ، فَأَلْقَيْناهُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، وَأَلْقَيْنا عَلَيْهِ من وَرَقِ الشَّجَرِ وَالحِجَارَةِ .

وَجَلَسَ رَجُلٌ من أَصْحابِنَا يَبُولُ ، فَوَقَعَ عَلَى ذَكَرِهِ من تِلْكَ الزَّنابِيْرِ ، فَلَمْ يَضُرَّهُ ، فَعَلِمْنا أَنَّ تِلْكَ الزَّنابِيْرَ كَانَتْ مَأْمُورَةً .

● قَالَ يَحْيَى بن مَعِيْنٍ[٣] : كان مُعَلَّى[٤] بن مَنْصُور الرَّازِيّ من كِبَارِ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ ؛ رَوَى عن مَالِكٍ وَاللَّيْثِ وَغَيْرِهِمَا .

قَالَ : فَبَيْنَما هُوَ يُصَلِّي يَوْماً ، إِذْ وَقَعَ عَلَيْهِ كُورُ الزَّنَابِيْرِ ، فَمَا الْتَفَتَ وَلا تَحَرَّكَ حَتَّى أَتَمَّ صَلاتَهُ ، فَنَظَرُوا فَإِذا رَأْسُهُ قد صَارَ هَكَذا من شِدَّةِ الانْتِفَاخِ .

= وشرف الدِّين ، اسمه : إسماعيل بن سلطان بن عليّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ ؛ توفِّي سنة ٥٦١ هـ . (ترجمته في المصادر المذكورة أعلاه) .

(١) أحدهما يجود بالعسل ، والآخر يجود باللَّسع .

(٢) مضى خبرٌ يشبه هذا ، في « الدَّبْر » .

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٢٤٨ وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٩٥ وسير أعلام النُّبلاء ١٠/ ٣٦٨ .

(٤) في الأصول : يعلى بن منصور . . ! .
وترجمته في: تاريخ بغداد ١٥/ ٢٤٦ وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٩١ وسير أعلام النُّبلاء ١٠/ ٣٦٥ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ لاستِخْبَاثِهِ ؛ وَيُسْتَحَبُّ قَتْلُهُ ، لِمَا رَوَى ابْنُ عَدِيٍّ[1] فِي تَرْجَمَةِ مَسْلَمَةَ بن عُلَيّ ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَتَلَ زُنْبُوراً ، اكْتَسَبَ ثَلاثَ حَسَناتٍ » .

لَكِنْ يُكْرَهُ إِحْراقُ بُيُوتِها بالنّارِ . قَالَهُ الخَطّابيُّ فِي « مَعَالِمِ السُّنَنِ » .

وَسُئِلَ الإِمامُ أَحْمَدُ عن تَدخِينِ بُيُوتِ الزَّنابِيْرِ ، فَقَالَ : إِذا خُشِيَ أَذاها ، فَلا بَأْسَ بِهِ ؛ وَهُوَ أَحَبُّ إِليَّ من تَحرِيقِها .

وَلا يَصِحُّ بَيْعُها ، لأَنَّها من الحَشَراتِ .

الخَواصُّ[2] : إِذا طُرِحَ الزُّنْبُورُ فِي الزَّيْتِ مَاتَ ، فَإِنْ طُرِحَ فِي الخَلِّ عاشَ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

وَفِراخُ الزَّنابِيْرِ تُؤْخَذُ من أَوكارِهَا ، وَتُغْلَى فِي الزَيْتِ ، وَيُطْرَحُ عَلَيْهَا سُذابٌ وَكَراويا ، وَتُؤْكَلُ : تَزِيْدُ في الباهِ وَشَهْوَةِ الجِمَاعِ .

وَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ بن زُهْرٍ : عُصَارَةُ المُلُوخِيَّةِ ، إِذا طُلِيَتْ عَلَى لَسْعَةِ الزُّنْبُورِ ؛ أَبْرَأَتهَا .

التَّعْبِيْرُ[3] : الزُّنْبُورُ فِي المَنامِ : عَدُوٌّ مُحارِبٌ ، وَرُبَّمَا دَلَّ عَلَى البَنَّاءِ ، وَالنَّقّابِ ، وَالمُهَنْدِسِ ، وَعَلَى قاطِعِ الطَّرِيقِ ، وَذِي الكَسْبِ الحَرَامِ ، وَعَلَى المُطْرِبِ الخارِجِ الضَّرب[4] ، وَرُبَّمَا دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى أَكْلِ السُّمُومِ أَوْ شُرْبِها .

وَقِيْلَ : تَدُلُّ رَؤْيَتُهُ عَلَى رَجُلٍ مُخاصِمٍ مَهِيبٍ ، ثابِتٍ فِي القِتَالِ ، سَفِيهٍ ، خَبِيثِ المَأْكَلِ .

---

(١) الكامل في الضُّعفاء ٨/ ٢١ .

(٢) تذكرة داود ١/ ١٨١ .

(٣) تعبير الرُّؤيا ١٩٤ وتفسير الواعظ ٣٠٥ .

(٤) كذا .

وَالزَّنَابِيْرُ إِذا دَخَلَتْ مَكاناً ، فإِنَّها جُنُودٌ لَهُمْ هَيْبَةٌ ، وَسُرْعَةٌ ، وَشَجَاعَةٌ ، يُحارِبُونَ النَّاسَ جِهاراً .

وَقِيْلَ : الزُّنْبُورُ رَجُلٌ مُجادِلٌ بِالباطِلِ ، وَهُوَ من الممسوخِ .

وَقَالَتِ اليَهُودُ : الزُّنْبُورُ وَالغُرابُ يَدُلاّنِ عَلَى المُقامِرِين وَسَفَّاكِي الدِّمَاءِ .

وَقِيْلَ : الزَّنابِيْرُ فِي المَنَامِ ، قَوْمٌ لا رَحْمَةَ لهم ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

٤٠٦ الزَّنْدَبِيْلُ : الفِيلُ الكَبِيرُ ؛ أَنشد يَحيى بن مَعِينٍ[١] : [مِنَ المُتقارِب]

وَجَـاءَتْ قُـرَيْـشٌ قُـرَيْـشُ البِطَـاحِ ... إِلَيْنَـا هُـمُ الأَوَلُ الـدَّاخِلَـهْ[٢]
يَقُـودُهُـمُ الفِيْـلُ وَالـزَّنْـدَبِيْـلُ ... وَذُو الضِّـرْسِ وَالشَّفَـةِ المـائِلَـهْ[٣]

الزَّنْدَبيلُ : كَبِيرُ الفِيلَةِ .

وَقَالَ يَحْيَى : أَرادَ بِالفِيْلِ وَالزَّنْدَبِيْلِ : عَبْدَ المَلِكِ وَأَبانَ ابْنَيْ بِشْر بن مَرْوانَ[٤] ، قُتِلا مَعَ ابْنِ هُبَيْرَةَ الأَصْغَرِ .

وَأَرادَ بِذِي الضِّرْسِ والشَّفَةِ المائِلَةِ[٥] : خَالِدَ بن سَلَمَةَ المَخْزُومِيَّ ، المَعْرُوف بِالفَأْفَاءِ الكُوفيّ[٦] . رَوَى لَهُ مُسْلِمٌ وَالأَرْبَعَةُ ؛ وَرَوَى عن الشَّعْبِيِّ

---

(١) البيتان لخلف بن خليفة الأقطع ، يذكر الد اخلين على ابن هبيرة من الأشراف ، في بيان الجاحظ ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠ والحيوان ٧/ ٨١ وأنساب الأشراف ٤/ ٢/ ٩٥ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٥٢ وتهذيب الكمال ٨/ ٨٦ .

(٢) في ط : × . . . هم الدُّول الجالية ! .

(٣) في أ ، ب ، ط : × . . . والشّفة العالية ! .

(٤) كذا في مختصر تاريخ دمشق وتهذيب الكمال . وفي غيره : الفيل والزّندبيل : أبانٌ والحكم ، ابنا عبد الملك بن بشر .

(٥) في أ ، ب ، ط : × . . . والشّفة العالية ! .

(٦) ترجمته في : تهذيب الكمال ٨/ ٨٣ وسير أعلام النُّبلاء ٥/ ٣٧٣ وتهذيب التّهذيب ٣/ ٩٥ ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٥١ .

وَطَبَقَتِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ بنَ الحَجَّاجِ وَالسُّفيانان ، وَكَانَ مُرْجِئاً يُبْغِضُ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ؛ أُخِذَ مَعَ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، فَقَطَعَ أَبُو جَعْفَر المَنْصُور لِسانَهُ ، ثُمَّ قَتَلَهُ .

٤٠٧ **الزَّهْدَمُ** : بزاي مَفْتُوحَةٍ ، ثُمَّ هَاءٍ سَاكِنَةٍ ، ثُمَّ دَالٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ : الصَّقْرُ ؛ وَيُقَالُ : فَرْخُ البازِي[١] .

وَبِهِ سُمِّيَ زَهْدَمُ بن مُضَرِّب الجَرْميّ[٢] . رَوَى لَهُ البُخاريُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرمذيُّ وَالنَّسائِيُّ .

وَالزَّهْدَمان : أَخَوانِ من بَنِي عَبْسٍ : زَهْدَمٌ وَكَرْدَمٌ[٣] ، وَفِيْهِما يَقُولُ قَيْسُ ابنُ زُهَيْرٍ[٤] : [من الكامل]

جَزانِي الزَّهْدَمانِ جَزَاءَ سَوْءٍ وَكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بِالكَرامَهْ

٤٠٨ **أَبُو زُرَيْقٍ** : القِيْقُ ، الآتي ذِكْرُهُ فِي « باب القافِ » إن شَاءَ اللهُ تَعالَى ؛ وَالزِّرْيابُ ، المُتَقَدِّمُ قَبْلَ وَرَقَةٍ ، وَهُوَ طائِرٌ أَلُوفٌ لِلنَّاسِ ، يَقْبَلُ التَّعلِيمَ ، سَرِيعُ الإِدْراكِ لِمَا يُعَلَّمُ ، وَرُبَّما زَادَ عَلَى البَبَّغَاءِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْجَبُ ، وإِذا تَعَلَّمَ جَاءَ بِالحُرُوفِ مُبَيَّنَةً حَتَّى لا يَشُكَّ سامِعُه أَنَّهُ إِنْسَانٌ . وَقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي « الزِّرْيابِ » .

وَحُكمه : حِلُّ الأَكْلِ لِعَدَمِ اسْتِخْباثِهِ ؛ لَكِنْ قِيْلَ : إِنَّهُ مُتَوَلِّدٌ من الشِّقِرّاقِ

---

(١) عن الصِّحاح « زهدم » ٥/ ١٩٤٦ .

(٢) **ترجمته في** : تهذيب الكمال ٩/ ٣٩٦ وتهذيب التَّهذيب ٣/ ٣٤١ .

(٣) قال الجوهريّ في الصِّحاح ٥/ ١٩٤٦ : والزَّهدمان : أَخَوان من بني عبسٍ . قال ابن الكلبيّ : هما زهدمٌ وقيس ، ابنا حَزن بن وهب بن عُوير بن رواحة . . . وهما اللَّذان أَدركا حاجب بن زُرارة يوم جَبَلَة ليأسراه ، فَغَلَبَهُما عليه ذو الرُّقيبة القُشيريّ ، وفيهما يقول قيس بن زهير : (البيت) . قال أَبو عبيدة : هما زهدم وكردم .

(٤) البيت له في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « زهدم » .

وَالغُرابِ ، فَعَلَى هَذَا يَتَخَرَّجُ فِيهِ وَجْهٌ بِالتَّحْرِيمِ ، وَلَمْ يَذْكُرُوهُ .

٤٠٩ أَبُو زَيْدَانَ : ضَرْبٌ من الطَّيْرِ(١) .

٤١٠ أَبُو زِيادٍ : الحِمَارُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ(٢) : [من الوافِر]

زِيادٌ لَسْتُ أَدْرِي مَنْ أَبُوهُ   وَلَكِنَّ الحِمَارَ أَبُو زِيادِ

وَأَبَو زِيادٍ أَيْضاً : الذَّكَرُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ(٣) : [من الوافِر]

تُحاوِلُ أَنْ تُقِيمَ أَبَا زِيادٍ   وَدُونَ قِيامِهِ شَيْبُ الغُرابِ

وَهُو الزّيرباج أَيْضاً . قَالَهُ فِي « المُرَصَّعِ » .

---

(١) عن المرصّع ١٩٥ .

(٢) البيت بلا نسبة في ثمار القلوب ١/ ٤٠١ والمرصّع ١٩٤ ـ ١٩٥ والمنتخب من كنايات الأُدباء ٨٨ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٤٧٣ .

(٣) البيت بلا نسبة في ثمار القلوب ١/ ٤٠١ والمرصّع ١٩٥ . ونسبه الزَّبيدي في التَّاج « زيد » ٨/ ١٦٤ إلى أَبي حليمة [= حُكَيْمة] . وهو من قصيدة في ديوانه ٧٢ . وفي شرح النَّهج ٥/ ٣٨ ضمن أَبيات لأَبي نوّاس .

بابُ السِّيْنِ المُهْمَلَةِ

٤١١ **سَابُوطٌ** : دَابَّةٌ من دَوابِّ البَحرِ . قَالَهُ ابنُ سِيْدَه وَغيره[١] .

٤١٢ **سَاقُ حُرٍّ** : هُوَ بالسِّيْنِ المُهملَةِ وَبالقافِ ، بَيْنَهُما أَلِفٌ ؛ وَحُرٌّ بالحاءِ وَالرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ : الوَرِشَانُ ، وَهُوَ ذَكَرُ القَماري ، لا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ .

قَالَ الكُمَيْتُ[٢] : [مِنَ البَسِيط]

تَغْرِيْدُ سَاقٍ على ساقٍ تُجاوِبُها ... مَنِ الهَوَاتِفِ ذَاتُ الطَّوْقِ وَالعُطُلِ

عَنَى بِالأَوَّلِ الوَرشانَ ، وبِالثَّاني سَاقَ الشَّجَرَةِ .

● وَقَالَ حُميدُ بنُ ثَوْرِ الهِلاليُّ[٣] : [من الطويل]

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ إِلاّ حَمامَةٌ ... دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وَتَرَنُّمَا

مُطَوَّقَةٌ غَرَّاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَا ... دَنَا الصَّيْفُ وَانْجَالَ الرَّبِيْعُ فَأَنْجَمَا

مُحَلاَّةُ طَوْقٍ لَمْ تَكُنْ من تَمِيمَةٍ ... وَلا ضَرْبَ صَوَّاغٍ بِكَفَّيْهِ دِرْهَمَا

تَغَنَّتْ عَلَى غُصْنٍ عِشَاءً فَلَمْ تَدَعْ ... لِنَائِحَةٍ مِن نَوْحِها مُتَلَوَّمَا

إذا حَرَّكَتْهُ الرِّيْحُ أَوْ مَالَ مَيْلَةً ... تَغَنَّتْ عَلَيْهِ مائِلاً وَمُقَوَّمَا

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غِناؤُها ... فَصِيْحاً وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِها فَمَا

فَلَمْ أَرَ مِثْلِي شاقَهُ صَوْتُ مِثْلِها ... وَلا عَرَبِيّاً هاجَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا[٤]

---

(١) المخصّص ١٠/ ٢١ واللِّسان « سبط » .

(٢) ديوانه ١/ ٣٧٣ والصِّحاح واللِّسان والتاج « سوق » .

(٣) ديوانه ٢٤ ـ ٢٧ (ميمني) و ٢٦٠ ـ ٢٦٩ (بيطار) باختلافٍ في الرِّواية .

(٤) في ب : . . . . مثل صوتها × .

● قَالَ ابْنُ سِيْدَه : إِنَّما سُمِّيَ ذَكَرُ القَماري : سَاقَ حُرٍّ ، لِحِكايَةِ صَوْتِه ؛ فإِنَّهُ يَقُولُ : سَاقَ حُرّ ، سَاقَ حُرّ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُعْرَبْ ، وَلَوْ أُعْرِبَ لَصُرِفَ ، فَيُقَالُ : ساقَ حُرٍّ إِنْ كان مُضافاً ، وَسَاقَ حُرَّ : إِنْ كان مُرَكَّباً ، فَتَصْرِفُهُ لأَنَّهُ نَكِرَةٌ ؛ فَتَرْكُ إِعْرابِهِ دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّهُ حَكَى الصَّوْتَ بِعَيْنِه ، وَهُوَ صِياحُهُ ، وَقَدْ يُضَافُ أَوَّلُهُ إِلى آخِرِهِ ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ : خَازِ بازٍ ، لأَنَّهُ فِي اللَّفْظِ أَشْبَهُ بِبَابِ دارٍ . انتهى .

وَالتُّرْحَةُ : الشَّوْقُ . وَالتَّرَنُّمُ : الغِنَاءُ . وَهُمَا مَصدرانِ واقِعانِ مَوْقِعَ الحَالِ من الضَّمِيرِ الفاعِلِ فِي « دَعَتْ ساقَ حُرٍّ » الواقِع فِي مَوضِعِ الصِّفَةِ لِحَمامَةٍ ؛ وَسَيَأْتِي فِي « بابِ القافِ » إن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « القُمْري » .

٤١٣ السَّالِخُ : الأَسْوَدُ من الحَيَّاتِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي « الأَفْعَى » فِي « بابِ الهَمْزَةِ » .

٤١٤ سَامُّ أَبْرَصَ : بِتَشدِيدِ المِيمِ . قَالَ أَهلُ اللُّغَةِ[1] : هُوَ من كِبارِ الوَزَغِ ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةٌ ، إِلاَّ أَنَّهُ تَعْرِيْفُ جِنْسٍ ، وَهُمَا اسْمَانِ جُعِلا واحِداً ، وَيَجُوزُ فِيْهِ وَجْهانِ : أَحَدُهُما : أَنْ تَبْنِيَهُما عَلَى الفَتْحِ كَخَمْسَةَ عَشَرَ . وَالثَّانِي : أَنْ تُعْرِبَ الأَوَّلَ ، وَتُضِيْفَهُ إِلَى الثَّانِي مَفْتُوحاً ، لِكَوْنِهِ لا يَنْصَرِفُ وَلا يُثَنَّى وَلا يُجْمَعُ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ ، بَلْ تَقُولُ فِي التَّثْنِيَةِ : هَذَانِ سامّا أَبْرَصَ . وَفِي الجَمْعِ : هَؤُلاءِ سَوامُّ أَبْرَصَ ؛ وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : هَؤُلاءِ السَّوامُّ ، وَلا تَذْكر « أَبْرَصَ » ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ : هَؤُلاءِ البَرَصَةُ وَالأَبارِصُ ، وَلا تَذكرُ « سامّ » . قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الرجز]

وَاللهِ لَـو كُنْـتُ لِهَـذَا خَـالِصَـا مَـا كُنْـتُ عَبْـداً آكُـلُ الأَبَـارِصَـا

---

(١) عن الجوهري « برص » ٣/ ١٠٢٩ ـ ١٠٣٠ وعنه اللسان « برص » ١/ ٢٥٨ .

(٢) الشَّطران بلا نسبة في الصحاح واللسان والتاج « برص » والجمهرة ١/ ٣١٢ ومقاييس اللُّغة ١/ ٢١٩ .

وَلَكَ عَلَى الثّانِي أن تَقُولَ : أَبْراصٌ وَأَبارِصُ ، كَمَا صَنَعَ الشَّاعِرُ ؛ فإِنَّهُ جَمَعَ عَلَى الثَّانِي .

● وإِنَّما سُمِّيَ هَذَا النَّوْعُ بِسَامِّ أَبْرَصَ ، لأَنَّهُ سُمٌّ : أَي جَعَلَ اللهُ فِيْهِ السُّمَّ ، وَجَعَلَهُ أَبْرَصَ .

وَسَيأْتِي فِي « بابِ الواوِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي ذِكْرِ « الوَزَغِ » .

وَمِنْ شَأْنِ هَذَا الحَيَوانِ أَنَّهُ إِذا تَمَكَّنَ من المِلْحِ تَمَرَّغَ فِيْهِ ، فَيَصِيْرُ مادَّةً لِتَوَلُّدِ البَرَصِ .

وَحُكْمُهُ : تَحرِيمُ الأَكْلِ ، لاسْتِقْذَارِهِ ، وَلِلأَمْرِ بِقَتْلِه ، وَعَدَمِ جَوازِ بَيْعِهِ ، كَسَائِرِ الحَيَواناتِ التي لا مَنْفَعَةَ لَها . وَاللهُ أَعْلَمُ .

الخَواصُّ[1] : دَمُهُ ، إِذا طُلِيَ بِهِ دَاءُ الثَّعْلَبِ : أَنْبَتَ الشَّعْرَ . وَكَبِدُهُ يُسَكِّنُ وَجَعَ الضِّرْسِ . وَلَحْمُهُ يُوضَعُ عَلَى لَسْعَةِ العَقْرَبِ ، يَنْفَعُها . وَجِلْدُهُ يُوضَعُ مَوْضِعَ الفَتْقِ : يُذْهِبُهُ . وَهُوَ لا يَدْخُلُ بَيْتاً فِيْهِ رائِحَةُ الزَّعْفرانِ .

التَّعْبِيْرُ[2] : سامُّ أَبْرَصَ وَالعَظَايَةُ فِي التَّأْوِيلِ : فاسِقَانِ يَمْشِيَانِ بِالنَّمِيْمَةِ .

وَقَالَ أَرطاميدورس : سامُّ أَبْرَصَ : يَدُلُّ عَلَى فَقْرٍ وَهَمٍّ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

٤١٥ السَّانِحُ : ما وَلاّكَ مَيَامِنَهُ من ظَبْيٍ أَوْ طائِرٍ أَوْ غَيْرِهِمَا ، تَقُولُ : سَنَحَ الظَّبْيُ لِي سُنُوحاً : إِذا مَرَّ مِنْ مَيَاسِرِكَ إِلى مَيَامِنِكَ ؛ وَالعَرَبُ تَتَيَمَّنُ بِالسَّانِحِ ، وَتَتَشَاءَمُ بِالبَارِحِ .

وَفِي المَثَلِ[3] : « مَنْ لِيَ بِالسَّانِحِ بَعْدَ البارِحِ » .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩٦ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١١٤ .

(٢) تفسير الواعظ ٣١٢ .

(٣) الميداني ٢/ ٣٠١ والعسكري ٢/ ٢٥٩ والزمخشري ٢/ ٣٥٩ وأمثال أبي عبيد ٢٤٥ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : سَأَلَ يُونسُ رُؤْبَةَ وَأَنا شاهِدٌ عن السَّانِحِ وَالبارِحِ ، فَقَالَ : السَّانِحُ ما وَلاَّكَ مَيامِنَهُ ، وَالبارِحُ ما وَلاَّكَ مَياسِرَهُ[١] .

وَكَانَ ذَلِكَ يَصُدُّ النَّاسَ عن مَقاصِدِهِم ، فَنَفَاهُ النَّبيُّ ﷺ بِالنَّهْيِ عن الطِّيَرَةِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لا تَأْثِيرَ لَهُ فِي جَلْبِ نَفْعٍ ، وَلا دَفْعِ ضَرَرٍ .

● قَالَ لَبِيْدٌ[٢] : [مِنَ الطَّويل]

لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي الطَّوارِقُ بِالحَصَا　　وَلا زاجِراتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانِعُ

وَالطِّيَرَةُ ، سَيَأْتِي الكَلامُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي « الطَّيْرِ » وَ« اللَّقْحَةِ » فِي بابي « الطَّاءِ المُهْمَلَةِ » وَ« اللَّامِ » .

٤١٦ **السُّبَدُ** : بِضَمِّ السِّيْنِ ، وَفَتْحِ البَاءِ[٣] : طائِرٌ لَيِّنُ الرِّيْشِ ، إِذا قَطَرَتْ عَلَيْهِ قَطْرَةٌ من مَاءٍ ، جَرَتْ عَلَيْهِ من لِيْنِهِ ؛ وَجَمْعُهُ : سُبْدانٌ ؛ قَالَ الرَّاجِزُ[٤] : [من الرجز]

أَكُلَّ يَوْمٍ عَرْشُها مَقِيلِي　　حَتَّى تَرَى المِئْزَرَ ذَا الفُضُولِ
مِثْلَ جَناحِ السُّبَدِ الغَسِيْلِ

● وَالعَرَبُ تُشَبِّهُ الفَرَسَ بِهِ إِذا عَرِقَ . قَالَ طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ[٥] : [من البسيط]

كَأَنَّهُ سُبَدٌ بِالمَاءِ مَغْسُولُ

وَلَمْ أَرَ لِأَصْحابِنَا فِي حُكْمِهِ كَلاماً .

---

(١) إلى هنا عن الصِّحاح « سنح » ١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .
(٢) ديوانه ١٧٢ .
(٣) عن الصِّحاح « سبد » ٢/ ٤٨٣ .
(٤) الأَشطار في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « سبد » ، والجمهرة ١/ ٢٩٨ بلا نسبة .
(٥) في الأُصول : طفيل العامري ! . والبيت في ديوانه ٧٧ . وصدره :
تَقْرِيْبُها المَرَطى والجَوْزُ مُعْتَدِلٌ × .

٤١٧ **السَّبُعُ** : بِضَمِّ البَاءِ وَإِسْكانِها : الحَيوانُ المُفْتَرِسُ ؛ وَالجَمْعُ : أَسْبُعٌ وَسِباعٌ ؛ وَأَرْضٌ مَسْبَعَةٌ : أَي كَثِيْرَةُ السِّبَاع .

● قَرَأَ الحَسَنُ وَابْنُ حَيْوَةَ ﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾ [المائدة : ٣] بِإِسْكَانِ البَاءِ ، وَهِيَ لُغَةٌ لأَهْلِ نَجْدٍ .

● قَالَ حَسّانُ بن ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه فِي عُتبَةَ بن أَبِي لَهَبٍ[١] : [من السريع]

مَــنْ يَــرْجِــعِ العَــامَ إِلَــى أَهْلِــهِ   فَمَــا أَكِيْــلُ السَّبْــعِ بِــالــرَّاجِــع

● وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﴿وأَكِيْلَةُ السَّبُعِ﴾ . وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ﴿وأكيْلُ السَّبُعِ﴾ .

● قِيْلَ : سُمِّيَ سَبُعاً ، لأَنَّهُ يَمْكُثُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَلا تَلِدُ الأُنْثَى أَكْثَرَ من سَبْعَةِ أَوْلادٍ ، وَلا يَنْزُو الذَّكَرُ عَلَى الأُنْثَى ، إِلاَّ بَعْدَ سَبْعِ سِنِيْنَ من عُمْرِهِ .

● قَالَ أَبُو عبدِ اللهِ ياقُوت الحَمَوِيّ فِي كِتَابِ « المُشترك وَضْعاً »[٢] فِي بابِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ وَالبَاءِ المُوَحَّدَةِ : الغَابَةُ : مَوْضِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَدِيْنَةِ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ من ناحِيَةِ الشَّام ، لَهُ ذِكْرٌ فِي غَزَواتِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ وَفَدَتْ إِلَيْهِ فِيْهِ السِّباعُ تَسْأَلُهُ أَنْ يَفْرِضَ لَهَا ما تَأْكُلُهُ .

● وَفِي « طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ »[٣] : عن عبدِ اللهِ بن حَنْطَب ، قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ جالِسٌ بالمَدِيْنَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ ذِئْبٌ ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَوَى ، فَقَالَ ﷺ : « هَذَا وافِدُ السِّبَاعِ إِلَيْكُمْ ، فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَفْرِضُوا لَهُ شَيْئاً لا يَعْدُوهُ إِلى غَيْرِهِ ،

---

(١) ديوانه ١/ ٤٢٩ (عرفات) و١٦٣ (حنفي) .
(٢) ومعجم البلدان ٤/ ١٨٢ .
(٣) طبقات ابن سعد ١/ ٣٠٩ .

وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ تَرَكْتُمُوهُ وَتَحَرَّزْتُمْ مِنْهُ ؛ فَمَا أَخَذَ فَهُوَ رِزْقُهُ » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، ما تَطِيْبُ أَنْفُسُنا لَهُ بِشَيْءٍ ؛ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِأَصابِعِهِ الثَّلاثِ : أَيْ خَالِسْهُمْ . فَوَلَّى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي « بابِ الذَّالِ المُعْجَمَةِ » فِي لَفْظِ « الذِّئْبِ » طَرَفٌ من ذَلِكَ .

● وَوَادِي السِّباعِ : بِطَرِيْقِ الرَّقَّةِ[1] ، مَرَّ بِهِ وائِلُ بن قاسِطٍ ، عَلَى أَسْمَاءَ بنت دُرَيْمٍ ، فَهَمَّ بِهَا حِيْنَ رَآها مُنْفَرِدَةً فِي الخِبَاءِ ، فَقَالَتْ : وَاللهِ لَئِنْ هَمَمْتَ بِي ، لأَدْعُوَنَّ أَسْبُعِي . فَقَالَ : ما أَرَى فِي الوادِي سِواكِ . فَصَاحَتْ بِبَنِيْهَا : يَا كَلْبُ ، يَا ذِئْبُ ، يَا فَهْدُ ، يَا دُبُّ ، يَا سِرْحَانُ ، يَا أَسَدُ ، يَا سَبُعُ ، يَا ضَبُعُ ، يَا نَمِرُ ؛ فَجَاؤُوا يَتَعادُونَ بِالسُّيُوفِ ؛ فَقَالَ : ما هَذَا إِلاَّ وادِي السِّبَاعِ .

● وَفِي « الصَّحِيحينِ »[2] : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَفْتَرِشَ المُصَلِّي ذِراعَيْهِ افْتِراشَ السَّبُعِ » .

● وَرَوَى « التِّرمذِيُّ » و« الحاكِمُ »[3] عن أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ ، وَحَتَّى يُكَلِّمَ الرَّجُلُ عَذَبَةَ سَوْطِهِ ، وَشِراكَ نَعْلِهِ ، يُحَدِّثُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ من بَعْدِهِ » . ثُمَّ قَالَ : حَسَنٌ صَحِيْحٌ غَرِيْبٌ ، لا نَعْرِفُهُ إِلاَّ من حَدِيْثِ القاسِمِ بن الفَضْلِ ، وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيْثِ ، وَثَّقَهُ يَحْيَى بن سَعِيْد القَطّان وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بن مَهْدِي .

---

(١) هذا قول ابن حبيب . وقال غيره : وادي السِّباع : من نواحي الكوفة . وقيل : قرب البصرة . والخبر في معجم البلدان ٥/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ والرَّوض المعطار ٦٠٣ ومعجم ما استعجم ٣/ ٧١٦ .

(٢) مسلم (٤٩٨) ومسند أحمد ٦/ ٣١ .

(٣) التِّرمذيّ (٢١٨١) والحاكم ٤/ ٤٦٧ ومسند أحمد ٥/ ٢١٨ وابن حبَّان (٧٦٠٢) .

● **فائِدَةٌ** : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَنَتَوَضَّأُ بِمَا أَفْضَلَتِ الحُمُرُ ؟ قَالَ : « وَبِمَا أَفْضَلَتِ السِّبَاعُ » . خَرَّجَهُ الدّارَقُطْنِيُّ[1] .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ : يُرِيْدُ : نَعم ، وَبِمَا أَفْضَلَتِ السِّبَاعُ .

قَالَ : وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف : ٢٢] قَالُوا : إِنَّها واوُ الثَّمانِيَةِ ، وَلَيْس كَذَلِك ؛ بَلْ تَدُلُّ عَلَى تَصْدِيْقِ القائِلِيْنَ بِأَنَّهُمْ سَبْعَةٌ ، لأَنَّها عاطِفَةٌ عَلَى كَلام مُضْمَرٍ مُصَدِّقٍ ، تَقْدِيْرُهُ : نَعم ، وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ .

كَمَا إذا قَالَ قائِلٌ : زَيْدٌ شاعِرٌ ؟ فَقُلْتَ لَهُ : وَفَقِيْهٌ أَيْضاً ؛ أَي : نَعم ، وَفَقِيْهٌ أَيْضاً .

وَفِي التَّنْزِيْلِ : ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة : ١٢٦] الآية .

قَالَ الزَّمخشريُّ[2] : هَذِهِ الواوُ آذنت بأَنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا : ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قَالُوا ذَلِكَ عن ثَبَاتِ عِلْمٍ وَطُمَأْنِيْنَةِ نَفْسٍ ، وَلَمْ يَرْجُمُوا بِالظَّنِّ كَغَيْرِهِمْ . انتهى .

● وَحَكَى القُشَيْرِيُّ فِي أَوائِلِ « الرِّسَالَةِ »[3] عن بُنان الحَمّال ، وَكَانَ عَظِيْمَ الشَّأْنِ ، صاحِبَ كَرامَاتٍ ، أَنَّهُ أُلْقِيَ[4] بَيْنَ يَدَيْ سَبُعٍ ، فَجَعَلَ السَّبُعُ يَشُمُّهُ وَلا يَضُرُّهُ ، فَلَمّا خَرَجَ قِيْلَ لَهُ : ما الَّذِي كان فِي قَلْبِكَ حِيْنَ شَمَّكَ السَّبُعُ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَتفَكَّرُ فِي اخْتِلافِ العُلَمَاءِ فِي سُؤْرِ السَّبُعِ .

● قِيْلَ[5] : حَجَّ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ مَع شَيْبَان الرّاعِي رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ،

---

(١) سنن الدارقطني ١/ ٦٢ .

(٢) الكشَّاف ٢/ ٤٧٩ .

(٣) الرِّسالة القشيريّة ١٤٩ وحلية الأَولياء ١٠/ ٣٢٤ وتاريخ بغداد ٧/ ٥٩٣ والمنتظم ١٣/ ٢٧٤ وطبقات المناوي ٢/ ٥١ و ٦١ وطبقات الأَولياء ١٢٣ ـ ١٢٤ وروض الرياحين ٣٢٠ .

(٤) أَلقاه أَحمد بن طولون أَمير مصر ، لأَمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ! ! .

(٥) المنتظم ٨/ ٢١٩ وطبقات المناوي ١/ ٣٢٦ وروض الرَّياحين ٣١٩ .

فَعَرضَ لَهُمَا سَبُعٌ ، فَقَالَ سُفْيَانُ لِشَيْبَانَ : أَمَا تَرَى هَذَا السَّبُعَ ؟ فَقَالَ : لا تَخَفْ ؛ ثُمَّ أَخَذَ شَيْبَانُ أُذُنَهُ فَعَرَكَها ، فَبَصْبَصَ وَحَرَّكَ ذَنَبَهُ [وانْصَرَفَ] ؛ فَقَالَ سُفْيَانُ : ما هَذِهِ الشُّهْرَةُ ؟ فَقَالَ : لَولا مَخافَةُ الشُّهْرَةِ لَوضَعْتُ زادِي عَلَى ظَهْرِهِ حَتّى آتِيَ مَكَّةَ .

● وَذَكَرَ الحافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي « الحِلْيَةِ » قَالَ[1] : كان شَيْبَانُ الرّاعِي إِذا أَجْنَبَ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَاءٌ ، دَعَا رَبَّهُ ، فَتَجِيْءُ سَحابَةٌ فَتُظِلُّهُ ، فَيَغْتَسِلُ مِنْها ، ثُمَّ تَذْهَبُ .

وَكَانَ إِذا ذَهَبَ لِلْجُمعةِ ، خَطَّ حَوْلَ غَنَمِهِ خَطّاً ، فإِذا جَاءَ وَجَدَها عَلَى حَالِها لَمْ تَتَحَرَّكْ .

● وَذَكَرَ أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجوزيّ وَغَيْرُهُ[2] : أَنَّ الإِمامَ أَحمد وَالشّافعيَّ مَرّا يَوْماً بِشَيْبَانَ الرّاعِي ، فَقَالَ الإِمامُ أَحمدُ : لأَسْأَلَنَّ هَذَا الرّاعِيَ ، وَأَنْظُرَ جَوابَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الشَّافعيُّ : لا تَتَعَرَّضْ لَهُ ؛ فَقَالَ : لا بُدَّ من ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا شَيْبَانُ ، ما تَقُولُ فِيمَن صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعاتٍ ، فَسَهَا فِي أَرْبَعِ سَجْداتٍ ، مَاذَا يَلْزَمه ؟ قَالَ لَهُ : عَلَى مَذْهَبِنَا أَمْ عَلَى مَذْهَبِكُمْ ؟ قَالَ : أَهُمَا مَذْهَبَانِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ أَمّا عِنْدَكُمْ فَيَلْزَمُهُ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَينِ وَيَسْجُدَ لِلسَّهْوِ ؛ وَأَمّا عِنْدَنَا فَهَذَا رَجُلٌ مُقَسَّمُ القَلْبِ ، يَجِبُ أَنْ يُعاقِبَ قَلْبَهُ حَتَّى لا يَعُودَ .

قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِيْمَنْ مَلَكَ أَربَعِينَ شَاةً ، وَحَالَ عَلَيهَا الحَوْلُ ، ماذا يَلْزَمُهُ ؟ قَالَ : يَلْزَمُهُ عِنْدَكُمْ شَاةٌ ؛ وَأَمّا عِنْدَنَا فَالعبدُ لا يَمْلِكُ شَيْئاً مع سَيِّدِهِ .

فَغُشِيَ عَلَى الإِمامِ أَحمد ، فَلَمَّا أَفاقَ انْصَرَفَا . انتهى .

قُلْتُ : وَقَدْ ذَهَبَ جماعَةٌ من عُلَمَاءِ الآخِرَةِ ، إِلَى أَنَّ مَن سَهَا فَسَدَتْ

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣١٧ وطبقات المناوي ١/ ٣٢٦ .

(٢) المنتظم ٨/ ٢١٩ وطبقات المناوي ١/ ٣٢٥ وروض الرّياحين ٥٣ .

صَلاتُهُ ؛ أَخْذاً بِقَوْلِهِ ﷺ : « لَيْسَ لِلْمَرْءِ من صَلاتِهِ إِلاّ ما عَقِلَهُ مِنْها فِعْلاً وَلَفْظاً » . قَالُوا : وَلا تفسدُ الصَّلاةُ إِلاَّ بتَرْكِ واجِبٍ ؛ وَإِلاّ فَأَيُّ مَعْنَىً لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَالمَقْصُودُ مِنْهُمَا التَّعْظِيْمُ وَالحُضُورُ ، لا الغَفْلَةُ وَالذُّهُولُ ؛ وَهُوَ حَسَنٌ .

وَإِنَّما أَفْتَتِ العُلَمَاءُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم بِصِحَّةِ الصَّلاةِ بِذَلِكَ ، لِعَجْزِهِمْ عن الاطِّلاعِ عَلَى أَسْرارِ القُلُوبِ ، وَسَلَّمُوها إِلى أَرْبابِها لِيَسْتَفْتُوا نُفُوسَهُمْ ، لِيَدْفَعَ الفُقَهَاءُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَشَقْشَقَتَهِ عَمَّنْ يَقُولُ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهِ ، وَلِيُقِيْمُوا الصَّلاةَ .

وَلَمْ يُفْتُوا بِأَنَّ ذَلِكَ نافِعٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ، ما لَمْ يُطابِقْ عَلَيْهِ القَلْبُ اللِّسَانَ مَعَ الإِخْلاصِ للهِ .

وَالإِخلاصُ للهِ واجِبٌ فِي سائِرِ الأَعمالِ ؛ وَالإِخلاصُ هُوَ ما صَفَا عن الكَدَرِ ، وَخَلصَ من الشَّوائِبِ . قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا﴾ [النَّحل : ٦٦] فَكَمَا أَنَّ خُلُوصَ اللَّبَنِ من الفَرْثِ وَالدَّمِ ، فَكَذَلِكَ إِخلاصُ الأَعمالِ من الرِّيَاءِ وَحُظُوظِ النَّفْسِ جَمِيعاً .

وقد تكَلَّمتُ عَلَى ذَلِكَ كَلاماً طَوِيلاً فِي « الجوهرِ الفَرِيدِ » فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ ، وَباللهِ التَّوفِيق .

● وَرَأَيتُ فِي بَعضِ المَجَامِيعِ ، أَنَّ الشَّافعيَّ[١] رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ كان يَجْلِسُ إِلى شَيْبَانَ الرّاعِي ، وَيَسْأَلُهُ عن مَسائِلَ ، فَقِيلَ له : مِثْلُكَ يَسْأَلُ هَذَا البَدَوِيَّ ؟ فيَقُولُ لهم : هَذَا وُفِّقَ لِمَا عَلِمْناهُ .

وَكَانَ شَيْبَانُ أُمِّيّاً ، وَإِذا كان مَحَلُّ الأُمِّيِّ مِنهم من العِلْمِ هَكَذَا ، فَمَا ظَنُّكَ بِأَئِمَّتِهِمْ ؟ .

---

(١) طبقات المناوي ١/ ٣٢٥ .

وَقد كان الأَئِمَّةُ المجتهدونَ كَالشّافعيِّ وَغَيْرِهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، يَعْتَرِفُونَ بِوُفُورِ فَضْلِ عُلَمَاءِ الباطِنِ ، وَقَدْ قَالَ الإمامانِ الجَلِيلانِ الشَّافعيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنهما : إذا لَمْ يَكُنِ العُلَمَاءُ أَوْلِيَاءَ للهِ تَعالَى ، فَلَيْسَ للهِ وَلِيٌّ .

● وَقد حَكَى غَيْرُ واحِدٍ من الحُفّاظِ ، أَنَّ أَبَا العَبَّاسِ بن سُرَيْجٍ ، كان إِذَا أَعْجَبَ الحاضِرِينَ ما يُبْدِيْهِ لَهُمْ من العُلُومِ ، يَقُولُ لَهُمْ : أَتَدْرُونَ من أَيْنَ لِي هَذَا ؟ إِنَّما حَصَلَ مِنْ بَرَكَةِ مُجَالَسَتِي أَبَا القاسِمِ الجُنَيْدَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه .

● وَكَانَ من دُعاءِ شَيْبَانَ : يَا وَدُودُ ، يَا وَدُودُ ، يَا وَدُودُ ، يَا ذَا العَرْشِ المَجِيْدِ ، يَا مُبْدِىءُ ، يَا مُعِيدُ ، يا فَعَّالاً لِمَا يُرِيْدُ ؛ أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الذِي لا يُرامُ ، وَبِمُلْكِكَ الذِي لا يَزُولُ ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الذِي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ ، وَبِقُدْرَتِكَ التي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ؛ أَنْ تكفِيَنِي شَرَّ الظَّالِمِينَ أَجمَعِينَ .

● وَقَدْ نَظَمَ بَعْضُهُمْ قَصِيْدَةً ذَكَرَ فِيْهَا أَسْمَاءَ جَماعَةٍ من الأَوْلِيَاءِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرارَهُمْ ؛ فَمِنْهَا :

شَيْبَانُ قَدْ كَانَ راعِي ... وَسِرُّ سِرِّهْ مَا اخْتَفَى
فَاجْهَدْ وَخَلِّ الدَّعَاوِي ... إِنْ كَانَ لَكَ شَيْءٌ بَانْ

● وَفِي « الرِّسَالَةِ » فِي « بابِ كَراماتِ الأَوْلِيَاءِ »[1] : أَنَّ سهل بن عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيّ كان فِي دارِهِ بَيْتٌ تُسَمِّيْهِ النَّاسُ بَيْتَ السِّباعِ ، كانَتِ السِّبَاعُ تَجِيءُ إِلَيهِ ، فَيُدْخِلُهُمْ ذَلِكَ البيت ، وَيُضِيْفهم ، وَيُطعِمهم[2] اللَّحْمَ ثُمَّ يُخْلِي سَبِيْلَهُمْ .

● وَفِي « كِفايَةِ المُعْتَقَدِ » فِي ذِكْرِ ما زُوِيَ لهم من الأَرْضِ من غَيرِ حَرَكَةٍ ،

---

(١) الرِّسالة القشيريّة ٦٧٤ وروض الرّياحين ٣٦٣ وطبقات المناوي ١/ ٦٤٦ .

(٢) كذا في الأُصول والرِّسالة القشيريّة . والوجه كما في روض الرّياحين : فيدخلها ذلك البيت ، ويُضيفُها ، ويُطعمها اللَّحم ، ثُمَّ يخلِّي سبيلَها .

وَهُوَ أَفْضَلُ من الطَّيرانِ فِي الهَواءِ ، وَالمَشْيِ عَلَى المَاءِ : عن سَهل بن عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيّ ، قَالَ[1] :

تَوَضَّأْتُ يَوْمَ جُمُعَةٍ ، وَمَضَيْتُ إلى الجامعِ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّام البدَايَةِ ، فَوَجَدْتُهُ قد امْتَلأَ بالنّاسِ ، وَقَدْ هَمَّ الخَطِيْبُ أَنْ يَرْقَى المِنْبَرَ ، فَأَسَأْتُ الأَدَبَ ، وَلَمْ أَزَلْ أَتَخطّى رِقَابَ النّاسِ ، حَتَّى وَصَلْتُ إلى الصَّفِّ الأَوّلِ ، فَجَلَسْتُ ، وَإِذَا عن يَمِيْنِي شَابٌ حَسَنُ المَنْظَرِ ، طَيِّبُ الرَّائِحَةِ ، عَلَيْهِ أَطْمارُ الصُّوفِ ، فَلَمّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا سَهْلُ ؟ قُلْتُ : بِخَيْرٍ أَصْلَحَكَ اللهُ ؛ وَبَقِيْتُ مُفَكِّراً فِي مَعْرِفَتِهِ لِي وَأَنَا لَمْ أَعْرِفْهُ .

فَبَيْنَما أَنَا كَذَلِكَ إِذْ أَخَذنِي حَرَقَانُ بَوْلٍ ، فَأَكْرَبَنِي ، فَبَقِيتُ عَلَى وَجَلٍ خَوْفاً أَنْ أَتَخَطَّى رِقَابَ النّاسِ ، وإِنْ جَلَسْتُ لَمْ تَكُنْ لِي صَلاةٌ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا سَهْلُ ، أَخَذَكَ حَرَقَانُ بَوْلٍ ؟ فَقُلْتُ : أَجَل ؛ فَنزَعَ حِرامَهُ عن مَنْكِبَيْهِ ، فَغَشّانِي بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْضِ حاجَتَكَ ، وَأَسْرِعْ لِتَلْحَقَ الصَّلاةَ . قَالَ : فَأُغْمِيَ عَلَيَّ ؛ فَلَمَّا فَتَحْتُ عَيْنِي ، إذا بِبَابٍ مَفْتُوحٍ ، فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ : لِجِ البابَ يَرْحَمُكَ اللهُ ؛ فَوَلجْتُ ، فإِذا أَنَا بِقَصْرٍ مشيدٍ ، عَالِي البُنْيَانِ ، شَامِخِ الأَرْكَانِ ، وَإِذَا بنَخْلَةٍ قائِمَةٍ ، وَإِلَى جانِبِها مِطْهَرَةٌ مَمْلُوءَةٌ مَاءً أَحْلَى من الشَّهْدِ ، وَمَنْزِلٍ لإِراقَةِ المَاءِ ، وَمِنْشَفَةٍ مُعلَّقَةٍ وَسِواكٍ ؛ فَحَلَلْتُ لِباسِي ، وَأَرَقْتُ المَاءَ ، ثُمَّ اغْتَسَلْتُ وَتَنَشَّفْتُ بالمِنْشَفَةِ ، فَسَمِعْتُ مُنادِياً : يَا سَهْلُ ، إِنْ كُنْتَ قَضَيْتَ أَرَبَكَ فَقُلْ : نَعَم ، فَقُلْتُ : نَعَم ؛ فَنَزَعَ الحِرامَ عَنِّي ، فإِذا أَنَا جَالِسٌ مَكَانِي وَلَمْ يَشْعُرْ بِي أَحَدٌ ، فَبَقِيْتُ مُفَكِّراً فِي نَفْسِي ، وَأَنَا مُكَذِّبٌ نَفْسِي فِيمَا جَرَى .

فَقَامَتِ الصَّلاةُ ، فَصَلَّيْتُ وَلَم يَكن لِي شُغْلٌ إِلاّ الفَتَى لأَعْرِفَهُ ، فَلَمّا فَرَغْتُ تَتَبَّعْتُ أَثَرَهُ ، فَإِذَا بِهِ قد دَخَلَ إِلى دَرْبٍ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا سَهْلُ ، كَأَنَّكَ

---

(١) روض الرّياحين ٢٦٣ ـ ٢٦٤ وطبقات المناوي ١/ ٦٤٧ .

ما أَيْقَنْتَ بِمَا رَأَيْتَ ؟ قُلْتُ : كلاَّ . قَالَ : فَلِج البَابَ يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَنظَرْتُ الباب بعَيْنِهِ ، فَوَلَجْتُ القَصْرَ ، فَنَظَرْتُ المِطْهَرَةَ وَالنَّخْلَةَ وَالحَالَ بعَيْنِه ، فَمَسَحْتُ عَيْنِي وَفَتَحْتُهُمَا ، فَلَمْ أَجِدِ الفَتَى وَلاالقَصْرَ .

وَإِنّما ذَكَرْتُ هَذِهِ الحِكَايَةَ لأَنَّها من جُمْلَةِ العَجَائِبِ عِنْدَ غَيْرِ هَذِهِ الطّائِفَةِ ، وَلا يَكَادُ يُؤْمِنُ بِهَا كَثِيرٌ من النّاسِ .

وَلَها احْتِمالاتٌ ، مِنها : أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ نُقِلَ من مَكَانِهِ لَمّا أُغْمِيَ عَلَيْهِ إِلى حَيْثُ شَاءَ اللهُ من غَيْرِ شُعُورٍ مِنْهُ ، ثُمَّ أُعِيْدَ إِلى مَكانِه لُطْفاً من اللهِ تَعَالَى وَكَرامَةً لأَوْلِيَائِه .

● قَالَ شَيْخُنَا اليَافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[1] ، وَمِنَ المَحْكِيِّ عن سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ أَيْضاً : أَنَّ أَمِيرَ خُراسَانَ يَعْقُوب بن اللَّيْثِ أَصابَتْهُ عِلَّةٌ أَعْيَتِ الأَطِبّاءَ ، فَقِيْلَ لَهُ : فِي وِلايَتِكَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، يُقَالُ لَهُ : سَهْلُ بن عَبْدِ الله ، وَلَو استحضرتهُ لِيدعوَ لَكَ ، رَجَونا لَكَ العافِيَةَ . فَأَحْضَرَهُ ، وَسَأَلَهُ الدُّعاءِ ، فَقَالَ : كَيْفَ يُسْتَجابُ دُعائِي لَكَ ، وَأَنْتَ مُقِيْمٌ عَلَى الظُّلْمِ ؟ فَنَوَى يَعْقُوبُ التَّوْبَةَ وَالرُّجُوعَ عن المَظَالِمِ ، وَحُسْنَ السِّيْرَةِ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَأَطْلَقَ مَن فِي سِجْنِه من المَظْلُومِيْنَ ، فَقَالَ سَهْلٌ : اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَهُ ذُلَّ المَعْصِيَةِ ، فَأَرِهِ عِزَّ الطَّاعَةِ ، وَفَرِّجْ عَنْهُ ، فنَهَضَ كَأَنَّمَا نَشَطَ من عِقَالٍ ، وَعُوفِيَ من ساعَتِهِ . فَعَرَضَ عَلَى سَهْلٍ مالاً جَزِيْلاً ، فَأَبَى قَبُولَهُ .

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى تُسْتَرِ ، قِيْلَ لَهُ بأَثْناءِ الطَّرِيْقِ : لو قَبِلْتَ المَالَ الذِي عَرَضَ عَلَيْكَ ، وَفَرَّقْتَهُ عَلَى الفُقَراءِ ؟ فَنَظَرَ إِلى الحَصْبَاءِ فإِذَا هِيَ جَواهِرٌ ، فَقَالَ : خُذُوا ما أَرَدْتُمْ ؛ ثُمَّ قَالَ : مَن أُعْطِيَ مِثْلَ هَذَا ، يَحْتَاجُ إِلى مَالِ يَعْقُوب بن اللَّيْثِ ؟ .

---

(١) روض الرّياحين ٣٠٧ .

● وَنَظِيْرُ ذَلِكَ من قَلْبِ الأَعْيَانِ : ما رُوِيَ عن الشَّيْخِ عِيسى الهِتار ـ وَهُوَ بكَسرِ الهَاءِ وَتَخفِيفِ التّاءِ المُثَنَّاةِ فَوْق[1] ـ : أَنَّهُ مَرَّ عَلى امْرَأَةٍ بَغِيٍّ ، فَقَالَ لَهَا : بَعْدَ العشاءِ آتِيْكِ ؛ فَفرِحَتْ بذَلِكَ وَتَزَيَّنَتْ ، فَلَمّا كان بَعْدَ العشاءِ دَخَلَ عَلَيْهَا البَيْتَ ، فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ ؛ فَقَالَتْ : أَراكَ خَرَجْتَ ؟ قَالَ : حَصَلَ المَقْصُودُ ؛ فَوَرَدَ عَلَيْهَا وارِدٌ أَزْعَجَها عَمَّا كانَتْ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَتْ بَعْدَ الشَّيْخِ ، وَتابَتْ عَلَى يَدِهِ ، فَزَوَّجَها بَعْضَ الفُقَرَاءِ ، وَقَالَ : اعْمَلُوا الوَلِيْمَةَ عَصِيدةً ، وَلا تَشتَروا لَها أُدماً ، ففعلُوا ذَلِكَ وَأَحْضَرُوهُ ، وَحَضَرَ الفُقَرَاءُ ؛ وَالشَّيْخُ كَالمُنْتَظِرِ لِشَيْءٍ يُؤْتَى بِهِ .

فَوَصَلَ الخَبَرُ إلى أَمِيرٍ كان رَفِيقاً لِتِلكَ المَرأَةِ ، فَأَخْرَجَ قارُورَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ خَمْراً ، وَأَرْسَلَ بِهِمَا إلى الشَّيخِ ، وَأَرادَ بذَلِكَ الاستِهزَاءَ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لِلشَّيْخِ : قد سَرَّنِي ما سَمِعْتُ ، وَبَلَغَنِي أَنَّ ما عِنْدَكُمْ إِدامٌ ، فَخُذُوا هَذَا فائْتَدِمُوا بِهِ ؛ فَلَمَّا أَقْبَلَ الرَّسُولُ قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : أَبْطَأْتَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ إِحْداهُمَا فَخَضَّها ، ثُمَّ صَبَّ منها عَسَلاً مُصَفَّىً ، ثُمَّ فَعَلَ كَذَلِكَ بالأُخْرَى وَصَبَّ مِنْهَا سَمْناً عَرَبِيّاً ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : اجْلِسْ فَكُلْ ، فَأَكَلَ ، فَطَعِمَ سَمْناً وَعَسَلاً لَمْ يَرَ مِثْلَهُمَا طَعْماً وَلَوْناً وَرِيْحاً ، فَرَجعَ الرَّسُولُ وَأَخْبَرَ الأَمِيْرَ بِذَلِكَ ، فَجَاءَ الأَمِيْرُ فَأَكَلَ ، وَتَحَيَّرَ مِمَّا رَأَى ، وَتَابَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ .

● وَيُشْبِهُ هَذَا ما حُكِيَ عن بَعضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ[2] : بَيْنَمَا أَنا أَسِيرُ فِي فَلاةٍ من الأَرْضِ ، إذا بِرَجُلٍ يَدُورُ بشَجَرَةِ شَوْكٍ ؛ وَيَأْكُلُ مِنْهَا رُطَباً جَنِيّاً ، فَسَلَّمْتُ عليهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ ، وَقَالَ : تَقَدَّمْ فَكُلْ . قَالَ : فَتَقَدَّمْتُ إِلى الشَّجَرَةِ ، فَصِرْتُ كُلَّمَا أَخَذْتُ مِنْهَا رُطَباً عادَ شَوْكاً .

---

(١) روض الرّياحين ٣٦٥ وطبقات المناوي ٢/ ٥١٠ .

(٢) روض الرّياحين ٣٠٥ .

فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ ، وَقَالَ : هَيْهَاتَ ، لو أَطَعْتَهُ فِي الخَلَواتِ ، أَطْعَمَكَ الرُّطَبَ فِي الفَلَواتِ .

وَحِكايَاتُهم فِي مِثْلِ هَذا كَثِيْرَةٌ ؛ وَإِنَّما نَبَّهْتُ عَلَى قَطْرَةٍ من بِحَارٍ عَمِيْقَةٍ ؛ وَعَلَى الجُمْلَةِ فَالدُّنْيَا تَتَصَوَّرُ لَهُمْ فِي صُورَةِ عَجُوزٍ تَخْدِمُهُمْ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى قَرِيْباً فِي هَذَا البابِ .

وَالرُّجُوعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلى أَصْلٍ يَجِبُ الإِيمانُ بِهِ ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ، وَلَيسَ الخَرْقُ لِلعَوائِدِ بِمُسْتَحِيلٍ فِي العقلِ ؛ وَباللهِ التَّوْفِيْقُ .

● وَحُكِيَ عن الشَّيْخِ أَبِي الغَيْثِ اليَمَنِيّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1] : أَنَّهُ خَرَجَ يوماً يَحْتَطِبُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَجْمَعُ الحَطَبَ ، إِذْ جَاءَ السَّبُعُ وافْتَرَسَ حِمَارَهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَعِزَّةِ المَعْبُودِ ، ما أَحْمِلُ حَطَبِي إِلاّ عَلَى ظَهْرِكَ ؛ فَخَضَعَ لَهُ السَّبُعُ ، فَحَمَلَ الحَطَبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَسَاقَهُ إِلى البَلَدِ ، ثُمَّ حَطَّ عنه وَخَلاَّهُ .

● وَنُقِلَ[2] : أَنَّ شَعْوانَةَ رُزِقَتْ وَلَداً ، فَرَبَّتْهُ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ ، فَلَمّا كبرَ وَنَشأَ قَالَ لَهَا : يَا أُمَّاهُ ، سَأَلْتُكِ باللهِ إِلاّ ما وَهَبْتِنِي للهِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : يا بُنِيَّ ، إِنَّهُ لا يَصْلُحُ أَنْ يُهْدَى لِلْمُلوكِ إِلاّ أَهْلُ الأَدَبِ والتُّقَى ، وَأَنْتَ يا وَلَدِي غِرٌّ ، لا تَعْرِفُ ما يُرادُ بِكَ ، وَلَمْ يَأْنِ لَكَ ذَلِكَ . فَأَمْسَكَ عَنْهَا .

فَلَمَّا كان ذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ إِلى الجَبَلِ لِيَحْتَطِبَ ، وَمَعَهُ دابَّةٌ ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَرَبَطَها ، وَذَهَب فَجَمَعَ الحَطَبَ ، وَرَجَعَ فَوَجَدَ السَّبُعَ قد افْتَرَسَها ، فَجَعَلَ يَدَهُ فِي رَقَبَةِ السَّبُعِ ، وَقالَ لَهُ : يَا كَلْبَ اللهِ ، تَأْكُلُ دابَّتِي ؟ وَحَقِّ سَيِّدِي لأُحَمِّلَنَّكَ الحَطَبَ كَمَا تَعَدَّيْتَ عَلَى دَابَّتِي .

فَحَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ الحَطَبَ ، وَهُوَ طائِعٌ لأَمْرِهِ ، حَتى وَصَلَ بِهِ إِلى دَارِ

---

(١) روض الرّياحين ٣٦٣ وطبقات المناوي ٢/ ٣٦٢ .

(٢) روض الرّياحين ٥١٦ وطبقات المناوي ١/ ٣٢٨ .

أُمِّه ، فقَرَعَ عليهَا البابَ ؛ فَفَتَحَتْ له ، وَقَالَتْ لَمّا رَأَتْ ذَلِكَ : يَا بُنَيَّ ، أَمَّا الآنَ فَقَدْ صَلَحْتَ لِخِدْمَةِ المَلِكِ ، اذْهَبْ للهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَوَدَّعَهَا وَذَهَبَ .

● وَرَوَى صَاحِبُ « مَناقِبِ الأَبْرارِ » عن شاه الكَرمانيِّ[1] : أَنَّهُ خَرَجَ إِلى الصَّيْدِ وَهُوَ مَلِكُ كَرْمانَ ، فَأَمْعَنَ فِي الطَّلَبِ حَتَّى وَقَعَ فِي بَرِّيَّةٍ مُقْفِرَةٍ وَحْدَهُ ، فإِذا هُوَ بِشَابٍّ راكِبٍ عَلَى سَبُعٍ ، وَحَوْلَهُ سِباعٌ كَثِيْرَةٌ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ السِّبَاعُ ابْتَدَرَتْ نَحْوَهُ ، فَنَحّاها الشَّابُّ عنه .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلَتْ عَجُوزٌ ، بِيَدِهَا شَرْبَةُ مَاءٍ ، فَنَاوَلَتْهَا الشَّابَّ ، فَشَرِبَ ، وَدَفَعَ باقِيهِ إِلى شاهٍ ، فَشَرِبَ وَقَالَ : ما شَرِبْتُ شَيْئاً أَلَذَّ مِنْهُ وَلا أَعْذَبَ ؛ ثُمَّ غَابَتِ العَجُوزُ ، فَقَالَ الشَّابُّ : هَذِهِ الدُّنْيَا ، وَكَّلَهَا اللهُ تَعَالَى بِخِدْمَتِي ، فَمَا احْتَجْتُ إِلى شَيْءٍ إِلاّ أَحْضَرَتْهُ إِلَيَّ حِيْنَ يَخْطُرُ ببَالِي ؛ فَعَجِبَ شاهٌ من ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : أَما بَلَغَكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمّا خَلَقَ الدُّنْيَا قَالَ لَهَا : يَا دُنْيَا ، مَن خَدَمَنِي فَاخْدُمِيه ، وَمَن خَدَمَكِ فَاسْتَخْدِمِيْه ؟ ثُمَّ وَعَظَهُ وَعْظاً حَسَناً ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَوْبَتِهِ .

● وَفِي « الإِحْيَاءِ » فِي « عَجَائِبِ القَلْبِ » عن إِبراهِيم الرَّقِّيِّ ، قَالَ[2] : قَصَدْتُ أَبَا الخَيْرِ الدَّيْلَميّ[3] التِّيناتِيّ مُسَلِّماً عليهِ ، فَصَلَّى صَلاةَ المَغْرِبِ وَلم يَقرَأِ الفاتِحَةَ مُسْتَوِياً ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : ضَاعَتْ سَفْرَتِي ، فَلَمّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ ، خَرَجْتُ إِلى الطَّهارَةِ ، فَقَصَدَنِي السَّبُعُ ؛ فَعُدْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ : إِنَّ السَّبُعُ قد قَصَدَنِي ؛ فَخَرَجَ وَصَاحَ عَلَى الأَسَدِ ، وَقَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لا تَتَعَرَّضْ لأَضْيافِي ؟ فَتَنَحَّى الأَسَدُ ، فَتَطَهَّرْتُ ، فلمّا رَجعتُ قَالَ : أَنْتُمُ

---

(١) روض الرّياحين ٢٣١ وطبقات المناوي ٢/ ١٠٢ .

(٢) إحياء علوم الدِّين ٣/ ٢٢ ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٥ الرسالة القشيرية ٦٧٤ وطبقات المناوي ٢/ ٤٦ وطبقات الأولياء ١٩٣ وبغية الطلب ١٠/ ٤٤٤٠ وروض الرّياحين ٣٢٠ .

(٣) هو المعروف بالأقطع التيناتي . [حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧] .

اشْتَغَلْتُم بِتَقوِيمِ الظَّاهِرِ فَخِفْتُمُ الأَسَدَ ، وَنَحْنُ اشْتَغَلْنَا بِتَقوِيمِ الباطِنِ فَخَافَنَا الأَسَدُ .

● وَقد أَنْشَدَنا شَيْخُنَا الإمامُ العَلاَّمَةُ جَمَالُ الدِّيْنِ[1] عَبْد اللهِ بن أَسْعَدَ اليَافعيّ لِنَفْسِه[2] : [من الطويل]

هُمُ الأُسْدُ ما الأُسْد الأُسُودُ تَهَابُهُمْ	وَمَا النِّمْرُ ؟ ما أَظْفَارُ فَهْدٍ وَنابُهُ
وَمَا الرَّمْيُ بالنَّشّابِ؟ ما الطَّعْنُ بالقَنَا؟	وَمَا الضَّرْبُ بالمَاضِي الكَمي؟ ما ذُبابُهُ
لَهُمْ هِمَمٌ لِلقاطِعاتِ قَواطِعٌ	لَهُمْ قَلْبُ أَعْيَانِ المُرادِ انْقِلابُهُ
لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ طائِعٌ وَمُسَخَّرٌ	فَلا قَطُّ يَعْصِيهِمْ بَلِ الطَّوْعُ دَأْبُهُ
مِنَ اللهِ خافُوا لا سِواهُ فَخَافَهُمْ	سِواهُ ، جَماداتُ الوَرَى وَدَوابُهُ
لَقَد شَمَّرُوا فِي نَيْلِ كُلِّ عَزِيزَةٍ	وَمَكْرُمَةٍ مِمّا يَطُولُ حِسَابُهُ[3]
إِلَى أَنْ جَنَوا ثَمَرَ الهَوَى بَعْدَمَا جَنَى	عَلَيْهِمْ وَصَارَ الحُبُّ عَذْباً عَذَابُهُ

● وَفِي الخَبَرِ : قِيلَ : أَوحَى اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى إِلى داوُد عَلَيهِ السَّلامُ : يَا دَاوِدُ ، خَفْنِي كَمَا تَخَافُ السَّبُعَ الضّارِيَ .

مَعْنَاهُ : خَفْنِي لأَوْصَافِي المَخُوفَة ، من العِزَّةِ وَالعَظَمَةِ وَالكِبْرِياءِ وَالجَبَرُوتِ والقَهْرِ وِشِدَّةِ البَطْشِ وَنُفُوذِ الأَمْرِ ، كَمَا تَخَافُ السَّبُعَ الضّارِي ، لِشدَّةِ بَدَنِهِ ، وَعُبُوسِ وَجْهِهِ ، وَشُبُوكِ أَنْيَابِهِ ، وَقُوَّةِ بَراثِنِهِ ، وَجراءَةِ قَلْبِهِ ، وَسُرْعَةِ غَضَبِهِ ، وَبَغْتاتِ وَثْبِهِ ، وَفَظِيعِ بَطْشِهِ ، وَدَواعِي ضَراوَتِهِ ؛ لا أَجْلِبُ عَلَيْهِ شَرّاً ، وَلا عَصَيْتَ لَهُ أَمْراً .

فَيَا أَخِي ، خَفِ اللهَ حَقَّ خَوْفِهِ ، واتْرُكِ السِّوى ، فَمَنْ خَافَ اللهَ حَقَّ

---

(١) كذا ، والمعروف أَنَّ اليافعي يُلقّب بعفيف الدِّين . (شذرات الذَّهب ٨/ ٣٦٢) .

(٢) روض الرّياحين ٣٢٠ .

(٣) في أ : . . . . عزيمة × .

خَوْفِهِ ، خافَهُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَمَنْ أَطاعَ اللهَ حَقَّ طاعَتِهِ أَطاعَهُ كُلُّ شَيءٍ .

وَحُكْمُهُ : تَقَدَّمَ فِي « بابِ الهَمْزَةِ » .

لكِن يُكْرَهُ رُكُوبُ السِّبَاعِ ، لِمَا رَوَى « ابْنُ عَدِيٍّ »[1] فِي تَرْجَمَةِ إسماعِيلَ بن عَيّاش ، عن بَقِيَّةَ ، عن يَحْيَى بن سعِيدٍ ، عن خَالد بن مَعْدانَ ، عن المقْدَامِ بنِ مَعْدِي كَربٍ ، قَالَ : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن رُكُوبِ السِّبَاعِ » .

وَلا يَصِحُّ بَيْعُ السِّباعِ التِي لا تَنْفَعُ . وَقِيْلَ : يَجُوزُ بَيْعُها لأَجْلِ جُلُودِها ، وَأَمّا الّتِي تَنْفَعُ كالفَهْدِ وَالفِيلِ وَالقِردِ ، فَيَجُوزُ بَيْعُهُ .

٤١٨ السَّبَنْتَى وَالسَّبَنْدَى : النَّمِرُ الجَرِيْءُ ؛ وَالأُنْثَى سَبَنْداةٌ .

● قَالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[2] : نَاحَتِ الجِنُّ عَلَى عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِثَلاثَةِ أَيّامٍ ، فَقَالَتْ : [من الطويل]

أَبَعْدَ قَتِيلٍ بِالمَدِيْنَةِ أَظْلَمَتْ ... لَهُ الأَرْضُ تَهْتَزُّ العِضَاهُ بِأَسْوُقِ

جَزَى اللهُ خَيْراً من إمامٍ وَبارَكَتْ ... يَدُ اللهِ فِي ذَاكَ الأَدِيْمِ المُمَزَّقِ

فَمَنْ يَسْعَ أَو يَرْكَبْ جَناحَيْ نَعامَةٍ ... لِيُدْرِكَ ما قَدَّمْتَ بِالأَمْسِ يُسْبَقِ

قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَها ... بَوائِقَ فِي أَكْمامِها لَمْ تُفَتَّقِ

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفاتُهُ ... بِكَفَّيْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

المُطْرِقُ : الحَنِقُ الذِي أَرْخَى عينيهِ يَنْظُرُ إِلى الأَرضِ ؛ وَقَدْ يُمَدُّ السَّبَنْتَى .

---

(١) الكامل في الضُّعفاء ١/ ٤٧١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٧ وتاريخ المدينة المنوَّرة ٣/ ٨٧٣ و٨٧٤ و ٨٧٧ والأَغاني ٩/ ١٥٩ ودلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم ٥٧٨ والاستيعاب ٣/ ١١٥٨ ـ ١١٥٩ وتاريخ دمشق (ترجمة عمر) ٣٤١ ومختصره ١٩/ ٣١ وتاريخ الخلفاء ١٧٤ . والأَبيات ممّا نُسب إلى الشَّمَّاخ وغيره ؛ ينظر ديوانه ٤٤٨ .

وَنَسَبَ الجَوْهَرِيُّ هَذِهِ الأَبْيَاتِ إلى الشَّمّاخِ[1] .

● وَقَالَ فِي « الاسْتِيْعَابِ »[2] : لَمّا مَاتَ عُمرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، نَحَلَ النّاسُ هذه الأَبْيَاتِ إلى الشَّمّاخِ بن ضِرارٍ وَلأَخَوَيْهِ ، وَكانُوا إِخْوَةً ثَلاثَةً كُلُّهُمْ شُعَرَاء .

وَسَيَأْتِي ذِكْرُ النَّمِرِ فِي « بابِ النُّونِ » إن شاء الله تعالى .

٤١٩ السَّبَيْطَرُ : بِفَتْحِ السِّينِ ، وَفَتحِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ وَالطّاءِ المُهْمَلَةِ ، بَيْنَهُمَا يَاءٌ مُثَنَّاةٌ من تَحتِ ، وَبِالرّاءِ المُهْمَلَةِ فِي آخِرِهِ ؛ مِثْلُ العَمَيْثَلِ : طَائِرٌ طَوِيْلُ العُنُقِ جِدّاً ، يُرَى أَبَداً فِي المَاءِ الضَّحْضَاحِ .

وَيُكْنَى بِأَبِي العَيْزَارِ . كَذَا قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ وابْنُ الأَثِيرِ[3] ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمَا أَرادا بِهِ مَالِكاً الحَزِينَ .

● وَقَالَ فِي « المُحكم »[4] : الكُرْكِيُّ يُكْنَى أَبَا العَيْزَارِ ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكرُ العَمَيْثَلِ فِي « بابِ العينِ المهملَةِ » .

٤٢٠ السُّحَلَةُ : كَالهُمَزَةِ : الأَرْنَبُ الصَّغِيْرَةُ التي قد ارْتَفَعَتْ عن الخِرْنِقِ ، وَفَارَقَتْ أُمَّها[5] .

٤٢١ السُّحْلِيَّةُ : بِضَمِّ السِّيْنِ : العَظَايَةُ .

● قَالَ ابْنُ الصّلاحِ : هِيَ دُوَيْبَّةٌ أَكْبَرُ من الوَزَغِ .

وَقَدْ عَدَّ فِي « الرَّوْضَةِ » العَظَايَةَ من نَوْعِ الوَزَغِ ، وَقَالَ : إِنَّها مُحَرَّمَةٌ .

---

(١) أَورد الجوهريُّ في الصِّحاح « سبت » ١/ ٢٥١ البيت الأَخير فحسب ! .

(٢) الاستيعاب ٣/ ١١٥٨ . وفيه : . . . ولأَخيهِ مزرّد .

(٣) الصّحاح « سبطر » ٢/ ٦٧٦ والمرصّع ٢٤٣ .

(٤) وعنه اللّسان « عزر » ٤/ ٢٩٢٥ .

(٥) عن الصِّحاح « سحل » ٥/ ١٧٢٦ .

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَصَاحِبُ « الكِفَايَةِ » : وَذَكَرُ العَظَايَةِ يُسَمَّى العَضْرَفُوط ، بِفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ ، وَتَسْكِيْنِ الضّادِ المُعْجَمَةِ ، وَبِالفاءِ وَالواوِ ، وَالطَّاءِ فِي آخِرِهِ .

وَذَكَرَ الجاحِظُ أَنَّ العَضْرَفُوطَ بِلُغَةِ قَيْسٍ ، هِيَ العَظَايَةُ[1] .

وَسَيَأْتِي إِن شاء اللهُ تَعالَى فِي « بابِ العَينِ المُهْمَلَةِ » قَوْلُ الأَزْهَرِيّ : هِيَ دُوَيْبَّةٌ مَلْسَاءُ ، تَعْدُو وَتَتَرَدَّدُ كَثِيْراً ، تُشْبِهُ سَامَّ أَبْرَصَ ، إِلاّ أَنَّها لا تُؤْذِي ، وَهِيَ أَحْسَنُ مِنْهُ .

٤٢٢ السَّحَا : بِفَتْحِ السِيْنِ ، وَالحَاءِ المهملتينِ : الخُفّاشُ ؛ الواحِدَةُ سَحَاةٌ ، مَفْتُوحانِ مَقْصُورانِ[2] . قَالَهُ النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « الخفّاشِ » فِي « بابِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ » .

٤٢٣ سُحْنُون : بِفَتْحِ السِّيْنِ وَضَمِّها : طائِرٌ حَدِيْدُ الذِّهْنِ يَكُونُ بِالمَغْرِبِ ، يُسَمُّونَهُ سَحْنُوناً لِحِدَّةِ ذِهْنِه وَذَكائِه .

وَبِهِ سُمِّيَ سَحْنُونُ بنُ سَعِيدِ التَّنُوخيُّ القَيْرَوانِيُّ ، وَهُوَ لَقَبٌ فَرْدٌ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ السَّلام ، وَهُوَ تِلْمِيْذُ ابْنِ القاسِمِ ، وَهُوَ مُصَنِّفُ « المُدَوَّنَةِ » ؛ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ كَتَبَها أَسَدُ بنُ الفُراتِ عن ابْنِ القاسِمِ غَيْرَ مُرَتَّبَةٍ ، ثُمَّ بَخِلَ بِهَا ابْنُ الفُراتِ عَلَى سَحْنُونَ ، فَدَعَا عَلَيْهِ ابْنُ القاسِمِ أَنْ لا يَنْفَعَ اللهُ بِهَا وَلا بِهِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ ؛ فَهِيَ مَتْرُوكَةٌ ، وَالعَمَلُ عَلَى « مُدَوَّنَةِ سَحْنون » .

وَوَفاتُهُ فِي شَهْرِ رَجَب سَنَةَ أَربَعِينَ وَمِئَتَيْنِ ؛ وَوُلِدَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، سَنَةَ سِتِّيْنَ وَمِئَةٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه[3] .

---

(١) الحيوان ١/ ١٤٥ و ٦/ ٢٠ .

(٢) عن الصِّحاح « سحا » ٦/ ٢٣٧٢ .

(٣) عن وفيات الأعيان ٣/ ١٨٠ ـ ١٨٢ ففيه ترجمته ، وترتيب المدارك ٤/ ٤٥ ورياض النُّفوس=

٤٢٤ السَّخْلَةُ : وَلَدُ الشّاةِ من الضَّأْنِ أَوِ المَعزِ ، ذَكَراً كان أَوْ أُنْثَى ، وَالجَمْعُ سَخْلٌ وَسِخَلَةٌ وَسِخَالٌ[1] ، قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الطويل]

فَلِلْمَوْتِ تَغْذو الوالِداتُ سِخالَها كَما لِخَرابِ الدُّوْرِ تُبْنَى المَساكِنُ

وَهَذِهِ لامُ العاقِبَةِ ، كَقَوْلِ الآخَرِ[3] : [من البسيط]

أَمْوالُنا لِذَوِي المِيْراثِ نَجْمَعُها وَدُورُنا لِخَرابِ الدَّهْرِ نبنيها

ولَمْ يَبْنُوها لِلْخَرابِ ، وَلَكِنْ إِلَيْهِ مَآلُها ؛ كَقَوْلِ الآخَرِ[4] : [من المُتقارِب]

فَإِنْ يَكُنِ المَوْتُ أَفْناهُمُ فَلِلْمَوْتِ ما تَلِدُ الوالِدَهْ

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص : ٨]
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[5] [يُونس : ٨٨] .

● وَيُقَالُ : للهِ مَلَكٌ يُنادِي كُلَّ يَوْمٍ : لِدوا لِلْمَوْتِ ، وَابْنُوا لِلْخَرابِ[6] .

فائِدَةٌ : قَالَ أَبُو زَيْدٍ : يُقَالُ لأَوْلادِ الغَنَمِ ساعَةَ وَضْعِها من الضَّأْنِ والمَعزِ جَمِيْعاً ، ذَكَراً كانَتْ أَوْ أُنْثَى : سَخْلَةٌ ، ثُمَّ هِيَ بَهْمَةٌ بِفَتْحِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ ، الذَّكَرُ

= ١/ ٣٤٥ وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٦٣ .

(١) عن الصِّحاح « سخل » ٥/ ١٧٢٨ .

(٢) البيت لسابق البربري في فقه اللُّغة للثَّعالبي ٣٢٨ والعقد الفريد ٢/ ٦٩ ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٨٠ وسابق البربري لعبد الله كنون ١٨ .

(٣) وهذا البيت لسابق البربري أَيضاً ، في بهجة المجالس ١/ ٣٣٧ ومختصر تاريخ دمشق ٩/ ١٨٠ والحماسة المغربيّة ٢/ ١٤٣١ وسابق البربري لعبد الله كنون ٤ .

(٤) البيت لشُتيم بن خويلد ، من قطعة في المنازل والدِّيار ٤٦١ .

(٥) وتتمَّة الآية ، وفيها موضع الشَّاهد : ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ .

(٦) الفقرة من ب . وهذا القول صدر بيت لأَبي العتاهية في ديوانه ٣٣ وعجزه :
فكُلُّكُم يَصيرُ إِلى ذَهابِ .

وَالأُنْثَى جَمِيعاً ، وَجَمْعُها بَهْمٌ .

فإذا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَفُصِلَتْ عن أُمِّها ، فَمَا كان من أَوْلادِ المَعْزِ فَهُوَ جِفارٌ ، وَاحِدُها جَفْرٌ ، وَالأُنْثَى جَفْرَةٌ .

فإذا رَعَى وَقَوِيَ ، فَهُوَ عَرِيضٌ وَعَتُودٌ ، وَجَمْعُها عِرْضَانٌ وَعِتْدَانٌ ؛ وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّه جَدْيٌ ، وَالأُنْثَى عَناقٌ ما لَمْ يَأْتِ عَلَيْهَا الحَوْلُ ، وَجَمْعُها عُنُوقٌ ؛ وَالذَّكَرُ : تَيْسٌ إذا أَتَى عَلَيه الحَوْلُ ، وَالأُنْثَى عَنْزٌ ، ثُمَّ تُجْذِعُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، فَالذَّكَرُ جَذَعٌ ، وَالأُنْثَى جَذَعَةٌ .

● رَوَى مَالِكٌ عن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قَالَ[1] : « اعْتَدَّ عَلَيهِم فِي الزَّكاةِ بِالسَّخْلَةِ » وَبِهِ اسْتَدَلَّ الشّافعيُّ وَغَيْرُهُ عَلَى أَنَّ ما نتج من الضَّأْنِ يُزَكَّى بِحَوْلِ الأَصْلِ ، لأَنَّ الحَوْلَ إِنَّما اعْتُبِرَ لِلنَّماءِ ، وَالسِّخَالُ فِي نَفْسِها نَماءٌ ، حتّى لو نَتَجَتْ قَبْلَ الحَوْلِ بِلَحْظَةٍ ، تُزَكَّى بِحَوْلِ النِّصابِ ، وَإِنْ ماتَتِ الأُمَّهاتُ كُلُّها قَبْلَ انْقِضاءِ حَوْلِها عَلَى الأَصَحِّ .

وَقِيلَ : يُشْتَرَطُ بَقاءُ نِصابٍ من الأُمَّهاتِ ؛ وَقِيلَ : يُشْتَرَطُ بَقاءُ شَيْءٍ مِنها وَلو واحِدَةٌ .

● وَرَوَى « الإمامُ أحمد » و« أَبُو يَعْلَى المَوصليّ » من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[2] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بِسَخْلَةٍ جَرْباءَ ، قد أَخْرَجَها أَهْلُها ، فَقَالَ : « وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ تَعالَى من هَذِهِ عَلَى أَهْلِها » .

● وَرَوَى البَزَّارُ في « مُسْنَدِهِ »[3] عن أَبِي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بِدِمْنَةِ قَوْمٍ ، فِيْها سَخْلَةٌ مَيْتَةٌ ، فَقَالَ ﷺ : « أَما لأَهْلِها فِيها

---

(١) الموطأ ١/ ٢٦٥ .

(٢) التّرمذيّ (٢٣٢١) وابن ماجه (٤١١١) ومسند أحمد ٤/ ٢٢٩ و ٢٣٠ .

(٣) والتّرمذيّ (٢٣٢٠) .

حاجَةٌ ؟ » فقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، لو كان لأَهْلِها فِيها حاجَةٌ ما نَبَذُوها . قَالَ ﷺ : « فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ من هَذِهِ السَّخْلَةِ عَلَى أَهْلِها ، فَلا أُلْفِيَنَّها أَهْلَكَتْ أَحَدَكُمْ » .

● وَفِي « سِيرةِ ابنِ هِشَام »[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمّا خَرجَ هُوَ وَأَصْحابُهُ إلى غَزْوَةِ بَدْرٍ ، لَقَوْا رَجُلاً من الأَعْرابِ ، فَسَأَلُوهُ عن النّاسِ ، فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ خَبَراً ، فَقَالَ لَهُ النّاسُ : سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ . فقَالَ : أَوَفِيكُمْ رَسُولُ اللهِ ؟ قَالُوا : نَعم ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللهِ ، فَأَخْبِرْنِي عَمّا فِي بَطْنِ نَاقَتِي هَذِهِ ؟ فقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بن سَلامة بن وَقْش ، وَكَانَ غُلاماً حَدَثاً : لا تَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ، وَأَقْبِلْ عَلَيَّ ، فأَنَا أُخْبِرُكَ بِذَلِكَ ؛ نَزَوْتَ عَلَيْها ، فَفِي بَطْنِها مِنْكَ سَخْلَةٌ ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَهْ ، فَحَشْتَ على الرَّجُلِ » ، ثُمَّ أَعْرَضَ عن سَلَمَةَ .

● وَرَواهُ الحاكِمُ في « المستدرك »[2] من حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ ، عن أَبي الأَسْوَدِ ، عن عُرْوَةَ بِزِيادَةٍ : وهُوَ أَنَّهُ قَالَ : « لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً من أَهْلِ البادِيَةِ ، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلى بَدْرٍ ، لَقِيَهُ بالرَّوْحَاءِ ، فَسَأَلَهُ القَوْمُ عن خَبَرِ النّاسِ ، فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ خَبَراً ، فَقَالُوا لَهُ : سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ فَقَالَ : أَوَفِيكُمْ رَسُولُ اللهِ ؟ قَالُوا : نعم ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللهِ ، فَأَخْبِرْنِي عَمّا في بَطْنِ نَاقَتِي هَذِهِ . فَقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بن سَلامَة بن وَقْشٍ ، وَكَانَ غُلاماً حَدَثاً : لا تَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ، وَأَقْبِلْ عَلَيَّ ، فَأَنَا أُخْبِرُكَ عن ذَلِكَ ؛ نَزَوْتَ عَلَيْها فَفِي بَطْنِها سَخْلَةٌ مِنْكَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَهْ ، فَحَشْتَ على الرَّجُلِ » ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يُكَلِّمْهُ كَلِمَةً واحِدَةً حَتَّى قَفَلُوا .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٣ ومغازي الواقدي ١/ ٤٦ .

(٢) المستدرك ٣/ ٤١٨ ومغازي الواقدي ١/ ١١٦ .

وَاسْتَقْبَلَهُمُ المُسْلِمُونَ بِالرَّوْحَاءِ يُهَنِّئُونَهُمْ ، فَقَالَ سَلَمَةُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ما الذي يُهَنِّئُونك ؟ واللهِ إن رَأَيْنا إلاّ عجائزَ صُلْعاً كالبُدْنِ المُعْتَقَلةِ ، فَنَحَرْناها . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ فِراسَةً ، وإنَّما يَعْرِفُها الأَشْرافُ » .

ثُمَّ قَالَ : هَذَا صَحِيحٌ مُرْسَلٌ .

● وَيَتَّصِلُ بِذِكْرِ الفَرَاسَةِ ، ما رَوَاهُ « الحاكِمُ » عن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ[1] : أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلاثَةٌ : العَزِيزُ حِيْنَ تَفَرَّسَ في يُوسُفَ ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف : ٢١] والمَرْأَةُ التي رَأَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقَالَتْ لأَبِيْها : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص : ٢٦] وَأَبُو بَكْرٍ حِيْنَ اسْتَخْلَفَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما .

قَالَ الحاكِمُ : فَرَضِيَ اللهُ تَعالَى عن ابْنِ مَسْعُودٍ ، لَقَدْ أَحْسَنَ في الجَمْعِ بَيْنَهُمْ بِهَذَا الإِسْنادِ الصَّحِيح .

● فَرْعٌ : السَّخْلَةُ المُرَبّاةُ بِلَبَنِ كَلْبَةٍ ، لَهَا حُكْمُ الجَلاّلَةِ ؛ يُكْرَهُ أَكْلُها كَراهَةَ تَنْزِيهٍ على الأَصَحِّ ، في « الشَّرْحِ الكَبِيرِ » و« الرَّوْضَة » و« المِنْهاج » . وَبِهِ جَزَمَ الرُّويانيّ والعِراقيُّونَ .

وَقَالَ أَبُو إِسْحاق المَرْوَزِيّ والقَفّالُ : كَراهَةَ تَحْرِيمٍ ، وَرَجَّحَهُ الإِمامُ والغَزاليُّ والبَغَوِيُّ والرَّافعيُّ في « المُحَرَّرِ » .

وَالجَلاَّلَةُ : هِيَ الّتِي تَأْكُلُ العَذِرَةَ والنَّجاساتِ ، سَواءٌ كانَتْ من الإِبِلِ أَوِ البَقَرِ أَوِ الغَنَمِ أَوِ الدَّجاجِ أَوِ الإِوَزِّ أَوِ السَّمَكِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ من المَأْكُولِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الدّالِ المُهْمَلَةِ » في « الدّجاج » : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إِذا أَرادَ أَنْ يَأْكُلَ دَجاجَةً ، أَمَرَ بِها فَرُبِطَتْ أَيّاماً ، ثُمَّ يَأْكُلُها بَعْدَ ذَلِكَ .

---

(١) المستدرك ٢/ ٣٤٥ وتاريخ دمشق (جزء عمر) ٢١٧ و ٢١٨ ومختصره ١٨/ ٣١١ .

● وَرَوَى « الدَّارَ قُطْنيّ » و« الحاكم » و« البَيْهَقِيُّ » عن عبدِ اللهِ بن عَمرو رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما[1] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عن أَكْلِ الجَلاَّلَةِ ، وَشُرْبِ أَلْبانِها ، حَتّى تُحْبَسَ » .

قَالَ الحاكِمُ : صَحِيحُ الإِسْنادِ . وَقَالَ البَيْهَقِيُّ : لَيْسَ بالقَوِيِّ .

ثُمَّ إِنْ لَمْ يَظْهرْ بِسَبَبِ ذَلِكَ تَغَيُّرٌ في لَحْمِها ، فَلا تَحْرِيمَ وَلا كَرَاهَةَ .

وَاخْتَلَفُوا فِيما يُناطُ بِهِ الحُرْمَةُ والكَراهَةُ ؛ فَنَقَلَ الرّافعيُّ عن « تَتِمَّةِ التَّتِمَّةِ » أَنَّهُ إِنْ كان أَكْثَرُ أَكْلِها الطَّاهِراتِ ، فَلَيْسَتْ بِجَلاَّلَةٍ ؛ والأَصَحُّ أَنَّهُ لا اعْتِبَارَ بالكَثْرَةِ ، بَلْ بالرّائِحَةِ ؛ فَإِنْ كان يُوجَدُ في عَرَقِها ، أَوْ فِيْها ، أَدْنَى رِيْحٍ للنَّجاسَةِ ، وَإِنْ قَلَّ ، فَالمَوْضِعُ مَوْضِعُ النَّهْيِ ، وإِلاّ فَلا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّ مَوْضِعَ النَّهْيِ ، ما إِذا وُجِدَتْ رائِحَةُ النَّجاسة بِتَمامِها ، أَوْ كَانَتْ تَقْرَبُ من الرَّائِحَةِ ؛ فَأَمّا إِذا كانَتِ الرَّائِحَةُ التي تُوجَدُ يَسِيرَةً ، فلا اعْتِبَارَ بها .

والصَّحِيحُ الأَوَّلُ ، إِلْحاقاً لَها بِالتَّغَيُّرِ اليَسِيرِ بِالنَّجاسَةِ في المِيَاهِ .

فَإِن عُلِفَتِ الجَلاّلَةُ عَلَفاً طاهِراً مُدَّةً ، حَتَّى طَابَ لَحْمُها وَزَالَتِ النَّجاسَةُ ، زَالَتِ الكَراهَةُ ؛ ولا تُقَدَّرُ مُدَّةُ العَلَفِ عِنْدَنَا بِزَمَنٍ ، بَلِ المُعتبرُ زَوالُ الرَّائِحَةِ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ .

قَالَ الرَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : وَعَنْ بَعْضِ العُلَمَاءِ : تَقْدِيرُ العَلَفِ في الإِبِلِ والبَقَرِ بِأَرْبَعِينَ يَوْماً ، وَفِي الغَنَمِ بِسَبْعَةِ أَيّامٍ ؛ وَفِي الدَّجاجِ بِثَلاثَةِ أَيّامٍ .

قَالَ : وَهُوَ مَحْمُولٌ عِنْدَنا على الغالِبِ . انتهى .

فَإِنْ لَمْ تُعْلَفْ ، لَمْ يَزُلِ المَنْعُ بِغَسْلِ اللَّحْمِ بَعْدَ الذَّبْحِ ، ولا بِطَبْخِهِ وَشَيِّهِ

---

(١) المستدرك ٢/ ٣٤ وسنن الدارقطني ٤/ ٢٨٣ .

وَتَجْفِيفِهِ في الهَواءِ ، وإِنْ زَالَتِ الرَّائِحَةُ بِمُرُورِ الزَّمانِ عِنْدَ صاحِبِ « التَّهْذِيبِ » ؛ وَقِيلَ : بِخِلافِهِ .

وَكَمَا يُمْنَعُ لَحْمُها ، يُمْنَعُ لَبَنُها وَبَيْضُها ، وَيُكْرَهُ الرُّكُوبُ عَلَيْها من غَيْرِ حائِلٍ بَيْنَ الرَّاكِبِ وَبَيْنَها .

وَيَطهرُ جِلْدُها بِالدِّباغِ ؛ وَالأَصَحُّ أَنَّهُ كَاللَّحْمِ ، وَلا يَطهرُ بِالذَّكاةِ عِنْدَ القائِلِ بِالتَّنْجِيس .

● وَسُئِلَ سَحْنُون عن خَرُوفٍ أَرْضَعَتْهُ خِنْزِيْرَةٌ ، فَقَالَ : لا بَأْسَ بِأَكْلِهِ .

قَالَ الطَّبريُّ : العُلَمَاءُ مُجْمِعُونَ على أَنَّ الجَدْيَ إِذا اغْتَذَى بِلَبَنِ كَلْبَةٍ أَوْ خِنْزِيْرَةٍ ، لا يَكُونُ حَراماً ؛ وَلا خِلافَ في أَنَّ أَلْبَانَ الخَنازِيرِ نَجِسَةٌ كَالعَذِرَةِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : المَعْنَى فِيهِ أَنَّ لَبَنَ الخِنْزِيْرَةِ لا يُدْرَكُ في الخَرُوفِ إِذا ذُبِحَ ، بِذَوْقٍ وَلا شَمِّ رائِحَةٍ ؛ فَقَدْ نَقَلَهُ اللهُ تَعالَى وَأَحالَهُ كَمَا يُحِيلُ الغِذَاءَ ، وإِنَّما حَرَّمَ اللهُ تَعالَى أَكْلَ أَعْيَانِ النَّجاسَاتِ المُدْرَكاتِ بِالحَواسِّ . كَذَا قَالَهُ أَبُو الحَسَن عليّ بن خَلَف بن بَطّال القُرطبيُّ في « شَرْحِ البُخارِيِّ » .

وَوَفاتُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبعمئة ، وَهُوَ أَحَدُ شُيُوخِ أَبي عُمر ابن عَبْدِ البَرِّ[1] ، رَحْمَةُ اللهِ تَعالَى عَلَيْهِ .

٤٢٥ السِّرْحانُ : بِكَسْرِ السِّيْنِ : الذِّئْبُ ، وَالجَمْعُ : سَراحٌ وَسَراحِينٌ ؛ وَالأُنْثَى سِرْحَانَةٌ بِالهاءِ ، وَالجمعُ كَالجَمْع .

وَالسِّرْحَانُ : الأَسَدُ بِلُغَةِ هُذَيْلٍ ؛ قَالَ أَبُو المُثَلّم يَرْثِي مَيّتاً[2] : [من البَسيط]

هَبّـاطُ أَوْدِيَـةٍ ، حَمّـالُ أَلْـوِيَـةٍ   شَهّـادُ أَنْـدِيَـةٍ ، سِـرْحـانُ فِتْيَـانِ

---

(١) ترجمة ابن بطّال ، في : الصّلة لابن بشكوال ٤١٤ والوافي بالوفيات ٧٩/٢١ وسير أعلام النُّبلاء ٤٧/١٨ .

(٢) ديوان الهذليّين ٢٣٩/٢ وشرح أشعار الهذليّين ٢٨٥/١ .

وَقَالَ سِيبويه : نُونُ سِرْحانَ زائِدَةٌ ، وَهُوَ فِعْلانٌ ، وَالجَمْعُ سَراحِينُ . قَالَ الكِسَائِيُّ : والأُنْثَى سِرْحانَةٌ[1] .

● حَكَى القَزْوِينيُّ[2] عن بَعْضِ الرُّعاةِ : أَنَّهُ نَزَلَ وادِياً بغَنَمِهِ ، فَسَلَبَ سِرْحانٌ شاةً من غَنَمِهِ ، فقَامَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَنادَى : يا عامِرَ الوادِي ؛ فَسَمِعَ صَوْتاً : يَا سِرْحانُ ، رُدَّ عَلَيْهِ شَاتَهُ ؛ فَجَاءَ الذِّئْبُ بِالشّاةِ ، وَتَرَكَها وَذَهَبَ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ حُكْمُهُ وخَواصُّهُ وتَعْبِيرُهُ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[3] : « سَقطَ العَشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَان » . قَالَ أَبُو عُبَيْد : أَصْلُهُ أَنَّ رَجُلاً ، خَرَجَ يَلْتَمِسُ العَشَاءَ ، فَسَقَطَ عَلَى ذِئْبٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: أَصْلُهُ أَنَّ دَابَّةً خَرَجَتْ تَطْلُبُ العَشَاءَ، فَلَقِيَها ذِئْبٌ فَأَكَلَها.

وَقَالَ ابْنُ الأَعرابيّ : أَصْلُهُ أَنَّ رَجُلاً [من غَنِيٍّ] يُقَالُ لَهُ : سِرْحان [بن هَزْلة[4]] ، كان بَطَلاً [فاتِكاً] يَتَّقِيهِ النّاسُ ، فَقَالَ رَجُلٌ[5] يَوْماً : وَاللهِ لأَرْعَيَنَّ إِبِلِي هَذَا الوادِي ، وَلا أَخافُ سِرْحان بن هَزْلة ؛ فَأَتَى إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وَأَخَذَ إِبِلَهُ ، وَقَالَ[6] : [من الكامل]

أَبْلِغْ نَصِيْحَةَ أَنَّ راعِيَ إِبْلِها ... سَقَطَ العَشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحانِ[7]

---

(١) عن الصِّحاح « سرح » ١/ ٣٧٤ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٤١ .

(٣) الميداني ١/٣٢٨ والعسكري ١/ ٥١٤ والزمخشري ٢/ ١١٩ وأَمثال أَبي عبيد ٢٥٠ وفصل المقال ٣٦٢ . والزِّيادات من الميداني مصدر المؤلِّف .

(٤) كذا في الميداني ، وعند العسكري : سرحان بن أَرطاة بن حنش . وعند البكري : سرحان بن معتب بن الأَحبّ الغنوي .

(٥) هو يزيد بن رويم ، عند العسكري . وهو رجلٌ من بني أَسد ، عند البكري .

(٦) البيتان لهزلة بن معتب الغنوي (البكري) . وعند العسكري : لابن يزيد بن رويم .

(٧) نصيحة : هي امرأَة الأَسدي المقتول . (البكري) .

سَقَطَ العَشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ طَلْقِ اليَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِطِعَانِ[1]

يُضْرَبُ في طَلَبِ الحاجَةِ ، تُؤَدِّي صاحِبَها إلى التَّلَفِ .

٤٢٦ السَّرَطَانُ : بِفَتْحِ السِّينِ والرّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ ، وَبالنُّونِ في آخِرِهِ : حَيوانٌ مَعْرُوفٌ ، وَيُسَمَّى عَقْرَبَ المَاءِ ؛ وَكُنْيَتُهُ : أَبُو بَحْرٍ[2] ؛ وَهُوَ من خَلْقِ المَاءِ ، وَيَعِيشُ في البَرِّ أَيْضاً ، وَهُوَ جَيِّدُ المَشْيِ ، سَرِيعُ العَدْوِ ، ذُو فَكَّيْنِ وَمَخالِبَ وَأَظْفَارٍ حِدادٍ ، كَثِيرُ الأَسْنانِ ، صُلْبُ الظَّهْرِ .

مَنْ[3] رَآهُ رَأَى حَيواناً بِلا رَأْسٍ وَلا ذَنَبٍ ، عَيْناهُ في كَتِفَيْهِ ، وَفَمُهُ في صَدْرِهِ ، وَفَكّاهُ مَشْقُوقانِ من الجانِبَيْنِ ، وَلَهُ ثَماني أَرْجُلٍ ، وَهُوَ يَمْشِي عَلَى جانِبٍ واحِدٍ ، وَيَسْتَنْشِقُ المَاءَ وَالهَواءَ مَعاً .

وَيَسْلَخُ جِلْدَهُ في السَّنَةِ سِتَّ مَرَّاتٍ ، وَيَتَّخِذُ لِجُحْرِهِ بابَيْن ، أَحَدُهُما شارِعٌ في المَاءِ ، وَالآخَرُ إلى اليَبَسِ ، فإذا سَلَخَ جِلْدَهُ سَدَّ عَلَيْهِ ما يَلِي المَاءَ ، خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ من سِباعِ السَّمَكِ ، وَتَرَكَ ما يَلِي اليَبَسَ مَفْتُوحاً لِيَصِلَ إِلَيْهِ الرِّيْحُ ، فَتَجِفُّ رُطُوبَتُهُ وَيَشْتَدُّ ؛ فَإِذا اشْتَدَّ فَتَحَ ما يَلِي المَاءَ وَطَلَبَ مَعاشَهُ .

وَقالَ أَرسطاطاليس في « النُّعُوتِ »[4] : وَزَعَمُوا أَنَّهُ إذا وُجِدَ سَرَطانٌ مَيِّتٌ في حُفْرَةٍ ، مُسْتَلْقِياً عَلَى ظَهْرِهِ في قَرْيَةٍ أَوْ أَرْضٍ ، تَأْمَنُ تِلْكَ البُقْعَةُ من الآفاتِ السَّماوِيَّةِ ، وإِذا عُلِّقَ عَلَى الأَشْجارِ يَكْثُرُ ثَمَرُها .

● وَفِي وَصْفِهِ قَالَ الشّاعِرُ : [من السريع]

---

(١) المتقمّر : الذي يأخذ الشّيء غصباً وغلبةً . (العسكري) . ومتقمّر : أن يرعى إبله في القمر . (البكري) .

(٢) المرصّع ٨٧ .

(٣) مسالك الأبصار ٢٠ / ١٣٧ وعجائب المخلوقات ١٠٠ .

(٤) عجائب المخلوقات ١٠٠ .

فِي سَرَطَانِ البَحْرِ أُعْجُوبَةٌ ظَاهِرَةٌ لِلْخَلْقِ لا تَخْفَى
مُسْتَضْعَفُ المِشْيَةِ لَكِنَّهُ أَبْطَشُ مِن جاراتِهِ كَفّا
يُسْفِرُ لِلنّاظِرِ عن حَمْلَةٍ مَتَى مَشَى قَدَّرَها نِصْفا

وَيُقَالُ : إِنَّ بِبَحْرِ الصِّيْنِ سَرَطاناتٍ ، مَتَى خَرَجَتْ إلى البَرِّ اسْتَحْجَرَتْ ، وَالأَطِبَّاءُ يَتَّخِذُونَ مِنْها كُحْلاً يَجْلُو البَيَاضَ .

وَالسَّرَطَانُ لا يَتَخَلَّقُ بِتوالُدٍ وَلا نِتاجٍ ، إِنَّما يَتَخَلَّقُ فِي الصَّدَفِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ وَيَتَوَلَّدُ .

● وَفِي « الحِلْيَةِ »[1] عن أَبي الخَيْرِ الدَّيْلَمِيّ ، أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ خَيْرٍ النَّسَّاجِ ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ وَطَلَبَتْ أَنْ يَنْسُجَ لَها مِنْدِيلاً ، وَقالَتْ لَهُ : كَمِ الأُجْرَةُ ؟ فَقَالَ لَها : دِرْهَمَانِ ، فَقَالَتْ : ما مَعِي السّاعَةَ شَيْءٌ ، وَغَداً آتِيْكَ بِهِما إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ؛ فَقَالَ لَها : إِذا أَتَيْتِنِي وَلَمْ تَرَيْنِي ، فَارْمِي بِهِما في الدِّجْلَةِ ؛ فَإِنِّي إِذا رَجَعْتُ أَخَذْتُهُما مِنْها إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى . فَقالَتْ : حُبّاً وَكَرامَةً .

قَالَ أَبُو الخَيْرِ : فَجَاءَتِ المَرْأَةُ من الغَدِ ، وَخَيْرٌ غائِبٌ ، فَقَعَدَتْ سَاعَةً تَنْتَظِرُهُ ، ثُمَّ قامَتْ وَأَلْقَتْ خِرْقَةً في الدِّجْلَةِ فِيها الدِّرْهَمَانِ ؛ فَإِذا سَرَطانٌ قد تَعَلَّقَ بِالخِرْقَةِ ، وَغَاصَ في المَاءِ ؛ ثُمَّ جَاءَ خَيْرٌ بَعْدَ سَاعَةٍ ، فَفَتَحَ بَابَ حانُوتِهِ ، وَجَلَسَ عَلَى الشَّطِّ يَتَوَضَّأُ ، وإِذا بِسَرَطانٍ خَرَجَ من المَاءِ يَسْعَى نَحْوَهُ ، وَالخِرْقَةُ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَلَمّا قَرُبَ من الشَّطِّ ، أَخَذَها ، وَذَهَبَ السَّرَطَانُ إِلى حَالِ سَبِيلِهِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا ؛ فَقَالَ : أُحِبُّ أَنْ لا تَبُوحَ بِهَذَا فِي حَيَاتِي . فَأَجَبْتُهُ إِلى ذَلِكَ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ لاسْتِخْبَاثِهِ كَالصَّدَفِ . قَالَ الرَّافِعِيُّ : وَلِما فِيهِ من الضَّرَرِ .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٠٨ .

وَفِي قَوْلٍ : إِنَّهُ يَحِلُّ أَكْلُهُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ رَحْمَةُ اللهِ تَعالَى عَلَيْهِ .

الخَواصُّ[1] : أَكْلُ السَّرَطَانِ يَنْفَعُ وَجَعَ الظَّهرِ وَيُصلبُهُ. قَالَ فِي «النُّعُوتِ» : من عُلِّقَ عَلَيْهِ رَأْسُ سَرطَانٍ ، لم يَنَمْ إِذا كان القَمَرُ مُحْتَرِقاً ؛ فإِنْ كان غَيْرَ مُحْتَرِقٍ نَامَ .

وإِنْ أُحْرِقَ السَّرَطَانُ ، وَحُشِيَ بِهِ البَواسِيرُ كَيْفَ كَانَتْ ، أَبْرَأَها .

وإِنْ عُلِّقَتْ رِجْلُهُ عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ ، سَقَطَ ثَمَرُها من غَيرِ عِلَّةٍ[2] .

وَلَحْمُهُ نافِعٌ لِلْمَسلُولِينَ جِدّاً .

وإِذا وُضِعَ السَّرطانُ عَلَى الجِراحَاتِ ، أَخْرَجَ النَّصْلَ ، وَيَنْفَعُ من لَسْعِ الحَيّاتِ والعَقَارِبِ .

التَّعْبِيرُ[3] : السَّرَطَانُ فِي المَنام : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى رجُلٍ كَثِيرِ الكَيْدِ ، لِكَثْرَةِ سِلاحِهِ ؛ عَظِيمِ الهِمَّةِ ، بَعِيدِ المَأْخَذِ ، عَسِرِ الصُّحْبَةِ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ أَكَلَ لَحْمَ سَرَطانٍ في مَنامِهِ ، فإِنَّهُ يُصِيبُ خَيْراً من أَرْضٍ بَعِيدَةٍ .

وَقَالَ جاماسب : لَحْمُ السَّرَطانِ في الرُّؤْيَا : مَالٌ حَرامٌ ؛ وَاللهُ أَعلَمُ .

٤٢٧ السُّرْعُوبُ : بِضَمِّ السِّينِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ، وَبالعَيْنِ المُهْمَلَةِ : ابْنُ عِرْسٍ[4] ؛ وَيُقَالُ لَهُ : النِّمْسُ . قَالَهُ في « كِفايَةِ المُتَحَفِّظ » .

٤٢٨ السَّرَفُوتُ : بِفَتْحِ السِّيْنِ والرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ ، وَضَمِّ الفَاءِ : دُوَيْدَةٌ

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٠ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣٧ ـ ١٣٩ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٩ و ١٠ وتذكرة داود ١/ ١٨٧ .

(٢) قال داود ١/ ١٨٨ : تعليق أرجلها على الشّجرة ، تمنع سقوط الثّمار .

(٣) تعبير الرُّؤيا ١٩٧ وتفسير الواعظ ٣٠٧ .

(٤) اللِّسان « سرعب » ٣/ ١٩٩٦ .

تُعَشِّشُ في كُورِ الزُّجاجِ فِي حَالِ تَوَقُّدِهِ واضْطِرامِهِ ، وَتبِيضُ فِيهِ وَتُفَرِّخُ ، وَلا تَعْمَلُ بَيْتَها إلاَّ في مَوْضِعِ النَّارِ المُسْتَمِرَّةِ الدَّائِمَةِ . كَذَا قَالَهُ « ابنُ خلّكان »[1] فِي تَرْجَمَةِ يَعْقوب بن صابر المنجنيقيّ .

وَهَذِهِ الدُّوَيْدَةُ تُشَارِكُ السَّمَنْدَلَ في هَذَا الوَصْفِ ، كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ .

٤٢٩ السُّرْفَةُ : بِضَمِّ السِّيْنِ ، وإِسْكانِ الرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ وَفَتْحِ الفَاءِ : الأَرَضَةُ .

قَالَ الجَوْهَرِيُّ[2] : إِنَّها دُوَيْبَّةٌ سَوْداءُ الرَّأْسِ وَسَائِرُها أَحمرُ ، تَتَّخِذُ لِنَفْسِها بَيْتاً مُرَبَّعاً من دِقاقِ العِيْدَانِ ، تَضُمُّ بَعْضَها إِلَى بَعْضٍ بلُعابها عَلَى مِثَالِ النَّاوُوسِ ، ثُمَّ تَدْخُلُ فِيهِ وَتَمُوتُ . وَيقَالُ : سَرَفَتِ السُّرْفَةُ الشَّجَرَةَ تَسْرِفُها ـ بِالكَسْرِ ـ سَرَفاً : إِذا أَكَلَتْ وَرَقَها ، فَهِيَ شَجَرَةٌ مَسْرُوفَةٌ . انتهى . عن ابْنِ السِّكِّيتِ .

● وَفِي « المُحكم »[3] : السُّرْفَةُ : دُودَةُ القَزِّ . وَقِيلَ : هِيَ دُودَةٌ [غبراءُ] تَبْنِي بَيْتاً حَسَناً [تكُونُ فِيهِ] .

● وَفِي الحَدِيثِ[4] : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما قَالَ لِرَجُلٍ : إذا أَتَيْتَ إِلى مِنَى ، وانْتَهَيْتَ إِلى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فإِنَّ هُناكَ شَجَرَةً لَمْ تُعْبَلْ ، وَلَمْ تُجْرَدْ ، وَلَمْ تُسْرَفْ ، وَلَمْ تُسْرَحْ ؛ قد سُرَّ[5] تَحْتَها سَبْعُونَ نَبِيَّاً ، فانْزِلْ تَحْتَها .

---

(١) وفيات الأعيان ٧/ ٤٤ .

(٢) الصِّحاح « سرف » ٤/ ١٣٧٣ وابن خلكان ٧/ ٤٢ والميداني ١/ ٤١١ والعسكري ١/ ٥٨٣ والزمخشري ١/ ٢١٣ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٦٤ والحيوان ٦/ ٣٨٥ وثمار القلوب ٢/ ٦٣٧ واللِّسان والتَّاج « سرف » .

(٣) هذه الفقرة من ب . وهي في اللِّسان « سرف » ٢/ ١٩٩٧ . والزِّيادات منه .

(٤) اللِّسان « سرف » والنِّهاية ٢/ ٣٦١ .

(٥) في أ : قد قبر . وفي ط : قد نزل . والمثبت من ب واللِّسان .

وَمَعْنَى لَم تُعْبَلْ : لَم يَسْقُطْ وَرَقُها . وَلَمْ تُجْرَدْ : لَمْ يُصِبْها الجَرادُ . وَلَمْ تُسْرَفْ : لَمْ تُصِبْها السُّرْفَةُ . وَلَمْ تُسْرَحْ : لَمْ يُصِبْها السَّرْحُ : أَي الإِبِلُ ، وَالغَنَمُ السَّارِحَةُ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُها لاسْتِخْباثِها ، لِأَنَّها من الحَشَراتِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا : « أَصْنَعُ من سُرْفَةٍ »[1] . وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلامُ عَلَيْها في « بابِ الهَمْزَةِ » .

٤٣٠ السُّرْمَانُ : دُوَيْبَّةٌ كَالحَجَلِ ؛ وَالسُّرْمَانُ أَيْضاً : ضَرْبٌ من الزَّنابيرِ ، أَصْفَرُ وَأَسْوَدُ ومُجَزَّعٌ[2] .

٤٣١ السِّرْوَةُ : الجَرادَةُ أَوَّلَ ما تكُونُ ، وَهِيَ دُودَةٌ ؛ وَأَصْلُهُ الهَمْزُ ؛ وَالسِّرْيَةُ لُغَةٌ فِيها[3] .

٤٣٢ السِّرْيَاحُ : الجَرادَةُ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[4] .

٤٣٣ السَّعْدَانَةُ : الحَمامَةُ[5] .

٤٣٤ السِّعْلاةُ: أَخْبَثُ الغِيْلانِ، وَكَذَلِكَ السِّعْلاءُ، تُمَدُّ وَتُقْصَرُ؛ والجَمْعُ السَّعَالَى؛ وَاسْتَسْعَلَتِ المَرْأَةُ: أَي صارَتْ سِعْلاةً؛ أَي صارَتْ صَخَّابَةً وَبَذِيَّةً.

● قَالَ الشَّاعِرُ[6] : [من الرجز]

---

(١) الصِّحاح « سرف » ٤/ ١٣٧٣ وابن خلكان ٧/ ٤٢ والميداني ١/ ٤١١ والعسكري ١/ ٥٨٣ والزمخشري ١/ ٢١٣ والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٢٦٤ والحيوان ٦/ ٣٨٥ وثمار القلوب ٢/ ٦٣٧ واللِّسان والتَّاج « سرف » .

(٢) اللِّسان « سرم » ٣/ ٢٠٠٠ .

(٣) عن الصِّحاح « سرا » ٦/ ٢٣٧٥ .

(٤) المخصَّص ٨/ ١٧٥ .

(٥) اللِّسان « سعد » ٣/ ٢٠١٣ .

(٦) الأَشطار في خزانة البغدادي ٧/ ١٦٧ ـ ١٧٣ . ونقل عن ابن المستوفي قوله : وجدتُ هذه=

لَقَـــدْ رَأَيْـــتُ عَجَبـاً مُـــذْ أَمْسـا   عَجـائِـزاً مِثْـلَ السَّعَـالَـى خَمْسَـا
يَـأْكُلْـنَ مـا أَصْنَـعُ هَمْسَـاً هَمْسـاً   لا تَـــرَكَ اللهُ لَهُـــنَّ ضِـــرْسَـا

وَأَنْشَدَ أَبُو عَمرو[1] : [من الرَّجز]

يَـــا قَبَّـــحَ اللهُ بَنِـــي السِّعْـــلاةِ   عَمـرَو بـن يَـرْبُـوعٍ شِـرارَ النَّـاتِ
لَيْســـوا أَعِفَّـــاءَ وَلا أَكْيَـــاتِ

قَلبَ السِّيْنَ تاءً ، وَهِيَ لُغَةُ بَعْضِ العَرَبِ .

● قَالَ الجاحِظُ[2] : يُقَالُ : إِنَّ عَمرَو بن يَرْبُوعٍ كان مُتَوَلِّداً من السِّعْلاةِ وَالإِنْسَانِ .

قَالَ[3] : وَذَكَرُوا أَنَّ جُرْهُماً كان من نِتاجِ المَلائِكَةِ وَبَناتِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

قَالَ : وَكَانَ المَلَكُ من المَلائِكَةِ ، إذا عَصَى رَبَّهُ فِي السَّمَاءِ أُهْبِطَ إِلى الأَرْضِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، كَمَا صُنِعَ بهارُوت وماروت ، فَواقَعَ بَعْضُ المَلائِكَةِ بَعْضَ بَناتِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَوَلَدَتْ جُرْهُماً ، وَلِذَلِكَ قَالَ شاعِرُهُمْ[4] : [من الرجز]

= الأَبيات الثَّمانية في كتاب نحوٍ قديم للعجَّاج أَبي رؤبة ، وأَراه بعيداً عن نمطه .
وهي في ديوان العجَّاج ٢/ ٢٩٦ (سطلي) . وبعضها بلا نسبة في شرح شذور الذهب ٩٩ ـ ١٠٠ وكتاب سيبويه ٣/ ٢٨٥ وأَمالي ابن الشَّجريّ ٢/ ٥٩٦ وسرح العيون ٣١٣ .

(١) الأَشطار لعلباء بن أَرقم ، في اللِّسان « تا » ١/ ٤١٠ ونوادر أَبي زيد ٣٤٥ و٤٢٣ . وفي أَمالي القالي ٢/ ٦٨ وقوافي التَّنوخيّ ١٢٣ والحيوان ١/ ١٨٧ و ٦/ ١٦١ بلا نسبة .
(٢) لم يقل الجاحظ هذا الكلام بنصِّه ، بل قال : تزوَّج عمرو بن يربوع السِّعلاة [٦/ ١٦١] وأَنَّ بَنيه يُعرفون ببني السِّعلاة ، وأَن علماء السُّوء يُظهرون تجويزها وتحقيقها . [٧/ ١٨٥] وينظر ١/ ١٨٥ و ٣٠٩ و ٦/ ١٩٧ وثمار القلوب ١/ ٤٤٣ .
(٣) الحيوان ١/ ١٨٧ ـ ١٨٨ و ٦/ ١٩٨ والمحاسن والمساوىء ١/ ١٦٦ .
(٤) الشَّطران لعمرو بن مضاض الجرهميّ ، في الحيوان ١/ ١٨٧ و ٦/ ١٩٨ والمحاسن والمساوىء ١/ ١٦١ وشرح القصائد السَّبع لابن الأَنباري ٢٥٥ .

لا هُـــمَّ إنَّ جُـــرْهُمـــاً عِبـــادُكـــا النَّـــاسُ طِـــرْفٌ وَهُـــمُ تِـــلادُكـــا

● قال : وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ كَانَتْ بلْقِيسُ مَلِكَةَ سَبأ ، وَكَذَلِكَ كان ذُو القَرنينِ ، كانَتْ أُمُّهُ آدِمِيَّةً وَأَبُوهُ من المَلائِكَةِ[1] .

وَلِذَلِكَ لَمَّا[2] سَمِعَ عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ رَجُلاً يُنادِي رَجُلاً : يَا ذا القَرْنَيْنِ . قَالَ : أَفَرَغْتُمْ من أَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ ، فارْتَفَعْتُمْ إِلى أَسماءِ المَلائِكَةِ . انتهى .

● وَالحَقُّ في ذَلِكَ أَنَّ المَلائِكة مَعْصُومُونَ من الصَّغائِرِ وَالكَبَائِرِ ، كَالأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، كَمَا قَالَهُ القاضِي عِياضٌ وَغَيْرُهُ .

وَأَمَّا ما ذَكَرَهُ من أَنَّ جُرْهُماً كان من نِتاجِ المَلائِكَةِ وَبَناتِ آدَمَ ، وَكَذَلِكَ ذُو القَرْنَيْنِ وبلْقِيسُ فَمَمْنُوعٌ ، واسْتِدْلالُهم بِقِصَّةِ هارُوت وماروت لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ فإِنَّها لَم تَثْبُتْ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أَوْرَدُوهُ ، بَلْ قَالَ ابنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : هُمَا رَجُلانِ سَاحِرَانِ كَانا بِبابِلَ ؛ وَقَالَ الحَسَنُ : كَانا عِلْجَيْنِ يَحْكُمانِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيُعَلِّمانِ النَّاسَ السِّحْرَ ، وَلَمْ يَكُونَا من المَلائِكَةِ ، لأَنَّ المَلائِكَةَ لا يُعَلِّمُونَ السِّحْرَ .

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ والحَسَنُ البَصْرِيُّ : ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلِكَيْنِ﴾ [البقرة : ١٠٢] بِكَسْرِ اللاَّمِ . وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُما إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الكَافِ » في « الكَلْبِ » .

● وَقَدِ اخْتُلِفَ في ذِي القَرْنَيْنِ وَنَسَبِهِ وَاسْمِهِ ؛ فَقَالَ صاحِبُ « ابْتِلاءِ

---

(١) عقّب الثّعالبيّ بعد إيراد هذا الخبر بقوله : وهي من حماقات العوامّ غير مستنكرٍ . (ثمار القلوب ١/ ٤٤٣) .

(٢) المحاسن والمساوىء ١/ ١٦٦ والحيوان ١/ ١٨٨ و ٤/ ٦٩ وثمار القلوب ١/ ٤٤٣ والسِّيرة النّبويّة ١/ ٣١٧ والبداية والنّهاية ٢/ ٥٣٧ والروض الأنف ٣/ ٩٢ .

الأَخْيَارِ »(١) : اسْمُ ذِي القَرْنَيْنِ : الإِسْكَنْدَرُ .

قَالَ(١) : وَكَانَ أَبُوهُ أَعْلَمَ أَهْلِ الأَرْضِ بِعِلْمِ النُّجُوم ، وَلَمْ يُراقِبْ أَحَدٌ الفَلَكَ ما رَاقَبَهُ ، وَكَانَ قد مَدَّ اللهُ تعالَى لَهُ فِي الأَجَلِ ، فَقَالَ ذاتَ لَيْلَةٍ لِزَوْجَتِهِ : قد قَتَلَنِي السَّهَرُ ، فَدَعِيْنِي أَرْقُدْ سَاعَةً ، وانْظُرِي إلى السَّمَاءِ ، فإذا رَأَيْتِ قد طَلَعَ في هَذَا المَكَانِ نَجْمٌ ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى مَوْضِعِ طاوَعَهُ ـ فَنَبِّهِينِي حَتَّى أَطَأَكِ ، فَتَعْلَقِي بِوَلَدٍ يَعِيشُ إِلى آخِرِ الدَّهْرِ ، وَكانَتْ أُخْتُهَا تَسْمَعُ كَلامَهُ .

ثُمَّ نَامَ أَبُو الإِسْكَنْدَر ، فَجَعَلَتْ أُخْتُ زَوْجَتِهِ تُراقِبُ النَّجْمَ ، فَلَمَّا طَلَّعَ النَّجْمُ ، أَعْلَمَتْ زَوْجَها بِالقِصَّةِ ، فَوَطِئَها ، فَعَلِقَتْ مِنْهُ بِالخَضِرِ ، فَكَانَ الخَضِرُ ابْنَ خَالَةِ الإِسْكَنْدَرِ وَوَزِيرَهُ .

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ أَبُو الإِسْكَنْدَر ، رَأَى النَّجْمَ قد نَزَلَ في غَيْرِ البُرْجِ الَّذِي كان يَرْقُبُهُ ، فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ : لِمَ لَمْ تُنَبِّهِيْنِي ؟ فَقَالَتْ : اسْتَحْيَيْتُ واللهِ ؛ فَقَالَ لَها : أَما تَعْلَمِيْنَ أَنِّي أُراقِبُ هَذَا النَّجْمَ منذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ؟ واللهِ لَقَدْ ضَيَّعْتِ عُمري في غَيْرِ شَيْءٍ ؛ وَلَكِنَّ السَّاعَةَ يَطلعُ في أَثَرِهِ نَجْمٌ ، فَأَطَؤُكِ فَتَعْلَقِينَ بِوَلَدٍ يَمْلكُ قَرْنَي الشَّمْسِ ؛ فَمَا لَبِثَ أَنْ طَلَعَ ، فَواقَعَها ، فَعَلِقَتْ بِالإِسْكَنْدَرِ ؛ وَوُلِدَ الإِسْكَنْدَرُ وابْنُ خالَتِهِ الخَضِرُ في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ ؛ ثُمَّ إِنَّ الإِسْكَنْدَرَ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بِتَمْكِيْنِهِ في الأَرْضِ ، وَفَتْحِ البِلادِ ، وَكَانَ من أَمْرِهِ ما كَانَ .

● وَرُوِيَ عن وَهْب بن مُنَبِّهٍ ، أَنَّهُ قَالَ(٢) : كان ذُو القَرْنَيْنِ رَجُلاً من الرُّوم ابنَ عَجُوزٍ من عَجائِزِهم ، لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ اسْمُهُ الإِسْكَنْدَر ، وَكَانَ عَبْداً صَالِحاً ؛ فَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ قَالَ اللهُ تعالَى : يَا ذَا القَرْنَيْنِ ، إِنِّي باعِثُكَ إِلى أُمَمٍ

---

(١) ابتلاء الأخيار ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢) ينظر في ترجمة ذي القرنين : مختصر تاريخ دمشق ٨/٢١٢ والبداية والنِّهاية ٢/٥٣٦ وما بعد ، وما نقله الثَّعالبي في ثمار القلوب ١/ ٤٤٠ ـ ٤٤٢ عن القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فهو نفيسٌ للغاية .

الأَرْضِ ، وَهُمْ أُمَمٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَهُمْ أَصنافٌ ؛ منهم أَمَّتانِ بَيْنَهُما طُولُ الأَرْضِ ، وَمِنْهُم أُمَّتانِ بَيْنَهُما عَرْضُ الأَرْضِ ، وَأُمَمٌ فِي وَسَطِ الأَرْضِ .

فَقَالَ ذُو القَرْنَيْنِ : إِلَهِي ، إِنَّكَ قد نَدَبْتَنِي لأَمْرٍ عَظِيمٍ ، لا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلاّ أَنْتَ ، فَأَخْبرنِي عن هَذِهِ الأُمَم التي نَدَبْتَنِي إِلَيْها ، بِأَيِّ قُوَّةٍ أُكاثِرُهم ؟ وَبأَيِّ صَبْرٍ أُقاسِيهم ؟ وَبأَيِّ لِسانٍ أُناطِقُهُمْ ؟ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَفْقَهَ لُغاتِهم ؟ وَبأَيِّ سَمْعٍ أَسْمَعُ قَوْلَهُمْ ؟ وَبأَيِّ بَصَرٍ أَنْقُدُهُمْ ؟ وَبأَيِّ حُجَّةٍ أُخاصِمُهم ؟ وَبأَيِّ عَقْلٍ أَعقلُ عَنْهُمْ ؟ وَبِأَيِّ قَلْبٍ وَحِكْمَةٍ أُدَبِّرُ أَمْرَهُمْ ؟ وَبأَيِّ قِسْطٍ أَعدلُ بَيْنَهم ؟ وَبأَيِّ مَعرفَةٍ أَفْصِلُ بَيْنَهُم ؟ وَبأَيِّ يَدٍ أَسْطُو عَلَيْهِم ؟ وَبأَيِّ رِجْلٍ أَطَؤُهُمْ ؟ وَبأَيِّ طَاقَةٍ أُحْصِيْهم ؟ وَبأَيِّ جُنْدٍ أَقاتِلُهم ؟ وَبأَيِّ رِفْقٍ أَتَأَلَّفُهُمْ ؟ وليس عندي - يَا إِلَهِي - شَيْءٌ مِمَّا ذكرتُ يَقُومُ لهم ، وَيَقْوى عليهِم وَيُطِيقُهم ؛ وَأَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ، الذِي لا يُكَلِّفُ نَفساً إِلاّ وُسْعَها ، وَلا يُحَمِّلُها إِلاّ طَاقَتَها .

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنِّي سأُطَوِّقُكَ وَأُجَمِّلُكَ ، وَأَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ فَتَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَأُقَوِّي لَكَ فَهْمَكَ فتفقهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَبسطُ لَكَ لِسانَكَ فتنطقُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَأَفْتَحُ لَكَ سَمْعَكَ فَتَعِي كُلَّ شيءٍ ، وَأُحِدُّ بَصرَكَ فتنقدُ كُلَّ شيءٍ ، وَأَشُدُّ لَكَ رُكْنَكَ فَلا يَغلبُكَ شَيءٌ ، وَأُقَوِّي لَكَ قَلْبَكَ فَلا يَرُوعُكَ شَيءٌ ، وَأَحْفَظُ لَكَ عَقْلَكَ فَلا يعزُبُ عَنْكَ شَيْءٌ ، وَأَبسطُ لَكَ ما بَيْنَ يَدَيْكَ فَتَسْطُو فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَشُدُّ لَكَ وَطْأَتَكَ فَتَهُدُّ كُلَّ شَيْءٍ ، وَأُلْبِسُكَ الهَيْبَةَ فَلا يَهُولَنَّكَ شَيْءٌ ؛ وَأُسَخِّرُ لَكَ النُّورَ والظُّلْمَةَ وَأَجْعَلُها جُنْداً من جُنُودِكَ ، يَهْدِيكَ النُّورُ من أَمامكَ ، وَتَحْفَظُكَ الظُّلمةُ من وَرائكَ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف : ٨٤] .

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ[١] : ذُو القَرْنَيْنِ : هُوَ الصَّعْبُ بن ذِي مَرْثَد الحِمْيَرِيّ ، من

---

(١) التِّيجان ١١٠ والبداية والنهاية ٢/ ٥٤٠ .

وَلَدِ وائِل بن حِمْيَر . وَقَالَ ابْنُ إِسْحاق[1] : اسْمُهُ مَرْزُبان بن مَرْذَبَة . كَذَا وَقَعَ في « السِّيْرَةِ » لَهُ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ الإِسكندر .

وَقِيلَ[2] : إِنَّهُ رَجُلٌ من وَلَدِ يُونانِ بن يافِث ، وَاسْمُهُ هِرْمِس ، وَيُقالُ له : هرديس .

وَالظَّاهِرُ[3] من عِلمِ الأَخبار والسِّيَرِ أَنَّهما اثْنَانِ ، أَحَدُهُما : عَلَى عَهْدِ إِبْراهيم ؛ وَيُقَالُ : إِنَّهُ الَّذِي قَضَى لإِبْراهيم حِينَ خاصَمَ إِلَيهِ في بِئْرِ السَّبعِ بِالشّامِ ، وَالثَّانِي : كان قَرِيباً من عهدِ عِيسى عليهِ السَّلام .

وَقِيلَ : إِنَّهُ أَفرِيدُون الَّذِي قَتَلَ المَلِكَ الطّاغِي ، الذِي كان عَلَى عهدِ إِبراهيم ، أَوْ قَبْلَهُ بِزَمَنٍ .

وَاخْتُلِفَ[4] فِي سَبَبِ تَلْقِيْبِهِ بِذِي القَرنينِ ؛ فَقَالَ بعضُهم : لأَنَّهُ مَلَكَ فارِسَ والرُّومَ .

وَقِيلَ : لأَنَّهُ كان فِي رَأسِهِ شِبْهُ القَرْنينِ .

وَقِيلَ : لأَنَّهُ رَأَى في المَنامِ ، كَأَنَّهُ آخِذٌ بِقَرْنَي الشَّمْسِ ، وَكَانَ تَأْوِيلُ رُؤْيَاهُ أَنَّهُ طَافَ المَشْرِقَ والمَغْرِبَ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ دَعا قَوْمَهُ إِلى التَّوْحِيدِ ، فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ الأَيْمَنِ ، ثُم دَعاهُم إِلى التَّوحِيدِ ، فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ الأَيْسَرِ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ كان كَرِيمَ الطَّرَفَيْنِ ، من أَهْلِ بَيْتِ شَرَفٍ ، من قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ .

وَقِيلَ : لأَنَّهُ انْقَرَضَ في وَقْتِهِ قَرْنانِ من النّاسِ وَهُوَ حَيٌّ .

---

(١) السِّيرة ١/ ٣٠٧ والبداية والنهاية ٢/ ٥٤٠ والروض الأنف ٣/ ٨٩ ـ ٩٠ .
(٢) البداية والنهاية ٢/ ٥٤١ .
(٣) تاريخ الطَّبري ١/ ٢١١ والبداية والنهاية ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ .
(٤) البداية والنهاية ٢/ ٥٣٩ والروض الأنف ٣/ ٨٩ ـ ٩٠ .

وَقِيلَ : لأَنَّهُ كان إِذا حارَبَ قاتَلَ بِيَدَيْهِ وَرِجلَيه جَمِيعاً .

وَقِيلَ : لأَنَّهُ دَخَلَ النُّورَ والظُّلْمَةَ .

وَقِيلَ : لأَنَّهُ كان لَهُ ذُؤابَتانِ حَسَنَتانِ ؛ وَالذُّؤابَةُ تُسَمَّى قَرْناً .

● قَالَ الرَّاعِي[1] : [من الكامل]

فَلَثَمْتُ فاها آخِذاً بِقُرُونِها شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ

وَقِيلَ : لأَنَّهُ أُعطِيَ عِلْمَي الظّاهِرِ والباطِنِ .

وَهُوَ رَجُلٌ من الإِسكندرِيَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : إِسكندر بن فيلبُّسِ الرُّوميّ ، وَكَانَ في الفَتْرَةِ بَعْدَ عِيسَى عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ .

● قَالَ مُجاهِدٌ[2] : مَلَكَ الأَرْضَ أَرْبَعةٌ : مُؤْمِنانِ وَكافِرانِ ؛ فَالمُؤْمِنانِ سليمان وذو القَرنينِ ، وَالكافِرانِ نُمروذٌ وَبُخْتَنَصَّرَ ، وَسَيَملكُها من هَذِهِ الأُمَّةِ خامِسٌ وَهُوَ المَهْدِيُّ .

وَاخْتُلِفَ في نُبُوَّتِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهم : كان نَبِيّاً ، لِقَوْلِه تَعالَى : ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف : ٨٦] .

وَقَالَ آخَرُونَ : كان مَلِكاً صَالِحاً عادِلاً ، وَلَعَلَّهُ الأَصَحُّ .

فَالقائِلُونَ بِنُبُوَّتِهِ ، قَالُوا : إِنَّ المَلَكَ الذِي كان يَنزِلُ عليه ، اسمه رقيائيل ، وهو مَلَكُ الأَرْضِ الذِي يَطوِي الأَرض يوم القِيامَةِ وَيُنْقِصُها ، فَتَقَعُ أَقْدامُ الخَلائِقِ كُلِّهم بِالسّاهِرَةِ . قَالَهُ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ .

---

(١) البيت لجميل بثينة ، في ديوانه ٤٢ . وانظره في ملحق ديوان الراعي ٣٠٢ .

(٢) نُسب هذا القول إلى سفيان الثَّوري ، في : مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢١٥ وسير أعلام النُّبلاء ٧/ ٣٠٤ والبداية والنِّهاية ٢/ ٥٤٣ . ونُسب إلى وهب بن منبه في المعارف ٣٢ . ورواه الثَّعالبيُّ مرفوعاً في ثمار القلوب ١/ ٤٤٢ .

● قَالَ السُّهَيْلِيُّ : وَهَذَا يُشاكِلُ تَوُكُّلَهُ بِذِي القَرنينِ الذِي قطعَ الأرض مَشَارِقَها وَمَغارِبَها ؛ كَمَا أَنَّ قصَّةَ خالِد بن سِنان العَبْسِيِّ[1] ، وَهُوَ نَبِيٌّ بَيْنَ عِيْسَى وَمُحمَّد عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فِي تَسخِيرِ النَّارِ مُشاكِلَةٌ لِحالِ المَلَكِ المُوَكَّلِ بِهِ ، وَهُوَ مالِكٌ خازِنُ النَّارِ .

وَسَيأْتِي ذِكْرُ خَالِدٍ وَنُبُوَّتِهِ في « بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ » في « العَنْقَاءِ » إن شاء اللهُ تعالى .

● قَالَ الجاحِظُ[2] : وَزَعَمُوا أَنَّ التَّناكُحَ والتَّلاقُحَ قد يَقَعُ بين الجِنِّ والإِنسِ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الإسراء: ٦٤] وَهَذا ظاهِرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الجِنِّيَّاتِ إِنَّما تَتَعَرَّضُ لِصَرْعِ رِجالِ الإِنْسِ عَلَى جِهَةِ العِشْقِ في طَلَبِ السِّفادِ ، وَكَذَلِكَ رِجالُ الجِنِّ لِنِساءِ الإِنْسِ ؛ وَلوْلا ذَلِكَ لَعَرَضَ الرِّجَالُ لِلرِّجالِ وَالنِّسَاءُ لِلنِّسَاءِ . قَالَ تَعالَى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرَّحمن : ٥٦ و ٧٤] وَلَوْ كان الجانُّ لا يَفْتَضُّ الآدَمِيَّات ، وَلم يَكُن ذَلِكَ في تَركِيبه ، لِمَا قَالَ اللهُ تَعالَى هذا القولَ .

وَذَكَرُوا أَنَّ الواق واق نِتاجٌ من بعضِ النَّباتاتِ وبعضِ الحَيَوانات !

● وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ[3] : السِّعْلاةُ ما يَتَراءَى لِلنَّاسِ بِالنَّهارِ ، وَالغُولُ ما يَتَراءَى لِلنَّاسِ بِاللَّيْلِ .

وَقَالَ القَزوينيُّ[4] : السِّعْلاةُ نَوْعٌ من المُتَشَيْطِنَةِ ، مُغايِرَةٌ للغُولِ .

---

(١) قصَّة خالد بن سنان ونبوَّته ، في ثمار القلوب ٢/ ٨٢١ ، وفيه قائمة مصادره (نار الحرَّتين) .

(٢) الحيوان ١/ ١٨٨ .

(٣) المستطرف ٢/ ٤٨٨ .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٣٦ والمستطرف ٢/ ٤٨٨ .

● قَالَ عُبيد بن أيُّوب[1] : [من الطويل]

وَسَاحِرَةٍ مِنِّي وَلَوْ أَنَّ عَيْنَهَا رَأَتْ مَا أُلاقِيهِ مِن الهَوْلِ جُنَّتِ
أَبِيتُ وَسِعْلاةٌ وَغُولٌ بِقَفْرَةٍ إذا اللَّيْلُ وارَى الجِنَّ فِيهِ أَرَنَّتَ

● قَالَ[2] : وَأَكْثَرُ ما تُوجَدُ السِّعْلاةُ في الغِيَاضِ ، وَهِيَ إذا ظَفِرَتْ بِإِنْسَانٍ تُرْقِصُهُ وَتَلْعَبُ بِهِ ، كَمَا يَلْعَبُ القِطُّ بالفَأْرِ .

قَالَ[2] : وَرُبَّما اصْطَادَها الذِّئْبُ في اللَّيْلِ فَأَكَلَها ، وإذا افْتَرَسَها ، تَرْفَعُ صَوْتَها ، وَتَقُولُ : أَدْرِكُونِي ، فإِنَّ الذِّئْبَ قد أَكَلَنِي ، وَرُبَّما تَقُولُ : من يُخَلِّصُنِي وَمَعِي أَلْفُ دِينارٍ يَأْخُذُها ؟ . والقَوْمُ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ كلامُ السِّعْلاةِ ، فَلا يُخَلِّصُها أَحَدٌ ، فَيَأْكُلُها الذِّئْبُ .

٤٣٥ السَّفَنَّجُ : بِضَمِّ السِّينِ ، وإِسْكَانِ الفَاءِ ، وَضَمِّ النُّونِ ، وَبالجِيمِ في آخِرِهِ[3] . قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَهُوَ الظَّلِيمُ الخَفِيفُ ؛ وَهُوَ مُلْحَقٌ بِالخُماسِيِّ ، بِتَشْدِيدِ الحَرْفِ الثَّالِثِ منهُ . كَذَا قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[4] .

وَالسَّفَنَّجُ أَيْضاً : طائِرٌ كَثِيرُ الاسْتِنَانِ . قَالَهُ في « العُبَاب » .

٤٣٦ السَّقْبُ : وَلَدُ النَّاقَةِ ، أَوْ ساعَةَ يُولَدُ ؛ وَالجَمْعُ : أَسْقُبٌ ،

---

(١) هما له في الحيوان ٦/ ١٦٠ ومروج الذهب ٢/ ٢٩١ وعجائب المخلوقات ٢٣٦ ومجموع شعره ٢١٤ (ضمن أشعار اللُّصوص) .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٣٦ والمستطرف ٢/ ٤٨٨ .

(٣) هذا الضبط غير صحيح . وصواب ضبطه : بفتح السِّين والفاء والنُّون المشدّدة ، وبالجيم في آخره .
قال في القاموس : السَّفَنَّج : كَعَمَلَّس ، الظَّليم الخفيف . وكذا ضُبط في الصّحاح واللّسان والتّاج « سفنج » .
ثُمَّ كيفَ يقول : وضمّ النُّون ، وهو ينقل عن الجوهريّ قوله : بتشديد الحرف الثَّالث منه ؟ ! .

(٤) الصِّحاح « سفنج » ١/ ٣٢٢ .

وَسِقابٌ ، وَسُقُوبٌ ، وَسُقْبَانٌ ؛ والأنْثَى سَقْبَةٌ[(١)] ؛ وَأُمُّها : مِسْقَبٌ وَمِسْقَابٌ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[(٢)] : « أَذَلُّ مِن السُّقْبَانِ بَيْنَ الحَلائِبِ » . وَأَرادُوا بِالحَلائِبِ ، جَمْعَ حَلُوبَةٍ ، وَهِيَ التي تُحْلَبُ .

٤٣٧ السَّقْرُ : قَالَ القَزْوِينيُّ[(٣)] : إِنَّهُ من الجَوارِحِ ، فِي حَجْمِ الشَّاهِينِ ، إلاّ أَنَّ رِجليهِ غَلِيظَتانِ جِدّاً ، وَلا يَعِيشُ إلاّ فِي البِلادِ البارِدَةِ ، وَيُوجَدُ في بِلادِ التُّرْكِ كَثِيراً .

وَهُوَ إذا أُرْسِلَ عَلَى الطَّيْرِ ، أَشْرَفَ عَلَيها ، وَيَطِيرُ حَولَها عَلَى شَكلِ دائِرَةٍ ؛ فَإذا رَجَعَ إِلى المَكانِ الذي ابْتَدَأَ منهُ ، تَبْقَى الطُّيُورُ كُلُّها في وَسَطِ الدَّائِرَةِ ، لا يَخْرُجُ مِنْها واحِدٌ وَلَوْ كانَتْ أَلْفاً ، وَهُوَ يَقِفُ عَلَيْها وَيَنْزِلُ يَسِيراً يَسِيراً ، وَتَنْزِلُ الطُّيُورُ بِنُزُولِهِ حَتَّى تَلْتَصِقَ بِالتُّرابِ ، فَيَأْخُذُها البَزادِرَةُ ، فَلا يَفْلَتُ مِنها شَيْءٌ أَصْلاً .

٤٣٨ السَّقَنْقُورُ[(٤)] : نَوْعَانِ ، هِنْدِيٌّ وَمِصْرِيٌّ ، وَمِنْهُ ما يَتَوَلَّدُ فِي بَحْرِ القُلْزُمِ ، وَهُوَ البَحْرُ الَّذِي غَرِقَ فِيهِ فِرْعَوْنُ ، وَهُوَ عِنْدَ عَقَبَةِ الحاجِّ .

وَيَتَوَلَّدُ أَيْضاً بِبِلادِ الحَبَشَةِ ، وَهُوَ يَتَغَذَّى بِالسَّمَكِ في المَاءِ ، وَبِالقَطا فِي البَرِّ ، يَسْتَرِطُهُ كَالحَيَّاتِ .

وَأُنْثَاهُ تَبِيضُ عِشْرِينَ بَيْضَةً ، تَدفِنُها في الرَّمْلِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ حَضْناً لَها .

وَللأُنْثَى فَرْجَانِ ، وَلِلذَّكَرِ ذَكَرَانِ كَالضَّبِّ . قَالَهُ التَّميميُّ[(٥)] .

---

(١) قال الجوهريُّ « سقب » ١/ ١٤٨ : والسَّقْبُ : الذَّكر من ولد النّاقة ، ولا يُقال للأُنثى : سَقْبَةٌ ، ولكن حائلٌ .

(٢) الميداني ١/ ٢٨٤ وحمزة ١/ ٢٠٣ والزَّمخشري ١/ ١٣٠ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٧٨ . وهو في مسالك الأَبصار ٢٠/ ٩٦ : سُنْقُر .

(٤) تذكرة داود ١/ ١٩٤ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٢٠ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٤٧ .

(٥) قال ابن البيطار : وليس ذلك من أَحواله بالبيّن الظَّاهر ، بل ممَّا يحتاج إلى بحث مستقصى =

وَقَالَ أَرسطو : السَّقَنْقُورُ : حَيوانٌ بَحْرِيٌّ ، وَرُبَّما تَوَلَّدَ في البَحْرِ في مَواضِعِ الصَّواعِقِ .

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ : أَنَّهُ إذا عَضَّ إِنْسَاناً وَسَبَقَهُ الإِنْسَانُ إلى المَاءِ ، واغْتَسَلَ منهُ ، مَاتَ السَّقَنْقُورُ ؛ وإِنْ سَبَقَ السَّقَنْقُورُ إلى المَاءِ ، مَاتَ الإِنْسَانُ .

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَيَّةِ عَداوَةٌ ، حَتَّى إذا ظَفِرَ أَحَدُهما بِصاحِبِهِ قَتَلَهُ .

وَالفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الوَرَلِ من وُجوهٍ : مِنْها أَنَّ الوَرَلَ بَرِّيٌّ ، لا يَأْوي إلاّ البَرارِي ؛ وَالسَّقَنْقُورُ لا يَأْوِي إلاّ بِالقُرْبِ من المَاءِ أَوْ فِيهِ .

وَمِنْها : أَنَّ جِلْدَ السَّقَنْقُورِ أَلْيَنُ وَأَنْعَمُ من جِلْدِ الوَرَلِ .

وَمِنها : أَنَّ ظَهْرَ الوَرَلِ أَصْفَرُ وَأَغْبَرُ ، وَظَهْرُ السَّقَنْقُورِ مُدَبَّجٌ بِصُفْرَةٍ وَسَوادٍ .

وَالمُخْتَارُ من هَذَا الحَيوانِ : الذَّكَرُ ؛ فإِنَّهُ أَفْضَلُ وَأَبْلَغُ فِي النَّفْعِ المَنْسُوبِ إِلَيهِ من أَمْرِ البَاهِ قِياساً وَتَجربةً ، بَل يَكادُ أَنْ يَكُونَ هُوَ المَخْصُوصُ بِذَلِكَ ؛ وَالمُخْتَارُ من أَعْضائِهِ ما يَلِي ذَنَبَهُ من ظَهْرِهِ ، فَهُوَ أَبْلَغُ نَفْعاً ، وَهَذَا الحَيوانُ نَحْوَ ذِراعَيْنِ طُولاً وَنصف ذِراعٍ عَرْضاً .

● قَالَ في « المُفْرَداتِ »[1] : لا يُعْرَفُ اليوم في عصرِنا السَّقَنْقُورُ في الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ إلاّ بِبِلادِ الفَيُّوم ، ومنها يُجلبُ إلى القاهِرَةِ لِمَنْ عُنِيَ بِطَلَبِهِ ، وإِنَّما يُصادُ في أَيَّامِ الشِّتَاءِ ، لأَنَّهُ إذا اشْتَدَّ عَلَيْهِ البَرْدُ يَخْرُجُ إلى البَرِّ ، فَحِيْنَئِذٍ يُصادُ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُهُ لأَنَّهُ سَمَكٌ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَأْتِيَ فِيهِ وَجْهٌ بِالحُرْمَةِ لأَنَّ لَهُ شَبَهَيْنِ في البَرِّ : أَحَدُهُما حَرامٌ ، وَهُوَ الوَرَلُ ؛ وَالآخَرُ يُؤْكَلُ ، وَهُوَ الضَّبُّ تَغْلِيباً للتَّحْرِيمِ .

= من جهة التشريح .

(١) مفردات ابن البيطار ٣/ ٢٠ ـ ٢١ .

وَأَمّا الذِي تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ »[1] فَهُوَ حَرامٌ ، لأَنَّهُ مَتَوَلِّدٌ من التِّمْسَاحِ ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ فَهُوَ حَرامٌ كَأَصْلِهِ .

الخَواصُّ[2] : لَحْمُ السَّقَنْقُورِ الهِنْدِيِّ : ما دامَ طَرِيّاً ، فَهُوَ حارٌّ رَطْبٌ في الدَّرَجَةِ الثّانِيَةِ . وَأَمّا مَمْلُوحُهُ المُجَفَّفُ ، فإِنَّهُ أَشَدُّ حرارَةً ، وَأَقَلُّ رُطُوبَةً ، لا سِيَّمَا إذا مَضَتْ عَلَيْهِ بعدَ تَعلِيقِهِ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ ، وَلِذَلِكَ صَارَ لا يُوافِقُ استِعمالُهُ أَصحابَ الأَمْزِجَةِ الحَارَّة اليابسَةِ ، بل أَرْبابَ الأَمْزِجَةِ البارِدَةِ الرَّطْبَةِ .

وَلَحْمُهُ : إذا أَكَلَ مِنْهُ اثْنانِ بَيْنَهُما عَداوَةٌ ، زَالَتْ وَصَارا مُتَحابَّيْنِ .

وَخَاصِّيَّةُ لَحْمِهِ وَشَحْمِهِ : إِنْهاضُ شَهْوَةِ الجِماعِ ، وَتَقْوِيَةُ الإِنْعاظِ ، وَالنَّفْعُ من الأَمْراضِ البارِدَةِ التي بِالعَصَبِ ؛ وإِذا اسْتُعْمِلَ بِمُفْرَدِهِ كان أَقْوَى فِعْلاً من أَنْ يُخْلَطَ بِغَيْرِهِ من الأَدْوِيَةِ .

وَالشَّرْبَةُ مِنْهُ من مِثْقالٍ إِلى ثَلاثَةِ مَثاقِيلَ ، بحسبِ مِزاجِ المُسْتَعْمِلِ لَهُ ، وَسِنِّهِ وَوَقْتِه وَبَلَدِهِ .

وَقَالَ أَرسطو : لَحْمُ السَّقَنْقُورِ الهِنْدِيِّ : إذا طُبِخَ بِإِسْفِيذاجٍ ؛ نَفخَ اللَّحْمَ وَأَسْمَنَ .

وَلَحْمُهُ يُذْهِبُ وَجَعَ الصُّلْبِ ، وَوَجَعَ الكِلْيَتَيْنِ ، وَيُدِرُّ المَنِيَّ .

وَخَرَزَتُهُ الوُسْطَى : إذا عُلِّقَتْ عَلَى صُلْبِ إِنْسَانٍ ، هَيَّجَتِ الإِحْلِيلَ ، وَزادَتِ الجِماعَ .

التَّعْبِيرُ : هُوَ في الرُّؤْيا : يَدُلُّ عَلَى الإِمامِ العالِمِ الذِي يُهْتَدَى بِهِ في الظُّلُماتِ ؛ فإِنَّ جِلْدَهُ مُرَقَّنٌ[3] ، وَلَحمهُ يُنْعِشُ القُوَّةَ وَيُثِيرُ حَرارَتها ؛ وَاللهُ أَعلَمُ .

---

(١) يقصد « الأَسقنقور » .

(٢) مصادر ترجمته .

(٣) أي : كأَنَّهُ مخضوب بالحِنَّاء .

٤٣٩ السُّلَحْفاةُ البَرِّيَّةُ : بِفَتْحِ اللاّمِ : واحِدَةُ السَّلاحِفِ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَحَكَى الرُّؤَاسِيُّ : سُلَحْفِيَةٌ ، مِثْلُ بُلَهْنِيَةٍ ، وَهِيَ بالهاءِ عِنْدَ الكافَّةِ . وَعِندَ ابنِ عَبدُوسٍ : السُّلَحْفا ، بغَيْرِ هَاءٍ .

وَذَكَرُها يُقَالُ لَهُ : غَيْلَمٌ .

وَهَذَا الحَيوانُ يَبِيضُ في البَرِّ ، فَمَا نَزَلَ مِنْهُ في البَحْرِ كان لَجَأَةً ، وَمَا اسْتَمَرَّ في البَرِّ كَان سُلَحْفاةً ؛ وَيَعظُمُ الصِّنْفانِ جِدّاً إِلى أَنْ يَصِيرَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا حِمْلَ جَمَلٍ .

وإِذا أَرادَ الذَّكَرُ السِّفَادَ والأَنْثَى لا تُطِيْعُهُ ، يَأْتِي الذَّكَرُ بحَشيشةٍ في فِيهِ ، من خاصِّيَّتِها أَنَّ صاحِبَها يَكُونُ مَقْبُولاً ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تُطاوِعُهُ ، وَهَذِهِ الحشيشةُ لا يَعْرِفُها إِلا القَلِيلُ من النَّاسِ .

وَهِيَ إِذا باضَتْ صَرَفَتْ هِمَّتَها إِلَى بَيْضِها بالنَّظَرِ إِلَيهِ ، وَلا تَزَالُ كذلك حَتَّى يَخلقَ اللهُ تَعالَى الوَلَدَ مِنْها ، إِذْ لَيْسَ لَها اَنْ تَحْضنَهُ حَتَّى يكملَ بِحَرارَتِها ، لأَنَّ أَسْفَلَها صُلْبٌ لا حَرارَةَ فِيهِ .

وَرُبَّما تَقْبِضُ السُّلَحْفاةُ عَلَى ذَنَبِ الحَيَّةِ ، فَتَقْمَعُ رَأْسَها ، وَتَمْضَغُ من ذَنَبِها ، وَالحَيَّةُ تَضْرِبُ بِنَفْسِها عَلَى ظَهْرِ السُّلَحْفاةِ وَعَلَى الأَرْضِ حَتَّى تَمُوتَ .

وَلَها حِيْلَةٌ عَجِيْبَةٌ في التَّوَصُّلِ إِلى صَيْدِها ؛ وَذَلِكَ أَنَّها تصعدُ من المَاءِ فتتمرّغُ في التُّرابِ ، وَتَأْتِي مَوضعاً قد سَقَطَ الطَّيْرُ عَلَيْهِ لِشُرْبِ المَاءِ ، فَتَخْفَى عَلَيْها لكُدورَةِ لَوْنِها التي اكْتَسَبَتْها من المَاءِ والتُّرابِ ، فَتَصِيدُ مِنْها ما يَكُونُ لَها قُوتاً ، وَتَدْخُلُ بِهِ المَاءَ لِيَمُوتَ ، فَتَأْكُلُهُ .

وَلِذَكَرِها ذَكَرَانِ ، وَلِلأُنْثَى فَرْجانِ ، وَالذَّكَرُ يُطِيلُ المَكْثَ في السِّفادِ .

وَالسُّلَحْفاةُ مُوْلَعَةٌ بِأَكْلِ الحَيَّاتِ ، فإِذا أَكَلَتْها أَكَلَتْ بَعْدَها سَعْتَراً .

وَالتُّرْسُ الذي عَلَى ظَهْرِها ، وِقَايَةٌ لَها .

● وقد أجادَ الشّاعِرُ حَيْثُ قَالَ في وَصْفِها : [من المُتقارب]

لَحَا اللهُ ذَاتَ فَمٍ أَخْرَسٍ   تُطِيلُ مِنَ السَّعْيِ وَسْواسَها
تُكِبُّ عَلَى ظَهْرِها تُرْسَها   وَتُظْهِرُ مِن جِلْدِها رَاسَها
إذا الحِذْرُ أَقْلَقَ أَحْشَاءَها   وضَيَّقَ بالخَوْفِ أنْفاسَها[1]
تَضُمُّ إِلَى نَحْرِها كَفَّها   وَتُدْخِلُ فِي جِلْدِها رَاسَها

الحُكْمُ : حَكَى البَغَوِيُّ فِي حِلِّها وَجهينِ ، وَصَحَّحَ الرّافعيُّ التَّحريمَ لاسْتِخْبَاثِها ، لأَنَّ غَالِبَ أَكْلِها الحَيّاتِ .

وَقَالَ ابنُ حَزْمٍ : البَرِّيَّةُ والبَحْرِيَّةُ حَلالٌ ، وَكَذلِكَ بَيْضُها ، لِقَوْلِه تَعالَى : ﴿ **كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا** ﴾ [البقرة : ١٦٨] مع قوله : ﴿ **وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [الأنعام : ١١٩] وَلَمْ يُفَصِّلْ لَنا تَحْرِيمَ السُّلَحْفاةِ ، فَهِيَ حَلالٌ .

قَالَ : وَكَذَلِكَ يَحِلُّ اليَرْبُوعُ ، وَالسَّرَطانُ ، وَالجَرَاذِينُ ، وَأُمُّ حُبَيْنٍ ، وَالوَرَلُ ، وَالطَّيْرُ كُلُّه .

قال : وَقد رَوَيْنا عن عَطاء ، أَنَّهُ قَالَ بإِبَاحَةِ أَكْلِ السُّلَحْفاةِ .

وَعَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّهُ نَهَى المُحْرِمَ عن قَتْلِ السُّلَحْفاةِ ، وَجَعَلَ فِيها الجَزاءَ .

وَقَدْ قَالَ أَبُو زَيْدٍ المَرْوَزِيُّ من أَصْحابِنا ، بِعَدَمِ تَحْرِيمِ المُخَاطِ والبُزَاقِ وَالمَنِيِّ وَنَحْوِها ، وَكَأَنَّهُ اسْتَغْنَى بِنَفْرَةِ الطِّباعِ عَنْها ، فَلَمْ يَزْجرْ عنها .

وَفِي الأَمْثَالِ : قَالُوا[2] : « أَبْلَدُ من سُلَحْفاةٍ » .

---

(١) الحِذْرُ : الاحتراز . (القاموس) .

(٢) الميداني ١/ ١١٩ والعسكري ١/ ٢٥٠ وحمزة ١/ ٧٥ والزمخشري ١/ ٢٨ .

الخَواصُّ : ذَكَرَ صاحِبُ « الفِلاحَةِ » والقَزوينيُّ[١] : أَنَّ البَرَدَ إذا كَثُرَ وَقُوعُهُ عَلَى الأَرْضِ ، وَأَضَرَّ بِذَلِكَ المَكانِ ، تُؤْخَذُ سُلَحْفاةٌ ، وَتُقْلَبُ فِيهِ عَلَى ظَهْرِها ، بِحَيْثُ تَبْقَى قَوائِمُها شائِلَةً نَحْوَ السَّماءِ ، فإِنَّ البَرَدَ لا يَضُرُّ ذَلِكَ المَكانِ .

وإذا لُطِّخَتِ الأَيْدِي وَالأَقْدامُ بدَمِها ، نَفَعَ من وَجَعِ المَفَاصِلِ . وإذا أُدِيمَ التَّمَسُّحُ بِدَمِها ، نَفَعَ من الكُزازِ والتَّشَنُّجِ ؛ وَأَكْلُ لَحْمِها يَفْعَلُ ذَلِكَ ؛ وإذا جُفِّفَ دَمُها ، وَسُحِقَ ، وَطُلِيَ بِهِ عَلَى مَسْرَجَةٍ ، فَمَنْ أَسْرَجَها ضَرِطَ ؛ وَهُوَ سِرٌّ عَجِيبٌ مُجَرَّبٌ .

وَأَيُّ عُضْوٍ من الإِنْسَانِ حَصَلَ لَهُ وَجَعٌ يُعَلَّقُ عَلَيْهِ نَظِيْرُهُ من أَعْضَائِها ، فإِنَّ الوَجَعَ يَسكنُ بإِذْنِ اللهِ تَعالَى .

وَطَرَفُ ذَنَبِ الذَّكَرِ مِنْها وَقْتَ هَيَجانِهِ ؛ من عَلَّقَهُ عَلَيْهِ هَيَّجَ الباهَ .

وإذا اتُّخِذَ من ظَهْرِها مَكَبَّةٌ ، وَغُطِّي بِهَا رَأْسُ قِدْرٍ ، لَمْ يَغْلِ ما دَامَتْ عَلَيْهِ .

التَّعْبيرُ[٢] : السُّلَحْفاةُ فِي المَنامِ : امْرَأَةٌ تَتَزَيَّنُ وَتَتَعَطَّرُ ، وَتَعْرِضُ نَفْسَها عَلَى الرِّجَالِ .

وَقِيلَ : إِنَّها تُعَبَّرُ بقَاضِي القُضَاةِ ، لأَنَّها أَعْلَمُ ما فِي البَحْرِ .

وَقِيلَ : السُّلَحْفاةُ رَجُلٌ عَالِمٌ ، فَمَنْ رَأَى سُلَحْفاةً تُكْرَمُ فِي مَكانٍ ، فإِنَّ العُلَمَاءَ يُكْرَمُونَ هُناكَ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ أَكَلَ لَحْمَ سُلَحْفاةٍ ، اسْتَفادَ عِلْماً .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩٦ وتذكرة داود ١/ ١٩٧ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٢٨ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١١٥ والقاموس المحيط والتاج « سلحف » .

(٢) تعبير الرُّؤيا ١٩٧ وتفسير الواعظ ٣٠٧ .

وَقَالَتِ النَّصَارَى : إِنَّهُ يَنالُ مالاً وَعِلْماً ؛ واللهُ أَعْلَمُ .

٤٤٠ السُّلَحْفاةُ البَحْرِيَّةُ : اللَّجَأَةُ ، وَسَتَأْتِي في « بابِ اللاَّمِ » إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى .

● قَالَ الجَوْهَرِيُّ[١] : وَزَعَمُوا أَنَّ ابْنَةَ الجُلَنْدَى وَضَعَتْ قِلادَتَها عَلَى سُلَحْفاةٍ ، فانْسَابَتْ في البَحْرِ ، فَقَالَتْ : يَا قَوْم ، نَزَافِ نَزافِ ، لَمْ يَبْقَ في البَحْرِ غَيْرَ غِرافِ ؛ وَهُوَ جَمْعُ غَرْفَةٍ من المَاءِ .

● وَالسُّلَحْفاةُ البَحْرِيَّةُ : جِلْدُها الذَّبْلُ ، الذِي يُصْنَعُ مِنْهُ الأَمْشَاطُ ؛ وَخَاصِّيَّةُ التَّسْرِيحِ بِمُشْطِ الذَّبْلِ ، إِذْهَابَ الصِّئْبَانِ من الشَّعْرِ .

وإِذا أُحْرِقَ الذَّبْلُ ، وَعُجِنَ رَمادُهُ بِبَياضِ البَيْضِ ، وَطُلِيَ بِهِ شقاقُ الكَعْبَيْنِ والأَصابِعُ ، نَفَعَهُ .

وَقِيلَ : الذَّبْلُ : جِلْدُ السُّلَحْفاةِ الهِنْدِيَّةِ .

● **فائِدَةٌ** : كَانَ[٢] للنَّبيِّ ﷺ مُشْطٌ من العَاجِ ، وَالعاجُ : الذَّبْلُ ، وَهُوَ شَيْءٌ يُتَّخَذُ من ظَهْرِ السُّلَحْفاةِ البَحْرِيَّةِ ، يُتَّخَذُ مِنْهُ الأَمْشَاطُ والأَساوِرُ .

● وَفِي الحَدِيثِ[١] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه أَنْ يَشْتَرِيَ لِفاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهَا سِوارَيْنِ من عاجٍ .

● أَمَّا العاجُ الذِي هُوَ عَظْمُ الفِيلِ ، فَنَجِسٌ عِنْدَ الشَّافعيِّ ، وَطاهِرٌ عِنْدَ أَبي حَنِيفَةَ ، وَعِنْدَ مالِكٍ يطهرُ بصَقْلِهِ ؛ فَيَجُوزُ التَّسْرِيحُ بِمُشْطِ العاجِ وَهُوَ الذَّبْلُ ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ ما وَقَعَ للنَّوويِّ في « شَرْحِ المُهَذَّب » من جَوازِ التَّسرِيحِ بِهِ ، فَمُرادُهُ بِالعاجِ : الذَّبْلُ ، لا العاجُ الذِي هُوَ نابُ الفِيلِ .

---

(١) الصِّحاح « غرف » ٤/ ١٤١٠ .

(٢) عن النِّهاية ٣/ ٣١٦ وعنه اللِّسان « عوج » .

٤٤١ **السِّلْفَانُ** : بِكَسْرِ السِّيْنِ[(١)] : أَوْلادُ الحَجَلِ ، الواحِدَةُ : سُلَفٌ ، مِثل : صُرَدٍ وَصِرْدَانٌ .

قَالَ أَبُو عَمْرو : لَمْ نَسْمَعْ سُلَفَةً لِلأُنْثَى ، وَلَوْ قِيلَ سُلَفَةٌ ، كَمَا قِيلَ سُلَكَةٌ لِواحِدَةِ السِّلْكانِ ، لَكَانَ جَيِّداً .

٤٤٢ **السِّلْقُ** : بِالكَسْرِ : الذِّئْبُ ، وَالأُنْثَى سِلْقَةٌ ؛ وَرُبَّما قِيلَ لِلْمَرْأَةِ السَّلِيطَةِ : سِلْقَةٌ[(٢)] .

● وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب : ١٩] أَي بَسْطُوا أَلْسِنَتَهم فِيكُمْ .

وَالسَّالِقَةُ : الرَّافِعَةُ صَوْتَها عِنْدَ المُصِيْبَةِ .

٤٤٣ **السُّلَكُ** : فَرْخُ القَطَا ؛ وَقِيلَ : فَرْخُ الحَجَلِ ؛ وَالأُنْثَى : سُلَكَةٌ ؛ وَالجَمْعُ سِلْكَانٌ ، مِثْلُ : صُرَدٍ وَصِرْدان ؛ وَقِيلَ : واحِدَتُهُ سُلْكانَةٌ .

● وَقَدْ ضَرَبَتِ العَرَبُ المَثَلَ بِسُلَيْكِ بنِ سُلَكَةَ في العَدْوِ ، وَهُوَ تَمِيميٌّ من بَنِي سَعْدٍ ، وَسُلَكَةُ أُمُّهُ ، وَكانَتْ سَوْدَاءَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : سُلَيْكُ المَقَانِبِ[(٣)] ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[(٤)] : [من الطَّويل]

---

(١) عن الصِّحاح « سلف » ٤/ ١٣٧٧ .

(٢) عن الصِّحاح « سلق » ٤/ ١٤٩٨ .

(٣) ثمار القلوب ١/ ١٩٩ ومصادر ترجمته في حاشيته . والمقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل من الفرسان ما بين الثّلاثين إلى الخمسين .

(٤) هو قُرّان الأسدي ، في معجم الشُّعراء ٢٠٤ ، واللِّسان « برثن » و « سلك » . وفي الأغاني ٢٠/ ٣٨٣ ، وكتاب سيبويه ٢/ ٢١٧ : فرّار الأسديّ ! .
وصدر البيت : لَزُوَّارُ ليلى منكمُ آل بُرْثُنٍ × .
ونُسب في إحْدى روايتي اللِّسان « برثن » إلى قيس بن الملوَّح ، وهو في ديوانه ٧٦ عنه .
وقال في اللِّسان : جعل اهتداءهم لفساد زوجته ، كاهتداء سليك بن السُّلكة في سيره في الفلوات .

إِلى الهَوْلِ أَمْضَى من سُلَيْكِ المَقانِبِ

وَهُوَ أَحَدُ أَغْرِبَةِ العَرَبِ ، الآتي ذِكْرُهُم إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ » .

٤٤٤ السُّلْكُوتُ : طائِرٌ . قَالَهُ في « المُحكم » في رُباعيِّ السِّينِ[١] .

٤٤٥ السَّلْوَى : قَالَ ابْنُ سِيْدَه[٢] : إِنَّهُ طائِرٌ أَبْيَضُ مِثْلُ السُّمانى ، واحِدَتُهُ سَلْواةٌ .

وَالسَّلْوَى : العَسَلُ ؛ قَالَ خالد بن زُهير الهُذَليُّ[٣] : [من الطويل]

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ جَهْداً لأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذا ما نَشُورُها

قَالَ الزَّجّاجُ : أَخْطَأَ خَالِدٌ ، إِنَّما السَّلْوَى طائِرٌ . وَقِيلَ : السَّلْوَى : اللَّحْمُ .

قَالَ الإِمامُ حُجَّةُ الإِسْلامِ الغَزاليُّ : وَسُمِّيَ سَلْوَى ، لأَنَّهُ يُسلي الإِنْسَانَ عن سائِرِ الإِدامِ ؛ وَالنّاسُ يُسَمُّونَهُ : قاطِعَ الشَّهَواتِ .

وَقَالَ القَزْوِينيُّ وابْنُ البِيطارِ[٤] : إِنَّهُ السُّمانى . وَقَالَ غَيْرُهُما : إِنَّهُ طائِرٌ قَرِيبٌ من السُّمانى .

وَقَالَ الأَخْفَشُ : لَمْ يُسْمَعْ لَهُ بِواحِدٍ ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ واحِدُهُ سَلْوَى ، كَدِفْلى للواحِدِ والجَمْعِ .

● وَهُوَ طائِرٌ يَعِيشُ دَهْرَهُ في قَلْبِ اللُّجَّةِ ؛ فَإِذا مَرِضَتِ البُزاةُ بِوَجَعِ

---

(١) وعنه اللِّسان « سلكت » ٣/ ٢٠٧٤ .

(٢) في المحكم ، وعنه اللِّسان « سلا » ٣/ ٢٠٨٦ . وفي المخصّص ٨/ ١٦٥ : السَّلْوى : طائرٌ يَضربُ إِلى الحمرة ، دقيق الرِّجلين ، يتدخَّل في الشَّجر .

(٣) ديوان الهذليِّين ١/ ١٥٨ وشرح أَشعار الهذليِّين ١/ ٢١٥ .

(٤) عجائب المخلوقات ٢٧٨ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٢٩ .

الكَبِدِ ، طَلَبَتْهُ وَأَخَذَتْهُ ، وَأَكَلَتْ كَبِدَهُ ، فَتَبْرَأُ .

وَهُوَ الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى القَوْلِ المَشْهُورِ ، وَغَلط الهُذَليُّ فظَنَّهُ العَسَلَ ، فقَالَ :

أَلَــذُّ مــن السَّلْــوَى إذا مــا نَشُــورُهــا

● وَفِي « صَحيحِ البُخاريّ » في « أَحادِيثِ الأَنْبياءِ » ، وَفِي « مُسلم » في « النِّكاحِ »[1] من حَدِيثِ محمَّد بن رافِعٍ ؛ قَالَ : حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثنا مَعْمَرُ عن همّام بنُ مُنَبِّهٍ ، قَالَ : هَذَا ما حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، وَذَكَرَ أَحادِيثَ مِنْها : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَوْلا بَنُو إِسْرائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ ، وَلَوْلا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَها الدَّهْرَ أَبَداً » .

وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ اللَّحْمُ أَبداً ، وَلَمْ يُنْتِنْ .

قَالَ العُلَمَاءُ : مَعْناهُ : أَنَّ بَنِي إِسْرائِيلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ المَنَّ والسَّلْوَى ، نُهوا عن ادِّخارِهما ، فادَّخَرُوا ، فَفَسَدَ وَأَنْتَنَ ، وَاسْتَمَرَّ من ذَلِكَ الوَقْتِ .

● وَرَوَى « ابنُ ماجه »[2] عن أَبِي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « سَيِّدُ طَعامِ أَهْلِ الدُّنْيا وَأَهْلِ الجَنَّةِ اللَّحْمُ » .

وَعَنْهُ رضي اللهُ تَعالَى عنه : ما أُهْدِيَ للنَّبيِّ ﷺ لَحْمٌ إلاّ قَبِلَهُ ، وَلا دُعِيَ إِلى لَحمٍ إلاّ أَجابَ .

وَعَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « أَطْيَبُ اللَّحْمِ لَحمُ الظَّهْرِ » .

● وَمَا أَحْسَنَ ما قَالَ شَيْخُنا بُرْهان الدِّين القِيْراطيّ : [من البسيط]

لَمَّــا رَأَيْــتُ سُلُــوِّي عَــزَّ مَطْلَبُــهُ ... عَنْكُمْ وَعَقْدُ اصْطِبَارِي صَارَ مَحْلُولا[3]

---

(١) البخاري ٤/ ١٠٣ و ١٢٦ ومسلم (١٤٧٠) ومسند أحمد ٢/ ٣٠٤ و ٣١٥ .

(٢) ابن ماجه (٣٣٠٥) و (٣٣٠٦) و (٣٣٠٨) .

(٣) وأَيُّ مناسبةٍ بين البيتين وطائر السَّلوى ؟ ! .

دَخَلْتُ بِالرَّغْمِ مِنِّي تَحْتَ طاعَتِكُمْ   لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولا

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُهُ بِالإِجْمَاعِ .

الخَواصُّ : قَالَ ابْنُ زُهْرٍ : إِذا عُلِّقَتْ عَيْنُهُ عَلَى الأَرْمَدِ ، شُفِيَ ، وإِنِ اكتُحِلَ بِهَا نَفَعَ من وَجَعِ الكَبِدِ .

وَمَرارَتُهُ تُخْلَطُ بِزَعْفَرانٍ مُدافٍ ، وَيُطْلَى بِهِ عَلَى البَهَقِ الأَسْوَدِ ، يَقْطَعُهُ .

وَزِبْلُهُ يُسْحَقُ وَيُذَرُّ عَلَى القُرُوحِ المُتَآكِلَةِ يَنْفَعُها .

وإِذا دُفِنَ رَأْسُهُ في بُرْجِ حَمامٍ ، زَالَ عَنْهُ سائِرُ الهَوامِّ ؛ وَرَأْسُهُ إِذا بُخِّرَ بِهِ مَكانٌ ، أَزَالَ الأَرَضَةَ مِنْهُ .

التَّعْبِيرُ : السَّلْوَى تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ : عَلَى رَفْعِ النَّكَدِ ، وَالنَّجاةِ من العَدُوِّ ، وَنَجازِ الوَعْدِ ، وَالخَيْرِ والرِّزْقِ الهَنِيِّ بِلا تَعَبٍ وَلا عَناءٍ لِمَنْ رَآهُ أَوْ مَلَكَهُ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى سَلْوَى عن عَشِيقٍ لأَجْلِ اسْمِهِ .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى كُفْرانِ النِّعَمِ ، وَزَوالِ النَّصَبِ وَضَنْكِ العَيْشِ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة : ٦١] وَاللهُ أَعْلَمُ .

٤٤٦ **السُّمانَى** : قَالَ الزُّبَيْدِيُّ(١) : هُوَ بِضَمِّ السِّيْنِ ، وَفَتْحِ النونِ ، عَلَى وَزْنِ الحُبَارَى : اسْمٌ لِطائِرٍ يَلْبدُ بِالأَرْضِ ، وَلا يَكادُ يَطِيرُ إِلاَّ أَنْ يُطَارَ .

وَالسُّمانى(٢) : طائِرٌ مَعْرُوفٌ ، وَلا تَقُلْ : سُمَّانى بِالتَّشْدِيدِ ؛ وَالجَمْعُ : سُمانَياتٌ .

وَيُسَمَّى(٣) قَتِيلَ الرَّعْدِ ، من أَجْلِ أَنَّهُ إِذا سَمِعَ الرَّعْدَ مَاتَ .

---

(١) في مختصر العين . ولم يرد هذا النَّصُّ في العين .

(٢) الصِّحاح « سمن » .

(٣) مفردات ابن البيطار ٣/ ٣٢ .

وَيُقَالُ : إنَّ فَرْخَهُ عِنْدَما يَخْرُجُ من البَيْضِ ، يَطِيرُ من ساعَتِهِ .

وَمِنْ[١] عَجِيبِ أَمْرِهِ ، أَنَّهُ يَسْكُتُ في الشِّتَاءِ ، فإذا أَقْبَلَ الرَّبيعُ يَصِيحُ ؛ وَيَغْتَذِي بِالبِيْشِ والبِيْشَاءِ ، وَهُمَا سُمٌّ ناقِعٌ قاتِلٌ .

وَهُوَ من الطُّيُورِ القَواطِعِ ، لا يُدْرَى من أَيْنَ يَأْتِي ؛ حتّى إنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ : إنَّهُ يَخْرُجُ من البَحْرِ المالِحِ ، فإنَّهُ يُرَى طائِراً عَلَيْهِ ، وَأَحَدُ جناحَيْهِ مُنْغَمِسٌ فِيهِ ، وَالآخَرُ مَنْشُورٌ كَالقِلْعِ ؛ وَلأَهْلِ مِصْرَ بِهِ عِنايَةٌ ، وَيَتَغالونَ في ثَمَنِهِ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُهُ بِالإِجْمَاعِ .

الخَوَاصُّ[٢] : لَحمُهُ حَارٌّ يابِسٌ ، وَأَجْوَدُهُ المَخَالِيفُ الطَّرِيَّةُ ، وَأَكْلُهُ يَنْفَعُ من وَجَعِ المَفاصِلِ من بَرْدٍ ، لَكِنَّهُ يَضُرُّ بالكَبِدِ الحَارِّ ؛ وَيَدْفَعُ ضَرَرَهُ الكُسْبَرَةُ وَالخَلُّ ؛ وَهُوَ يُوَلِّدُ دَماً حارّاً ، وَهُوَ مُوافِقٌ لِذَوِي الأَمْزِجَةِ البارِدَةِ وَالمَشَايِخِ ؛ وَيُكْرَهُ مَشْوِيُّ السُّمانى لِيُبْسِهِ وَتَجفِيفِهِ . قَالَهُ ابْنُ عَبْدُونَ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : مِزاجُ لَحمِهِ بَيْنَ الدَّجاجِ والحَجَلِ ، وَهُوَ إلى مِزاجِ الدَّجاجِ أَمْيَلُ ، وَهُوَ جَيِّدُ الكيموسِ ، وَأَكْلُهُ يُفَتِّتُ الحَصَا ، وَيُدِرُّ البَوْلَ .

وإذا قُطِّرَ دَمُهُ في الأُذُنِ ، سَكَّنَ وَجَعَها .

وإذا أُدِيمَ أَكْلُهُ ، أَلانَ القَلْبَ القاسِي ؛ وَيُقَالُ : إنَّ هَذِهِ الخاصِّيَّةَ مَوْجُودَةٌ في قَلْبِهِ فَقَط .

التَّعْبِيرُ : السُّمانَى تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ : عَلَى الفَوائِدِ وَالأَرْزَاقِ من جِهَةِ الزَّرْعِ وَالفِلاحَةِ .

---

(١) مسالك الأبصار ٢٠/ ٨٠ عن عجائب المخلوقات ٢٧٨ .

(٢) تذكرة داود ١/ ١٩٩ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٣٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٨٠ .

وَهُوَ لِمَنْ يَقْصدُ سَماعُهُ دَلِيلٌ عَلَى الأَرْزَاقِ من الشُّبُهَاتِ .

وَرُبَّما دَلَّ عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ والتَّبْذِيرِ ؛ وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى الجرمِ بِمَا يُوجِبُ الحَبْسَ وَالصَّلْبَ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

٤٤٧ السَّمْحَجُ : الأَتَانُ الطَّوِيْلَةُ الظَّهرِ ، وَالجَمْعُ سَماحِجُ ؛ وَكَذَلِكَ الفَرَسُ ، ولا يُقَالُ للذَّكرِ[١] .

٤٤٨ السِّمْعُ : بِكَسْرِ السِّيْنِ ، وإِسْكَانِ المِيمِ ، وَبالعَيْنِ المُهْمَلَةِ في آخِرِهِ[٢] : وَلَدُ الذِّئْبِ من الضَّبُعِ ؛ وَهُوَ سَبُعٌ مُرَكَّبٌ ، فِيهِ شِدَّةُ الضَّبُعِ وَقُوَّتُها ، وَجَراءَةُ الذِّئْبِ وَخِفَّتُهُ .

وَيَزْعمُونَ[٣] أَنَّهُ كَالحَيَّةِ ، لا يَعْرِفُ العِلَلَ ، وَلا يَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَعُ عَدْواً من الرِّيْحِ .

● وَقَالَ الجوْهَرِيُّ[٤] : السِّمْعُ الأَزَلُّ : الذِّئْبُ الأَرْسَحُ ، وَهُوَ القَلِيلُ لحمِ الفَخِذَيْنِ ؛ وَكُلُّ ذِئْبٍ أَرْسَحُ ؛ فإِنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لازِمَةٌ لَهُ ، كَمَا يُقَالُ للضَّبُعِ : العَرْجَاءُ . انتهى .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الأَعْرابِ فِيه[٥] : [مِنَ الطَّويل]

تَـراهُ حَـدِيـدَ الطَّـرْفِ أَبْلَـجَ واضِحـاً   أَغَرَّ طَوِيلَ الباعِ أَسْمَعَ من سِمْعِ

وَيُقَالُ : إِنَّ وَثْبَتَهُ تَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ أَوْ ثَلاثِينَ ذِراعاً .

● وَفِي كِتابِ « خَيرِ البِشَرِ بِخَيرِ البَشَرِ » لابْنِ ظَفَرٍ ، عن رَبيعة بن أَبِي

---

(١) عن الصِّحاح « سمجح » ١/ ٣٢٢ .

(٢) الصِّحاح « سمع » ٣/ ١٢٣٢ و « زلل » ٤/ ١٧١٨ .

(٣) القاموس والتاج « سمع » .

(٤) الصِّحاح « سمع » ٣/ ١٢٣٢ و « زلل » ٤/ ١٧١٨ .

(٥) البيت بلا نسبة في : الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « سمع » ومصادر المثل الآتي بعد قليل .

نِزارٍ ، قالَ[1] : أَخْبَرَنِي خالِي قالَ :

لَمَّا أَظْهَرَ اللهُ عَلَيْنا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِحُنَيْنٍ ، أَشْعَبْنا في كُلِّ شِعْبٍ ، لا يَلْوِي حَمِيمٌ عَلَى حَمِيمٍ ، فَبَيْنَما أَنا في بَعْضِ الشِّعابِ إِذْ رَأَيْتُ ثَعْلَباً قد تَحَوَّى عَلَيْهِ أَرْقَمٌ ، وَالثَّعْلَبُ يَعْدُو عَدْواً شَدِيداً ، فانْتَحَيْتُ إِلَيْهِ بِحَجَرٍ فَمَا أَخْطَأَهُ ؛ فانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فإِذا الثَّعْلَبُ قد سَبَقَنِي بِنَفْسِهِ ، وإِذا الأَرْقَمُ قد تَقَطَّعَ وَهُوَ يَضْطَرِبُ ، فَقُمْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَهَتَفَ بِي هاتِفٌ ما سَمِعْتُ أَفْظَعَ من صَوْتِهِ ، يَقُولُ : تَعْساً لَكَ وَبُؤْساً ، قد قَتَلْتَ رَئِيساً ، وَوَتَرْتَ بَئِيساً ؛ ثُمَّ قَالَ : يا داثِرُ ، يَا داثِرُ ؛ فأَجَابَهُ مُجِيبٌ من العُدْوَةِ الأُخْرَى : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ؛ فَقَالَ : بادِرْ بادِرْ إِلى بَنِي العَذَافِرِ ، فَأَخْبِرْهُمْ بِمَا صَنَعَ الكافِرُ . فَنادَيْتُ : إِنِّي لَمْ أَشْعُرْ ، وَأَنا عائِذٌ بِكَ فَأَجِرْنِي ، فَقَالَ : كَلاَّ ، وَالحَرَمِ الأَمِينِ ، لا أُجِيرُ من قاتَلَ المُسلِمِينَ ، وَعَبَدَ غَيْرَ رَبِّ العالَمِينَ . قَالَ : فَنادَيْت : إِنِّي أُسْلِمُ . فَقَالَ : إِنْ أَسْلَمْتَ سَقَطَ عَنْكَ القِصاصُ ، وَفُزْتَ بِالخَلاصِ ، وإِلاَّ فَلاتَ حِيْنَ مَناصٍ . قَالَ : فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ . فَقَالَ : نَجَوْتَ وَهُدِيْتَ ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَرَدِيْتَ ، فارْجعْ من حَيْثُ جِئْتَ . قَالَ : فَرَجَعْتُ أَقْفُو أَدْراجِي ، فإِذا هُوَ يَقُولُ : امْتَطِ السِّمْعَ الأَزَلَّ ، يَعْلُ بِكَ التَّلَّ ، فَهُناكَ أَبُو عامِرٍ يَتْبَعُ بِكَ الفَلَّ . قَالَ : فَالْتَفَتُّ فإِذا سِمْعٌ كَالأَسَدِ النَّهْدِ ، فَرَكِبْتُهُ فَمَرَّ يَنْسَلُّ حَتَّى انْتَهَى إِلى تَلٍّ عَظِيمٍ ، فَتَوَقَّلَ فِيهِ إِلى أَنْ تَسَنَّمَهُ ، فَأَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى خَيْلِ المُسْلِمِينَ ، فَنَزَلْتُ عَنْهُ ، وَصَوَّبْتُ في الحُدُورِ نَحْوَهُمْ .

فَلَمّا دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، خَرَجَ إِلَيَّ فارِسٌ كالفَالِجِ الهائِجِ ، فَقَالَ : أَلْقِ سِلاحَكَ لا أُمَّ لَكَ ؛ فَأَلْقَيْتُ سِلاحِي ؛ فَقَالَ لِي : مَن أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مُسْلِمٌ . قَالَ : فَسَلامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتِهِ ؛ فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلامُ والرَّحْمَةُ وَالبَرَكَةُ ؛

---

(١) الخبر في زهر الأكم ٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥ .

مَن ؟ أَبُو عامِرٍ ؟ قَالَ : أَنَا هُوَ ؛ قُلْتُ : الحَمْدُ للهِ ؛ فَقَالَ : لا بَأْسَ عَلَيْكَ ، هَؤُلاءِ إِخْوانُكَ المُسْلِمُونَ ؛ ثُمَّ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُكَ بِأَعْلَى التَّلِّ فارِساً ، فَأَيْنَ فَرَسُكَ ؟ .

قَالَ : فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ القِصَّةَ ، فَأَعْجَبَهُ ما سَمِعَ مِنِّي ، وَسِرْتُ مَعَ القَوْمِ أَقْفُو بِهِمْ أَثَرَ هَوازِنَ ، حَتَّى بَلَغُوا من اللهِ ما أَرادُوه .

قَالَ محمَّد بن ظَفَر : قَوْلُهُ : تَحَوَّى عَلَيْهِ أَرْقَمٌ : أَي اسْتَدَارَ عَلَيْه . وَالأَرْقَمُ : الحَيَّةُ التِي فِيها خُطُوطٌ كَالرُّقُمِ ؛ وَتَزْعمُ الأَعْرابُ أَنَّ الثَّعالِبَ مَطَايَا الجِنِّ ، وَيَكْرهُونَ اصْطِيادَها ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ من صَادَ ثَعْلَباً ، أُصِيْبَ بِبَعْضِ مَالِهِ . وَقَوْلُهُ : سَبَقَنِي بِنَفْسِهِ : أَي هَلَكَ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيْه . وَقَوْلُهُ : لَوْلا ذَلِكَ لَرَدِيْتَ : أَيْ هَلَكْتَ ؛ وَالرَّدَى : الهَلاكُ . وَقَوْلُهُ : أَقْفُو أَدْراجِي : أَي أَتَبعُ طُرُقِي التي جِئْتُ فِيْها ؛ وَالأَدْراجُ : السُّبُلُ . وَقَوْلُهُ : الفَلُّ : هُمُ المُنْهَزِمُونَ . وَقَوْلُهُ : النَّهْدُ : هُوَ العَظِيْمُ الخَلْقِ . وَقَوْلُهُ : يَنْسَلُّ : أَيْ يَعْدُو ؛ وَالنَّسَلانُ : عَدْوُ الذِّئْبِ والكَلْبِ ؛ وَكُلُّ ما أَشْبَهَ ذَلِكَ في العَدْوِ فَهُوَ نَسَلانٌ . وَقَوْلُهُ : كَالفالِجِ : هُوَ البَعِيرُ العَظِيمُ ذُو السَّنامَيْنِ . انتهى .

الحُكْمُ : تَحْرِيمُ الأَكْلِ ، وَاخْتَلَفُوا في وُجُوبِ الجَزَاءِ عَلَى المُحْرِمِ بِقَتْلِهِ ، كَالمُتَوَلِّدِ بَيْنَ الحِمَارِ الوَحْشِيِّ وَالأَهْلِيِّ ؛ فَقَالَ ابْنُ القاصّ : لا جَزَاءَ فِي ذَلِكَ ، وَغَلَطَ فِيهِ ؛ وَالمَذْهَبُ أَنَّهُ يُحَرَّمُ عَلَى المُحْرِمِ التَّعَرُّض لَهُ ، وَيَجِبُ فِيهِ الجَزَاءُ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « أَسْمَعُ من سِمْعٍ » و« منَ السِّمْعِ الأَزَلِّ » لأَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لازِمَةٌ لَهُ ، كَما يُقَالُ للضَّبُعِ : العَرْجَاء .

وَهُوَ **في الرُّؤْيَا** : تَدُلُّ عَلَى الرَّجلِ ذِي الأَصْلِ الرَّدِيءِ ، وَنَقْلِ ما سَمِعَهُ من

---

(١) الميداني ١/ ٣٥٢ والعسكري ١/ ٥٣٠ والزَّمخشري ١/ ١٧٢ وحمزة ١/ ٢١٨ و ٢٢٦ وزهر الأكم ٣/ ١٧٤ .

كَلامٍ جَيِّدٍ وَرَدِيْءٍ ؛ وَذَلِكَ مَأْخُوذٌ من اسْمِهِ ؛ وَاللهُ أَعلمُ .

٤٤٩ السَّمائِمُ : بالفَتْحِ : جَمْعُ سَمامَةٍ ، وَهُوَ ضَرْبٌ من الطَّيْرِ كَالخُطّافِ ، لا يُقْدَرُ عَلَى بَيْضِهِ . وَقِيلَ : هُوَ السُّنُونُو ، الآتي قَرِيباً إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَهُوَ الطَّيْرُ الأَبابِيلُ الذِي أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ الفِيلِ .

الأَمْثَالُ : قَالَتِ العَرَبُ[١] : « كَلَّفْتَنِي بَيْضَ السَّمائِمِ » ، وَيروى : بيض السَّماسِمِ وهو جَمْعُ سِمْسِمَةٍ ، وَهِيَ النَّمْلَةُ ، وَسَتَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى ، يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ العَزِيزِ الوُجُودِ .

٤٥٠ السَّمْسَمُ : بِالفَتْحِ : الثَّعْلَبُ .

٤٥١ السِّمْسِمَةُ : بِكَسْرِ السِّيْنِ[٢] : النَّمْلَةُ الحَمْرَاءُ ، وَجَمْعُها سَماسِمُ .

وَقَالَ ابْنُ فارِسٍ فِي « مُجْمَلِهِ » : هُوَ النَّمْلُ الصِّغارُ .

● وَبها فُسِّرَ الحَدِيثُ الذِي رَوَاهُ « مُسْلِمٌ » عن جابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[٣] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ذَكَرَ الجَهَنَّمِيِّينَ ، وَأَنَّ قَوْماً يَخْرُجُونَ من النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيْها ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيْدَانُ السَّماسِمِ ، فَيَدْخُلُونَ نَهراً من أَنْهَارِ الجَنَّةِ ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ ، فَيَخرجُونَ كَأَنَّهُمُ القَراطِيسُ .

● قَالَ الإِمامُ النَّوويُّ : قَوْلُهُ : كَأَنَّهُمْ عِيْدَانُ السَّماسِمِ : هُوَ بِالسِّينَيْنِ المُهملتينِ ، الأُوْلَى مَفْتُوحَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ مَكْسُورَةٌ ، وَهُوَ جَمْعُ سِمْسِمٍ ، وَهُوَ السِّمْسِمُ المَعْرُوفُ الَّذِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الشَّيْرَجُ .

● وَقَالَ أَبُو السَّعادَاتِ ابْنِ الأَثِيرِ[٤] : السَّماسِمُ : جَمْعُ سِمْسِمٍ ، وَعِيْدَانُهُ

---

(١) الميداني ٢/ ١٤٧ والزمخشري ٢/ ٢٢٣ .
(٢) والضَّمُّ أفصح . (القاموس) .
(٣) مسلم (١٩١) .
(٤) النّهاية ٢/ ٤٠٠ .

تَراهَا إذا قُلِعَتْ وَتُرِكَتْ لِيُؤْخَذَ حَبُّها ، دِقاقاً سُوداً كَأَنَّها مُحْتَرِقَةٌ .

قَالَ : وَطَالَما تَطَلَّبْتُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ ، وَسَأَلْتُ عَنْها ، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا شَيْئاً شَافِياً ، وَمَا أَشْبَهَ أَنْ تَكُونَ اللَّفْظَةُ مُحَرَّفَةً ؛ وَرُبَّما كانَتْ عِيْدَانُ السَّاسَمِ ، وَهُوَ خَشَبٌ أَسْوَدُ كَالأَبِنُوسِ .

قَالَ القاضِي عِياضٌ : لا يُعْرَفُ مَعْنَى السَّماسِمِ ؛ وَلَعَلَّ صَوابَهُ : السَّاسَمُ ، وَهُوَ عُودٌ أَسْوَدُ ؛ وَقِيْلَ : هُوَ الأَبِنُوسُ ؛ وَقِيلَ : هُوَ نَبْتٌ صَغِيرٌ ضَعِيفٌ كَالكُسْبَرَةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : لَعَلَّهُ السَّأْسَمُ ـ مَهْمُوزَةً ـ وَهُوَ الأَبِنُوسُ ، شَبَّهَهُمْ بِهِ لِسَوادِهِ .

٤٥٢ السَّمَكُ : من خَلْقِ المَاءِ ؛ الواحِدَةُ : سَمَكَةٌ ، وَجَمْعُهُ : أَسْماكٌ وَسُمُوكٌ ؛ وَهُوَ أَنْواعٌ كَثِيْرَةٌ ، وَلِكُلِّ نَوْعٍ اسْمٌ خاصٌّ .

● وَقَدْ تَقَدَّمَ في آخِرِ « الجَرادِ » أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجلَّ خَلَقَ أَلْفَ أُمَّةٍ ، مِنْها سِتُّمِئَةٍ في البَحْرِ ، وَأَرْبَعُمِئَةٍ في البَرِّ » .

وَمِنْ[1] أَنْواعِ السَّمَكِ ما لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَوَّلَها وَآخِرَها لِكِبَرِها ، وَمَا لا يُدْرِكُها الطَّرْفُ لِصِغَرِها .

وَكُلٌّ يَأْوِي المَاءِ ، وَيَسْتَنْشِقُهُ كَمَا يَسْتَنْشِقُ بَنُو آدَمَ وَحَيَوانُ البَرِّ الهَواءَ ؛ إِلاّ أَنَّ حَيَوانَ البَرِّ يَسْتَنْشِقُ الهَواءَ بالأُنُوفِ ، وَيَصِلُ بذَلِكَ إِلى قَصَبَةِ الرِّئَةِ ، وَالسَّمَكُ يَسْتَنْشِقُ بِأَصْداغِهِ ، فَيَقُومُ لَهُ المَاءُ في تَوَلُّدِ الرُّوْحِ الحَيَوانِيِّ فِي قَلْبِهِ مَقَامَ الهَواءِ .

وإِنَّما اسْتَغْنَى عن الهَواءِ في إِقامَةِ الحَيَاةِ ، وَلَمْ نَسْتَغْنِ نَحْنُ وَمَا أَشْبَهَنا من

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٤٠ .

الحَيَوانِ عَنْهُ ، لأَنَّهُ من عَالَمِ المَاءِ وَالأَرْضِ ، دُونَ عَالَمِ الهَوَاءِ ؛ وَنَحْنُ من عَالَمِ الأَرْضِ والمَاءِ وَالهَواءِ .

● قَالَ الجاحِظُ[1] : السَّمَكُ يَسْبَحُ[2] في غَمْرِ المَاءِ ، وَلا يَسْبَحُ في أَعْلاهُ ؛ وَنَسِيمُ البَرِّ الذِي يَعِيشُ بِهِ الطَّيْرُ ، لو دَامَ عَلَى السَّمَكِ سَاعَةً قَتَلَهُ . قَالَ الشَّاعِرُ[3] : [من الرجز]

تَغُمُّهُ النَّشْرَةُ وَالنَّسِيمُ ... وَلا يَزَالُ مُغْرَقاً يَعُومُ
فِي البَحْرِ وَالبَحْرُ لَهُ خَمِيمُ[4] ... وَأُمُّهُ الوالِدَةُ الرَّؤُومُ
تَلْهَمُهُ جَهْراً وَمَا يَرِيمُ

وَقَوْلُهُ : وَأُمُّهُ الوالِدَةُ . فِيهِ شاهِدٌ عَلَى أَنَّ الأُمَّ فِي غَيْرِ الآدَمِيِّينَ تُسَمَّى أَيْضاً والِدَةٌ .

وَقَوْلُهُ : تَلْهَمُهُ : أَي تَأْكُلُهُ ، لأَنَّ السَّمَكَ يَأْكُلُ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَذَلِكَ قُوتُهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الغَزَالِيُّ : السَّمَكُ أَكْثَرُ خَلْقِ اللهِ تَعالَى .

وَقَوْلُهُ : وَمَا يَرِيمُ : أَي لا يَبْرَحُ عن ذَلِكَ المَوْضِعِ الَّذِي يُؤْكَلُ فِيه .

● وَمَا ذَكَرَهُ الجاحِظُ من كَوْنِ النَّسِيْمِ يَضُرُّ بالسَّمَكِ ، فَلَيْسَ عَلَى إِطْلاقِهِ ؛ فإِنَّ الغَزَالِيَّ قد اسْتَثْنَى مِنْهُ نَوْعاً لا يَضُرُّهُ النَّسِيمُ ، فَقَالَ : وَمِنَ السَّمَكِ نَوْعٌ يَطِيرُ عَلَى وَجْهِ البَحْرِ مَسَافَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ يَنْزِلُ . ا هـ .

---

(1) الحيوان ٣/ ٢٦٤ .

(2) في ط : يسبّح الله ! . ولفظ الجلالة ليس في أ . واعتمد محقّق الحيوان على ما في ط ، وعلى ما نقله الدَّميريّ عن صفوة الصَّفوة ـ سيأتي بعد قليل ـ فضبطَ اللَّفظةَ : يُسَبِّحُ . . . ولا يُسَبِّحُ ـ من التَّسبيح ـ ! ! . وليس هذا مراد الجاحظ ؛ وإنَّما أَرادَ أَنَّ السَّمكَ لا يستطيع الاقتراب من سطح الماءِ لئلاً يقتله النَّسيمُ ، ويبقى في غمر الماء بعيداً عن التَّعرُّضِ للهواء .

(3) الأَشطار في الحيوان ٣/ ٢٦٤ واللِّسان « نشر » ٦/ ٤٤٢٥ لأَبي نخيلة الرَّاجز ، وهي في ديوانه ١٦٣ .

(4) في مصادر الرجز : تخميم . وهما بمعنى .

● وَقَالَ ابْنُ التِّلْمِيذِ في تَشْبِيهِ السَّمَكِ[1] : [من المتقارب]

لَبِسْــنَ الجَــواشِــنَ خَــوْفَ الــرَّدَى عَلَيْهِــنَّ مِــن فَــوْقِهِــنَّ الخُــوَذْ
فَلَمّــا أُتِيْــحَ لَهَــا أُهْلِكَــتْ بِبَــرْدِ النَّسِيــمِ الــذِي يُسْتَلَــذْ

● وَهُوَ بجُمْلَتِهِ شَرِهٌ ، كَثِيرُ الأَكْلِ ، لِبَرْدِ مِزاجِ مَعِدَتِهِ ، وَقُرْبِها من فَمِهِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عُنُقٌ وَلا صَوْتٌ ، إِذْ لا يَدْخُلُ إِلى جَوْفِهِ هَواءٌ أَلْبَتَّةَ ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ السَّمَكَ لا رِئَةَ لَهُ ، كَمَا أَنَّ الفَرَسَ لا طِحالَ لَهُ ، وَالجَمَلَ لا مَرارَةَ لَهُ ، وَالنَّعامَةَ لا مُخَّ لَها .

وَصِغارُ السَّمَكِ تَحْتَرِسُ من كِبارِهِ ؛ وَلِذَلِكَ تَطْلُبُ مَاءَ الشُّطُوطِ ، وَالمَاءَ القَلِيلَ الذِي لا يَحْمِلُ الكَبِيرَ .

وَهُوَ شَدِيدُ الحَرَكَةِ ، لأَنَّ قُوَّتَهُ المُحَرِّكَةَ للإِرادَةِ تَجْرِي في مَسْلَكٍ واحِدٍ ، لا يَنْقَسِمُ في عُضْوٍ خاصٍّ ، وَهَذَا بِعَيْنِهِ مَوجُودٌ فِي الحَيَّاتِ .

وَمِنَ السَّمَكِ ما يَتَوَلَّدُ بِسِفادٍ ، وَمِنْهُ ما يَتَوَلَّدُ بِغَيْرِهِ ، إِمّا من الطِّيْنِ أَوْ من الرَّمْلِ ، وَهُوَ الغَالِبُ فِي أَنْواعِهِ ، وَالغَالِبُ يَتَوَلَّدُ من العُفُوناتِ .

وَبَيْضُ السَّمَكِ لَيسَ لَهُ بَيَاضٌ وَلا صُفْرَةٌ ، وَإِنَّما هُوَ لَوْنٌ واحِدٌ .

● قَالَ الجاحِظُ[2] : وَمِنَ السَّمَكِ : القَواطِعُ والأَوابِدُ ، كَمَا في الطَّيْرِ ، فَرُبَّ سَمَكَةٍ تَأْتِي في بَعْضِ فُصُولِ السَّنَةِ وَتَنْقَطِعُ في بَعْضِها .

وَمِنْ جُمْلَةِ أَنْواعِهِ السَّقَنْقُور ، وَالدُّلْفِين ، وَالخَرْشَقْلا ، وَالتِّمْسَاحُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُها في أَبْوابِها ؛ وَمِنْها القِرْشُ والعَنْبَرُ ، وَسَيَأْتِيانِ فِي بَابَيْهِما إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

---

(١) البيتان له في عيون الأنباء ٣٦٠ .

(٢) الحيوان ٤/ ١٠٢ .

● قَالَ[1] أَبُو عُثْمان : كُلُّ سَمَكٍ يَكُونُ في المَاءِ العَذْبِ ، فإِنَّ لَهُ لِساناً وَدِماغاً ؛ وَمَا كان في المَاءِ المالِحِ ، لَيْسَ لَهُ لِسَانٌ وَلا دِماغٌ .

وَمِنْ أَصْنافِهِ ما هُوَ عَلَى شَكْلِ الحَيَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَمِنْ أَنْواعِهِ[2] : السَّمَكَةُ الرَّعَّادَةُ ، وَهِيَ صَغِيْرَةٌ مُخَدِّرَةٌ جِدّاً ؛ إذا وَقَعَتْ في الشَّبَكَةِ وَالصَّيّادُ مُمْسِكٌ حَبْلَها ، ارْتَعَدْت يَدُ الصَّيّادِ ؛ وَالصَّيّادُونَ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ ، فإِذا أَحَسُّوا بِها شَدُّوا حَبْلَ الشَّبَكَةِ في وَتَدٍ أَوْ شَجَرَةٍ حَتَّى تَمُوتَ السَّمَكَةُ ، فإِذا مَاتَتْ بطلَتْ خاصِّيَّتُها .

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّيْنِ محمَّد بن [سَعيد] بن حَمّاد بن عبد اللهِ البُوصِيْرِيّ صاحِب البُرْدَةِ ، في الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّيْنِ ابن الرَّعّادِ[3] : [من الطويل]

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي في البَرِيَّةِ شَاعِرٌ ... وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلا بُدَّ أَنْ يُهْجَى

فَشِعْرِي بَحْرٌ لا يُرَى فِيهِ ضِفْدَعٌ ... وَلا يَقْطَعُ الرَّعَّادُ يَوْماً لَهُ لُجَّا

وَأَطِبَّاءُ الهِنْدِ يَسْتَعْمِلُونَها في الأَمْراضِ الشَّديدة الحَرِّ ؛ وَأَمّا في غَيرِ بِلادِ الهِندِ ، فَلا يُمْكِنُ اسْتِعمالُها .

● قَالَ ابنُ سِينا[4] : الرَّعَّادَةُ إذا قُرِّبَتْ من رَأْسِ المَصْرُوعِ وَهِيَ حَيَّةٌ نَفَعَتْهُ ، وإِذا عَلَّقَتِ المَرأَةُ شَيئاً مِنها عليها ، لم يَقْدِرِ الرَّجُلُ عَلَى فِراقِها .

---

(١) الفقرة من ب . وفيها : قال أَبو غسَّان ! صوابه المثبت أَعلاه ؛ والنَّص في الحيوان ٧/ ١٠٣ .

(٢) عن عجائب المخلوقات ١٠٠ .

(٣) هما للبوصيري في الوافي بالوفيات ٣/ ١١١ وفوات الوفيات ٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .
وابن الرَّعّاد : هو محمد بن رضوان العذري ، له مشاركة في العلوم والعربيّة والشعر . (الوافي ٣/ ٧٢) .

(٤) في الأُصول : قال ابن سيده ! . والمثبت من عجائب المخلوقات ١٠٠ .

وَفِي البَحْرِ من العَجَائِبِ ما لا يُسْتَطاعُ حَصْرُهُ ، وَيَكْفِي في ذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « حَدِّثُوا عن البَحْرِ ولا حَرَجَ » أَي : حَدِّثُوا عَنْهُ حَيْثُ لا حَرَجَ عَلَيْكُمْ في ذَلِكَ .

وَمِنْ أَنْواعِهِ : الشَّيْخُ اليَهُوديُّ[1] ؛ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الشِّيْنِ المُعْجَمَةِ » .

● **عَجِيْبَةٌ** : حَكَى القَزْوِينيُّ في « عَجَائِبِ المَخْلُوقاتِ »[1] : عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن هارون المَغربيّ ، قَالَ : رَكِبْتُ بَحْرَ المَغْرِبِ ، فوصلت إِلى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ البَرطونَ ، وَكَانَ مَعَنا غُلامٌ صِقِلِّيٌّ مَعَهُ صِنَّارَةٌ ، فَأَلْقاها في البَحْرِ ، فَصادَ بِها سَمَكَةً نَحْوَ الشِّبْرِ ، فَنَظَرْنا فإِذا خَلْفَ أُذُنِها اليُمْنَى مَكْتُوبٌ : « لا إِلَهَ إلاّ اللهُ » ، وَفِي قَفاها « محمّد » وَخَلْفَ أُذُنِها اليُسْرَى « رَسُولُ اللهِ » .

● وَفِي كِتَابِ « تُحْفة الأَلْبابِ » لأَبِي حامِدٍ الأَنْدَلُسِيِّ الغَرْناطِيِّ[2] : أَنَّ فِي بَحْرِ الرُّومِ سَمَكاً صَغِيْراً كَالذِّراعِ يُسَمَّى التّلب ، إذا أُخِذَ وَأُمْسِكَ ما شَاءَ اللهُ لا يَمُوتُ ، بَلْ يَتَحَرَّكُ وَيَضْطَرِبُ ، فَيُقْطَعُ قِطَعاً صِغاراً ويضطرِبُ ؛ وإِذا جُعِلَ مِنْهُ قِطْعَةٌ عَلَى النَّارِ ، وَثَبَ خارِجَ النَّارِ ، وَرُبَّما أَصابَتْ وُجُوهَ النَّاسِ ؛ وإِنْ جُعِلَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُ في قِدْرٍ ، غُطِّيَ بِصَخْرَةٍ أَوْ حَدِيدَةٍ لِئَلاَّ تَخْرُجَ مِنْها ، فَما لَمْ تَنْضَجْ لَمْ تَمُتْ ، وَلَوْ قُطِّعَتْ أَلْفَ قِطْعَةٍ .

● **فَوائِدُ** : رَوَى الإِمامُ أَحمد في « الزُّهْد »[3] عن نَوف البِكاليّ ، قَالَ : انْطَلَقَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ وَرَجُلٌ كافِرٌ يَصِيْدَانِ السَّمَكَ ، فَجَعَلَ الكافِرُ يُلْقِي شَبَكَتَهُ وَيَذْكُرُ آلِهَتَهُ فَتَمْتَلِىءُ سَمَكاً ، وَيُلْقِي المُؤْمِنُ شَبَكَتَهُ وَيَذْكُرُ اسمَ اللهِ تَعالَى فَلا

---

(١) عجائب المخلوقات ٩٤ .

(٢) عجائب المخلوقات ٩٥ .

(٣) الزُّهد : ٢٦٦ .

يَصْطَادُ شَيئاً .

قَالَ : فَفَعَلا ذَلِكَ إِلَى مَغِيبِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ إِنَّ المُؤْمِنَ اصْطَادَ سَمَكَةً ، فَأَخَذَها بِيَدِهِ ، فَاضطرَبَت فَوَقَعَت في المَاءِ ، فَرَجَعَ المُؤْمِنُ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ ؛ وَرَجَعَ الكافِرُ وقد امتَلأَتْ سَفِينَتُهُ ؛ فَأَسِفَ مَلَكُ المُؤْمِنِ ، وَقَالَ : رَبِّ ، عَبْدُكَ المُؤْمِنُ الذِي يَدْعُوكَ ، رَجَعَ وَلَيْسَ مَعهُ شَيْءٌ ؛ وَعَبْدُكَ الكافِرُ رَجَعَ وَقَدِ امْتَلأَتْ سَفِيْنَتُهُ . فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَكِ المُؤْمِنِ : تَعَالَ ؛ فَأَرَاهُ مَسْكَنَ المُؤْمِنِ في الجَنَّةِ ، فَقَالَ : ما يَضُرُّ عَبْدِي هَذَا المُؤْمِنَ ما أَصابَهُ بَعْدَ أَنْ يَصِيرَ إِلى هَذَا ؟ . وَأَرَاهُ مَسْكَنَ الكافِرِ فِي النَّارِ ، فَقَالَ : هَلْ يُغْنِي عنه من شَيءٍ ما أَصَابَهُ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : لا واللهِ يَا رَبِّ .

● وَمِنْها في آخِرِ « صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ »[1] : عن أَبِي العَبَّاسِ ابْنِ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : كُنْتُ باليَمَنِ ، فَرَأَيْتُ صَيَّاداً يَصْطَادُ السَّمَكَ عَلَى بَعْضِ السَّواحِلِ ، وإِلى جانِبِهِ ابْنَةٌ لَهُ ، كُلَّما اصْطَادَ سَمَكَةً تَرَكَها في دَوْخَلَةٍ[2] مَعَهُ ، فَتَرُدُّها الصَّبيَّةُ إِلى المَاءِ ، فَالْتَفَتَ الرَّجُلُ فَلَمْ يرَ شَيْئاً ، فَقَالَ : يا بُنَيَّةُ ، أَيَّ شَيءٍ صَنَعْتِ بالسَّمَكِ ؟ فَقَالَتْ : يَا أَبَتِ ، سَمِعْتُكَ تَرْوِي عن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لا تَقَعُ سَمَكَةٌ في شَبَكَةٍ إِلاَّ إذا غَفَلَتْ عن ذِكْرِ اللهِ » فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ آكُلَ شَيْئاً غَفَلَ عن ذِكْرِ الله ؛ فَبَكَى الرَّجُلُ ، وَرَمَى بالصِّنَّارَةِ .

● وَمِنْها فِي « كِتابِ الثَّوابِ »[3] : عن نافِعٍ ، عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّهُ كان مَرِيضاً فَاشْتَهَى سَمَكَةً طَرِيَّةً ، فَالْتُمِسَتْ لَهُ بِالمَدِيْنَةِ فَلَم تُوجَدْ ، حَتَّى وُجِدَتْ بَعْدَ كَذَا وَكَذَا يَوْماً ، فَاشْتُرِيَتْ بِدِرْهَمٍ وَنِصْفٍ ، وَشُوِيَتْ ، وَحُمِلَتْ لَهُ عَلَى رَغِيفٍ ، فَقَامَ سائِلٌ عَلَى البَابِ ، فَقَالَ لِلغُلامِ :

---

(١) صفة الصَّفوة لابن الجوزيّ ٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

(٢) وعاءٌ كالزّنبيل يُوضع فيه الزّاد .

(٣) تاريخ دمشق ٣٧/ ٦٠ و ٦١ و ٦٢ ومختصره ١٣/ ١٦٤ وطبقات ابن سعد ٤/ ١٤٨ .

لُفَّها برَغِيْفِها وادْفَعْها إِلَيْهِ . فقال الغلامُ : أَصلحكَ الله ، اشتَهَيْتَها منذُ كذا وكذا يوماً فلم نَجِدْها ، فلمّا وَجَدْناها واشْتَرَيناها بدرهمٍ ونصفٍ ، أَمَرتَ أن ندفعَها له ؟ نحن نُعطيهِ ثَمنَها ، فقال : لُفَّها وادْفعها إليه . فَقَالَ الغُلامُ لِلسَّائِلِ : هَلْ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ دِرْهِماً ، وَتَدعَ هَذِهِ السَّمَكَةَ ؟ فَأَخَذَ مِنْهُ دِرْهَماً وَرَدَّها ، فَعادَ الغُلامُ إلى عبدِ اللهِ وَقَالَ لَهُ : دَفَعْتُ لَهُ دِرْهَماً وأَخَذْتُها مِنهُ ، فَقَالَ لَهُ : لُفَّها وَادْفَعْها إِلَيْهِ ، وَلا تَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « أَيُّما امْرِىءٍ اشْتَهَى شَهْوَةً ، فَرَدَّ شَهْوَتَهُ ، وَآثَرَ بها عَلَى نَفْسِه ، غَفَرَ اللهُ لَهُ » .

● وَمِنْها ما رَوَى « الطَّبرانيُّ »[1] بإِسْنادٍ صَحيحٍ ، عن نافِعٍ : أَنَّ ابْنَ عُمرَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما اشْتَكَى ، فَاشْتَهَى عِنَباً ، فاشْتُرِيَ لَهُ عُنْقودُ عِنَبٍ بدِرْهَمٍ ، فَجَاءَ مِسْكِيْنٌ فَقَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ ؛ فَخَالَفَ إِنْسَانٌ فَاشْتَراهُ مِنْهُ بدِرْهَمٍ ، ثُمَّ جاءَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ فِي الرَّابِعَةِ أَكَلَهُ ؛ وَلَوْ عَلِمَ ذَلِكَ ما ذَاقَهُ .

وَقَالَ سُرَيْج بن يُونس[2] : خَرَجْتُ يَوْماً لِصَلاةِ الجُمُعَةِ ، فَرَأَيْتُ سَمَكَتَيْنِ مَشْوِيَّتَيْنِ ، فاشْتَهَيْتُهُما بِقَلْبِي للصِّبْيَانِ وَلَمْ أَتَكَلَّمْ ، فَلَمّا رَجَعْتُ لَمْ أَسْتَقِرَّ إِلاَّ قَلِيْلاً ، حَتَّى دَقَّ البابَ رَجُلٌ ، وَعَلَى رَأْسِهِ طَبَقٌ عَلَيْهِ السَّمَكَتانِ وَبَقْلٌ وَخَلٌّ وَرُطَبٌ كَثِيرٌ ؛ فَقَالَ : يَا أَبا الحارِثِ ، كُلْ هَذا مَعَ الصِّبْيَانِ .

● وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بن الإمامِ أَحمد بن حَنْبل[3] : سَمِعْتُ سُرَيْجَ بن يُونس يَقُولُ : رَأَيْتُ رَبَّ العِزَّةِ فِي المَنامِ ، فَقَالَ لِي : يا سُرَيْجُ ، سَلْ حاجَتَكَ ؟

---

(١) وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/ ٦٢ و ٦٣ ومختصره ١٣/ ١٦٥ وطبقات ابن سعد ٤/ ١٤٨ و ١٤٩ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٤ وتهذيب الكمال ١٠/ ٢٢٤ .

(٣) الدِّيباج للختّلي ٨٤ وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٥ والمنتظم ١١/ ٢٢٨ وتهذيب الكمال ١٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ وسير أعلام النُّبلاء ١١/ ١٤٦ ووفيات الأعيان ١/ ٦٧ .

فَقُلْتُ : يَا رَبِّ سَرْ بِسَرْ . اهـ . وَسَرْ بِسَرْ : لَفْظَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ ، تَعْنِي : رَأْساً بِرَأْسٍ .

● وَفِي « تارِيخِ ابْنِ خلّكان »[1] أَنَّ سُرَيْجاً هَذَا جَدُّ أَبِي العَبَّاسِ [أحمد بن عُمر] بن سُرَيْجٍ إِمامِ الفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ .

الحُكْمُ : السَّمَكُ بِجَمِيعِ أَنْواعِهِ حَلالٌ بِغَيْرِ ذَبْحٍ ، سَواءٌ مَاتَ بِسَبَبٍ ظاهِرٍ ، كَضَغْطَةٍ ، أَوْ صَدْمَةِ حَجَرٍ ، أَوِ انْحِسَارِ مَاءٍ ، أَوْ ضَرْبٍ من صَيَّادٍ ، أَوْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ ؛ لِعُمُومِ ما تَقَدَّمَ من قَوْلِهِ ﷺ : « أُحِلَّتْ لَنا مَيْتَتانِ وَدَمان : السَّمَكُ وَالجَرادُ ، وَالكَبِدُ والطِّحَالُ » .

وَأَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى طَهارَةِ مِيْتَتِهِما ؛ وَسَيَأْتِي فِي « بابِ العينِ » إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى حَدِيثُ العَنْبَرِ الذِي وَجَدَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَصْحابُهُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهم ، وَأَكَلَ مِنه النَّبيُّ ﷺ .

● **فَرْعٌ** : لو اصْطَادَ مَجُوسِيٌّ سَمَكاً ، فَهُوَ طاهِرٌ ، لِقَوْلِ الحَسَنِ : رَأَيْتُ سَبْعِينَ صَحابِيّاً ، كُلُّهُم يَأْكُلُونَ صَيْدَ المَجُوسِيِّ من الحِيْتَانِ ، وَلا يَتَلَجْلَجُ فِي صُدُورِهم من ذَلِكَ شَيْءٌ ؛ وَهَذَا في السَّمَكِ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ ، وَخَالَفَ مَالِكٌ فِي الجَرادِ .

● **فَرْعٌ** : لا يَحِلُّ قَطْعُ السَّمَكَةِ الحَيَّةِ ، لِمَا فِيهِ من التَّعْذِيْبِ ، كَمَا لو قَلاهَا قَبْلَ المَوْتِ في الزَّيْتِ المَغْلِيِّ . كَذَا قَالَهُ الشَّيْخُ أَبُو حامِدٍ .

قَالَ النَّوويُّ : وَهَذَا تَفْرِيعٌ عَلَى اخْتِيَارِهِ تَحْرِيمَ ابْتِلاعِها حَيَّةً ، وَذَلِكَ مُبَاحٌ . اهـ .

قُلْتُ : وَهَذَا مُشْكِلٌ ؛ فَلا يَلْزَمُ من جَوازِ الابْتِلاعِ ، جَوازُ القَلْيِ ، لِمَا فِيهِ من التَّعْذِيبِ بِالنَّارِ .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٦٦ .

● فَرْعٌ : يُكْرَهُ ذَبْحُ السَّمَكِ ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ كَبِيراً يَطُولُ بَقاؤه ، فَيُسْتَحَبُّ ذَبْحُهُ في الأَصَحِّ إراحَةً لَهُ .

وَقَالَ الرَّافِعِيُّ في أَكْلِ السَّمَكَةِ الصَّغِيْرَةِ ، إذا شُوِيَتْ وَلَمْ يُشَقَّ جَوْفُها ، وَلَمْ يُخْرَجْ ما فِيهِ : فِيهِ وَجْهانِ ، وَعَلَى المُسَامَحَةِ جَرَى الأَوَّلُونَ .

قَالَ الرُّويانيُّ : وَبِهَذَا أُفْتِي ، وَرَجِيْعُها طاهِرٌ عِنْدِي ، وَهُوَ مُخْتارُ القَفَّالِ .

● فَرْعٌ : اخْتَلَفَ العُلَماءُ في الحَيَوانِ الذِي في البَحْرِ سِوَى الحُوتِ ، فَقَالَ بَعْضُهم : يُؤْكَلُ جَمِيعُ ما فِي البَحْرِ سِوَى الضِّفْدَعِ ، وَلَوْ كان عَلَى صُورَةِ إنْسَانٍ ؛ وإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو عليٍّ الطَّبِيّ من قُدَماءِ أَصْحابِنَا .

قَالَ في « شَرْحِ القُنْيَة » : قِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ لو كان عَلَى صُورَةِ بَنِي آدَمَ ؟ قَالَ : وإِنْ تَكَلَّمَ بِالعَرَبِيَّةِ ، وَقَالَ : أَنا فُلانٌ ابْنُ فُلانٍ ، فإِنَّهُ لا يُصَدّقُ . انتهى .

وَهَذَا ضَعِيفٌ شاذٌّ .

وَقَالَ آخَرُونَ : يُؤْكَلُ الجَمِيعُ ، إلاَّ ما كَانَ عَلَى صُورَةِ الكَلْبِ والخِنْزِيرِ والضِّفْدَعِ .

وَقِيلَ : كُلُّ ما أُكِلَ فِي البَرِّ مَذْبُوحاً ، يُؤْكَلُ مِثْلُهُ فِي البَحْرِ مَذْبُوحاً وَغَيْرَ مَذْبُوحٍ عَلَى الأَصَحِّ ؛ وَقِيلَ : لا بُدَّ من ذَبْحِهِ ، وَاخْتَارَهُ الصَّيْدَلانِيُّ ؛ فَعَلَى هَذَا لا يَحِلُّ كَلْبُ المَاءِ وَلا خِنْزِيْرُهُ وَلا حِمارُ البَحْرِ ، وَإِنْ كان لَهُ شَبَهٌ في البَرِّ حَلالٌ وَهُوَ الحِمَارُ الوَحْشِيُّ ، لأَنَّ لَهُ شَبَهاً في البَرِّ حَراماً وَهُوَ الحِمَارُ الأَهْلِيُّ ، تَغْلِيباً للتَّحرِيمِ . كَذَا قَالَهُ فِي « الرَّوْضَةِ » وَ« شَرْحِ المُهَذَّبِ » .

قُلْتُ : المَذْهَبُ المُفْتى بِهِ : حِلُّ الجَمِيعِ إلاَّ السَّرَطانَ والضِّفْدَعَ والتِّمْسَاحَ ، سَواءٌ كان عَلَى صُورَةِ كَلْبٍ أَوْ خِنزِيرٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَم لا .

● فَرْعٌ : لو حَلَفَ إِنْسَانٌ لا يَأْكُلُ لَحماً ، لَمْ يَحْنَثْ بِأَكْلِ لَحْمِ السَّمَكِ ،

لأَنَّهُ لا يُفْهَمُ من إِطْلاقِ اسْمِ اللَّحْمِ عَلَيْهِ عُرْفاً ، وإِنْ سَمَّاهُ اللهُ تَعَالَى لَحْماً طَرِيّاً ؛ كَمَا لا يَحْنَثُ بِالجُلُوسِ في الشَّمْسِ ، إِذا حَلَفَ أَنَّهُ لا يَجْلِسُ فِي ضَوْءِ السِّراجِ ، وإِنْ سَمَّاها اللهُ تَعَالَى سِراجاً ؛ وَكَمَا لا يَحْنَثُ بِالجُلُوسِ عَلَى الأَرْضِ ، إِذا حَلَفَ لا يَجْلِسُ عَلَى بِسَاطٍ ، وإِنْ سَمَّاها اللهُ تَعَالَى بِساطاً .

● فَرْعٌ : قد اخْتُلِفَ فِي إِطْلاقِ اسْمِ السَّمَكِ عَلَى ما سِوَى الحُوتِ من هَذِهِ الحَيَوانَاتِ ، وَالذِي نَصَّ عليهِ الشَّافعيُّ في « الأُمِّ » و« المُخْتَصَرِ » أَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الجَمِيعِ . وَهُوَ الصَّحِيحُ فِي« الرَّوْضَةِ » .

وَقَالَ في اخْتِلافِ العِراقيِّينَ في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ﴾ [المائدة : ٩٦] الآيَةُ .

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ : طَعامُهُ : كُلُّ ما فِيهِ . وَهُوَ يُشْبِهُ ما قَالَ ، واللهُ أَعْلَمُ .

هَذِهِ عِبَارَتُهُ وَهِيَ صَرِيحَةٌ فِي حِلِّ الجَمِيعِ ؛ وَذَكَرَ في « المِنْهَاجِ » أَنَّ السَّمَكَ لا يَقَعُ إِلاَّ عَلَى الحُوتِ .

● فَرْعٌ : يَجُوزُ السَّلَمُ فِيهِ ، وَفِي الجَرادِ حَيّاً وَمَيْتاً عِنْدَ عُمُومِ الوُجُودِ ، وَيُوصَفُ كُلُّ جِنْسٍ بِمَا يَلِيْقُ بِهِ .

وَلا يَجُوزُ بَيْعُ السَّمَكِ فِي المَاءِ ، لِمَا رَوَى الإِمامُ أَحمدُ(١) ، عن محمَّد بن السَّمَّاكِ ، عن يَزِيد بن أَبِي زِيادٍ ، عن المُسَيَّبِ بن رافِعٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَشْتَرُوا السَّمَكَ فِي المَاءِ ، فإِنَّهُ غَرَرٌ » .

قَالَ البَيْهَقِيُّ : هَكَذَا رُوِيَ مَوْقُوفاً ، وَفِيهِ إِرْسَالٌ بَيْنَ المُسَيّبِ وابْنِ مَسْعُودٍ .

---

(١) في مسنده ١/ ٣٨٨ .

وَالصَّحِيْحُ ما رَوَاهُ هُشَيْمٌ ، عن يَزيد مَوْقُوفاً عَلَى عَبْدِ اللهِ : أَنَّهُ كَرِهَ بَيْعَ السَّمَكِ فِي المَاءِ .

● فَرْعٌ : ما يَعِيْشُ في البَرِّ والبَحْرِ : الضِّفْدَعُ ، وَالتِّمْسَاحُ ، وَالحَيَّةُ ، وَاللَّجـأَةُ ، وَالسَّـرَطـانُ ، وَالسُّلَحْفـاةُ ، وَالحَلَـزُونُ ، وَالـدَّعـامِيْـصُ ، وَالأَصْدافُ ، والنَّسْنَاسُ .

أَمَّا السِّتَّةُ الأُوْلَى فَمُحَرَّمَةٌ ، وَأَمَّا الحَلَزُونُ فَتَقَدَّمَ حُكْمُهُ في « بابِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ » ، وَأَمَّا الدَّعامِيْصُ فَعَلَى قَوْلِ القاضِي : إِنَّها مَاءٌ مُنعَقِدٌ ، وَلا يَعِيْشُ إِلاَّ فِي المَاءِ ، يَحِلُّ أَكْلُها ، وَعَلَى قَوْلِ الجاحِظِ : يُحَرَّمُ ، لأَنَّ البَعُوضَ حَرامٌ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حُكْمُهُ في « بابِ الدَّالِ المُهْمَلَةِ » ، وَالصَّدَفُ حَرامٌ كَمَا تَقَدَّمَ في « السَّرَطَّانِ » ، وَفِي النَّسْنَاسِ خِلافٌ يَأْتِي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ النُّونِ » .

الخَواصُّ[1] : لَحْمُهُ بارِدٌ رَطْبٌ ، أَجْوَدُهُ البَحْرِيُّ ، المُرَقَّشُ الظَّهْرِ ، الصَّغِيْرُ المُفَلَّسُ ، مَنْفَعَتُهُ تَخْصِيْبُ الأَبدانِ المُتَرَفِّهَةِ ، لَكِنَّهُ يُعْطِشُ وَيُوَلِّدُ خَلْطاً بَلْغَمِيّاً ، يُوافِقُ أَصْحَابَ الأَمْزِجَةِ الحارَّةِ وَالشَّبابَ ، وأَجْوَدُهُ ما أُكِلَ في الصَّيْفِ وَفِي البِلادِ الحَارَّةِ .

وَأَنْواعُ السَّمَكِ كَثِيْرَةٌ ، وَيُكْرَهُ من جُمْلَتِها الأَسْوَدُ وَالأَصْفَرُ وَالآجاميُّ وَمَا اغْتَذَى بالحَمْأَةِ ، وَيُكْرَهُ الإِبْرامِيس وَالبُوري لِمَضَرَّتِهما بالمَعِدَةِ ، وإِطْلاقِهِما البَطْنَ ، وَتَحْرِيْكِهِما الأَوْجَاعَ ، وَالغَضَبُ بَعْدَ أَكْلِهِما يُورِثُ أَمْراضاً رَدِيْئَةً .

وَسَمَكُ الأَنْهارِ كَثِيرُ الشَّوْكِ رَقِيْقُهُ ، كَثِيْرُ الرُّطُوبَةِ ، وَالبَحْرِيُّ بِالضِّدِّ .

وَالسِّلَّوْرُ ـ وَهُوَ الجِرِّيُّ ـ كَثِيْرُ الغِذاءِ ، مُلَيِّنٌ لِلْبَطْنِ ، وَيُنَقِّي قَصَبَةَ الرِّئَةِ ،

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٢ وتذكرة داود ١/ ١٩٩ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٣٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٤٠ .

وَيُصَفِّي الصَّوْتَ .

وَالمَارماهيج يَزِيْدُ في المَنِيِّ ، وَشَحْمِ الكُلَى .

وَالعَظِيْمُ الجُثَّةِ من السَّمَكِ : كَثِيْرُ الغِذَاءِ والفُضُولِ .

وَقَالَ ابْنُ سِيْنَا : لَحْمُ السَّمَكِ : نافِعٌ لِمَاءِ العَيْنِ ، وَيُحِدُّ البَصَرَ مَعَ العَسَلِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : يَزِيْدُ في الباهِ .

وَقَالَ القَزْوِينيُّ : إِنَّ أَكْلَ الطَّرِيِّ مِنهُ مَعَ البَصَلِ الرَّطْبِ يُهَيِّجُ الباهَ ، وَيَزِيْدُ فِيهِ إِذا أَكَلَهُ حارّاً .

وَالسَّمَكُ إذا شَمَّهُ السَّكْرَانُ ، يَرْجِعُ إِلَيْهِ عَقْلُهُ ، وَيَزُولُ عَنْهُ سُكْرُهُ .

وَمَرارَتُهُ وَمَرَارَةُ السُّلَحْفَاةِ البَحْرِيَّةِ ، إِذا خُلِطَتا ، وَكُتِبَ بِهِما عَلَى كاغِدٍ بِقَلَمٍ حَدِيْدٍ ، فإِنَّ الكِتابَةَ تُرَى باللَّيْلِ كَأَنَّها ذَهَبٌ .

وَمَرارَةُ السَّمَكِ والكُرْكِيِّ والحَجَلِ ، تَمْنَعُ نُزُولَ المَاءِ اكْتِحالاً .

وَمَرارَةُ السَّمَكِ : إِذا شُرِبَتْ نَفَعَتْ من الخَفَقَانِ ، وَكَذَلِكَ إِذا نُفِخَتْ في الحَلْقِ مع شَيْءٍ من السُّكَّرِ .

التَّعْبِيْرُ[1] : السَّمَكُ فِي الرُّؤْيَا : إِذا عُرِفَ عَدَدُهُ إِلى أَرْبَعٍ ، فَهُوَ نِساءٌ ؛ وإِنْ كان أَكْثَرَ من أَرْبَعٍ ، فَهُوَ مَالٌ وَغَنِيْمَةٌ ، لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [النَّحل : ١٤] وَهُوَ السَّمَكُ .

وَالحُوتُ يُعَبَّرُ بِوَزِيْرِ المَلِكِ ؛ وَالسَّمَكُ جُنْدُهُ ؛ فَمَنْ أَخَذَ سَمَكاً : نَالَ من جُنْدِ المَلِكِ مَالاً .

وَمَنْ رَأَى كَأَنَّهُ يَصْطَادُ السَّمَكَ في بِئْرٍ ، فإِنَّهُ لُوطِيٌّ ، أَوْ يَبِيْعُ خادِمَهُ لإِنْسَانٍ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ١٩٦ ، وتفسير الواعظ ٣٠٦ .

وَقَالَتِ النَّصَارَى : صَيْدُ السَّمَكِ في المَاءِ الكَدِرِ لا خَيْرَ فِيهِ ؛ وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَصِيْدُ السَّمَكَ فِي المَاءِ الصَّافِي ، فإِنَّهُ يَسْمَعُ كَلاماً يُسَرُّ بِهِ .

وَالسَّمَكُ لِلمَرِيضِ المُلازِمِ لِلْفِراشِ : دَلِيْلٌ رَدِيْءٌ ، بِسَبَبِ الرُّطُوبَاتِ .

وإِذا رَآهُ المُسَافِرُ فِي فِراشِهِ : دَلَّ عَلَى شِدَّةٍ ، وَرُبَّمَا يُخْشَى عَلَى صاحِبِ الرُّؤْيَا من الغَرَقِ ، لِأَنَّهُ قد ضَاجَعَهُ .

وَمَنْ رَأَى كَأَنَّهُ يَصِيْدُ السَّمَكَ من المَاءِ الصَّافِي ، فإِنَّهُ يُرْزَقُ وَلَداً سَعِيداً .

وَالسَّمَكُ المالِحُ : هَمٌّ من قِبَلِ سُلْطَانٍ ، وَذَلِكَ لِكَبْسِ بَعْضِهِ فَوْقَ بَعْضٍ ؛ وَقِيلَ : السَّمَكُ المَالِحُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرٍ وَمَالٍ بَاقٍ ، لِأَنَّ المِلْحَ يَحْفَظُ السَّمَكَ من التَّلَفِ ؛ وَقِيْلَ : إِنَّهُ هَمٌّ من قِبَلِ المَمَالِيكِ .

وَالسَّمَكُ المَشْوِيُّ يَدُلُّ عَلَى سَفَرٍ في طَلَبِ عِلْمٍ .

وَمَنْ رَأَى سَمَكَةً خَرَجَتْ من فَرْجِهِ ، وَلَهُ امْرَأَةٌ حامِلٌ ، بُشِّرَ بجارِيَةٍ .

وإِنْ رَأَى سَمَكاً كَثِيْراً ، وَبَيْنَها سَمَكَةٌ عَظِيْمَةٌ ، وَيَرَى أَكْبَرَ السَّمَكِ قد صُلِبَ ؛ فإِنَّ الجائِرَ وَالباغي يَهْلَكُ .

وَالسَّمَكُ المَقْلِيُّ يَدُلُّ عَلَى إِجابَةِ دَعْوَةِ مَن رآهُ ؛ لِأَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ دَعَا اللهَ ، فأُجِيْبَ بِالسَّمَكِ المَقْلِيِّ في المائِدَةِ .

وَرُؤْيَةُ الكِبَارِ من السَّمَكِ : غَنائِمُ وأَمْوالٌ ، وَالصِّغَارُ هُمُومٌ وَأَحْزانٌ ، لأَنَّ شَوْكَ الصِّغَارِ أَكْثَرُ من لَحْمِهِ ، وَيشُقُّ عَلَى آكِلِهِ .

● **فَصْلٌ** : الحُوتُ : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ عَلَى اليَمِيْنِ ، لِأَنَّ اللهَ تعالَى أَقْسَمَ بِهِ فَقَالَ : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ ﴾ [القلم : ١] .

وَرُبَّما دَلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى مَعْبَدِ الصَّالِحِيْنِ ، وَمَسْجِدِ المُتَعَبِّدِيْنَ ، لأَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ كان يُسَبِّحُ اللهَ تَعالَى فِي بَطْنِهِ .

وربَّما دلَّتْ رُؤْيَتُهُ عَلَى الغَمِّ والنَّكَدِ ، وَزَوالِ المَنْصِبِ ، وَحُلُولِ الغَضَبِ ، لأَنَّ اللهَ تَعالَى حَرَّمَ عَلَى اليَهُودِ صَيْدَهُ يَوْمَ السَّبْتِ ، فَخَالَفُوا أَمْرَهُ ، فَاسْتَوْجَبُوا بِذَلِكَ اللَّعْنَ .

وَرُؤْيَةُ حُوتِ يُونس عَلَيْهِ السَّلامُ أَمْنٌ لِلْخائِفِ ، وَغِنىً لِلفَقِيرِ ، وَفَرَجٌ لِمَنْ هُوَ فِي شِدَّةٍ ؛ وَكَذَلِكَ رُؤْيَةُ سِجْنِ يُوسُفَ ، وَالكَهْفِ والرَّقِيْمِ وَتَنُّورِ نُوحٍ عليهِ السَّلامُ .

● **فَصْلٌ** : واعتبرْ من السَّمَكِ الطَّرِيِّ ، وَالحُلْوَ ، وَالمالِحَ ، وَمَا لَهُ شَوْكٌ ، وَمَا له سِلاحٌ ، وما يُقَدَّدُ مِنْهُ ، وَمَا يَأْوِي البَحْرَ العَذْبَ ، وَمَا يَأْوِي البَحْرَ المِلْحَ ، وَمَا لَهُ صَوْتٌ يُسْمَعُ ، وَمَا يَطْفُو عَلَى وَجْهِ المَاءِ من صِغَارِهِ وَكِبارِهِ ، وَمَا لَهُ شَبَهٌ في البَرِّ ، وَمَا يَأْنسُ مِنْهُ فِي البُيُوتِ ، وَمَا يُمْسَكُ مِنْهُ بالْيَدِ من غَيْرِ آلَةٍ ، وَأَعْطِ الرَّائِي حَقَّهُ من ذَلِكَ .

فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ اصْطَادَ من البَحْرِ سَمَكاً طَرِيّاً حُلْواً بِآلَةٍ ، دَلَّ عَلَى الكَسْبِ الحَلالِ ، وَالسَّعْيِ فِيْهِ ، وَاقْتِنَاءِ الرِّزْقِ الحَلالِ .

وَالصَّيْدُ لِلرَّجُلِ دَالٌّ عَلَى احْتِيَالِهِ برَأْيِهِ وَجَهْدِهِ ، فإِنْ كَانَ الرَّائِي أَعْزَبَ تَزَوَّجَ ، وَإِنْ كان مُتَزَوِّجاً رُزِقَ وَلَداً عَلَى قَدْرِ ما صَادَهُ فِي المَنامِ .

وَصَيْدُ المَرْأَةِ يَدُلُّ عَلَى مَالٍ تُحْرِزُهُ من حاصِلِ زَوجِها أَوْ أَبِيْها .

وَصَيْدُ العَبْدِ دَلِيْلٌ عَلَى ما يَتَناوَلُهُ من مَالِ سَيِّدِهِ .

وَصَيْدُ الصَّغِيْرِ دَلِيْلٌ عَلَى ما يَحْفَظُهُ من عِلْمٍ أَوْ صِناعَةٍ أَوْ مَالٍ يَرِثُهُ من أَبَوَيْه .

فإِنْ كَانَتْ آلَةُ صَيْدِهِ شِباكاً أَوْ خَطَاطِيْفَ أَوْ ما يعمقُ في البَحْرِ ، كان ذَلِكَ شِدَّةً يَنَالها الرَّائِي ، وَخطَراً يَرْتَكِبُهُ .

فإِنْ كَانَت آلَةُ صَيدِهِ خَفِيفَةً ، وَطَلَعَ فَيْها ما يَطلعُ في غيرِها من الآلاتِ

الثِّقَالِ ، دَلَّ عَلَى بَسْطِ الرِّزْقِ ، وَتَسهِيلِ الأُمُورِ .

وإِنْ طَلَعَ في الآلاتِ الثِّقَالِ ما يَطلعُ فِي السَّهْلَةِ ، دَلَّ عَلَى التَّعَبِ والنَّصَبِ ، وَعَلَى اليَسِيرِ من الرِّزْقِ .

فإِنْ طَلَعَ لَهُ سَمَكٌ كَثِيْرٌ ، فإِنَّهُ رِزْقٌ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ البَحْرُ ؛ وَسَيَأْتِي الكلام إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِيْمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ البَحْرُ في « بابِ الفَاءِ » فِي « فَرَسِ البَحْرِ » .

فإِنْ كان البَحْرُ مَالِحاً ، نَالَ فائِدَةً ، أَوْ عِلْماً من أَعْجَمِيٍّ أَوْ مُبْتَدِعٍ .

فإِنْ كان ما صَادَهُ ، لَهُ شَوْكٌ وَقِشْرٌ ، كَانَتْ فِضَّةً مُحرزةً أَوْ ذَهَباً ؛ فإِنْ كان لَيْسَ لَهُ قِشْرٌ ، دَلَّ عَلَى أَعْمَالٍ باطِلَةٍ لا تَتِمُّ ؛ وَذَلِكَ لِسُرْعَةِ انْصِرافِهِ من الأَيْدِي وَمُلُوسَتِهِ .

وإِنْ كان للسَّمَكِ سِلاحٌ كَالشَّالِ وَالشّلبا ، دَلَّ عَلَى انْتِصَارِهِ عَلَى أَعْدائِه ، وَرُبَّمَا صادَقَ أَهْلَ الشَّرِّ .

فإِنْ كان مِمَّا يُقَدَّدُ ، فَهِيَ بِضَاعَةٌ لأَرْبابِ البَضَائِعِ .

وإِنْ رَأَى سَمَكَ البَحْرِ الحُلْوِ يَنْتَقِلُ إِلى البَحْرِ المِلْحِ ، أَوْ سَمَكِ المِلْحِ يَنْتَقِلُ إِلى الحُلْوِ ، دَلَّ عَلَى النِّفاقِ في الجَيْشِ ، واخْتِلافِ العامَّةِ فِيْمَا جرَتْ بِهِ العَوائِدُ من حُدُوثِ مَظْلَمَةٍ أَوْ ظُهُورِ بِدْعَةٍ .

فإِنْ رَأَى السَّمَكَ طافِياً عَلَى وَجْهِ المَاءِ ، دَلَّ عَلَى تَسهِيلِ الأُمُورِ ، وَقُرْبِ البَعِيْدِ ، وإِظْهَارِ الأَسْرارِ ، وإِخْراجِ المُخَبَّآتِ ، أَوْ مَالٍ أَصْلُهُ من مِيْراثٍ .

فإِنْ رَأَى عِنْدَهُ سَمَكاً صِغاراً وَكِباراً ، دَلَّ عَلَى الاهْتِمَامِ بِالأَفْراحِ والأَحْزانِ ، أَوْ ما يُوْجِبُ الاجْتِمَاعَ فِيْهِ بَيْنَ الجَيِّدِ والرَّدِيءِ .

فإِنْ رَأَى عِنْدَهُ سَمَكاً مِمَّا يُشْبِهُ خَلْقَ الآدَمِيِّ أَوِ الطَّيْر ، دَلَّ عَلَى التَّعَرُّفِ بالتُّجَّارِ المُتَرَدِّدِيْنَ في البَرِّ وَالبَحْرِ ، أَوِ التَّراجِمَةِ العارِفِيْنَ بِالأَلْسِنَةِ ، أَوِ المُتَخَلِّقِيْنَ بِالأَخْلاقِ المَرْضِيَّةِ ، وَيُعْتَبَرُ ذَلِكَ بِالشَّبَهِ .

فإنْ رَأَى عِنْدَهُ شَيْئاً مِمَّا يَأْنَسُ بالإنْسَانِ ، أَوْ يُرَبَّى في البُيُوتِ ، كَاللَّجَأَةِ وَالقُرْمُوطِ وَمَا أَشْبَهَهما ، كان دَلِيلاً عَلَى الإحسَانِ لِلأَيْتام والغُرَباءِ .

فإنْ رَأَى أَنَّهُ أَخَذَ السَّمَكَ من قَاعِ البَحرِ ، فإنَّهُ رُبَّمَا طَالَتْ يَدُهُ في صِناعَتِه ، وَحَصَلَ لَهُ رِزْقٌ طائِلٌ ، أَوْ تعَرَّضَ لأَمْوالِ السَّلاطِيْنِ ، أَوْ صَارَ لِصّاً ، أَوْ جاسُوساً .

فإنِ انْكَشَفَ البَحْرُ ، وَتَناوَلَ سَمَكاً أَوْ جَوْهَراً ، اطَّلَعَ عَلَى عِلْمٍ من غَيْبِ اللهِ تَعَالَى بإطلاعِ اللهِ تَعالَى لَهُ ، واتَّضَحَ لَهُ الدِّيْنُ ، وَاهْتَدَى إلى السَّبِيْلِ ، وَكانَتْ عاقِبَةُ أَمْرِهِ فِي ذَلِكَ عُقْبَى حَسَنَةً .

فإنْ عَادَ السَّمَكُ مِنْهُ إلى البَحْرِ ، صَحِبَ الأَوْلِيَاءَ ، واطَّلَعَ مِنْهُمْ عَلَى ما لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

وإنْ نَوَى سَفَراً ، وَجَدَ رُفْقَةً يُوافِقُونَهُ ، وَيَرْتَفِقُ بِهِمْ ، وَيَرْجِعُ إلى مَكانِهِ سَالِماً غانِماً . وَاللهُ أَعلمُ .

٤٥٣ السَّمَنْدَلُ : بِفَتْحِ السِّيْنِ والمِيْمِ ، وَبَعْدَ النُّونِ السَّاكِنَةِ دالٌ مُهْمَلَةٌ ، وَلامٌ في آخِرِهِ .

وَسَمَّاهُ الجَوْهَرِيُّ : السَّنْدَلُ ، بِغَيْرِ مِيْمٍ[١] ؛ وابْنُ خلّكان : السَّمَنْدُ ، بِغَيْرِ لامٍ[٢] .

● وَهُوَ طائِرٌ يَأْكُلُ البِيْشَ وَالبَيْشَاءَ ، وَهُوَ نَبْتٌ بِأَرْضِ الصِّيْنِ ، يُؤْكَلُ وَهُوَ أَخْضَرُ بِتِلْكَ البِلادِ ، فإذا يَبِسَ كان قُوتاً لَهُمْ وَلَمْ يَضُرَّهُمْ ، فإذا بَعُدَ عن الصِّيْنِ وَلَوْ مِئَةَ ذِراعٍ ، وَأَكَلَهُ آكِلٌ ، مَاتَ من سَاعَتِهِ .

---

(١) الصِّحاح « سدل » ٥/ ١٧٢٩ والحيوان ٦/ ٤٣٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٧/ ٤٣ وزاد : ويُقال : السَّمندل أيضاً بزيادة اللَّام .

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِ السَّمَنْدِلِ اسْتِلْذَاذُهُ بِالنَّارِ ، وَمُكْثُهُ فِيْها ؛ وإِذَا اتَّسَخَ جِلْدُهُ لا يُغْسَلُ إِلاّ بِالنَّارِ ، وَكَثِيْراً ما يُوْجَدُ بِالهِنْدِ .

وَهِيَ دابَّةٌ دُونَ الثَّعْلَبِ ، خَلَنْجِيَّةُ اللَّوْنِ ، حَمْراءُ العَيْنِ ، ذَاتُ ذَنَبٍ طَوِيلٍ ، يُنْسَجُ من وَبَرِها مَنادِيلُ ، إذا اتَّسَخَتْ أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ ، فَتَنْصَلِحُ وَلا تَحْتَرِقُ .

وَزَعَمَ آخَرُونَ[1] : أَنَّ السَّمَنْدَلَ طَائِرٌ بِبِلادِ الهِنْدِ يَبِيْضُ وَيُفَرِّخُ فِي النَّارِ ، وَهُوَ بِالخاصِّيَّةِ لا تُؤَثِّرُ فِيهِ النَّارُ ، وَيُعْمَلُ من رِيْشِهِ مَنادِيلُ تُحْمَلُ إِلى بِلادِ الشَّامِ ، فإِذا اتَّسَخَ بَعْضُها طُرِحَ فِي النَّارِ ، فَتَأْكُلُ النَّارُ وَسَخَهُ الذِي عَلَيهِ ، وَلا يَحْتَرِقُ المِنْدِيْلُ .

● قَالَ « ابْنُ خلّكان »[2] : وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ قِطْعَةً ثَخِيْنَةً مَنْسُوجَةً عَلى هَيْئَةِ حِزامِ الدَّابَّةِ ، فِي طُولِهِ وَعَرْضِهِ ، فَجَعَلُوها فِي النَّارِ ، فَمَا عَمِلَتْ فيها شَيْئاً ، فَغَمَسُوا أَحَدَ جَوانِبِها في الزَّيْتِ ثُمَّ تَرَكُوها عَلَى فَتِيْلَةِ السِّراجِ ، فَاشتعَلَ وَبَقِيَ زَماناً طَوِيلاً مُشْتَعِلاً ، ثُمَّ أَطْفَؤُوهُ فإِذا هُوَ عَلَى حالِهِ ما تَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ .

قَالَ[3] : وَرَأَيْتُ بِخَطِّ شَيْخِنَا العَلاَّمَةِ عَبْدِ اللَّطِيْفِ بنِ يُوسفَ البَغْدَادِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : قُدِّمَ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ ابنِ المَلِكِ النَّاصِرِ صَلاحِ الدِّيْنِ صاحِبِ حَلَبَ قِطْعَةُ سَمَنْدَلٍ ، عَرْضَ ذِراعٍ فِي طُولِ ذِراعَيْنِ ، فَصَارُوا يَغْمِسُونَها فِي الزَّيْتِ ، وَيُوقِدُونَها حَتَّى يَفْنَى الزَّيْتُ ، وَتَرْجِعُ بَيْضَاءَ كَمَا كانَتْ .

ذَكَرَهُ فِي تَرْجَمَةِ يَعْقُوبَ بن صابِرٍ المَنْجَنِيْقِيّ ، مَع زِيادَةٍ أُخْرَى ، وَأَبْياتٍ تَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي « بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ » فِي « العَنْكَبُوتِ » .

---

(١) وفيات الأعيان وثمار القلوب ٢/ ٦٦٢ والحيوان ٦/ ٤٣٥ و ٥/ ٣١٠ والمستطرف ٢/ ٤٨٨ .

(٢) وفيات الأعيان ٧/ ٤٣ .

(٣) وفيات الأعيان ٧/ ٤٤ .

وَقَالَ القَزوِينِيُّ[1] : السَّمَنْدَلُ : نَوْعٌ من الفَأْرِ ، يَدْخُلُ النَّارَ . وَذَكَرَ ما تَقَدَّمَ .

وَالمَعْرُوفُ أَنَّهُ طائِرٌ كَمَا حَكَاهُ البَكْرِيُّ فِي « كِتابِ المَسَالِكِ وَالمَمَالِكِ » وغَيْرُهُ أَيْضاً .

الخَواصُّ : مَرارَتُهُ : إذا سُقِيَ منها وَزْنَ دانقٍ بِمَاءِ الحِمَّصِ المَغْلِيِّ المُصَفَّى ، بِلَبَنٍ حَلِيْبٍ ، مِراراً كَثِيْرَةً ، مَن بِهِ السُّمُومُ القاتِلَةُ ، أَبْرَأَهُ مِنْها .

وَدِماغُهُ : إذا اكْتَحَلَ بِهِ مَعَ الإِثْمِدِ صاحِبُ المَاءِ النَّازِلِ ، أَبْرَأَهُ ، وَيَحْفَظُ الحَدَقَةَ من سَائِرِ الدَّاءِ .

وَدَمُهُ : إذا طُلِيَ بِهِ عَلَى الوَضَحِ ـ أَي البَرَصِ ـ غَيَّرَ لَوْنَهُ .

وَمَنْ بَلَعَ شَيْئاً من قَلْبِهِ ، لا يَسْمَعُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئاً إِلاَّ حَفِظَهُ .

وَمَرارَتُهُ : تُنْبِتُ الشَّعْرَ وَلَوْ عَلَى الرَّاحَةِ .

٤٥٤ السَّمُّورُ : وَهُوَ بِفَتْحِ السِّيْنِ ، وَبِالمِيْمِ المُشَدَّدَةِ المَضمومَةِ ، عَلَى وَزْنِ السَّفُودِ ، والكَلُّوبِ : حَيَوانٌ بَرِّيٌّ يُشْبِهُ السِّنَّوْرَ ؛ وَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّه النِّمْسُ ، وَإِنَّمَا البُقْعَةُ التي هُوَ فِيهَا ، هِيَ التِي أَثَّرَتْ فِي تَغْيِيرِ لَوْنِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّطِيْفِ البَغداديُّ : إِنَّهُ حَيَوانٌ جَرِيءٌ ، لَيْسَ فِي الحَيَوانِ أَجْرَأُ مِنْهُ عَلَى الإِنْسَانِ ، لا يُؤْخَذُ إِلاّ بالحِيَلِ ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يُدْفَنَ لَهُ جِيْفَةٌ ، فَيُغْتَالُ بِها ، وَلَحْمُهُ حُلْوٌ ، وَالتُّرْكُ يَأْكُلُونَهُ ، وَجِلْدُهُ لا يُدبَغُ كَسَائِرِ الجُلُودِ . انتهى .

وَمِنْ غَرِيْبِ ما وَقَعَ للنَّوويِّ فِي « تَهْذِيْبِ الأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ » : أَنَّهُ قَالَ[2] : السَّمُّورُ : طائِرٌ . وَلَعَلَّهُ سَبْقُ قَلَمٍ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٣٠١ .

(٢) تهذيب الأَسماء واللُّغات ٢/ ١٥٥ .

وَأَعْجَبُ مِنْهُ ، ما حَكاهُ ابْنُ هِشَامِ السَّبتيُّ فِي « شَرْحِ الفَصيحِ » : أَنَّهُ ضَرْبٌ من الجِنِّ .

وَخُصَّ هَذَا النَّوْعُ باتِّخاذِ الفِراءِ من جُلُودِهِ لِلِيْنِها وَخِفَّتِها وَدَفائِها وَحُسْنِها ، وَيَلْبَسُهُ المُلُوكُ وَالأَكابِرُ .

قَالَ مُجاهِدٌ : رَأَيْتُ عَلَى الشَّعبيِّ قِبَاءَ سَمُّورٍ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، إِلْحاقاً لَهُ بِالثَّعْلَبِ ؛ وَلأَنَّهُ لا يَأْكُلُ شَيْئاً من الخَبائِثِ .

التَّعبيرُ : هُوَ فِي الرُّؤْيَا : يَدُلُّ عَلَى رَجُلٍ ظَالِمٍ لِصٍّ ، لا يُخَالِطُ أَحَداً ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

٤٥٥ السَّبَيْطَرُ : عَلَى مِثَالِ العَمَيْثَلِ : طائِرٌ طَوِيْلُ العُنُقِ جِدّاً ، يُرَى أَبَداً فِي المَاءِ الضَّحْضَاحِ ، يُكْنَى بِأَبِي العَيْزَارِ . كَذَا قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[١] .

وَيُقَالُ لَهُ : السَّمَيْطَرُ ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مالِكُ الحَزِيْن ، وَهُوَ البَلَشُون كَمَا تَقَدَّمَ ؛ وَسَيَأْتِي فِي « بابِ المِيْمِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

٤٥٦ السَّمَيْدَرُ : دَابَّةٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الهِنْدِ وَالصِّيْنِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] .

٤٥٧ سناد : قَالَ القَزْوِيْنِيُّ[٣] : إِنَّهُ حَيَوانٌ عَلَى صِفَةِ الفِيْلِ إِلاَّ أَنَّهُ أَصْغَرُ مِنْهُ جُثَّةً ، وَأَعْظَمُ من الثَّوْرِ .

وَقِيْلَ : إِنَّ وَلَدَها يُخْرِجُ رَأْسَهُ من فَرْجِ أُمِّه ، وَيَرْعَى حَتَّى يَقْوَى ؛ فإِذا

---

(١) الصِّحاح « سبطر » ٢/ ٦٧٦ ، وعنه اللِّسان ٣/ ١٩٢٤ .

(٢) واللِّسان « سمدر » ٣/ ٢٠٩٠ . وفي ط : السَّمندر والسّميدر . والمثبت من أ ، ب .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٦٠ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٧ . وفي أ والقزويني : ساد .

قَوِيَ ، خَرَجَ وَهَرَبَ من الأُمِّ ، مَخافَةَ أَنْ تَلْحَسَهُ بِلِسانِها ، لأَنَّ لِسانَها مِثْلُ الشَّوْكِ ؛ فإِنْ وَجَدَتْهُ لَحَسَتْهُ حَتَّى يَنْحازَ لَحْمُهُ عن عَظْمِهِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ بِبلادِ الهِنْدِ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ كَالفِيْلِ .

٤٥٨ السِّنْجَابُ : حَيوانٌ عَلَى حَدِّ اليَرْبُوعِ ، أَكْبَرُ من الفَأْرِ ؛ وَشَعْرُهُ في غَايَةِ النُّعُومَةِ ، يُتَّخَذُ من جِلْدِهِ الفِراءُ يَلبسهُ المُتَنَعِّمُونَ[١] .

وَهُوَ شَدِيْدُ الحِيَلِ ؛ إِذا أَبْصَرَ الإِنْسَانَ صَعَدَ الشَّجَرَةَ العَالِيَةَ ، وَفِيْهَا يَأْوِي ، وَمِنْها يَأْكُلُ ؛ وَهُوَ كَثِيرٌ بِبِلادِ الصَّقَالِبَةِ وَالتُّرْكِ .

وَمِزاجُهُ حارٌّ رَطْبٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِه عَلَى الإِنْسَانِ ؛ وَأَحْسَنُ جُلُودِهِ الأَزْرَقُ الأَمْلَسُ .

وَقَدْ أَحْسَنَ القائِلُ[٢] : [مِنَ الخَفيفِ]

كُلَّمـا ازْرَقَّ لَـوْنُ جِلْـدِي مـن البَـرْ دِ تَخَيَّلْـتُ أَنَّـهُ سِنْجَـابُ

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ من الطَّيِّبَاتِ .

وَقَالَ بِتَحْرِيْمِ أَكْلِهِ القاضِي من الحَنابِلَةِ ، وَعَلَّلَهُ بِأَنَّهُ يَنْهَشُ الحَيَّاتِ ، فَأَشْبَهَ الجُرَذَ .

وَاسْتَدَلَّ الجُمْهُورُ بِأَنَّهُ يُشْبِهُ اليَبروع ، وَمَتَى تَرَدَّدَ بينَ الإِباحَةِ وَالتَّحريمِ ، غَلَبَتِ الإِباحَةُ ، لأَنَّها الأَصْلُ .

وإِذا ذُكِّيَ السِّنْجَابُ ذَكاةً شَرْعِيَّةً ، جَازَ لُبْسُ فِرائِهِ ؛ وَإِنْ خُنِقَ ثُمَّ دُبِغَ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٦٠ والمستطرف ٢/ ٤٨٩ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٥٧ .

(٢) البيت لأَبي الحسين الجزّار في فوات الوفيات ٤/ ٢٨٨ والمغرب لابن سعيد (قسم مصر) ٣١٩ .

جِلْدُهُ ، لَمْ يَطْهَرْ شَعْرُهُ عَلَى الأَصَحِّ كَسَائِرِ جُلُودِ المَيْتَةِ ، لأَنَّ الشَّعْرَ لا يَتأَثَّر بِالدِّباغِ ؛ وَقِيلَ : يَطْهَرُ الشَّعْرُ تبعاً لِلْجِلْدِ ، وَهِيَ رِوايَةُ الرَّبِيْعِ الجِيْزِيِّ عن الشَّافِعِيِّ ؛ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ فِي « المُهَذّبِ » سِوَى هَذِهِ المَسْأَلَةَ .

وَهَذَا الوَجْهُ صَحَّحَهُ الأُسْتاذُ أَبُو إِسْحاقَ الإِسْفرايِينِي وَالرُّويانيّ وابْنُ أَبي عَصرون ، وَاخْتَارَهُ السُّبْكِيُّ وَغَيْرُهُ ، لأَنَّ الصَّحابَةَ قَسَمُوا فِي زَمَنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ الفِراءَ المَغْنُومَةَ من الفُرْسِ ، وَهِيَ ذَبائِحُ مَجُوسٍ .

● وَفِي « صَحِيْحِ مُسْلِمٍ »[1] من حَدِيْثِ أَبِي الخَيْرِ مَرْثَد بن عَبْدِ اللهِ اليَزَنيّ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى ابْنِ وَعْلَةَ السَّبَئِيِّ فَرْواً ، فَمَسَسْتُهُ ، فَقَالَ : ما لَكَ تَمَسُّهُ ، قد سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، قُلْتُ لَهُ : إِنَّا نَكُونُ بِالمَغْرِبِ ، وَمَعَنَا البَرْبَرُ وَالمَجُوسُ ، فَنُؤْتَى بِالكَبْشِ قد ذَبَحُوهُ ، وَنَحْنُ لا نَأْكُلُ ذَبائِحَهُمْ ، وَيَأْتُونا بِالسِّقَاءِ فَيَجْعَلُونَ فِيهِ الوَدَكَ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : قد سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عن ذَلِكَ فَقَالَ : « دِباغُهُ طَهُورُهُ » .

الخَواصُّ[2] : لَحْمُهُ يُطْعَمُ لِلْمَجْنُونِ : يَزُولُ جُنُونُهُ ؛ وَيَأْكُلُهُ صاحِبُ الأَمْراضِ السَّوداوِيَّةِ : يَنْفَعُهُ .

قَالَ فِي « المُفْرَدَاتِ » : إِسْخانُ السِّنْجَابِ قَلِيْلٌ ، لأَنَّ الأَغْلَبَ عَلَى مِزاجِ حَيَوانِهِ كَثْرَةُ الرُّطُوبَةِ وَقِلَّةُ الحَرارَةِ ، لاغْتِذَائِهِ بِالفَواكِهِ ؛ وَلِذَلِكَ يَصْلُحُ لُبْسُهُ لِلْمَحْرُورِيْنَ وَالشَّبَابِ ، لأَنَّهُ يُسَخِّنُ إِسْخاناً مُعْتَدِلاً .

٤٥٩ السِّنْدَأْوَةُ : الذِّئْبَةُ[3] .

---

(١) مسلم (٣٦٦) .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٦٠ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٤٠ وتذكرة داود ١/ ٢٠٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٧ .

(٣) المخصّص ٨/ ٦٨ . ويُطلق على النّمرة أيضاً .

٤٦٠ **السَّنَّةُ** : الذِّئْبَةُ أَيْضاً[(١)] .

٤٦١ **السَّنْدَلُ** : هُوَ السَّمَنْدَلُ ، المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُ قَرِيباً .

وَالسَّنْدَلُ : لَقَبُ عُمر بن قَيسٍ المَكِّيّ[(٢)] ، وَهُوَ مَتْرُوكُ الحَدِيثِ ، وَلَهُ فِي « سُنَنِ ابْنِ ماجَه » حَدِيْثَانِ ضَعِيْفَانِ .

٤٦٢ **السِّنَّوْرُ** : بِكَسْرِ السِّيْنِ المُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ النُّونِ المُشَدَّدَةِ : واحِدُ السَّنانِيْرِ : حَيَوانٌ مُتَواضِعٌ ـ وَهُوَ المَعْرُوفُ بِالهِرِّ ـ أَلُوفٌ ، خَلَقَهُ اللهُ تعالَى لِدَفْعِ الفَأْرِ .

وَكُنْيَتُهُ[(٣)] : أَبُو خِداشٍ ، وَأَبُو غَزْوانَ ، وأَبُو الهَيْثَمِ ، وَأَبُو شَمَّاخٍ ؛ وَالأُنْثَى : أُمُّ شَمَّاخٍ ؛ وَلَهُ أَسْماءٌ كَثِيْرَةٌ .

● قِيْلَ[(٤)] : إِنَّ أَعرابيّاً صَادَ سِنَّوْراً ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، فَتَلَقَّاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : ما هَذَا السِّنَّوْرُ ؟ وَلَقِيَ آخَرَ ، فَقَالَ : ما هَذَا الهِرُّ ؟ ثُمَّ لَقِيَ آخَرَ ، فَقَالَ : ما هَذَا القِطُّ ؟ ثُمَّ لَقِيَ آخَرَ ، فَقَالَ : ما هَذَا الضَّيْوَنُ ؟ ثُمَّ لَقِيَ آخَرَ ، فَقَالَ : ما هَذَا الخَيْدَعُ ؟ ثُمَّ لَقِيَ آخَرَ ، فَقَالَ : ما هذا الخيطل ؟ ثُمَّ لَقيَ آخرَ ، فَقَالَ : ما هَذَا الدِّمُّ ؟ فَقَالَ الأعرابيُّ : أَحْمِلُهُ وَأَبِيْعُهُ ، لَعَلَّ اللهُ تَعالَى يَجْعَلُ لِي فِيْهِ مالاً كَثِيْراً ؛ فَلَمَّا أَتَى بِهِ إِلى السُّوقِ ، قِيْلَ لَهُ : بِكَمْ هَذَا ؟ فَقَالَ : بِمِئَةٍ ؛ فَقِيْلَ لَهُ : إِنَّهُ يُسَاوِي نِصْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَرَمَى بِهِ وَقَالَ : لَعَنَهُ اللهُ ، ما أَكْثَرَ أَسْماءَهُ ، وَأَقَلَّ ثَمَنَهُ .

---

(١) كذا ، وهو غير صحيح . ففي المخصَّص ٨/ ٧٤ ، واللِّسان « سنن » ٣/ ٢١٢٧ : السَّنَّةُ : اسمٌ للدُّبَّةِ أو الفهدة .

(٢) ترجمته في : تهذيب الكمال ٢١/ ٤٨٧ وميزان الاعتدال ٣/ ٢١٨ وتهذيب التَّهذيب ٧/ ٤٩٠ ونزهة الألباب في الألقاب ١/ ٣٧٨ .

(٣) المرصّع ١٥٢ و ٢٦١ و ٣٤٤ و ٣٦٥ .

(٤) المستطرف ٢/ ٤٨٩ وعجائب المخلوقات ٢٦٠ .

وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ لِلذَّكَرِ . قَالَهُ فِي « الكِفَايَةِ » .

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : يُقَالُ فِي الأُنْثَى : سِنَّوْرَةٌ ، كَمَا يُقَالُ فِي أُنْثَى الضَّفادِعِ : ضِفْدَعَةٌ . انتهى .

قُلْتُ : ولا يَمْتَنِعُ القِياسُ فِي خَيْطَلَةٍ ، وَضَيْوَنَةٍ ، وَقِطَّةٍ ، وَخَيْدَعَةٍ ، وَهِرَّةٍ .

● رَوَى « الحاكِمُ »[1] عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قَالَ : كان النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي دَارَ قَوْمٍ من الأَنْصَارِ ، وَدُونَهُمْ دُورٌ لا يَأْتِيها ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، فَكَلَّمُوهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ فِي دارِكُمْ كَلْباً » . قَالُوا : فإِنَّ فِي دارِهِمْ سِنَّوْراً . فَقَالَ : « السِّنَّوْرُ سَبُعٌ » ثُمَّ قال : حَدِيثٌ صحِيحٌ[2] .

● وَرَوَى نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ فِي « كِتابِ الفِتَنِ » عن أَبِي سَرِيْحَةَ الغِفاريِّ[3] صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يُحْشَرُ رَجُلانِ من مُزَيْنَةَ ، هُمَا آخِرُ النَّاسِ حَشْراً ، يُقْبِلانِ من جَبَلٍ قد تَوَارَى ، حَتَّى يَأْتِيَا مَعَالِمَ النَّاسِ ، فَيَجِدَا الأَرْضَ وُحُوشاً ، حَتَّى يَأْتِيَا المَدِيْنَة ، فإذا بَلَغَا أَدْنَى المَدِينَةِ قالا : أَيْنَ النَّاسُ ؟ فَلاَ يَرَيَانِ أَحَداً ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : النَّاسُ فِي دُورِهِم ؛ فَيَدْخُلانِ الدُّورَ ، فإِذا لَيسَ فيها أَحَدٌ ، وَإِذَا عَلَى الفُرُشِ الثَّعالِبُ وَالسَّنانِيْرُ ؛ فَيَقولُ أَحَدُهُمَا لِصاحِبِهِ : أَيْنَ النّاسُ ؟ فَيَقُولُ : أَراهُمْ فِي الأَسْواقِ ، قد شَغَلَهُمُ البَيْعُ ؛ فَيَخْرُجَانِ حَتَّى يَأْتِيَا الأَسْواقَ ، فَلا يَجِدَانِ فِيهَا أَحَداً ، فَيَنْطَلِقَانِ حَتَّى يَأْتِيَا بابَ المَدِيْنَةِ ، فإِذا عَلَيْهَا مَلَكَانِ ، فَيَأْخُذَانِ بِأَرْجُلِهِمَا ، وَيَسْحَبَانِهِمَا إِلى أَرْضِ

---

(١) المستدرك ١/ ١٨٣ ومسند أَحمد ٢/ ٣٢٧ .

(٢) تعقَّبه الإِمام الذَّهبيّ بأَنَّ في سنده عيسى بن المسيَّب ؛ قال عنه أَبو داود : ضعيف . وقال أَبو حاتم : ليس بالقويّ .

(٣) اسمه حذيفة بن أَسِيد الغفاريّ . (أُسد الغابة ١/ ٤٦٦) .

المَحْشَرِ ، فَهُمَا آخِرُ النَّاسِ حَشْراً » .

● غَرِيْبَةٌ : قِيْلَ : كان لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ سِنَّوْرٌ يَأْلَفُ مَجْلِسَهُ ، وَكَانَ بَعْضُ أَصْحابِهِ إذا أَرَادَ الاجْتِمَاعَ بِهِ فَيَعْسُرُ عَلَيْه ذَلِكَ ، كَتَبَ حاجَتَهُ فِي رُقْعَةٍ وَعَلَّقَهَا فِي عُنُقِ السِّنَّوْرِ ، فَيَراهَا رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، فَيَأْخُذُ الرُّقْعَة ، وَيَقْرَأُها ، وَيَكْتُبُ جَوابَها عَلَيْهَا ، ثُمَّ يَشُدُّهَا فِي عُنُقِ السِّنَوْرِ ، فَيَرْجِعُ بِهَا إِلَى صاحِبِهَا .

● وَقِيْلَ[1] : إِنَّ أَهْلَ سَفِيْنَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ تَأَذَّوْا من الفَأْرِ ، فَمَسَحَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ جَبْهَةَ الأَسَدِ ، فَعَطَسَ فَرَمَى بالسِّنَّوْرِ ؛ فَلِذَلِكَ هُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالأَسَدِ ، بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ أَنْ يُصَوَّرُ الهِرُّ إِلاَّ جَاءَ أَسَداً .

وَهُوَ ظَرِيْفٌ لَطِيْفٌ ، يَمْسَحُ بلُعابِهِ وَجْهَهُ ، وإذا تَلَطَّخَ شَيْءٌ من بَدَنِه نَظَّفَهُ .

وَهُوَ فِي آخِرِ الشِّتَاءِ تَهِيْجُ شَهْوَتُهُ ، فَيَتَأَلَّمُ أَلَماً شَدِيْداً من لَذْعِ مَادَّةِ النُّطْفَةِ ، فَلا يزال يَصِيْحُ حتى يُلْقِيَ تِلْكَ المادَّة .

وَإِذا جَاعَتِ الأُنْثَى أَكَلَتْ أَوْلادَها ، وَقِيْلَ : إِنَّها تَفْعَلُ ذَلِكَ لِشِدَّةِ مَحَبَّتِها لَهُمْ ؛ وَأَنْشَدَ الجاحِظُ[2] : [من السريع]

جَاءَتْ مَعَ الأَشْقَيْنَ فِي هَوْدَجٍ ... تُزْجِي إِلى البَصْرَةِ أَجْنادَها
كَأَنَّها فِي فِعْلِهَا هِرَّةٌ ... تُرِيْدُ أَنْ تَأْكُلَ أَوْلادَها

مَعْنَى تُزْجِي: تَسُوقُ؛ قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ [النُّور: ٤٣] أَي يَسوقُ سَحابًا .

وَإِذَا رَاثَ السِّنَّوْرُ سَتَرَ رَوْثَهَ ، حَتَّى لا يَشُمَّ رائِحَتَهُ الفَأْرُ فَيَهْرُبَ ، فَيَشُمُّهُ أَوَّلاً ، فإذا وَجَدَ رائِحَتَهَ شَدِيْدَةً غَطَّاهُ ، بِحَيْثُ يُوارِي الرَّائِحَةَ والجِرْمَ ، وَإِلاّ

---

(١) ربيع الأبرار ٥/ ٤٢٧ والحيوان ٥/ ٣٤٨ وعجائب المخلوقات ٢٦٠ .

(٢) البيتان للسَّيِّد الحميري ، في الحيوان ١/ ١٩٧ . وقال الجاحظ : يُشبِّه أُمَّ المؤمنين في نصبها الحرب يوم الجمل ، بالهرَّة حين تأكلُ أَولادَها ! .

اكْتَفَى بأَيْسَرِ التَّغْطِيَةِ .

قَالُوا : وَالفَأْرَةُ تَعْرِفُ رَجِيْعَ السِّنَّوْرِ .

● ذَكَرَ الزَّمخشريُّ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَلْهَمَ الهِرَّةَ بِذَلِكَ ، لِيَتَنَبَّهَ بِذَلِكَ قاضِي الحاجَةِ من النّاسِ ، فَيُغَطِّي ما يَخْرُجُ مِنْهُ .

وَإِذَا أَلِفَ السِّنَّوْرُ مَنْزِلاً ، مَنَعَ غَيْرَهُ من السَّنانِيْرِ الدُّخولَ إِلى ذَلِكَ المَنْزِلِ ، وَحَارَبَهُ أَشَدَّ مُحارَبَةٍ ، وَهُوَ من جِنْسِهِ ، عِلْماً منه بِأَنَّ أَرْبابَهُ رُبَّمَا اسْتَحْسَنُوهُ وَقَدَّمُوهُ عَلَيْهِ ، أَوْ شَارَكُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي المَطْعَمِ ؛ وَإِنْ أَخَذَ شَيْئاً مِمَّا يَخْزِنُهُ أَصْحَابُ المَنْزِلِ عَنْهُ هَرَبَ ، عِلْماً مِنْهُ بما يَنَالُهُ مِنْهُمْ من الضَّرْبِ ؛ وإِذا طَرَدُوهُ تَمَلَّقَهُمْ وَتَمَسَّحَ بِهِم ، عِلْماً مِنْهُ بِأَنَّهُ يُخَلِّصُهُ التَّمَلُّقُ ، وَيَحْصَلُ لَهُ العَفْوُ وَالإِحْسَانُ .

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى فِي قَلْبِ الفِيْلِ الفَرَقَ مِنْهُ ، فَهُوَ إِذا رَأَى سِنَّوْراً هَرَبَ .

وَحُكِيَ[1] أَنَّ جَمَاعَةً من أَهْلِ الهِنْدِ هُزِمُوا بِذَلِكَ .

● وَالسِّنَّوْرُ ثَلاثَةُ أَنْواعٍ : **أَهْلِيٌّ** ، **وَوَحْشِيٌّ** ، **وَسِنَّوْرُ الزَّبادِ** .

وَكُلٌّ من الأَهْلِيِّ وَالوَحْشِيِّ لَهُ نَفْسٌ غَضُوبَةٌ ، يَفْتَرِسُ وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ الحَيَّ ، وَيُناسِبُ الإِنْسَانَ في أُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّهُ يَعْطِسُ ، وَيَتَثَاءَبُ ، وَيَتَمَطَّى ، ويتناول الشَّيْءَ بِيَدِهِ ؛ وَتَحْمِلُ الأُنْثَى فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَمُدَّةُ حَمْلِهَا خَمْسُونَ يَوْماً .

وَالوَحْشِيُّ حَجْمُهُ أَكْبَرُ من حَجْمِ الأَهْلِيِّ .

● قَالَ الجاحِظُ : قَالَ العُلَمَاءُ : اتِّخَاذُ السِّنَّوْرِ وَتَرْبِيَتُهُ مُسْتَحَبَّةٌ .

● وَذَكَرَ القَزْوِيْنِيُّ فِي « الأَشْكَالِ » عن ابْنِ الفَقِيْهِ : أَنَّ لِبَعْضِ السَّنانِيْرِ أَجْنِحَةً كَأَجْنِحَةِ الخَفَافِيْشِ ، من أَصْلِ الأُذُنِ إِلى الذَّنَبِ .

---

(١) ينظر الخبر في ربيع الأبرار ٥/ ٤٢٩ .

فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَالسِّنَّوْرِ البَرِّيِّ ، عَمَلاً بِالمُشَاكَلَةِ .

● وَقَالَ مُجَاهِدٌ[1] : جَاءَ رَجُلٌ إِلى شُرَيْحٍ القَاضِي يُخَاصِمُ آخَرَ فِي سِنَّوْرٍ ، فَقَالَ : بَيِّنَتُكَ . قَالَ : ما أَجِدُ بَيِّنَةً فِي سِنَّوْرٍ ، وَلَدَتْهُ أُمُّهُ عِنْدَنَا ؛ فَقَالَ شُرَيْحٌ : اذْهَبَا بِهِ إِلى أُمِّهِ ، فَإِنِ اسْتَقَرَّتْ وَاسْتَمَرَّتْ وَدَرَّتْ ، فَهُوَ سِنَّوْرُكَ ؛ وَإِنْ هِيَ اقْشَعَرَّتْ وَازْبَأَرَّتْ وَهَرَبَتْ ، فَلَيْسَ بِسِنَّوْرِكَ .

الحُكْمُ : الأَصَحُّ تَحْرِيْمُ أَكْلِ السِّنَّوْرِ الأَهْلِيِّ وَالوَحْشِيِّ ، لِمَا رُوِيَ فِي الحَدِيْثِ المُتَقَدِّمِ أَنَّهُ سَبُعٌ .

● وَرَوَى « البَيْهَقِيُّ » وَغَيْرُهُ عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، عن جابِرٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن أَكْلِ الهِرَّةِ ، وَأَكْلِ ثَمَنِها .

وَفِي « صحيح مسلم » و« مسند الإمامِ أحمد » و« سُنَنِ أَبِي داوُد »[2] : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عن بَيْعِ السِّنَّوْرِ .

فَقِيْلَ : مَحْمُولٌ عَلَى الوَحْشِيِّ الذِي لا نَفْعَ فِيْهِ .

وَقِيْلَ : نَهْيُ تَنْزِيْهٍ ، حَتَّى يعتاد النَّاسُ هِبَتَهُ وإِعارَتَهُ ، كَمَا هُوَ الغَالِبُ .

فَإِنْ كان مِمَّا يَنْفَعُ ، وَبَاعَهُ ، صَحَّ البَيْعُ ، وَكَانَ ثَمَنُهُ حَلالاً . هَذَا مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ العُلَمَاءِ كَافَّةً ، إِلاَّ ما حَكَى ابْنُ المُنْذِرِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَطاوُوس وَمُجاهِدٍ وَجابِرِ بنِ زَيْدٍ : أَنَّهُ لا يَجُوزُ بَيْعُهُ ، مُحْتَجِّيْنَ بِهَذَا الحَدِيْثِ .

وَأَجَابَ الجُمْهُورُ عنِ الحَدِيْثِ ، بِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى ما ذَكَرْنَا ؛ وَهَذَا هُوَ المُعْتَمَدُ .

---

(١) المستطرف ٢/ ٤٩٠ .

(٢) مسلم (١٥٦٩) وأبو داود (٣٤٧٩) و (٣٤٨٠) والتّرمذيّ (١٢٧٩) و (١٢٨٠) والنّسائيّ (٤٢٩٥) و(٤٦٦٨) وابن ماجه (٢١٦١) ومسند أحمد ٣/ ٣٣٩ و ٣٤٩ و ٣٨٦ .

وَأَمَّا ما ذَكَرَهُ الخَطَّابِيُّ وَأَبُو عُمر ابنِ عَبْدِ البَرِّ : أَنَّ الحَدِيْثَ ضَعِيْفٌ ؛ فَلَيْسَ كَمَا قَالا ، بَلِ الحَدِيْثُ صَحِيْحٌ كَمَا تَقَدَّمَ ؛ وَقَوْلُ ابْنِ عَبْدِ البَرِّ : لَمْ يَرْوِهِ عن أَبِي الزُّبَيْرِ غَيْرُ حَمَّاد بن سَلَمَةَ ، غَلَطٌ أَيْضاً ، لأَنَّ مُسْلِماً رَواهُ فِي « صَحِيْحِه » من رِوَايَةِ مَعقل بن عُبَيْدِ اللهِ ، عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، فَهَذَانِ ثِقَتَانِ رَوياهُ عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ ثِقَةٌ ؛ وَرَوَاهُ ابْنُ ماجَه عن ابنِ أَبِي لهيعة ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ؛ وَلا يَضُرُّهُ ذَلِكَ .

وَسَيَأْتِي فِي « بابِ الهَاءِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ، الإِشَارَةُ إِلَى هَذَا أَيْضاً فِي لَفْظِ « الهِرَّةِ » .

وَاخْتَلَفَتِ الرِّوايَةُ عن الإِمامِ أَحمد فِي سِنَّوْرِ البَرِّ ، وَأَكْثَرُ الرِّواياتِ عَلَى تحريمهِ كَالثَّعْلَبِ .

وَبِحِلِّهِ قَالَ الحَضْرَمِيُّ من أَصْحَابِنَا ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ .

وَأَمَّا الأَهْلِيُّ : فَحَرامٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيْفَةَ وَمَالِكٍ وَأَحمد ؛ وَاخْتَارَ البُوشَنْجِيُّ من أَصْحَابِنَا الحِلَّ ؛ وَالأَصَحُّ تَحْرِيْمُهُ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا : « أَثْقَفُ من سِنَّوْرٍ »[1] . وَالثَّقْفُ : الأَخْذُ بِسُرْعَةٍ ؛ يُقَالُ : رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ : أَي سَرِيْعُ الاخْتِطَافِ .

وَقَالُوا : « كَأَنَّهُ سِنَّوْرُ عَبْدِ اللهِ »[2] : يُضْرَبُ لِمَنْ لا يَزِيْدُ سِنّاً إِلاَّ زَادَ نُقْصَاناً وَجَهْلاً ؛ وَفِيْهِ قَالَ بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ الأَعْمَى[3] : [من الطويل]

---

(١) الميداني ١/ ١٥٧ وحمزة ١/ ١٠٣ والعسكري ١/ ٢٩٦ والزَّمخشري ١/ ٤١ .

(٢) الميدانيّ ٢/ ١٧٣ .

(٣) هما لبشار في ثمار القلوب ١/ ٦٠٨ والعقد الفريد ١/ ٢٨٢ ووفيات الأَعيان ٦/ ١٩٠ وربيع الأَبرار ٥/ ٤٢٨ وديوانه ٤/ ١١١ . وأَنكر الجاحظ في الحيوان نسبتهما إِلى بشار ، ونسبهما إِلى العَمِّيِّ . وهما لِسهل بن أَبي مالك المجنون ، في عقلاء المجانين ١٩٩ . =

أَبَـا مَخْلَـدٍ مـا زِلْـتَ سَبَّـاحَ غَمْـرَةٍ صَغِيْراً فَلَمّا شِبْتَ خَيَّمْتَ بالشَّاطِي
كَسِنَّـوْرِ عَبْـدِ اللهِ بِيْـعَ بِـدِرْهَـمٍ صَغِيْـراً فَلَمَّـا شَـبَّ بِيْـعَ بِقِيْـرَاطِ

لَكِنَّهُ مَثَلٌ مُوَلَّدٌ ، لَيْسَ من كَلامِ العَرَبِ .

وَقَالَ ابْنُ خِلِّكَانَ : وَلَقَدْ كَشَفْتُ عن سِنَّوْرِ عَبْدِ اللهِ المَظَانَّ ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ أَهْلَ المَعْرِفَةِ بِهَذَا الشَّأْنِ ، فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَبَراً ، وَلا عَثَرْتُ لَهُ عَلَى أَثَرٍ ، ثُم إِنِّي ظَفَرْتُ بِقَوْلِ الفَرَزْدَقِ[1] : [مِنَ الوافِر]

رَأَيْـتُ النَّـاسَ يَـزْدَادُونَ يَـوْمـاً فَيَـوْمَـاً فِي الجَمِيْـلِ وَأَنْـتَ تَنْقُـصْ
كَمِثْـلِ الهِـرِّ فِـي صِغَـرٍ يُغَـالَـى بِـهِ حَتَّـى إِذا مـا شَـبَّ يَـرْخُـصْ

وَمِنْ هَا هُنَا أَخَذَ بَشَّارٌ قَوْلَهُ ، وَلَيْسَ المُرَادُ مِنْهُ هِرّاً مُعَيَّناً ، بَلْ كُلُّ هِرٍّ قِيْمَتُهُ فِي صِغَرِهِ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي كِبَرِهِ . انتهى .

الخَوَاصُّ[2] : **السِّنَّوْرُ الأَهْلِيُّ** : من أَكَلَ لَحْمَ الأَسْوَدِ مِنْهُ ، لَمْ يَعْمَلْ فِيْهِ السِّحْرُ .

وَطُحَالُهُ : يُشَدُّ عَلَى المُسْتَحَاضَةِ ، يَنْقَطِعُ حَيْضُها .

وعَيْنَاهُ : إِذا جُفِّفَتَا وَتَبَخَّرَ بِهِمْا إِنْسَانٌ ، لَمْ يَطْلُبْ حَاجَةً إِلاَّ قُضِيَتْ .

وَمَنِ اسْتَصْحَبَ نابَهُ لَمْ يَفْزَعْ بِاللَّيْلِ .

وَقَلْبُهُ يُشَدُّ فِي قِطْعَةٍ من جِلْدِهِ ، فَمَنِ استصحَبَهُ لَمْ تَظْفَرْ بِهِ الأَعْدَاءُ .

وَمَرارَتُهُ : من اكْتَحَلَ بِهَا ، يَرَى فِي اللَّيْلِ كَمَا يَرَى فِي النَّهارِ ؛ وَتُخْلَطُ

= والأَوّل بلا نسبة في الميداني ٢/ ١٧٣ والتمثيل والمحاضرة ٣٦٠ والأَمثال والحكم للرّازي ١٢٨ .

(١) ليسا في ديوانه . وهما في ثمار القلوب ١/ ٦٠٨ ووفيات الأَعيان ٦/ ١٩٠ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٦٠ و ٢٦١ وتذكرة داود ١/ ٢٠٣ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٤٠ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٥٠ .

بِمِلْحٍ وَكَمُّونٍ كرمانيٍّ ، وَيُطْلَى بِهَا عَلَى الجُرُوحِ وَالقُرُوحِ الرَّدِيْئَةِ ، تَبرَأُ .

وَدَمُهُ : إذا طُلِيَ بِهِ القَضِيْبُ عِنْدَ الجِمَاعِ ، فإِنَّ المَفْعُولَ بِهِ يُحِبُّ الفاعِلَ حُبّاً شَدِيداً ، وَإِنْ سُقِيَ صاحِبُ الجُذَامِ نَفَعَهُ ؛ وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ إِنْسَانٌ ، أَحَبَّتْهُ النِّسَاءُ .

وَزِبْلُهُ : يُسْقِطُ المَشِيْمَةَ بَخوراً .

وَقَالَ القَزْوِيْنِيُّ : مَرارَةُ الأَسْوَدِ ، وَمَرارَةُ الدَّجاجَةِ السَّوْدَاءِ ، إذا جُفِّفَتَا وَسُحِقَتَا ، وَاكْتُحِلَ بِهِمَا مَعَ الكُحْلِ ، ظَهَرَ لَهُ الجِنُّ وَخَدَمُوهُ . قَالَ : وَهُوَ مُجَرَّبٌ .

وَمَرارَةُ الأَسْوَدِ : إذا أُخِذَ مِنْهَا وَزْنُ نِصْفِ دِرْهَمٍ ، وَدِيْفَ بِدُهْنِ زِئْبَقٍ ، وَسُعِّطَ بِهِ صاحِبُ اللَّوْقَةِ ، أَبْرَأَهُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا البَرِّيُّ : فَمُخُّهُ عَجِيْبٌ لِوَجَعِ الكُلى ، وَلِعُسْرِ البَوْلِ ، إذا أُدِيْفَ بِمَاءِ الجِرْجِيْرِ ، وَسُخِّنَ بِالنَّارِ ، وَشُرِبَ عَلَى الرِّيْقِ فِي الحَمَّامِ .

وَدِماغُهُ : إذا دُخِّنَ بِهِ ، أَخْرَجَ المَنِيَّ من الرَّحِمِ . قَالَهُ القَزْوِيْنِيُّ .

وَيَأْتِي تَعْبِيْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى فِي « بابِ القَافِ » فِي لَفْظِ « القِطِّ » .

وَأَمَّا سِنَّوْرُ الزَّبادِ : فَهُوَ كَالسِّنَّوْرِ الأَهْلِيِّ ، لَكِنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ ذَنَباً ، وَأَكْبَرُ جُثَّةً ، وَوَبَرُهُ إِلى السَّوادِ أَمْيَلُ ، وَرُبَّمَا كان أَنْمَرَ ، وَيُجْلَبُ من بِلادِ الهِنْدِ وَالسِّنْدِ .

وَالزَّبادُ فيهِ شَبَهٌ بِالوَسَخِ الأَسْوَدِ اللَّزِجِ ، وَهُوَ ذَفِرُ الرَّائِحَةِ يُخَالِطُهُ طِيْبٌ كَطِيْبِ المِسْكِ ، يُوْجَدُ فِي إِبطَيْهِ وَفِي باطِنِ أَفْخَاذِهِ وَبَاطِنِ ذَنَبِهِ وَحَوالِي دُبُرِهِ ، فَيُؤْخَذُ من هَذِهِ الأَماكِنِ بِمِلْعَقَةٍ صَغِيْرَةٍ أَوْ بِدِرْهَمٍ رَقِيْقٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي « بابِ الزَّاي » الكَلامُ عَلَى شَيْءٍ من هَذَا .

وَحُكْمُهُ : تَحْرِيْمُ الأَكْلِ عَلَى الصَّحِيْحِ كَالأَهْلِيِّ وَالوَحْشيِّ .

وَأَمَّا الزَّبادُ : فَهُوَ طَاهِرٌ ؛ لكن قال المَاورديُّ وَالرُّويانيُّ فِي آخِرِ « بابِ الغَرَرِ » : إِنَّ الزَّبادَ لَبَنُ سِنَّوْرٍ فِي البَحْرِ ، يُجْلبُ كَالمِسْكِ رِيْحاً ، وَاللَّبَنِ بَيَاضاً ، يَسْتَعْمِلُهُ أَهْلُ البَحْرِ طِيْباً ؛ وَهَذَا يَقْتَضِي كَوْنُهُ حَلالاً .

فَإِنْ قُلْنَا بِنَجاسَةِ لَبَنِ ما لا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ ؛ فَفِي هَذَا وَجْهَانِ : قَالَ النَّوويُّ : الصَّوَابُ طَهارَتُهُ وَصِحَّةُ بَيْعِهِ ، لأَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ جَمِيعَ حَيَوانِ البَحرِ طَاهِرٌ ، يَحِلُّ لَحْمُهُ وَلَبَنُهُ ؛ هَذَا بَعْدَ تَسْلِيْمِ أَنَّهُ حَيوانٌ بَحْرِيٌّ . وَالصَّوابُ أَنَّهُ بَرِّيٌّ ، فَعَلَى هَذَا هُوَ طَاهِرٌ بِلا خِلافٍ .

لَكِنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّهُ يَغْلِبُ فِيْهِ اخْتِلاطُهُ بِمَا تَسَاقَطَ من شَعْرِهِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْتَرَزَ عَمَّا فِيْهِ من شَعْرِهِ ؛ لأَنَّ الأَصَحَّ نَجاسَةُ شَعْرِ ما لا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ إِذا انْفَصَلَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ غَيْرِ الآدَميِّ .

٤٦٣ السُّنُونُو : بِضَمِّ السِّيْنِ وَالنُّونَيْنِ ، الواحِدَةُ : سُنُونُوَةٌ ؛ وَهُوَ نَوْعٌ من الخَطَاطِيْفِ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ حَجَرُ اليَرقَانِ : حجر السُّنُونُو ؛ وَلَكِنْ تَصَحَّفَ عَلَى صاحِبِ « عَجَائِبِ المَخْلُوقاتِ »[1] فَقَالَ : حَجَرُ الصُّنُونُو بِالصَّادِ ، وَالصَّوابُ أَنَّهُ بِالسِّيْنِ المُهْمَلَةِ ، نِسْبَةً إِلَى هَذَا النَّوْعِ من الخَطَاطِيْفِ .

● وَقَدْ أَجادَ جَمَالُ الدِّيْنِ ابن رَواحة ، فِي تَشْبِيهِ السُّنُونُو بِقَوْلِهِ : [من الكامل]

وَغَرِيْبَةٍ حَنَّتْ إِلى وَكْرٍ لَهَا ... فَأَتَتْ إِلَيْهِ فِي الزَّمَانِ المُقْبِلِ
فَرَشَتْ جَنَاحَ الآبِنوسِ وَصَفَّقَتْ ... بِالعَاجِ ثُمَّ تَقَهْقَهَتْ بِالصَّنْدَلِ

وَحُكْمُهُ : تَقَدَّمَ فِي « بابِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ » فِي « الخُطَّافِ » .

وَمِنْ خَواصِّهِ : أَنَّ مَنْ أَخَذَ عَيْنَي السُّنُونُوَةِ ، وَشَدَّهُمَا فِي خِرْقَةٍ ، وَعَلَّقَهُما عَلَى سَرِيرٍ ، فَمَنْ صَعَدَ ذَلِكَ السَّرِيْرَ لَمْ يَنَمْ .

---

(١) عجائب المخلوقات ١٤٦ .

وإذا بُخِّرَ بعَيْنِها العَصافِيْرُ ، هَرَبَتْ . وَإِذَا بُخِّرَ بِهَا صَاحِبُ الحُمَّى ، بَرَأَ بإِذْنِ اللهِ تَعَالَى .

٤٦٤ السُّودانِيَّةُ وَالسُّوادِيَّةُ : طائِرٌ يَأْكُلُ العِنَبَ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[١] .

● **عَجِيْبَةٌ**[٢] : حُكِيَ أَنَّ بمَدِيْنَةِ رُومِيَّةَ شَجَرَةً من نُحاسٍ ، عَلَيْهَا سُودَانِيَّةٌ من نُحَاسٍ ، فِي مِنْقَارِهَا زَيْتُونَةٌ ، فإذا كان وَقْتُ الزَّيْتُونِ صَفَرَتْ تِلْكَ السُّودانِيَّةُ ، فَلا يَبْقَى فِي تِلْكَ النَّواحِي سُودَانِيَّةٌ إلاَّ جَاءَتْ ، وَمَعَهَا ثَلاثُ زَيْتُوناتٍ ، فِي مِنْقارِهَا واحِدَةٌ ، وَفِي رِجْلَيْهَا اثْنَتَانِ ، حَتَّى تَطْرَحَهُنَّ عَلَى رَأْسِ السُّودانِيَّةِ التي من النُّحَاسِ ، فَيَعْصِرُ أَهْلُ رُومِيَّةَ ما يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ من الزَّيْتِ عامَهُمْ كُلَّهُ .

قُلْتُ : الظَّاهِرُ أَنَّ السُّودانِيَّةَ هِيَ الزُّرْزُورُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الحِكَايَةُ عن الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه فيه ؛ وَهُوَ يَأْكُلُ العِنَبَ كَثِيْراً .

الخَواصُّ : لَحْمُ السُّودانِيَّاتِ بارِدٌ يابِسٌ رَدِيْءٌ ، لا سِيَّمَا الهَزِيْلُ ؛ وَأَجْوَدُهُ صَيْدُ الأَشْراكِ .

وَهُوَ يَزِيْدُ فِي الإِنْعاظِ ، لَكِنَّهُ يَضُرُّ بالدِّماغِ ؛ وَتُدْفَعُ مَضَرَّتُهُ بالأَمْراقِ الرَّطْبَةِ ، وَهُوَ يَوَلِّدُ خَلْطاً حِرِّيْفاً يُوافِقُ الأَمْزِجَةَ البارِدَةَ وَالمَشَايِخَ ؛ وَأَصْلَحُ ما أُكِلَ فِي الرَّبِيْعِ .

وَيُكْرَهُ أَكْلُ لَحمِهَا ، لِمَا تَأْكُلُهُ من الحَشَراتِ وَالجَرادِ ، وَلِذَلِكَ صَارَ فِي لَحْمِهَا حِدَّةٌ وَرَوائِحُ كَرِيْهَةٌ ، وَهُوَ أَرْدَأُ من لَحْمِ القَنابِرِ .

وَرُوفُسُ يُرَتِّبُ الطَّيْرَ ثَلاثَ مَراتِبَ ، وَيَقُولُ : أَفْضَلُ الطَّيْرِ البَرِّيِّ : الرَّخ

---

(١) وعنه اللِّسان « سود » ٣/ ٢١٤٦ . وقال في المخصَّص ٨/ ١٥٣ : السُّودانيَّةُ : هُنَيَّةٌ سوداء ، طويلة الذَّنب ، بِصِغَرِ الصُّجْرَةِ وسوادِها ، تدخل في الشَّجرةِ .

(٢) مضى تخريج الخبر في « الزّرزور » .

وَالشُّحْرُور وَالسُّمَانَى ، ثُمَّ الحَجَلُ وَالدُّرَّاجُ وَالطَّيهوجُ وَالشِّفْنِيْنُ وَفَرْخُ الحَمامِ والفَاخِتُ ، ثُمَّ السَّلْوَى وَالقَنابِرُ ، عَلَى أَنَّ القَنابِرَ بِالدَّوَاءِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالغِذَاءِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

٤٦٥ السَّوْذَنِيقُ : الصَّقْرُ . قَالَهُ فِي « كِفَايَةِ المُتَحَفِّظِ »(١) .

٤٦٦ السُّوسُ : دُودٌ يَقَعُ فِي الصُّوفِ وَالطَّعامِ . قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ(٢) وَغَيْرُهُ .

يُقَالُ : طَعَامٌ مُسَوِّسٌ ، وَمُدَوِّدٌ ، بِكَسْرِ الوَاوِ فِيهِمَا . قَالَ الرَّاجِزُ(٣) : [من الرجز]

قَدْ أَطْعَمَتْنِي دَقَلاً حَوْلِيَّا مُسَوِّساً مُدَوِّداً حَجْرِيَّا

● وَقَالَ قَتادَةُ وَمُجاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النَّحل : ٨] هُوَ سُوسُ الثِّيَابِ ، وَدُودُ الفاكِهَةِ .

● وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : عن يَمِيْنِ العَرْشِ نَهْرٌ من نُورٍ ، مِثْلُ السَّماوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِين السَّبع سَبعينَ مَرَّةً ، يدخلُهُ جِبريلُ عليهِ السَّلامُ كُلَّ سَحَرٍ ، فَيَغْتَسِلُ فِيْهِ ، فَيَزْدادُ نُوراً إِلى نُورِهِ ، وَجَمالاً إِلى جَمَالِهِ ، وَعِظَماً إِلى عِظَمِهِ ، ثُمَّ يَنْتَفِضُ فَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى من كُلِّ رِيْشَةٍ سبعينَ أَلْفَ قَطْرَةٍ ، فَيَخْلُقُ من كُلِّ قَطْرَةٍ سبعينَ أَلْفَ مَلَكٍ ، يدخلُ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلى البَيْتِ المَعْمُورِ سبعونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، وَإِلَى الكَعْبَةِ سبعونَ أَلْفاً ، لا يَعُودُونَ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ .

---

(١) ويقال فيه : السَّوْذَقُ والسُّوذَقُ : وهو الصَّقر ، ويقال : الشَّاهين . وهو بالفارسيَّة : سَوْذَناهُ . (اللِّسان « سذق » ٣/ ١٩٧٩) .

(٢) الصِّحاح « سوس » ٣/ ٩٣٨ .

(٣) الشَّطران لزُرارة بن صَعْب بن دَهْر ، في اللِّسان « سوس » ٣/ ٢١٤٩ . وبلا نسبة في الصِّحاح . وقد مضيا في « الدود » . والدَّقل : الرَّديء من التّمر . والحَجْرِيُّ : المنسوب إلى حَجْر اليمامة .

● وَقَالَ الطَّبريُّ : ﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] ما أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى فِي الجَنَّةِ لأَهْلِهَا مِمَّا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْهُ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

● رَوَيْنَا فِي بَعْضِ الأَخْبَارِ عن الحارِثِ بنِ الحَكَمِ ، قَالَ : أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي بَعضِ الكُتُبِ : « أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا ، لَوْلا أَنِّي قَضَيْتُ بِالنَّتْنِ عَلَى المَيِّتِ لِحَبَسَهُ أَهْلُهُ فِي البُيُوتِ ؛ وَأَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنا ، مُرخصُ الأَسْعَارِ وَالبلادُ مُجْدِبَةٌ ؛ وَأَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا ، مُغْلِي الأَسْعَارِ وَالأَهْراءُ مَلأَى ؛ لَوْلا أَنِّي أَسْكَنْتُ الأَمَلَ فِي القُلُوبِ لأَهْلَكَهَا التَّفَكُّرُ » .

● وَلَمَّا حَرَّمَ عَمْرو بن هِنْدٍ عَلَى المُتَلَمِّسِ حَبَّ العِراقِ، قَالَ[1] : [من البسيط]

آلَيْتُ حَبَّ العِراقِ الدَّهْرَ أَطْعَمُهُ وَالحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي القَرْيَةِ السُّوسُ

● رَوَى البَيْهَقِيُّ فِي « شُعَبِهِ »[2] عن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : من اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَجْعَلَ كَنْزَهُ فِي السَّمَاءِ ، حَيْثُ لا يَنالُهُ اللُّصُوصُ وَلا يَأْكُلُهُ السُّوسُ فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنَّ قَلْبَ كُلِّ امْرِئٍ عِنْدَ كَنْزِهِ .

● وَحُكِيَ[3] عن الشَّيْخِ العارِفِ أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِي ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لَهُ : كان عِنْدَنا قَمْحٌ مُسَوِّسٌ ، فَطَحَنَّاهُ فَطُحِنَ السُّوسُ مَعَهُ ، وَكَانَ عِنْدَنَا فُولٌ مُسَوِّسٌ ، فَدَشَشْناهُ[4] فَخَرَجَ السُّوسُ حَيّاً ؛ فَقَالَ لَهَا : صُحْبَةُ الأَكابِرِ تُورِثُ السَّلامَةَ .

قُلْتُ : وَيَقْرُبُ من هَذَا ما حَكَاهُ ابْنُ عَطِيَّةَ فِي تفسيرِ سُورَةِ الكَهْفِ : أَنَّ والِدَهُ حَدَّثَهُ عن أَبِي الفَضْلِ الجَوْهَرِيِّ الواعِظِ بِمِصْرَ ، أَنَّهُ قَالَ فِي مَجْلِسِ وَعْظِهِ :

---

(١) ديوان المتلمّس ٩٥ .

(٢) شعب الإيمان ٧/ ٣٧٥ .

(٣) طبقات المناوي ٢/ ٣٤٣ .

(٤) الدَّشُّ : رضُّ الحبوب . (التَّاج) .

مَنْ صَحِبَ أَهْلَ الخَيْرِ ، عادَتْ عَلَيْه بَرَكَتُهُمْ ؛ هَذَا كَلْبٌ صَحِبَ قَوْماً صَالِحِيْنَ ، فَكَانَ من بَرَكَتِهم عَلَيْهِ أَنْ ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي القُرْآنِ ، وَلا يَزَالُ يُتْلَى عَلَى الأَلْسِنَةِ أَبَداً ؛ وَلِذَلِكَ قِيْلَ : مَن جَالَسَ الذَّاكِرِيْنَ انْتَبَهَ من غَفْلَتِهِ ، وَمَنْ خَدَمَ الصَّالِحِيْنَ ارْتَفَعَ بِخِدْمَتِه .

● وَمِنَ الفَوائِدِ المُسْتَغْرَبَةِ[(١)] : ما أَخْبَرَنِي بِهِ بَعْضُ أَهْلِ الخَيْرِ ، أَنَّ أَسْمَاءَ الفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ الذينَ كَانُوا بِالمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ ، إِذَا كُتِبَتْ فِي رُقْعَةٍ وَجُعِلَتْ فِي القَمْحِ ، فَإِنَّهُ لا يُسَوِّسُ ما دامَتِ الرُّقْعَةُ فيهِ ، وَهُم مَجْمُوعُونَ فِي قَوْلِ القائِلِ[(٢)] : [من الطويل]

أَلا كُلُّ مَن لا يَقْتَدِي بِأَئِمَّةٍ ... فَقِسْمَتُهُ ضِيْزَى عن الحَقِّ خارِجَهْ
فَخُذْهُمْ عُبَيْدُ اللهِ عُرْوَةُ قاسِمٌ ... سَعِيْدٌ ، أَبُو بَكْرٍ ، سُلَيْمَانُ ، خارِجَهْ

● وَأَفادَنِي بَعْضُ أَهْلِ التَّحقِيقِ ، أَنَّ أَسْمَاءَهُمْ إذا كُتِبَتْ وَعُلِّقَتْ عَلَى الرَّأْسِ ، أَوْ ذُكِرَتْ عَلَيْه ، أَزَالَتِ الصُّداعَ العارِضَ لَهُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي « بابِ الجِيْمِ » فِي « الجَرادِ » ذِكْرُ الآيَاتِ التي تَنْفَعُ لِلصُّدَاعِ .

● وَأَفادَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ : أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ إذا كُتِبَتْ فِي رُقْعَةٍ ، وَعُلِّقَتْ عَلَى الرَّأْسِ ، أَذْهَبَتِ الصُّداعَ وَالشَّقِيْقَةَ ، وَهِيَ :

---

(١) الخبر في المستطرف ٢/ ٤٩٠ والفوائد البهيَّة ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٢) البيتان لابن الأَبيض محمَّد بن يوسف بن الخضر الحلبي ، كما في الجواهر المضية ٣/ ٤٠٨ . وهما بلا نسبة في الجواهر ٤/ ٥٤٩ وتهذيب الأَسماء واللُّغات ١/ ١٧٢ والمستطرف ٢/ ٤٩٠ والفوائد البهيَّة .

وهؤلاء السَّبعة هم : عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعروة بن الزُّبير ، والقاسم بن محمَّد بن أَبي بكر الصِّدِّيق ، وسعيد بن المسيّب ، وأَبو بكر بن عبد الرَّحمن بن الحارث بن هشام ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

اهْدَأْ عَلَيْهِ يَا رَأْسُ ، بِحَقِّ من خلقَ فِيْكَ الأَسْنانَ وَالأَضْراسَ ، وَكَتَبَهُ الكَتَبَةُ بِلا قَلَمٍ وَلا قِرْطاسٍ ، قَرَّ بِقَرارِ اللهِ ، اسْكُنْ وَاهْدَأْ بِهَدْءِ اللهِ ، بِحُرْمَةِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ اللهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان : ٤٥] اسْكُنْ أَيُّها الوَجَعُ وَالصُّداعُ وَالشَّقِيْقَةُ وَالضَّرَبَانُ ، عن حامِلِ هَذِهِ الأَسْمَاءِ كَمَا سَكَنَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١٣] ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢] و﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا محمَّدٍ خاتمِ النَّبِيِّيْنَ وَالمُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

● وَمِمَّا جُرِّبَ لإِذْهَابِ السُّوسِ وَالفَراشِ ؛ ما أَفادَنِيْه بَعْضُ أَئِمَّةِ الإِمامِيَّةِ : أَنْ يُكْتَبَ عَلَى خَشَبِ الغَارِ هَذِهِ الأَسْمَاءُ فِي الظِّلِّ ؛ بِحَيْثُ لا تَراهُ الشَّمْسُ أَبَداً ، لا وَقْتَ الكِتابَةِ وَلا وَقْتَ الذَّهابِ بِهَا ، ثُمَّ تُدْفَنُ الخَشَبَةُ فِي القَمْحِ أَوِ الشَّعيرِ ، فإِنَّهُ لا يُسَوِّسُ وَلا يُفَرِّشُ وَهِيَ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] كَذَلِكَ يَمُوتُ الفَراشُ وَالسُّوسُ ، وَيَرْحَلُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ؛ اخْرُجْ أَيُّهَا السُّوسُ وَالفَراشُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى عاجِلاً ، وَإِلاَّ خَرَجْتَ من وَلايَةِ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عَليّ بن أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، وَيَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ سَرَقْتَ لِجَامَ بَغْلَةِ نَبِيِّ اللهِ سُلَيْمَانَ بن داود عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَهُوَ عَجِيْبٌ مُجَرَّبٌ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُهُ مُنْفَرِداً ، لأَنَّهُ نَوْعٌ من الدُّوْدِ .

الأَمْثَالُ: قَالُوا: « العِيَالُ سُوسُ المَالِ »[1] وَقَالُوا : « آكَلُ من سُوسَةٍ »[2].

● وَقِيْلَ[3] لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ بنِ الأَهْتَمِ : كَيْفَ ابْنُك ؟ قَالَ : سَيِّدُ فِتْيَانِ قَوْمِهِ ظَرْفاً وَأَدَباً ؛ فَقِيْلَ لَهُ : كَمْ تَرْزُقُهُ كُلَّ يَوْمٍ ؟ فَقَالَ : دِرْهَماً . فَقِيْلَ لَهُ : وَأَيْنَ يَقَعُ مِنْهُ ثلاثُون دِرْهَماً فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَأَنْتَ تَسْتَغِلُّ ثَلاثِيْنَ أَلْفاً ؟ فَقَالَ الثَّلاثُونَ دِرْهَماً أَسْرَعُ فِي هَلاكِ المَالِ من السُّوْسِ فِي الصُّوفِ بِالصَّيْفِ .

فَحُكِيَ كَلامُهُ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ خَالِداً تَمِيْمِيٌّ .

وَإِنَّمَا قَالَ الحَسَنُ ذَلِكَ لأَنَّ بَنِي تَمِيْمٍ مَشْهُورُونَ بِالبُخْلِ وَالنَّهَمِ .

وَهُوَ فِي الرُّؤْيَا كَالدُّوْدِ ، فَلْيُراجَعْ هُنَاكَ .

٤٦٧ السِّيْدُ: بِكَسْرِ السِّيْنِ، وإِسْكَانِ اليَاءِ المُثَنَّاةِ من تَحْت : من أَسْمَاءِ الذِّئْبِ .

وَبِهِ سُمِّيَ جَدُّ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بن محمَّد بن السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ اللُّغَوِيِّ النَّحْوِيِّ ، صاحِبِ التَّصانِيْفِ المُفِيْدَةِ ، وَالمَحَاسِنِ العَدِيدَةِ .

مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبَعمِئَةٍ بِمَدِيْنَةِ بَطَلْيَوْس ؛ وَتُوُفِّيَ فِي رَجَب ، سَنَةَ إِحْدَى وَعِشرِينَ وَخَمسمِئَةٍ[4] .

٤٦٨ السِّيْدَه : بِكَسْرِ السِّيْنِ ، وَبِالدَّالِ المُهْمَلَتَيْنِ ، وَإِسْكَانِ اليَاءِ المُثَنَّاة من تَحْت ، وَبِالهَاءِ فِي آخِرِهِ : الذِّئْبَةُ .

وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ الإِمامُ العَلاَّمَةُ الحافِظُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ المُحَقِّقُ أَبُو الحَسَنِ

---

(١) الدُّرَّة الفاخرة ١/ ٧٣ و ٣٢٨ وثمار القلوب ٢/ ٩٥٩ وفقه اللُّغة ٣٥٩ . وورد عَرَضاً في الميداني ١/ ٨٦ و ٢/ ٨٤ .

(٢) الميداني ١/ ٨٦ والعسكري ١/ ٢٠١ والزَّمخشري ١/ ٦ .

(٣) مصادر المثل والدُّرَّة الفاخرة ١/ ٧٣ وثمار القلوب ٢/ ٩٥٩ والتَّمثيل والمحاضرة ٣٧٩ .

(٤) **ترجمته في** : الصِّلة لابن بشكوال ١/ ٢٩٢ وبغية الملتمس ٣٣٧ وإنباه الرُّواة ٢/ ١٤١ ووفيات الأعيان ٣/ ٩٦ وسير أعلام النُّبلاء ١٩/ ٥٣٢ .

عَليّ بن إِسمَاعِيل بن سِيدَه المُرْسيّ ؛ وَكَانَ إماماً فِي اللُّغَةِ وَفِي الغَرِيْبِ ، حافِظَاً لَهُمَا ، وَجَمَعَ فِي ذَلِكَ كِتابَيْهِ « المُحْكم » و« المُخَصَّص » وغير ذَلك ؛ وَكَانَ ضَرِيراً ، وَأَبُوهُ كَذَلِكَ .

تُوُفِّيَ فِي رَبِيْعِ الأَوَّلِ، سَنَةَ ثَمانٍ وَخمسينَ وَأَرْبعِمِئَة، وَعُمْرُهُ سِتُّونَ سَنَةً[١] .

٤٦٩ سِيْفَنَّة : كَهيمنة[٢] .

● قَالَ ابْنُ السَّمعانيّ في « الأَنساب » : إِنَّهُ طائِرٌ بِمِصر ، يلقي أَوْرَاقَ الأَشْجَارِ عنها حَتَّى لا يُبْقي منها شَيْئاً ، شُبِّهَ بِهِ أَبُو إِسحاقَ إِبراهيم بن حُسَيْن بن عليّ الهَمَذَانيّ ، سِيْفَنَّة ، من أَكابِرِ المُحَدِّثِينَ ، لأَنَّهُ كان إِذا ظَفَرَ بِمُحَدِّثٍ سَمِعَ جَمِيعَ ما عِنْدَهُ ، حتَّى لا يَبْقَى شَيْءٌ من حَدِيْثِه[٣] .

٤٧٠ أَبُو سيراس[٤] : قَالَ القَزوِينيُّ في « الأَشْكَالِ » : إِنَّهُ حَيْوانٌ يُوجَدُ في الغِياضِ بكابُل ، في قَصَبَةِ أَنْفِهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ ثُقْبَةً ، وإِذا تَنَفَّسَ يُسْمَعُ من أَنْفِهِ صَوْتٌ كَصَوْتِ المَزَامِيرِ ، والحَيْواناتُ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ لاسْتِماعِ ذَلِكَ الصَّوتِ ، فإِذا دَهشَ بعضُها لِذَلِكَ يَصيدُهُ فَيأْكُلُهُ ، فإِنْ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ صَيْدُ شَيْءٍ مِنها ، وضَجِرَ ، صَاحَ صَيْحَةً هائِلَةً ، فَتَتَفَرَّقُ الحَيواناتُ وَتَفِرُّ عنهُ . اللهُ أَعلَمُ .

---

(١) ترجمته في : جذوة المقتبس ٣١١ والصّلة ٢/ ٤١٧ وبغية الملتمس ٤١٨ وإنباه الرُّواة ٢/ ٢٢٥ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٠ ونكت الهميان ٢٠٤ وسير أعلام النُّبلاء ١٨/ ١٤٤ .

(٢) وليس كذلك ! بل هو بكسر السِّين ، وإسكان الياء ، وفتح الفاء ، بعدها نونٌ مُشدَّدة مفتوحة ، ثم تاء مربوطة .

هجاه بعضهم بقوله :

وقائلٍ : حالُكَ في دَنَّهْ   فقلتُ : ذا من فِعْلِ سِيفَنَّهْ

(٣) ترجمته في : الأنساب ١٢/ ٣٤٣ (الهمذاني) ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤٦ وسير أعلام النُّبلاء ١٣/ ١٨٤ ولسان الميزان ١/ ٢٦٥ ونزهة الألباب في الألقاب ١/ ٣٨٥ .

(٤) في عجائب المخلوقات ٢٦١ : سرباس . وفي مسالك الأبصار ٢٠/ ٥٨ : سيرالس . وفي أ : أبو اسراس . وفي ب : سرايس .

بابُ الشِّيْنِ المُعْجَمَةِ

٤٧١ الشَّادِنُ : بِكَسْرِ الدّالِ المُهْمَلَةِ : الظَّبْيُ الذَّكَرُ ، الَّذِي طَلَعَ قَرْناهُ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الظَّاءِ المُعجمةِ » .

٤٧٢ شادهوار : حَيْوانٌ يُوجَدُ بِأَقْصَى بِلادِ الرُّومِ .

● قَالَ القَزوينيُّ في « الأَشْكَالِ »[١] : لَهُ قَرْنٌ عَلَيْهِ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً مُجَوَّفَةً ؛ فإذا هَبَّتِ الرِّيْحُ ، سُمِعَ لَها أَصْواتٌ حَسَنَةٌ ، فَتجتمعُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الحَيوانَاتُ إِلَيْهِ لِسَماعِ صَوْتِهِ .

● ذُكِرَ أَنَّ بَعْضَ المُلُوكِ أُهْدِيَ لَهُ قَرْنٌ منهُ ، فَتُرِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ عندَ هُبُوبِ الرِّيَاحِ ، فَكَانَ يَخْرُجُ منهُ صوْتٌ عَجيبٌ مُطربٌ ، يَكَادُ يَدهشُ الإِنْسَانُ من سَماعِهِ ؛ ثُمَّ وُضِعَ مَنْكُوساً ، فَكَانَ يَخْرُجُ منهُ صَوْتٌ مُحزنٌ حَتَّى يَكادَ يَغلبُ الإِنْسَانَ البُكَاءُ .

٤٧٣ الشَّارِفُ : المُسِنَّةُ من النُّوْقِ ، والجَمْعُ : شُرُفٌ ؛ مِثْل بازِلٍ وَبُزُلٍ ، وعائِذٍ وعُوذٍ[٢] .

● ومنهُ حَدِيثُ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ[٣] : كانَتْ لِي شارِفٌ من نَصِيبي من المَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَعْطَانِي شارِفاً من الخُمْسِ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٦١ ومسالك الأبصار ٢٠/٥٨ والمستطرف ٢/ ٤٩٠ .

(٢) عن الصِّحاح « شرف » ٤/ ١٣٨٠ .

(٣) البخاري ٣/ ٨٠ و ٤/ ٤١ و ٥/ ١٦ ومسلم (١٩٧٩) وأَنساب الأَشراف ٣/ ٢٨٥ وأَسباب النُّزول للواحدي ٢٣٩ ـ ٢٤٠ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٣٣٨ ونهاية الأَرب ٤/ ٧٨ وتاج العروس (شرف) . والأَبيات فقط في مختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ١٧٣ .

يَوْمَئِذٍ ؛ فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبنيَ بفاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنها ، واعَدْتَ رَجُلاً صَوَّاغاً من بَني قَيْنُقَاع أَنْ يَرْتَحِلَ معي ، فيأتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيْعَهُ من الصَّوَّاغِينَ ، فأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيْمَةِ عُرْسِي .

فَبَيْنَما أَنا أَجمعُ لِشارِفِي مَتاعاً من الأَقْتابِ والغَرائِرِ وَالحَبَائِلِ ، وشارفايَ مُناختانِ إِلى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ من الأَنْصارِ ، فَرجعْتُ حِينَ جَمَعْتُ ما جَمَعْتُ ، فإِذا شَارِفَايَ قد أُجبَّتْ أَسْنِمَتُهما ، وبُقِرَتْ خَواصِرُهُما ، وأُخِذَ من أَكْبادِهِما ؛ فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ المَنْظَرَ مِنهُما ، فَقُلْتُ : مَن فَعَلَ هَذَا ؟ فقَالُوا : فَعَلَهُ حَمْزَةُ بن عبدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، وهو في هَذَا المَكَانِ ، في هَذَا البَيْتِ ، في شَرْبٍ من الأَنْصارِ ؛ غَنَّتْه قَيْنَةٌ بَيْنَ أَصْحابِهِ ، فَقَالَتْ[1] : [من الوافر]

أَلا يَا حَمْزُ للشُّرُفِ النِّواءِ ... وَهُنَّ مُعَقَّلاتٌ بالفِنَاءِ[2]
ضَعِ السِّكِّيْنَ فِي اللَّبَاتِ مِنْها ... وَضَرِّجْهُنَّ حَمْزَةُ بالدِّمَاءِ
وَعَجِّلْ مِن أَطايِبِها لِشَرْبٍ ... طَعاماً من قَدِيدٍ أَو شِواءِ
فَأَنْتَ أَبُو عُمارَةِ المُرَجَّى ... لِكَشْفِ الضُّرِّ عَنَّا والبَلاءِ

وَبَقِيَّةُ الحَدِيثِ مَشْهُورَةٌ . رَوَاهُ « البُخاريُّ » و « مُسلم » و « أَبُو داود » .

وَهُوَ حُجَّةٌ على إِباحَةِ أَكْلِ ما ذَبَحَهُ غَيْرُ المالِكِ تَعَدِّياً كالغاصِبِ والسَّارِقِ ، وهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ العُلماءِ ، وَخالَفَ في ذَلِكَ سَحنون وداود وعِكْرِمَة ، فَقَالُوا : لا يُؤكَلُ ؛ وَهُوَ قَوْلٌ شاذٌّ .

وَحُجَّةُ الجُمْهُورِ أَنَّ الذَّكاةَ وَقَعَتْ من المُتَعَدِّي على شُرُوطِها الخاصَّةِ ،

---

(١) الأَبيات لعبد الله بن السَّائب المخزومي ، في فتح الباري ٦/ ٢٠٠ عن معجم الشُّعراء للمرزبانيّ .
(٢) النِّواء : السِّمان . (اللِّسان « نوى ») .

وَتَعَلَّقَ بِذِمَّتِهِ قِيْمَةُ الذَّبِيْحَةِ ، فلا مُوجِبَ لِلْمَنْعِ .

وَهَذَا الفِعْلُ إِنَّما كان من حَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ قَبْلَ تَحْرِيمِ الخَمْرِ ، لأَنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكَانَ تَحْرِيمُها بَعْدَ ذَلِكَ ، فَكَانَ مَعْذُوراً في قَوْلِهِ ، غَيْرَ مُؤَاخَذٍ بِهِ ؛ وَكَانَ سَبَبُهُ الذِي دَعاهُ إِلَيْهِ مُباحاً ، كَالنَّائِمِ والمُغْمَى عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا حُرِّمَتِ الخَمْرُ ، صَارَ شارِبُها مُؤَاخَذاً بِشُرْبِها ، مَحْدوداً فِيها .

٤٧٤ الشَّاةُ : الواحِدَةُ من الغَنَمِ ، تَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى من الضَّأْنِ والمَعْزِ .

وَأَصْلُها شَاهَةٌ ، لأَنَّ تَصْغِيرَها شُوَيْهَةٌ ؛ والجَمْعُ : شِياهٌ بالهاءِ في أَدْنَى العَدَدِ . تَقُولُ : ثلاثُ شِياهٍ إلى العَشْرَةِ ؛ فإذا جاوزَتِ العَشْرَةَ فَبِالتَّاءِ ؛ فإذا كَثُرَتْ قُلْتَ : هَذِهِ شاءٌ كَثِيرَةٌ .

وَالشَّاةُ أَيْضاً : الثَّوْرُ الوَحْشِيُّ . والنِّسْبَةُ إِلى الشَّاءِ : شَاوِيٌّ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [مِن الرَّجز]

لا تَنْفَعُ الشَّاوِيَّ فِيها شَاتُهُ ... وَلا حِمَاراهُ ولا عَلاتُهُ

● وَفِي « الكامِلِ لابْنِ عَدِيّ »[2] في تَرْجَمَةِ خارِجَةَ بن عبدِ اللهِ بن سُلَيْمان ، عن عبدِ الرَّحمن بن عائِذٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « من كانَتْ لَهُ شاةٌ ، ولا يُصِيبُ جارُهُ من لَبَنِها أَو مِسْكِينٌ ، فَلْيَذْبَحْها أَوْ لِيَبِعْها » .

---

(١) الشَّطران لمُبَشِّر بن هُذيل الشَّمْخيّ ، في اللِّسان « حمر » و « شوا » والتَّاج « شوي » . وبلا نسبة في الصِّحاح « شوى » ٦/ ٢٣٩٩ والجمهرة ١/ ٢٣٩ و ٥٢٢ و٢/ ٨٨٣ ومقاييس اللُّغة ٢/ ١٠٣ والمخصّص ١٢/ ٢٥٨ والملاحن ٨٧ .
قال في اللِّسان « حمر » : الحماران : حجران يُنصبان ، يُطرحُ عليهما حجرٌ رقيقٌ يُسمَّى العَلاة ، يُجفَّفُ عليه الأَقِط . يقول الشَّاعر : إنَّ صاحِبَ الشَّاءِ لا ينتفعُ بها لقلَّة لبنها ، ولا ينفعُه حماراه ولا عَلاتُه ، لأَنَّه ليس لها لبنٌ ، فَيُتَّخَذَ منه أَقِطٌ .

(٢) الكامل في الضُّعفاء ٣/ ٤٩٩ ترجمة « خارجة بن مصعب السَّرخسي » .

● وَمِمَّا يُؤثَرُ من حِكْمَةِ لُقْمان ـ وَهُوَ لُقمانُ بن عنقاءَ بن سَرون[1] ـ وَكان نُوبيّاً من أَهْلِ أَيْلَةَ[2] :

أَنَّ سَيِّدَهُ أَعْطاهُ شَاةً ، وأَمَرَهُ أَنْ يَذْبَحَها ، ويَأْتِيَهُ بأَطْيَبِ ما فِيْهَا ، فَذَبَحَها ، وَأَتَاهُ بقَلْبِها ولِسَانِها ؛ ثُمَّ أَعْطَاهُ في يَوْمٍ آخرَ شاةً أُخْرَى ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْبَحَها وَيَأْتِيَهُ بأَخْبَثِ ما فِيها ؛ فَذَبَحَها وأَتاهُ بقَلْبِها ولِسَانِها ؛ فَسَأَلَهُ عن ذَلِكَ ، فَقَالَ : هُمَا أَطْيَبُ ما فِيها إِنْ طابا ، وأَخْبَثُ ما فِيها إِنْ خَبُثا .

● وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ[3] : « إِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً ، إذا صَلُحَتْ صَلحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ » .

وَيُقالُ : إِنَّ سَيِّدَهُ دَخَلَ الخلاءَ يَوْماً ، فَأَطالَ الجُلُوسَ فنادَاهُ : لاتُطِلِ الجُلُوسَ على الخَلاءِ ، فإِنَّهُ يَنْخَعُ الكَبِدَ ، وَيُورِثُ البَواسِيرَ ، ويُمِيتُ القَلْبَ[4] .

● وَمِنْ وَصِيَّتِهِ لابنِهِ ـ واسمُهُ ثاران ، وَقِيلَ غيرُ ذَلِكَ ـ : يا بُنَيَّ ، كُنْ على حَذَرٍ من اللَّئِيمِ إذا أكرمتَهُ ، وَمِنَ الكَرِيمِ إذا أَهَنْتَهُ ، وَمِنَ العاقِلِ إذا هَجَوْتَهُ : وَمِنَ الأَحْمَقِ إِذا مازَحْتَهُ ، وَمِنَ الجاهِلِ إذا صاحَبْتَهُ ، وَمِنَ الفاجِرِ إذا خَاصَمْتَهُ ؛ وتَمامُ المَعْرُوفِ تَعْجِيلُهُ .

يا بُنَيَّ ، ثلاثةُ أَشْياءَ تَحسنُ بالإِنْسَانِ : حُسْنُ المَحْضَرِ ، واحْتِمَالُ الإِخْوانِ ، وَقِلَّةُ المَلَلِ للصَّدِيقِ ؛ وَأَوَّلُ الغَضَبِ جُنونٌ وآخِرُهُ نَدَمٌ .

---

(١) ترجمته في : مختار الحكم ٢٦٠ والبداية والنِّهاية ٣/ ٥ والمعارف ٥٥ ومروج الذَّهب ١/ ٦٣ وترويح أُولي الدَّماثة ٢/ ٨٤ . وفي اسم أَبيه وجدِّه خلاف بين المصادر .

(٢) البداية والنِّهاية ٣/ ١٧ ـ ١٨ .

(٣) البخاري ١/ ١٩ ومسلم (١٥٩٩) وابن ماجه (٣٩٨٤) ومسند أَحمد ٤/ ٢٧٠ و٢/ ٢٧٤ .

(٤) بعضه في ربيع الأَبرار ٥/ ١١١ والمستطرف ٣/ ٣٠٧ .

يا بُنَيَّ ، ثَلاثَةٌ فِيهمُ الرُّشْدُ : مُشاوَرَةُ النَّاصِحِ ، ومُداراةُ العَدوِّ والحاسِدِ ، والتَّحَبُّبُ لِكُلِّ أَحَدٍ .

يا بُنَيَّ ، المغرُورُ من وَثِقَ بِثَلاثَةِ أَشْيَاءَ : الذِي يُصَدِّقُ ما لا يَراهُ ، وَيَرْكَنُ إِلى من لا يَثِقُ بِهِ ، وَيَطْمَعُ فِيما لا يَنالُهُ .

يا بُنَيَّ، احذَرِ الحَسَدَ، فإِنَّهُ يُفْسِدُ الدِّيْنَ، وَيُضْعِفُ النَّفْسَ، وَيُعْقِبُ النَّدَمَ .

يا بُنَيَّ ، إِذا خَدَمْتَ والِياً ، فلا تنمَّ إِلَيْهِ بأَحَدٍ ، فإِنَّهُ لا يَزِيدُهُ ذَلِكَ منكَ إِلاَّ نُفُوراً ؛ فإِنَّهُ إِذا سَمِعَ مِنْكَ في غَيْرِكَ ، فإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَسْمَعَ من غَيْرِكَ فِيكَ ، وَيَكُونَ قَلْبُهُ خائِفاً منكَ أَنْ تنمَّ عَلَيْهِ كَمَا نَمَمْتَ إِلَيْهِ بِغَيْرِهِ ، ولا يَزالُ مُحترِساً منكَ .

وَكُنْ ـ يا بُنَيَّ ـ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ عندَ فَرَحِهِ ، وَأَبْعَدَهُم منهُ عِنْدَ غَضَبِهِ ؛ وإِنْ ائْتَمَنَكَ فلا تَخُنْهُ ، وإِنْ أَنالَكَ يَسِيراً فَخُذْهُ واقْبَلْهُ ، فتبلغَ بِهِ أَنْ تَنالَ كَثِيراً ، وأَكْرِمْ خَدَمَهُ ، والْطُفْ بأَصْحابِهِ ، وغُضَّ طَرْفَكَ عن محارِمِهِ ، وأَصِمَّ أُذُنَكَ عن مُجاوَبَتِهِ ، وَأَقْصِرْ لِسانَكَ عن حَدِيثِهِ ، واكْتُمْ في المَجالِسِ سِرَّهُ ؛ واتَّبِعْ باللُّطْفِ هَواهُ ، وناصِحْ في خِدْمَتِهِ ، واجْمَعْ عَقْلَكَ في مُخاطَبَتِهِ ، ولا تَأْمَنِ الدَّهْرَ من غَضَبِهِ ، فإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ نَسَبٌ ؛ والغَضَبُ يُسْرِعُ إِلَيْهِ في كُلِّ وَقْتٍ ، وَوَثْبَتُهُ كَوَثْبَةِ الأَسَدِ .

يا بُنَيَّ ، كِتْمَانُ السِّرِّ صِيانَةٌ للعِرْضِ .

يا بُنَيَّ ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقوى على الحِكْمَةِ ، فلا تُمَلِّكْ نَفْسَكَ للنِّسَاءِ ، فإِنَّ المرأَةَ حَرْبٌ لَيْسَ فِيها صُلْحٌ ، وَهِيَ إِنْ أَحَبَّتْكَ أَكَلَتْكَ ، وإِنْ أَبْغَضَتْكَ أَهْلَكَتْكَ .

● وفي كِتابِ « ربيعِ الأَبرارِ » للزَّمخشريّ و « رِحْلَة ابن الصّلاح » التي بِخَطِّهِ :

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ[1] : لو وَجَدْتُ رَغِيفاً من حلالٍ ، لأَحْرَقْتُهُ ثُمَّ دَقَقْتُهُ ، ثُمَّ دَاوَيْتُ بِهِ المَرْضَى .

ثُمَّ قَالَ[2] : اختلَطَت غَنَمُ البادِيَةِ بغَنَمِ أَهْلِ الكُوفَةِ ، فَسَأَلَ أَبُو حَنِيفَةَ : كَمْ تَعِيشُ الشَّاةُ ؟ قَالُوا : سَبْعَ سِنِينَ ؛ فَتَرَكَ أَكْلَ لَحْمِ الغَنَمِ سَبْعَ سِنين .

● وَأَنْشَدَ المُبَرِّدُ[3] : [من المنسرح]

مـا إِنْ دَعـانِـي الهَـوَى لفـاحِشَـةٍ إِلاَّ عَصَـاهُ الحَيـاءُ والكَـرَمُ
فَـلا إِلـى حُـرْمَـةٍ مَـدَدْتُ يَـدي ولا مَشَـتْ بِـي لِـرِيْبَـةٍ قَـدَمُ

● وَفِي « تاريخ ابن خلّكان »[4] : أَنَّ هَشَامَ بن عبدِ المَلِكِ بَعَثَ إِلى الأَعمش : أَنِ اكْتُبْ إِليَّ بمناقِبِ عُثْمانَ ومُساوِىءِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما ؛ فأَخَذَ الأَعمشُ القِرْطَاسَ ، وأَدْخَلَهُ في فَمِ شَاةٍ ، فلاكَتْهُ ، وَقَالَ للرَّسُولِ : قُلْ لَهُ : هَذَا جَوابُهُ .

فَذَهَبَ الرَّسُولُ ثُمَّ عَادَ ، وَقَالَ : إِنَّهُ آلى أَنْ يَقْتُلَنِي إِنْ لَمْ آتِهِ بالجَواب ؛ وَتَحَيَّلَ عَلَيْهِ بإِخْوَتِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : افْدِهِ من القَتْلِ ؛ فَلَمَّا أَلَحُّوا عليهِ كتبَ : أَمَّا بعدُ ، فَلَوْ كان لِعُثْمَانَ مَناقِبُ أَهْلِ الأَرْضِ ما نَفَعَتْكَ ، وَلَوْ كان لِعَلِيٍّ مَساوِىءُ أَهْلِ الأَرْضِ ما ضَرَّتْكَ ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ . والسَّلامُ .

● والأَعْمَشُ[5] : اسْمُهُ سُلَيْمان بن مِهران ، من أَعْلامِ التَّابِعِينَ ، رَأَى

---

(١) ربيع الأبرار ٣/ ٦٣٠ .
(٢) ربيع الأبرار ٣/ ٦٢٤ .
(٣) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار ٣/ ٦٣٥ وبهجة المجالس ١/ ٥٩٠ والمستطرف ٣/ ٣٩ .
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٢ .
(٥) **ترجمته في** : طبقات ابن سعد ٨/ ٤٦١ وحلية الأولياء ٥/ ٤٦ وتاريخ بغداد ١٠/ ٥ ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٠ وتهذيب الكمال ١٢/ ٧٦ وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦ والوافي بالوفيات ١٥/ ٤٢٩ وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٢ .

أَنَسَ بن مالِكٍ وأَبَا بَكْرَةِ الثَّقفيّ وأَخَذَ بِرِكابِه ، فَقَالَ لَهُ : يا بُنَيَّ : إِنَّما أَكْرَمْتَ رَبَّكَ[1] .

وَكَانَ لَطِيفَ الخُلُقِ ، مَزَّاحاً ، وَلَمْ تَفُتْهُ التَّكْبِيرَةُ الأُولى سَبعينَ سنةً .

● وَلَهُ نَوادِرُ ، مِنها : أَنَّهُ كانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ ، وكانَتْ من أَجملِ نِساءِ الكُوفَةِ[2] ، فَجرى بَيْنَهُما كَلامٌ ، وَكَانَ الأَعْمَشُ قَبيحَ المَنْظَرِ ، فَجاءَ رَجُلٌ أَعجميٌّ يُقالُ لَهُ : أَبو البِلادِ[3] ، يَطلبُ الحَدِيثَ منه ، فَقَالَ لَهُ : إِن امرأَتي نَشَزَتْ عَليَّ ، فادْخُلْ عَلَيْها ، وأَخبِرها بِمَكانِي من النّاسِ . فَدَخَلَ عليها وَقَالَ : إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى قد أَحسن قِسْمَتَكِ ، هَذَا شَيْخُنا وَسَيِّدُنا ، وعنهُ نأْخُذُ أَصْلَ دِيْنِنا وَحَلالنا وحَرامنا ؛ فلا يَغُرَّنَّكِ عُمُوشَةُ عَيْنَيْه ، ولا حُمُوشَةُ سَاقَيْهِ ؛ فَغَضِبَ الأَعْمَشُ ، وَقَالَ لَهُ : يا خَبيثُ ، أَعْمَى اللهُ قَلْبَكَ ، قد أَخْبَرْتَها بِعِيُوبِي ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ من بَيْتِهِ .

ومنها[4] : أَنَّ إِبراهيمَ النَّخعيَّ أَرادَ أَنْ يُماشِيَهُ ، فَقَالَ لَهُ الأَعْمَشُ : إِنْ رَآنا النَّاسُ مَعاً ، قَالُوا : أَعْوَرُ وأَعْمَشُ ؛ فَقَالَ النَّخعيُّ : وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يَأْثَمُوا وَنُؤْجَرَ ؟ فَقَالَ لَهُ الأَعْمَشُ : وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يَسْلَمُوا وَنَسْلَمَ ؟ .

ومنها[5] : أَنَّهُ جَلَسَ يَوْماً في مَوْضِعٍ فِيهِ خَليجٌ من مَاءِ المطرِ ، وَعَلَيْهِ فَرْوَةٌ

---

(١) قال الإمام ابن حجر في تهذيب التَّهذيب ٤/ ٢٢٥ : وقولُ ابن المنادي : إِنَّ الأَعمشَ أَخذ بركاب أَبي بكرة الثَّقفيّ ، غلطٌ فاحشٌ ؛ لأَنَّ الأَعمشَ وُلد إِمَّا سنة (٦١) أَو سنة (٥٩) على الخُلف في ذلك ، وأَبو بكرة مات سنة إِحدى أَو اثنتين وخمسين ، فكيف يتهيَّأُ أَن يأخذ بركاب مَن ماتَ قبل مولده بعشر سنين أَو نحوها . وكأَنَّهُ كان ـ والله أَعلم ـ : أَخذ بركاب ابن أَبي بَكرة ، فسقطت « ابن » وثبت الباقي .

(٢) اسمها عَميرة (تاريخ بغداد ١٠/ ١٧) .

(٣) في ابن خلّكان ٢/ ٤٠١ : أَبو ليلى ، مكفوف البصر ، فصيح ، يتكلَّم بالإِعراب .

(٤) وفيات الأَعيان ٢/ ٤٠١ .

(٥) وفيات الأَعيان ٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٢ وسير أَعلام النبلاء ٦/ ٢٣٨ .

خَلَقَةٌ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ وَقَالَ : قُمْ عَدِّني هَذَا الخَلِيجَ ؛ وَجَذَبَ بِيَدِهِ ، فأَقَامَهُ وَرَكِبَهُ ، وَقَالَ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزُّخرف : ١٣] فَمَضَى بِهِ الأَعْمَشُ حَتَّى تَوَسَّطَ الخَلِيجَ ، وَرَمَى بِهِ ، وَقَالَ : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٩] ثُمَّ خَرَجَ وَتَرَكَهُ يَتَخَبَّطُ في المَاءِ .

ومنها[١] : أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلى الأَعْمَشِ يَطلبُه ، فَقِيلَ لَهُ : خَرَجَ مع امرأَةٍ إِلى المَسْجِدِ ، فَجَاءَهُ فَوَجَدَهُما في الطَّرِيقِ ، فَقَالَ : أَيُّكُما الأَعْمَشُ ؟ فَقَالَ الأَعْمَشُ : هَذِهِ ؛ وأَشَارَ إِلى المَرْأَةِ .

ومنها[٢] : أَنَّهُ عادَهُ أَقوامٌ في مَرَضِهِ فَأَطالُوا الجُلُوسَ عندَهُ ، فأَخَذَ وِسادَتَهُ وَقَامَ ، ثُمَّ قَالَ : شَفَى اللهُ مَرِيضَكم . فانْصَرَفُوا .

ومنها[٣] : أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ يَوْماً قَوْلُهُ ﷺ : « مَنْ نَامَ عن قِيامِ اللَّيْلِ ، بالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنِهِ » فقَالَ : ما عَمِشَتْ عَيْنَايَ إلاَّ من بَوْلِ الشَّيْطَانِ في أُذُنِي .

● وَكَتَبَ إِلى بَعْضِ إِخْوانِهِ يُعَزِّيْه[٤] : [من البسيط]

إِنَّـا نُعَـزِّيْـكَ لا أَنَّـا علـى ثِقَـةٍ ... مِـنَ البَقَـاءِ ولَكِـنْ سُنَّـةُ الـدِّيْـنِ
فـلا المُعَـزَّى بِبـاقٍ بَعْـدَ مَيِّتِـهِ ... وَلا المُعَزِّيَ وإِنْ عـاشَـا إِلـى حِيْـنِ

● تُوفِّيَ ـ رحمَهُ اللهُ ـ في سَنَةِ سَبْعٍ ، وَقِيلَ ثَمانٍ ، وَقِيلَ تِسْعٍ وأَربعينَ ومئة .

---

(١) وفيات الأَعيان ٢/ ٤٠١ .
(٢) وفيات الأَعيان ٢/ ٤٠٢ .
(٣) وفيات الأَعيان ٢/ ٤٠٢ وسير أَعلام النبلاء ٦/ ٢٣٢ .
(٤) البيتان للإِمام الشَّافعيّ في ديوانه ٧٠ (بيجو) والمستطرف ٣/ ٣٣٣ . وهما لابن المعتزّ في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٢/ ٥٨ . وفي العقد الفريد ٣/ ٣١٠ لمحمَّد بن عبد الله بن طاهر ، في ابن المتوكّل . وبلا نسبة في وفيات الأَعيان ٢/ ٤٠٣ .

● وَفِيهِ أَيْضاً[1] : أَنَّهُ لَمَّا وليَ عبدُ اللهِ بن الزُّبَيْرِ الخِلافَةَ بمَكَّةَ ، وَلَّى أَخاهُ عُبيدة بن الزُّبَيْر المَدِينَةَ ، وأَخْرَجَ مِنْها مَروان بن الحَكَم وابْنَهُ ، فَصَارا إِلى الشَّامِ ، وَلَمْ يَزَلْ يُقِيمُ للنَّاسِ الحَجَّ من سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ إِلى سَنَةِ اثنتين وسَبعين ؛ فَلَمَّا وَلِيَ عبدُ المَلِكِ بن مَرْوَان منع أَهْلَ الشَّام من الحَجِّ ، من أَجْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، لأَنَّهُ كان يَأْخُذُ النَّاسَ بالبَيْعَةِ لَهُ إِذا حَجُّوا ، فَضَجَّ النَّاسِ لمَّا مُنِعُوا من الحَجِّ ، فَبَنَى عَبْدُ المَلِكِ قُبَّةَ الصَّخْرَةِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَقِفُونَ عِنْدَها يَوْمَ عَرَفَة .

وَيُقَالُ : إِنَّ ذَلِكَ كان سَبَبَ التَّعْرِيفِ[2] في بَيْتِ المَقْدِسِ وَمَساجِدِ الأَمْصَارِ .

وَقِيلَ : إِنَّ أَوَّلَ من سَنَّ التَّعْرِيفَ بِالبَصْرَةِ[3] عبدُ اللهِ بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، وبمصرَ عبدُ العَزيزِ بن مَروان ، وَبِبَيْتِ المَقْدِسِ عبدُ المَلِكِ بن مَرْوان .

وَلَمَّا قتَلَ عَبْدُ المَلِكِ مُصعبَ بن الزُّبَيْر ، وَأَرادَ الرُّجُوعَ ، قَامَ إِلَيْهِ الحَجَّاجُ ، فقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ في مَنامِي أَنِّي أَخَذْتُ عبدَ اللهِ بن الزُّبَيْرِ ، فَسَلَخْتُهُ ؛ فوَلِّني قِتالَهُ .

فَبَعَثَهُ في جَيْشٍ كَثيفٍ من أَهْلِ الشَّامِ ، فَحَصَرَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَرَمَى الكَعْبَةَ بِالمَنْجَنِيقِ ، فلمَّا رُمِيَ بِهِ أَرْعَدَتِ السَّمَاءُ وأَبْرَقَتْ ، فَخَافَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَصَاحَ الحَجَّاجُ : هَذِهِ صَواعِقُ تِهامَةَ ، وأَنا ابْنُها . ثُمَّ قَامَ وَرَمَى بِنَفْسِهِ ، فَزَادَ ذَلِكَ ،

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٧١ ـ ٧٤ .

(٢) التَّعريف : الوقوف والدُّعاء في المساجد يوم عَرَفَة ، تَشَبُّهاً بالحُجَّاج .

(٣) كذا . ونقل ابن خلِّكان عن الجاحظ في كتاب « نظم القُرآن » : أَنَّ أَوَّلَ من سَنَّ التَّعريف في مساجد الأَمصار ، عبدُ الله بن عبَّاس .

وَجَاءَتْ صاعِقَةٌ تَتْبَعُها أُخْرى ، فَقَتَلَتْ من أَصْحابِهِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً ، وَزَادَ خَوْفُ أَهْلِ الشَّامِ .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَعقَتِ السَّمَاءُ ، فَقَتَلَتْ بَعْضَ أَصْحَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ الحَجَّاجُ لأَصْحابِهِ : اثْبَتُوا ، فإِنَّهُ مُصيبُهم ما أَصابَكُمْ ؛ وَلَمْ يَزَلْ يَرْمِيها بالمَنْجَنِيقِ حَتَّى هَدَمَها ، وَرَمَوْها بِكِيْزَانِ النِّفْطِ ، فاحْتَرَقَتِ السَّتائِرُ حَتَّى صَارَتْ رَماداً .

وَأَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ لأُمِّهِ : إِنِّي لا آمَنُ إِنْ قُتِلْتُ أَنْ يُمَثَّلَ بِي وَأُصْلَبَ ؛ فَقَالَت لَهُ : يا وَلَدِي ، إِنَّ الشَّاةَ إِذا ذُبِحَتْ ، لَمْ تَتَأَلَّمْ بالسَّلْخِ ؛ فَوَدَّعَها ، وَخَرَجَ من عِنْدِها ، فَحَمَلَ عَلَيْهِم حَتَّى رَدَّهُم على أَعقَابِهِم ؛ فَرُمِيَ بآجُرَّةٍ فَأَدْمَتْ وَجْهَهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ سُخُونَةَ الدَّمِ على وَجْهِهِ ، أَنْشَدَ قائِلاً[1] : [من الطَّويل]

وَلَسْنَا على الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنا ... وَلَكِنْ على أَقْدَامِنا تَقْطُرُ الدِّما

وَصَاحَتْ مَوْلاةٌ لآلِ الزُّبَيْرِ مَجْنُونَةٌ ، وَكَانَتْ رَأَتْهُ حِيْنَ هَوَى : واأَمير المُؤْمِنيناه ؛ وأَشَارَتْ إِلَيْهِ .

وَقُتِلَ ـ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ـ في ثالث عشرَ جُمادَى الآخِرَة[2] ، سَنَةَ ثَلاثٍ وسَبْعِينَ .

وَجَاءَ الخَبَرُ إِلى الحَجَّاجِ فَسَجَدَ ، وَجَاءَ هو وطَارِقٌ فَوَقَفَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ طارِقٌ : ما وَلَدَتِ النِّسَاءُ أَذْكَرَ من هَذَا ، فَقَالَ الحَجَّاجُ : أَتَمْدَحُ من خالَفَ طَاعَةَ أَميرِ المؤمنين ؟ قَالَ : نعم ، هو أَعْذَرُ لنا ، وَلَوْلا هَذَا ما كَانَ لَنا عُذْرٌ ،

---

(١) البيت للحصين بن الحمام المرّيّ ، في شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٩٨ وأمالي الزَّجَّاجي ٢٠٨ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٤٠٠ .

(٢) قال ابن خلّكان : وكان قتله يوم الثلاثاء ، لثلاث عشرةَ ليلةٍ بقيت من جمادى الأُولى . . . وقيل : جمادى الآخرة .

وإِنَّا لَمُحاصِرُوهُ وَهُوَ فِي غَيْرِ حِصْنٍ وَلاَ مَنَعَةٍ منذُ ثَمانِيَةِ أَشْهُرٍ ، يَنتصفُ مَنَّا بَلْ يَفْضُلُ عَلَيْنا كُلَّما الْتَقَيْنا . فَبَلَغَ كلامُهما عَبْدَ المَلِكِ ، فَصَوَّبَ رَأْيَ طارِقٍ .

ثُمَّ بَعَثَ الحَجَّاجُ بِرَأْسِ ابْنِ الزُبَيْرِ وَجَماعَةٍ إِلى عبدِ المَلِكِ ، فَبَعَثَ عَبْدُ المَلِكِ بِرَأْسِ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِلى عبدِ اللهِ بن خازم السُّلَميّ ، وهو والٍ بخُراسان من جِهَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، ودَعاهُ إِلى طاعَتِهِ ، على أَنْ يَجْعَلَ لَهُ خُراسانَ طُعْمَةً سبعَ سِنين ؛ فَقَالَ ابْنُ خازِمٍ للرَّسُولِ : لَوْلا أَنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ ، لأَمَرْتُ بِضَرْبِ عُنقكَ ، ولَكن كُلْ كِتابَ صاحِبِكَ ؛ فَأَكَلَهُ ؛ ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْسَ ، فَغَسَلَهُ وطَيَّبَهُ ، وَكَفَّنَهُ وَدَفَنَهُ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ بَعَثَ بِهِ إِلى آلِ الزُّبَيْرِ بِالمَدِيْنَةِ ، فَدَفَنُوهُ مع جُثَّتِه بِالمَدِينَةِ .

وَماتَتْ أُمُّهُ أَسماءُ بنتُ أَبي بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ، بِالمَدِيْنَةِ بَعْدَهُ بِخَمسةِ أَيَّامٍ ، وَلَها مئةُ سنةٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْها .

● وَذَكَرَ الحافِظُ ابنُ عبدِ البَرِّ : أَنَّ الكَعْبَةَ رُمِيَتْ بِالمَنْجَنِيقِ مَرَّةً أُخْرَى ، حِينَ حَصَرَها مُسلم بن الوَلِيدِ بن عُقبة بن أَبي مُعيط في أَيَّامِ يَزيد بن مُعاوية في وَقْعَةِ الحَرَّةِ ، فَمَاتَ يَزِيدُ وَرَجَعَ مُسلمٌ إِلى الشَّامِ[(١)] .

● غَرِيبَةٌ[(٢)] : قَالَ محمَّد [بن غسّان] بن عبدِ الرَّحمنِ الهاشميّ : دَخلْتُ

---

(١) كذا ورد هذا الخبر في أ ، ط . وسقط من ب ؛ وما أَظُنُّهُ صدر عن الحافظ ابن عبد البرِّ ، لكثرة الأَوهام فيه ؛ فمنها : أَنَّ صاحِبَ وقعة الحَرَّة هو مسلم بن عقبة المُرِّيّ ، المعروف بمسرف . [مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٢ والوافي بالوفيات ٢٥/ ٥٤٤] . وثانيها : لم يصلْ إِلى مكَّة حتَّى يرمي الكعبة بالمنجنيق ، فقد مات في الطَّريق بين مكَّة والمدينة ، ودُفن في ثنيَّة المشلّل ؛ وثالثها : أَنَّه لم يرجع إِلى الشَّام ، فقد ماتَ في الحجاز ، كما سبق ! ! .

(٢) مروج الذَّهب ٤/ ٢٥٦ ووفيات الأَعيان ١/ ٣٤١ والزِّيادة منه وأُنس المسجون ٢٣٤ وتذكرة ابن العديم ٤٠٨ . وينظر التذكرة الحمدونيَّة ٩/ ٣٢٣ والوزراء والكتاب ١٩٢ .

على أُمِّي يَومَ عِيدِ الأَضْحَى ، فَرَأَيْتُ عندَها امرأَةً في أَثواب دَنِسَةٍ ، فَقَالتْ لِي أُمِّي : أَتعرفُ هَذِهِ ؟ قُلتُ : لا . قَالَتْ : هَذِهِ عَتَّابَةُ أُمُّ جعفر بن يَحْيى البَرمكيِّ ؛ فَسَلَّمْتُ عَلَيْها ، وَقُلْتُ : لَها : حَدِّثيني ببعضِ أَمْرِكُمْ ؛ فَقَالَتْ : أَذْكُرُ لَكَ جُملةً فيها عبرةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ ؛ لَقَدْ هَجَمَ عليَّ مثلُ هذا اليَومِ يَوْم العِيدِ ، وعلى رَأْسِي أَربعمئةِ وَصيفَةٍ ، وَأَنا أَزعمُ أَنَّ ابْنِي جَعفرَ عاقٌّ لِي ، وقَدْ أَتيتكم اليَومَ أَسْأَلُكُمْ جَلْدَي شَاتَيْنِ ، أَجْعَلُ أَحَدَهُما شِعاراً والآخَرِ دِثاراً .

قَالَ : فدَفَعْتُ إِلَيْها خَمسمئةِ درهمٍ ، وَلَمْ تَزَلْ تَتَرَدَّدُ إِلَيْنَا حتّى فَرَّقَ المَوْتُ بَيْنَنا .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ قَتْلِ جَعفرٍ في « بابِ العَيْنِ المُهملةِ » في « العُقَابِ » .

● وَفِي « سُنَنِ ابْنِ ماجه » و« كامل ابن عَدِيّ »[1] في ترجَمَةِ زَرْبيّ بن عبد اللهِ ، من حَدِيثِ ابن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « الشَّاةُ من دَوابِّ الجَنَّةِ » .

● وَفِي « الاستِيعَابِ » للحافِظِ أَبي عُمر ابن عبد البَرِّ ، في تَرْجَمَةِ أَبي رَجاء العطارِديّ[2] : أَنَّ العربَ كَانُوا يَأْتُونَ بِالشَّاةِ البَيْضَاءِ فَيَعْبِدُونَها ، فَيجيءُ الذِّئْبُ فيَأْخُذُها ، فَيَأْخُذُونَ أُخْرَى مَكانَها .

● وَفِي « سُنَنِ البَيهقيّ » وغيرِهِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَكْرَهُ من الشَّاةِ إذا ذُبحَتْ سَبْعاً : الذَّكَرَ ، والأُنْثَيَيْنِ ، والدَّمَ ، والمَرارَةَ ، والحَيَاءَ ، والعَذِرَةَ ، والمَثَانَةَ .

قَالَ : وَكَانَ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُقَدَّمُها .

---

(١) ابن ماجه (٣٣٠٦) والكامل في الضُّعفاء ٤/ ٢١٤ .

(٢) الاستيعاب ٣/ ١٢١٠ .

● وقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها[1] : كان عِنْدِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَتْ شاةٌ ، فأَخَذَتْ قُرصاً تحتَ دَنٍّ لَنا ، فَقُمْتُ إِلَيْها ، فَأَخَذْتُهُ من بَيْنِ لَحْيَيْها ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكِ أَنْ تُعَنِّقيها » : أَي تَأْخُذِي بِعُنُقِها وتَعْصرِيها .

● وَرَوَى « مسلم »[2] عن سَهْلِ بن سَعْد السَّاعديّ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، قَالَ : كان بَيْنَ مُصَلَّى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الحائِطِ مَمَرُّ الشَّاةِ .

● **قُلْتُ** : وَهَذَا يَدُلُّ على اسْتِحْبابِ القُرْبِ من السُّتْرَةِ .

كَمَا جَاءَ عنهُ أَيْضاً ﷺ[3] : « إِذا صَلَّى أَحَدُكُم إِلى سُتْرَةٍ ، فَلْيَدْنُ مِنْها ، لِئلاَّ يَقْطَعَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلاتَهُ » . رَوَاهُ « أَبو داود » .

ولا يُعارَضُ حَدِيثُ مَمَرِّ الشّاةِ بِحَدِيثِ صَلاةِ النَّبيِّ ﷺ في الكَعْبَةِ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ الجِدارِ قَدْرُ ثَلاثَةِ أَذْرُعٍ ، وَهُوَ الذِي يُمكنُ المُصَلِّي أَنْ يَدْرَأَ من يَمُرُّ به ؛ إِذْ حَمَلَ بعضُهم حَدِيثَ مَمَرِّ الشَّاةِ على ما إِذا كان قائِماً ، وَحَديثَ الثَّلاثَةِ أَذْرُعٍ على ما إِذا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ .

وَلَمْ يَذْكُرْ مَالِكٌ في ذَلِكَ حَدّاً ؛ وَقَدَّرَ بعضُهم مَمَرَّ الشَّاةِ بِقدرِ شِبْرٍ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ في « البهيمة » وَ« الجدي » شَيْءٌ من هَذَا .

● **فائِدَةٌ** : في « سُنَنِ أَبي داود »[4] وغيرِها : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَهْدَتْ لَهُ يَهودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْها ، فَأَكَلَ مِنْها ، وَأَكَلَ مَعَهُ رَهْطٌ من أَصْحابِه ، فَمَاتَ بِشْرُ بن البَراءِ بن مَعرور ، فأَرْسَلَ إِلى اليَهُودِيَّةِ ، وَقَالَ : « مَا حَمَلَكِ على

---

(١) عن النِّهاية ٣/ ٣١١ .

(٢) البخاري ١/ ١٢٧ ومسلم (٥٠٨) و (٥٠٩) وأَبو داود (٦٩٦) ومسند أَحمد ٤/ ٥٤ .

(٣) أَبو داود (٦٩٥) .

(٤) أَبو داود (٤٥٠٨ _ ٤٥١٢) .

ما صَنَعْتِ ؟ » قَالتْ : قُلْتُ : إنْ كان نَبِيّاً فَلَنْ يَضُرَّهُ ، وإنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيّاً اسْتَرَحْنا منهُ ؛ فأَمَرَ ﷺ بها فَقُتِلَتْ .

كَذَا رَواهُ وهو مُرْسَلٌ ، فإنَّ الزُّهريَّ لَمْ يَسْمَعْ من جابرٍ شَيْئاً .

والمَحْفُوظُ أَنَّهُ ﷺ قِيلَ لَهُ : « أَلا تَقْتُلُها ؟ فَقَالَ : لا » . وَكَذَا رواهُ « البُخارِيُّ » و « مُسلمٌ »[1] .

وَجمعَ البَيهقيُّ بينَهما ، بِأَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْها في الابْتِدَاءِ ، فلمّا مَاتَ بِشْرٌ أَمَرَ بِقَتْلِها .

وَهِيَ زَيْنَبُ بنتُ الحارِثِ ، [امرأَةُ] سَلاَّم[2] [بن مِشْكَم اليهوديّ] .

وَقَالَ ابْنُ إسحاقَ[3] : إِنَّها أُخْتُ مَرْحَبِ اليَهوديّ .

وَرَوَى مَعْمَرُ بن راشِدٍ ، عن الزُّهريّ : أَنَّها أَسْلَمَتْ .

● وَرَوَى « التِّرمذيُّ »[4] عن حَكيم بن حِزامٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بعَثَهُ لِيَشْتَرِيَ لَهُ أُضْحِيَةً بِدِينارٍ ، فاشْتَرَى أُضْحِيَةً ، فأُرْبِحَ فِيها دِيناراً ، فاشْتَرَى أُخْرَى مَكانَها ، وَجَاءَ بالأُضْحِيَةِ والدِّيْنارِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَضَحَّى بِالشَّاةِ ، وَتَصدَّقَ بالدِّيْنارِ .

● وَفِي « صَحيح البُخاريّ » و « سُنَنِ أَبي داود » و « التِّرمذي » و« ابْنُ ماجَه »[5] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَعْطَى عُروةَ بن الجَعْدِ[6] ـ وَقِيلَ : ابْنُ أَبي الجَعْدِ ـ

---

(١) البخاري ٣/ ١٤١ و ٤/ ٦٦ و ٧/ ٣٢ وأبو داود (٤٥٠٨) ومسند أحمد ٢/ ٤٥١ و ٣/ ٢١٨ ودلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم ١٩٧ (١٤٧ ـ ١٤٩) والسِّيرة النَّبويَّة ٢/ ٣٣٧ .

(٢) في الأُصول : زينب بن الحارث بن سلاَّم ! . والمثبت من السِّيرة ٢/ ٣٣٧ .

(٣) وأبو داود (٤٥٠٩) .

(٤) التِّرمذيّ (١٢٥٧) وأبو داود (٣٣٨٦) .

(٥) أَبو داود (٣٣٨٤) والتّرمذيّ (١٢٥٨) وابن ماجه (٢٤٠٢) ومسند أَحمد ٤/ ٣٧٥ و ٣٧٦ .

(٦) قال أَبو عمر في الاستيعاب ٣/ ١٠٦٥ : قال عليّ بن المدينيّ : مَن قال فيه : عروة بن =

البارقيّ دِيناراً لِيَشْتَرِيَ بِهِ شاةً فاشْتَرَى شَاتَيْنِ ، فَبَاعَ إِحداهُما بدِيْنارٍ ، وَجَاءَ بِشاةٍ وِدينارٍ ، وَذَكَرَ ما كَانَ من أَمْرِهِ ، فَقَالَ : « بارَكَ اللهُ لَكَ في صَفْقَةِ يَمْينِكَ » . فكَانَ يخرجُ بعدَ ذَلِكَ إِلى كُناسَةِ الكُوفَةِ ، فَيَرْبَحُ الرِّبْحَ العَظِيمَ ، حَتَّى صَارَ من أَكْثَرِ أَهْلِ الكُوفَةِ مالاً .

قَالَ شَبيبُ بن غَرْقَدَة[1] : رَأَيْتُ في دَارِ عُرْوَةَ البارِقيّ سَبْعِينَ فَرَساً مَرْبُوطاً لِلْجِهادِ في سَبيلِ اللهِ تَعَالَى .

وَرَوَى عُروةُ بن الجَعْدِ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ عَشَرَ حَدِيثاً ؛ وَهُوَ أَوَّلُ من قَضَى بِالكُوفَةِ ؛ اسْتَعْمَلَهُ عُمر بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ على قَضائِها قَبْلَ شُرَيْحٍ .

● **عَجِيْبَةٌ** : رَوَى « ابْنُ عَدِيٍّ »[2] ، عن جِسْرِ بن فَرْقَد القَصَّاب ، أَبُو جَعْفَر البَصْرِيّ ، وَكَانَ من أَهْلِ الخَيْرِ والصَّلاحِ ، قَالَ : أَضْجَعْتُ شَاةً لأَذْبَحها ، فَمَرَّ أَيُّوبُ السِّخْتيانيّ ، فأَلْقَيْتُ الشَّفْرَةَ ، وَقُمْتُ معهُ أَتَحدَّثُ ، فَوَثَبَتِ الشَّاةُ ، فَحَفَرَتْ في أَصْلِ الحائِطِ ، وَدَحْرَجَتِ الشَّفْرَةَ فَأَلْقَتْها في الحُفْرَةِ ، وَأَلْقَتْ عَلَيْها التُّرابَ ، فَقَالَ لِي أَيُّوب : أَما تَرَى ، أَما تَرَى ؟ فَجَعَلْتُ على نَفْسِي أَنْ لا أَذْبَحَ شَيْئاً بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ .

● **فائِدَةٌ أُخْرَى**[3] : كان أَبُو مُحَمَّد عبد اللهِ بن يَحْيَى بن أَبي الهَيْثَمِ الصَّعْبيّ من أَصْحَابِ الشَّافعيِّ إِماماً صالِحاً عالِماً من أَهْلِ اليَمَنِ ، من أَقْرانِ صَاحِبِ

= الجعد ، فقد أخطأ ؛ وإنّما هو عروة بن أبي الجعد .

(١) الاستيعاب ٣/ ١٠٦٦ .

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٨ ولسان الميزان ٢/ ٤٣٦ .

(٣) **ترجمة الصَّعبيّ في** : طبقات الشّافعيّة للسّبكيّ ٧/ ١٤٠ والخبر فيه ؛ ومختصراً في غربال الزّمان ٤٣٣ .

« البَيَانِ » : وَمِنْ تَصَانِيفِهِ « احترازاتُ المَذْهَبِ »[1] و « التَّعْرِيف » في الفِقْه .

رُوِيَ أَنَّ نَاساً ضَرَبُوهُ بالسُّيُوفِ فَلَمْ تَقطعْ سُيُوفُهم فِيهِ ، فَسُئِلَ عن ذَلِكَ فَقَالَ : كُنْتُ أَقْرَأُ ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام : ٦١] ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هُود : ٥٧] ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرّعد : ١١] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر : ١٧] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ ﴾ [الأنبياء : ٣٢] ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصَّافّات : ٧] ﴿ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فُصّلت : ١٢] ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ : ٢١] ﴿ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الشّورى : ٦] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار : ١٠ ـ ١٢] ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطَّارق : ٤] ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ [البُرُوج : ١٢ ـ ٢٢] .

● ثُمَّ قَالَ[2] : كُنْتُ خَرَجْتُ يَوْماً في جَماعَةٍ ، فَرَأَيْنا ذِئْباً يُلاعِبُ شَاةً عَجْفَاءَ ، ولا يَضُرُّها شَيْئاً ؛ فلمَّا دَنَوْنا مِنْهُما ، نَفَرَ مِنَّا الذِّئْبُ ، فَتَقَدَّمْنا إلى الشَّاةِ ، فَوَجَدْنا في عُنُقِها كِتاباً مَرْبُوطاً فِيهِ هَذِهِ الآيات .

● تُوفِّيَ الصَّعبيُّ سَنَةَ ثَلاثٍ وخَمسينَ وخَمسمئةٍ .

● وَقَالَ الحافِظُ أَبو زُرْعَةَ الرَّازي : وَقَعتِ النَّارُ بِجُرْجَانَ ، فاحْتَرَقَ فِيها تِسْعَةُ آلافِ بَيْتٍ ؛ وَجَدُوا فِيها تِسْعَةَ آلافِ مُصْحَفٍ قد احْتَرَقَتْ إلا هَذِه

---

(١) كذا في الأُصول ، وغربال الزّمان . وفي طبقات السّبكيّ : احترازات المهذّب .

(٢) الطّبقات الكبرى للسّبكيّ ٧/ ١٤١ ، وغربال الزّمان ٤٣٣ .

الآيات، لَمْ تَحْتَرِقْ في كُلِّ مُصْحَفٍ ، وهي : ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦، ويس: ٣٨] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم : ٤٢] ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٢٣] ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه : ٤ ـ ٦] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء : ٨٨ ـ ٨٩] ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصِّلت : ١١] ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذَّاريات : ٥٦ ـ ٥٨] ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذَّاريات : ٢٢ ـ ٢٣] .

قَالَ : فما وُضِعَتْ هَذِهِ الآياتُ في مَتاعٍ أَوْ بَيْتٍ أَوْ حانُوتٍ أَو غَيرِ ذَلِكَ إِلاَّ حَفِظَهُ اللهُ تَعالى .

قُلْتُ : وهي نافعةٌ مُجَرَّبَةٌ .

● وَرَوَى الثَّعلبيُّ وابْنُ عَطِيَّة والقُرْطبيُّ وغيرُهم ، عن سالم بن أَبي الجَعْدِ ، قَالَ : احْتَرَقَ لَنا مُصْحَفٌ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ إِلاَّ قَوْلُهُ تعالى : ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشُّورى : ٥٣] .

وَغرِقَ لَنا مُصْحَفٌ فانْمَحَى كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ إِلاَّ هَذِهِ الآية .

● وَحَدَّثَنا شَيْخُنا الإِمامُ العارِفُ بِاللهِ عبدُ اللهِ بن أَسْعَد اليافعيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى ؛ قَالَ : بَلَغَنِي عن سَيِّدِنا العارِفِ الإِمامِ أَبي عبدِ اللهِ محمَّد القُرَشيّ ، عن شَيْخِهِ أَبي الرَّبيعِ المالَقيّ ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ :

أَلا أُعَلِّمُكَ كَنْزاً تُنفقُ منهُ ولا يَنفدُ ؟ قُلْتُ : بلى . قَالَ : قُلْ : يا أَللهُ ، يا أَحَدُ ، يا وَاحِدُ ، يا مَوْجُودُ ، يا جَوادُ ، يا باسِطُ ، يا كَرِيمُ ، يا وَهَّابُ ،

يَا ذَا الطَّوْلِ ، يا غَنِيُّ ، يا مُغْنِي ، يا فَتَّاحُ ، يا رَزَّاقُ ، يا عَلِيمُ ، يا حَكِيمُ ، يا حَيُّ ، يا قَيُّومُ ، يَا رَحْمَنُ ، يا رَحِيْمُ ، يا بدِيعَ السَّماواتِ والأَرْضِ ، يا ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ ، يا حَنَّانُ ، يا مَنَّانُ ؛ انْفَحْنِي منكَ بِنَفْحَةِ خَيْرٍ تُغْنِني بِها عَمَّنْ سِواكَ ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال : ١٩] ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصَّفّ : ١٣] .

اللَّهُمَّ يا غَنِيُّ ، يَا حَمِيدُ ، يا مُبْدِىءُ ، يا مُعِيدُ ، يا وَدودُ ، يا ذا العَرْشِ المَجِيدِ ، يا فَعَّالاً لِما يُرِيدُ ؛ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عن حَرامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ، واحْفَظْنِي بِمَا حَفِظْتَ بِهِ الذِّكْرَ ، وانْصُرْنِي بِمَا نَصَرْتَ بِهِ الرُّسُلَ ، إِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

قَالَ : فَمَنْ دَاوَمَ على قِراءَتِهِ بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ ، خُصُوصاً صَلاةَ الجُمعةِ ، حَفِظَهُ اللهُ من كُلِّ مَخوفٍ ، ونَصَرَهُ على أَعْدائِهِ ، وَأَغْناهُ ، وَرَزَقَهُ من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ، وَيَسَّرَ عَلَيْهِ مَعِيْشَتَهُ ، وَقَضَى عنهُ دَيْنَهُ ؛ وَلَوْ كان عَلَيْهِ مِثلُ الجبالِ دَيْناً ، أَدَّاهُ اللهُ تَعالَى عنهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● وَرَوَى « ابنُ عَدِيٍّ » : عن عبدِ الرَّحمنِ القُرشيّ ، قَالَ[1] : حَدَّثَنا محمَّد بن زِياد بن مَعرُوف ، حَدَّثَنا جَعْفَر بن جِسْر ، عن أَبيهِ ، قَالَ : حدَّثنا ثابت البُنانيّ ، عن أَنَس رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « سَأَلْتُ اللهَ تَعالَى الاسْمَ الأَعْظَمَ ، فَجاءَنِي جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِهِ مَخْزُوناً مَخْتُوماً ، وهو : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ باسْمِكَ الأَعْظَمِ المَخزونِ ، المَكْنُونِ ، الطَّاهِرِ المُطَهَّرِ ، المُقَدَّسِ المُبارَكِ ، الحَيِّ القَيُّومِ » . فَقَالت عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهَا : بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يا نَبِيَّ اللهُ ، عَلِّمْنِيه ؛ فَقَالَ ﷺ : « يا عائِشَةُ ،

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٨ ولسان الميزان ٢/ ٤٣٦ .

نُهِينا عن تَعْلِيمِهِ النِّسَاءَ والصِّبْيَانَ والسُّفَهَاءَ »[١] .

● فائدةٌ أُخْرَى : رُوِيَ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه ، أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَما عِيسَى بن مَرْيَمَ وَيَحْيَى بن زَكَرِيَّا عليهما السَّلام سائِرانِ ، إِذْ رَأَيا شاةً وَحْشِيَّةً مَاخِضاً ، فَقَالَ عِيسى لِيَحْيَى : قُلْ تِلْكَ الكَلِمَاتِ : حَنَّةُ وَلَدَتْ يَحْيَى ، وَمَرْيَمُ وَلَدَتْ عِيسَى ، الأَرْضُ تَدْعُوكَ يا وَلَدُ ، اخرُجْ يَا وَلَدُ .

قَالَ حَمَّادُ بن زَيْد : فَمَا تَكُونُ في الحَيِّ امرأَةٌ ماخِضٌ ، فَيُقالُ هَذَا عِنْدَها ، فلا تَبْرَحُ حَتَّى تَضَعَ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى .

وَيَحْيَى أَوَّلُ من آمَنَ بِعِيسَى وَصَدَّقَهُ ، وَكانا ابْنَيْ خَالَةٍ ، وَكَانَ يَحْيَى أَكْبَرَ من عِيسَى بِستَّةِ أَشْهُرٍ ؛ ثُمَّ قُتِلَ يَحْيَى قبلَ رَفْعِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ .

● وعن يُونس بن عُبَيْدٍ ، أَنَّهُ قَالَ :

مَا قَالَ العَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتي في كُرْبَتِي ، وأَنْتَ صاحِبِي في غُرْبَتِي ، وَأَنْتَ حَفِيظي عِنْدَ شِدَّتي ، وأَنْتَ وَليُّ نِعْمَتِي ـ عندَ النُّفساءِ ، أَوِ البَهِيمَةِ الماخِضِ ، إِلاَّ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْها وَضْعَ الوَلَدِ .

● قَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ : من خَصَائِصِ الزَّبَدِ البَحريِّ : أَنَّهُ إذا عُلِّقَ على ذَاتِ طَلْقٍ ، سَهَّلَ اللهُ عَلَيْها الوِلادَةَ ؛ وكَذَلِكَ قِشْرُ البَيْضِ إذا سُحِقَ ناعِماً ، وَشُرِبَ بماءٍ ، فإِنَّهُ يُسَهِّلُ الوِلادَةَ ، وَقَدْ جُرِّبَ مِراراً عَديدةً فَصَحَّ .

● وَقَدْ وَرَدَ في الحَدِيثِ[٢] : « مَثَلُ المُؤْمِنِ كَالشَّاةِ المَأْبُورَةِ » أَي التي أَكَلَتِ الإِبْرَةَ في عَلَفِها ، فَنَشَبَتْ في جَوْفِها ، فهِيَ لا تَأْكُلُ شَيْئاً ، وإِنْ أَكَلَتْ لَمْ يَنْجَعْ فِيها .

---

(١) قال الذَّهبيُّ : قلت : هذا شبه موضوع ، وما يحتمله جسرٌ .

(٢) عن النِّهاية ١/ ١٤ .

وَفِيهِ أَيْضاً[1] : « مَثَلُ المُنافِقِ كَالشَّاةِ الرَّابِضَةِ بَيْنَ غَنَمَيْنِ » . أَرادَ أَنَّها مُذَبْذَبَةٌ بَيْنَ قَطِيعَيْنِ من الغَنَمِ ، لا إلى هَؤُلاءِ ولا إلى هَؤُلاءِ .

والرَّابِضَةُ أَيضاً : « مَلائِكَةٌ أُهْبِطُوا مع آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، يَهْدُونَ الضَّالَّ »[2] . وَلَعَلَّهَ من الإقامَةِ [أيضاً] .

وَقَالَ الجَوْهِرِيُّ : الرَّابِضَةُ : [بَقِيَّةُ] حَمَلَةِ الحُجَّةِ ، لا تَخْلُو منهمُ الأَرْضُ .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُها بالإجْماعِ ؛ وإِنْ أَوْصَى بِشاةٍ ، تَناوَلَ صَغيرةَ الجُثَّةِ وَكَبيرَتَها ، سَليمةً ومُعيبةً ، ضَأْناً ومَعْزاً ، لِصِدْقِ الاسْمِ على الجَميعِ .

فَرْعٌ : وَمِنْ أَحْكامِها في الأُضْحِيَّةِ ، أَنَّ الأُضْحِيَّةَ سُنَّةٌ غيرُ واجِبَةٍ ، ولا تَصِحُّ إلاَّ من النَّعَمِ ؛ ولا يُجزِىءُ من الضَّأْنِ إلاَّ الجَذَعَةُ ، وهي ما لَها سَنَةٌ تامَّةٌ وَشَرَعَتْ في الثَّانِيَةِ على الأَصَحِّ عِنْدَ أَصْحابِنا ، كَما تَقَدَّمَ في « بابِ الجِيمِ » في « الجَذَعَةِ » .

وَمِنَ المَعْزِ إلاَّ الثَّنِيَّةُ ، وَهِيَ التي شَرَعَتْ في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ .

وَيُشْتَرَطُ أَنْ تَكُونَ سَلِيْمَةً من كُلِّ عَيْبٍ يَضُرُّ بِاللَّحْمِ ، فلا تُجزِىءُ العَجفاءُ ، وَلا العَوْرَاءُ ، ولا المَرِيضةُ ، ولا العَرجاءُ ، وَلا الجَرباءُ ، ولا مَكْسُورَةُ القَرْنِ ، ولا مَقْطُوعَةُ الأُذُنِ ، ولا التي لَمْ يُخْلَقْ لَها أُذُنٌ ؛ وفي مَشْقُوقَةِ الأُذُنِ وَجْهَانِ . قَالَه في « اللُّبابِ » .

وإذا لَمْ تُجزِىءِ العَوراءُ فَالعَمْيَاءُ أَوْلَى ؛ وَأَمَّا العَمَشُ وَضَعْفُ البَصَرِ من إِحْدَى العَيْنَيْنِ ، أَوْ كِلْتَيْهِما ، فلا يَمنعُ الإِجْزَاءَ .

---

(١) في النِّهاية ٢/ ١٨٥ : « مَثَلُ المنافق ، كَمَثَلِ الشَّاةِ بين الربَضَيْن » وفي رواية : « بين الرَّبيضين » .

(٢) في النِّهاية ٢/ ١٨٤ : ومنه الحديث : « الرَّابضةُ ملائكة . . . يهدون الضُّلاَّل » . والزِّيادات منه ومن الصحاح « ربض » ٣/ ١٠٧٧ .

وَقَالَ الرُّويانيُّ : إنْ غَطَّى على النَّاظِرِ بَيَاضٌ ، وَأَذْهَبَ بَعْضَهُ دُونَ بَعْضٍ ؛ فإِنْ ذَهَبَ الأَكْثَرُ لَمْ تَجْزِ التَّضْحِيَةُ بها ، وإِنْ ذَهَبَ الأَقَلُّ جازَتْ .

وَفِي العَشْوَاء ، وهي التي تُبصرُ نَهاراً لا لَيْلاً ، وَجْهانِ ؛ الأَصَحُّ الإِجْزاءُ .

وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عن التُّوَلاءِ ، وهِيَ المَجْنُونَةُ ، وهِيَ التي تَسْتَدبِرُ المَرْعَى ولا تَرْعَى إِلاَّ قليلاً فَتهزلُ .

وَأَمَّا مَقْطُوعَةُ الأُذُنِ ، فَيُنْظَرُ فإِنْ لَمْ يَبِنْ منها شَيْءٌ ، بَلْ بَقِيَ طَرْفُها مُتَدَلِّياً ، لم يمنعْ على الأَصَحِّ .

وَقَالَ القَفَّالُ : إِنَّها لا تُجْزِىءُ ؛ وإِنْ أُبينَ ، فإِنْ كان كَثِيْراً بالإِضافَةِ إِلى الأُذُنِ ، فإِنَّها لا تُجزىءُ قَطْعاً ؛ وإِنْ كان يَسيراً ، فلا تُجزىءُ على الأَصَحِّ لِفَواتِ جُزْءٍ مَأْكُولٍ .

قَالَ الإمامُ : وَأَقْرَبُ ضَبْطٍ بَيْنَ القَليلِ والكَثِيرِ ، أَنَّهُ إِنْ لاحَ النَّقْصُ من البُعْدِ فَكَثيرٌ ، وإِلاَّ فَقَليلٌ .

وَقَالَ أَبُو حَنيفة : إِنْ كان المَقْطُوعُ دُونَ الثُّلُثِ لا يَمْنَعُ الإِجْزَاءَ ؛ ولا يَضُرُّ الكَيُّ ، وَقِيلَ : وَجْهانِ ؛ وتُجزىءُ صَغيرةُ الأُذُنِ .

ولا تُجْزِىءُ التي أَخَذَ الذِّئْبُ مِقداراً بَيِّناً من فَخِذِها ؛ والمَقْطُوعَةُ الأَلْيَة لا تُجزىءُ على المَذْهَبِ .

وتُجْزِىءُ الشَّاةُ التي خُلِقَتْ بِلا ضَرْعٍ أَو بِلا أَلْيَةٍ على الأَصَحِّ ؛ وَقَطْعُ بَعْضِ الأَلْيَةِ وَالضَّرْعِ كَقَطْعِ كُلِّهما .

ولا تُجزىءُ مَقْطُوعَةُ اللِّسَانِ ، والأَصَحُّ إِجْزاءُ المَجْبُوبِ والخَصِيِّ .

وَشَذَّ ابْنُ كَجٍّ ، فَحَكَى في الخَصِيِّ قَوْلَيْنِ ، وَجَعَلَ الجَدِيدَ عدمَ الإِجْزَاءِ .

وتُجزىءُ التي لا قَرْنَ لَها ، والمَكْسُورَةُ القَرْنِ ، سَواءٌ انْدَمَلَ أَمْ لا على

الأَصَحِّ ؛ وَجَزَمَ المحامليُّ فِي « اللُّبابِ » بِعَدَمِ الإجْزاءِ كَمَا تَقَدَّمَ .

قَالَ القَفَّالُ : إِلاَّ أَنْ يُؤَثِّرَ أَلَمُ الانْكِسَارِ في اللَّحْمِ ، فَيَكُونَ كالجَرَبِ ؛ وَذَاتُ القَرْنِ أَفْضَلُ ؛ وتُجزِىءُ التي ذَهَبَ بعضُ أَسْنانِها .

فائِدَةٌ : قَالَ الجَوْهريُّ[١] : الأُضْحِيَّةُ فِيها أَربعُ لُغاتٍ : أَضْحِيَّةٌ وإِضْحِيَّةٌ ، بِضَمِّ الهَمْزَةِ وَكَسْرِها ، والجَمْعُ أَضاحِي ؛ وَضَحِيَّةٌ ، والجَمْعُ ضَحايا ؛ وأَضْحَاةٌ كَأَرْطَاةٍ ، والجَمْعُ أَضْحىً كَأَرْطىً ، وَبِها سُمِّيَ يَوْمُ الأَضْحَى .

● **فَرْعٌ** : النِّيَّةُ شَرْطٌ في الأُضْحِيَّةِ ، وَيَجُوزُ تَقْدِيمُها على الذَّبْحِ في الأَصَحِّ .

وَلَوْ قَالَ : جعلتُ هَذِهِ الشَّاةَ أُضْحِيَّةً ، فَهَلْ يَكْفِي التَّعيينُ والقصدُ دُونَ نِيَّةِ الذَّبْحِ ؟ وَجْهانِ ، أَصَحُّهما : لا ، لأَنَّ الأُضْحِيَّةَ سُنَّةٌ كَمَا تَقَدَّمَ ، وهي قُرْبَةٌ في نَفْسِها ، فَوَجَبَتِ النِّيَّةُ فِيها ؛ واخْتارَ الإِمامُ والغَزاليُّ الاكْتِفَاءَ ؛ وإِذا قُلْنا بالاكْتِفاءِ ، فالمُسْتَحَبُّ تَجْدِيدُ النِّيَّةِ .

● **فَرْعٌ** : يُسْتَحَبُّ للمُضَحِّي أَنْ يَذْبَحَ بِيَدِهِ ، ويَجُوزُ أَنْ يُفَوِّضَ ذَبْحَها إِلى غَيْرِهِ ؛ وَكُلُّ من حَلَّتْ ذَبيحَتُهُ جَازَ التَّفْويضُ إِلَيْهِ ، والأَوْلَى أَنْ يَكُونَ مُسْلِماً ، وأَنْ يَكُونَ فَقِيهاً ، لِيَكُونَ عارِفاً بوَقْتِها وَشَرائِطِها ؛ وَيَجُوزُ اسْتِنابَةُ الكِتابيِّ . وَقَالَ مالِكٌ : لا يَجُوزُ ، وَيَكُونُ ما ذَبَحَهُ شَاةَ لَحْمٍ . وَحَكَى المُوَفَّقُ بن طاهرٍ الحَنبليُّ عن أَحْمَدَ مِثْلَهُ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَأْكُلَ الثُّلُثَ ، وَيُهْدِي الثُّلُثَ ، وَيَتَصَدَّقَ بِالثُّلُثِ .

وَفِي قَوْلٍ : أَنْ يَأْكُلَ النِّصْفَ ، وَيَتَصَدَّقَ بِالنِّصْفِ .

فإِنْ أَكَلَ الكُلَّ مَعاً ، فَالمَذْهَبُ أَنَّهُ يَضْمَنُ القَدْرَ الذي يُجزِىءُ فِيهِ ، وهو

---

(١) الصحاح « ضحا » ٦/٢٤٠٧ عن الأَصمعيِّ .

أَدْنَى جُزْءٍ ؛ وَقِيلَ : لا يَضْمَنُ ؛ وَقِيلَ : يَضْمَنُ القَدْرَ المُسْتَحَبَّ ، وهو الثُّلُثُ أَوِ النِّصْفُ ، ولا يَجُوزُ بَيْعُ شَيْءٍ مِنها ، ولا أَنْ يُعْطَى الجزَّارُ مِنْها شَيْئاً أُجرةً ، بَلْ مَؤُونَةُ الذَّبْحِ على المُضَحِّي كَمَؤُونَةِ الحَصَّادِ .

● فَرْعٌ : اعلمْ أَنَّ العُلَماءَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم قَالُوا : ادِّخارُ الأُضْحِيَّةِ فَوْقَ ثَلاثٍ ، مَنْهِيٌّ عنهُ ، وَهَلْ يَجُوزُ أَكْلُ الجميعِ ؟ وَجْهان ، أَحَدُهُما : نعم ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ والإِصْطخريُّ وابْنُ القاصِّ ، واخْتارَهُ ابْنُ الوَكِيلِ ؛ لأَنَّهُ يَجُوزُ أَكْلُ أَكْثَرِها ، فَيَجُوزُ أَكْلُ جَمِيعِها .

وَحِيازَةُ الثَّوابِ تحصلُ بِإِراقَةِ الدَّمِ بِقَصْدِ النِّيَّةِ ؛ وَنَسَبَ ابْنُ القاصِّ هَذَا الوَجْهَ إِلى النَّصِّ ؛ وَحَكاهُ المُوَفَّقُ الحَنْبَلِيُّ عن أَبي حَنيفة ؛ وَأَصَحُّ الوَجْهَيْنِ : أَنَّهُ لا بُد من التَّصَدُّقِ بِقَدْرِ ما يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ الاسْمُ .

● فَرْعٌ : لو قَالَ : جَعلتُ هَذِهِ الشَّاةَ أُضْحِيَّةً ، أَوْ نَذَرَ أَنْ يُضَحِّي بِشَاةٍ بِعَيْنِها ، زَالَ مُلْكُهُ عنها ، ولا ينفذُ تَصَرُّفُهُ فِيها بِبَيْعٍ ولا هِبَةٍ ولا إِبْدالٍ ، وَلَوْ بِجُزْءٍ مِنْهَا .

وَعَنِ الشَّيْخِ أَبي عليّ وَجْهٌ ، أَنَّهُ لا يَزُولُ المُلْكُ عَنْها ، حَتَّى تُذْبَحَ وَيُتَصَدَّقَ بِلَحْمِها ، كَمَا لو قَالَ : للهِ عليَّ أَنْ أُعْتِقَ هَذَا العَبْدَ ؛ لا يَزُولُ مُلْكُهُ عَنْهُ إِلاَّ بِإِعْتاقِهِ .

وَعِنْدَ أَبي حَنيفةَ : أَنَّهُ يَزُولُ المُلْكُ عنها ، ولا يَجُوزُ بَيْعُها ولا إِبْدَالُها ؛ وَلَوْ نَذَرَ العِتْقَ في عَبْدٍ بِعَيْنِهِ ، لا يَجُوزُ بَيْعُهُ وإِبْدالُهُ ، وإِنْ لَمْ يَزُلِ المُلْكُ عنهُ .

وَقَالَ أَبو حَنيفة رحمهُ اللهُ : يَجُوزُ بَيْعُهُ وَإِبْدالُهُ ، فَلَوْ باعَها فإِنَّها تُسْتَرَدُّ إِذا كانَتِ العَيْنُ باقِيَةً ؛ فإِنْ أَتْلَفَها المُشْتَرِي ، أَو تَلفتْ عندَهُ ، فَعَلَيْهِ القِيمَةُ من يَوْمِ القَبْضِ إِلى يَوْمِ التَّلَفِ .

فَلَوْ ذَبَحَ رَجُلانِ ، كُلُّ واحِدٍ منهُما أُضْحِيَّةَ الآخَرِ بغيرِ إِذْنِهِ ، ضَمِنَ كُلُّ

واحِدٍ منهُما ما بَيْنَ القِيمتَينِ ، وأَجْزَأَتْ عن الأُضْحِيَّةِ .

● **فَرْعٌ** : قَالَ المَحامليُّ : وَتُنْحَرُ الإِبلُ ، وَتُذْبَحُ الغَنَمُ ؛ فإِنْ نُحِرَ كُلُّها ، أَوْ ذُبِحَ كُلُّها ، جازَ .

وَمَوْضِعُ النَّحْرِ في السُّنَّةِ والاخْتِيارِ : اللَّبَّةُ ، وَمَوضِعُ الذَّبْحِ : أَسْفَلُ مَجامِعِ اللَّحْيَيْنِ ؛ وَكَمالُ الذَّبْحِ : أَنْ يَقْطَعَ الحُلْقُومَ والمريءَ والوَدجين ؛ وَأَقَلُّ ما يُجْزِىءُ في الذَّكَاةِ : أَنْ يَبِينَ الحُلْقُومُ والمَرِيءُ . انتهى .

● **فَرْعٌ** : لو وَلَدَتِ الأُضْحِيَّةُ الواجِبَةُ ، ذَبَحَ وَلَدَها معها ، سواءٌ كانَتْ مُعَيَّنَةً أَوْ في الذِّمَّةِ بَعْدَ ما عَيَّنَ ؛ وَلَهُ أَنْ يَشْرَبَ من لَبَنِها ما يَفْضُلُ عن وَلَدِها . قَالَهُ القاضِي أَبُو سَعيدٍ الهَرَوِيّ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « كُلُّ شاةٍ بِرِجْلِها مُعَلَّقَةٌ » .

أَوَّلُ من قَالَ ذَلِكَ : وَكِيعُ بن سَلَمَةَ بن زُهير بن إِياد ، وَكَانَ قد وَلِيَ أَمْرَ البَيْتِ بعدَ جُرْهُمَ ، فَبَنى صَرْحاً بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ، وَجَعَلَ فِيهِ أَمَةً ، يُقَالُ لَها : حَزُورَةَ ، وَبِهِ سُمِّيَتِ الحَزُورَةُ التي بِمَكَّةَ ، وَجَعَلَ في الصَّرْحِ سُلَّماً ؛ وَكَانَ يزعمُ أَنَّهُ يَرْقاهُ فَيُناجِي فِيهِ رَبَّهُ تَعالَى ؛ وَكَانَ يَنْطِقُ بِكَثِيرٍ من الخَيْرِ ؛ وَكَانَ عُلَماءُ العربِ يَقُولُونَ : إِنَّهُ من الصِّدِّيقِيْنَ .

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ ، جمعَ أَولادَهُ ، وَقَالَ لَهُمْ : اسْمَعُوا وَصِيَّتِي : من رَشَدَ فاتَّبِعُوهُ ، وَمَنْ غَوَى فارْفُضُوهُ ، وَكُلُّ شَاةٍ برِجْلِها مُعَلَّقَةٌ . فَأَرْسَلَ مَثَلاً ؛ أَي كُلُّ أَحَدٍ يُجزى بِعَمَلِهِ ، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

الخَـوَاصُّ : جِلْـدُ الشَّـاةِ ، إِذا أُخِـذَ حِيـنَ يُسْلَـخُ ، وَأُلْبِسَ لِلمَضْـرُوبِ بِالسِّيَاطِ : نَفَعَهُ ، وَسَكَّنَ أَلَمَهُ .

---

(١) الفاخر ٢٨٨ .

٤٧٥ **الشَّامُرْكُ** : الفَتِيُّ من الدَّجاجِ قبلَ أَنْ يَبِيضَ بِأَيَّامٍ قَلائِلَ . قَالَهُ في « المُرصّع » .

وَكُنْيَتُهُ : أَبُو يَعْلَى ؛ وَهُوَ مَعَرَّبُ الشَّاه مُرْغ ؛ وَمَعناها : مَلِكُ الطَّيْرِ[1] .

٤٧٦ **الشَّاهِينُ** : جَمْعُهُ شَواهين وشَيَاهِينَ ؛ وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ ، لكن تَكَلَّمَتْ بِهِ العَرَبُ .

قَالَ الفَرَزْدَقُ[2] : [من الطويل]

حِمىً لَمْ يَحُطْ عَنْهُ سَرِيعٌ وَلَمْ يَخَفْ ... نُوَيْرَةُ يَسْعَى بِالشَّياهِينِ طائِرُهْ

وَيُرْوَى : بِالشَّواهِيْنِ .

● وَقَالَ عبدُ اللهِ بن المُبارَك[3] : [من البسيط]

قَدْ يَفْتَحُ المَرْءُ حانُوتاً لِمَتْجَرِهِ ... وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ الحانُوتَ بالدِّيْنِ

بَيْنَ الأَساطِيْنِ حانُوتٌ بِلا غَلَقٍ ... تَبْتَاعُ بِالدِّيْنِ أَمْوَالَ المَسَاكِيْنِ

صَيَّرْتَ دِيْنَكَ شَاهِيْناً تَصِيدُ بِهِ ... وَلَيْسَ يُفْلِحُ أَصْحَابُ الشَّواهِينِ

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ لَهُ أَبْياتٌ في « بابِ الباءِ المُوَحَّدَةِ » في « البازي » تُشبهُ هَذِهِ .

● وَمِنْ كَلامِهِ[4] : تَعَلَّمْنا العِلْمَ للدُّنْيا ، فَدَلَّنا على تَرْكِ الدُّنْيا .

● والشَّاهِينُ ثلاثَةُ أَنواعٍ : شاهينٌ ، وقَطاميٌّ وأَنيقيٌّ .

وَالشَّاهِينُ[5] ـ فِي الحَقِيقَةِ ـ من جِنْسِ الصَّقْرِ ، إلاَّ أَنَّهُ أَبْرَدُ منهُ ، وأَيْبَسُ مِزاجاً ؛ ولأَجْلِ ذَلِكَ تَكُونُ حَرَكَتُهُ من العُلُوِّ إِلى السُّفْلِ شَديدةً ، وَلِهَذا يَنقضُّ

---

(١) المرصّع ٣٤٩ .

(٢) ديوانه ١/ ٣٢٥ .

(٣) ديوانه ٧٠ ـ ٧١ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣ .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٤ .

(٥) المستطرف ٢/ ٤٩١ .

على صَيْدِهِ انقِضاضاً من غَيْرِ تَحْوِيمٍ ، وعندَهُ جُبْنٌ وَفُتُورٌ ، وهو مَعْ ذَلِكَ شَديدُ الضَّراوَةِ على الصَّيْدِ ، ولأَجْلِ ذَلِكَ رُبَّما ضَرَبَ بِنَفْسِهِ الأَرْضَ فَمَاتَ .

وَعِظامُهُ أَصْلَبُ من عِظَامِ سائِرِ الجَوارِحِ .

وَبَعْضُهم يَقُولُ : الشَّاهِيْنُ كاسْمِهِ يَعْنِي المِيْزَانَ ، لأَنَّهُ لا يَحْتَمِلُ أَدْنَى حالٍ من الشِّبَعِ ولا أَيْسَرَ حَالٍ من الجُوعِ .

وَالمَحْمُودُ من صَفاتِهِ : أَنْ يَكُونَ عَظِيمَ الهامَةِ ، واسِعَ العينَينِ ، رَحْبَ الصَّدْرِ ، مُمْتَلِىءَ الزَّوْرِ ، عَرِيضَ الوَسَطِ ، جَلِيدَ الفَخِذَيْنِ ، قَصِيرَ السَّاقَيْنِ ، قَلِيلَ الرِّيْشِ ، رَقِيقَ الذَّنَبِ ، إذا صَلَّبَ عَلَيْهِ جَناحَيْهِ لَمْ يَفضُلْ عنهُ منهُما شيءٌ ؛ فإذا كان كَذَلِكَ صَادَ الكُرْكِيَّ وغيرَهُ .

● وَيُقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ من صَادَ بِهِ قُسطنطينُ ، وَكانَتِ الشَّواهِينُ رُيِّضَتْ لَهُ ، وَعُلِّمَتْ أَنْ تَحُومَ على رَأْسِهِ إذا رَكِبَ ، فَتُظِلَّهُ من الشَّمْسِ ، وَكانَتْ تَنْحَدِرُ مَرَّةً وتَرتَفِعُ أُخْرَى ، فإذا رَكِبَ وَقَفَتْ حَوْلَهُ ؛ إلى أَنْ ركبَ يوماً فَثَارَ طائِرٌ من الأَرْضِ ، فانْقَضَّ عَلَيْهِ بعضُ الشَّواهِينِ فأَخَذَهُ ، فأَعْجَبَهُ ذلك ، وَضَرَّاهُ على الصَّيْدِ .

وَحُكْمُهُ : يَأْتِي في « باب الصّاد المهملة » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « الصَّقْرِ » .

● وَمِنَ الرَّسائِلِ التي كتبتُها قَدِيماً للأَخ فارِسِ الدِّيْنِ شاهين ، وأَنَا بِالمَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ على ساكِنِها أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ : [من الطويل]

سَلامٌ كَما فَاحَتْ بِرَوْضٍ أَزاهِرُ ... يُضِيءُ كَما لاحَتْ بِأُفْقٍ زَواهِرُ
إذا عَبَقَتْ كُتْبِي بِهِ قَالَ قَائِلٌ ... أَفِي طَيِّها نَشْرٌ من المِسْكِ عاطِرُ ؟
إلى فارِسِ الدِّيْنِ الذِي قد تَرَجَّلَتْ ... لِخِدْمَتِهِ خُدَّامُ مِصْرَ الأَكابِرُ
إذا عُدَّ خُدَّامُ المُلُوكِ جَمِيعُهُمْ ... فَبَيْنَهُمُ ذِكْرٌ لِشَاهِيْنَ طَائِرُ

وَعِنْـدِي اشْتِيَـاقٌ نَحْـوَهُ وَتَلَفُّـتٌ إلَيْـهِ وَقَلْبِـي بِـالمَـوَدَّةِ عَـامِـرُ
تَمَنَّيْـتُ جَهْـدِي أَنْ أَراهُ بِحَضْـرَةٍ مُعَظَّمَـةٍ أَقْطَـارُهـا وَهْـوَ حـاضِـرُ
وَأَدْعُـو لَـهُ فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ مُشَـرَّفٍ وَكُـلُّ زَمـانٍ فَضْلُـهُ مُتَـواتِـرُ
وَفِـي مَسْجِـدٍ عـالٍ كَـريـمٍ مُعَظَّـمٍ لَهُ شَرَفٌ فِي سائِرِ الأَرْضِ سائِرُ

يُقَبِّلُ الأَرْضَ التِي لَهَا بِشاهِينَ عُلُوُّ النَّسْرَيْنِ وَجُودُ المِرْزَمَيْنِ ، قَصُرَتْ عُقابُ الجَوِّ عن مَطارِها ، والعَنْقَاءُ ذاتُ الحُسْنِ عن مَحاسِنِ أَخْبَارِها ، وطائِرُها المَيْمُونُ صُراحٌ ، وَحامِلُ بَطائِقِ سَعْدِها مَنْشُورُ الجَناحِ ، يَعْتَرِفُ أَبُو الصَّقْرِ لِشَاهِيْنِها ، والبُزاةُ وإِنِ اسْتَقَرَّتْ على يَمِينِ المُلُوكِ لِتَمْكِيْنِها ، طَالَما تَصَيَّدَتِ المُلُوكُ بِإِحْسَانِها ، وَنَشَرَتْ جَناحاً طَارَ إِلى أُفُقِ المَعَالِي وَمَكانِها .

وَيُنْهِي أَنَّ لَهُ إِلى مَوْلانا أَشْواقاً غالِبَةً ، وَعَيْناً بِرُؤْيَتِهِ في تِلْكَ البِقاعِ الشَّرِيْفَةِ مُطالِبَةً ، وَأَدْعِيَةً لَهُ عَلَيْها في كُلِّ وَقْتٍ مُواظِبَةً ، وَيَذْكُرُ إِحْسَانَ مَوْلانا ، وَيَصِفُهُ فَمَا أَوْلانا بِذِكْرِ ما أَوْلانا ، وَكَيْفَ لا يَحُوزُ صِدْقاً قَصَبَ السَّبْقِ وَهِيَ فارِسِيَّةٌ ، وَيَطِيرُ حائِماً على أُفُقِ العُلا فَضْلُهُ وهو ذُو نِسْبَةٍ شاهِينِيَّةٍ ، والمَمْلُوكُ يَتَذَكَّرُ صَدَقاتِهِ ، وإِحْسَانَهُ في كُلِّ أَوْقاتِهِ ، على أَنَّ المَخْدُومَ ما زَالَ يَسْتَبِقُ الخَيْراتِ ، وَيُسارِعُ إِلى جَبْرِ القُلُوبِ بِأَنْوَاعِ المَسَرَّاتِ ، وَيَبْذُلُ مَعْرُوفَهُ إِلى البَعِيدِ والقَرِيبِ ، وَيُرْسِلُ جُودَهُ الذِي ما زَالَ يُلَبِّي دَعْوَةَ الدَّاعِي وَيُجِيبُ ؛ فَأَدامَ اللهُ على مَوْلانا سَوابِغَ نِعَمِهِ ، وَعَمَّهُ بِإِحْسَانِهِ العَمِيمِ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الصَّقْرِ » ذِكْرُ أَبِي الصَّقْرِ المُشارِ إِلَيْهِ .

وَتَعْبِيرُهُ : يَأْتِي في « الصَّقْرِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى أَيضاً .

٤٧٧ الشَّبَبُ : الثَّوْرُ المُسِنُّ ، وَكَذَلِكَ الشَّبُوبُ والمُشِبُّ[١] .

---

(١) في الصحاح « شبب » ١٥١/١ : الأَصمعيُّ : الشَّبَبُ : المُسِنُّ من ثيران الوحش الذي انتهى أَسنانه .

٤٧٨ **الشَّبَثُ** : بِالتَّحْرِيكَ : العَنْكَبُوتُ .

قَالَ في « المُحكم »[١] : هِيَ دُوَيْبَّةٌ لَها سِتُّ قَوائِمَ طِوالٍ ، صَفْرَاءُ الظَّهْرِ وَظُهُورِ القَوائِمِ ، سَوداءُ الرَّأْسِ ، زَرْقاءُ العَيْنَيْنِ .

وَقِيلَ : دُوَيْبَّةٌ كَثيرةُ الأَرْجُلِ ، عَظِيْمَةُ الرَّأْسِ .

● [وَقِيلَ : الشَّبَثُ : دُوَيْبَّةٌ] وَاسِعَةُ الفَمِ ، مُرْتَفِعَةُ المُؤَخَّرِ ، تُخَرِّبُ الأَرْضَ ؛ وَهِيَ التي تُسَمَّى شَحْمَةَ الأَرْضِ ؛ وَالجَمْعُ : أَشْباثٌ وشِبْثانٌ .

وَقَالَ الجوهريُّ[٢] : الشَّبَثُ بِالتَّحْرِيكِ : دُوَيْبَّةٌ كَثِيرَةُ الأَرْجُلِ ؛ ولا تَقُلْ : شِبْثٌ ، بِإِسْكَانِ الباءِ المُوَحَّدَةِ . والجَمْعُ : شِبْثَانٌ ، مثلُ خَرَبٍ وخِرْبَانٍ .

وَحُكْمُها : تَحْرِيمُ الأَكْلِ ، لأَنَّها من الحَشَراتِ .

٤٧٩ **الشِّبْثَانُ** : بِكَسْرِ الشِّيْنِ المُعْجَمِةِ ، وَبِالباءِ المُوَحَّدَةِ ، ثُمَّ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ ، ثُمَّ نُونٌ في آخِرِهِ[٣] .

ذَكَرَ ابْنُ قَتيبةَ في « أَدَبِ الكاتِبِ » : أَنَّها دُوَيْبَّةٌ تَكُونُ في الرَّمْلِ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَشَبُّثِها بِما دَبَّتْ عَلَيْهِ .

قَالَ الشَّاعِرُ[٤] : [من الطَّويل]

مَـــدَارِجُ شِبْثَـــانٍ لَهُـــنَّ هَمِيـــمُ

---

(١) وعنه اللسان « شبث » ٤/ ٢١٨٢ . والزيادة منه .

(٢) الصحاح « شبث » ١/ ٢٨٥ .

(٣) هذه المادَّة هي سابقتها بلا خلاف ، وإفرادها وهمٌ من المؤلِّف رحمه الله . قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ٧٤ : شَبَثٌ : دابَّةٌ تكونُ في الرَّمل ، وجمعُها شِبْثانٌ ؛ سَمِّيت بذلك. . . . . هميم . فالمادَّة هي هي ! ! .

(٤) هو ساعدة بن جؤَيَّة الهذليّ من قصيدة في ديوان الهذليين ١/ ٢٣٠ وشرح أَشعار الهذليِّين ٣/ ١١٦٠ . وصدرُه : تَرى أَثْرَهُ في صَفْحَتَيْهِ كأَنَّهُ × .

وَحُكْمُها : تَحْرِيمُ الأَكْلِ ، لأَنَّها من الحَشَراتِ التي لا تُؤْكَلُ .

٤٨٠ **الشِّبْدِعُ** : العَقْرَبُ ، والجَمْعُ : الشَّبادِعُ ، بِكَسْرِ الشِّيْنِ والدَّالِ غيرِ المُعْجَمَةِ[١] . حَكَاهُ أَبُو عمرٍو والأَصْمَعِيُّ .

● وَفِي الحَدِيثِ[٢] : « مَنْ عَضَّ على شِبْدِعِهِ ، سَلِمَ من الآثَامِ » أَي : على لِسانِهِ . أَي : سَكَتَ ، وَلَمْ يَخُضْ مَعَ الخائِضِينَ ، وَلَمْ يَلْسَعْ بِهِ النَّاسَ ؛ لأَنَّ العاضَّ على لِسانِهِ لا يَتَكَلَّمُ ؛ فَشَبَّهَ اللِّسَانَ بالعَقْرَبِ الضَّارَّةِ .

٤٨١ **الشَّبَرْبَصُ** : كَسَفَرْجَلٍ : الجَمَلُ الصَّغِيرُ[٣] .

٤٨٢ **الشِّبْلُ** : وَلَدُ الأَسَدِ إِذا أَدْرَكَ الصَّيْدَ ؛ وَالجَمْعُ : أَشْبَالٌ وَشُبُولٌ .

٤٨٣ **الشَّبْوَةُ** : العَقْرَبُ ؛ والجَمْعُ : شَبَواتٌ . قَالَ الرَّاجِزُ[٤] : [من الرجز]

قَدْ جَعَلَتْ شَبْوَةُ تَزْبَئِرُّ   تَكْسُو اسْتَهَا لَحْماً وتَقْمَطِرُّ

٤٨٤ **الشَّبُّوطُ** : كَسَفُّودٍ ضَرْبٌ من السَّمَكِ . قَالَ اللَّيْثُ : والسَّبُّوطُ - بالسِّيْنِ المُهملَةِ - لَغُةٌ فِيهِ وهو دَقِيقُ الذَّنَبِ ، عَرِيضُ الوَسَطِ ، لَيِّنُ المَسِّ ، صَغِيرُ الرَّأْسِ ؛ وَهَذَا النَّوْعُ قَلِيلُ الإِناثِ ، كَثِيرُ الذُّكُورِ ، فَهوَ قَلِيلَ البَيْضِ بِسَبَبِ ذَلِكَ .

وَذَكَرَ بَعْضُ الصَّيَّادِينَ[٥] : أَنَّهُ يَنْتَهِي إِلى الشَّبَكَةِ فلا يَسْتَطِيعُ الخُرُوجَ منها ، فَيَعلمُ أَنَّهُ لا يُنْجِيهِ إِلاَّ الوُثُوبُ ، فَيَتَأَخَّرُ قَدْرَ رُمْحٍ ، ثُمَّ يهمزُ فَيَثِبُ ،

---

(١) الصحاح « شبدع » ٣/ ١٢٣٥ .

(٢) عن النِّهاية ٢/ ٤٤٠ .

(٣) اللسان « شبرص » ٤/ ٢١٨٥ .

(٤) الشّطران بلا نسبة في الصحاح واللسان والتّاج « شبا » والجمهرة ١/ ٣٤٦ و ٢/ ١٠٢٣ ومقاييس اللُّغة ٣/ ٢٤٣ .

(٥) عجائب المخلوقات ١٠٢ .

فَرُبَّما كان وُثُوبُهُ في الهَواءِ أَكثرَ من عَشْرَةِ أَذْرُعٍ ، فَيَخرقُ الشَّبَكَةَ ويَخرجُ منها ؛ وَلَحْمُهُ طَيِّبٌ جِدّاً[1] ، وهو كَثِيرٌ بِدِجْلَةَ .

٤٨٥ **الشُّجَاعُ** : بِالضَّمِّ وَالكَسْرِ : الحَيَّةُ العَظِيمةُ ، التي تَثِبُ على الفارِسِ والرَّاجِلِ ، وَتَقُومُ على ذَنَبِها ، ورُبَّما بَلَغَتْ رَأْسَ الفارِسِ[2] ، وَتَكُونُ في الصَّحارَى .

● رُوِيَ أَنَّ مالِكَ بن أَدهمٍ ، خَرَجَ يَتَصَيَّدُ ، فَلَمَّا صَارَ إِلى بَلَدٍ قَفْرٍ مُعْطِشٍ ، وَمَعَهُ جَماعَةٌ من أَصْحابِه ، طَلَبُوا المَاءَ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْه ، فَنَزَلَ وَضُرِبَتْ لَهُ خَيْمَةٌ ، وَأَمَرَ أَصْحابَهُ أَنْ يَطْلُبُوا المَاءَ والصَّيْدَ ، فَخَرَجُوا في طَلَبِهما ، فأَصَابُوا ضَبّاً ، فأَتَوْهُ به ، فَقَالَ : اشْوُوهُ ولا تُنْضِجُوهُ ، وَمُصُّوهُ مَصّاً لَعَلَّكُمْ تَنْتَفِعُونَ به . فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، ثُمَّ أَثَارُوا شُجاعاً وَأَرادُوا قَتْلَهُ ، فَدَخَلَ على مالِكٍ خَيْمَتَهُ ، فَقَالَ : قد اسْتَجارَ بي ، فأَجِيرُوهُ . فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، ثُمَّ خَرَجَ هُوَ وأَصْحابهُ في طَلَبِ المَاءِ ، فإِذا هاتِفٌ يَهْتِفُ بِهِمْ ، وهوَ يَقُولُ : [من البسيط]

يـا قَـوْمُ يـا قَـوْمُ لا مَـاءٌ لَكُـمْ أَبَـداً ... حَتَّـى تَحُثُّـوا المَطَـايا يَـوْمَهـا التَّعَبَـا

وَسَـدِّدُوا يَمْنَـةً فَـالمـاءُ عـن كَثَـبٍ ... مَـاءٌ غَـزِيـرٌ وَعَيْـنٌ تُـذْهِـبُ الـوَصَبَـا

حَتَّى إِذا ما أَخَذْتُمْ مِنْهُ حاجَتَكَمْ ... فاسْقُوا المَطايَا ومِنْهُ فامْلَؤُوا القِرَبا

فَأَخَذَ هُوَ وَأَصْحابُهُ في الجِهَةِ التي نَعَتَها الهاتِفُ لَهُمْ في شِعْرِهِ ، فإِذا هُمْ بِعَيْنٍ غَزِيرَةٍ ، فَسَقَوا منها إِبِلَهم وتَزَوَّدُوا ، فلمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يَرَوْا لِلْعَيْنِ أَثَراً ، وإِذا بِهاتِفٍ يَهْتِفُ بِهِمْ وَيَقُولُ : [من البسيط]

يَـا مَـالِ عَنِّـي جَـزاكَ اللهُ صَـالِحَـةً ... هَــذَا وَداعٌ لَكُــمْ مِنِّــي وتَسْلِيــمُ

لا تَزْهَدَنْ في اصْطِناعِ العُرْفِ من أَحَدٍ ... إِنَّ امْـرَأً يُحْـرَمُ المَعْـرُوفَ مَحْـرُومُ

---

(١) في الأُصول : ولحمه كثيرٌ جدّاً ! . والمثبت من القزويني .

(٢) الحيوان ٤/ ٢١٤ .

الخَيْـرُ يَبْقَـى وإِنْ طـالَـتْ مَغِيْبَتُـهُ والشَّرُّ ما عَاشَ مِنْهُ المَرْءُ مَذْمُومُ

● وَفِي « الصحيحين »[1] عن جابرٍ وأَبي هُريرةَ وابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ لا يُؤَدِّي زَكاةَ مَالِه ، إلاَّ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ شُجاعاً أَقْرَعَ ، لَهُ زَبِيبَتَانِ ، يَفِرُّ منهُ وهو يَتْبَعُهُ ، حتَّى يُطَوِّقَهُ في عُنُقِه » .

وَفِي « رِوايَةِ مُسْلِمٍ » : « يَتْبَعُهُ فاتِحاً فَاهُ ، فإذا أَتاهُ فَرَّ مِنْهُ ، فَيُنادِيه : خُذْ كَنْزَكَ الذِي خَبَّأْتَهُ ؛ فإذا رَأَى أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْهُ ، سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ ، فَيَقْضَمُها قَضْمَةَ الفَحْلِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْه ـ يَعْنِي شِدْقَيْه ـ ثُمَّ يَقُولُ : أَنا مالُكَ ، أَنا كَنْزُكَ ؛ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وَالأَقْرَعُ : الذِي تَمَعَّطَ رَأْسُهُ ، وابْيَضَّ من السُّمِّ . والزَّبيبتانِ : الرِّيْشَتانِ من جانِبَيْ فَمِهِ من كَثْرَةِ السُّمِّ ؛ وَيَكُونُ مِثْلُهما في شِدْقَي الإِنْسَانِ عندَ كَثْرَةِ الكَلامِ ؛ وَقِيلَ : نُكْتَتانِ في عَيْنَيْه ؛ وَما هُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ من الحَيَّاتِ ، وهو أَشَدُّ أَذىً ؛ وَقِيلَ : هُما نابانِ يَخرجانِ من فِيهِ . وَيَقْضَمُها بِفَتْحِ الضَّادِ : أَي يَأْكُلُها ؛ والقَضْمُ : بِأَطْرافِ الأَسْنانِ ، والخَضْمُ : بِالفَمِ كُلِّهِ ؛ وَقِيلَ : القَضْمُ : أَكْلُ اليابِسِ ؛ والخَضْمُ : أَكْلُ الرَّطْبِ .

● وَتَزعمُ العربُ أَنَّ الرَّجُلَ إذا طَالَ جُوعُهُ ، يَعرضُ لَهُ في البَطْنِ حَيَّةٌ يُسَمُّونَها الشُّجاعَ والصَّفَرَ . قَالَ أَبُو خِراشٍ يُخاطِبُ امرأَتَهُ[2] : [من الطَّويل]

أَرُدُّ شُجـاعَ البَطْـنِ لـو تَعْلَمِيْنَـهُ وَأُوثِـرُ غَيْـرِي مـن عِيـالِـكِ بِـالطُّعْمِ

---

(١) البخاري ٢/١١١ ومسلم (٩٨٨) والنَّسائي (٢٤٨١) و (٢٤٨٢) والموطأ ١/٢٥٧ ومسند أحمد ٢/٩٨ و ١٣٧ و ١٥٦ و ٢٧٩ و ٣٥٥ و ٣٧٩ و ٤٨٩ .

(٢) ديوان الهذليين ٢/١٢٧ ـ ١٢٨ وشرح أشعار الهذليين ٣/١١٩٩ ـ ١٢٠٠ .

وَأَغْتَبِــقُ المَــاءَ القَــراحَ وأَنْتَنِــي   إذا الـزَّادُ أَمْسَـى لِلْمُـزَلَّـجِ ذَا طَعْـمِ

[قَوْلُهُ : الطعم][1] : أَرادَ بالأَوَّلِ الطَّعامَ ، وبالثَّانِي : ما يُشْتَهَى منهُ ، والغَبُوقُ : الشُّرْبُ بِالعَشِيِّ . وَالمُزَلَّجِ من الرِّجَالِ : النَّاقِصُ الذَّوْقِ ، الضَّعِيفُ .

● وَقَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الطويل]

فَـأَطْـرَقَ إِطْـراقَ الشُّجَـاعِ وَلَـوْ رَأَى   مَسَـاغـاً لِنـابـاهُ الشُّجـاعُ لَصَمَّـمـا

هَذِهِ لَغَةُ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ ، وَهِيَ إِبْقاءُ أَلْفِ التَّثْنِيَةِ في حَالَتَي النَّصْبِ والخَفْضِ[3] ، وهوَ مَذْهَبُ الكوفيِّينَ ؛ ومنهُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه : ٦٣] .

وَتَعْبِيرُهُ في الرُّؤْيَا : يَدُلُّ على وَلَدٍ جَسُورٍ ، أَوِ امْرَأَةٍ بازِلَةٍ[4] .

٤٨٦ الشُّحْرُورُ : كَسُحْنُون ، طائِرٌ أَسْوَدُ ، فَوْقَ العُصْفورِ ؛ يُصَوِّتُ أَصْواتاً [مُطربةً] . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه وَغَيْرُه[5] .

● وَمَا أَحْسَنَ ما قَالَ الشَّيْخُ العَلاَّمَةُ علاءُ الدِّيْنِ الباجِي[6] ، ووفاتُهُ سنةَ أَربعَ عَشْرَةَ وسَبعمئة ، دوبيت[7] :

بِــالبُلْبُــلِ والهَــزَارِ وَالشُّحْــرُورِ   يُكْسَى طَرَباً قَلْبُ الشَّجِيّ المَغْرُورِ

---

(١) الزيادة أَراها لازمة .

(٢) هو المتلمّس ، والبيت في ديوانه ٣٤ وثمار القلوب ٢/ ٦٢٩ .

(٣) التذكرة الحمدونية ٧/ ٢٦٦ .

(٤) كذا .

(٥) اللسان « شحر » ٤/ ٢٢٠٦ والمستطرف ٢/ ٤٩١ . والزيادة عن الأَبشيهي .

(٦) اسمه عليّ بن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن خطَّاب . وترجمته في : فوات الوفيات ٣/ ٧٣ وطبقات الشَّافعيَّة للإسنوي ١/ ٢٨٦ والسُّبكيّ ١٠/ ٣٣٩ وشذرات الذَّهب ٨/ ٦٢ .

(٧) الدوبيت في فوات الوفيات ٣/ ٧٤ .

فانْهَضْ عَجِلاً وانْهَبْ من اللَّذَّةِ مَا جـادَتْ كَـرَمـاً بِـهِ يَـدُ المَقْـدُورِ

● وَقَدَ أَجادَ القائِلُ في وَصْفِهِ ، حَيْثُ قَالَ[1] : [من البسيط]

وَرَوْضَةٍ أَزْهَرَتْ أَغْصانُها ، وَشَدَتْ أَطْيارُها ، وَتَولَّتْ سَقْيَها السُّحُبُ
وَظَلَّ شُحْـرُورُهـا الغِـرِّيْـدُ تَحْسَبُـهُ أُسَيْـوِداً زامِـراً مِـزْمـارُهُ ذَهَـبُ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ : أُسَيْوِد ، وَهُوَ تَصغيرُ أَسْوَد .

● وَقَالَ آخر ، وأَجاد : [من الوافر]

لَـهُ فـي خَـدِّهِ الـوَرْدِيِّ خَـالٌ يَـدُورُ بِـهِ بَنَفْسَـجُ عـارِضَيْـهِ
كَشُحْـرُورٍ تَخَبَّـأَ فـي سِيـاجٍ مَخـافَـةَ جـارِحٍ مـن مُقْلَتَيْـهِ

وَحُكْمُهُ : كالعُصْفُورِ ، وَسَيَأتِي إِن شاءَ الله تعالى .

وَتَعْبِيرُه في الرُّؤْيا : يَدُلُّ على رَجُلٍ من كُتَّابِ السُّلْطَانِ ، نَحْوِيٍّ أَديبٍ ؛ وَرُبَّما دَلَّ على الوَلَدِ الذَّكِيِّ الفَصِيحِ ، أَو على صَبِيِّ المَكْتَبِ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٤٨٧ **شَحْمَةُ الأَرْضِ** : دُوَيْبَّةٌ إِذا مَسَّها الإِنْسانُ ، تَجَمَّعت وَصارَتْ مِثْلَ الخَرَزَةِ .

● وَقَـالَ القَـزْوِينـيُّ فـي « الأَشْكَـالِ »[2] : إِنَّ شَحْمَـةَ الأَرْضِ تُسَمَّـى بِالخَراطِينَ ، وَهِيَ دُودَةٌ طَوِيلَةٌ حَمْراءُ ، تُوجَدُ في المَواضِعِ النَّدِيَّةِ .

● وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ في « ربيعِ الأَبرارِ » : إِنَّها دُوَيْبَّةٌ مُنَقَّطَةٌ بِحُمْرَةٍ ، كأَنَّها سَمَكَةٌ بَيْضاءُ ، يُشَبَّهُ بِها كَفُّ المَرْأَةِ .

● وَقَالَ هِرْمِس : إِنَّها دابَّةٌ صَغِيرَةٌ ، طَيِّبَةُ الرِّيْحِ ، لا تَحْرِقُها النَّارُ ،

---

(١) هما لمحيي الدين بن قرناص ، في الكشف والتنبيه للصفدي ٤١٦ . في أ : وروضة رقصت . . . × .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٩٣ ومسالك الأبصار ١٠٦/٢٠ .

وَتَدْخُلُ فِي النَّارِ من جانِبٍ ، وَتَخْرُجُ من جانِبٍ .

الخَوَاصُّ : من طُلِيَ بشَحْمِها ، لَمْ تَضُرَّهُ النَّارُ ، وَلَوْ دَخَلَ فِيها ؛ وإذا أُخِذَتْ شَحْمَةُ الأَرْضِ ، وَجُفِّفَتْ ، وسُقِيَ منها قَدْرُ دِرْهَمٍ لِلْمَرْأَةِ التي تَعَسَّرَتْ وِلادَتُها ، فإنَّها تَلِدُ من سَاعَتِها .

وَقَالَ القَزْوِينيُّ[١] : إذا شُوِيَتْ وأُكِلَتْ بالخُبْزِ ، فَتَّتَتِ الحَصَا من المَثَانَةِ ؛ وتُجَفَّفُ وَتُطْعَمُ لِصاحِبِ اليَرَقَانِ ، فإنَّها تُذْهِبُ صُفْرَتَهُ .

وَرَمادُها يُخْلَطُ بِدُهْنٍ ، وَيُطْلَى بِهِ رَأْسُ الأَقْرَعِ ، يُنْبِتُ الشَّعْرَ وَيُزِيلُ القَرَعَ .

وَحُكْمُها وتَعْبِيرُها : كَالدُّوْدِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الدَّالِ المُهملةِ » أنَّها غيرُ مَأْكُولَةٍ ، لأَنَّها من الخَبائِثِ .

٤٨٨ الشَّذَا : بِفَتْحِ الشِّيْنِ ، ، والذَّالِ المُعْجَمَةِ : ذُبابُ الكَلْبِ ، وَقَدْ يَقَعُ على البَعِيرِ ؛ الواحِدَةُ : شَذَاةٌ[٢] .

٤٨٩ الشَّرَّانُ : شَبيهٌ بالبَعُوضِ ، يَغْشَى وُجُوهَ النّاسِ[٣] .

٤٩٠ الشِّرْشِقُ : الشِّقِرَّاقُ[٤] .

٤٩١ الشُّرْشُورُ : كَعُصْفُورٍ ، طائِرٌ مثلُ العُصْفُورِ ، أَغْبَرُ على لَطافَةِ الحُمَّرَةِ . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٥] . وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الباءِ » أَنَّهُ أَبُو بَراقِش .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ داخِلٌ في عُمومِ العَصَافِيرِ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩٣ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٠٦ .

(٢) عن الصحاح « شذا » ٦/ ٢٣٩٠ .

(٣) اللسان « شرر » ٤/ ٢٢٣٣ والمخصّص ٨/ ١٨٦ .

(٤) في اللسان « شرشق » : الشِّرشق : طائرٌ .

(٥) المخصّص ٨/ ١٦٥ واللسان « شرر » ٤/ ٢٢٣٣ .

٤٩٢ **الشِّرْغُ وَالشَّرْغُ** : الضِّفْدَعُ الصَّغِيرُ[١] .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في لَفْظِ « الضِّفْدَعِ » في « بابِ الضَّادِ المُعْجَمَةِ » .

٤٩٣ **الشَّرَنْتَى** : كَحَبَنْطَى : طَائِرٌ مَعْرُوفٌ ، يَعْرِفُهُ الأَعْرابُ[٢] .

٤٩٤ **الشَّصَرُ** : بِالتَّحْرِيكِ : وَلَدُ الظَّبْيَةِ ، وَكَذَلِكَ الشَّاصِرُ . قالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ[٣] .

٤٩٥ **الشَّعْرَاءُ** : بِفَتْحِ الشِّينِ وكَسْرِها[٤] ، وَبِالْعَيْنِ المُهْمَلَةِ السَّاكِنَةِ : ذُبابٌ أَزْرَقُ ، أَوْ أَحْمَرُ ، يَقَعُ على الإِبِلِ والحَمِيرِ والكِلابِ ، فَيُؤْذِيها أَذىً شَدِيداً ؛ وَقِيلَ : ذُبابٌ كَذُبابِ الكَلْبِ .

● وَفِي « السِّيرَةِ »[٥] : أَنَّ المُشْرِكِينَ نَزَلُوا بِأُحُدٍ يَوْمَ الأَرْبِعاءِ ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنُزُولِهِم اسْتَشَارَ أَصْحابَهُ ، وَدَعَا عَبْدَ اللهِ بن أُبي بن سَلولٍ ، وَلَمْ يَدْعُهُ قَبْلَها قَطُّ ، فاسْتَشَارَهُ ، فَقَالَ عبدُ اللهِ بن أُبي وَأَكْثَرُ الأَنْصارِ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَقِمْ بِالمَدِينَةِ ولا تَخْرُجْ إِلَيْهِم ، فَوَاللهِ ما خَرَجْنا مِنها إِلى عَدُوٍّ قَطُّ إِلاَّ أَصابَ مِنَّا ، ولا دَخَلَ عَلَيْنا إِلاَّ أَصَبْنا مِنْهُ ، فَكَيْفَ وَأَنْتَ فِيْنا ، فَدَعْهُم يا رَسُولَ اللهِ ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَجْلِسٍ ، وإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنا قاتَلَهُمُ الرِّجَالُ في وُجُوهِهِم ، وَرَماهُمُ النِّسَاءُ والصِّبْيَانُ بِالحِجَارَةِ من فَوْقِهِم ، وإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا

---

(١) اللسان « شرغ » ٤/ ٢٢٤١ والمخصّص ١٠/ ٢٢ .

(٢) اللسان « شرت » ٤/ ٢٢٢٥ .

(٣) اللسان « شصر » ٤/ ٢٢٥٩ .

(٤) قوله : وكسرها . كذا في الأُصول ، وهي زائدة . فلم يُذكر في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « شعر » غير الشَّعْراء ـ بفتح الشِّين ـ ! .

(٥) السيرة ٢/ ٦٢ وما بعد والطَّبريّ ٢/ ٤٩٩ والكامل في التَّاريخ ٢/ ١٤٨ والبداية والنِّهاية ٥/ ٣٣٧ .

خائِبِيْنَ . فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَذَا الرَّأْيُ .

وَقالَ بَعْضُ أَصْحابِهِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اخْرُجْ بنا إِلى هَذِهِ الأَكْلُبِ ، لا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنِّي رَأَيْتُ في مَنامِي بَقَراً تُذْبَحُ ، فأَوَّلْتُها خَيْراً ، وَرَأَيْتُ في ذُبابِ سَيْفِي ثَلْماً ، فَأَوَّلْتُها هَزِيمَةً ، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي في دِرْعٍ حَصِينَةٍ ، فَأَوَّلْتُها المَدِيْنَةَ ؛ فإِنْ رَأَيْتُم أَنْ تُقِيْمُوا بالمَدِيْنَةِ فافْعَلُوا » . وَكَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ المَدِيْنَةَ فَيُقاتِلُوا في الأَزِقَّةِ ، فَقَالَ رِجالٌ من المُسْلِمِينَ مِمَّنْ فاتَهُم يَوْمُ بَدْرٍ ، وَأَكْرَمَهُمُ اللهُ بالشَّهادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ : اخْرُجْ بنا إِلى أَعْداءِ اللهِ يا رَسُولَ اللهِ .

فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَهُ ، وَلَبِسَ لأْمَتَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قد لَبِسَ السِّلاحَ نَدِمُوا وَقَالُوا : بِئْسَمَا صَنَعْتُمْ ، نُشِيرُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ والوَحْيُ يَأْتِيهِ ! . فَقالُوا : اصْنَعْ ما رَأَيْتَ يا رَسُولَ اللهِ ؛ واعْتَذَرُوا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَلْبَسَ لأْمَتَهُ فَيَضَعَها حتَّى يُقاتِلَ » .

وَكَانَ قد أَقَامَ المُشْرِكُونَ بأُحُدِ الأَرْبعاءَ وَالخَمِيسَ ، فَخَرَجَ إِليهم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الجُمعَةِ ، بَعْدَما صَلَّى بأَصْحابِهِ الجُمعةَ ، فَأَصْبَحَ بالشِّعْبِ من أُحُدٍ يَوْمَ السَّبْتِ ، النِّصْفِ من شَوَّالٍ ، سَنَةَ ثَلاثٍ من الهِجْرَةِ ، وَكَانَ أَصْحابُهُ سَبعمئة رَجُلٍ ، فَجَعَلَ عبدَ اللهِ بن جُبيرٍ ـ وَهُوَ أَخُو خَوَّات بن جُبَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ على الرُّماةِ ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلاً ؛ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « أَقِيْمُوا بِأَصْلِ الجَبَلِ ، وانْضَحُوا عَنَّا بالنَّبْلِ ، حتَّى لا يَأْتُونا من خَلْفِنا ؛ وإِنْ كانَتْ لَنا أَوْ عَلَيْنا فلا تَبرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، فإِنَّا لا نَزالُ غالِبينَ ما ثَبَتُّمْ مَكانَكُم » .

فَجاءَتْ قُرَيْشٌ وَعَلى مَيْمَنَتِهِم خالِدُ بن الوَلِيدِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِم عِكْرِمَةُ بن أَبِي جَهْلٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، ومَعهم النِّساءُ يَضْرِبْنَ بالدُّفُوفِ وَيَقُلْنَ الأَشْعارَ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى حَمِيَتِ الحَرْبُ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفاً ، وَقالَ : « مَنْ يَأْخُذُ هَذَا بِحَقِّهِ ، وَيَضْرِبُ بِهِ العَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِي » ؟ فَأَخَذَهُ أَبُو دُجانَةَ

سِماك بن خَرَشَة رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ .

فَلَمّا أَخَذَهُ اعْتَمَّ بعِمامَةٍ حَمْراءَ ، وَجعَلَ يَتَبَخْتَرُ ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُها اللهُ تعالَى إلاَّ في هَذَا المَوْضِعِ » . فَفلقَ بِهِ هامَ المُشْرِكِينَ ، وَحَمَلَ النَّبيُّ ﷺ وَأَصْحابُهُ على المُشْرِكِينَ فهَزَمُوهُم ، فقَالَ أَصْحَابُ عبدِ اللهِ بن جُبَيْرٍ : الغَنِيمَةَ الغَنِيْمَةَ ، واللهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ ، فَلْنُصِيْبَنَّ من الغَنِيْمَةِ ؛ فَلَمَّا أَتَوهُما صُرِفَتْ وَجُوهُهم .

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بنِ العَوَّامِ : فلمَّا نَظَرَتِ الرُّماةُ إِلى القَوْمِ وَقَدِ انْكَشَفُوا ، وَرَأَوْا أَصْحابَهُمْ يَنْتَهِبُونَ الغَنِيْمَةَ ، أَقْبَلُوا يُرِيدُونَ النَّهْبَ ؛ فَلَمَّا رَأَى خالِدُ بن الوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قِلَّةَ الرُّماةِ ، وَاشْتِغال النّاسِ بالغَنِيمَةِ ، وَرَأَى ظُهورَهم خالِيَةً ، صَاحَ فِي خَيْلِهِ من المُشْرِكِينَ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى أَصْحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ من خَلْفِهِمْ فهَزَمَهُمْ .

وَرَمَى عبدُ الله بن قَمِئَةَ رسول الله ﷺ بحجرٍ[1] ، فكَسَرَ رُبَاعِيَّتَهُ ، وَهَشَمَ أَنْفَهُ ، وَشَجَّهُ في وَجْهِهِ فَأَثْخَنَهُ ، وَتفَرَّقَ عَنْهُ أَصحابُهُ .

وَنَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلى صَخْرَةٍ لِيَعْلُوَها ، وَكَانَ ﷺ قد ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ النُّهُوضَ ، فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةُ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ ، فَنَهَضَ ﷺ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْها .

وَوَقَفَتْ هِنْدٌ والنِّسْوَةُ مَعَها يُمَثِّلْنَ بالقَتْلَى ؛ يَجْدَعْنَ الآذانَ والأُنوفَ ، حَتَّى اتَّخَذَت هِنْدٌ من ذَلِكَ قَلائِدَ وَأَعْطَتْها وَحْشِيّاً ، وبَقَرَتْ عن كَبِدِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ فَلاكَتْها ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسِيْغَها ، فَلَفَظَتْها .

---

(١) بل كان الذي أَصابَ رسول الله ﷺ هو عُتبة بن أَبي وقَّاص ، فكسر رَباعيته السُّفلى ، وجرح شفته السُّفلى ؛ وأَنَّ عبدَ اللهِ بن شهاب الزُّهريَّ شجَّه في جبهته ؛ وأَنَّ ابن قمئة جرح وَجنتَه ، فدخلت حلقتان من حَلَق المِغفر في وجنته . (السِّيرة ٢/ ٨٠) .

وَأَقْبَلَ عبدُ اللهِ بن قَمِئَةَ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبيِّ ﷺ فَذَبَّ عنهُ مُصعب بن عُمير رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ صاحِبُ رَايَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ ، وهوَ يَرى أَنَّهُ قَتَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَجَعَ وَقَالَ: إِنِّي قَتَلْتُ مُحَمَّداً، وَصَاحَ صائِحٌ: أَلا إِنَّ مُحَمَّداً قد قُتِلَ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّ ذَلِكَ الصَّائِحَ كان إِبْلِيسُ ؛ فانْكَفَأَ النَّاسُ ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ : « إِلَيَّ عِبادَ اللهِ ، إِليَّ عِبادَ اللهِ » . فاجْتَمَعَ إِلَيه ثَلاثُونَ رَجُلاً ، فَحَمَوهُ حتَّى كَشَفُوا عنهُ المُشْرِكِينَ ، وأُصِيبَت يَدُ طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عنه فَيَبِسَتْ ، حِينَ وَقَى بها رَسُولُ اللهِ ﷺ ؛ وأُصِيبَتْ عَيْنُ قَتادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ حَتَّى وَقَعَتْ على وَجْنَتِه ، فَرَدَّها رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكانَها فَعادَتْ أَحْسَنَ ما كَانَتْ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَدْرَكَهُ أُبَيُّ بن خَلَفٍ الجُمَحَيُّ وَهُوَ يَقُولُ : لا نَجَوْتُ إِنْ نَجا مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ القَوْمُ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَلا يَعطفُ عَلَيْه رَجلٌ مِنَّا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « دَعُوهُ » حَتَّى إِذا دَنَا منهُ ، وَكَانَ أُبيُّ قبلَ ذَلِكَ يَلْقَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَقُولُ : عِنْدِي رَمَكَةٌ أَعْلِفُها كُلَّ يَوْمٍ فَرْقَ ذُرَةٍ ، أَقْتُلُكَ عَلَيْها ؛ فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بَلْ أَنا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى » .

فَلَمَّا دَنا مِنْهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَهُوَ راكِبٌ فَرَسَهُ ، تَناوَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحَرْبَةَ من الحارِثِ بن الصِّمَّةِ ، وانْتَفَضَ بِها انْتِفاضَةً ، فَتَطايَرْنا عنهُ تَطايُرَ الشَّعْرَاءِ عن ظَهْرِ البَعِيرِ إِذا انْتَقَضَ ، وَطَعَنَهُ بِها في عُنُقِهِ طَعنةً خَدَشَتْهُ خَدْشَةً غيرَ كَبيرَةٍ ، فتَدَهْدَهَ بها عن فَرَسِه ، وَهُوَ يَخُورُ كَما يَخُورُ الثَّوْرُ ، وَيَقُولُ : قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ ؛ فَحَمَلَهُ أَصْحابُهُ ، وأَتَوْا بِهِ قُرَيْشاً وَقَدْ حَقَنَ الدَّمُ واحْتَقَنَ ، فَقَالُوا : لا بَأْسَ عَلَيْكَ ؛ فَقَالَ : بَلى ، لو كانَتْ هَذِهِ الطَّعْنَةُ بِرَبِيعَةَ وَمُضَرَ لَقَتَلَتْهُمْ ، أَلَيْسَ قَالَ : أَنا أَقْتُلُكَ ؟ فواللهِ لو بَصَقَ عليَّ بعدَ تِلْكَ المَقالَةِ قَتَلَنِي ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ يَوْماً واحِداً ، وَمَاتَ عدوُّ اللهِ بِمَوْضِعٍ يُقالُ لَهُ : سَرِفٌ[1] .

---

(١) سَرِفٌ : موضعٌ على سِتَّةِ أَميالٍ من مكَّة . (معجم البلدان ٣/ ٢١٢) .

وَقَالَ فِيهِ حَسَّان بن ثابتٍ الأَنْصارِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ[1] : [من الوافر]

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلالَةَ عن أَبيهِ ... أُبَيٌّ حِينَ بارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ ... وَتُوعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ

وَقَدْ قَالَ ﷺ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذاباً ، من قَتَلَ نَبِيّاً أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ » .

لأَنَّهُ من المَعْلُومِ أَنَّ النَّبيَّ لا يَقْتُلُ أَحداً ، ولا يَتَّفِقُ ذَلِكَ إِلاَّ في شَرِّ الخَلْقِ .

٤٩٦ الشَّغْواءُ : بِفَتْحِ الشِّيْنِ ، وَسُكُونِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ ، وَبالمَدِّ : العُقابُ ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِفَضلِ مِنْقَارِها الأَعْلَى على الأَسْفَلِ . قَالَ الشَّاعِرُ[2] :

[مِنَ البسيط]

شَغْواءُ تُوطِنُ بَيْنَ الشِّيْقِ والنِّيْقِ

٤٩٧ الشُّقْدُعُ : الضِّفْدَعُ الصَّغِيرُ . حَكاهُ ابْنُ سِيْدَه[3] .

٤٩٨ الشِّفْنِينُ : كالبِشْنِينِ ، بِكَسْرِ الشِّيْنِ المُعْجَمَةِ[4] ؛ وَهُوَ مَتَوَلِّدٌ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مَأْكُولَيْنِ ؛ وَعَدَّهُ الجاحِظُ في أَنْواعِ الحَمام[5] .

وَبَعْضُهُم يَقُولُ : الشِّفْنِينُ : هُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ العامَّةُ : اليَمامُ .

وَصَوْتُهُ في التَّرَنُّمِ ، كَصَوْتِ الرَّبابِ ، وَفِيهِ تَحْزِينٌ ، وَجَمْعُهُ : شَفانِينُ ، وَتَحْسُنُ أَصْواتُها إِذا اخْتَلَطَتْ .

---

(١) ديوانه ١/١٥٨ (عرفات) و ٣٩٣ (حنفي) و ٣٩٦ (برقوقي) والسِّيرة ٢/ ٨٤ ـ ٨٥ .

(٢) الشَّطر في الصِّحاح « شغا » و « نوق » و « شيق » واللِّسان والتَّاج ، والجمهرة ٢/ ٨٧٧ ، ومعجم مقاييس اللُّغة ٣/ ٢٣٦ بلا نسبة .
والشِّيقُ : الشَّقُّ الضَّيِّقُ في رأس الجبل . والنِّيقُ : أَعلى الجبل .

(٣) المخصّص ١٠/ ٢٢ .

(٤) قال في التَّاج « شفن » : شُفْنين ـ بضمٍّ فسكُونٍ فكسر النُّون ـ : اسم طائرٍ .

(٥) الحيوان ٣/ ١٤٦ . وقال داود في تذكرته ١/ ٢١٦ : وهو طائرٌ أَبيضُ ، يدور السَّواد حول عنقه ولم يكمل ، وحَجمه فوق الفاختة .

وَمِنْ طَبْعِهِ[1] : أَنَّهُ إذا فقَدَ أُنْثاهُ ، لَمْ يَزَلْ أَعْزَبَ إلى أَنْ يَمُوتَ ، وَكَذلِكَ الأُنْثى إذا فقَدَتْ ذَكَرَها ؛ وإذا سَمِنَ سَقَطَ رِيْشُهُ ، وَيَمْتَنِعُ من السِّفادِ .

وَمِنْ طَبْعِهِ : إيْثارُ العُزْلَةِ ، وعندَهُ نَفُورٌ واحْتِراسٌ من أَعْدَائِهِ .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ بالإِجْمَاعِ .

الخَواصُّ[2] : لَحْمُ الشِّفْنِينِ حارٌّ يابِسٌ ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لا يُؤْكَلَ من هَذَا النَّوْعِ إلا الصِّغارُ والمَخَالِيفُ ؛ وَالدَّمُ المُتَوَلِّدُ عنهُ حارٌّ يابِسٌ ، والدُّهْنُ الكَثِيرُ يَعْدِلُهُ .

وَأَكْلُ بَيْضِهِ بَزِيْتٍ يَزِيدُ في الباهِ .

وَزِبْلُهُ إذا دِيفَ بِدُهْنِ وَرْدٍ ، وَتَحَمَّلَتْ بِهِ المَرْأَةُ : نَفَعَ من وَجَعِ الأَرْحَامِ .

وَمَنْ طَلَى إحلِيلَهُ بِدَمِهِ ، وَجامَعَ امرأَتَهُ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْها سِواهُ ؛ وإِنْ مَاتَ لَمْ تَتَزَوَّجْ .

وَمِمَّا يَنْفَعُ الرَّمَدَ في العَيْنِ والوَرَم ، أَنْ يُقطرَ فِيها دَمُ شِفْنِين حارٌّ ، أَوْ دَمُ حَمامَةٍ ، وَيُوضَعُ على العَيْنِ من خارِجٍ قُطْنَةٌ مَبْلُولَةٌ بِبَياضِ بَيْضٍ مع شَيءٍ من دُهْنِ الوَرْدِ ؛ فإِنَّهُ نافِعٌ مُجَرَّبٌ .

٤٩٩ الشِّقُّ : بِالكَسْرِ ؛ قَالَ القَزْوِينيُّ[3] : هُوَ من المُتَشَيْطِنَةُ ، صُورَتُهُ صُورَةُ نِصْفِ آدَميٍّ ، وَيَزْعمُونَ أَنَّ النَّسْنَاسَ مُرَكَّبٌ من الشِّقِّ وَمِنَ الآدَمِيِّ ؛ وَيَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ في أَسْفَارِهِ .

---

(١) الحيوان ٣/ ٥١٦ و٧/ ٦٩ و ١٨٧ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٨٠ وعجائب المخلوقات ٢٧٨ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٧٨ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٦٤ وتذكرة داود ١/ ٢١٦ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٨٠ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٣٧ والحيوان ٦/ ٢٠٦ـ ٢٠٧ ومروج الذَّهب ٢/ ٢٩٦ .

● وَذَكَرُوا[1] أَنَّ عَلْقَمَةَ بن صَفْوَان بن أُمَيَّةَ ، خَرَجَ في بَعْضِ اللَّيَالِي ، فانْتَهَى إلى مَوْضِعٍ [يُقالُ لَهُ : حائط حزمان] ، فَعَرَضَ لَهُ شِقٌّ ، فقَالَ عَلْقَمَةُ[2] : يا شِقُّ ما لِي ولَكَ ، اغْمِدَ عَنِّي مُنْصُلَكَ ، أَتَقْتُلُ مَن لا يَقْتلك ؟ فَقَالَ : شِقٌّ : هَيْتَ لَكَ ، وَاصْبِرْ لِما قد حُمَّ لَكَ .

فَضَرَبَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما صاحِبَهُ فَوَقَعَ مَيِّتاً .

● وَأَمَّا شِقٌّ وَسَطِيحٌ الكاهِنانِ : فَكَانَ شِقٌّ إِنْسَاناً ، لَهُ يَدٌ واحِدَةٌ ، وَرِجْلٌ واحِدَةٌ ، وَعَيْنٌ واحِدَةٌ ؛ وَكَانَ سَطِيحٌ لَيْسَ لَهُ عَظْمٌ ولا بَنانٌ ، إِنَّما كان يُطْوَى مِثْلَ الحَصِيرِ .

وُلِدَ شِقٌّ وَسَطِيحٌ في اليَوْمِ الَّذِي ماتَتْ فِيهِ طَرِيفةُ الكاهِنَةُ ، امرأَةُ عَمرو بن عامِرٍ ؛ وَدَعَتْ بِسَطِيحٍ في اليَوْمِ الذي مَاتَتْ فِيهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ ، فأُتِيَتْ بِهِ ، فَتَفَلَتْ في فِيهِ ، وأَخْبَرَتْ أَنَّهُ سَيَخْلُفُها في عِلْمِها وَكَهانَتِها ؛ وَكَانَ وَجْهُهُ في صَدْرِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْسٌ ولا عُنُقٌ ؛ وَدَعَتْ بِشِقٍّ فَفَعَلَتْ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٣٧ والحيوان ٦/ ٢٠٦ـ ٢٠٧ ومروج الذَّهب ٢/ ٢٩٦ .

(٢) كذا في عجائب المخلوقات ، وهي مبتورةٌ ؛ والرِّواية عند الجاحظ والمسعودي : فعرضَ له شقٌّ وهو يقول :

عَلْقَمُ إِنِّي مقتولْ   وإِنَّ لَحمي مأْكُولْ
أَضْرِبُهُم بالهُذْلُولْ   ضَرْبَ غُلامٍ شُمْلُولْ
رَحْبِ الذِّراع بُهْلُولْ

فقال علقمةُ :

يا شِقَّها ما لي ولَكْ   اغْمِدَ عَنِّي مُنْصُلَكْ
تَقْتُلُ مَنْ لا يَقْتُلُكْ ؟

فقال شِقٌّ :

عَبَيْتُ لَكْ ، عَبَيْتُ لَكْ   كَيْما أُتيحَ مَقْتَلَكْ
فاصْبِرْ لِما قد حُمَّ لَكْ

ماتَتْ ؛ وَقَبْرُها بِالجُحْفَةِ .

وَذَكَرَ الحافِظُ أَبُو الفَرَجِ ابنُ الجَوزيّ : أَنَّ خالِدَ بن عبدِ اللهِ القَسْرِيّ ، كان من وَلَدِ شِقٍّ هَذَا[1] .

● وَفِي « سيرة ابنِ هِشامٍ »[2] ، عن ابْنِ إِسحاقَ : أَنَّ رَبِيعةَ بن نَصْر[3] اللَّخْمِيّ رَأَى رُؤْيَا هالَتْهُ ، فَبَعَثَ إِلى جَمِيعِ الكُهَّانِ والسَّحَرَةِ والمُنَجِّمِيْنَ من رَعِيَّتِهِ ، فاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْياها هالَتْنِي ، وَفَظِعْتُ مِنْها ؛ فَقَالُوا : قُصَّها عَلَيْنا نُخْبِرْكَ بتَأْوِيلِها ؛ فَقَالَ لَهُم : إِنْ أَخْبَرْتُكم بها لَمْ أَطمئنَّ إِلى خَبَرِكُمْ في تَأْوِيلِها ، وَلَسْتُ أُصَدِّقُ في تَأْوِيلِها إِلاَّ من عَرَفَها قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَهُ بِها . فَقَالَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ : إِن هَذَا الذِي يَرُومُهُ المَلِكُ لا يَجِدُهُ إِلاَّ عِنْدَ شِقٍّ وسَطِيحٍ .

فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بذَلِكَ ، أَرْسَلَ المَلِكُ مَن أَتاهُ بِهِما ، فَسَأَلَ سَطِيحاً ، فَقالَ : أَيُّها المَلِكُ ، إِنَّكَ رَأَيْتَ حُمَمَةً[4] ، خَرَجَتْ من ظُلَمَةٍ ، فأَكَلَتْ كُلَّ ذَاتِ جُمْجُمَةٍ ؛ فَقَالَ المَلِكُ : ما أَخْطَأْتَ شَيْئاً ، فَما عِنْدَكَ في تَأْوِيلِها ؟ فَقَالَ سَطِيحٌ : أَحْلِفُ بما بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ من حَنَشٍ ، لِيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمُ الحَبَشُ ، وَلَيَمْلِكُنَّ ما بَيْنَ أَبْيَنَ إِلى جُرَشٍ . فَقَالَ المَلِكُ : وَأَبِيكَ يا سَطِيحُ ، إِنَّ هَذَا لَنا لَغائِظٌ مُوجِعٌ ؛ فَمَتَى يَكُونُ ذَلِكَ ، أَفِي زَمانِي أَمْ بَعْدَهُ ؟ فَقَالَ : بَلْ بَعْدَهُ بِحِينٍ ، أَكثَرُ من سِتِّينَ أَو سَبْعِينَ يَمضينَ من السِّنين ؛ ثُمَّ يُقْتَلُونَ ويُخْرَجُونَ منها هارِبِينَ . قَالَ المَلِكُ : وَمَنِ الذِي يَلِي ذَلِكَ من قَتْلِهِمْ وإِخْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ : يَلِيهِ

---

(١) البداية والنِّهاية ٣/ ١١٨ .

(٢) السيرة النَّبويّة ١/ ١٥ ـ ١٨ وتاريخ الطَّبريّ ٢/ ١١٢ والمنتظم ٢/ ٧٠ والبداية والنِّهاية ٣/ ١١٨ وعجائب المخلوقات ٢٠٤ والمستطرف ٢/ ٣٩١ .

(٣) في الأُصول : مالك بن نصر ! والمثبت من مصادر الخبر .

(٤) في الأُصول : جمجمة . وهي إحدى روايتي الطَّبريّ . والمثبت من المصادر .

ابْنُ ذِي يَزَنٍ ، يَخرجُ عَلَيْهِمْ من عَدَنٍ ، فلا يَتْرُكُ أَحَداً منهم بِاليَمَنِ . قَالَ : أَفَيَدُومُ ذَلِكَ من سُلْطانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : بَلْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ : نَبِيٌّ زَكِيٌّ ، يَأْتِيهِ الوَحْيُ من رَبِّهِ العَلِيِّ . قَالَ : وَمِمَّن هَذَا النَّبيُّ ؟ قَالَ : من وَلَدِ غالِبِ بن فِهْر بن مالِك بن النَّضْرِ ، يَكُونُ المُلْكُ في قَوْمِهِ إِلى آخِرِ الدَّهْرِ . فَقَالَ المَلِكُ : وَهَلْ لِلدَّهْرِ من آخِرٍ يا سَطِيحُ ؟ قَالَ : نَعم ، يَوْمَ يُجْمَعُ فِيهِ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ ، ويَسعدُ فِيهِ المُحْسِنُونَ ، وَيَشْقَى فِيهِ المُسِيؤُونَ . فَقَالَ المَلِكُ : أَحَقٌّ ما تَقُولُ يا سَطِيحُ ؟ قَالَ : نَعم ، والشَّفَقِ والغَسَقِ ، والقَمَرِ إِذا اتَّسَقَ ، إِنَّ ما أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ .

ثُمَّ إِنَّ المَلِكَ أَحْضَرَ شِقّاً ، فَسَأَلَهُ كَمَا سَأَلَ سَطِيحاً ، فَقَالَ لَهُ شِقٌّ : إِنَّكَ رَأَيْتَ حُمَمَةً[١] ، خَرَجَتْ من ظُلَمَةٍ ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَأَكَمَةٍ ، فَأَكَلَتْ كُلَّ ذاتِ نَسَمَةٍ .

فلمَّا سَمِعَ المَلِكُ مَقَالَةَ شِقٍّ ، قَالَ لَهُ : ما أَخْطَأْتُ شَيْئاً ، فما عِنْدَكَ في تَأْوِيلِها ؟ فَقَال شِقٌّ : أَحْلِفُ بِمَا بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ من إِنْسَانٍ ، لَيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمُ السُّودانُ ، وَلَيَغْلِبُنَّ عَلَى كُلِّ طَفْلَةِ البَنانِ ، وَلَيَمْلِكُنَّ ما بَيْنَ أَبْيَنَ إِلى نَجْران . فَقَالَ المَلِكُ ، وَأَبيكَ يا شِقُّ إِنَّ ذَلِكَ لَنا لَغائِظٌ مُؤْلِمٌ ، فَمَتى يَكُونُ ذَلِكَ ؟ أَفي زَمانِي أَمْ بَعدهُ ؟ فَقَالَ : بَلْ بَعْدَهُ بِزَمانٍ ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذُكُمْ منهُ عَظيمُ الشَّانِ ، ويُذيقُهم أَشَدَّ الهَوانِ . فَقَالَ المَلِكُ : من هُوَ العَظِيمُ الشَّانِ ؟ قَالَ : غُلامٌ من غِلْمَانِ اليَمَنِ ، يَخْرُجُ من بَيْتِ ذِي يَزَنٍ . فَقَالَ المَلِكُ : أَفَيَدُومُ ذَلِكَ من سُلْطانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : بَلْ يَنْقَطِعُ بِرَسُولٍ هُوَ خاتَمُ الرُّسُلِ ، يَأْتِي بالحَقِّ والعَدْلِ ، بَيْنَ أَهْلِ الدِّيْنِ والفَضْلِ ، يَكُونُ المُلْكُ في قَوْمِهِ إِلى يَوْمِ الفَصْلِ . فَقَالَ المَلِكُ : وَمَا يَوْمُ الفَصْلِ ؟ فَقَالَ شِقٌّ : يَوْمَ يُجزَى فِيهِ الوُلاةُ ، وَيُدْعَى من السَّمَاءِ

---

(١) في الأُصول : جمجمة . وهي إِحدى روايتي الطَّبريّ . والمثبت من المصادر .

دَعَواتٌ ، يَسْمَعُها الأَحْيَاءُ والأَمْواتُ ، وَيُجْمَعُ النَّاسُ فِيهِ لِلْمِيقَاتِ ، فَيَفُوزُ فِيهِ الصَّالِحُونَ بالخَيْرَاتِ . فَقَالَ المَلِكُ : أَحَقٌّ ما تَقُولُ ياشِقُّ ؟ قَالَ : إِي ، وَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُما من رَفْعٍ وَخَفْضٍ ، إِنَّ ما أَنْبَأْتُكُم بِهِ لَحَقٌّ مَالَه من نَقْضٍ .

فَوَقَعَ ذَلِكَ في نَفْسِ المَلِكِ ، لِما رَأَى من تَطابُقِ شِقٍّ وسَطِيحٍ على ما ذَكَراهُ ؛ فَجَهَّزَ أَهْلَ بَيْتِهِ إِلى الحِيْرَةِ ، فَرَقاً من سُلْطانِ الحَبَشَةِ .

● وَرُوِيَ عَنْهُ[1] : أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ التي وُلِدَ فِيها رَسُولُ اللهِ ﷺ ارْتَجَسَ فِيها إِيْوانُ كِسْرَى ، وَسَقَطَ منهُ أَربعَ عَشرَةَ شُرفةً ، فجزعَ كِسْرَى أَنوشروان من ذَلِكَ وَتَطَيَّرَ ، وَرَأَى أَنْ لا يَكتمهُ عن زُعَمَاءِ مَمْلَكَتِه ، فَأَحْضَرَ مُوبذان مُوبذ ، وهو رَئِيسُ حُكَمائِهِم ، وَعَنْهُ يَأْخُذُونَ نَوامِيسَ شَرائِعِهِمْ ، وَأَحْضَرَ المَوابذَةَ ، وَهُمُ القُضَاةُ ، وَالهَرابِذَةَ وهم كالخُلَفَاءِ للمُوابذَةِ ، والإِصْبَهْبَذَ ، وَهُوَ حافِظُ الجُيُوشِ وَأَميرُ الأُمَراءِ ، وَأَحْضَرَ بُزُرجِمْهَرَ ، وَهُوَ الوَزِيرُ الأَعْلَى ، وَالمَرازِبَةَ ، وَهُمْ حَفَظَةُ الثُّغورِ ، وَوُلاةَ المَمْلَكَةِ ، وأَخْبَرَهُمْ بما كان من ارْتِجاسِ الإِيْوانِ وسَقُوطِ ما سَقَطَ من شُرُفاتِهِ ؛ فَقَالَ رَئِيسُ المَوابِذَةِ :

إِنِّي رَأَيْتُ في المَنَامِ كَأَنَّ إِبِلاً صِعاباً ، تَقُودُ خَيْلاً عِراباً ، قد قَطَعَتْ دجلةَ وانْتَشَرَتْ في بِلادِ فارِس .

وَأَخْبَرَهُ في ذَلِكَ الوَقْتِ قَوْمُهُ بالنَّارِ وخَمُودِها تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَهَالَهُ وَمَنْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ ذَلِكَ واسْتَعْظَمُوهُ ، وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ وَجْهُهُ ، فَفَزِعُوا وَتَفَرَّقُوا عن المَلِكِ يَتَرَوَّوْنَ فِيهِ ؛ ووافَتِ البُرُدُ إِلى كِسْرى من جَمِيعِ جِهاتِ مَمالِكِهِ ، تُخْبِرُ بِخُمُودِ

---

(١) هواتف الجنان ٥٧ وتاريخ الطَّبريّ ٢/ ١٦٦ ودلائل النُّبوَّة لأبي نعيم ٤١ والعقد الفريد ٢/ ٢٨ والمنتظم ٢/ ٢٥٠ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٨/ ١٠ ومختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٩٠ و ٨/ ٣٠٠ والأَزمنة والأَمكنة ٢/ ١٨٠ والبداية والنهاية ٣/ ٣٩٥ وتهذيب اللُّغة للأزهري « سطح » ٤/ ٢٧٦ وعنه اللسان « سطح » ٣/ ٢٠٠٥ ، والمستطرف ٢/ ٣٩٠ .

النِّيْرَانِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَوَافَاهُ الخَبَرُ بأَنَّ بُحيرةَ ساوَةَ قد غاضَ ماؤُها ؛ فَجَمَعَ زُعَماءَ دِيْنِه وَرُؤَساءَ سُلْطانِه ، فأَطْلَعَهُمْ على ما انْتَهَى إِلَيْهِ من ذَلِكَ كُلِّه ، وَسَأَلَهُمْ عَمَّا عندَهم فيهِ .

فَقَالَ مُوبذان موبذ : أَمَّا رُؤْيايَ : فَتَدُلُّ على حَدَثٍ عَظِيمٍ يَكُونُ من العَرَبِ .

فَكَتَبَ كِسْرَى إِلى النُّعْمَانِ بنِ المُنْذِرِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ أَعْلَمَ من فِي أَرْضِهِ من العَرَبِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدَ المَسِيْحِ بن عَمرو الغَسَّانيّ ، وَكَانَ مُعَمَّراً ؛ فَلَمَّا قَدِمَ على كِسْرَى قَالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِمَّا أُريدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عنهُ ؟ قَالَ : يُخْبِرُنِي المَلِكُ عَمَّا يُرِيدُ عِلْمَهُ ، فإِنْ كان عِنْدِي عِلْمٌ مِنْهُ أَخْبَرْتُهُ ؟ فَقَالَ أَنُوشروان : إِنَّما أُرِيدُ من يَعْلَمُ أَمْرِي قَبْلَ أَنْ أَذْكُرَهُ لَهُ . فَقَالَ عبدُ المَسِيح : هَذَا عِلْمٌ يَعْلَمُهُ خالٌ لِي ، يَسْكُنُ بِمَشارِفِ الشَّامِ ، يُقالُ لَهُ : سَطيحٌ . قَالَ كِسْرَى : فاذْهَبْ إِلَيْهِ .

فانْطَلَقَ عَبْدُ المَسِيحِ حَتَّى انْتَهَى إِلى سَطِيحٍ ، فَوَجَدَهُ قد أَشْفَى على المَوْتِ ، فَحَيَّاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ عبدُ المَسِيحِ رافِعاً صَوْتَهُ : [من الرجز]

أَصَـمٌّ أَمْ يَسْمَـعُ غِطْـرِيـفُ اليَمَـنْ   يا صاحِبَ الخُطَّةِ أَعْيَتْ مَن وَمَنْ

فَفَتَحَ سَطِيحٌ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : عبدُ المَسِيحِ ، على جَمَلٍ مُشيحٍ ، وافى إِلى سَطِيحٍ ، وَقَدْ أَشْفَى على الضَّرِيحِ ، بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي ساسان ، لارْتِجاسِ الإِيْوانِ ، وَخُمُودِ النِّيْرانِ ، وَرُؤْيَا المُوبذان ؛ رَأَى إِبلاً صِعاباً ، تَقُودُ خَيْلاً عِراباً ، قد قَطَعَتْ دِجْلَةَ وانْتَشَرَتْ في بِلادِ فارس ؛ يا عبدَ المَسِيحِ ، إِذا ظَهَرَتِ التِّلاوَةُ ، وَبُعِثَ صاحِبُ الهَراوَةِ ، وغاضَتْ بُحيرةُ ساوَة ؛ وَلَمْ تَكُنْ بابلُ لِلْفُرْسِ مُقاماً ، ولا الشَّامُ لِسَطِيحٍ شَاماً ؛ وَسَيَمْلِكُ منهُم مُلوكٌ وَمَلِكاتٌ على عَدَدِ الشُّرُفاتِ ، وَكُلُّ ما هُوَ آتٍ آتٍ ؛ ثُمَّ قَضَى سَطِيحٌ مَكانَهُ .

فاسْتَوَى عبدُ المَسِيحِ على راحِلَتِهِ ، وَعَادَ إلى كِسْرَى ، فأَخْبَرَهُ بمَقَالَةِ سَطِيحٍ ، فقَالَ كِسْرَى : إلى أَنْ يَمْلِكَ مِنَّا أَربعَةَ عَشَرَ [مَلِكاً] تَكُونُ أُمُورٌ [وَأُمورٌ] .

فَملكَ منهم عَشْرَةٌ فِي مُدَّةِ أَربعِ سِنِين ، وَمَلَكَ الباقُونَ إلى أَواخِرِ خِلافَةِ عُثْمان رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ . انتهى .

وبابِلُ : هِيَ بابِلُ العِراقِ ، وَسُمِّيَتْ بِبَابِلَ ، لِتَبَلْبُلِ الأَلْسُنِ بِها عِنْدَ سُقُوطِ صَرْحِ نَمْرُوذٍ ، أَي : تفَرُّقِها .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : بابِلُ : أَرضُ الكُوفَةِ . وَقِيلَ : جَبَلُ دَنْباوَنْد .

وَكِسْرَى : أَوَّلُ مَيِّتٍ اقْتَصَّ من قاتِلِه ، كَمَا قَالَ الحافِظُ أَبُو الفَرَجِ ابن الجَوزيّ في « كِتابِ الأَذْكِياءِ »[١] .

وَذَلِكَ أَنَّ كِسْرَى قَالَ لَهُ مُنَجِّمُوهُ : إِنَّكَ تُقْتَلُ ، فقَالَ : واللهِ لأَقْتُلَنَّ قاتِلِي ؛ فَعَمَدَ إلى سُمٍّ ناقِعٍ ، فَوَضَعَهُ في حُقٍّ ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ : هَذَا دَواءٌ لِلْباهِ ، مُجَرَّبٌ صَحِيحٌ ، إذا اسْتُعْمِلَ مِنْهُ وَزْنُ كَذَا وَكَذَا أَنْعَظَ وَجامَعَ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً ، فَلَمَّا قَتَلَهُ ابْنُهُ ، بادَرَ فَفَتَحَ خزائِنَهُ ، فَوَجَدَ ذَلِكَ الحُقَّ مَخْتُوماً ، فَقَرَأَ ما كُتِبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : بِهَذَا كان كِسْرَى يَقْوَى على مُجامَعَةِ النِّسَاءِ ؛ فَفتحهُ واستعملَ منهُ ما ذُكِرَ ، فَمَاتَ .

فَهُوَ أَوَّلُ مَيِّتٍ اقْتَصَّ من قاتِلِه .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الدَّالِ المُهْمَلَةِ » في « الدَّابَّةِ » عن « كامل ابن الأَثير » : أَنَّ كِسْرَى كان لَهُ ثلاثة آلافِ امرأَةٍ ، وَخَمْسُونَ أَلْفَ دابَّةٍ .

---

(١) أخبار الأذكياء ١٧٧ .

٥٠٠ **الشَّقَحْطَبُ** : كَسَفَرْجَلٍ : الكَبْشُ الَّذِي لَهُ أَرْبَعَةُ قُرُونٍ[١] ؛ والجَمْعُ : شَقاحِطُ ، وَشَقاطِبُ .

٥٠١ **الشِّقَّذَانُ** : الحِرْبَاءُ ؛ [وَجَمْعُهُ شِقْذانٌ] . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[٢] . والشِّقْذانُ أَيْضاً : الضَّبُّ ، والوَرَلُ ، والطُّحَنُ ، وَسَامٌّ أَبْرَصَ ، والدَّسّاسةُ ؛ واحِدَتُهُ شِقْذَةٌ .

٥٠٢ **الشِّقِرَّاقُ** : بِفَتْحِ الشِّينِ وَكَسْرِها . قَالَهُ في « المُحْكَمِ » وابْنُ قُتَيْبَة في « أَدَب الكاتِب »[٣] .

قَال البَطَلْيَوْسِيُّ في « الشَّرْحِ »[٤] : الكَسْرُ في شِيْنِ الشِّقْرَّاقِ أَقْيَسُ ، لأَنَّ فِعِلاّن بكَسْرِ الفَاءِ مَوْجُودٌ في أَبْنِيَةِ الأَسْمَاءِ ، نَحْوَ طِرِمَّاحٍ وَسِنِمَّارٍ ؛ وَفَعَلاّنٌ بِفَتْحِ الفَاءِ مَفْقُودٌ فِيها .

قَالَ : وَبكَسْرِ الشِّيْنِ قَرَأْناهُ في « الغَرِيبِ المُصَنَّفَ » وَهَكَذَا حَكَاهُ الخَلِيلُ ، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ ثَلاثَ لُغاتٍ : شِقْراقٌ بكَسْرِ الشِّيْنِ وإِسْكَانِ القَافِ ، وَشَقْراقٌ بفَتْحِ الشِّيْنِ وإِسْكَانِ القَافِ ، وشُقْرَاقٌ بِضَمِّ الشِّيْنِ وإِسْكَانِ القَافِ[٥] ؛ وَرُبَّما قَالُوا : شِرَقْراقٌ . انتهى .

---

(١) اللِّسان « شقحطب » ٤/ ٢٢٩٦ .

(٢) المخصّص ٨/ ١٠٢ واللِّسان « شقذ » ٤/ ٢٢٩٧ .

(٣) اللِّسان « شقرق » ٤/ ٢٢٩٩ وأَدب الكاتب ٢١٢ .

(٤) الاقتضاب ٢/ ٢٠١ والغريب المصنف ١/ ٣٢١ .

(٥) هذا ما ورد في الأُصول ، ممَّا نقله المؤلِّف عن البطليوسيّ ؛ وفي مطبوعة الاقتضاب : . . . وذكر أَنَّ فيه ثلاث لغاتٍ : شِقِرَّاق (بكسر القاف وتشديد الرَّاء) وشِقْراق (بتسكين القاف) وشِرَقراق . وهو طائرٌ مُفَوَّفٌ بحمرةٍ وخضرةٍ .
وفي مطبوعة العين ٥/ ٢٤٥ قال الخليل : الشِّقِرّاق ، والشِّقِرْقاق ، والشِّرِقراق ؛ لُغاتٌ . طائرٌ يكون بأَرض الحرم ، في منابت النَّخل ، كقدر الهدهد ، مرقَّطٌ بخضرةٍ وبياضٍ وحُمرةٍ وسوادٍ .

● وَهُوَ طائِرٌ صَغيرٌ يُسَمَّى الأَخْيَل ، وَهُوَ أَخْضَرُ مَلِيحٌ بِقَدْرِ الحَمامَةِ ، وَخُضْرَتُهُ حَسَنَةٌ مُشْبَعَةٌ ، وَفِي أَجْنِحَتِهِ سَوادٌ ؛ وَالعَرَبُ تَتَشاءَمُ بِهِ ، وَلَهُ مَشْتىً وَمَصِيْفٌ ، وَهُوَ كَثِيرٌ بِبِلادِ الرُّومِ والشَّامِ وخُراسانَ ونَواحِيها ، وَيَكُونُ مُخَطَّطاً بِحُمْرَةٍ وَخُضْرَةٍ وَسَوادٍ .

وَفِي طَبْعِهِ شَرَهٌ وَشَراسَةٌ ، وَسَرِقَةُ فِراخِ غَيْرِهِ ؛ وَهُوَ لا يَزالُ مُتباعِداً من الإِنْسِ ، وَيَأْلَفُ الرَّوابي وَرُؤُوسَ الجِبالِ ، لَكِنَّهُ يَحْضُنُ بَيْضَهُ في العُمْرَانِ العَوالِي التي لا تنالُها الأَيْدِي ، وَعُشُّهُ شَديدُ النَّتْنِ .

وَقالَ شارحُ « الغُنيةِ » والجاحظ : إِنَّهُ نَوْعٌ من الغِرْبَانِ ؛ وَفِي طَبْعِهِ العِفَّةُ عن السِّفَادِ ، وَهُوَ كَثِيرُ الاسْتِغاثَةِ ، إِذا ضَارَبَهُ طائِرٌ ضَربهُ وَصاحَ كَأَنَّهُ المَضْرُوب[1] .

الحُكْمُ : جَزَمَ الرُّويانيُّ والبَغَوِيُّ بِتَحرِيمِ أَكْلِهِ لاسْتِخْبَاثِهِ . وَنَقَلَهُ الرَّافعيُّ عن الصَّيْمَرِيِّ .

وَمِمَّنْ قَالَ بِالتَّحْرِيمِ : العِجْلِيُّ شَارِحُ « غُنْيَةِ ابْنِ سُرِيج » . وَجَزَمَ بِتَحريمهِ وَتَحريمِ العَقْعَقِ الماوَرْدِيُّ في « الحاوي » وَعَلَّلَ بِأَنَّهُما مُسْتَخْبَثَانِ عِنْدَ العَرَبِ ، وَهُوَ قَوْلُ الأَكْثَرِينَ ؛ وَقالَ بَعْضُ الأَصْحَابِ بِحِلِّهِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[2] : « أَشْأَمُ من الأَخْيَلِ » ، وَهُوَ الشِّقِرَّاقُ .

الخَواصُّ[3] : إِذا كان الذَّهَبُ ناقِصَ العِيَارِ ، يُذَابُ وَيُفْرَغُ عَلَيْهِ من مرارَتِهِ ، فَإِنَّهُ يَحْمَرُّ وَيَزْدَادُ عِيارُهُ ، كَمَا لو أُفْرِغَ عَلَيْهِ من مرارَةِ الثَّعْلَبِ ، فَإِنَّهُ

---

(١) ذكره الجاحظ في الحيوان ٢/ ٥١ ، مرَّةً واحدةً ، فقالَ : وبين الأُطْرُغُلَّةِ والشِّقِرَّاقِ قِتالٌ ؛ لأَنَّهُ يقتلُ الأُطْرُغُلَّة ويُطالِبُها .

(٢) الميدانيّ ١/ ٣٨٣ وحمزة ١/ ٢٤٩ والعسكريّ ١/ ٥٥٩ والزَّمخشريّ ١/ ١٧٦ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٧٨ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٨٠ .

يَنْقصُ عِيارُهُ ؛ وإذا اتُّخِذَ من مَرارَتِهِ خِضابٌ سَوَّدَ الشَّعْرَ .

وَلَحْمُهُ حارٌّ ظَاهِرُ الحَرارَةِ ، وَفِيهِ زُهومَةٌ قَوِيَّةٌ ، إلاَّ أَنَّهُ يُحَلِّلُ الرِّيَاحَ الغَلِيظَةَ التي تَكُونُ في الأَمْعاءِ .

التَّعْبِيرُ : هُوَ في الرُّؤْيَا[1] : امرأَةٌ حَسْنَاءُ ، ذَاتُ جَمالٍ . واللهُ أَعْلَمُ .

٥٠٣ الشَّمْسِيَّةُ : قَالَ أَبُو حَيَّان التَّوحيديُّ[2] : إِنَّها حَيَّةٌ حمراءُ بَرَّاقَةٌ ، إذا كَبُرَتْ وَأَصابَها وَجَعُ العَيْنِ وَعَمِيَتْ ، الْتَمَسَتْ حائِطاً يُقابِلُ الشَّرْقَ ، فإذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، أَحَدَّتْ إِلَيْها بَصَرَها قَدْرَ ساعَةٍ ، فإذا دَخَلَ شُعاعُ الشَّمْسِ عَيْنَها ، كَشَطَ عَنْها العَمَى والإِظْلامَ ، ولا تَزَالُ كَذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى تَجِدَ بَصَرَها تامّاً .

وَغَيْرُها من الحَيَّاتِ إذا عَمِيَتْ أَيْضاً ، طَلَبَ شَجَرَ الرَّازيانِج الأَخْضَرِ ، فَتَكْتَحِلُ بِهِ فَتَبْرَأُ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

٥٠٤ الشُّنْقُفُ : كَقُنْفُذٍ : ضَرْبٌ من الطَّيْرِ[3] ، مَعْرُوفٌ .

٥٠٥ شَهْ : قَالَ ابْنُ سِيْدَه : هُوَ طائِرٌ يُشْبِهُ الشَّاهِينَ ، يَأْخُذُ الحَمامَ وَلَيْسَ هُو ، وَلَفْظُهُ أَعْجَمِيٌّ[4] .

٥٠٦ الشَّهامُ : السِّعْلاةُ : قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ[5] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « السِّعْلاةِ » في « بابِ السِّيْنِ المُهْمَلَةِ » .

٥٠٧ الشَّهْدَمانُ : نَوْعٌ من طَيْرِ المَاءِ ، قَصِيرُ الرِّجْلَيْنِ ، أَبْلَقُ اللَّوْنِ ، أَصْغَرُ من اللَّقْلَقِ .

---

(١) تفسير الواعظ ٢٩٨ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٩٢ . واسمها فيه : السَّمْسِمَة .

(٣) اللسان « شنقف » ٤/ ٢٣٤٤ .

(٤) المخصّص ٨/ ١٤٩ . واللسان « شهه » ٤/ ٢٣٥٤ .

(٥) الصحاح « شهم » ٥/ ١٩٦٣ واللسان ٤/ ٢٣٥٤ .

وَفِي بَعْضِ كُتُبِ الغَرِيبِ : أَنَّهُ نَوْعٌ من الطَّيْرِ[1] .

٥٠٨ الشُّوْحَةُ : قَالَ ابْنُ الصَّلاحِ في « الفَتَاوَى » : إِنَّها الحِدَأَةُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُها في « بابِ الحاءِ المُهْمَلَةِ » .

٥٠٩ الشَّوْفُ : القُنْفُذُ . وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ القافِ » .

٥١٠ الشَّوْشَبُ : القَمْلُ والعَقْرَبُ والنَّمْلُ . وَسَيَأْتِي ذِكْرُ كُلٍّ واحِدٍ مِنْها في بابِهِ .

٥١١ الشَّوْطُ : ضَرْبٌ من السَّمَكِ ، وَلَيْسَ هُوَ الشَّبُّوطَ . قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ[2] .

٥١٢ شَوْطُ بَراح : هُوَ ابْنُ آوَى . قَالَهُ الجوهريُّ . قَالَ : وَيُقَالُ لِلْهَبَاءِ الذي يُرَى في ضَوْءِ الكُوَّةِ : شَوْطُ باطِلٍ[3] .

٥١٣ الشَّوْلُ : النُّوقُ التي جَفَّ لَبَنُها ، وارْتَفَعَ ضَرْعُها ، وَأَتَى عَلَيْها من نِتاجِها سَبْعَةُ أَشْهُرٍ أَو ثمانية ؛ الواحِدَةُ : شائِلَةٌ ؛ وَهُوَ جَمْعٌ على غَيْرِ قِياسٍ ؛ تَقُولُ منهُ : شَوَّلَتِ النَّاقَةُ ـ بِالتَّشْدِيدِ ـ : أَي صَارَتْ شائِلَةً[4] .

وَفِي المَثَلِ[5] : « لا يَجْتَمِعُ فَحْلانِ في شَوْلٍ » . وَتَمَثَّلَ بِهِ عَبْدُ المَلِكِ بن مَرْوانَ عِنْدَ قَتْلِهِ عَمرو بن سَعيدٍ الأَشدقَ ؛ وَالمَعْنَى يَنظُرُ إِلى قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] وَهُناكَ ذَكَرَهُ الزَّمخشريُّ في « الكَشَّافِ » .

---

(١) لم أَقف على اسم هذا الطّائر .

(٢) لم يذكره الجوهريُّ في مادَّة «شوط». وقال في مادَّة «شبط»: الشَّبُّوط : ضربٌ من السَّمك .

(٣) الصحاح « شوط » ٣/ ١١٣٨ .

(٤) عن الصِّحاح « شول » ٥/ ١٧٤٢ .

(٥) الكشّاف ٢/ ٥٦٨ ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢١٧ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى للشَّوْلِ ذِكْرٌ في « بابِ الفَاءِ » عند ذِكْرِ « الفَحْلِ » .

٥١٤ شَوْلَةٌ : من أَسْمَاءِ العَقْرَبِ ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِما تَشُولُهُ من ذَنَبِها ، وَهِيَ شَوْكَتُها[١] .

وَسَيَأْتِي لَفْظُها وَمَا فِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ » .

٥١٥ الشَّيْخُ اليَهوديُّ : قَالَ أَبُو حامِدٍ والقَزوينيُّ في « عجائِبِ المَخْلُوقاتِ »[٢] : إِنَّهُ حَيْوانٌ ، وَجْهُهُ كَوَجْهِ الإِنْسَانِ ، وَلَهُ لِحْيَةٌ بَيْضَاءُ ، وَبَدَنُهُ كَبَدَنِ الضِّفْدَعِ ، وَشَعْرُهُ كَشَعْرِ البَقَرِ ، وَهُوَ في حَجْمِ العِجْلِ ، يَخْرُجُ من البَحْرِ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، فَيَسْتَمِرُّ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ لَيْلَةَ الأَحَدِ ، فَيَثِبُ كَمَا يَثِبُ الضِّفْدَعُ وَيَدْخُلُ المَاءَ ، فلا تَلْحَقُهُ السُّفُنُ .

الحُكْمُ : هُوَ داخِلٌ في عُمُومِ السَّمَكِ ، كَما تَقَدَّمَ .

الخَواصُّ[٢] : ذَكَرُوا أَنَّ جِلْدَهُ ، إِذا وُضِعَ على النِّقْرِسِ ، أَزالَ وَجَعَهُ في الحَالِ .

٥١٦ الشَّيْذُمانُ[٣] : بِفَتْحِ الشِّيْنِ ، وَضَمِّ الذَّالِ المُعْجَمَةِ : الذِّئْبُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الذَّالِ المُعْجَمَةِ » .

٥١٧ الشَّيْصَبانُ : ذَكَرُ النَّمْلِ[٤] .

٥١٨ الشَّيْعُ ، كَالْبَيْعِ : وَلَدُ الأَسَدِ[٥] . وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « الأَسَدِ » في « بابِ الهَمْزَةِ » .

---

(١) اللسان « شول » ٤/ ٢٣٦٤ .

(٢) عجائب المخلوقات ٩٤ .

(٣) اللسان « شذم » ٤/ ٢٢٢٠ .

(٤) اللسان « شصب » ٤/ ٢٢٥٨ .

(٥) اللِّسان « شيع » ٤/ ٢٣٧٧ .

٥١٩ الشِّيْمُ : ضَرْبٌ من السَّمَكِ[1] ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[1] : [من السريع]

قُـــلْ لِطَغـــامِ الأَزْدِ لا تَبْطَـــرُوا   بِـــالشِّيْـــمِ والجِـــرِّيْـــثِ والكَنْعَـــدِ

٥٢٠ الشَّيْهَمُ ، كَالضَّيْغَمِ : ذَكَرُ القَنافِذِ ؛ قَالَ الأَعْشَى[2] : [من الطويل]

لَئِــنْ جَــدَّ أَسْبــابُ العَــداوَةِ بَيْنَنــا   لَتَــرْتَحِلَــنْ مِنِّــي علــى ظَهْــرِ شَيْهَــمِ

قَالَ الأَصْمَعِيُّ : الشَّهامُ : السِّعْلاةُ .

● فائِدَةٌ : قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ الهُذَليُّ الشَّاعِرُ[3] : بَلَغَنا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلِيلٌ ، فاسْتَشْعَرْتُ حُزْناً ، وَبِتُّ بِأَطْوَلِ لَيْلَةٍ ، لا يَنْجابُ دَيْجُورُها ، ولا يَطْلُعُ نُورُها ؛ فَبِتُّ أُقاسِي طَولَها ، حَتَّى إذا كان وَقْتُ السَّحَرِ أَغْفَيْتُ ، فَهَتَفَ بِي هاتِفٌ وَهُوَ يَقُولُ : [من الكامل]

خَطْـــبٌ أَجَـــلُّ أَنـــاخَ بـــالإِسْـــلاَمِ   بَيْـــنَ النَّخِيـــلِ ومَعْقَـــدِ الآطـــامِ

قُبِـــضَ النَّبِـــيُّ مُحَمَّـــدٌ فَعُيُـــونُنـــا   تَـــذْرِي الـــدُّمُـــوعَ عَلَيْـــهِ بـــالتَّسْجَـــامِ

قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ : فَوَثَبْتُ من مَنَامِي فَزِعاً ، فَنَظَرْتُ إلى السَّماءِ فَلَمْ أَرَ إلاَّ سَعْدَ الذَّابِحِ ، فَأَوَّلْتُهُ ذَبْحاً يَقَعُ في العَرَبِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قد قُبِضَ أَو هُوَ مَيِّتٌ من عِلَّتِهِ ، فَرَكِبْتُ ناقَتِي وَسِرْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ طَلَبْتُ شَيْئاً أَزْجُرُ بِهِ ، فَعَرَضَ لِيْ شَيْهَمٌ قد قَبَضَ على صِلٍّ - يَعْنِي حَيَّةً - فَهِيَ تَلْتَوِي عَلَيْهِ والشَّيْهَمُ يَقْضَمُها حتَّى أَكَلَها ، فَزَجَرْتُ ذَلِكَ وَقُلْتُ : شَيْهَمٌ : شَيْءٌ هِمٌّ ؛ وَالْتِواءُ الصِّلِّ : تَلَوِّي النَّاسِ عن الحَقِّ على القائِمِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ أَوَّلْتُ أَكْلَ

---

(١) الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « شيم » والبيت فيهما بلا نسبة .

(٢) ديوانه ١٧٥ .

(٣) التَّذكرة الحمدونيَّة ٨/ ٢٨ ونهاية الأَرب ٣/ ١٤٢ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٩٢ ومعجم الأُدباء ٣/ ١٢٧٦ والاستيعاب ٤/ ١٦٤٩ وأُسد الغابة ٦/ ١٠٢ . ومختصراً في الإصابة ٧/ ١١١ (رقم ٩٨٨١) وخزانة البغدادي ١/ ٤٢٣ .

الشَّيْهَمِ إيَّاها : غَلَبَةَ القائِمِ بعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ على الأَمْرِ .

فَحَثَثْتُ ناقَتِي ، حتَّى إذا كُنْتُ بالغابَةِ[1] ، زَجَرْتُ الطَّائِرَ ، فَأَخْبَرَنِي بِوَفاتِهِ ﷺ ، وَنَعَبَ غُرابٌ سانِحٌ ، فَنَطَقَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فتعوَّذتُ باللهِ من شرِّ ما عنَّ لي في طريقي ، فقدِمتُ المدينَة ولها ضَجيجٌ بالبُكاءِ كضجيجِ الحَجِيجِ إذا أَهَلُّوا بالإِحْرَامِ ، فَقُلْتُ : ما الخَبَرُ ؟ قَالُوا : قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَجِئْتُ إلى المَسْجِدِ فَوَجَدْتُهُ خالِياً ، فَأَتَيْتُ بَيْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدْتُ بابَهُ مُرْتَجاً - أي مُغْلَقاً - وَقِيلَ : هُوَ مُسَجًّى ، وَقَدْ خَلا بِهِ أَهْلُهُ ؛ فَقُلْتُ : أَيْنَ النَّاسُ ؟ فَقِيلَ : في سَقِيفَةِ بَنِي ساعِدَة ، سارُوا إلى الأَنْصَارِ .

فَجِئْتُ إِلى السَّقِيفَةِ ، فَأَصَبْتُ أَبا بَكْرٍ وعُمر وأَبا عُبيدةَ بن الجَرَّاحِ وَجماعةً من قُرَيْشٍ ، وَرَأَيْتُ الأَنْصَارَ فِيهم سَعْدُ بن عُبادَة ، وَفِيهم شُعراؤُهم حَسَّان بن ثابِتٍ وَكَعْبُ بن مالِكٍ ؛ فَأَوَيْتُ إلى قُرَيْشٍ .

وَتَكَلَّمَتِ الأَنْصَارُ ، فَأَطالُوا الخِطَابَ ، وَأَطَالُوا الجَوابَ ، وَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ من رَجُلٍ لا يُطِيلُ الكَلامَ ، وَيَعْلَمُ مَواضِعَ فَصْلِ الخِطَابِ ؛ واللهِ لَقَدْ تكَلَّمَ بِكَلامٍ لا يَسْمَعُهُ سامِعٌ إلاَّ انْقَادَ لَهُ وَمَالَ إِلَيْه ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بِدُونِ كلامِهِ ، ثُمَّ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ : مُدَّ يَدَكَ أُبايِعْكَ ؛ فَمَدَّ يَدَهُ ، فَبايَعَهُ وبايَعَهُ النَّاسُ ؛ وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ وَرَجَعْتُ معهُ .

قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ : فَشَهِدْتُ الصَّلاةَ على النَّبيِّ ﷺ وَشَهِدْتُ دَفْنَهُ .

٥٢١ أَبُو شُبْقُونَة : بِضَمِّ الشِّينِ ، وسُكُونُ الباءِ المُوَحَّدَةِ ، وَضَمِّ القافِ ، وَبَعْدَها نُونٌ : قَالَ في « المرصّع » : إِنَّهُ طائِرٌ يَكُونُ مَعَ الحُمُرِ والغَنَمِ ، يَأْكُلُ الذُّبابَ[2] . واللهُ أَعلمُ .

---

(١) الغابة : موضعٌ قرب المدينة من ناحية الشام . (معجم البلدان ٤/ ١٨٢) .

(٢) في المرصّع : أُمُّ شَيْقُونة : طائرٌ يكون مع الحُمُرِ والغنم ، يأكل الذِّبّان .

بابُ الصَّادِ المُهْمَلَةِ

٥٢٢ الصُّؤَابَةُ : بالهَمْزِةِ ، بَيْضَةُ القَمْلَةِ ؛ والجَمْعُ : صُؤَابٌ وصِئْبَانٌ ؛ والعَامَّةُ تُخَفِّفُهُ ، فَتَقُولُ : صِيْبَانٌ ؛ وَالصَّوابُ الهَمْزُ .

قَالَ ابْنُ السِّكِّيْتِ : يُقالُ : فِي رَأْسِهِ صُؤَابَةٌ ، والجَمْعُ : صِئْبَانٌ بِالهَمْزِ ، وَقَدْ صِيْبَ رَأْسُهُ ، بالياءِ المُثَنَّاةِ تحت ، المُخَفَّفَةِ .

وَقَال الجاحِظُ[١] : قَال إِيَّاسُ بن مُعاوية : الصِّئْبَانُ ذُكُورُ القَمْلِ ، وَهُوَ من الشَّيْءِ الَّذِي يَكُونُ ذُكورُهُ أَصْغَرَ من إِناثِهِ ، كَالزَّراريقِ والبُزاةِ ، فالبُزاةُ هِيَ الإِناثُ والزَّراريقُ الذُّكُورُ ؛ وَلَيْسَ فِيمَا ذَكَرَ شَيْءٌ من الصَّوابِ . انتهى .

● وَرَوَى خَيْثَمَةُ بن سُلَيْمَانَ في « مُسْنَدِهِ » في آخِرِ الجزءِ الخامِس عَشر : عن جابرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تُوضَعُ المَوازِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَتُوزَنُ الحَسَنَاتُ والسَّيِّئاتُ ، فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَناتُهُ على سَيِّئاتِهِ مِثْقَالَ صُؤَابَةٍ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ على حَسَناتِهِ مِثْقَالَ صُؤَابَةٍ دَخَلَ النَّارَ » .

قِيلَ : يارَسُولَ اللهِ ، فَمَنِ اسْتَوَتْ حَسَناتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ ؟ قَالَ ﷺ : أُولَئِكَ أَصْحَابُ الأَعْرافِ ، لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ » .

الحُكْمُ : قَالَ الشَّافِعِيُّ : حُكْمُ الصِّئْبَانِ حُكْمُ القَمْلِ لِلْمُحْرِمِ ، إذا قَتَلَ مِنْهُ شَيْئاً يُسْتَحَبُّ أَن يَتَصَدَّقَ وَلَوْ بِلُقْمَةٍ .

وَجَزَمَ في « الرَّوْضَةِ » بِأَنَّهُ بَيْضُ القَمْلِ ، كَمَا قَالَ الجَوْهَرِيُّ[٢] وغَيْرُهُ ؛

---

(١) الحيوان ٥/٣٦٨ .

(٢) الصِّحاح « صأب » ١/١٦٠ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ في السُّلَحْفاةِ البَحْرِيَّةِ أَنَّ التَّسْرِيحَ بِمُشْطِ الذَّبْلِ يُذهِبُ الصِّئْبَانَ لِخاصِيَّةٍ فِيهِ .

الأَمْثَال : قَالُوا[1] : « يَعقدُ في مِثْل الصُّؤَابِ ، وَفِي عَيْنَيْهِ مِثْلُ الجَرَّةِ » .

قَالَ المَيْدَانِيُّ : يُضْرَبُ لِمَنْ يَلُومُكَ في قَلِيلٍ ما كَثُرَ فِيهِ من العُيُوبِ ؛ وَأَنْشَدَ الرِّياشيُّ[2] : [من الطويل]

أَلا أَيُّهَـذَا الـلاَّئِمـي فـي خَلِيْقَتِـي ... هَـلِ النَّفْسُ فِيمـا كـان مِنْـكَ تَلُـومُ

فَكَيْفَ تَرَى في عَيْنِ صاحِبِكَ القَذَى ... وَتَنْسَـى قَـذَى عَيْنَيْـكَ وَهْـوَ عَظِيـمُ

٥٢٣ الصَّارِخُ : الدِّيكُ .

● رَوَى « البُخَارِيُّ » و« مُسلـم » و« أَبُـو داود » و« النَّسَـائِيُّ »[3] عـن مَسْرُوقٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها عن عَمَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ : كان يُحِبُّ الدَّائِمَ ، قَالَ : قُلْتُ : أَيُّ حِيْنٍ كان ﷺ يُصَلِّي ؟ قَالَتْ : كان إِذا سَمِعَ الصَّارِخَ قَامَ يُصَلِّي » .

قَالَ النَّوويُّ : الصَّارِخُ هُنا : الدِّيْكُ باتِّفَاقِ العُلَمَاءِ ، وسُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ صِياحِهِ في اللَّيْلِ .

قَالَ أَبُو حامِدٍ في « الإِحْيَاءِ » : وَهَذَا الوَقْتُ يَكُونُ سُدُسَ اللَّيْلِ فَما دُونَهُ .

٥٢٤ الصَّافِرُ : وَيُقَالُ أَيضاً : **الصَّفَّارِيَّةُ** : طائِرٌ مَعْرُوفٌ ، من أَنْوَاعِ العَصَافِيرِ .

---

(١) الميداني ٢/ ٤٢٢ وفيه : . . . الصَّواب . بغير همزٍ .

(٢) هما في الميداني ٢/ ٤٢٢ وجمهرة العسكري ١/ ٤١٥ بلا نسبة . باختلافٍ كبيرٍ في رواية الأوّل عند العسكري .

(٣) البخاري ٢/ ٤٤ ومسلم (٧٤١) والنَّسائيّ (١٦١٦) ومسند أَحمد ٦/ ١١٠ و ١٤٧ و ٢٠٣ و ٢٧٩ .

● وَمِنْ[1] شَأْنِهِ : أَنَّهُ إِذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ يَأْخُذُ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ ، وَيَضُمُّ عَليهِ رِجْلَيْهِ ، وَيُنَكِّسُ رَأْسَهُ ، ثُمَّ لا يَزَالُ يَصِيحُ حَتَّى يَطْلَعَ الفَجْرُ ويَظْهَرَ النُّورُ .

قَالَ القَزوِينيُّ : إِنَّما يَصِيحُ خَوْفاً من السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : الصَّافِرُ : التُّنَوِّطُ ، الَّذِي تقدَّمَ في « بابِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فوق » .

وإِنَّهُ إِنْ كان لَهُ وَكْرٌ جَعَلَهُ كَالخَرِيْطَةِ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَكْرٌ شَرَعَ يَتَعَلَّقُ بِالأَغْصَانِ ، كَمَا ذَكَرْنا .

وَحُكْمُهُ : حِلُّ الأَكْلِ ، لأَنَّهُ من أَنْواعِ العَصَافِيرِ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[2] : « أَجْبَنُ وَأَحْيَرُ من صافِرٍ » .

وَأَمَّا قَوْلُهُم[3] : « مَا فِي الدَّارِ صافِرٌ » . فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ والأَصْمَعيُّ : مَعناهُ مَفعولٌ بِهِ كَمَا قِيلَ : مَاءٌ دافِقٌ ، وَسِرٌّ كاتِمٌ : أَي مَدْفُوقٌ وَمَكْتُومٌ . وَقَالَ غَيرُهما : ما بِها أَحَدٌ يَصْفَرُ .

التَّعْبِيرُ : الصَّافِرُ : تَدُلُّ رُؤْيَتُهُ على الحَيْرَةِ والاخْتِفَاءِ ، والرُّكُونِ إِلى ذَوِي الأَقْدَارِ خَوفَ العَدُوِّ ، لأَنَّهُ يُقَالُ في المَثَلِ : « أَحْيَرُ من صافِرٍ » كَمَا تَقَدَّمَ .

٥٢٥ الصَّدَفُ : من حَيواناتِ البَحْرِ .

● وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما[4] : « إِذا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ، فَتَحَتِ الصَّدَفُ أَفْواهَهَا » . وَهُوَ غِلافُ اللُّؤْلُؤِ ، الواحِدَةُ صَدَفَةٌ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٧٨ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٨١ .

(٢) الميداني ١/ ١٨٤ وحمزة ١/ ١١١ والعسكري ١/ ٩٢٥ والزَّمخشري ١/ ٤٤ وفصل المقال ٤٩٩ .

(٣) الميداني ٢/ ٢٨٥ والعسكري ٢/ ٢٤٦ والفاخر ٢٣ والزَّمخشري ٢/ ٣١٦ وأَمثال أَبي عبيد ٣٨٦ .

(٤) عن النِّهاية ٣/ ١٧ .

وَالصَّوادِفُ[1] : الإبِلُ التي تَأْتِي والإبِلُ على الحَوْضِ ، فَتَقِفُ عندَ أَعْجَازِها تَنْتَظِرُ انْصِرافَ الشَّارِبَةِ لِتَدْخُلَ هِيَ . وَمِنهُ قَولُ الرَّاجِزِ[2] : [من الرجز]

النَّاظِرَاتُ العُقَبَ الصَّوادِفُ

وَمِنْ خَواصِّ اللُّؤْلُؤِ : أَنَّهُ يُذهِبُ الخفقَانَ ، وَيُزِيلُ دَاءَ المِرَّةِ السَّوْدَاءِ ، وَيُصَفِّي دَمَ القَلْبِ والكَبِدِ ، ويَجْلُو البَصَرَ ؛ وَلِهَذَا يُجْعَلُ في الأَكْحَالِ .

وإذا حُلَّ حَتَّى يَصِيرَ مَاءً رَجْراجاً ، وَطُلِيَ بِهِ البَهَقُ ، أَذْهَبَهُ من أَوَّلِ طَلْيَةٍ ، لا غير .

وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ في المَنامِ[3] : فَهُوَ على وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ : فإِنَّهُ يَدلُّ على غِلْمانٍ وجَوارٍ وَوِلْدَانٍ وَمَالٍ وَكَلامٍ حَسَنٍ .

فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَثْقُبُ لُؤْلُؤاً ثَقْباً مُسْتَوِياً ، فإِنَّهُ يُفَسِّرُ القُرآنَ صَواباً .

وَمَنْ رَأَى اللُّؤْلُؤَ بيَدِهِ مَنْثُوراً ، فإِنَّهُ يُبَشَّرُ بغُلامٍ إِنْ كان لَهُ امْرَأَةٌ حامِلٌ ، فإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حامِلٌ ، فإِنَّهُ يَمْلِكُ غُلاماً ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطُّور : ٢٤] .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَقْلَعُ لُؤْلُؤاً وَيَبِيعُهُ ، فإِنَّهُ يَنْسَى القُرْآنَ ؛ فإِنْ باعَهُ من غَيْرِ قَلْعٍ ، فإِنَّهُ يُثْبِتُ عَمَلاً في النَّاسِ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَنثُرُ لُؤْلُؤاً فَيَلقطُهُ النَّاسُ ، فإِنَّهُ يَعِظُ النَّاسَ وَيَنْفَعُهُم وَعْظُهُ .

وَمَنْ رَأَى بِيَدِهِ لُؤْلُؤَةً ، يُبَشَّرُ بِوَلَدٍ ذَكَرٍ ؛ فإِنْ لَمْ يَكُن لَهُ حامِلٌ اشْتَرَى

---

(١) عن الصِّحاح « صدف » ٤/ ١٣٨٤ .

(٢) الشَّطر بلا نسبة في الصِّحاح واللِّسان والتَّاج « صدف » ومعجم مقاييس اللُّغة ٣/ ٣٢٩ ، وقبله :

لا رِيَّ حتَّـى تَنْهَـلَ الـرَّوادِفُ × .

(٣) تعبير الرُّؤيا ١٦٠ـ ١٦١ وتفسير الواعظ ٤٠٣ .

جارِيَةً ، وَإِنْ كان أَعْزَبَ تَزَوَّجَ .

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ من بَحْرٍ لُؤْلُؤاً كَثِيراً يُكالُ وَيُوزَنُ بِالقَبَّانِ ، فإِنَّهُ يَنالُ مالاً كَثِيراً من رجلٍ يُنْسَبُ إِلى البَحْرِ .

وَقالَ جاماسب : من رَأَى أَنَّهُ يَعُدُّ لُؤْلُؤاً ، نَالَ مَشَقَّةً ؛ وَمَنْ أُعْطِيَ اللُّؤْلُؤَ نَالَ رِياسَةً ، ومن رأَى اللُّؤلؤَ ، فإِنَّهُ ينالُ سُرُوراً .

والعِقْدُ من اللُّؤْلُؤِ : يَدُلُّ على امرأَةٍ ذَاتِ حُسْنٍ وَجمالٍ ؛ وَقَدْ يَكُونُ العِقْدُ من اللُّؤْلُؤِ عَقْدَ نِكاحٍ .

الخَواصُّ : قَالَ القَزْوِينيُّ[1] : الصَّدَفُ يَنْفَعُ وَجَعَ النِّقْرِسِ والمَفاصِلِ ضِماداً ، وإِذا سُحِقَ بالخَلِّ قَطَعَ الرُّعافَ .

وَلَحْمُهُ يَنْفَعُ من عَضَّةِ الكَلْبِ [الكَلِبِ] . وَمُحرَقُهُ يَجْلُو الأَسْنَانَ اسْتِياكاً ، وَفِي الأَكْحَالِ يَنْفَعُ من قُرُوحِ العَيْنِ ، وإِذا طُلِيَ بِهِ مَوْضِعُ الشَّعْرِ الزَّائِدِ فِي الجَفْنِ بَعْدَ نَتْفِهِ ، مَنَعَ نَبَاتَهُ ؛ وَيَنْفَعُ من حَرْقِ النَّارِ ، وإِذا شُدَّ منهُ قِطْعَةٌ صافِيَةٌ على صَبِيٍّ ، نَبَتَتْ أَسْنانُهُ بِلا وَجَعٍ . ا هـ .

وَقالَ غَيْرُهُ : الصَّدَفُ الذِي يَتَدَوَّرُ في جَوْفِهِ حَيْوانٌ ، وَلَهُ غِطاءٌ على رَأْسِهِ يُشْبِهُ الحَجَرَ ، إِذا سُحِقَ وَذُرَّ على وَجْهِ النَّائِمِ ، ثَبَتَ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ زَماناً طَوِيلاً ، وَهوَ أَسْلَمُ من البنجِ .

وَمِمَّا يَحبسُ الرُّعافَ : أَنْ يُؤْخَذَ الصَّدَفُ ، وَيُسْحَقَ مع جاوشير ، وَيُعْمَلَ منهُ ضِمادٌ وَيُجْعَلَ على الأَنْفِ .

وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ في المَنام : فَمَنْ رَأَى بِيَدِهِ صَدَفاً ؛ فإِنَّهُ يَصدفُ عن شَيْءٍ عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَيُبْطِلُهُ خَيْراً كان أَوْ شَرّاً .

---

(١) عجائب المخلوقات ١٥١ والزِّيادة منه .

٥٢٦ الصَّدَى : طائِرٌ مَعْرُوفٌ ؛ تَقُولُ العَرَبُ : إِنَّهُ يُخْلَقُ من رَأْسِ المَقْتُولِ ، يَصِيحُ في هامَةِ المَقْتُولِ إِذا لَمْ يُؤْخَذْ بِثأْرِهِ يَقُولُ : اسْقُوني اسقُوني ، حَتَّى يُقْتَلَ قاتِلُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ : صادٍ ، والصَّادِي : العَطْشَانُ .

وَالصَّدَى : ذَكَرُ البُومِ ، وَالجَمْعُ : أَصْداءٌ ؛ وَيُقالُ لَهُ : ابْنُ الجَبَلِ ، وَابْنُ طَوْدٍ ، وَبَناتُ رَضْوَى .

وَقَالَ العَدَبَّسُ العَبْدِيُّ[1] : **الصَّدى** : الطَّائِرُ الذِي يَصِرُّ بِاللَّيْلِ وَيَقْفِزُ قَفْزاً وَيَطِيرُ ، وَالنَّاسُ يَرَوْنَهُ الجُنْدُبَ ، وإِنَّما هُوَ الصَّدَى ؛ فَأَمَّا الجُنْدُبُ فإِنَّهُ أَصْغَرُ من الصَّدى .

وَالصَّدَى : صَوْتٌ يَرْجِعُ من الصَّوْتِ إِذا خَرَجَ وَوَجَدَ ما يَحْبِسُهُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابَي الباءِ المُوَحَّدَةِ ، والزَّاي » قَوْلُ صاحِبِ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّة[2] : [من الطويل]

وَلَـوْ أَنَّ لَيْلَـى الأَخْيَلِيَّـةَ سَلَّمَـتْ ... عَلَـيَّ وَدُونِـي جَنْـدَلٌ وَصَفـائِـحُ
لَسَلَّمْـتُ تَسْلِيـمَ البَشَـاشَـةِ أَو زَقـا ... إِلَيْهَا صَدىً من جانِبِ القَبْرِ صَائِحُ

وَالصَّدَى : هُوَ الصَّوْتُ الذِي يُجِيبكَ من الجِبَالِ وغَيْرِها .

● وَلأَبِي المحاسِنِ الشَّوَّاءِ فِي شَخْصٍ لا يَكْتُمُ السِّرَّ ، وَقَدْ أَجادَ فِيه[3] :
[من الخفيف]

لِـي صَـدِيـقٌ غَـدَا وإِنْ كـان لا يَنْـ ... ـطِـقُ إِلاَّ بِغِيْبَـةٍ أَوْ مُحـالِ
أَشْبَـهَ النَّـاسِ بِـالصَّـدَى إِنْ تُحَـدِّثْـ ... ـهُ حَـدِيْثـاً أَعـادَهُ فِـي الحَـالِ

يُقَالُ[4] : صَمَّ صَدَاهُ ، وَأَصَمَّ اللهُ صَدَاهُ : أَيْ أَهْلَكَهُ اللهُ ؛ لأَن الرَّجُلَ إِذا

---

(١) عن الصِّحاح « صدى » ٦/ ٢٣٩٩ وعنه اللِّسان ٤/ ٢٤٢٢ .
(٢) ديوان توبة بن الحميّر ٤٧ ـ ٤٨ .
(٣) البيتان له في عقود الجمان لابن الشَّعّار ١٠/ ٢٦٢ ووفيات الأَعيان ٧/ ٢٣٥ .
(٤) عن الصِّحاح « صدى » ٦/ ٢٣٩٩ وعنه اللِّسان ٤/ ٢٤٢٢ .

مَاتَ لَمْ يَسْمَعِ الصَّدَى مِنْهُ شَيْئاً فَيُجِيبُهُ .

وَمِنْهُ قَوْلُ الحَجَّاجِ لأَنَسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : إِيَّاكَ أَعْنِي ، أَصَمَّ اللهُ صَدَاكَ .

● رُوِيَ عن عليّ بن زَيْد بن جُدْعان[1] : أَنَّ أَنساً رَضِيَ اللهُ تعالَى عنه دَخَلَ على الحَجَّاجِ بن يُوسف الثَّقَفيّ الجائِرِ المُبيرِ ، فَقَالَ لَهُ الحَجَّاجُ : إِيه يا خَبِيثُ ، شَيْخاً جَوَّالاً في الفِتَنِ ! مع أَبي تُرابٍ مَرَّةً ، وَمَع ابنِ الزُّبَيْرِ أُخرَى ، وَمَع ابنِ الأَشْعَثِ مَرَّةً ، وَمعَ ابْنِ الجارُودِ أُخْرَى ؛ أَما واللهِ لأُجَرِّدَنَّكَ جَرد الضَّبِّ ، ولأَقْلَعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْغَةِ ، ولأَعْصِبَنَّكَ عَصْبَ السَّلَمَةِ ؛ العَجَبُ من هَؤُلاءِ الأَشْرَارِ ، أَهْلِ البُخْلِ والنِّفاقِ . فقَالَ أَنسٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنه : مَن يَعْنِي الأَميرُ ؟ فقَالَ : إِيَّاكَ أَعْنِي ، أَصَمَّ اللهُ صَدَاك .

قَالَ عليُّ بنِ زَيْدٍ : فَلَمَّا خَرجَ أَنَسٌ من عِنْدِهِ ، قَالَ : أَما واللهِ لَوْلا وُلْدَي لأَجَبْتُهُ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلى عَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوانَ بما كان من الحَجَّاجِ إِلَيْهِ .

فَكَتَبَ عَبْدُ المَلِكِ إِلى الحَجَّاجِ كِتاباً ، وأَرْسَلَهُ مع إِسْماعِيل بنِ عبدِ اللهِ بن أَبي المُهاجِر مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ، فَقَدِمَ على الحَجَّاجِ ، وَبَدَأَ بأَنسٍ فقَالَ لَهُ : إِنَّ أَميرَ المُؤْمِنِينَ قد أَكْبَرَ ما كَانَ من الحَجَّاجِ إِلَيْكَ ، وأَعْظَمَ ذَلِكَ ، وَأَنا لَكَ ناصِحٌ ؛ إِنَّ الحَجَّاجَ لا يَعْدِلُهُ عِنْدَ أَميرِ المُؤْمِنِينَ أَحَدٌ ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَكَ ، وَأَنا أَرَى أَنْ تَأْتِيَهُ فَيَعْتَذِرَ إِلَيْكَ ، فَتَخْرُجَ من عِنْدِهِ وَهُوَ لَكَ مُعَظِّمٌ ، وَبِحَقِّكَ عارِفٌ .

ثُمَّ أَتَى الحَجَّاجَ فأَعْطَاهُ كِتابَ عَبْدِ المَلِكِ ، فَقَرَأَهُ فَتَمعَّرَ وَجْهُهُ ، وَأَقْبَلَ يَمْسَحُ العَرَقَ عن وَجْهِهِ وَيَقُولُ : غَفَرَ اللهُ لأَمِيرِ المُؤْمِنِين ، ما كُنْتُ أَراهُ يَبْلُغُ مِنِّي هَذَا .

---

(١) الخبر بطوله في العقد الفريد ٥/ ٣٦ ـ ٤١ والأَخبار الطِّوال ٣٢٣ . ومختصراً في مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٧٤ وتهذيب الكمال ٣/ ٣٧٤ والبداية والنِّهاية ١٢/ ٤٥٣ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ : ثُمَّ رَمَى بالكِتَابِ إِليَّ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنِّي قَرَأْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ بنا إِلَيْهِ - يَعْنِي أَنَساً - فَقُلْتُ : لا ، بَلْ يَأْتِيكَ ، - أَصْلَحَكَ اللهُ - فَأَتَيْتُ أَنساً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقُلْتُ : اذهَبْ بنا إلى الحَجّاجِ ؛ فأتاهُ فَرَحَّبَ بِهِ ، وَقَالَ : عَجِلْتَ باللائِمَةِ يا أَبَا حَمْزَةَ ، إِنَّ الَّذِي كان مِنِّي إِلَيْكَ كان عن غَيْرِ حِقْدٍ ، وَلَكِنَّ أَهْلَ العِراقِ لا يُحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ للهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ يُقِيمُ حُجَّتَهُ ، وَمَعْ هَذَا فَأَنا أَرَدْتُ أَنْ يَعْلَمَ مُنافِقُو أَهْلِ العِراقِ وفُسَّاقُهُم ، أَنِّي متىٰ أَقْدَمْتُ عَلَيْكَ ، فَهُمْ عَلَيَّ أَهْوَنُ ، وَأَنا إِلَيْهِمْ أَسْرَعُ ، وَلَكَ عِنْدَنا العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى .

فَقَالَ أَنَسٌ : ما عَجِلْتُ باللائِمَةِ حَتَّى تَنَاوَلَتْ مِنِّي العامَّةُ دُونَ الخاصَّةِ ، وَحَتَّى شَمَّتَّ بنا الأَشْرارَ وَقَدْ سَمَّانا اللهُ الأَنْصارَ ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّا أَهْلُ بُخْلٍ ، وَنَحْنُ المُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّا أَهْلُ نِفاقٍ ، وَنَحْنُ الذِينَ تَبَوَّؤوا الدَّارَ والإِيْمَانَ من قَبْلِهِم ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ اتَّخَذْتَنِي ذَرِيعَةً لأَهْلِ العِراقِ ، باسْتِحْلالِكَ مِنِّي ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ اللهُ حَكَمٌ ، هُوَ أَرْضَى لِلرِّضَا وأَسْخَطُ لِلسُّخْطِ ، إِلَيْهِ جَزاءُ العِبادِ وَثَوابُ أَعمالِهِم ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النَّجم : ٣١] .

فَوَاللهِ إِنَّ النَّصَارَى - عَلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ - لو رَأَوا رَجُلاً قد خَدَمَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام يَوْماً واحِداً ، لأَكْرَمُوهُ وَعَظَّمُوهُ ، فَكَيْفَ لَمْ تَحْفَظْ لِي خِدْمَتِي رسُولَ اللهِ ﷺ عَشرَ سِنينَ ؟ فإِنْ يَكُنْ منكَ إِحْسَانٌ شَكَرْنا ذَلِكَ مِنْكَ ، وإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ صَبَرْنا إلى أَنْ يَأْتِيَ اللهُ بالفَرَجِ .

قَالَ : وَكَانَ كِتابُ عبدِ المَلِكِ إلى الحَجّاجِ : أَمَّا بَعْدُ ، فإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَتْ بِكَ الأُمُورُ حَتَّى عَدَوْتَ طَوْرَكَ ، وَأَيْمُ اللهِ - يا ابْنَ المُسْتَفْرِمَةِ بعَجَمِ الزَّبِيْبِ - لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضْغَمَكَ ضَغْمَةً كَضَغماتِ اللُّيُوثِ للثَّعالِبِ ، وأَخبِطَكَ خَبْطَةً تَوَدُّ أَنَّكَ زاحَمْتَ مَخْرَجَكَ من بَطْنِ أُمِّكَ ؛ قد بَلَغَنِي ما كَانَ مِنْكَ إِلى أَنسِ بنِ مالِكٍ ، وَأَظُنُّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَخْتَبِرَ أَميرَ المُؤْمِنِينَ ، فإِنْ كان عِنْدَهُ غَيْرَةٌ وإِلاَّ مَضَيْتَ

قُدُماً ؛ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَيْكَ وَعَلى آبائِكَ ، أَخْفَشِ العَيْنَيْنِ ، مَمْسُوحِ الجاعِرَتَيْنِ ، أَحْمَشِ السَّاقَيْنِ ؛ نَسِيتَ مَكانَ آبائِكَ بِالطَّائِفِ وَما كانُوا عَلَيْهِ من الدَّناءَةِ واللُّؤْمِ ؛ إِذْ يَحْفِرُونَ الآبارَ في المَناهِلِ بِأَيْدِيهم ، وَيَنْقُلُونَ الحِجارَةَ على ظُهُورِهِمْ ؟

فإذا أَتاكَ كِتابي هَذا وَقَرأْتَهُ ، فَلا تُلْقِهِ من يَدِكَ حَتَّى تَلْقَى أَنَساً بِمَنْزِلِه ، واعْتَذِرْ إِلَيْهِ ؛ وإِلاَّ بَعَثَ إِلَيْكَ أَميرُ المُؤْمِنِينَ من يَسْحَبُكَ ظَهْراً لِبَطْنٍ ، حَتَّى يَأْتِيَ بِكَ أَنَساً فَيَحْكُمَ فِيكَ ، وَلَنْ يَخْفَى على أَميرِ المُؤْمِنِين نَبَؤُكَ و﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام : ٦٧] .

فَلا تُخالِفْ كِتابَ أَميرِ المُؤْمِنِينَ ، وَأَكْرِمْ أَنَساً وَوُلْدَهُ ، وإِلاَّ بَعَثْتُ إِلَيْكَ من يَهْتِكُ سِتْرَكَ ، وَيُشْمِتُ بِكَ عُدُوَّكَ . والسَّلامُ .

● تُوفِّيَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ سَنَةَ إِحْدَى ، أَوِ اثْنَتَيْن ، أَو ثَلاثٍ وَتِسْعِينَ ، بِالبَصْرَةِ ، وَهُوَ آخِرُ الصَّحابَةِ مَوْتاً بِها ، رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُم أَجمعين .

٥٢٧ الصَّرَّاخُ : كَكَتَّانٍ[١] : الطَّاوُوسُ . وَسَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الطَّاءِ المُهْمَلَةِ » .

٥٢٨ صَرَّارُ اللَّيْلِ : الجُدْجُدُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُهُ في « بابِ الجِيمِ » . وَهُوَ أَكْبَرُ من الجُنْدُبِ ؛ وَبَعْضُ العَرَبِ يُسَمِّيه الصَّدَى[٢] .

٥٢٩ الصُّرَّاحُ : كَرُمَّانٍ : طَائِرٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ العَرَبِ ، يُؤْكَلُ[٣] .

٥٣٠ الصُّرَدُ : كَرُطَبٍ ؛ قالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمرو ابن الصَّلاحِ : هُوَ مُهْمَلُ

---

(١) في اللِّسان والتَّاج « صرخ » : قال ابن الأَعرابيِّ : الصَّرَّاخ : الطَّاووس . والنَّبَّاح : الهُدهُد.

(٢) عن الصِّحاح « صرر » ٢/ ٧١١ .

(٣) القاموس والتَّاج « صرح » . وفيهما : طائرٌ كالجندب . . .

الحُرُوفِ ، عَلَى وَزْنِ جُعَلٍ ؛ وَكُنْيَتُهُ : أَبُو كبيرٍ[1] .

وَهُوَ[2] طائِرٌ فَوْقَ العُصْفُورِ يَصِيدُ العَصَافِيرَ ؛ وَالجَمْعُ : صِرْدَانٌ ـ بِكَسْرِ الصَّادِ ـ قَالَهُ النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ .

وَهُوَ أَبْقَعُ ، ضَخْمُ الرَّأْسِ ، يَكُونُ في الشَّجَرِ ، نِصْفُهُ أَبْيَضُ وَنِصْفُهُ أَسْوَدُ ، ضَخْمُ المِنْقَارِ ، لَهُ بُرْثُنٌ عَظِيمٌ ـ يَعْنِي : أَصابِعُهُ عَظِيْمَةٌ ـ لا يُرَى إِلاَّ في سَعَفَةٍ أَوْ شَجَرَةٍ ، لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

وَهُوَ شَرِسُ النَّفْسِ ، شَدِيدُ النَّفْرَةِ ، غِذَاؤُهُ من اللَّحْمِ ؛ وَلَهُ صَفِيرٌ مُخْتَلِفٌ ، يُصَفِّرُ لِكُلِّ طائِرٍ يُرِيدُ صَيْدَهُ بلُغَتِهِ ، فَيَدْعُوهُ إِلى التَّقَرُّبِ مِنْهُ ، فإذا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الطُّيُورُ شَدَّ على بَعْضِها ؛ وَلَهُ مِنْقَارٌ شَدِيدٌ ، فإذا نَقَرَ واحِداً ، قَدَّهُ من سَاعَتِهِ وَأَكَلَهُ ، وَلاَ يَزَالُ هَذَا دَأْبَهُ ؛ وَمَأْوَاهُ الأَشْجَارُ ، وَرُؤُوسُ القِلاعِ ، وَأَعَالِي الحُصُونِ .

فائِدَةٌ : نَقَلَ الإمامُ العَلاَّمَةُ أَبُو الفَرَجِ ابن الجوزيّ في « المُدْهِش » في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف : ٦٠] الآيَةُ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ والضَّحَّاكِ ومُقاتِلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ، قَالُوا : إِنَّ مُوسَى ﷺ لَمَّا أَحْكَمَ التَّوْرَاةَ ، وعَلِمَ ما فِيها ، قَالَ في نَفْسِهِ : لَمْ يَبْقَ في الأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمَ مِنِّي ـ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مع أَحَدٍ ـ فَرَأَى في مَنَامِهِ كَأَنَّ اللهَ تَعالَى أَرْسَلَ السَّمَاءَ بِالمَاءِ ، حَتَّى غَرِقَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، فَرَأَى قَناةً على البَحْرِ فِيها صُرَدَةٌ ، فَكانَتِ الصُّرَدَةُ تَجِيءُ لِلْمَاءِ الذِي أَغْرَقَ الأَرْضَ ، فتَنْقُلُ المَاءَ بِمِنْقَارِها ثُمَّ تَدْفَعُهُ في البَحْرِ .

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الكَلِيمُ هَالَهُ ذَلِكَ ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ : ما لِي أَراكَ يا مُوسَى كَئِيْباً ؟ فَأَخْبَرَهُ بِالرُّؤْيا ، فَقَالَ : إِنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ اسْتَغْرَقْتَ العِلْمَ كُلَّهُ ، فَلَمْ يَبْقَ

---

(١) في أ ، ط : أبو كثير ، وكذا في نسخة من المرصّع . والمثبت من ب والمرصّع .

(٢) اللّسان والتّاج « صرد » والمخصّص ٨/ ١٥١ .

فِي الأَرْضِ من هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ! وإِنَّ للهِ تَعالَى عَبْداً ، عِلْمُكَ فِي عِلْمِهِ كَالماءِ الَّذِي حَمَلَتْهُ الصُّرَدَةُ بِمِنْقَارِها ، فَدَفَعَتْهُ في البَحْرِ ؛ فقال : يَا جِبْرِيلُ ، من هَذَا العَبْدُ ؟ قَالَ : الخَضِرُ بن عاميل ، من وَلَدِ الطَّيِّبِ ـ إبراهيم الخَلِيل ﷺ ـ فَقَالَ : من أَيْنَ أَطْلُبُهُ ؟ قَالَ : اطْلُبْهُ من وَرَاءِ هَذَا البَحْرِ ؛ فَقَالَ : من يَدُلُّنِي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : بَعْضُ زَادِكَ .

قَالُوا : فَمِنْ حِرْصِهِ على لُقْيَاهُ لَمْ يَسْتَخْلِفْ على قومه أَحَداً وَمَضَى لِوَجْهِهِ ، وَقَالَ لِفَتَاهُ يُوشَع بن نُون : هَلْ أَنْتَ مُؤَازِرِي ؟ قَالَ : نعم . قَالَ : اذْهَبْ فاحْمِلْ لَنَا زاداً .

فانْطَلَقَ يُوشَعُ فاحْتَمَلَ أَرْغِفَةً وَسَمَكَةً مَالِحَةً عَتِيقَةً ، ثُمَّ سَارَا في البَحْرِ ، حَتَّى خاضا وَحْلاً وَطِيْناً ، وَلَقِيا تَعَباً وَنَصَباً ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلى صَخْرَةٍ ناتِئَةٍ في البَحْرِ خَلْفَ بَحْرِ أَرمينيَّةَ ، يُقالُ لِتِلْكَ الصَّخْرَةِ : قَلْعَةَ الحَرَسِ ، فَأَتَيَاها ، فانْطَلَقَ مُوسى لِيَتَوَضَّأَ ، فاقْتَحَمَ مَكاناً ، فَوَجَدَ عَيْناً من عُيُونِ الجَنَّةِ في البَحْرِ ، فَتَوَضَّأَ مِنْها ، وانْصَرَفَ وَلِحْيَتُهُ تَقْطُرُ مَاءً ـ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حَسَنَ اللِّحْيَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَحْسَنَ لِحْيَةً مِنْهُ ـ فَنَفَضَ مُوسَى لِحْيَتَهُ ، فَوَقَعَتْ قَطْرَةٌ مِنْها على تِلْكَ السَّمَكَةِ المالِحَةِ ؛ وَمَاءُ الجَنَّةِ ، لا يُصِيبُ شَيْئاً مَيِّتاً إِلاَّ عَاشَ ، فَعاشَتِ السَّمَكَةُ ، وَوَثَبَتْ في البَحْرِ ، فَسَارَتْ وَصَارَ مَجْراها سَرَباً يَبَساً ، وَنَسِيَ يُوشَعُ ذِكْرَ السَّمَكَةِ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف : ٦٢] الآية ، فَذَكَرَ لَهُ أَمْرَ السَّمَكَةِ ، فَقَالَ لَهُ : ذَلِكَ الذِي نُرِيدُهُ ؛ فَرَجَعا يَقُصَّانِ أَثَرَهُما ، فَأَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلى المَاءِ فَجَمَدَ ، وَصَارَ سَرَباً على قامَةِ مُوسى وَفَتاهُ ، فَجَرى الحوتُ أَمامَهُما حَتَّى خَرَجَ إِلى البَرِّ وَسَارَ ، فَصَارَ مَسِيْرُهُ لَهُما جادَّةً فَسَلَكاها ، فنادَاهُما مُنادٍ من السَّماءِ : أَنْ دَعَا الجادَّةَ ، فإِنَّها طَرِيقُ الشَّياطِينِ إِلى عَرْشِ إِبْلِيس ، وَخُذَا ذَاتَ اليَمِينِ . فأَخَذَا ذاتَ اليَمِينِ حَتَّى انْتَهَيَا إِلى صَخْرَةٍ عَظِيْمَةٍ وَعِنْدَها مُصَلًّى ، فَقَالَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ : ما أَحْسَنَ هَذَا المَكَانَ ، يَنْبَغِي أَنْ

يَكُونَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ ؛ فَلَمْ يَلْبَثا أَنْ جاءَ الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ حَتَّى انْتَهى إِلى ذَلِكَ المَكَانِ والبُقْعَةِ ، فَلَمَّا قَامَ عَلَيْها اهْتَزَّتْ خَضْراءَ ـ قَالُوا : وإِنَّما سُمِّيَ الخَضِرُ لأَنَّهُ لا يَقُومُ على بُقْعَةٍ بَيْضَاءَ إِلاَّ صَارَتْ خَضْراءَ ـ فَقَالَ مُوسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : السَّلامُ عَلَيْكَ يا خَضِرُ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا مُوسى ، يا نَبِيَّ بَنِي إِسْرائِيلَ . فَقَالَ : وَمَنْ أَدْرَاكَ من أَنا ؟ قَالَ : أَدْرانِي الذي دَلَّكَ على مَكانِي .

فَكَانَ من أَمْرِهِما ما كَانَ ، وَمَا قَصَّهُ القُرآنُ العَظِيمُ . انتهى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُما أَيْضاً في « بابِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ » في « الحُوتِ » ، وَنَقَلْنا الخِلافَ في اسْمِ الخَضِرِ وَنَسَبِهِ وَنُبُوَّتِهِ .

● قَالَ القُرْطبيُّ : وَيُقَالُ لَهُ : الصُّرَدُ الصَّوَّامُ .

● رَوَيْنا في « مُعْجَمِ عبد الغني بن قانعٍ » عن أَبي غَليظٍ أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ الجُمَحيّ ، قَالَ[1] : رآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلى يَدَيَّ صُرَدٌ ، فَقَالَ ﷺ : « هَذا أَوَّلُ طَيْرٍ صَامَ » .

وَيُرْوَى : « إِنَّهُ أَوَّلُ طَيْرٍ صَامَ يَوْمَ عاشُوراءَ » . وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ الحافِظُ أَبُو مُوسى .

والحَدِيثُ مثلُ اسْمِهِ غَلِيظٌ .

قَالَ الحاكِمُ : وَهُوَ من الأَحادِيثِ التي وَضَعَها قَتَلَةُ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .
رَواهُ عبدُ اللهِ بن مُعاوية بن موسى بن أَبي غَلِيظٍ ، [واسْمُهُ] نَشيط بن مَسْعود بن أُمَيَّةَ بن خلف الجُمْحيّ[2] ، قَالَ : رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَى يَدَيَّ صُرَدٌ ،

---

(١) أُسد الغابة ٦/ ٢٤٠ والإصابة ٧/ ٢٦٣ (رقم ١٠٣٨٠) .

(٢) **ترجمة عبد الله بن مُعاوية هذا ، في** : تهذيب الكمال ١٦/ ١٦١ وسير أَعلام النُّبلاء ١١/ ٤٣٥ وتهذيب التَّهذيب ٦/ ٣٨ .

فَقَالَ : « هَذَا أَوَّلُ طائِرٍ صَامَ عاشُوراءَ » . وهوَ حَدِيثٌ باطِلٌ ، رُواتُهُ مَجْهُولونَ .

● **فائِدَةٌ** : قِيلَ : لَمَّا خَرَجَ إِبْراهِيمُ ﷺ من الشَّامِ لِبنَاءِ البَيْتِ ، كَانَتِ السَّكِيْنَةُ معهُ والصُّرَدُ ، فَكَانَ الصُّرَدُ دَلِيْلَهُ على المَوْضِعِ ، والسَّكِيْنَةُ بِمِقْدَارِهِ ؛ فَلَمَّا صَارَ إِلى مَوْضِعِ البَيْتِ ، وَقَفَتِ السَّكِيْنَةُ في مَوْضِعِ البَيْتِ ونادَتْ : ابْنِ إِبراهيمُ على مِقْدَارِ ظِلِّي .

قَالَ جَماعةٌ من المُفَسِّرِينَ : إِنَّ اللهَ تعالىٰ خَلقَ مَوضعَ البيت قبلَ خَلقِ الأَرض بألفي عامٍ ، فكان زبدةً بيضاء على الماءِ ، فَدُحِيَتِ الأَرْضُ من تَحْتِها ، فَلَمَّا أَهبَطَ اللهُ تَعالَى آدمَ إِلى الأَرْضِ اسْتَوْحَشَ ، فَشَكَا إِلى اللهِ تَعالَى ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُ البَيْتَ المَعْمُورَ ، وهو ياقُوتَةٌ من يَواقِيتِ الجَنَّةِ ، لَهُ بابانِ من زَبَرْجَدٍ أَخْضَرَ ، بابٌ شرقيٌّ وبابٌ غربيٌّ ، فَوُضِعَ على مَوْضِعِ البَيْتِ ، وَقَالَ : يا آدَمُ ، إِنِّي أَهبَطْتُ إِلَيْكَ بَيْتاً تَطُوفُ بِهِ كَما يُطافُ حَوْلَ عَرْشِي ، وَتُصَلِّي عِنْدَهُ كَما يُصَلَّى عِنْدَ عَرْشِي ؛ وأَنْزَلَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ ، وَكَانَ بَياضُهُ أَشَدَّ من اللَّبَنِ ، فاسْوَدَّ من لَمْسِ الحُيَّضِ في الجاهِلِيَّةِ .

فَتَوَجَّهَ آدمُ من أَرْضِ الهِنْدِ إِلى مَكَّةَ ماشِياً ، وَقَيَّضَ اللهُ لَهُ مَلَكاً يَدُلُّهُ على البَيْتِ ، فَحجَّ آدمُ البَيْتَ ، وَأَقامَ المناسِكَ ؛ فَلَمَّا فَرَغَ تَلَقَّتْهُ الملائِكَةُ وَقالُوا : بَرَّ حَجُّكَ يا آدَمُ ، لَقَدْ حَجَجْنا هَذَا البَيْتَ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عامٍ .

● وَرُوِيَ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَجَّ أَرْبَعِينَ حِجَّةً من الهِنْدِ إِلى مَكَّةَ ماشِياً ، وَكَانَ البَيْتُ على ذَلِكَ إِلى أَيَّامِ الطُّوفَانِ ، فَرَفَعَهُ اللهُ إِلى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، وَبَعَثَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَخَبَّأَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ في جَبَلِ أَبي قُبَيْسٍ ، صِيانَةً لَهُ من الغَرَقِ ، فَكَانَ مَوضِعُ البَيْتِ خالِياً إِلى زَمَنِ إِبراهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعالَى أَمَرَ إِبراهيمَ بَعْدَما وُلِدَ لَهُ إِسْماعِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

ببناءِ بَيْتٍ يُذْكَرُ فِيهِ ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ مَوْضِعَهُ ، فَبَعَثَ اللهُ السَّكِيْنَةَ ، لِتَدُلَّهُ على مَوْضِعِ البَيْتِ ، وَهِيَ رِيْحٌ خَجوجٌ لَهَا رَأْسَان شِبْهُ الحَيَّةِ .

وَقِيلَ : الخَجُوجُ : الرِّيْحُ الشَّدِيْدَةُ الهَفَّافَةُ البَرَّاقَةُ ، لَها رَأْسٌ كَرَأْسِ الهِرَّةِ ، وَذَنَبٌ كَذَنَبِها ، وَلَها جَناحانِ من دُرٍّ وَزَبَرْجَدٍ ، وَعَيْنانِ لَهُما شُعاعٌ .

وَقَالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه : هِيَ رِيْحٌ خَجوجٌ هَفَّافَةٌ ، لَها رَأْسَانِ ، وَوَجْهٌ كَوَجْهِ الإِنْسَانِ .

وَأَمَرَ إبراهِيمَ عَلَيْه السَّلامُ أَنْ يَبْنِيَ حَيْثُ تَسْتَقِرُّ السَّكِيْنَةُ ، فَتَبِعَها إِبراهِيْمُ حَتَّى أَتَيا مَكَّةَ ، فتَطَوَّقَتِ السَّكِيْنَةُ على مَوْضِعِ البَيْتِ كَتَطَوُّقِ الحَيَّةِ . قَالَهُ عليٌّ والحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما : بعَثَ اللهُ سَحَابَةً على قَدْرِ الكَعْبَةِ ، فَجَعَلَتْ تَسِيرُ وإِبراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَمْشِي في ظِلِّها ، إلى أَنْ وَافَتْ بِهِ مَكَّةَ المُشَرَّفَةَ ، وَوَقَفَتْ عِنْدَ البَيْتِ المُعَظَّمِ ، فَنُودِيَ مِنها إبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ : ابْنِ على ظِلِّها ، وَلاَ تَزِدْ ولا تُنْقِصْ .

وقيل : أَرسلَ اللهُ جبريلَ عليه السَّلامُ فَدَلَّهُ على مَوْضعِ البيتِ .

وقيلَ : كان دَليلَهُ الصُّرَدُ ، كما تَقَدَّمَ .

فَكَانَ إبراهيمُ يَبني وإِسماعيلُ يُناوِلُهُ الحِجَارَةَ ، فَبَنَيَاهُ من خَمسةِ أَجْبُلٍ : طُور سِيْناءِ ، وطُورِ زَيْتا ، ولُبْنانَ ، وهي جِبالٌ بالشَّامِ ، والجُوديِّ ، وهو جَبَلٌ بالجَزيرةِ ، وَبَنيا القَواعِدَ من حِراءَ ، وهو جَبَلٌ بِمَكَّة .

فلمَّا انتهى إبراهيمُ إلى موضِعِ الحجرِ الأَسودِ ، قَالَ لابنِهِ إسماعيل : ائْتني بحجرٍ حَسَنٍ ، يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَماً ؛ فأَتاهُ بحجرٍ ، فَقَالَ : ائْتِني بأَحسنَ من هذا ، فمضى إسماعيلُ ينظرُ حَجَراً ، فَصَاحَ أَبو قُبَيْسٍ : يا إبراهيمُ إِنَّ لَكَ عِنْدي وَديعةً فَخُذْها ، فأَخَذَ الحَجَرَ الأَسودَ فَوَضَعَهُ مَكانَهُ .

وقيلَ : أَوَّلُ مَنْ بَنى الكَعبةَ : آدمُ عليهِ السَّلامُ . وانْدَرَسَ زَمَنَ الطُّوفانِ ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ اللهُ تَعالَى لإبراهيمَ حتَّى بَناهُ ؛ فذلِكَ قولُهُ تعالَى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة : ١٢٧] يَعني أُسُسَهُ ، واحِدَتُها قاعِدَةٌ . وقال الكِسائيُّ : يَعني جُدُرَهُ .

عَجيبَةٌ : حكى منصور بن الحُسين الآبي في « نثر الدُّرَرِ »[1] : أَنَّ أَعرابيّاً سافَرَ ابْنُهُ ثُمَّ أَتاهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : ما رَأَيْتَ في طَرِيقِكَ ؟ قَالَ : جِئْتُ السِّقاءَ مَرَّةً أَشْرَبُ ، فَصاحَ الصُّرَدُ ، فقَالَ : اتْرُكْها وإِلاَّ فلَسْتَ بابْنِي . قَالَ : فتَرَكْتُها . قَالَ : ثُمَّ أَخَذَنِي العَطَشُ ، فأَتيتُ إِليها ثانياً ، فصاحَ الصُّرَدُ ، فقَالَ : اتْرُكْها وإِلاَّ فَلَسْتَ بابْنِي . قَالَ : فتَرَكْتُها ، ثُمَّ زادَ بي العَطَشُ ، فأَتيتُ إِليها ثالثاً ، فَصَاحَ الصُّرَدُ ، فقَالَ : قُدَّها بسَيْفِكَ ، وإِلاَّ فَلَسْتَ بابْنِي . قَالَ : كَذَلِكَ فَعَلْتُ . قَالَ : هل رَأَيْتَ الحَيَّةَ داخِلَها ؟ قَالَ : نعم . قَالَ : اللهُ أَكبرُ .

قالَ[1] : وسافَرَ وَلَدُ أَعرابيٍّ ، ثُمَّ أَتَى إِلَيْهِ ، فقَالَ : أَخبرني ماذا رَأَيْتَ في طَرِيقِكَ ؟ قَالَ : رأَيتُ طائِراً على أَكَمَةٍ ، فقَالَ : أَطِرْهُ وإِلاَّ لَسْتُ أَباكَ . قَالَ : فأَطَرْتُهُ . قَالَ : ثُمَّ ماذا ؟ قَالَ : سَقَطَ على شَجَرَةٍ . فقَالَ : أَطِرْهُ وإِلاَّ لَسْتُ أَباكَ . قَالَ : كذلِكَ فعلتُ . قَالَ : ثُمَّ ماذا ؟ قَالَ : سَقَطَ على صَخْرَةٍ . قَالَ : اقْلِبْها وإِلاَّ لَسْتُ أَباكَ . قَالَ : كذلِكَ فعلتُ . قالَ : أَعْطِنِي سَهْمِي ممَّا وَجَدْتَ تَحْتَها ؛ وكَانَ تَحْتَها كَنْزٌ ، أَخَذَهُ وَلَدُهُ ، فأَعطاهُ سَهْمَهُ منهُ .

الحُكمُ : الأَصَحُّ تَحريمُ أَكْلِهِ ، لِما رَواهُ « الإمامُ أَحمد » و « أَبو داود » و « ابن ماجه »[2] ، وَصَحَّحَهُ عبدُ الحقِّ ، عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عن قَتْلِ النَّحْلَةِ والنَّمْلَةِ والهُدْهُدِ والصُّرَدِ » .

---

(١) نثر الدُّرِّ ٧/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ونهاية الأَرب ٣/ ١٣٥ .

(٢) مسند أَحمد ١/ ٣٣٢ و ٣٤٧ وأَبو داود (٥٢٦٧) وابن ماجه (٣٢٢٤) .

وَالنَّهيُ عن القَتْلِ دَليلٌ على الحُرْمَةِ ، ولأَنَّ العربَ تَتَشاءَمُ بِصَوتِهِ وشَخْصِه .

وَقيلَ : إِنَّهُ يُؤكلُ ، لأَنَّ الشَّافعيَّ أَوجبَ فِيهِ الجزاءَ على المُحْرِمِ إذا قَتَلَهُ ، وبِهِ قَالَ مالكٌ .

قَالَ الإمامُ العلاَّمةُ القاضي أَبو بكر بن العربي المالكيّ : إِنَّما نَهى النَّبيُّ ﷺ عن قَتْلِهِ ، لأَنَّ العَرَبَ كانت تَتَشاءَمُ بِهِ ، فَنَهى عن قَتْلِهِ لِيَخْلَعَ عن قُلُوبهم ما ثَبَتَ فيها من اعتِقادِهم الشُّؤْمَ فِيهِ ، لا أَنَّهُ حَرامٌ ؛ وذَكَرَهُ العبادي في « الطَّبَقَاتِ » كذلِكَ أَيْضاً .

التَّعبيرُ : هو في المنامِ يدلُّ على رجلٍ مُراءٍ ، يُظهرُ الخُشوعَ نَهاراً ، ويَفْجُرُ لَيْلاً .

وقيلَ : هو من قُطَّاعِ الطَّريقِ ، يَجمعُ أَموالاً كثيرةً ، ولا يُخالِطُ أَحَداً .

٥٣١ الصَّرْصَرُ : وَيُقالُ لَهُ : الصَّرَّارُ أَيضاً : حَيوانٌ فِيهِ شَبَهٌ من الجَرادِ ، قَفَّازٌ ، يَصيحُ صِياحاً دَقيقاً ، وأَكثرُ صِياحِهِ باللَّيْلِ ، ولِذَلِكَ سُمِّيَ صَرَّارَ اللَّيْلِ .

وهو نوعٌ من بَناتِ وَرْدانَ ، عَرِيٌّ عن الأَجْنِحَةِ .

وَقِيلَ : إِنَّه الجُدْجُدُ ، وقدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الجَوهريَّ فَسَّرَ الجُدْجُدَ : بِصَرَّارِ اللَّيْلِ .

وَلا يُعْرَفُ مَكانُهُ إلا بِتَتَبُّعِ صَوْتِهِ ؛ وأَمْكِنَتُهُ المَواضِعُ النَّدِيَّةُ ، وأَلوانُهُ مَختلفةٌ ، فَمنهُ ما هو أَسودُ ، ومنه ما هو أَزرقُ ، ومنه ما هو أَحمرُ ؛ وهو جُنْدُبُ الصَّحارى والفَلَواتِ .

وحُكْمُهُ : تَحريمُ الأَكْلِ لاسْتِقْذَارِهِ .

الخَواصُّ : قَالَ ابنُ سِينا[1] : إِنَّهُ مع القَرْدَمانَةِ نافِعٌ من البَواسِيرِ والنَّافِضِ

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩٧ .

وسُموم الهَوامِّ .

ويُحرَقُ وَيُسْحَقُ ، ويُضافُ إلى الإِثْمِدِ ، وَيُكْتَحَلُ بهِ : يُحِدُّ البَصَرَ ؛ ومع مَرارَةِ البقرِ يَنْفَعُ من طَرْفَةِ العَيْنِ اكْتِحالاً .

٥٣٢ الصَّرْصَرانُ : سَمَكٌ أَمْلَسُ مَعروفٌ[١] .

٥٣٣ الصَّعْفُ : طائرٌ صَغيرٌ ؛ والجَمعُ : صِعافٌ[٢] .

٥٣٤ الصَّعْوَةُ : طائرٌ من صِغارِ العَصافِيرِ ، أَحمرُ الرَّأْسِ ـ وهو بِفَتْحِ الصَّادِ ، وإِسكانِ العَيْنِ المُهملتين ـ والجَمْعُ : صَعْوٌ .

وفي « كِتابِ العَيْنِ » و « المحكم »[٣] : صغارُ العَصافيرِ .

● رَوى أَحمد في « كتابِ الزُّهدِ »[٤] عن مالكِ بن دِيْنارٍ ، أَنَّهُ كان يَقولُ : النَّاسُ أَشْكَالٌ كَأَجْناسِ الطَّيْرِ ، الحَمامُ مع الحَمامِ ، والبَطُّ مع البَطِّ ، والصَّعْوُ مع الصَّعْوِ ، والغُرابُ مع الغُرابِ ، وَكُلُّ إِنسانٍ مع شَكْلِهِ .

● ومن شِعرِ القاضِي أَحمد بن محمَّد الأَرَّجانيّ ـ بفَتْحِ الهَمْزَةِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ المهملة[٥] ، مع خِلافٍ في تَشْدِيدِها ـ وهو شيخُ العِمادِ الأَصْبَهانيّ الكاتب ؛ ووفاتُهُ في سنةِ أَربعٍ وخَمسمئةٍ[٦][٧] : [من الكامل]

---

(١) القاموس والتاج « صرر » .

(٢) المخصّص ٨/ ١٤٣ واللِّسان والتَّاج « صعف » والجمهرة ٢/ ٨٨٥ .

(٣) العين ٢/ ١٩٩ والصِّحاح واللِّسان والتاج « صعو » .

(٤) والخرائطي في المنتقى من مكارم الأَخلاق ١٥٩ .

(٥) لم يقل أَحدٌ : بكسر الرَّاء المهملة : بل هو بتشديد الرَّاء المهملة المفتوحة ، وقيل : بالتَّخفيف . (وفيات الأَعيان ١/ ١٥٤) .

(٦) ترجمة الأَرّجاني ، في : وفيات الأَعيان ١/ ١٥١ والوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٣ وطبقات السُّبكي ٦/ ٥٢ .

(٧) له في ابن خلِّكان ١/ ١٥٤ .

لَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ ما عَلِمْتُ لَسَرَّنِي جَهْلِي كَمَا قد ساءَنِي ما أَعْلَمُ
كَالصَّعْوِ يَرْتَعُ في الرِّياضِ وإِنَّما حُبِسَ الهَزَارُ لأَنَّهُ يَتكَلَّمُ[1]

ومن شِعْرِهِ أَيضاً وأَجادَ[2] : [من الوافر]

أُحِبُّ المَرْءَ ظاهِرُهُ جَمِيلٌ لِصاحِبِهِ وباطِنُهُ سَلِيمُ
مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلٌّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ

وَهَذَا البَيْتُ الأَخيرُ يُقرأُ مَعكوساً من آخِرِهِ إِلى أَوَّلِهِ ، ولا يَتَغَيَّرُ شَيْءٌ من لَفْظِهِ ولا من مَعْناه .

ومن شِعْرِهِ أَيْضاً رحمهُ اللهُ[3] : [من البسيط]

شاوِرْ سِواكَ إِذا نابَتْكَ نائِبَةٌ يَوْماً وإِنْ كُنْتَ من أَهْلِ المَشُورَاتِ
فَالعَيْنُ تَلْقَى كِفاحاً مَن دَنا وَنأَى وَلا تَرى نَفْسَها إِلاَّ بِمِرْآةِ

ومِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً[4] : [من الكامل]

بِأَبِي العِذارُ المُسْتَدِيرُ بِخَدِّهِ وَكَمالِ بَهْجَةِ وَجْهِهِ المَنْعُوتِ[5]
فَكَأَنَّمَا هُوَ صَوْلَجانُ زُمُرُّدٍ مُتَلَقِّفٌ كُرَةً مِنَ الياقُوتِ

● وَيَقْرُبُ من هذا المَعْنَى ما حَكاهُ ابْنُ خلِّكان ، قَالَ[6] : كان بَيْنَ العِمادِ الكاتِبِ تلميذِ القاضي الأَرَّجانيّ وبينَ القاضي الفاضِلِ مُحاوراتٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

---

(١) في ب : × . . . . يَتَرَنَّمُ .

(٢) له في وفيات الأَعيان ١/ ١٥٤ والوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٤ . وقال ابن خلِّكان : ويوجد الثّاني في ديوان أَبي إِسحاق الغزّيّ .

(٣) له في وفيات الأَعيان ١/ ١٥٢ والوافي ٧/ ٣٧٨ .

(٤) ليسا للأَرّجاني . وهما لأَحمد بن عبد الغنيّ القطرسيّ ، المنعوت بالنَّفيس ؛ في ابن خلِّكان ١/ ١٦٥ .

(٥) في أ : . . . . بوجهه × . . . . حسنه المنعوت .

(٦) وفيات الأَعيان ٥/ ١٥٠ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٦٢٦ . والأَبيات فيهما .

أَنَّهُ لَقِيَهُ يَوْماً وهو راكِبٌ فَرَساً ، فَقَالَ لَهُ العِمادُ : سِر فلا كَبا بِكَ الفَرَسُ . فَقَالَ لَهُ الفاضِلُ : دامَ عُلا العِمادِ .

وهذا أَيضاً ممّا يُقرأُ من آخرِهِ إِلى أَوَّلِهِ، ولا يتغيَّر شيءٌ من لفظِهِ ولا معناه .

● وَرُوِيَ[1] : أَنَّهما اجتَمَعا يَوْماً في مَوكبِ السُّلْطانِ ، وقدِ انْتَشَرَ من الغُبارِ ما سَدَّ الفَضَاءَ ؛ فأَنْشَدَ العِمادُ الكاتِبُ : [من مجزوء الكامل]

أَمَّا الغُبارُ فإِنَّهُ ... مِمَّا أَثارَتْهُ السَّنابِكْ
والجَوُّ مِنْهُ مُظْلِمٌ ... لَكِنْ أَنارَتْهُ السَّنابِكْ
يا دَهْرُ لي عَبْدُ الرَّحيمِ ... فَلَسْتُ أَخْشَى مَسَّ نابِكْ

وَهَذَا التَّجْنِيسُ في غايَةِ الحُسْنِ .

● تُوفِّيَ العِمادُ في مُسْتَهَلِّ رَمضان ، سنةَ سبعٍ وتِسعين وخَمسمئة بدمشقَ ، ودُفن بمقابر الصُّوفيَّة[2] .

وتوفِّيَ الفاضِلُ في سابِعِ شهرِ ربيعٍ الآخرِ ، سنةَ ستٍّ وتِسعين وخَمسمئة بالقاهرة ، ودُفِنَ بِتُرْبَتِهِ بِسَفْحِ المُقَطَّمِ[3] ، رحمَهُما اللهُ .

وَحُكْمُها وخَواصُّها وتَعبيرها : كالعَصافيرِ .

الأَمثالُ : قَالُوا[4] : « أَصْغَرُ من صَعْوَةٍ » ، كما قَالُوا[4] : « أَصغَر من وَصَعَةٍ » .

---

(١) وفيات الأَعيان ٥/ ١٥٠ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٦٢٦ . والأَبيات فيهما .

(٢) **ترجمة العماد** ، في : وفيات الأَعيان ٥/ ١٤٧ والوافي بالوفيات ١/ ١٣٣ ومعجم الأُدباء ٦/ ٢٦٢٣ وسير أَعلام النُّبلاء ٢١/ ٣٤٥ ومسالك الأَبصار ١٢/ ٢٥٣ .

(٣) **ترجمة القاضي الفاضل** ، في : وفيات الأَعيان ٣/ ١٥٨ والوافي بالوفيات ١٨/ ٣٣٥ ومعجم الأُدباء ٤/ ١٥٦٢ ومسالك الأَبصار ١٢/ ١٤٠ .

(٤) الميدانيّ ١/ ٤١٧ وحمزة ١/ ٢٦٣ والعسكري ١/ ٥٦٨ والزمخشريّ ١/ ٢٠٩ .

٥٣٥ **الصُّفَّارِيَّةُ** : بِضَمِّ الصَّادِ ، وتَشديدِ الفاءِ : طائِرٌ يُقالُ لَهُ : التُّبَشِّرُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكرُهُ في « بابِ التَّاءِ المُثَنَّاةِ فوق » .

٥٣٦ **الصَّفَرُ** : بِفَتْحِ الصَّادِ والفاءِ . قِيلَ : إِنَّ الجاهِلِيَّةَ كانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ في الجَوْفِ حَيَّةً على شَراسيفِهِ ـ والشَّراسيفُ : أَطرافُ الأَضْلاعِ التي تُشرِفُ على البَطْنِ ـ يُقالُ لَها : الصَّفَرُ ، إذا تَحَرَّكَتْ جاعَ الإِنْسَانُ ، وتُؤْذِيهِ إذا جاعَ ، وأَنَّها تُعْدِي ؛ فأَبْطَلَ الإسلامُ ذَلِكَ[1] .

● رَوَى « مسلم »[2] عن جابرٍ وأَبي هُريرة وغَيرِهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا عَدْوَى ، ولا طِيَرَةَ ، ولا هامَةَ ، ولا صَفَر ، ولا غُولَ » .

ومعنى لا عَدْوى : ما يُتَوَهَّمُ من تَعَدِّي مَرَضٍ ، من جَرَبٍ وَحَكَّةٍ وغَيرهما من الأَمراضِ ، من شَخْصٍ بِهِ ذَلِكَ المَرَضُ إلى شَخْصٍ آخَرَ بِسَبَبِ مُخالَطَةٍ وغَيرِها .

● وفي الحديثِ الصَّحيحِ[2] : أَنَّ أَعرابيّاً قَالَ للنَّبيِّ ﷺ : إِنَّكَ قُلتَ : « لا عَدوى » ، فما بالُ الإِبلِ تكونُ سَليمةً ، حتَّى يدخلَ فيها البَعِيرُ الأَجْرَبُ ، فَتُصْبِحُ جَرْبى ؟ فَقَالَ ﷺ : « فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّل ؟ » . فرَدَّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ما تَوَهَّمَهُ من تَعَدِّي المرضِ بِنَفْسِهِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ اللهَ تَعالَى هو المُؤَثِّرُ .

وقد تقدَّمَ في « بابِ الهمزة » في « الأَسد » الكلامُ على المَجْذُوم قَريباً من هذا .

ومعنى الطِّيَرَةِ ، يَأْتي إِن شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الطَّاءِ المهملة المُشالة » .

---

(١) تَصَرُّفٌ غير دقيقٍ بعبارة ابن الأَثير ؛ ففي النِّهاية ٣/ ٣٥ : كانت العربُ تزعم أَنَّ في البطن حيَّةً يُقال لها : الصَّفَر ؛ تُصيبُ الإنسانَ إذا جاعَ وتُؤذيه ، وأَنَّها تُعْدِي ؛ فأَبطلَ الإِسلام ذلك .

(٢) البخاري ٧/ ١٧ و ١٩ و ٢٧ و ٣١ ومسلم (٢٢٢٠ ـ ٢٢٢٢) وأَبو داود (٣٩١٢) والتّرمذيّ (١٦١٥) وابن ماجه (٣٥٣٩) و (٣٥٤٠) .

وأَمَّا الصَّفَرُ : فِيهِ تَأْوِيلانِ : أَحَدُهُما : المُرادُ تَأْخِيرُهُم تَحريمَ المُحَرَّمِ إِلى صَفَر ، وهو النَّسِيءُ الذي كانُوا يَفْعَلُونَهُ ، وبهذا قَالَ مالِكٌ وأَبو حَنيفة .

والثَّاني : أَنَّهُ الحَيَّةُ التي كانَتِ العربُ تَعتقدُ فِيها ما تَقَدَّمَ .

قالَ الإمامُ النَّوويُّ : وهذا التَّفسيرُ هو الصَّحيحُ الذي عليهِ عامَّةُ العُلماءِ . وقد ذَكَرَهُ مُسلم عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ راوي الحديثِ ، فتعيَّنَ اعْتِمادُهُ ؛ ويَجُوزُ أَن يكُونَ المُرادُ هذا والأَوَّلَ جَميعاً ؛ وأَنَّ الصَّفَرَين جَميعاً باطِلانِ لا أَصْلَ لَهُما ؛ واللهُ أَعلمُ .

٥٣٧ الصِّفْرِدُ : بِكَسْرِ أَوَّلِهِ ، وسُكونِ ثانِيهِ ، كَعِزْبِد .

نَقَلَ المَيْدَانيُّ عن أَبي عُبيدَةَ : أَنَّهُ طائرٌ من خَشاشِ الطَّيْرِ .

وفي المَثَلِ[١] : « أَجْبَنُ من صِفْرِدٍ » . قال الشَّاعرُ[٢] : [من السريع]

تَــراهُ كــالَّلَيْــثِ لَــدَى أَمْنِــهِ ... وفــي الــوَغَــى أَجْبَــنُ مــن صِفْــرِدِ

وقال الجوهريُّ[٣] : الصِّفْرِدُ : طائِرٌ تُسَمِّيهِ العامَّةُ أَبا مَليحٍ .

وفي « المُرَصَّع »[٤] : أَنَّ أَبا المَليحِ كُنْيَةُ القَبَجِ والعَنْدَلِيبِ وطائِرٍ صَغيرٍ يُقالُ لَهُ : الصِّفْرِدِ ، كالعُصْفُورِ .

وهو داخلٌ في عُمومِ العَصافِيرِ .

٥٣٨ الصَّقْرُ : الطَّائِرُ الذي يُصادُ بِهِ . قالَهُ الجَوهريُّ[٥] .

---

(١) الميداني ١/ ١٨٥ وحمزة ١/ ١١٣ والعسكري ١/ ٣٢٥ والزَّمخشريّ ١/ ٤٥ وثمار القلوب ٢/ ٧٠٥ والحيوان ١/ ٢٢٠ و ٧/ ١٠ وسمط اللآلي ١/ ٥٥٣ .

(٢) البيت في الميداني والدُّرَّة الفاخرة وثمار القلوب بلا نسبة .

(٣) الصِّحاح « صفرد » ٢/ ٤٩٨ .

(٤) المرصّع ٣٠٣ .

(٥) الصِّحاح « صقر » ٢/ ٧١٥ .

وقال ابْنُ سِيْدَه[1] : الصَّقْرُ : كُلُّ شَيْءٍ يَصِيدُ من البُزاةِ والشَّواهِينِ ؛ والجَمْعُ : أَصْقُرٌ وصُقُورٌ وصُقُورَةٌ وصِقارٌ وصِقارَةٌ .

قال سيبويه : إِنَّما جاؤوا بالهاءِ في مثلِ هذا الجَمْعِ تَأْكِيداً ، نَحوَ بُعولة . والأُنثى صَقْرَةٌ .

والصَّقْرُ هو الأَجْدَلُ ، ويُقالُ لَهُ : القُطاميُّ .

وكُنْيَتُهُ[2] : أَبو شُجاعٍ ، وأَبو الأَصْبَعِ ، وأَبُو الجِراءِ ، وأَبو عَمرو ، وأَبو عُمر ، وأَبُو عَوان .

قَالَ النَّوويّ في « شرحِ المُهَذّب » : قَالَ أَبو زَيدٍ الأَنصاريّ : يُقالُ للبُزاةِ والشَّواهِينِ وغيرهما مِمَّا يَصِيدُ : صُقورٌ ، واحِدُها صَقْرٌ ؛ والأُنْثَى صَقْرَةٌ ، وزَقْرٌ بِإِبْدالِ الصَّادِ زاياً ، وسَقْرٌ بِإِبْدالِها سِيْناً .

وَقَالَ الصَّيْدلانيُّ في « شرحِ المُختصر » : كُلُّ كَلمةٍ فيها صادٌ وقافٌ ، ففيها اللُّغاتُ الثَّلاثُ ، كالبُصاقِ والبُزاقِ والبُساقِ ؛ وأَنْكَرَ ابْنُ السِّكِّيْتِ بَسَقَ ، وَقَالَ : إِنَّما مَعْنَاهُ : طَالَ ؛ قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ [ق : ١٠] أَي مُرتفعاتٌ .

● رَوَى أَحمد في « مسنده »[3] : حَدَّثنا قُتيبةُ ، قَالَ : حَدَّثَنا يَعقوبُ بن عبد الرَّحمن بن محمَّدٍ ، عن عَمرو بن أَبي عَمرو ، عن المُطَّلب ، عن أَبي هُريرة ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ :

« كانَ داودُ عليهِ السَّلامُ فيهِ غَيْرَةٌ شَديدَةٌ ، فَكَانَ إِذا خَرَجَ أُغلقت الأَبوابُ فلم يدخلْ على أَهْلِهِ أَحَدٌ حتَّى يَرجعَ .

---

(١) المخصّص ٨/ ١٤٨ .

(٢) المرصّع ٢١٠ ، ٥٧ ، ١١٨ و ٢٤٢ و ٣٦٦ . ولم يرد فيه : أَبو عوان .

(٣) المسند ٢/ ٤١٩ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٣٩ ـ ١٤٠ والبداية والنِّهاية ٢/ ٣٢٠ .

قَالَ : فَخَرَجَ ذاتَ يوم وغُلِّقَتِ الدَّارُ ، فأقبلت امرأتُهُ تَطَّلعُ إلى الدَّارِ ، فإذا رجلٌ قائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ ، فقالت لِمَنْ في البَيْتِ : من أَيْنَ دَخَلَ هذا الرَّجُلُ ، والدَّارُ مُغلقةٌ ؟ واللهِ لَنُفْتَضَحَنَّ ! فَجَاءَ داودُ فإذا الرَّجلُ قائِمٌ وسطَ الدَّارِ ، فقَالَ له داودُ : مَن أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنا الذي لا أَهابُ المُلوكَ ، ولا أُمْنَعُ من الحُجَّابِ ؛ فَقَالَ داودُ : أَنتَ إذن واللهِ مَلَكُ المَوْتِ ؛ مَرْحَباً بأَمْرِ اللهِ . ثُمَّ مَكَثَ مَكانَهُ حتَّى قُبِضَتْ رُوحُهُ .

فلمَّا غُسِّلَ وكُفِّنَ ، وفُرِغَ من شَأْنِهِ ، طَلَعَتْ عليهِ الشَّمْسُ . فَقَال سُليمانُ للطَّيرِ : أَظِلِّي على داود ؛ فأَظَلَّتْ عليهِ الطَّيرُ حتَّى أَظلَمت عليهِ الأَرضُ ، فَقَالَ سُليمانُ للطَّيرِ : اقْبِضِي جَناحاً جَناحاً .

قَالَ أَبُو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : فَطفقَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُرينا كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّيْرُ ، وَقَبضَ رَسولُ اللهِ ﷺ بيَدِهِ ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يومئذٍ المَضْرَحِيَّةُ » .

انْفَرَدَ بإخْراجِهِ الإمامُ أَحمد ، وإسنادُه جَيِّدٌ قَوِيٌّ ، ورِجالُهُ ثِقاتٌ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يومَئِذٍ المَضْرَحِيَّةُ : أَي غَلَبَتْ على التَّظْليلِ عليه الصُّقُورُ الطِّوالُ الأَجْنِحَةِ ، واحِدُها مَضْرَحِيٌّ .

قَالَ الجَوهريُّ[1] : وهو الصَّقْرُ الطَّويلُ الجَناحِ .

ويُوَضِّحُ هَذَا المَعْنَى وَيُبَيِّنُهُ ، ما رُوِيَ عن وَهْب بن مُنَبِّهٍ ، أَنَّهُ قَالَ[2] : إنَّ النَّاسَ حَضَرُوا جَنازَةَ داود عَليهِ السَّلام ، فَجَلَسُوا في الشَّمْسِ في يَوْمٍ صائِفٍ ؛ وكان قد شَيَّعَ جنازَتَهُ يَومئذٍ أَربعونَ أَلف راهبٍ عليهمُ البَرانِسُ ، سِوى غيرِهم من النّاسِ ، فآذاهُم الحَرُّ ، فنادَوْا سُلَيْمانَ عليهِ السَّلامُ أَنْ يَعْمَلَ لَهم وِقايَةً عَليهم لِما أَصابَهُمْ من الحَرِّ ، فَخَرَجَ سُليمانُ ، فَنادَى الطَّيْرَ فأَجابَتْ ، فأَمَرَها

---

(١) الصِّحاح « ضرح » ١/ ٣٨٦ والمخصّص ٨/ ١٥٠ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٤٠ والبداية والنِّهاية ٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

أَنْ تُظِلَّ النّاسَ ، فَتَراصَّ بعضُها إلى بَعضٍ من كُلِّ وَجْهٍ حتَّى اسْتَمْسَكَت الرِّيح ، فَكَادَ النّاسُ أَنْ يَهلَكُوا غمَّاً ، فَصاحُوا إلى سُلَيْمانَ عليهِ السَّلامُ من الغَمِّ ، فَخَرَجَ سُليمانُ ، فنادَى الطَّيْرَ : أَنْ أَظِلِّي النّاسَ من ناحيَةِ الشَّمْسِ ، وَتَنَحَّيْ عن ناحِيَةِ الرِّيحِ ؛ فَفَعَلَت ، فكَانَ النَّاسُ في ظِلٍّ ، وتَهُبُّ عليهمُ الرِّياحُ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلُ ما رَأَوْهُ من مُلْكِ سَلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ الضَّحَّاكُ والكَلْبِيُّ : مَلَكَ داود عليهِ السَّلامُ بعد قَتْلِهِ جالوتَ سَبعينَ سنةً ، ولَمْ يَجتمعْ بَنو إِسرائِيلَ على مَلِكٍ واحِدٍ إلاَّ على داودَ عليهِ السَّلامُ ؛ وَجَمَعَ اللهُ لِداودَ بينَ المُلْكِ والنُّبُوَّةِ ، ولَمْ يَجْتَمِعْ ذَلِكَ لأَحَدٍ قَبْلَهُ ، بَلْ كان المُلْكُ في سِبْطٍ ، والنُّبوَّةُ في سِبْطٍ ، فذَلكَ قولُهُ تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] . قيلَ : العِلمُ مع العَمَلِ ؛ وَكُلُّ مَن عَلِمَ وعَمِلَ فَقَدْ أُوتِيَ الحِكْمَةَ .

● وَقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عنهما : كان داودُ أَشَدَّ مُلوكِ الأَرْضِ سُلْطاناً ؛ كان يَحرسُ مِحْرابَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ستَّةٌ وَثلاثُونَ أَلف رجلٍ ؛ فذلك قولُهُ تَعالَى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ [ص : ٢٠] .

● وَقَال مُقاتل : كان سُليمانُ عليهِ السَّلامُ أَعظمَ مُلْكاً من دَاود ، وأَقْضى منهُ ، وكان شاكِراً لأَنْعُمِ اللهِ تَعالَى ؛ وَكَانَ داود أَشَدَّ تَعَبُّداً منه .

توفِّي داود عليه السَّلامُ وهو ابن مئةِ سنةٍ .

وَكَانَ عمرُ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا وَصلَ إِلَيْهِ المُلْكُ ثلاثَ عشرَةَ سَنةً ؛ وَمَاتَ وهو ابْنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً .

والصَّقْرُ أَحَدُ أَنْواعِ الجَوارِحِ الأَرْبَعَةِ : وهِيَ الصَّقْرُ ، والشَّاهِينُ ، والعُقَابُ ، والبازي ؛ وتُنعتُ أَيضاً بالسِّباعِ والضَّواري والكَواسِرِ .

والصَّقْرُ ثلاثَةُ أنواعٍ : صَقْرٌ ، وكوبحٌ[1] ، ويُؤْيُؤٌ .

والعربُ تُسَمِّي كُلَّ طائِرٍ يَصِيدُ : صَقْراً ، ما خَلا النَّسْرَ والعُقابَ ؛ وتُسَمِّيه الأَكدرَ والأَجدلَ والأَخيلَ .

وهو من الجوارِحِ بمنزلةِ البغالِ من الدَّوابِّ ، لأَنَّهُ أَصبرُ عن الشِّدَّةِ ، وَأَحْمَلُ لِغَليظِ الغذاءِ والأَذى ، وأَحسنُ إِلْفاً ، وَأَشَدُّ إِقْداماً على جُملةِ الطَّيْرِ من الكُرْكيِّ وغَيرِهِ .

ومِزاجُهُ أَبْرَدُ من سائرِ ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ من الجَوارِحِ وأَرْطَبُ ، وبهذا السَّبَبِ يَضْرى على الغَزالِ والأَرنَبِ ، وَلا يَضْرى على الطَّيرِ لأَنَّها تَفُوتُهُ .

وهو أَهْدَأُ من البازي نَفْساً ، وأَسْرَعُ أُنْساً بالنّاسِ ، وأَكْثَرُها قَنْعاً ؛ يَغْتَذِي بلُحُومِ ذَواتِ الأَربعِ ؛ وَلِبَرْدِ مِزاجِهِ لا يَشربُ ماءً ولو أَقامَ دَهْراً ، ولذَلِكَ يُوصفُ بالبَخْرِ وَنَتْنِ الفَمِ .

ومِن شَأْنِه أَنَّهُ لا يَأْوِي إِلى الأَشْجَارِ ولا رُؤوسِ الجبالِ ، إِنَّما يَسكنُ المَغاراتِ والكُهُوفَ وصُدوعَ الجِبالِ .

وللصَّقْرِ كَفَّانِ في يَدَيْهِ وللسَّبُعِ كَفَّانِ في يَدَيْهِ ، لأَنَّهُ يَكفُّ بِهما عمَّا أَخَذَ ، أَي يَمنعُ .

وأَوَّلُ[2] من صَادَ بِهِ : الحارِثُ بن مُعاويةَ بن ثَورٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ وَقفَ يَوْماً على صَيَّادٍ ، وَقَدْ نَصَبَ شَبَكَةً للعَصافِيرِ ، فانْقَضَّ صَقْرٌ على عُصفورٍ وجَعَل يَأْكُلُهُ ، والحارِثُ يَعجبُ منهُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَوُضِعَ في بَيْتٍ ، وَوَكَّلَ بِهِ من يُطْعِمُهُ ويُؤَدِّبُهُ ويُعَلِّمُهُ الصَّيْدَ ؛ فبينَما هو معهُ ذاتَ يومٍ وهو سائرٌ ، إِذ لاحَتْ أَرْنَبٌ ،

---

(١) في ط : كونج . وفي أ : كوشج . وفي ب : لوثج ! . وكلُّه تصحيف . والمثبت من انتهاز الفرص ٧٣ و ٧٤ والبيزرة ١٠٩ .

(٢) انتهاز الفرص ٤٨ و ٧٣ .

فَطَارَ الصَّقْرُ إليها فأَخَذَها ، فازْدادَ الحارِثُ بِهِ إِعْجاباً ، واتَّخَذَهُ العَرَبُ بعدَهُ .

الصِّنْفُ الثَّاني من الصُّقُورِ : الكوبجُ[1] ، وَنِسْبَتُهُ من الصُّقُورِ كَنِسْبَةِ الزُّرَّقِ إِلى البازِي إِلاَّ أَنَّهُ أَحَرُّ منهُ ، ولذلِكَ هو أَخَفُّ منهُ جَناحاً وأَقَلُّ بَخْراً ، وَيَصيدُ أَشياءَ من صَيْدِ الماءِ ، ويَعجَزُ عن الغَزالِ الصَّغِيرِ .

الصِّنْفُ الثَّالثُ من الصُّقُورِ : اليُؤْيُؤُ ، ويُسَمِّيهِ أَهْلُ مِصرَ والشَّام : الجَلَم ، لِخِفَّةِ جَناحَيْهِ وسُرْعَتِهما ؛ ولأَنَّ الجَلَمَ هو الذي يُجَزُّ بِهِ ، وهو المِقَصُّ .

وهو طائِرٌ صَغيرٌ ، قَصِيرُ الذَّنَبِ ، ومِزاجُهُ بالنِّسبَةِ إِلى الباشِقِ بارِدٌ رَطْبٌ ، لأَنَّهُ أَصْبَرُ منهُ نَفْساً ، وأَثْقَلُ حَرَكَةً ، ولا يَشربُ المَاءَ إِلاَّ ضَرورةً كما يَشْرَبُهُ الباشِقُ ، إِلاَّ أَنَّهُ أَبْخَرُ منه ؛ ومِزاجُهُ بالنِّسْبَةِ إِلى الصَّقْرِ حارٌّ يابسٌ ، وَلِذَلِكَ هو أَشجعُ منهُ .

ويُقالُ : إِنَّ أَوَّلَ من ضَراهُ واصْطادَ بِهِ بَهرامُ جُورٍ ، وذلكَ أَنَّهُ شاهَدَ يُؤْيُؤاً يُطارِدُ قُنْبَرَةً ويُراوِغُها ، ويَرتفعُ وَيَنْخفضُ معها ، وما تَرَكَها إِلى أَنْ صادَها ، فأَعْجَبَهُ وأَمَرَ بِهِ فأُدِّبَ وصَادَ بِهِ .

● وَقَالَ النَّاشىءُ في وَصْفِهِ[2] : [من الرجز]

وَيُـــؤْيُـــؤٍ مُهَـــذَّبٍ رَشيـــقِ ... كَـــأَنَّ عَيْنَيْـــهِ لَـــدَى التَّحْقيـــقِ

فَصَّــانِ مَخْـرُوطَـانِ مِـن عَقيـقِ

● وَقَالَ أَبُو نُواسٍ في وَصْفِهِ[3] : [من الرجز]

---

(١) وصفه صاحب البيزرة ١٠٩ بقوله : والكوبج الذي يصفه أَهل المشرق ، فهو دون الصَّقر في القَدِّ ، وهو أَحمر الرَّأس ؛ وإِذا اجتمع اثنان على غرابٍ أَو على أَرنبٍ ، فما بعدَهما شيءٌ . . . وهو مليحٌ عجيبٌ ما مثله .

(٢) ديوانه ٤٥ [ضمن مجلَّة المورد العراقيَّة مج ١١ ع ٤] .

(٣) ديوانه ٢/ ٢٣٠ (فاغنر) .

قَــدْ أَغْتَــدِي والصُّبْــحُ فــي دُجــاهُ　　كَطُـــرَّةِ البُـــرْدِ لَـــدَى مَثْنــــاهُ
بيُـــؤْيُـــؤٍ يُعْجِـــبُ مـــن رَآهُ　　مــا فِــي اليــآيــي يُــؤيُــؤٌ شَــرْواهُ
أَزْرَقُ لا تَكْـــذِبُــــهُ عَيْنــــاهُ　　فَلَــوْ يَــرى القــانِــصُ مــا يَــراهُ
فَــدَّاهُ بــالأُمِّ وَقَــدْ فَــدَّاهُ　　هُـــوَ الـــذي خَـــوَّلْنــــاهُ اللهُ
تَبــــارَكَ اللهُ الــــذي هَــــداهُ

● **فائِدَةٌ أَدبيَّةٌ** : ذَكَرَ الإمامُ العَلاَّمةُ الطُّرطوشيّ في « سِراجِ المُلُوكِ »[1] عن الفَضْلِ بن مَروان ، قَالَ : سأَلْتُ رسولَ مَلِكِ الرُّوم عن سِيْرَةِ مَلِكِهِم ، فَقَالَ : بَذَلَ عُرْفَهُ ، وجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فاجْتَمَعَت عليْهِ القُلُوبُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ؛ سَهْلُ النَّوالِ ، حَزْنُ النَّكالِ ، الرَّجاءُ والخَوْفُ مَعْقُودان في يَدِهِ .

قُلتُ : كَيْفَ حُكْمُهُ ؟ قَالَ : يَرُدُّ المَظالِمَ ، وَيَرْدَعُ الظَّالِمَ ، ويُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَالرَّعِيَّةُ اثْنانِ : مُغْتَبِطٌ وراضٍ .

قلتُ : فَكَيْفَ هَيْبَتُهُ فيهم ؟ قَالَ : يَتَصَوَّرُ في قُلوبهم ، فَتُغْضِي لَهُ العُيونُ .

فنَظَرَ رَسولُ مَلِكِ الحَبَشَةِ إلى إِصْغائِي إِلَيْهِ ، وإِقْبالِي عليهِ ، وكانَتِ الرُّسُلُ تَنْزِلُ عِنْدِي ، فَقَالَ لِتُرْجُمانِهِ : ما الَّذِي يقولُ الرُّوميُّ ؟ قَالَ : يَصِفُ لهُ مَلِكَهُمْ ، ويَذكرُ سِيْرَتَهُ ؛ فَكَلَّمَ تُرْجُمانَهُ ، فَقَالَ لِي التُّرجُمانُ : إِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ مَلِكَهُم ذو أَناةٍ عندَ القُدْرَةِ ، وذو حِلْمٍ عندَ الغَضَبِ ، وذُو سَطْوَةٍ عندَ المُغالَبَةِ ، وَذُو عُقُوبَةٍ عندَ الإِجْرامِ ؛ قد كَسَا رَعِيَّتَهُ جَميلَ نِعْمَتِه ، وَقَسَرَهُم بعَنيفِ عُقُوبَتِهِ ، فَهُمْ يَتَراءَونَهُ ترائِي الهِلالِ خَيالاً ، ويَخافُونَهُ مَخافَةَ المَوْتِ نَكالاً ؛ قَد وَسِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وراعَهُمْ قَهْرُهُ ، لا تَمْتَهِنُهُ مَزْحَةٌ ، ولا تُؤْيِسُهُ غَفْلَةٌ ؛ إذا أَعْطَى أَوْسَعَ ، وإِذا عاقَبَ أَوْجَعَ ؛ فالنَّاسُ اثْنانِ : راجٍ وخائِفٌ ؛ فلا الرَّاجِي خائِبُ الأَمَلِ ، ولا الخائِفُ بَعيدُ الأَجَلِ .

---

(١) سراج الملوك ٢/ ٧٢٤ ـ ٧٢٦ .

قلتُ : فَكَيْفَ كانَتْ هَيْبَتُهُمْ لَهُ ؟ قَالَ : لا تَرفعُ العُيُونُ إِلَيْهِ أَجْفانَها ، ولا تُتْبِعُهُ الأَبْصَارُ إِنْسَانَها ؛ كَأَنَّ رَعِيَّتَهُ طُيورٌ ، رَفْرَفَ عَليهم صُقورٌ صَوائِدُ .

قَالَ الفَضْلُ : فَحَدَّثْتُ المأْمُونَ بهذينِ الحَديثينِ ، فَقَالَ : يا فَضْلُ ، كَمْ قِيْمَتُهُما عِنْدَكَ ؟ قلتُ : أَلْفا دِرْهَمٍ ؛ قَالَ : إِنَّ قِيْمَتَهُما عِنْدِي أَكثرُ من الخِلافَةِ ؛ أَما عَلِمْتَ حَدِيثَ أَميرِ المؤمنين عليّ بن أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ : قِيْمَةُ كُلِّ امْرِئٍ ما يُحْسِنُ ؟ أَفَتَعْرِفُ أَحَداً من الخُطَبَاءِ والبُلَغاءِ يُحْسِنُ أَنْ يَصِفَ أَحَداً من خُلفاء اللهِ الرَّاشِدين المَهْدِيِّينَ بمثلِ هَذِهِ الصِّفَةِ ؟ قلتُ : لا . قَالَ : قد أَمَرْتُ لَهما بِعِشرينَ أَلف دِينارٍ مُعَجَّلَةً ، وأَجعلُ العِدَةَ بَيْنِي وبَيْنَهُما على العَوْدِ ، فلولا حُقوقُ الإِسلامِ وأَهْلِهِ ، لَرَأَيْتُ إِعْطاءَهُما جَميعَ ما في بَيْتِ المالِ دونَ ما اسْتَحَقَّاهُ . ا هـ .

● وَكَانَ الفَضْلُ بن مَروان قد أَخَذَ البَيْعَةَ للمُعتصمِ ببغدادَ ، والمعتصمُ بالرُّومِ مع المأْمُونِ ، فاعْتَدَّ المعتصمُ لَهُ بها يَداً ، واسْتَوْزَرَهُ ، فَغَلَبَ عَليهِ واسْتَقَلَّ بالأُمُورِ ، فكانَتِ الخِلافَةُ للمُعتَصِمِ اسْماً وللفَضْلِ مَعنىً .

قيلَ : إِنَّ الفَضْلَ جَلَسَ يَوْماً لأَشْغالِ النَّاسِ ، فَرُفِعَتْ إِلَيْهِ قِصَصُ العامَّةِ ، فَرَأَى فِيها رُقْعَةً مَكتوباً فِيها هَذِهِ الأَبْياتُ[1] : [من الطويل]

تَفَرْعَنْتَ يا فَضْلُ بنَ مَرْوانَ فاعْتَبِرْ	فَقَبْلَكَ كان الفَضْلُ والفَضْلُ والفَضْلُ
ثَــلاثَــةُ أَمْــلاكٍ مَضَــوْا لِسَبِيلِهِــمْ	أَبــادَتْهُــمُ الأَقْيَــادُ والحَبْسُ والقَتْــلُ

---

(١) الخبر والأَبيات في وفيات الأَعيان ٤/ ٤٥ والوافي بالوفيات ٢٤/ ٦٤ ـ ٦٥ وسير أَعلام النُّبلاء ١٢/ ٨٤ . وقال ابن خلّكان : وذكر المرزبانيّ في معجم الشُّعراء هذه الأَبيات للهيثم بن فراس السَّامي ، من بني سامة بن لؤيّ .

قلت : وبهذه النِّسبة في ربيع الأَبرار ٣/ ٥٠٢ والمستطرف ٢/ ٣٣٨ . وبلا نسبة في مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٩٧ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٥/ ٢٣٢ والسِّير ١٢/ ٨٤ . وليس في معجم الشُّعراء المطبوع ترجمة لهذا الشَّاعر ، وليست الأَبيات فيه .

وإِنَّكَ قد أَصْبَحْتَ في النَّاسِ ظالِماً   سَتُودِي كَما أَوْدى الثَّلاثَةُ من قَبْلُ

أَرادَ الفَضْلَ بن يَحْيى البَرْمكيّ ، والفَضْلَ بن الرَّبيع ، والفَضْلَ بن سَهْلٍ .

وَكَانَ المُعتصِمُ يَأْمُرُ بِإِعْطاءِ المُغَنِّي والنَّدِيمِ ، فلا يُنفذُ الفَضْلُ ذَلِكَ ؛ فَحَقَدَ المعتصمُ عَلَيْهِ لِذَلِكَ ، ونَكَبَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَجَعَلَ مَكانَهُ محمَّد بن عبد الملِكِ الزَّيَّاتِ .

وَكَانَ الفَضْلُ مَذمومَ الأَخْلاقِ ، فلمَّا نُكِبَ شَمَتَ بِهِ النَّاسُ ، حتَّى قَالَ فِيهِ بَعضُهم : [من الطَّويل]

لِتَبْكِ على الفَضْلِ بن مَرْوانَ نَفْسُهُ   فَلَيْسَ لَـهُ بـاكٍ مِـن النَّـاسِ يُعْـرَفُ
لَقَدْ صَحِبَ الدُّنْيا مَنُوعاً لِخَيْرِها   وفـارَقَهـا وَهْـوَ الظَّلـومُ المُعَنِّـفُ
إِلى النَّارِ فَلْيَذْهَبْ وَمَنْ كان مِثْلَهُ   على أَيِّ شَيْءٍ فاتَنا مِنْهُ نَأْسَفُ ؟

● ولمّا نَكَبَ المعتصمُ الفَضْلَ بن مَروان ، قَالَ : عَصى اللهَ في طاعَتِي فَسَلَّطَنِي عَلَيْهِ .

وَكَانَ المعتصمُ قد أَخَذَ مالَهُ ، ولَمْ يَتَعَرَّضْ لِنَفْسِه .

وَقِيلَ : إِنَّهُ أَخَذَ من دارِهِ أَلْفِ أَلْفَ دِينارٍ ، وأَثاثاً وآنِيةً بأَلفِ أَلفِ دِينارٍ ، وحَبَسَهُ خمسةَ أَشْهُرٍ وَأَطْلَقَهُ ، فَخَدَمَ بعدَ ذَلِكَ جماعَةً من الخُلَفاءِ .

وتُوفِّي سنةَ خَمسين ومئتين[1] .

● ومن كلامِهِ : لا تَتَعَرَّضْ لِعَدُوِّكَ وهو مُقْبِلٌ ، فإِنَّ إِقبالَهُ يُعينُهُ عَلَيْكَ ؛ ولا تَتَعَرَّضْ لَهُ وهو مُدْبِرٌ ، فإِنَّ إِدْبارَهُ يَكْفِيكَ أَمْرَهُ .

● **فائِدَةٌ أُخرَى أَدبيَّةٌ أَيْضاً** : قد تَقَدَّمَتِ الإِشارَةُ إِليها في الرِّسالَةِ التي كَتَبْتُها

---

(١) ترجمة الفضل بن مروان ، في : وفيات الأعيان ٣/ ٤٥ ومختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٩٤ والوافي بالوفيات ٢٤/ ٦٤ وإعتاب الكتّاب ١٢٩ وسير أعلام النُّبلاء ١٢/ ٨٣ .

في « الشَّاهِينِ » قول أَبي الحَسَن عليّ بن [العبَّاس ، المعروف بابن][1] الرُّوميّ في قَصيدَتِهِ التي يَقُولُ فِيها[2] : [من البسيط]

هَـذَا أَبـو الصَّقْرِ فَـرْدٌ فـي مَحاسِنِـهِ ... مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِ والسَّلَمِ

كَأَنَّهُ الشَّمْسُ في البُرْجِ المُنِيفِ بِهِ ... علـى البَـرِيَّـةِ لا نَـارٌ علـى عَلَـمِ

مُرادُهُ بالبُرْجِ : قَصرهُ العالِي ، لمّا شَبَّهَهُ بالشَّمْسِ ، جَعَلَ قَصرهُ بُرْجاً ، وأَرادَ التَّلْمِيحَ على الخَنْسَاءِ في قَوْلِها في أَخِيها صَخْرٍ[3] : [من البسيط]

وإِنَّ صَخْـراً لَتَـأْتَـمُّ الهُـداةُ بِـهِ ... كَـأَنَّـهُ عَلَـمٌ فـي رَأْسِـهِ نَـارُ

● قَالَ شيخُنا شمسُ الدِّين محمَّد ابن العِمادِ : وأَبو الصَّقْرِ[4] : لَمْ أَقِفْ لَهُ على تَرْجَمَةٍ ولا وَفاةٍ ، وَأَبُوهُ ابْنُ عَمِّ مَعْن بن زائِدَة الشَّيبانيّ ، وَكَانَ من قُوَّادِ أَميرِ المؤمنينَ أَبي جَعفر المنصور ، وتولّى الأَعمالَ الجليلةَ والوِلاياتِ السَّنِيَّةَ ، وتُوفِّي قبل الثَّمانين ومئة[5] ؛ وَكَانَ يَسْكُنُ البادِيَةَ هو وَوَلَدُهُ أَبو الصَّقْرِ ، وإِلَيْهِ الإِشارَةُ بِقَوْلِ ابْنِ الرُّوميّ في البيتِ « بينَ الضَّالِ والسَّلَمِ » . وهما من شَجَرِ البادِيَةِ .

وَتَوَلَّى أَبُو الصَّقْرِ بعضَ الوِلاياتِ للواثِقِ هارُون بن المُعتصمِ ووَلَدِهِ

---

(١) الزِّيادة للتوضيح .

(٢) ديوانه ٦/ ٢٣٩٩ .

(٣) ديوانها ٣٨٦ .

(٤) أَبو الصَّقر ، إِسماعيل بن بلبل الشَّيبانيّ الكاتب : ولد سنة ٢٣٠ هـ ، وكان بليغاً كاتباً ، شاعراً ، أَديباً ، كريماً ، جواداً ، ممدَّحاً ؛ ولي وزارة المعتمد ثلاث مرَّات ، من سنة ٢٦٥ ـ ٢٧٢ هـ . قبض عليه المعتضد وعذَّبه بأَنواع العذاب إِلى أَنْ هلك في جمادى الأُولى سنة ٢٧٨ هـ . (ترجمته في : سير أَعلام النُّبلاء ١٣/ ١٩٩ والوافي بالوفيات ٩/ ٩٥) .

(٥) هذا شخصٌ آخر ، ولا يمكن أَن يكون والد أَبي الصَّقر ممدوح ابن الرُّوميّ ؛ وانظر ما سيأتي .

المُنتصر من بعْدِه[1] ، وعاشَ إلى خِلافَةِ المُعتضِدِ وَوَلدِهِ المُعتمِدِ[2] .

وسُكْنَى الباديَةِ مِمَّا يَتَمَدَّحُ بِهِ العَرَبُ ، ومنهُ قَوْلُهُ : [من البسيط]

المُوقِدِيْنَ بِنَجْدٍ نَارَ بادِيَةٍ ... لا يَحْضُرُونَ وَفَقْدُ العِزِّ في الحَضَرِ

وَلَمْ أَرَ أَكثرَ من ذَلِكَ . ا هـ .

● وتُوفِّيَ أَبُو الحسَنِ ابنُ الرُّوميِّ ببغداد ، في جُمادَى الأُولى ، سنةَ ثلاثٍ وثَمانينَ ومئتين وفيه خِلافٌ[3] .

● وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ على ما قَالَهُ ابْنُ خلّكانَ[4] وغَيره : أَنَّ القاسم بن عُبيد الله وزيرِ المُعتضد خافَ من هَجْوِهِ ، فَدَسَّ عليْهِ ابْنَ فِراسٍ فأَطْعَمَهُ خُشكنانجةً مَسمومَةً ، فلمَّا أَحَسَّ بالسُّمِّ قَامَ ، فَقَالَ لَهُ الوَزيرُ : إلى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ فَقَالَ : إلى الموضِعِ الذي بَعَثْتَني إليهِ ، فَقَالَ : سَلِّمْ على والِدِي ؛ فَقَالَ : ما طَرِيقِي على النَّارِ ؛ فأَقامَ أَيَّاماً ومات .

الحُكْمُ : يُحرمُ أَكلُ الصَّقْرِ ، لِعُمومِ النَّهيِ عن أَكْلِ كُلِّ ذِي نابٍ من السِّباعِ ومِخْلَبٍ من الطَّيْرِ .

---

(١) رحم الله الشَّيخ العماديّ ، كم كان غنيّاً عن مثل هذا الكلام المتناقض ! فلقد ولي الواثق الخلافة سنة ٢٢٧ هـ . أَي قبل ولادة أَبي الصَّقر بثلاث سنوات . ثمَّ إنَّ المنتصر هو ولد المتوكِّل وليس ولد الواثق . وانظر تاريخ الخلفاء ٤٠٠ و ٤٢٠ .

(٢) كذا قال الشَّيخ العماديّ رحمه الله ! وهو غير دقيق من جهتين : أُولاهُما أَنَّ خلافةَ المعتمد تسبق خلافة المعتضد . وثانيهما : ليس أَحدهما ابناً للآخر . وكان الأَولى بِهِ أَن يقول : وعاشَ إلى خلافة المعتمد ، ومات على يد المعتضد وليّ العهد . وانظر في خلافة المعتمد والمعتضد كتب التاريخ المطوّلة ، وتاريخ الخلفاء ٤٣٠ و ٤٣٦ .

(٣) ترجمة ابن الرُّوميّ ، في : معجم الشُّعراء ١٢٥ وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٧٢ ووفيات الأَعيان ٣/ ٣٥٨ وسير أَعلام النُّبلاء ١٣/ ٤٩٥ .

(٤) وفيات الأَعيان ٣/ ٣٦١ والسِّير ١٣/ ٤٩٦ .

قَالَ الصَّيدلانيُّ : اختُلفَ في الجوارِحِ ما هِيَ ؟ فَقِيلَ : ما يَجْرَحُ الصَّيْدَ بِنابٍ أَوْ مخلبٍ أَو ظُفرٍ ؛ وَقِيلَ : الجوارِحُ : الكَواسِبُ ؛ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : الجَوارِحُ : الصَّوائِدُ ، وهذا راجِعٌ إِلى مَعْنَى الكَسْبِ . ا هـ .

فَجَميعَ الجَوارِحِ عندَنا مُحَرَّمَةٌ ، لِعُمومِ هَذَا النَّهي المُتقدِّم ذِكْرُهُ قَريباً .

وَذَهَبَ مَالِكٌ إِلى حِلِّها ، وَقَالَ : ما لا نَصَّ فِيهِ : حَلالٌ ، حتَّى عَدى بعضُ أَصحابِهِ ذَلِكَ إِلى الكَلْبِ والأَسَدِ والنِّمرِ والذِّئبِ والقِرْدِ وغيرِ ذَلِكَ .

وَقَالَ في الحمارِ الأَهليّ : إِنَّهُ مَكروهٌ ؛ وفي الفَرَس والبَغْلِ : إِنَّهُما حَرامان ، احْتِجاجاً بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام : ١٤٥] الآية .

وأَجابَ الشَّافعيُّ عن ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَعْنِي مِمَّا كُنْتُم تَأْكُلُونَ ؛ إِذْ لا مَعْنَى لإِباحَةِ شَيْءٍ مِمَّا لا يَأْكُلُونَهُ ولا يَستطيبونَهُ ، كَمَا لا يَصِحُّ أَنْ يُحمَلَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ﴾ [المائدة : ٩٦] على ما هو حَرامٌ ؛ قِيلَ : وإِنَّما يَصِحُّ على ما يُعْتادُ صَيْدُهُ .

الأَمثال : قالوا[1] : « أَخْلَفُ من صَقْرٍ » وهو خَلوفُ الفَمِ ـ بِفَتْحِ الخَاءِ المُعجمةِ ـ وهو تَغَيُّرُ رائِحَتِه .

● ومنهُ قولُهُ ﷺ[2] : « لَخَلوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عندَ اللهِ من رِيْحِ المِسْكِ » .

وَوَقَعَ نِزاعٌ بَيْنَ الشَّيْخِ أَبي عمرو ابن الصَّلاحِ ، والشَّيخِ عِزِّ الدِّينِ ابن عبد

---

(١) الميداني ١/ ٢٥٣ وحمزة ١/ ١٨٠ والعسكري ١/ ٤٣٤ والزمخشري ١/ ١٠٧ .
(٢) البخاري ٢/ ٢٢٦ و ٧/ ٦١ ومسلم (١١٥١) والتّرمذيّ (٧٦٤) والنَّسائيّ (٢٢١١ ـ ٢٢١٩) وابن ماجه (١٦٣٨) .

السَّلام رحمهما اللهُ تَعالى ، في أَنَّ هَذَا الطِّيبَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ معاً ، أَم في الآخِرَةِ خاصَّةً ؟ .

فَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ : في الآخِرَةِ خاصَّةً ؛ لِقَوْلِه ﷺ في رِوايةٍ لِمُسلمٍ : « والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخَلوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ من رِيْحِ المِسْكِ يَوْمَ القِيامَةِ » .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبو عَمرو ابن الصَّلاح : هو عامٌّ في الدُّنيا والآخِرَةِ ؛ واسْتَدَلَّ بأَشْيَاءَ كَثيرَةٍ فَذَكَرَها : مِنْها ما جَاءَ في « مُسندِ ابنِ حِبَّان » ـ بِكَسْرِ الحاءِ المُهملة ، وهو من أَصْحابِنا الفُقهاءِ المُحَدِّثين ـ قَالَ : بابٌ في كونِ ذَلِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ . وبابٌ في كَوْنِهِ في الدُّنْيَا ، ورَوَى في هذا الباب بإِسنادِهِ الثَّابتِ الصَّحيحِ ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « لَخَلوفُ فَمِ الصَّائِمِ حِينَ يُخْلِفُ ، أَطْيَبُ عندَ اللهِ من رِيْحِ المِسْكِ » .

وَرَوَى الإِمامُ أَبُو الحسن ابن سُفيان ، بِسَنَدِهِ عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أُعْطِيَتْ أُمَّتِي في شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْساً » . قَالَ : « وأَمَّا الثَّانيةُ فإِنَّهُم يُمْسُونَ وخَلُوفُ أَفْواهِهِم عندَ اللهِ أَطْيَبُ من رِيْحِ المِسْكِ » . ورَواهُ الإِمامُ الحافِظُ أَبو بَكر السَّمعانيّ في « أَماليه » وقَالَ : هُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ ؛ وَكُلُّ واحِدٍ من المُحَدِّثَيْنِ مُصَرِّحٌ بِأَنَّهُ بمجيءِ وَقْتِ وُجودِ الخَلُوفِ في الدُّنْيَا ، يَتَحَقَّقُ وَصْفُهُ بِكَوْنِه أَطْيَبُ عندَ اللهِ من رِيْحِ المِسْكِ .

قَالَ : وَقَدْ قَالَ العُلماءُ شَرْقاً وغَرْباً بمعنى ما ذَكَرْتُهُ في تَفْسِيرِهِ .

قَالَ الخطَّابيُّ : طِيْبُهُ عندَ اللهِ : رِضاهُ بِهِ ، وَقَالَ ابنُ عبدِ البَرِّ : مَعناهُ : أَذْكَى عندَ اللهِ ، وَأَقْرَبُ إِلَيْه ، وأَرْفَعُ عِنْدَهُ من رِيْحِ المِسْكِ ؛ وَقَالَ البَغويُّ في « شَرحِ السُّنَّة » : مَعناهُ : الثناءُ على الصَّائِمِ ، والرِّضا بِفِعْلِه ؛ وكَذا قَالَهُ الإِمامُ القُدوريّ إِمامُ الحنفيَّة في كِتابِهِ في « الخِلافِ » : مَعناهُ : أَفْضَلُ عندَ اللهِ من

الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ ؛ وقَالَهُ الإمامُ العلاَّمةُ البُوني صاحِبُ « اللُّمْعَةِ » وغيرها ، وهو من قُدَماءِ المالِكِيَّةِ ؛ وكَذَا قَالَهُ الإمامُ أَبو عُثمان الصَّابونيّ وأَبو بَكر السَّمعانيّ وأَبو حَفْص ابن الصَّفَّار ، من أَكابِرِ الشَّافِعِيَّةِ في « أَماليهم » ، وأَبو بكر ابن العَرَبيّ المالِكِيّ وغيرهم ؛ فهؤلاءِ أَئِمَّةُ المُسلمينَ شَرْقاً وغَرْباً لَمْ يَذْكُرُوا سِوى ما ذَكَرْتُهُ ، ولَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ منهم وَجْهاً بِتَخْصِيصِهِ بالآخِرَةِ ، مع أَنَّ كُتُبَهُم جامِعَةٌ للوُجُوهِ المَشْهُورَةِ والغَريبَةِ .

ومع أَنَّ الرِّوايَةِ التي فيها ذِكْرُ يَومِ القِيامَةِ مَشْهُورَةٌ في « الصَّحيح » بل جَزَمُوا بأَنَّهُ عبارَةٌ عن الرِّضا والقَبُولِ ونَحوهما ، مِمَّا هو ثابتٌ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

وَأَمَّا ذِكْرُ يَوْمِ القِيامَةِ في تِلْكَ الرِّوايَةِ ، فَلأَنَّهُ يومُ الجَزاءِ ؛ وفيهِ يَظْهَرُ رُجْحَانُ الخَلُوفِ على المِسْكِ المُسْتَعْمَلِ لِدَفْعِ الرَّائِحَةِ الكَريهَةِ ، طَلَباً لِرِضا الله تَعالَى حيثُ يُؤْمَرُ بِاجْتِنابِها ، واجْتِلابِ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ ، كَمَا في المَساجِدِ والصَّلَواتِ وغيرِها من العباداتِ ، فَخَصَّ يَوْمَ القِيامَةِ بِالذِّكْرِ في رِوايَةٍ لِذَلِكَ ، كَمَا خَصَّ في قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات : ١١] وأَطْلَقَ في باقِي الرِّواياتِ أَنَّ فَضِيلَتَهُ ثابِتَةٌ في الدَّارَيْنِ . اهـ . كلامُ الشَّيْخِ أَبي عَمرو رَحمهُ اللهُ .

والذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ ، أَنَّ جَميعَ ما وَقَعَ فِيهِ الخِلافُ بينَهما ، فَالصَّوابُ فِيهِ ما قَالَهُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ ابن عبد السَّلامِ ، إلاّ هذه المَسْأَلَةَ فإِنَّ الصَّوابَ فِيها ما قَالَهُ الشَّيْخُ أَبو عَمرو ابن الصَّلاحِ رحمهُ الله . واللهُ تَعالى أَعلم .

وَقَالُوا[١] : « أَبْخَرُ من صَقْرٍ » . وَقَال الشَّاعِرُ[٢] : [من مجزوء الرَّمل]

---

(١) الميدانيّ ١/١١٨ وحمزة ١/٩٢ والعسكري ١/٢٥١ والزَّمخشري ١/١٠ وثمار القلوب ٢/٦٦٨ .

(٢) البيتان لأَبي الشّمقمق ، في ديوانه ١٣٥ ، وكامل المبرد ٢/٩٤٦ يهجو داود بن بكر . وبلا نسبة في مصادر المثل والثمار ١/٥٧٣ .

وَلَـــهُ لِحْيَـــةُ تَيْـــسٍ وَلَـــهُ مِنْقَـــارُ نَسْـــرِ
وَلَـــهُ نَكْهَـــةُ لَيْـــثٍ خَـــالَطَـــتْ نَكْهَـــةَ صَقْـــرِ

الخَواصُّ : قَالَ ابْنُ زُهْرٍ : الصَّقْرُ لا مَرارَةَ لَهُ ؛ وإِذا أَمْسَكَهُ إِنْسَانٌ ، ماتَ فَرَقاً ؛ ودِماغُهُ إِذا دُلِكَ بِهِ القَضِيبُ ، هَيَّجَ الباهَ .

وَقَالَ أَبُو ساري الدَّيلميّ في « عين الخواصّ » لَهُ : وَدِمَاغُ الصَّقْرِ إِذا مُسِحَ بِهِ الكَلَفُ الأَسْوَدُ ، قَلَعَهُ وَنَقَّاهُ ؛ وإِذا مُسِحَ بِهِ الحَزازُ ، أَذْهَبَهُ .

التَّعبيرُ[1] : قال ابنُ المُقرىء : رُؤيَةُ الصَّقْرِ تدلُّ على العِزِّ ، والسُّلْطانِ ، والنَّصْرِ على الأَعْداءِ ، وبُلوغ الآمالِ ، والرُّتْبَةِ ، والأَوْلادِ ، والأَزْواجِ ، والمماليكِ ، والسَّراري ، ونَفائسِ الأَمْوالِ ، والصِّحَّةِ ، وَتَفريجِ الهُمُومِ والأَنْكَادِ ، وَصِحَّةَ الأَبْصارِ ، وكَثْرَةِ الأَسْفَارِ ، وعَوْدِهِ بالرِّبْحِ الطَّائِلِ .

وَرُبَّما دَلَّ على الموتِ ، لاقْتِناصِهِ الأَرْواحَ .

وَرُبَّما دلّ على السَّجْنِ ، والتَّرْسِيمِ ، والتَّقْتيرِ في المَطعمِ وَالمَشْرَبِ .

وَالمُعَلَّمُ بالنِّسْبَةِ إِلى الغَشيمِ يدلُّ على رجلٍ فَصيحٍ ؛ وكَذَلِكَ سِباعُ الطَّيْرِ بِأَسْرِها ، لأَنَّها تَحوزُ على الحيوانِ فَتكسرُ عَظْمَهُ وتَهشمُ لَحْمَهُ .

فَمَنْ رَأَى من هَذِهِ الجَوارِحِ شَيْئاً من غيرِ مُنازَعةٍ ، فإِنَّهُ يَنالُ مَغْنَماً .

وَكُلُّ حَيوانٍ يُصادُ بِهِ ، كَالكلبِ والفَهْدِ والصَّقْرِ ، يُعَبَّرُ بِوَلَدٍ شُجاعٍ .

فَمَنْ تَبِعَهُ صَقْرٌ ، فإِنَّ رَجُلاً شُجاعاً يَعطفُ عَلَيْهِ .

وإِنْ كان لَهُ حامِلٌ ، فإِنَّهُ يُرْزَقُ وَلَداً شُجاعاً ؛ وَكُلُّ الجَوارِحِ المُعَلَّمَةِ تدلُّ على الوَلَدِ الذَّكَرِ .

---

(١) تعبير الرُّؤيا ٤٣ و ١٩٠ ـ ١٩١ وتفسير الواعظ ٢٩٤ .

● ومن المناماتِ المُعَبَّرَةِ[1] : أَتَى رَجُلٌ إِلى ابْنِ سِيرين ، فَقَالَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ حَمامَةً نَزَلَتْ على شُرُفَاتِ السُّورِ ، فأَتاها صَقْرٌ فابْتَلَعَها ؛ فَقَالَ ابْنُ سِيرين : إِنْ صَدَقَتْ رُؤْياكَ ، لَيَتَزَوَّج الحجَّاجُ بنتَ الطَّيَّارِ . فَكَانَ كَذَلِكَ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٥٣٩ الصِّلُّ : بِكَسْرِ الصَّادِ : الحَيَّةُ التي لا تَنْفَعُ فِيها الرُّقْيَةُ ؛ ومنهُ قَالُوا : فلانٌ صِلٌّ مُطْرِقٌ .

وبِهِ وَصَفَ إمامُ الحَرَمَيْنِ تِلميذَهُ أَبا المُظَفَّرِ أَحمد بن محمَّد الخوافي ، وكانَ عَلاَّمَةَ أَهْلِ طُوسٍ ، نَظيرَ الغزاليِّ ، وَكَانَ عَجَباً في المُناظَرَةِ ، رَشيقَ العِبارَةِ ، تُوفِّيَ سنةَ خمسمئةٍ[2] ؛ وكانَ هو والكِيا الهَراسيّ والغَزاليّ أَكبرَ تلامِذَةِ إمامِ الحَرَمينِ ، رحمةُ اللهِ عَليهم .

٥٤٠ الصُّلَبُ : كَصُرَدٍ : طائِرٌ معروفٌ . ذَكَرَهُ في « العُبابِ »[3] .

٥٤١ الصِّلِنْبَاحُ : كَسِقِنْطَارٍ : سَمَكٌ طَويلٌ دَقيقٌ . ذَكَرَهُ في « العُبابِ » أَيضاً[4] .

٥٤٢ الصُّلْصُلُ : بِالضَّمِّ : الفاخِتَةُ . قَالَهُ الجَوهريُّ[5] وغَيره .

وَسَيَأْتِي ما فِي « الفاختة » في « باب الفاءِ » إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

---

(١) هذا المنام من تعبير سعيد بن المسيّب ، في تعبير الرُّؤيا ١٩١ وربيع الأَبرار ٥/ ٣٣٧ ، وطبقات ابن سعد ٧/ ١٢٤ ، وسير أَعلام النُّبلاء ٤/ ١٣٦ وتفسير الواعظ ٢٩٤ .

(٢) ترجمته في : المنتخب من السِّياق ١٤٦ ووفيات الأَعيان ١/ ٩٦ وطبقات الشَّافعيَّة للسُّبكيّ ٦/ ٦٣ والوافي بالوفيات ٧/ ٦٨ .

(٣) وقال في التَّكملة « صلب » ١/ ١٨٤ : وقال أَبو عمرو : الصُّلَبُ ، مثال صُرَدٍ : طائرٌ يُشبهُ الصَّقر ولا يصيدُ ، وهو شديد الصِّياح .

(٤) القاموس والتاج « صلبح » . وفي مطبوعة التكملة ٢/ ٦٣ : الصِّلباح ! .

(٥) الصِّحاح « صلصل » ٥/ ١٧٤٥ .

٥٤٣ الصَّنَّاجَةُ : قَالَ القَزوينيُّ في « الأَشْكالِ »[١] : لَيْسَ شيءٌ أَكبرَ من هذا الحَيوانِ ، وهو يَكُونُ بأَرْضِ التُّبَّتِ ، وَهَذَا الحَيْوانُ يَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ بَيتاً بِقَدْرِ فَرْسَخٍ في الأَرْضِ في فَرْسَخٍ ؛ وَكُلُّ حَيوانٍ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْهِ مَاتَ في الحَالِ ؛ وإِذا وَقَعَ بَصَرُ الصَّنَّاجَةِ عَلَيْها ماتَتِ الصَّنَّاجَةُ ؛ والحيواناتُ تَعرفُهُ ، فَتَعْرِضُ لَهُ مُغْمَضَةَ العَيْنِ ، لِيَقَعَ بَصَرُ الصَّنَّاجَةِ عَلَيْها فَتموتَ ، وإِذا ماتَتْ تَبْقَى طُعْمَةً للحَيْوانِ مُدَّةً طَويلَةً ؛ وَهَذَا من عَجائِبِ الوُجُودِ .

قُلتُ : وقَدِ استَعْمَلَ الحَريريُّ لَفْظَةَ « الصَّنَّاجَة » في المقامَةِ السَّادِسَةِ والأَربعين ، حيثُ قَالَ[٢] : أَحْسَنْتَ يا نُغَيْشُ ، يا صَنَّاجَةَ الجَيْشِ .

قَالَ الشُّرَّاحُ لِكلامِهِ : النُّغَيْشُ : القَصِيرُ ؛ وفي الحَديثِ[٣] : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رأَى نُغاشيّاً فَخَرَّ ساجِداً » .

وَفَسَّرُوا « صَنَّاجَةَ الجَيْشِ » : بِأَنَّها الطَّبْلُ المَعرُوفُ .

قُلتُ : وَوَجْهُ الشَّبَهِ : أَنَّهُ لَمَّا كان يَطْرَبُ بِالصَّنْجِ كَطَرَبِ الجَماعَةِ الحاضِرِين بِهِ ، سَمَّاهُ بِذَلِكَ ؛ فَالهاءُ فِيهِ للمُبالَغَةِ .

والصَّنَّاجَةُ أَيضاً : ذاتُ الصَّنْجِ ، وهي آلَةُ لَهْوٍ تُتَّخَذُ من صُفْرٍ ، يُضْرَبُ أَحَدُهُما بالآخَرِ .

● قَالَ الحافِظُ ابنُ عبدِ البَرِّ وغيره[٤] : أَوَّلُ مَوْرُوثٍ في الإِسلامِ عَدِيُّ بن

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٩٧ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٣٠ .

(٢) شرح الشّريشيّ ٥/ ٢٤١ .

(٣) النِّهاية ٥/ ٨٦ .

(٤) الاستيعاب ٣/ ١٠٦١ و ٤/ ١٥٠٢ والسِّيرة النَّبويَّة ٢/ ٣٦٦ وأُسد الغابة ٥/ ٣٣٥ ومعجم البلدان ٥/ ٢٤٣ والعقد الفريد ٦/ ٣٧٠ والأَشربة ٦٧ وذمّ المسكر ٥٧ وقطب السُّرور ٥٠٦ والاشتقاق ١٣٩ وكامل المبرد ٢/ ٩٩٥ .

نَضْلَةَ ؛ وَأَوَّلُ وارثٍ نُعمان بن عَدِيٍّ ابنُهُ ؛ كان عَدِيٌّ قد هاجَرَ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ ، فَمَاتَ بها ، فَوَرِثَهُ ابْنُهُ نُعمانُ هُناكَ ، واسْتَعْمَلَهُ عُمر رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ على مَيْسَان[1] ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ من قَوْمِهِ غَيْرَهُ ، وراوَدَ امرأَتَهُ على الخُرُوجِ معهُ فأَبَتْ ، فَكَتَبَ إِلَيْها[2] : [من الطويل]

مَــنْ مُبْلِــغُ الحَسْنَــاءِ أَنَّ حَلِيْلَهــا ... بِمَيْسَـانَ يُسْقَـى فـي زُجـاجٍ وَحَنْتَـمِ
إِذا شِئْـتُ غَنَّتْنِـي دَهـاقِيـنُ قَـرْيَـةٍ ... وَصَنَّـاجَـةٌ تَحْـدُو علـى كُـلِّ مَنْسِـمِ
إِذا كُنْتَ نَدْمانِي فَبِالأَكْبَرِ اسْقِنِي ... ولا تَسْقِنِـي بِـالأَصْغَـرِ المُتَثَلِّـمِ
لَعَـلَّ أَميـرَ المُـؤمنيـنَ يَسُـوؤُهُ ... تَنَـادُمُنَـا بِـالجَـوْسَـقِ المُتَهَـدِّمِ

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَميرَ المؤمنين عمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم :

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر : ١ ـ ٣] الآيةُ ؛ أَمَّا بعدُ : فَقَدْ بَلَغَنِي قَوْلُك :

لَعَـلَّ أَميـرَ المُـؤمنيـنَ يَسُـوؤُهُ ... تَنَـادُمُنَـا بِـالجَـوْسَـقِ المُتَهَـدِّمِ

وايْمُ اللهِ ، لَقَدْ ساءَنِي . ثُمَّ عَزَلَهُ .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ ، فَقَالَ : ما كَانَ من هَذَا شَيْءٌ ، وَمَا كان إلاَّ فَضْلُ شِعْرٍ وَجَدْتُهُ ، وما شَرِبْتُها قَطُّ ؛ فَقَال عُمر رضي الله عنه : أَظُنُّ ذَلِكَ ، ولكنْ لا تَعملُ لِي عَمَلاً أَبداً ، فَنَزلَ البَصْرَةَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَغْزُو مع المُسْلِمينَ حتَّى مَاتَ ؛ وشِعْرُهُ فَصِيحٌ يَستشهدُ بِهِ أَهْلُ اللُّغَةِ على أَنَّ نَدْمَانَ بمَعْنَى نَديمٍ .

---

(١) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (معجم البلدان ٥/ ٢٤٢) .

(٢) الاستيعاب ٣/ ١٠٦١ و ٤/ ١٥٠٢ والسِّيرة النَّبويّة ٢/ ٣٦٦ وأُسد الغابة ٥/ ٣٣٥ ومعجم البلدان ٥/ ٢٤٣ والعقد الفريد ٦/ ٣٧٠ والأَشربة ٦٧ وذمّ المسكر ٥٧ وقطب السُّرور ٥٠٦ والاشتقاق ١٣٩ وكامل المبرد ٢/ ٩٩٥ .

٥٤٤ **الصَّوارُ** : القَطِيعُ من البَقَرِ ، والجَمْعُ : صِيْرانٌ ؛ والصُّوارُ أَيضاً : وعاءُ المِسْكِ ؛ وَقَدْ جَمَعَهُما الشَّاعِرُ في قَوْلِه[1] : [من الوافر]

إذا لاحَ الصُّوارُ ذَكَرْتُ لَيْلَى وَأَذْكُرُها إذا نَفَخَ الصُّوارُ

٥٤٥ **الصَّوْمَعَةُ** : العُقابُ ، لأَنَّها أَبداً مُرتفعةٌ على أَشْرَفِ مَكانٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ . هَكَذَا قَالَهُ كُراع في « المُجَرَّدِ »[2] .

٥٤٦ **الصِّيبانُ** : تَقَدَّمَ بِما فِيهِ في أَوَّلِ الباب .

٥٤٧ **الصَّيْدُ** : مَصْدَرٌ عُومِلَ مُعامَلَةَ الأَسْماءِ ، فأُوقِعَ على الحَيْوانِ المَصيدِ ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة : ٩٥] .

وقال أَبو طَلحة الأَنْصاريّ رضي الله تعالى عنه[3] : [من الرجز]

أَنا أَبو طَلْحَةَ واسْمِي زَيْدُ وَكُلَّ يَوْمٍ في سِلاحِي صَيْدُ

● وَبَوَّبَ البُخاريُّ رحمهُ اللهُ في أَوَّلِ الرُّبْعِ الرَّابِعِ من كِتابِهِ ، فَقَالَ[4] : بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعالَى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ﴾ [المائدة : ٩٦] .

وَقَالَ عُمرُ رضي الله عنه : صَيْدُهُ ما اصْطِيْدَ ، وَطَعامُهُ ما رَمَى بِهِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : الطَّافِي حَلالٌ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما : طَعامُهُ مِيْتَتُهُ إلاَّ ما قَذِرْتَ مِنها ؛

---

(١) البيت لبشّار بن برد من قصيدة طويلة في ديوانه ٢٢٣ . وهو بلا نسبة في الصّحاح واللّسان والتّاج « صور » ومعجم مقاييس اللّغة ٣/ ٣٢ .

(٢) وعنه في اللّسان « صمع » ٤/ ٢٤٩٨ .

(٣) الشّطران له في الاستيعاب ٢/ ٥٥٥ وطبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٨ والإصابة ٢/ ٥٠٢ (رقم ٢٩١٢) . واسمه زيد بن سهل بن الأسود ، أبو طلحة الأنصاريّ النّجّاريّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٤) البخاري ٦/ ٢٢٢ والزّيادة منه .

والجِرِّيُّ لا تأْكُلُهُ اليَهُودُ ، ونَحْنُ نأْكُلُهُ .

وَقَالَ شُرَيْحٌ[1] صاحِبُ النَّبيِّ ﷺ : « كُلُّ شَيْءٍ في البَحْرِ مَذْبُوحٌ » .

وَقَالَ عَطاءٌ : أَمَّا الطَّيْرُ فأَرى أَنْ يَذْبَحَهُ .

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : صَيْدُ الأَنْهارِ وقِلاتُ السَّيْلِ ، أَصَيْدُ بَحْرٍ هُوَ ؟ قَالَ : نَعم ؛ ثُمَّ تَلا ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [فاطر : ١٢] .

وَرَكِبَ الحَسَنُ على سَرْجٍ من جُلُودِ كِلابِ المَاءِ .

وَقَالَ الشَّعْبيُّ : لو أَنَّ أَهْلِي يَأْكُلُونَ الضَّفادِعَ لأَطْعَمْتُهُم إِيَّاها ؛ وَلَمْ يَرَ الحَسَنُ بِالسُّلَحفاةِ بَأْساً .

وَقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : كُلْ من صَيْدِ [البَحْرِ] ، نَصْرانيٌّ أَو يَهوديٌّ أَو مَجوسيٌّ[2] .

وَقَالَ أَبُو الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المُرْيِ : ذَبَحَ الخَمْرَ النِّيْنانُ والشَّمْسُ . اهـ .

قَوْلُهُ : قِلاتُ السَّيْلِ : أَي ما هَلَكَ فِيهِ ، لِقَوْلِهِ : « المُسافِرُ ومالُهُ على قَلَتٍ »[3] .

وَقَوْلُهُ : في المُرْيِ إِلى آخِرِ ما قَالَ : أَشارَ بِذَلِكَ إِلى صِفَةِ مُرْيٍ يُعْمَلُ في الشَّامِ ، تُؤْخَذُ الخَمْرُ ، فَيُجْعَلُ فِيها المِلْحُ والسَّمكُ ، وتُوضَعُ فِي الشَّمْسِ ،

---

(١) في الأُصول : أَبو شُريح . خطأ . وهو شريح بن أَبي شريح . ذكره ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٢/٧٠٣ (رقم ١١٧٩) ، وابن الأَثير في أُسد الغابة ٢/٥١٨ وذكر روايته للحديث الآتي وقول عطاء .

(٢) برفع الثَّلاثة ، على تقدير : وإِن صاده نصرانيٌّ أَو يهوديٌّ أَو مجوسيٌّ . (هامش البخاري) .

(٣) النِّهاية ٤/٩٨ .

فَتَتَغَيَّرُ الخَمْرُ إِلى طَعْمِ المُرِّ ، فَتَسْتَحِيلُ عن هَيْئَتِها كما تَسْتَحِيلُ إِلى الخَلِّيَّةِ . يَقُولُ : كَمَا أَنَّ المَيْتَةَ حَرامٌ ، والمَذْبُوحَةَ حَلالٌ ، كَذَلِكَ هَذِهِ الأَشْيَاءُ ذَبَحَتِ الخَمْرَ ، فَحَلَّتْ . اسْتَعَارَ الذَّبحَ للتَّحْلِيلِ ؛ والذَّبْحُ في الأَصْلِ : الشَّقُّ .

وأَبُو شُرَيْحٍ : اسْمُهُ هانِيء[1] . وعندَ الأَصيلي : ابْنُ شُرَيْحٍ . وهو وَهْمٌ .

وفي « الاستيعاب » للحافظ ابن عبدِ البرِّ[2] : شُرَيْحٌ : رَجلٌ من الصَّحابَةِ ، حِجازِيٌّ . رَوَى عنهُ أَبُو الزُّبَيْرِ وعَمرو بن دِينارٍ ، سَمِعَاهُ يُحَدِّثُ عن أَبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ ، قَالَ : « كُلُّ شَيْءٍ في البَحْرِ مَذْبُوحٌ ، ذَبَحَ اللهُ لَكُمْ كُلَّ دابَّةٍ خَلَقَها في البَحْرِ » . قَالَ أَبو الزُّبَيْرِ وعَمرو بن دِينارٍ : وَكَانَ شُرَيْحُ هَذَا قد أَدْرَكَ النَّبيَّ ﷺ ؛ وَقَالَ أَبُو حاتِمٍ : لَهُ صُحْبَةٌ .

● وَلَفْظُ الصَّيْدِ في الآيَةِ الأُولَى عامٌّ ، وَمَعْنَاهُ الخُصُوصُ ، فِيمَا عَدا الحَيوانُ الذي أَباحَ النَّبيُّ ﷺ قَتْلَهُ في الحَرَمِ ؛ ثَبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « خَمْسٌ فَواسِقُ يُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَمِ : الغُرابُ والحِدَأَةُ ، والفَأْرَةُ ، والعَقْرَبُ ، والكَلْبُ العَقُورُ » .

فَوَقَفَ مع ظاهِرِ هَذَا الحَدِيثِ سُفْيَانُ الثَّوريُّ والشَّافعيُّ وابْنُ حَنبلَ وابْن راهَوَيْهِ ، فَلَمْ يُبِيحُوا للمُحْرِمِ قَتْلَ شَيْءٍ سِوى ذَلِكَ ؛ وَقَاسَ مالِكٌ على الكَلْبِ العَقُورِ ، الأَسَدَ والنَّمِرَ والفَهْدَ والذِّئْبَ ، وَكُلَّ السِّباعِ العادِيَةِ ؛ فَأَمَّا الهِرُّ والثَّعْلَبُ والضَّبُعُ فلا يَقْتُلُها المُحْرِمُ عِنْدَهُ ، وإِنْ فَعَلَ فَدَى .

وَقَالَ أَصْحابُ الرَّأْيِ رَحِمَهمُ اللهُ : إِنْ بَدَأَ السَّبُعُ المُحْرِمَ ، فَلَهُ أَن يَقْتُلَهُ ؛ وإِنِ ابْتَدَأَهُ المُحْرِمُ ، فَعَلَيْهِ قِيمَتُهُ .

---

(١) أَبو شريح : هانىء بن يزيد الحارثيّ ، ليس به ؛ وإِنَّما هو شريح بن أَبي شريح ، كما ذكرتُه قبل قليل .

(٢) الاستيعاب ٢/ ٧٠٣ رقم (١١٧٩) وأُسد الغابة ٢/ ٥١٨ .

وَقَالَ مُجاهدٌ والنَّخعيُّ : لا يَقْتُلُ المُحْرِمُ من السِّباعِ إلاَّ ما عَدَا عليهِ منها .

وَثَبَتَ عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما أَنَّهُ أَمَرَ المُحْرِمينَ بِقَتْلِ الحَيَّاتِ ؛ وأَجمعَ النَّاسُ على إِباحَةِ قَتْلِها .

وَثَبَتَ عن ابن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما أَيْضاً إِباحَةُ قَتْلِ الزُّنْبُورِ ، لأَنَّهُ في حُكْمِ العَقْرَبِ .

وَقَالَ مالِكٌ : يُطْعِمُ قاتِلُهُ شَيْئاً ؛ وَكَذَلِكَ قَالَ مالِكٌ فيمَنْ قَتَلَ البُرغوثَ والذُّبابَ والنَّمْلَ وَنَحْوَها .

وَقَالَ أَصْحابُ الرَّأْيِ : لا شَيْءَ على قاتِلِ هَذِهِ كُلِّها .

وَأَمَّا سِباعُ الطَّيْرِ : فَقَالَ مالِكٌ : لا يَقْتُلُها المُحْرِمُ ، وإِنْ قَتَلَها فَدَى .

وَقَالَ ابنُ عَطِيَّةَ : وذَواتُ السُّمومِ كلُّها في حُكْمِ الحَيَّةِ والرُّتَيْلا ونَحْوهما .

● **تَذْنِيبٌ** : قَالَ أَبُو حَنيفة : لا يُقْطَعُ سارِقُ ما كَانَ مُباح الأَصْلِ من صَيْدِ البَرِّ والبَحْرِ ، ولا في جَميعِ الطُّيورِ .

وَقَالَ الشَّافعيُّ ومالِكٌ وأَحمدُ والجمهورُ : يُقْطَعُ سارِقُ ذَلِكَ إذا كان مُحْرَزاً ، وَقِيْمَتُهُ رُبْعُ دِينارٍ ، لِعُمومِ الآيةِ .

وإِذا ذَبَحَ المُحْرِمُ صَيْداً ، حَرُمَ عَلَيْهِ في حالِ الإِحْرامِ باتِّفاقِ العُلماءِ ؛ وفي تَحْرِيمِهِ على غَيْرِهِ قَولان : الجديدُ الصَّحيحُ : التَّحريمُ ، كَذَبيحَةِ المَجُوسيِّ ، فعلى هَذَا يَكُونُ مَيْتَةً ؛ والقَدِيمُ : الحِلُّ .

وَلَوْ كَسَرَ المُحْرِمُ بَيْضَ صَيْدٍ أَو قَلاهُ ، حُرِّمَ عَلَيْهِ ؛ وفي تَحْرِيْمِهِ على غَيْرِهِ طَرِيقانِ : أَشهرُهما أَنَّهُ على القَولينِ وأَشهر القولين : التَّحْرِيمُ أَيضاً .

وَلَوْ كَسَرَهُ مَجُوسيٌّ أَو قَلاهُ : حَلَّ ؛ وَلَوْ حَلَبَ مُحْرِمٌ لَبَنَ صَيْدٍ ، فَهُوَ كَكَسْرِ بَيْضِهِ .

فرعٌ : لو صَاحَ مُحْرِمٌ على صَيْدٍ ، فَماتَ بِسَبَبِ صِياحِهِ ؛ أَو صَاحَ حَلالٌ على صَيْدٍ في الحَرَمِ فَمَاتَ بِهِ ، فَوَجْهانِ : **أَحَدُهما** : يَضْمَنُهُ ، لأَنَّهُ تَسَبَّبَ في إِهْلاكِهِ ، فَكَانَ كما لو صَاحَ على صَبِيٍّ فَهَلَكَ . قَالَ الإِمامُ النَّوويُّ : وَهَذَا هو الظَّاهِرُ . **والثَّانِي** : لا يَضْمَنُهُ ، كَمَا لو صَاحَ على بالِغٍ .

وَلَوْ أَصابَ صَيْداً ، فَوَقَعَ ذَلِكَ الصَّيْدُ على صَيْدٍ آخَرَ ، أَوْ عَلَى فِراخِهِ ، أَوْ بَيْضِهِ ، فَهَلَكَ ، ضَمِنَ جَميعَ ذَلِكَ .

● فرعٌ : لو مَاتَ للمُحْرِمِ قَريبٌ ، في مُلْكِهِ صَيْدٌ : مَلَكَهُ على المَذْهبِ مُلْكاً يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ، إلاَّ بِالقَتْلِ والإِتْلافِ .

● فَرْعٌ : قَالَ الرُّويانيُّ : العُمْرَةُ التي لَيْسَ فِيها قَتْلُ صَيْدٍ ؛ قِيلَ : إِنَّها أَفْضَلُ من حِجَّةٍ فيها قَتلُ صَيدٍ ؛ والأَصَحُّ أَنَّ الحِجَّةَ أَفْضَلُ .

● فَرعٌ : صَيْدُ حَرَمِ المدينةِ حَرامٌ ، لما رَوَى « مُسلم »[1] من حَدِيثِ جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ إِبراهيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ، وإِنِّي حَرَّمتُ المَدِينَةَ ما بَيْنَ لابَتَيْها ، ولا يُقْطَعُ عِضاهُها ، ولا يُصادُ صَيْدُها » .

واختلَفُوا في أَنَّهُ هل يَضْمَنُ صَيْدَها كَصَيْدِ مَكَّةَ ؟ فقَالَ الشَّافعيُّ في الجديد : إِنَّهُ لا يَضْمَنُ ، لأَنَّهُ مَكَانٌ يَجُوزُ دُخولُهُ بغيرِ إِحْرامٍ ، فلا يَضْمَنُ كَصَيْدِ وَجِّ الطَّائِفِ .

ففي « سُنَنِ البَيْهَقيّ » بإِسنادٍ فيهِ ضَعيفانِ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « أَلا إِنَّ صَيْدَ وَجِّ الطَّائِفِ وعِضاهَها حَرامٌ مُحَرَّمٌ » .

وفي القَديم : إِنَّهُ يُسْلَبُ القاتِلُ لِصَيْدِ حَرَمِ المدينَةِ ، والقاطِعُ لِشَجَرِها ؛ واختارَهُ النَّوويُّ من جهةِ الدَّليلِ ؛ وعلى هَذَا فظاهِرُ إِطلاقِ الأَئِمَّةِ أَنَّ السَّلْبَ

---

(١) مسلم (١٣٦٠ ـ ١٣٦٥) .

لا يَتَوَقَّفُ على إتْلافِهِ ، بل بِمُجَرَّدِ الاصْطِيَادِ ؛ وَسَلْبُهُ كَسَلْبِ قَتيلِ الكُفَّارِ عندَ الأَكْثَرِينَ ، وَقِيلَ : ثِيابُهُ فقط ، وَقِيلَ : يُترَكُ لَهُ ساتِرُ العَوْرَةِ فقط ؛ وهَذَا هُوَ الصَّوابُ في « الرَّوْضَةِ » و « شَرح المُهَذّب » ، ثُمَّ هو للسَّالِبِ ، وَقِيلَ : لِفُقَراءِ المَدِينَةِ كَجَزاءِ الصَّيْدِ ؛ وَقِيلَ : لبيتِ المالِ ؛ ويُسْتَثْنَى من تَضْمِينِ الصَّيْدِ ، ما لَو صَالَ عَلَيْهِ فقَتَلَهُ دَفْعاً .

● **فرعٌ** : إذا عَمَّ الجرادُ الطَّريقَ ، ولَمْ يَجِدْ بُدّاً من وَطْئِه ، فلا ضَمانَ عَلَيْهِ في الأَظْهَرِ .

وَلَو دَخَلَ كافِرٌ الحَرَمَ ، وَقَتَلَ صَيْداً ، ضَمِنَهُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبو إسحاق في « المُهذّب » : يَحتملُ عندي أَنَّهُ لا يَجِبُ الضَّمانَ .

قَالَ النَّوويُّ في « شَرْحِهِ » : انْفَرَدَ الشَّيْخُ بِهَذَا الاحْتِمالِ عن الأَصْحَابِ ، وأَقامَهُ فِي البَيَانِ وَجْهاً . ا هـ .

وَهَذَا نَقَلَهُ ابنُ كَجٍّ وَجْهاً للأَصْحَابِ ، وهو مُتَقَدِّمٌ على صاحِبِ « المهذّب » بأَعوامٍ ، فإِنَّهُ تُوفِّيَ سنةَ أَربعٍ وأَربعمئة[1] .

● **تَنبيهاتٌ** : اعلَمْ أَنَّ الصَّيْدَ إذا ماتَ من سَببين مُباحٍ ومُحَرَّمٍ ، فهو حَرامٌ ، تَغْلِيباً لجانِبِ التَّحريمِ ؛ ومثالُ ذَلِكَ : أَنْ يَمُوتَ من سهمٍ أَوْ بُنْدقَةٍ ، أَو يُصِيبَ الصَّيْدَ طَرَفٌ من النَّصْلِ فيَجرحَهُ ، أَو يُؤَثِّرَ فِيهِ عرضُ السَّهمِ في مُرُورِهِ فَيَموتَ منهما ، وكَذَلِكَ لو أَرْسَلَ سَهْماً إلى صَيْدٍ فَجَرَحَهُ ، وَكَانَ على طَرَفِ سَطْحٍ فَسَقَطَ منهُ ، أَو على جَبَلٍ فَتَرَدَّى منهُ ، أَوْ تَرَدَّى في بِئْرٍ ، أَوْ وَقَعَ في ماءٍ ،

---

(١) توفِّي القاضي أَبو القاسم يوسف بن أَحمد بن كجّ الدِّينوريّ ، سنة خمسٍ وأَربعمئة . (سير أَعلام النُّبلاء ١٧/ ١٨٣) ، ووفاة أَبي إسحاق إبراهيم عليّ بن يوسف الشّيرازيّ ، سنة ستّ وسبعين وأَربعمئة . (السِّير ١٨/ ٤٥٢) .

أَو على شجرةٍ فانْصَدَمَ بِأَغْصانِها ، فَهو حَرامٌ ، لأِنَّهُ لا يُدْرَى من أَيِّهما مَاتَ .

ومنها : ما لو وَقعَ صَيدٌ على مُحَدَّدٍ ، كَسِكِّينٍ أَو غيرِها ، فهوَ حَرامٌ .

ولَوْ أَرْسَلَ سَهْماً ، فأَصابَ الصَّيْدَ في الهواءِ ، ثُمَّ وَقَعَ على الأَرْضِ وَمَاتَ ، فهو حَلالٌ . سَواءٌ مَاتَ قبلَ الوُصُولِ إِلى الأَرْضِ أَو بَعْدَهُ ، أَوْ لَمْ يُعلمْ هل كان مَوتُهُ قبلَ الوُصُولِ أَو بعدَهُ ؛ لأِنَّ الوُقُوعَ على الأَرْضِ لا بُدَّ منهُ ، فَيُعْفَى عنهُ كما يُعْفَى عن الذَّبْحِ في غيرِ المَذْبَحِ عندَ التَّعَذُّرِ .

وَكَما أَنَّ الصَّيْدَ لو كان قائِماً ، فَوَقَعَ على جَنْبِهِ لمَّا أَصابَهُ السَّهْمُ .

وَقَالَ مالِكٌ : إِنْ مَاتَ بعدَ وقوعِهِ على الأَرْضِ لَمْ يَحِلَّ ؛ والارْتِجافُ قَليلاً بعدَ إِصابَةِ السَّهْمِ لا يَضُرُّ ، لأِنَّهُ كالوُقُوعِ على الأَرْضِ ؛ فَلَوْ تَدَحْرَجَ من الجبلِ من جَنْبٍ إِلى جَنْبٍ ، لَمْ يَضُرَّ ؛ لأِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لا يُؤَثِّرُ مثلُهُ في التَّلَفِ .

فَلَوْ رَمَى بِسَهْمٍ إِلى صَيْدٍ في الهَواءِ ، فَكَسَرَ جَناحَهُ وَلَمْ يَجْرَحْهُ ، فَوَقَعَ فَمَاتَ ، فَهوَ حَرامٌ ؛ لأِنَّهُ لَمْ يُصِبْهُ جُرْحٌ يُحالُ المَوتُ عليهِ ، فلَوْ كان الجُرْحُ خَفيفاً لا يُؤَثِّرُ مِثْلُهُ ، ولكنَّهُ عَطَّلَ جَناحَيْهِ ، فَوَقَعَ فَمَات ، فهو حَرامٌ . قَالَهُ الإِمامُ .

وَلَوْ وَقَعَ الصَّيْدُ من الهواءِ بعدَ ما أَصابَهُ السَّهْمُ وَجَرَحَهُ في بئْرٍ ؛ نُظِرَ فإِنْ كان فِيها ماءٌ فهو حَرامٌ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ فَالصَّيْدُ حلالٌ ، لأِنَّ قَعْرَ البئرِ كالأَرْضِ ، ولكنَّ الفَرَضَ فِما إِذا لَمْ تُصادِمْهُ جُدْرانُ البئْرِ .

ومنها : لو كان الصَّيْدُ واقِفاً على شَجَرَةٍ ، فأَصَابَهُ السَّهْمُ فَجَرَحَهُ ، فَوَقَعَ على الأَرْضِ ، فَهُوَ حَلالٌ . وإِنْ وَقَعَ على غُصْنٍ أَوْ أَغْصَانٍ ثُمَّ على الأَرْضِ لَمْ يَحِلَّ ، وَلَيْسَ الانْصِدامُ بالأَغْصَانِ أَو بأَحرُفِ الجبلِ عندَ التَّرَدِّي من القُلَّةِ ، كالانْصِدامِ بالأَرْضِ ؛ فإِنَّ ذَلِكَ الانْصِدامَ لَيْسَ بِلازِمٍ ولا غالبٍ ، والانْصِدَامُ بالأَرْضِ لا بُدَّ منهُ .

ولِلإمامِ احْتمالانِ في الصُّورَتَيْن لِكَثْرَةِ وُقُوعِ الطُّيُورِ على الأَشْجَارِ ، والانْصِدام بِأَطْرافِ الجِبالِ إذا كان الصَّيْدُ بِالجَبَلِ .

ومنها : لو رَمَى إلى طَيْرِ المَاءِ ، نُظِرَ إنْ كان على وَجْهِ المَاءِ ، فأَصابَهُ السَّهْمُ ، فَجَرَحَهُ فَماتَ ، فَهوَ حَلالٌ ، والماءُ لَهُ كالأَرْضِ ؛ وإِنْ كان خَارِجَ المَاءِ ، ووَقَعَ في الماءِ بعدَما أَصابَهُ السَّهْمُ ، فَفِيهِ وَجْهَانِ مَذْكُورانِ في « الحاوِي » : أَحدُهما أَنَّهُ حَرامٌ ، لأَنَّ الماءَ بعد الجُرْحِ يُعينُ على التَّلَفِ . والثَّانِي : أَنَّهُ حَلالٌ ، لأَنَّ المَاءَ لا يُغْرِقُهُ . لأَنَّهُ لا يُفارِقُ المَاءَ غالِباً ، ووُقُوعُهُ في الماءِ كَوُقُوعِ غَيرِهِ على الأَرْضِ ، وَهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ .

وَذَكَرَ في « التَّهْذِيبِ » أَنَّ الصَّيْدَ إذا كان في هَواءِ البحرِ ، نُظِرَ إِنْ كان الرَّامِي في البَرِّ لَمْ يَحِلَّ ، وإِنْ كان في البَحْرِ حَلَّ .

فإِنْ كان الطَّائِرُ خارجَ المَاءِ ، وَوَقَعَ فِيهِ بعدَ ما أَصابَهُ السَّهْمُ ، ففي حِلِّهِ وَجْهَانِ ؛ قَطَعَ البَغَوِيُّ في « التَّهذيبِ » والشَّيخ أَبو محمَّد في « المختصر » بِالحِلِّ .

وَجَميعُ ما ذَكَرْنا فِيما إذا لَمْ يَنْتَهِ الصَّيْدُ بتِلْكَ الجِراحَةِ إلى حَرَكَةِ المَذْبُوحِ ؛ فإِنِ انْتَهى إِلَيْها بِقَطْعِ الحُلْقُومِ أَو المَرِيءِ أَو غَيره ، فَقَدْ تَمَّتْ ذكاتُهُ ، ولا أَثَرَ لِما يَعْرِضُ بعدَ ذَلِكَ .

ومنها : لو جُرِحَ الصَّيْدُ جُرْحاً لَمْ يَقتلْهُ ، ثُمَّ غابَ ، فَوَجَدَهُ بعدَ ذَلِكَ مَيِّتاً . قِيلَ : يَحِلُّ . وَقِيلَ : لا يَحِلُّ . والأَوَّلُ أَصَحُّ ؛ لكنْ يُشترطُ أَنْ ينتهيَ الصَّيْدُ بتِلْكَ الجِراحَةِ إلى حَرَكَةِ المَذْبُوحِ ، وأَنَّهُ لا أَثَرَ لِغَيْبَتِه ؛ فإِنْ لَمْ يَنْتَهِ إِلى حَرَكَةِ المَذْبُوحِ ، فإِنْ وُجِدَ في ماءٍ أَو وُجِدَ عَلَيْهِ أَثَرُ صَدْمَةٍ أَوْ جِراحَةٍ أُخرى : لَمْ يَحِلَّ .

وَلِلأَصْحابِ ثلاثُ طُرُقٍ : **أَحَدُها** : في حِلِّهِ قَولانِ ، أَشهرُهما عند

صاحِبِ « التَّهذيبِ » الحِلُّ ؛ والعراقيُّن وغيرهم إلى ترجيح التَّحريم أَمْيلُ .

والثاني : القَطعُ بِالحِلِّ . **والثّالثُ** : القَطعُ بالتَّحريمِ .

وَقَالَ أَبو حَنِيفَةَ : إِنِ اتَّبَعَهُ عَقِبَ الرَّمْيَ ، فَوَجَدَهُ مَيِّتاً حَلَّ ؛ وإِنْ تَأَخَّرَ سَاعةً عن اتِّباعِهِ : لَمْ يَحِلَّ .

ورُوِيَ عن مالِكٍ أَنَّهُ إِنْ وَجَدَهُ في يَوْمِهِ حَلَّ وإِلاَّ فلا .

وَصَحَّحَ النَّوويُّ والغَزاليُّ الحِلَّ ، لِلأَحادِيثِ الوارِدَةِ فِيهِ .

ومنها : لو رَمَى وهو لا يَرْجُو صَيْداً ، ولا خَطرَ له ، ولا قَصَدَهُ ، بِأَنْ رَمَى سَهْماً في الهَواءِ ، أَو فِي فَضاءٍ من الأَرْضِ ، أَوْ إِلى هَدَفٍ ، واعْتَرَضَ صَيْدٌ فأَصابَهُ فَقَتَلَهُ ؛ فَفِي حِلِّهِ وَجْهانِ ، أَصَحُّهما ـ وهو المَنْصُوصُ ـ عَدَمُ الحِلِّ ، لأَِنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الصَّيْدَ لا مُعَيَّناً ولا مُبْهَماً .

وَنَظِيرُ ذَلِكَ : ما إِذا وَقَعَ في الشَّبَكَةِ صَيْدٌ ، فَعُقِرَ بَحديدَةٍ فِيها ؛ ويُفَرَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ما لَو ظَنَّهُ ثَوْباً ، بأَنَّهُ هُنا قَصَدَ عَيْناً .

وَلَوْ رَمَى إِلى ما ظَنَّهُ حَجَراً ، فَكَانَ صَيْداً فَقَتَلَهُ ، فهو حلالٌ ؛ وَكَذا لو ظَنَّهُ صَيْداً غَيْرَ مَأْكُولٍ فَكَانَ مَأْكولاً ، لأَِنَّهُ قَصَدَ عَيْنَهُ ؛ وقِيسَ ذَلِكَ بِما إِذا كان لَهُ شاتانِ ، فَذَبَحَ إِحداهُما ظَنّاً أَنَّها الأُخْرَى .

وفي « التَّهْذيب » وغيرِهِ وَجْهٌ : أَنَّهُ لا يَحِلُّ ، لأَِنَّهُ لَمْ يقصدِ الصَّيْدَ . وبِهِ قَالَ مالِكٌ .

ومنها : لو نَصَبَ سِكِّيناً أَو حَدِيدَةً ، أَو كانت في يَدِهِ حَديدةٌ ، فَوَقَعَتْ على حَلْقِ شاةٍ فَذَبَحَتها ، فهو حَرامٌ ، لأَِنَّهُ لَمْ يُذْبَحْ ، وَلَمْ يَقْصِدِ الذَّبْحَ ؛ وإِنَّما حَصَلَ ما حَصَلَ بِفِعْلِ الشَّاةِ ، أَو من غيرِ فِعْل مُخْتارٍ .

وفي « التَّهذيبِ » وغيره : أَنَّ عندَ أَبي إِسحاقَ تَحِلُّ الشَّاةُ في صُورَةِ وُقُوعِ السِّكِّين ، ولا شَكَّ أَنَّ الصيْدَ في مَعناها .

وَكَذا لو كان في يَدِهِ حَديدةٌ يُحَرِّكُها ، والشَّاةُ أَيْضاً تحكُّ حَلْقَها بها ، فَحَصَلَ انْقِطاعُ الحُلْقُومِ والمَريءِ بالحَرَكَتَيْنِ ، فهو حَرامٌ ، لأَنَّ الموتَ بِشَرِكَةِ الذّابحِ والبَهِيمَةِ .

وَقَالَ القاضِي أَبو سعيد الهَرَويّ في البابِ : وإِنْ رَمَى الأَعْمَى صَيْداً بِدلالَةِ بَصيرٍ ، فالمذهبُ أَنَّهُ لا يَحِلُّ .

● **فَرعٌ في الازْدِحامِ والاشْتِراكِ** : وَلَهُ أَحْوالٌ : منها أَنْ يَتَعاقَبَ جرحانِ من رَجُلينِ ؛ فَالأَولُ منهما إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُذَفِّفاً أَو مُزْمِناً ، أَو لامُذَفِّفاً ولا مُزْمِناً ؛ فإِنْ لَمْ يَكُن مُذَفِّفاً ولا مُزْمِناً ، لَمْ يَحِلَّ على امْتِناعِهِ ؛ فإِنْ كانَتِ الجِراحَةُ مُذَفِّفَةً أَوْ مُزْمِنَةً ، فَالصَّيْدُ للثّانِي ، ولا شَيْءَ على الأَوَّلِ بجِراحَتِهِ .

فإِنْ كَانَ جُرْحُ الأَوَّلِ مُذَفِّفاً ، فَالصَّيْدُ لِلأَوَّلِ ، وعلى الثَّانِي أَرشُ ما نَقَصَ من لَحْمِهِ وَجِلْدِهِ ؛ وإِنْ كان جُرْحُ الأَوَّلِ مُزْمِناً ، مَلَكَ الصَّيْدَ بِهِ ؛ وَيُنْظَرُ في الثَّاني ، فإِنْ ذَفَّفَ بقَطْعِ الحُلقُومِ والمَرِيءِ ، فهوَ حَلالٌ ، وعلى الثّاني ما بَيْنَ قِيْمَتِهِ مَذْبُوحاً ومُزْمِناً .

قَالَ الإمام : وإِنَّما يَظهرُ التَّفاوُتُ ، إِذا كان فِيهِ حَياةٌ مُسْتَقِرَّةٌ ؛ فإِنْ كان سَالماً ، أَوْ كان بِحَيْثُ لو لم يُذْبَحْ لَهَلَكَ ، فَمَا عِنْدِي أَنَّهُ يَنقصُ بِالذَّبْحِ منهُ شَيْءٌ .

وإِنْ ذَفَّفَ الثَّانِي وَلَمْ يَقْطَعِ الحُلْقُومَ والمَريءَ ، أَوْ لَمْ يُذَفِّفْ ، وَمَاتَ بالجُرْحَيْنِ : فَهوَ مَيْتَةٌ ؛ ويَجِبُ على الثّانِي قِيمةُ الصَّيْدِ مَذْبُوحاً .

قَالَ في كِتابِ « التَّهذيبِ » : قِيلَ : هُوَ كَمَا لو جَرَحَ عَبْدَهُ ، وَجَرَحَهُ غيرُه ، وَمَاتَ منهُما ؛ وهو بناءٌ على ما إِذا جَرَحَ أَجنبيٌّ عَبْداً قيمَتُهُ عشرةٌ ، وَجَرَحَه آخرُ وماتَ ؛ فَفِيهِ أَوْجُهٌ .

قَالَ المُزَنيُّ : يَجبُ على كُلِّ واحدٍ أَرْشُ جِراحَتِهِ ، وباقِي القِيمَةِ يُنَصَّفُ بينَهما ؛ وَقِيلَ : على كُلِّ واحِدٍ نِصْفُ قِيْمَتِهِ يَوْمَ جَرْحِهِ .

وَقَالَ ابنُ خَيرٍ : أَنْ تُوَزَّعَ القِيْمَةُ على قِيْمَتِه يَوْمَ الجَرْحِ الأَوَّلِ ، وهي عَشْرَةٌ ، وعلى قِيْمَتِه يَوْمَ الجَرْحِ الثَّانِي ، وهيَ تِسعةٌ ، فَيَكُونُ تسعةَ عشرَ جُزْءاً ، عشرةٌ على الأَوَّلِ وتِسعةٌ على الثَّانِي .

وَقَالَ القَفَّالُ : على كُلِّ واحدٍ منهما نِصْفُ أَرْشِ جِراحَتِه ، وَيُنَصَّفُ باقِي القيمةِ مَجْرُوحاً بِجُرْحَيْنِ .

والطَّريقةُ الثَّانيةُ : أَنَّ الأَوَّلَ إِنْ لَمْ يُدْرِكْهُ حَيّاً ، وَجَبَ على الثَّانِي قِيْمَتُهُ مُزْمِناً ؛ وإِنْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يَذْبَحْهُ ، وَجَبَ على الثَّانِي أَرْشُ جِراحَتِهِ على وَجْهٍ ، وَقِيْمَتُهُ مُزْمِناً على وَجْهٍ .

وإِنْ رَماهُ رَجُلانِ فَأَصابَاهُ معاً وَقَتَلاهُ فَهُوَ لَهُما ؛ فإِنْ أَزْمَنَ أَحَدُهُما وأَصَابَ الآخرُ المَذْبَحَ ، ولَمْ يُعْرَفِ السَّابِقُ ، وادَّعَى كُلٌّ منهُما أَنَّهُ المُزْمِنُ أَوَّلاً ، تَحَالَفا ، وَيَكُونُ بَيْنَهما ، لاحْتِمالِ سَبْقِ المُزْمِنِ ؛ وإِنْ كان أَحدُهما مُجْهِزاً لَمْ يُصِبِ المَذْبَحَ ، فَالصَّيْدُ حَرامٌ . انتهى .

● فَرْعٌ : اعلَمْ أَنَّ من اصْطَادَ صَيْداً عَلَيْهِ أَثَرُ مُلْكٍ ، فإِنْ كان مَوْسُوماً أَو مُقَرَّطاً أَو مَخْضُوباً أَو مقصوصَ الجَناحِ ، لَمْ يَمْلِكْهُ ، لأَنَّ هَذِهِ آثارٌ تدلُّ على أَنَّهُ كان مَمْلُوكاً وَرُبَّما أُفْلِتَ ؛ ولا يُنْظَرُ إِلى احْتِمالِ أَنهُ اصْطَادَهُ مُحْرِمٌ وَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ ، فإِنَّهُ احْتِمالٌ بَعيدٌ .

● فَرْعٌ : لو قُدَّ الصَّيْدُ نِصْفَيْنِ : حَلَّ الكُلُّ .

وإِنْ أَبانَ منهُ عُضواً وَمَاتَ منهُ بعدَ ساعَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ من ذَبْحِهِ : حَلَّ المُبانُ على أَحَدِ الوَجهينِ ، كما لو مَاتَ منهُ في الحالِ .

وإِنْ أَدْرَكَهُ حَيّاً فَذَبَحَهُ : حَلَّ الأَصْلُ دُونَ المُبانِ .

وإِنْ مَاتَ الصَّيْدُ بثقلِ الجِراحَةِ : لَمْ يُحَرَّمْ على أَحَدِ القَوْلَيْنِ بِخِلافِ ثقلِ السَّهْمِ .

● فَرْعٌ : وَيُمْلَكُ الصَّيْدُ بأُمُورٍ : بإِثْبَاتِ اليَدِ ، أَوِ الإِثْخَانِ ، أَو إِبْطَالِ الطَّيرانِ أَوِ العَدْوِ أَوِ التَّعلُّقِ بالشَّبَكَةِ المَنْصُوبَةِ ؛ فإِنْ وَقَعَتْ منهُ الشَّبَكَةُ وَتَعَلَّقَ بها صَيْدٌ : فوَجْهانِ ؛ وَكَذَلِكَ الشَّرَكُ والدَّبَقُ المَنْصُوبانِ والحِبالةُ ونحوُ ذَلِكَ .

● فَرْعٌ : لو اصْطَادَ سَمَكَةً ، فَوَجَدَ في بَطْنِها دُرَّةً مَثْقُوبَةً ، فَهِيَ لُقْطَةٌ ؛ وإِنْ كانَتْ غيرَ مَثقوبةٍ ، فَهِيَ لَهُ مع السَّمَكَةِ .

وَلَوِ اشْتَرَى سَمَكَةً ، فوَجَدَ في بَطْنِها دُرَّةً غَيرَ مَثْقُوبَةٍ ، فَهِيَ لَهُ ؛ وإِنْ كانَتْ مَثْقُوبَةً فهيَ للبائِعِ إِنِ ادَّعاها . هَكَذَا أَطْلَقَهُ في « التَّهْذِيبِ » .

وَيُشْبِهُ أَنْ يُقالَ : إِنَّ الدُّرَّةَ تَكُونُ لِمَنِ اصْطَادَ السَّمَكَةَ ، كَمَا فِي الكَنْزِ الَّذِي يُوجَدُ في الأَرْضِ : إِنَّهُ لَمُحْيِي الأَرْضِ .

● خاتِمَةٌ : لو أَرْسَلَ الصَّيْدَ وخَلاَّهُ بنَفْسِه ، فَهَلْ يَزُولُ مُلْكُهُ ؟ وَجْهَان : أَظهرُهما : لا يَزُولُ ، وَلا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ ، لأَنَّ ذلكَ من فِعْلِ الجاهِلِيَّةِ من تَسْيِيبِ السَّوائِبِ ؛ وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يَحْتَرِزَ عنهُ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى الكلامُ على السَّائِبَةِ : في « بابِ النُّونِ » وعلى صَيْدِ الكَلْبِ والجارِحَةِ في « بابِ الكافِ » .

وَلَوْ أُفْلِتَ الصَّيْدُ من يَدِهِ ، لَمْ يَزُلْ مُلْكُهُ عنه ؛ فإِنْ أَخَذَهُ أَحَدٌ ، فَعلَيْهِ رَدُّهُ لِلأَوَّلِ ، ولا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَلْتَحِقَ بالوُحُوشِ في الصَّحْراءِ ، أَو يبعدَ عن البُنْيَانِ ، أَو يَدُورَ في البَلَدِ أَوْ حَوْلَهُ .

وَقَالَ مالِكٌ : ما دَامَ في البَلَدِ أَوْ حَوْلَهُ ، لَمْ يَزُلْ مُلْكُهُ عنهُ ، فإِنْ بَعُدَ والْتَحَقَ بالوُحُوشِ زَالَ مُلْكُهُ ، وَمَنْ أَخَذَهُ مَلَكَهُ .

وَيُرْوَى عنهُ أَنَّهُ إِنْ تباعَدَ بِهِ العَهْدُ زَالَ مُلْكُهُ عنهُ ، وإِنْ قَرُبَ لَمْ يَزُلْ ؛ وَيُرْوَى عنهُ زَوالُ مُلْكِهِ بإِفْلاتِهِ مُطْلَقاً ؛ وعِندَنا يُقاسُ على إِباقِ العَبْدِ وشُرُودِ البَهِيْمَةِ .

● تَتِمَّةٌ : لو تَوَحَّلَ صَيْدٌ بِمَزْرَعَةٍ ، وَصَارَ مَقْدُوراً عَلَيْهِ ؛ فَفِيهِ وَجْهان : أَصَحُّهما عَدَمُ التَّمَلُّكِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ بِسَقْيِ الأَرْضِ الاصْطِيَادَ ؛ والقَصْدُ مَرْعِيٌّ في التَّمَلُّكِ .

وَلَوْ دَخَلَ بُسْتَانَ غيرِهِ واصْطَادَ منهُ طائِراً ، مَلَكَهُ قَطْعاً ، ولا يَثبتُ لِصاحِبِ البُسْتانِ حُكْمُ المُتَحَجِّرِ ، لأَنَّ البُسْتَانَ لا يَتَضَمَّنُ حُكْمَ الطَّيْرِ . واللهُ أَعلمُ .

● وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بعضِهم[1] : [من البسيط]

يَشْقَى رِجَالٌ وَيَشْقَى آخَرُونَ بِهِمْ ... وَيُسْعِدُ اللهُ أَقْواماً بِأَقْوامِ
وَلَيْسَ رِزْقُ الفَتَى من فَضْلِ حِيْلَتِهِ ... لَكِنْ جُدودٌ بِأَرْزَاقٍ وأَقْسَامِ
كَالصَّيْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي المُجِيدُ وَقَدْ ... يَرْمِي فَيُحْرِزُهُ من لَيْسَ بِالرَّامِي

● فائِدَةٌ : في « تاريخِ ابْنِ خلِّكان »[2] : لَمَّا قَلَّدَ الرَّشِيدُ الفَضْلَ بن يَحْيَى خُراسانَ ، أَقَامَ بها مُدَّةً ، ثُمَّ وَصَلَ كِتابُ صاحِبِ البَريدِ ، يُنْهِي أَنَّ الفَضْلَ اشْتَغَلَ بالصَّيْدِ وإِدْمانِ اللَّذَّةِ ، عن النَّظَرِ في أُمُورِ الرَّعِيَّةِ ، فَقَالَ لِيَحْيَى : يا أَبَتِ ، اقْرَأْ هَذَا الكِتابَ ، واكْتُبْ إِلَيْهِ بما يَرْدَعُهُ عنهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَحْيَى كِتاباً ، وَكَتَبَ في أَسْفَلِهِ هَذِهِ الأَبيات : [من السريع]

انْصَبْ نَهاراً في طِلابِ العُلا ... واصْبِرْ على فَقْدِ لِقاءِ الحَبِيبْ
حَتَّى إذا اللَّيْلُ أَتَى مُقْبِلاً ... واكْتَحَلَتْ بِالغَمْضِ عَيْنُ الرَّقِيبْ[3]

---

(١) الأَبيات بلا نسبة في وفيات الأَعيان ٤/ ٣٦٥ .

(٢) وفيات الأَعيان ٤/ ٢٨ . والخبر والأَبيات في : ربيع الأَبرار ٥/ ٥١ وسرور النفس ٤٥ ـ ٤٦ وفصول التَّماثيل ١٩٨ ومعجم الشُّعراء ٤٨٩ وأَسرار الحكماء ١٤١ ومروج الذَّهب ٤/ ٢٣٤ وفاضل الوشاء ١٠٦ ـ ١٠٧ والمنتخل للميكاليّ ٢/ ٦٥٨ .
والأَبيات في محاضرات الرَّاغب ١/ ٧٠٩ لمعاوية . وفي جمهرة العسكريّ ٢/ ١٨١ لعبد الله ابن طاهر . وفي الشِّعر والشُّعراء ٢/ ٨٧٩ لمحمَّد بن يسير ، وهي في ديوانه ٥٢ . وفي المحبِّ والمحبوب ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ للفضل بن الرَّبيع .

(٣) في أ : × وأَسفرت فيه وجوهُ المغيبْ .

فَبَادِرِ اللَّيْلَ بِمَا تَشْتَهِي ... فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الأَرِيبْ[1]
كَمْ مِن فَتىً تَحْسَبُهُ نَاسِكاً ... يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ بِأَمْرٍ عَجِيبْ
غَطَّى عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ ... فَبَاتَ فِي لَهْوٍ وَعَيْشٍ خَصِيبْ
وَلَذَّةُ الأَحْمَقِ مَكْشُوفَةٌ ... يَسْعَى بِهَا كُلُّ عَدُوٍّ مُرِيبْ[2]

فَلَمَّا وَرَدَ الكِتابُ على الفَضْلِ بن يَحْيَى ، لَمْ يُفارقِ المَسْجِدَ نَهاراً .

● قِيلَ : دَخَلَ الفَضْلُ على أَبيهِ يَحْيَى وهُوَ يَتَبَخْتَرُ في مِشْيَتِهِ ، فَكَرِهَ يَحْيَى ذَلِكَ منهُ ، وَقَالَ : قَالَتِ الحُكَماءُ : البُخْلُ والجَهْلُ مع التَّواضُعِ ، أَزْيَنُ للرَّجُلِ من السَّخَاءِ والعِلْمِ مع الكِبْرِ ؛ فَيَا لَهَا من حَسَنَةٍ غَطَّتْ على سَيِّئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، وَيَا لَها من سَيِّئَةٍ غَطَّتْ على حَسَنَتَيْنِ كَبيرتَيْنِ .

● وَلَمَّا كان الفَضْلُ وَيَحْيَى في مَحْبَسِهما ، سَمِعَهُما المُوَكَّلُ يَوْماً وهُما يَضْحَكَانِ ضَحكاً مُفرطاً ؛ فأَعْلَمَ الرَّشِيدَ بذَلِكَ ، فَبَعَثَ مَسْرُوراً يَستعلمُ سببَ ذَلِكَ ، فَجَاءَهُما فَسَأَلَهُما وَقَالَ : يَقُولُ لَكُما أَميرُ المؤمنين : ما هَذَا الاسْتِخْفافُ بِغَضَبي ؟ فازْدادا ضَحِكاً ، وَقَالَ يَحْيَى : اشْتَهَيْنا سِكْباجاً ، فَاحْتَلْنا في شِراءِ القِدْرِ واللَّحْمِ والخَلِّ وغيرِ ذَلِكَ ، فلمَّا فَرَغْنا من طَبْخِها وإِحْكامِها ، ذَهَبَ الفَضْلُ يُنْزِلُها ، فَسَقَطَ قَعْرُ القِدْرِ ، فَوَقَعَ الضَّحِكُ والتَّعَجُّبُ مِمَّا كُنَّا فِيهِ وما صِرْنا إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا أَعْلَمَ مَسرورٌ الرَّشيدَ بذَلِكَ بَكَى ، وَأَمَرَ لَهُمَا بمائِدَةٍ في كُلِّ يَوْمٍ ، وَأَذِنَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَأْنَسانِ بِهِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِما كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَغَذَّى مَعَهُما ، ويُحَدِّثُهُما ويَنْصَرِفُ .

● وَنُقِلَ[3] أَنَّ الفَضْلَ كان كَثِيرَ البِرِّ بِأَبِيهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَتَأَذَّى من اسْتِعْمالِ

---

(١) في أ : فكابد اللَّيلَ . . . × .
(٢) في أ : × يشقى بها من كلِّ واشٍ رقيبْ .
(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٣٦ .

الماءِ البارِدِ في زَمَنِ الشِّتَاءِ ، فلمَّا كَانَ في السِّجْنِ لَمْ يَقْدِرا على تَسْخِينِ المَاءِ ، فَكَانَ الفَضْلُ يَأْخُذُ الإِبْرِيقَ النُّحاسَ وَفِيهِ الماءُ ، فَيَضَعُهُ على بَطْنِهِ زَماناً ، لِيَنْكَسِرَ بَرْدُهُ بِحَرارَةِ بَطْنِهِ ، حتَّى يَسْتَعْمِلَهُ أَبُوهُ بعدَ ذَلِكَ .

وتُوفِّيَ يحيىٰ في السِّجْنِ سنةَ ثلاثٍ وَتِسْعِينَ ومئةٍ ؛ وَلَمَّا بَلَغَ الرَّشِيدَ وَفاتُهُ ، قَالَ : أَمْري قَرِيبٌ من أَمْرِهِ ؛ فَتُوفِّيَ بَعْدَهُ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ .

٥٤٨ الصَّيْدَحُ : الفَرَسُ الشَّديدُ الصَّوْتِ . وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ[١] : الصَّيْدَحُ : ذَكَرُ البُومَةِ . انتهى .

وَتَسْمِيَتُهُ صَيْدَحاً ، اشْتِقاقاً لَهُ من صَوْتِهِ ، لأَنَّ الصَّيْدَحَ الصِّيَاحُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[٢] : [من الطويل]

وَقَدْ هَاجَ شَوْقِي أَنْ تَغَنَّتْ حَمامَةٌ مُطَوَّقَةٌ وَرْقَاءُ تَصْدَحُ بِالفَجْرِ

أَي تَصِيحُ .

قَالَ الجاحِظُ[٣] : البُومَةُ وسائِرُ طُيُورِ اللَّيْلِ ، لا تَدَعُ الصِّيَاحَ وَقْتَ الأَسْحَارِ أَبَداً . انْتَهَى .

وَصَيْدَحُ : اسْمُ ناقَةِ ذِي الرُّمَّةِ ؛ قَالَ يَمْدَحُ بِلالَ بن أَبِي بُرْدَةَ بن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ[٤] : [من الوافر]

رَأَيْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلالا

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ هَذَا البَيْتِ في « بابِ الهَمْزَةِ » في « الإِبِلِ » .

---

(١) لم يقل الجوهريُّ ولا غيره : أَنَّ الصَّيْدَحَ ذكر البوم ! ! . وانظر الصِّحاح « صدح » ١/ ٣٨١ .

(٢) البيت مطلع قصيدة لجهم بن خلف ، في الحيوان ٣/ ٢٤٢ .

(٣) الحيوان ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(٤) ديوانه ٣/ ١٥٣٥ .

٥٤٩ **الصَّيْـدَنُ** : الثَّعْلَـبُ . وَقَـدْ تَقَـدَّمَ فـي « بـابِ الثَّـاءِ المُثَلَّثَـةِ » . والصَّيْدَنُ : المَلِكُ[١] .

٥٥٠ **الصَّيْدَنانيُّ** : دُوَيْبَّةٌ تَعْمَلُ لِنَفْسِها بَيْتاً في جَوْفِ الأَرْضِ ، وتُعَمِّيْهِ عن الخَلْقِ[١] .

٥٥١ **الصِّيْرُ** : سَمَكٌ صِغارٌ يُعْمَلُ منهُ الصِّحْناةُ والمُرْيُ ، ومنهم من يُطْلِقُ على الصِّيْرِ : الصِّحْنَاةَ[٢] .

● وفي « سُنَنِ البَيْهَقِيّ » في بابِ ما جَاءَ في أَكْلِ الجَرادِ : عن وَهْب بن عبد الله المعافريّ : أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وعبدُ الله بن عُمر على زَينب بنتِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِم جَراداً مَقْلُوّاً بِسَمْنٍ ، وَقَالَتْ : كُلْ يا مِصْرِيُّ من هَذَا ، لَعَلَّ الصِّيْرَ أَحَبُّ إِلَيْكَ منهُ[٣] . قَالَ : قُلْتُ : إِنَّا لَنُحِبُّ الصِّيْرَ .

● وفي الحَدِيثِ[٢] : أَنَّ سَالِمَ بْن عَبْدِ الله مَرَّ بِهِ رَجُلٌ ومعهُ صِيْرٌ ، فَذَاقَ منهُ ، ثُمَّ سَأَلَ عنهُ : كَيْفَ تَبِيعُهُ ؟ والمُرادُ بِهِ في الحَدِيثِ : الصِّحْنَاةُ ؛ قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو قَوْماً[٤] : [من البسيط]

كانُوا إِذا جَعَلُوا في صِيْرِهِمْ بَصَلاً ثُمَّ اشْتَوَوْا كَنْعَداً من مالِحٍ جَدَفُوا

قَالَ الجَوهريُّ : وتَفْسِيرُهُ في الحَدِيثِ [أَنَّهُ] الصِّحْنَاءُ ، تُمَدُّ وتُقْصَرُ .

● ورُوِيَ[٥] أَنَّ الحَسَنَ سَأَلَهُ رَجلٌ عن الصِّحْناةِ ، فَقَالَ : وهل يَأْكُلُ

---

(١) الصِّحاح « صدن » ٦/ ٢١٥١ .
(٢) الصِّحاح « صير » ٢/ ٧١٨ ، والنِّهاية ٣/ ٦٦ .
(٣) النِّهاية ٣/ ٦٧ .
(٤) ديوانه ١/ ١٧٧ .
(٥) اللِّسان « صحن » ٤/ ٢٤٠٦ .

المُسْلِمُونَ الصِّحْنَاةَ؟ وهِيَ التي يُقَالُ لَها: الصِّيْرُ؛ وكِلا اللَّفْظَيْنِ غَيْرُ عَرَبيٍّ[1] .

الخَواصُّ[2] : قَالَ جِبْرِيلُ بن بُخْتَيْشُوع : الصِّحْناةُ المُتَّخَذَةُ من الأَبازِيرِ : تُنَشِّفُ المَعِدَةَ من البِلَّةِ والرُّطُوبَةِ ، وَتَمْنَعُ البَخْرَ ، وتُطَيِّبُ النَّكْهَةَ ، وتَنْفَعُ من وَجَعِ الوَرِكِ المُتَوَلِّدِ من البَلْغَمِ ، ومن لَدْغِ العَقَارِبِ إذا طُلِيَ بِها .

* * *

---

(١) المعرّب للجواليقي ٢٦٤ .

(٢) تذكرة داود ١/ ٢٢٣ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٨١ .

بابُ الضَّادِ المُعْجَمَةِ

٥٥٢ الضَّأْنُ : ذَوَاتُ الصُّوفِ من الغَنَمِ ، وهيَ جَمْعُ ضائِنٍ ؛ والأُنْثَى ضَائِنَةٌ ؛ والجَمْعُ : ضَوائِنُ . وَقِيلَ : هُوَ جَمْعٌ لا واحِدَ لَهُ ؛ وَقِيلَ : جَمْعُهُ ضَئِينٌ ، كَعَبْدٍ وعَبِيدٍ .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام : ١٤٣] الآية . وَذَلِكَ أَنَّ الجاهِلِيَّةَ كَانُوا يَقُولُونَ : ﴿هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام : ١٣٨] وقَالُوا : ﴿مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام : ١٣٩] وَحَرَّمُوا البَحِيرَةَ والسَّائِبَةَ وَالوَصِيْلَةَ والحامِي ، وكانُوا يُحَرِّمُون بَعْضَها على النِّسَاءِ ؛ فلمَّا جَاءَ الإِسْلامُ ، وَثَبَتَتْ أَحْكَامُهُ ، جادَلُوا النَّبِيَّ ﷺ .

وَكَانَ الذِي جادَلَهُ خَطِيبُهم مالِكُ بن عَوفٍ بن الأَحْوَص الجُشَمِيُّ ، فَقَالَ : يا مُحَمَّد ، إِنَّكَ تُحَرِّمُ أَشْياءَ مِمَّا كان آباؤُنا يَفْعَلُونَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنكُمْ قد حَرَّمْتُمْ أَصْنافاً من الغَنَمِ على غَيْرِ أَصْلٍ ، وإِنَّما خَلَقَ اللهُ هَذِهِ الأَزْواجَ الخَمْسَةَ لِلمَأْكَلِ والانْتِفَاعِ بِها ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا التَّحْرِيمُ ؟ أَمِنْ قِبَلِ الذَّكَرِ أَمْ من قِبَلِ الأُنْثَى ؟ » فَسَكَتَ مالِكٌ وتَحَيَّرَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « ما لَكَ ؟ أَلا تَتَكَلَّمُ ؟ » . فَقَالَ لَهُ مالِكٌ : بَلْ تَكَلَّمْ وأَسْمَعُ مِنْكَ .

فَلَوْ قَالَ : جَاءَ التَّحْرِيمُ من قِبَلِ الذُّكُورَةِ ، وَجَبَ أَنْ يُحَرِّمَ جميعَ الذُّكورِ ؛ وَلَوْ قَالَ : بِسَبَبِ الأُنوثَةِ ، وَجَبَ أَنْ يُحَرِّمَ جَمِيعَ الإِناثِ ، وَلَوْ قَالَ : باشْتِمَالِ الرَّحِمِ عَلَيْهِ ، لَكَانَ يَنبغي أَنْ يُحَرِّمَ الكُلَّ ، لأَنَّ الرَّحِمَ يَشْتَمِلُ على الذُّكُورِ

والإناثِ ؛ فأَمَّا تَخْصِيصُ التَّحْرِيمِ بالوَلَدِ الخامِسِ وَالسَّابِعِ ، أَو بالبَعْضِ دُونَ البَعْضِ فَمِنْ أَيْنَ ؟ وَ ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزُّمر : ٦] نَصَبَها على البَدَلِ من الحُمُولَةِ والفَرْشِ . أَي : وَأَنْشَأَ من الأَنْعامِ ثَمانيةَ أَزواجٍ ، أَي أَصنافٍ : من الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، أَي الذَّكَر والأُنْثَى ، فَالذَّكَرُ زَوْجٌ ، والأُنْثَى زَوْجٌ ؛ والعربُ تُسَمِّي الواحِدَ زَوْجاً ، إذا كان لا يَنْفَكُّ عن الآخَرِ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى الكَلامُ على البَحِيرَةِ والسَّائِبَةِ والوَصِيْلَةِ والحامِي في « بابِ النُّون » في « النَّعم » .

وَقَدْ[1] جَعَلَ اللهُ تَعالَى البَرَكَةَ في نَوْعِ الغَنَمِ ، فَهِيَ تَلِدُ في العامِ مَرَّةً ، وَيُؤْكَلُ مِنها ما شَاءَ اللهُ أَنْ يُؤْكَلَ ، ويَمْتَلِىءُ مِنْها وَجْهُ الأَرْضِ ؛ بِخِلافِ السِّباعِ ، فإِنَّها تَلِدُ سِتّاً وسَبْعاً ، وَلا يُرَى منها إِلا واحِدٌ في أَطْرافِ الأَرْضِ .

وَيُضْرَبُ المَثَلُ بِلِيْنِ جُلُودِها ، لَما رَوَى « البَيهقيُّ » و « التِّرمذيُّ »[2] عن أَبي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « يَخْرُجُ في آخِرِ الزَّمانِ رِجالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيا بالدِّيْنِ ، أَلْسِنَتُهُم أَحْلَى من العَسَلِ ، وَقُلُوبُهُم قُلُوبُ الذِّئابِ ـ وفي رِوايَةٍ « وَقُلُوبُهُم أَمَرُّ من الصَّبِرِ » ـ يَلبسُونَ للنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ من اللِّيْنِ ، يَشْتَرُونَ الدُّنْيا بالدِّيْنِ ، يَقُولُ اللهُ تَعالَى : أَبِي يَغْتَرُّونَ ؟ وَعَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ ؟ فَبِي حَلَفْتُ لأُقَيِّضَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَلِيمَ منهم حَيْراناً » .

يُقَالُ : خَتَلَهُ يَخْتِلُهُ : إذا خَدَعَهُ . وَخَتَلَ الذِّئْبُ الصَّيْدَ : إذا تَخَفَّى لَهُ .

وَبَيْنَ المَعْزِ والضَّأْنِ تَضادٌّ يُوجِبُ أَنْ لا يَقَعَ بَيْنَهُما لِقاحٌ أَصْلاً .

● ومن[3] عَجِيبِ طَبْعِها وأَمْرِها : أَنَّها تَرَى الفِيلَ والجامُوسَ فَلا تَهابُهما

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٣٢ .

(٢) التِّرمذيّ (٢٤٠٤ ـ ٢٤٠٥) وتهذيب الكمال ٧/ ٣٣٨ .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٣٢ .

مع عِظَمِ أَبْدانِهما ، وَتَرى الذِّئْبَ فَيَعْتَرِيها خَوْفٌ عَظِيمٌ ، لمعنىً خَلَقَ اللهُ في طِباعِها .

ومن[1] غَرِيبِ أَمْرِها : أَنَّ الغَنَمَ تَلِدُ فِي لَيْلَةٍ واحِدَةٍ عَدَداً كَثِيراً ، ثُمَّ إِنَّ الرَّاعِيَ يَسْرَحُ بالأُمَّهَاتِ من الغَدِ ، وَيَأْتِي بِها عِنْدَ العشاءِ ، وَيُخلّى بَيْنَها وَبَيْنَ السِّخالِ ، فَتَذْهَبُ كُلُّ واحِدَةٍ إِلى أُمِّها .

ويُجْلَبُ[1] من الهِنْدِ نَوْعٌ من الضَّأْنِ ، فِي صَدْرِهِ أَلْيَةٌ ، وَعَلَى كَتِفَيهِ أَلْيَتانِ ، وعلى فَخِذَيْهِ أَلْيَتانِ ، وعلى ذَنَبِهِ أَلْيَةٌ ؛ وَرُبَّما تكبرُ أَليةُ الضَّأْنِ حَتَّى تَمْنَعَهُ من المَشْيِ .

وإِنْ[1] تَسافَدَتِ الغَنَمُ عندَ نُزُولِ المطرِ لا تَحملُ ، وإِنْ كان السِّفادُ عندَ هُبُوبِ الشِّمالِ ، تكُونُ الأَولادُ ذُكُوراً ؛ وإِنْ كان عِنْدَ هُبُوبِ الجُنُوبِ ، تكُونُ الأَوْلادُ إِناثاً .

وَإِذا[1] رَعَتِ الضَّأْنُ الزَّرْعَ رَجَعَ ، وإِذا رَعَتْهُ المَعْزُ لَمْ يَنْبُتْ .

وَقَالَتِ العَرَبُ : جَزَّ ضَائِنَهُ ، وَحَلَقَ مَعْزَهُ .

وَحُكْمُها : حِلُّ الأَكْلِ بالإِجْماعِ .

الأَمْثَالُ : قَالوا : « أَجْهَلُ من رَاعِي ضَأْنٍ »[2] و « أَحْمَقُ من راعِي ضأْنٍ ثَمانين »[3] ، و « أَحْمَقُ من طَالِبِ ضَأْنٍ ثَمانِين »[4] . وَذَلِكَ أَنَّ الضَّأْنَ تَنفرُ من كُلِّ شَيْءٍ ، فَيَحْتَاجُ راعِيها إِلى أَنْ يَجْمَعَهَا في كلِّ وَقْتٍ .

---

(١) عجائب المخلوقات ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٣٢ .

(٢) الميداني ١/ ١٨٩ وحمزة ١/ ١٢١ والعسكري ١/ ٣٣٤ .

(٣) الميداني ١/ ٢٢٤ وحمزة ١/ ١٤٨ والعسكري ١/ ٣٩١ والزمخشري ١/ ٧٩ وأَمثال أَبي عبيد ٣٦٥ .

(٤) العسكري ١/ ٣٤٢ و ٣٩١ وحمزة ١/ ١٤٨ .

● وَفِي « الصِّحاحِ » : « أَحْمَقُ من صاحِبِ ضَأْنٍ ثَمانين »[1] : وَذَلِكَ أَنَّ أَعْرابيّاً بَشَّرَ كِسْرَى بِبُشْرَى ، فَسُرَّ بِها ، فَقالَ : سَلْنِي ما شِئْتَ ؟ فَقَالَ : أَسْأَلُكَ ضَأْناً ثَمانين .

● وَقالَ ابْنُ خالَوَيْهِ : إِنَّهُ رَجلٌ قَضى للنَّبيِّ ﷺ حاجَةً ، فَقالَ ﷺ : « ائْتِني بِالمَدِينَةِ » . فَأَتاهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَهُ : « أَيُّما أَحَبُّ إِلَيْكَ ، ثَمانُونَ من الضَّأْنِ ، أَوْ أَدعو اللهَ أَنْ يَجْعَلَكَ مَعِي في الجَنَّةِ ؟ » . فَقَالَ : بَلْ ثَمانُونَ من الضَّأْنِ ، فَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « أَعْطُوهُ إِيَّاها » . ثُمَّ قَالَ ﷺ : « إِنَّ صَاحِبَةَ مُوسى كانت أَعقلَ مَنْكَ » .

وَذَلِكَ أَنَّ عَجُوزاً دَلَّتْهُ على عِظامِ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلام ؛ فَقَالَ لَها مُوسَى : أَيُّما أَحَبُّ إِلَيْكِ ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ تَكُونِي معي في الجَنَّةِ ، أَو مئةٌ من الغَنَمِ ؟ قالت : الجَنَّةَ .

● والحَدِيثُ رَواهُ « ابْنُ حِبّان » والحاكِمُ في « المُستدرك » مع اختلافٍ فِيهِ ، وَقَالَ الحاكِمُ : صَحيحُ الإِسْنادِ .

● وَعَنْ أَبِي مُوسى الأَشعريّ ، قَالَ[2] : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَقسمُ غَنائِمَ هَوازن بِحُنَيْن ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَجلٌ من النَّاسِ ، فَقَالَ : إِنَّ لي عندَكَ مَوْعِداً يا رَسُولَ الله . فَقَالَ ﷺ : « صَدَقْتَ ، فاحْتَكِمْ ما شِئْتَ » . قَالَ : إِنِّي أَحْتَكِمُ ثَمانِينَ ضَائِنَةً وراعِيها . فَقَالَ ﷺ : « هِيَ لَكَ ، وَلَقَدِ احْتَكَمْتَ يَسيراً ؛ وَلَصاحِبَةُ مُوسى التي دَلَّتْهُ على عِظامِ يوسُفَ كانَتْ أَحْزَمَ منكَ حِينَ حَكَّمَها مُوسى ، فَقَالت : حُكْمِي أَنْ تَرُدَّنِي شابَّةً ، وأَدْخلَ معكَ الجَنَّةَ » .

---

(١) الصِّحاح « ثمن » ٥/ ٢٠٨٩ والميدانيّ ١/ ٢٢٤ والعسكري ١/ ٣٩١ .

(٢) إحياء علوم الدِّين ٣/ ١١٥ .

● قَالَ في « الإحياءِ » في آخِرِ الآفَةِ الثّالِثَة عَشَرةَ من آفاتِ اللِّسَانِ[1] :
وَكَانَ النَّاسُ يُضَعِّفُونَ ما احْتكَمَ هَذَا الإنْسَانُ بِهِ ، حَتَّى جَعَلُوهُ مَثَلاً ، فَقَالُوا : أَقْنَعُ من صاحِبِ الثّمانين والرّاعِي .

الخَواصُّ[2] : لَحْمُ الضَّأْنِ يَمْنَعُ المِرَّةَ السَّوْدَاءَ ، وَيَزِيدُ في المَنِيِّ ، وَيَنْفَعُ من السُّمُومِ ؛ وهو حارٌّ رَطْبٌ بِالنِّسْبَةِ إلى المَعْزِ ، وأَجْوَدُهُ الحَوْليُّ ؛ وَهُوَ يَنْفَعُ المَعِدَةَ المُعْتَدِلَةَ ، وَيَضُرُّ من يَعْتادُهُ العَشَا ؛ وَتُدْفَعُ مَضَرَّتُهُ بالأَمْراقِ القابِضَةِ ؛ ويُكْرَهُ لَحْمُ النِّعاجِ ، لأَنَّهُ يُوَلِّدُ دماً رَدِيئاً .

وَلَحْمُ الخِرْفَانِ يَغْذو غِذاءً كَثيراً حارّاً رَطْباً ، لَكِنَّهُ يُوَلِّدُ البَلْغَمَ ؛ والحَوْلِيُّ من الضَّأْنِ أَغْذَى من صَغيرِها ؛ ولَحْمُ الضَّأْنِ في الرَّبيعِ أَجْوَدُ وأَنْفَعُ منهُ في سائِرِ الأَزْمانِ .

وَلَحْمُ الخَصِيِّ مِنْها يَزِيدُ في الباهِ ، وَدَمُها إِذا أُخِذَ وهو حارٌّ ساعَةَ تُذْبَحُ ، وطُلِيَ بِهِ الوَضَحُ ، غَيَّرَ لَوْنَهُ وَصَبَغَهُ .

وَكَبِدُ التَّيْسِ إذا أُحرِقَتْ طَرِيَّةً ، وَدُلِكَ بِها الأَسْنانُ بَيَّضَها .

وقَرْنُ الكَبْشِ : إذا دُفِنَ تَحْتَ شَجرةٍ ، يَكْثُرُ حَمْلُها .

وإِذا اكتُحِلَ بِمَرارَةِ الكبشِ مع العَسَلِ ، يَمْنَعُ من نُزُولِ المَاءِ .

وَعَظْمُهُ يُحرقُ بِخَشَبِ الطَّرْفَاءِ ، ويُخلطُ رَمادُهُ بِدُهْنِ الشَّمْعِ المُتَّخَذِ من دُهْنِ الوَرْدِ ، ويُطْلَى بِهِ مَوضِعُ الهَشْمِ ، يُصْلِحُهُ .

وإِذا تَحَمَّلَتِ المرأَةُ بِصُوفِ النَّعْجَةِ ، قَطَعَتِ الحَبَلَ .

---

(١) الإحياء ٣/ ١١٦ وفيه : أَشَحُّ من صاحب الثّمانين والرَّاعي .
(٢) عجائب المخلوقات ٢٤٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٣٢ ـ ٣٣ وتذكرة داود ١/ ٢٢٥ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٩١ .

وإذا غُطِّيَ الإناءُ بِصوفِ الضَّأْنِ الأَبْيَضِ ، وفِيهِ عَسَلٌ ، لَمْ يَقْرَبْهُ النَّمْلُ .

٥٥٣ الضُّوْضُؤُ : الطّائِرُ الَّذِي يُسَمَّى الأَخْيَلَ . قالَهُ ابنُ سِيْدَه[١] . وتَوَقَّفَ فِيهِ ابنُ دُرَيْدٍ .

٥٥٤ الضَّبُّ : بِفَتْحِ الضّادِ : حَيوانٌ بَرِّيٌّ مَعروفٌ يُشْبِهُ الوَرَلَ .

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : وَهوَ من الأَسْماءِ المُشْتَرَكَةِ ، فَيُطْلَقُ على وَرَمٍ في خُفِّ البَعِيرِ ، وعلى ضَبَّةِ الحَدِيدِ .

والضَّبُّ : اسمٌ للجَبَلِ الذِي بِمَسْجِدِ الخَيْفِ في أَصْلِهِ .

وَضَبَّةُ الكُوفَةِ ، وَضَبَّةُ البَصْرَةِ : قَبيلَتانِ من العَرَبِ .

والضَّبُّ : أَنْ يَجْمَعَ الحالِبُ خِلْفَيْ النَّاقَةِ في كَفَّيْهِ جميعاً ؛ أَنْشَدَ ابْنُ دُرَيْدٍ[٢] : [من الطويل]

جَمَعْتُ لَهُ كَفَّيَّ بِالرُّمْحِ طاعِناً ... كَمَا جَمَعَ الخِلْفَيْنِ في الضَّبِّ حالِبُ

وَكُنْيَتُهُ : أَبُو حِسْلٍ . والجَمْعُ : ضِبابٌ وأَضُبٌّ ، مِثْلَ كَفٍّ وأَكُفٍّ ؛ والأُنْثَى : ضَبَّةٌ .

قَالَتِ العربُ : « لا أَفْعَلُهُ حَتَّى يَرِدَ الضَّبُّ » . لأَنَّ الضَّبَّ لا يَرِدُ المَاءَ .

● قَالَ ابْنُ خالَوَيْه في أَوائِلِ « كِتابِ لِيس » : الضَّبُّ لا يَشْرَبُ المَاءَ ، وَيَعِيشُ سَبعمئة سنة فَصاعِداً ؛ وَيُقالُ : إِنَّهُ يَبولُ في كُلِّ أَربعينَ يوماً قَطْرَةً ؛ ولا تَسْقُطُ لَهُ سِنٌّ ؛ وَيُقالُ : إِنَّ أَسْنانَهُ قِطعةٌ واحِدَةٌ ، لَيْسَتْ مُفَرَّقَةً .

وَمِنْ كلامِهم الذي وَضَعُوهُ على أَلْسِنَةِ البَهائِمِ : قالتِ السَّمَكَةُ : رِدْ

---

(١) المخصّص ٨/ ١٥١ . وقال ابن دريد في الجمهرة ١/ ٢١٢ : وذكر قومٌ من أَهل اللُّغة أَنَّ الضُّوْضُؤَ ، هذا الطَّائر الذي يُسمَّى الأَخيل ، ولا أَدري ما صِحَّته .

(٢) البيت بلا نسبة في الجمهرة ١/ ٧٢ و ١٤٦ واللِّسان والتَّاج « ضبب » والاشتقاق ١٩٠ .

يا ضَبُّ ؛ فقَالَ[1] : [من مجزوء الرجز]

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرِدا لا يَشْتَهِي أَنْ يَرِدا
إلاَّ عَراداً عَرِدا وَصِلِّياناً بَرِدَا
وَعَنْكَثاً مُلْتَبِدا

وَلَمَّا كان بَيْنَ الحُوتِ والضَّبِّ هَذَا التَّضَادُّ ، أَشَارَ إِلَيْهِ حاتم الأَصَمُّ رحمهُ اللهُ بِقَوْلِهِ : [من الطَّويل]

وَكَيْفَ أَخافُ الفَقْرَ واللهُ رازِقِي ورازِقُ هَذَا الخَلْقِ في العُسْرِ واليُسْرِ
تَكَفَّلَ بالأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَلِلضَّبِّ في البَيْدَا وَلِلْحُوتِ في البَحْرِ

وَضَبِبَ البَلَدُ ، وأَضَبَّ : كَثُرَتْ ضِبابُهُ ، وأَرْضٌ ضَبِبَةٌ : أَي كَثيرةُ الضِّبابِ[2] .

● قَالَ عبدُ اللَّطِيفِ البَغداديّ : الوَرَلُ والضَّبُّ والحِرْباءُ وشَحْمَةُ الأَرْضِ والوَزَغُ ، كُلُّها مُتناسبةٌ في الخَلْقِ .

وَلِلضَّبِّ ذَكَرانَ وللأُنْثَى فَرْجانِ ؛ كالوَرَلِ والحِرْذَوْنِ .

● وَقَالَ عبدُ القاهِرِ : الضَّبُّ دُوَيْبَّةٌ على حَدِّ فَرْخِ التِّمْسَاحِ الصَّغِيرِ ، وَذَنَبُهُ كَذَنَبِهِ ، وهو يَتَلَوَّنُ أَلواناً بِحَرِّ الشَّمْسِ كَمَا تَتَلَوَّنُ الحِرْباءُ . انتهى .

● أَسندَ ابنُ أَبي الدُّنيا في « كِتابِ العُقُوباتِ » عن أَنَسٍ ، قَالَ[3] : إِنَّ الضَّبَّ لَيَمُوتُ في جُحْرِهِ ، هُزالاً من ظُلْمِ بَنِي آدَمَ .

● ولَمَّا سُئِلَ أَبُو حَنيفةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ عن ذَكَرِ الضَّبِّ ، قَالَ : إِنَّهُ

---

(١) الأَشطار في اللِّسان والتَّاج « ضبب » و « عرد » و « صرد » والحيوان ٦/ ١٢٥ وثمار القلوب ٢/ ٩١٥ .

(٢) معظم ما مضى ، عن الصِّحاح « ضبب » ١/ ١٦٦ ـ ١٦٨ .

(٣) اللِّسان والتَّاج « ضبب » والنِّهاية ٣/ ٧٠ .

كَلِسَانِ الحَيَّةِ ، أَصْلُهُ واحِدٌ ، وَلَهُ فَرْعانِ .

● وإذا[1] أَرادَتِ الضَّبَّةُ أَنْ تُخْرِجَ بَيْضَها ، حَفَرَتْ في الأَرْضِ حُفْرَةً ، وَرَمَتْ فِيها البَيْضَ ، وَطَمَّتْها بالتُّرابِ ، وَتَتَعاهَدُها كُلَّ يَوْمٍ حتَّى يَخْرُجَ ، وَذَلِكَ في أَربعينَ يَوْماً ؛ وَهِيَ تَبِيضُ سَبعينَ بَيْضَةً ؛ وأَكْثَرُ بَيْضِها يُشْبِهُ بَيْضَ الحَمامِ .

وَالضَّبُّ يَخْرُجُ من جُحْرِهِ كَليلَ البَصَرِ ، فَيَجْلُوهُ بِالتَّحدُّقِ للشَّمْسِ ؛ وَيَغْتَذِي بالنَّسِيمِ ، وَيَعِيشُ بِبَرْدِ الهَواءِ ؛ وَذَلِكَ عندَ الهَرَمِ ، وفَناءِ الرُّطُوباتِ ، ونَقْصِ الحراراتِ .

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ العقارِبِ مَوَدَّةٌ ، فَلِذَلِكَ يُؤْوِيها في جُحْرِهِ لِتَلْسَعَ المُتَحَرِّشَ بِهِ إذا أَدْخَلَ يَدَهُ لأَخْذِهِ ؛ ولا يَتَّخِذُ جُحْرَهُ إلاَّ في كُدْيَةِ حَجَرٍ ، خَوْفاً من السَّيْلِ والحافِرِ ، وَلِذَلِكَ تُوجَدُ بَراثِنُهُ ناقِصَةً كَلِيلَةً ، لِحَفْرِهِ بها في الأَماكِنِ الصُّلْبَةِ .

وَفِي طَبْعِهِ النِّسْيَانُ وعَدَمُ الهِدَايَةِ ؛ وَبِهِ يُضْرَبُ المَثَلُ في الحَيْرَةِ ؛ وَلِذَلِكَ لا يحفرُ جُحْرَهُ إلاَّ عِنْدَ أَكَمَةٍ أَوْ صَخْرَةٍ ، لِئِلاَّ يَضِلَّ عنهُ إذا خَرَجَ لَطَلَبِ المَطْعَمِ .

ويُوصَفُ بالعُقُوقِ لأَنَّهُ يَأْكُلُ حُسولَهُ ، فلا يَنْجُو مِنْها إلاّ ما هَرَبَ ؛ وَأَشَارَ إلى ذَلِكَ الشَّاعِرُ بقَوْلِهِ[2] : [من الوافر]

أَكَلْتَ بَنِيكَ أَكْلَ الضَّبِّ حَتَّى   تَرَكْتَ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ

وَهُوَ طَوِيلُ العُمرِ ، وَمِنْ هَذِهِ الجِهاتِ يُناسِبُ الحَيَّاتِ والأَفَاعِي .

وَمِنْ طَبْعِهِ : أَنَّهُ يَرجِعُ فِي قَيْئِهِ كَالكَلْبِ ، وَيَأْكُلُ رَجِيعَهُ ؛ وهُوَ طَوِيلُ الدِّمَاءِ بَعْدَ الذَّبْحِ ، وهَشْمِ الرَّأْسِ ؛ يُقالُ : إِنَّهُ يَمْكُثُ بَعْدَ الذَّبْحِ لَيْلَةً ، ويُلقى

---

(١) الحيوان ٦/ ١١٧ ـ ١١٨ و ١٢٠ ـ ١٢١ .

(٢) نسبه الجاحظ في الحيوان ١/ ١٩٧ إلى العملّس بن عقيل بن عُلَّفة . وبلا نسبة فيه ٦/ ٤٩ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١١٧ .

في النَّارِ فيَتَحَرَّكُ .

وَمِنْ شَأْنِهِ في الشِّتَاءِ أَنْ لا يَخْرُجَ من جُحْرِهِ ؛ وَقَدْ أَشارَ إِلى ذَلِكَ أُمَيَّةُ بن أَبي الصَّلْتِ لَمَّا جاءَ إِلى عبدِ اللهِ بن جُدْعان يَطلبُ نائِلَهُ ، بِقَوْلِهِ[1] : [من الوافر]

أَأَذْكُرُ حاجَتِي أَمْ قد كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيْمَتَكَ الحَيَاءُ[2]

إِذا أَثْنَى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْماً ... كَفَاهُ مِن تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ

كَرِيمٌ لا يُغَيِّرُهُ صَباحٌ ... عَنِ الخُلُقِ الجَمِيلِ ولا مَساءُ

يُبارِي الرِّيْحَ تَكْرُمَةً وَمَجْداً ... إِذا ما الضَّبُّ أَجْحَرَهُ الشِّتاءُ

فَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَناها ... بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَها سَماءُ

فائِدَةٌ : رَوَى « الدَّارَقُطنيّ » و « البَيْهَقيُّ » وشيخه « الحاكِمُ » وشيخه « ابْنُ عَدِيّ » ، عن ابْنِ عُمر عن [عمر بن الخَطَّاب][3] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في مَحْفَلٍ من أَصْحابِهِ ، إِذْ جَاءَ أَعرابيٌّ من بَنِي سُلَيم ، قد صَادَ ضَبّاً ، وَجَعَلَهُ في كُمِّهِ ، ليذهَبَ بِهِ إِلى رَحْلِهِ ؛ فَرَأَى جَماعَةً مُحْتَفِّيْنَ بالنَّبيِّ ﷺ فَقالَ : عَلَى مَن هَؤُلاءِ الجَماعَةُ ؟ فَقَالُوا : على هَذَا الذِي يَزْعمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؛ فَأَتاهُ فَقالَ : يا مُحمَّد ، ما اشْتَمَلَت النِّسَاءُ على ذِي لَهْجَةٍ أَكْذَب منكَ ، فَلَوْلا أَنْ تُسَمِّيَنِي العربُ عَجُولاً لَقَتَلْتُكَ ، وَسَرَرْتُ بِقَتْلِكَ النَّاسَ أَجمعين . فَقَالَ عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : يا رَسُولَ اللهِ ، دَعْنِي أَقْتُلْهُ . فَقَالَ ﷺ : « لا ، أَما عَلِمْتَ أَنَّ الحَلِيْمَ كادَ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً ؟ » ثُمَّ أَقْبَلَ الأَعرابيُّ على رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : واللاَّتِ والعُزَّى ، لا آمَنْتُ بِكَ حتَّى يُؤْمِنَ هذا الضَّبُّ ؛ وَأَخْرَجَ الضَّبَّ من كُمِّهِ ، وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ : إِنْ آمَنَ بِكَ ، آمَنْتُ بِكَ ؛ فَقَالَ ﷺ : « يا ضَبُّ » .

---

(١) ديوانه ٣٣٣ ـ ٣٣٥ .

(٢) في ط : × . . . الوفاءُ .

(٣) دلائل النُّبوَّة لأَبي نعيم ٣٧٧ (٢٧٥) وتاريخ دمشق (السيرة النبوية ٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) والمستطرف ٢/ ٤٩٤ .

فَكَلَّمَهُ الضَّبُّ بِلِسانٍ طَلْقٍ فَصيحٍ ، عَرَبيٍّ مُبينٍ صَريحٍ ، يَفْهَمُهُ القَوْمُ جَميعاً : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يا رَسُولَ رَبِّ العالَمين . فَقَالَ ﷺ : « مَنْ تَعْبُدُ ؟ » قَالَ : الذي في السَّماءِ عَرْشُهُ ، وفي الأَرْضِ سُلْطانُهُ ، وفي البَحْرِ سَبيلُهُ ، وفي الجَنَّةِ رَحْمَتُهُ ، وفي النَّارِ عَذَابُهُ . فَقَالَ ﷺ : « فَمَنْ أَنا يَا ضَبُّ ؟ » قَالَ : أَنْتَ رَسُولُ رَبِّ العالَمينَ ، وخاتَمُ النَّبيِّين ، وَقَدْ أَفْلَحَ من صَدَّقَكَ ، وَقَدْ خَابَ من كَذَّبَكَ . فَقَالَ الأَعرابيُّ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقّاً ؛ واللهِ لَقَدْ أَتَيْتُكَ وما على وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ هو أَبْغَضُ إِليَّ مِنْكَ ، وواللهِ لأَنْتَ السَّاعَةَ أَحَبُّ إِليَّ من نَفْسِي ، وَمِنْ وُلْدِي ؛ فَقَدْ آمَنَ بكَ شَعْرِي وَبَشَرِي، وداخِلِي وخارِجِي، وَسِرِّي وعَلانِيتِي؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الحَمْدُ للهِ الذي هَدَاكَ إِلى هَذَا الدِّينِ ، الذِي يَعْلُو وَلا يُعْلَى عليهِ ، ولا يَقْبَلُهُ اللهُ إِلاَّ بِصَلاةٍ ، ولا يَقْبَلُ الصَّلاةَ إِلاَّ بِقُرْآنٍ » .

قَالَ : فَعَلِّمْنِي ؛ فَعَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ سورة الفاتِحَةِ وسُورَةَ الإِخْلاصِ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ما سَمِعْتُ في البَسِيطِ ولا في الوَجِيزِ أَحْسَنَ من هَذَا ؛ فَقَالَ ﷺ : « إِنَّ هَذَا كَلامُ رَبِّ العَالَمين ، وَلَيْسَ بِشِعْرٍ ؛ إذا قَرَأْتَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ [الإخلاص : ١] مَرَّةً ، فَكَأَنَّما قَرَأْتَ ثُلُثَ القُرْآنِ ، وإِذا قَرَأْتَها مَرَّتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأْتَ ثُلُثَي القُرْآنِ ، وإذا قَرَأْتَها ثَلاثاً فَكَأَنَّما قَرَأْتَ القُرآنَ كُلَّهُ » . فقَالَ الأَعرابيُّ : إِنَّ إِلَهَنا يَقبلُ اليَسِيرَ ويُعْطِيَ الكَثِيرَ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « أَلَكَ مَالٌ ؟ » فَقَالَ : ما فِي بَنِي سُلَيْمٍ قاطِبَةً رَجُلٌ أَفْقَرُ مِنِّي ؛ فَقَالَ ﷺ لأَصْحابِهِ : « أَعْطُوهُ » . فأَعطوهُ حَتَّى أَبْطَرُوهُ ، فَقَالَ عبدُ الرَّحمنِ بن عوف : يا رَسُولَ اللهِ أَنا أُعْطِيه ناقَةً عُشَرَاءَ ، تَلْحَقُ ولا تُلْحَقُ ، أُهْدِيَتْ إِليَّ يَوْمَ تَبُوكٍ ، فَقَالَ ﷺ : « قَدْ وَصَفْتَ ما تُعْطِي ، وَأَصِفُ لَكَ مَا يُعْطِيكَ اللهُ جَزاءً » . قَالَ : نعم ، صِفْ لِي يا رَسُولَ اللهِ ؛ قَالَ ﷺ : « لَكَ بِها ناقَةٌ من دُرَّةٍ بَيْضاءَ جوْفَاءَ ، قوائِمُها من زَبَرْجَدٍ أَخْضَرَ ، وعَيْنَاها من يَاقُوتٍ

أَحمر ، عَلَيْها هَوْدَجٌ ، وعلى الهَوْدَجِ السُّنْدُسُ وَالإِسْتَبْرَقُ ، تَمُرُّ بِكَ على الصِّراطِ كَالبَرْقِ الخاطِفِ » .

فَخَرَجَ الأَعرابيُّ من عِندِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتلَقَّاهُ أَلْفُ أَعرابيٍّ ، على أَلْفِ دابَّةٍ ، بِأَلْفِ سَيْفٍ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : أَينَ تُرِيدُونَ ؟ فقَالُوا : نُرِيدُ هَذَ الَّذِي يَكذبُ ، ويَزعمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؛ فَقَالَ الأَعرابيُّ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ . فقَالُوا : صَبَأْتَ ؛ فَحَدَّثَهُمْ بِحَدِيْثِهِ ، فَقَالُوا : كُلُّهم : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهَ ، محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ؛ ثُمَّ أَتوا النَّبيَّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مُرْنَا بِأَمْرِكَ ؛ فَقَالَ ﷺ : « كُونُوا تَحتَ رايَةِ خالدِ بنِ الوَلِيدِ » .

فَلَمْ يُؤْمِنْ في أَيَّامِه ﷺ من العَرَبِ ولا من غَيْرِهم أَلْفٌ غَيْرُهُم[1] .

الحُكْمُ : يَحِلُّ أَكْلُ الضَّبِّ بالإِجْماعِ .

قَالَ في « الوَسِيطِ » : ولا يُؤْكَلُ من الحَشَراتِ إِلاَّ الضَّبُّ :

قَالَ ابْنُ الصَّلاحِ في « مشكله » : هَذَا غَيْرُ مَرْضِيٍّ ، فإِنَّ في الحَشَرَاتِ اليَرْبُوعَ والقُنْفُذَ ؛ ذَكَرَهُما الأَزْهريُّ وغيره .

● وَرَوَى « الشَّيْخَان »[2] عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قِيلَ لَهُ : أَحَرامٌ هُو ؟ قَالَ : « لا ، ولكنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي ، فأَجِدُنِي أَعافُهُ » .

● وفي « سُنَنِ أَبي داود »[3] : لَمَّا رَأَى النَّبيُّ ﷺ الضَّبَّيْنِ المَشْوِيَّيْنِ بَزَقَ ، فَقَالَ خَالِدٌ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَراكَ تَقْذَرُهُ » . وَذَكَرَ تَمامَ الحَدِيثِ .

---

(١) قَالَ الذَّهبيُّ في ميزان الاعتدال ٣/ ١٥١ : إِنَّهُ خبرٌ باطلٌ .

(٢) البُخاريّ ٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ومسلم (١٩٤٥ ـ ١٩٤٦) وأَبو داود (٣٧٩٤) وابن ماجه (٣٢٤١) .

(٣) لم يرد هذا الخبر في سنن أَبي داود .

● وَفِي رِوايَةٍ لِمُسْلِمٍ[١] ، « لا آكُلُهُ ولا أُحَرِّمُهُ » . وفي الأُخْرى : « كُلُوهُ ، فإِنَّهُ حَلالٌ ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ من طَعامِي » .

وَكُلُّ هَذِهِ الرِّواياتِ صَريحةٌ في الإِباحَةِ ، وَلأَنَّ العربَ تَسْتَطِيْبُهُ ؛ والدَّليلُ عَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ[٢] : [من المتقارب]

أَكَلْـتُ الضِّبـابَ فَمَـا عِفْتُهـا ... وإِنِّـي اشْتَهَيْـتُ قَـديـدَ الغَنَـمْ
وَلَحْـمَ الخَـرُوفِ حَنِيْـذاً وَقَـدْ ... أُتِيْـتُ بِـهِ فـاتِـراً فـي الشَّبَـمْ
وَأَمَّـا البَهَـطُ وَحِيْتـانُكُـمْ ... فَـأَصْبَحْـتُ مِنْهـا كَثيـرَ السَّقَـمْ[٣]
وَرَكَّبْـتُ زُبْـداً علـى تَمْـرَةٍ ... فَنِعْـمَ الطَّعـامُ وَنِعْـمَ الأَدَمْ
وَقَـدْ نِلْـتُ مِنْهـا كَمَـا نِلْتُـمُ ... فَلَـمْ أَرَ فِيهـا كَضَـبٍّ هَـرِمْ
وَمَـا فـي البُيُـوضِ كَبَيْـضِ الـدَّجاجِ ... وَبَيْـضُ الـدَّجـاجِ شِفـاءُ القَـرِمْ
وَمَكْـنُ الضِّبـابِ طَعـامُ العُـرَيْـبِ ... وَكـاشِيـهِ مِنهـا رُؤُوسُ العَجَـمْ[٤]

قَولُهُ : الحنيذ : أَيِ المَشْوِيّ . وَماءُ الشَّبَمِ - بِفَتْحِ الشِّينِ المُعجمةِ ، وَفَتْحِ الباءِ المُوَحَّدَةِ - : ماءُ الأَسْنانِ[٥] . والبِهَضُّ - بِكَسْرِ الباءِ المُوَحَّدَةِ ، وفَتْحِ الهاءِ ، وبالضَّادِ المُعجمةِ[٦] - : الأَرُزُّ باللَّبَنِ . والقَرِمُ - بِفَتْحِ القافِ وَكَسْرِ الرَّاءِ - : الرَّجُلُ يَشْتَهِي اللَّحْمَ . والمَكْنُ - بِفَتْحِ الميمِ ، وإِسْكانِ الكافِ ،

---

(١) البخاري ٦/ ٢٣١ ومسلم (١٩٤٣) والتِّرمذيّ (١٧٩٠) وابن ماجه (٣٢٤٢) .
(٢) الأبيات لأَبي الهنديّ [عبد المؤمن بن عبد القدُّوس بن شبث بن ربعيّ] في عيون الأَخبار ٣/ ٢١٠ - ٢١١ والحيوان ٦/ ٨٨ - ٨٩ .
(٣) في الأُصول : وأَمَّا البهضُّ . . × ! . والبهطُ : البطُّ .
(٤) كذا ورد العجز في الأُصول ، وهو غير واضح المعنى ؛ وروايته في عيون الأَخبار والحيوان : × ولا تشتهيه نُفوسُ العَجَمْ .
(٥) كذا ! وهو غير صحيح . فالشَّبَمُ : البَرْدُ . (القاموس) .
(٦) هذا كلُّه خطأٌ ، صوابه : البَهَطُّ - بفتح الباء والهاء ، وتشديد الطَّاء المهملة . (القاموس) .

وبالنُّونِ في آخِرِهِ : بَيْضُ الضَّبِّ . والكُشَا : جمعُ كُشْيَةٍ ، بِضَمِّ الكافِ ، وإِسْكَانِ الشِّينِ المُعجمةِ[1] .

ولا يُكْرَهُ أَكْلُهُ عندَنا ، خِلافاً لِبَعْضِ أَصْحابِ أَبي حَنيفة ؛ وَحَكَى القاضي عِياضٌ عن قَومٍ تَحريمَهُ . قَالَ الإِمامُ العلاَّمةُ النَّوويُّ : وما أَظُنُّهُ يَصِحُّ عن أَحَدٍ . ا هـ .

● وَأَمَّا ما رُوِيَ عن عبدِ الرَّحمنِ بن حَسَنَة ، قَالَ[2] : « نَزَلْنا أَرْضاً كَثِيرَةَ الضِّباب ، فأَصابَتْنَا مَجاعَةٌ ، فَطَبَخْنا مِنْها ـ أَي من الضِّباب ـ فإِنَّ القُدُرَ لَتَغْلِي ، إِذْ جاءَنا رَسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « ما هذا ؟ » فَقُلنا : ضِبابٌ أَصَبْناها ، فَقَالَ : « إِنَّ أُمَّةً من بَني إِسرائيلَ مُسِخَتْ دَوابَّ في الأَرْضِ ، وإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ هَذا مِنْها ، فَلَمْ آكُلْها وَلَمْ أَنْهَ عَنْها » . فَيُحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ قبلَ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المَمْسُوخَ لا يُعْقِبُ .

● وفي « صَحيحِ البُخاريّ »[3] عن أَبي هُريرة رَضِيَ الله تعالى عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمّا خَرَجَ إِلى حُنينٍ ، مَرَّ بَشَجَرَةٍ للمُشْرِكِينَ يُقالُ لَها ذاتُ أَنْواطٍ ، يُعَلِّقُونَ عليها أَسلحتَهم ، فقالوا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذاتَ أَنواط ، كما لهم ذات أَنواط ، فقال ﷺ : « سُبْحانَ الله ! هَذَا كَمَا قَالَ قومُ مُوسى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كما لَهُمْ آلِهَةٌ ، فَوَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ ، وذِراعاً بِذِراعٍ ، حتَّى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » . قَالُوا : يا رَسُولَ الله ، اليَهُودُ والنَّصارَى ؟ قَالَ : « فَمَنْ ؟ » .

---

(1) الكُشْيَةُ : شحمة بطن الضَّبِّ ، أَو أَصل ذَنَبِهِ . (القاموس) .

(2) مسلم (١٩٥١) وأَبو داود (٣٧٩٥) وابن ماجه (٣٢٣٨) .

(3) هذا حديث مركبٌ من حديثين ، صدره في التِّرمذيّ (٢١٨٠) ومسند أَحمد ٥/ ٢١٨ . وباقيه في البخاري ٨/ ١٥١ ومسلم (٢٦٦٩) .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما : ما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبارِحَةِ ؛ هَؤُلاءِ بَنُو إسرائِيل.

قَالَ ابْنُ عَربيّ في « عارِضة الأَحْوذيّ » : تَفَكَّرْتُ بُرْهَةً في وَجْهِ ضَرْبِ المَثَلِ بالضَّبِّ ، فَعَرَضت لِي في الخاطِرِ مَعانٍ ، أَشْبَهُها الآنَ أَنَّ الضَّبَّ عند العربِ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ للحاكِمِ من الإنْسِ ، والحاكِمُ تأْتِي إِلَيْهِ الخَلْقُ بأَجْمَعِهم فِيما يَعْرِضُ من الأُمُورِ لَهُم ، فلا يَتَأَخَّرُ أَحَدٌ عنهُ ؛ فَكَأَنَّ المَعْنَى مَصيرُهم لِذَلِكَ .

الأَمْثالُ : قالُوا[1] : « أَضَلَّ من ضَبٍّ » . والضَّلالُ ضِدُّ الهِدايَةِ ؛ وَكَذَلِكَ قَالُوا في الوَرَلِ كما سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى .

وقَالُوا[2] : « أَعَقُّ من ضَبٍّ » . قَالَ ابْنُ الأَعرابيِّ : إِنَّما يُرِيدُونَ الأُنْثَى ، وعُقوقُها أَنَّها تَأْكُلُ أَولادَها . و « أَحْيَا من ضَبٍّ »[3] : أَي أَطْوَلُ عُمراً ؛ و « أَحْيَرُ من ضَبٍّ »[4] ؛ و « أَبْلَدُ من ضَبٍّ »[5] ؛ و« أَخْدَعُ من ضَبٍّ »[6] .

قَالَ الشَّاعِرُ[7] : [من الطَّويل]

وَأَخْدَعُ من ضَبٍّ إذا جَاءَ حارِشٌ أَعَدَّ لَهُ عِنْدَ الذُّبابَةِ عَقْرَبا

---

(١) الميداني ٢/ ٤٢٦ وحمزة ١/ ٢٨٢ والعسكري ٢/ ١١ والزمخشري ١/ ٢١٧ وفصل المقال ١٦٣ .

(٢) الميداني ٢/ ٤٧ وحمزة ١/ ٣٠٦ والعسكري ٢/ ٦٩ والزمخشري ١/ ٢٥٠ .

(٣) الميداني ١/ ٢١٨ و ٢٢٦ وحمزة ١/ ١٦٠ والعسكري ١/ ٤٠١ والزمخشري ١/ ٩٠ وأَبو عُبيد ٣٦٩ .

(٤) الميداني ١/ ٢٢٧ وحمزة ١/ ١٥٩ والعسكري ١/ ٤٠٠ والزمخشري ١/ ٩٠ .

(٥) لم يرد في كتب الأَمثال .

(٦) الميداني ١/ ٢٦٠ وحمزة ١/ ١٩٣ و ٣٣٠ والعسكري ١/ ٤٤٠ والزمخشري ١/ ٩٥ .

(٧) البيت لأَبي الوجيه العكلي ، في الحيوان ٦/ ٥٣ . وبلا نسبة في الميداني وحمزة والعسكري .

وَقَالُوا[1] : « أَعْقَدُ من ذَنَبِ الضَّبِّ » . لأَنَّ عُقَدَهُ كثيرةٌ .

● وَزَعَمُوا[2] أَنَّ بَعْضَ الحاضِرَةِ كَسَا أَعرابيّاً ثَوْباً ، فَقَالَ : لأُكافِئَنَّكَ على فِعْلِكَ بِما أُعْلِمُكَ كَمْ في ذَنَبِ الضَّبِّ من عُقدةٍ ؟ قَالَ : لا أَدْرِي . قَالَ : فِيهِ إِحْدَى وعِشرون عُقْدَةً .

الخَواصُّ[3] : إذا خَرَجَ الضَّبُّ من بَيْنِ رِجْلَي إِنْسَانٍ ، لا يَقْدِرُ بعدَ ذَلِكَ على مُباشَرَةِ النِّسَاءِ .

وَمَنْ أَكَلَ قَلْبَهُ ، أَذْهَبَ عنهُ الحُزْنَ والخَفَقَان .

وَشَحْمُهُ يُذابُ وَيُطْلَى بِهِ القَضِيبُ يُهَيِّجُ شَهْوَةَ الجِماعِ ؛ وَمَنْ أَكَلَ منهُ ، لا يَعطشُ زَماناً طَوِيلاً .

وخُصْيَتَاهُ : من اسْتَصْحَبَهُما معهُ ، يُحِبُّهُ الخَدَم مَحَبَّةً شَديدةً .

وَكَعْبُهُ يُشَدُّ على وَجْهِ الفَرَسِ ، لا يَسْبِقُهُ شَيْءٌ من الخَيْلِ عندَ المُسابَقَةِ .

وَجِلْدُهُ يُجْعَلُ منهُ غِلافٌ للسَّيْفِ ، يُشَجِّعُ صاحِبَهُ ؛ وإِنِ اتُّخِذَ ظَرْفاً للعَسَلِ ، فَمَنْ لَعَقَ منهُ هَيَّجَ شَهْوَةَ الجِماعِ ، ويُورِثُ إِنْعاظاً شَديداً .

وَبَعْرُهُ يَنْفَعُ من البَرَصِ والكَلَفِ طِلاءً ، ومن بَياضِ العَيْنِ اكْتِحالاً ، وَمِنْ نُزُولِ الماءِ فِيها .

التَّعبيرُ[4] : الضَّبُّ في المَنامِ : رَجلٌ عربيٌّ خَدَّاعٌ ، في أَمْوالِ النَّاسِ ومالِ صاحِبِهِ .

---

(١) الميداني ٢/ ٥٠ وحمزة ١/ ٣١٢ والعسكري ٢/ ٧٤ والزمخشري ١/ ٢٥٠ .

(٢) الخبر في الميداني والزمخشري .

(٣) عجائب المخلوقات ٢٩٧ ومسالك الأبصار ١١٧/٢٠ وتذكرة داود ٢٢٦/١ والمستطرف ٢/ ٤٩٥ .

(٤) تفسير الواعظ ٣١١ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْهُولُ النَّسَبِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ رَجُلٌ مَلْعُونٌ ، لأَنَّهُ من المَمْسُوخِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ يَدُلُّ على الشُّبْهَةِ في الكَسْبِ . وَقِيلَ : من رَأَى الضَّبَّ في المَنامِ ؛ فإِنَّهُ يَمْرَضُ .

٥٥٥ الضَّبُعُ : مَعروفَةٌ ؛ ولا تَقُلْ ضَبُعَةٌ ، لأَنَّ الذَّكَرَ ضِبْعانٌ ، والجَمْعُ ضَباعِيْنٌ ، مِثل سِرْحانٍ وَسَرَاحِيْن ؛ والأُنْثَى ضِبْعَانَةٌ ، والجَمْعُ ضِبْعاناتٌ وضِباعٌ ؛ وَهَذَا الجَمْعُ لِلذَّكَرِ والأُنْثَى ، مِثْلُ سَبُعٍ وَسِباعٍ . كَذَا قَالَهُ الجَوهريُّ[١] .

● وَقَالَ ابْنُ بَرِّي : قَوْلُهُ : وَالأُنْثَى ضِبْعَانَةٌ ، لا يُعْرَفُ .

● وَفِي مَسائل الضَّبُعِ مَسْأَلَةٌ لَطِيْفَةٌ ، وهِيَ أَنَّ من أُصُولِ العَرَبِيَّةِ التي يَطَّرِدُ حُكْمُها ، ولا يَنْحَلُّ نَظْمُها : أَنَّهُ متى اجْتَمَعَ المُذَكَّرُ والمُؤَنَّثُ ، غَلَبَ حُكْمُ المُذَكَّرِ على المُؤَنَّثِ ، لأَنَّهُ هُوَ الأَصْلُ ، والمُؤَنَّثُ فَرْعٌ عنهُ ، إلاَّ في موضعينِ : أَحَدُهُما : أَنَّكَ مَتَى أَرَدْتَ تَثْنِيَةَ الذَّكَرِ والأُنْثَى من الضِّباعِ ، قُلت : ضَبُعانِ ، وَأَجْرَيْتَ التَّثْنِيَةَ على لَفْظِ المُؤَنَّثِ الذي هُوَ ضَبُعٌ ، لا عَلَى لَفْظِ المُذكَّرِ الَّذِي هُوَ ضِبْعانٌ ؛ وإِنَّما فُعِلَ ذَلِكَ فِراراً مِمَّا كان يَجْتَمِعُ من الزَّوائِدِ أَنْ لو ثُنِّيَ على لَفْظِ المُذَكَّرِ .

والمَوْضِعُ الثَّانِي : أَنَّهُم في بابِ التَّارِيخِ أَرَّخُوا باللَّيَالِي ، وهِيَ مُؤَنَّثَةٌ دُونَ الأَيَّامِ التي هِيَ مُذَكَّرَةٌ ؛ وإِنَّما فَعَلُوا ذَلِكَ مُراعاةً لِلأَسْبَقِ ، والأَسْبَقُ من الشَّهْرِ لَيْلَتُهُ . هَذَا كَلامُهُ بِحُرُوفِهِ .

● وَقَالَ الحريريُّ في « الدُّرَّةِ »[٢] : إِذا اجْتَمَعَ المُذَكَّرُ والمُؤَنَّثُ ، غَلَبَ المُذَكَّرُ ، إلاَّ في التَّارِيخِ فإِنَّهُ بِالعَكْسِ ، وإِلاَّ في تَثْنِيَةِ ضَبُعٍ وضِبْعَانٍ ، فَيُقالُ :

---

(١) الصِّحاح « ضبع » ٣/ ١٢٤٧ ـ ١٢٤٨ .

(٢) دُرَّةُ الغَوَّاص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

ضَبُعَانِ ـ بِفَتْحِ الضَّادِ ، وَضَمِّ البَاءِ ، والنُّون مَكْسُورَةٌ .

● وَعَنِ ابْنِ الأَنباريِّ : أَنَّ الضَّبُعَ يُطْلَقُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى ؛ وَكَذَلِكَ حَكَاهُ ابْنُ هِشام الخَضْراويّ في كِتابِهِ « الإِفْصَاح في فَوائِدِ الإِيْضَاحِ » للفارسيِّ عن أَبي العبَّاسِ وغَيْرِهِ ؛ والمَعْرُوفُ في « المُحكم » وغيرِهِ ما تَقَدَّمَ .

● وَتَصْغِيرُ الضَّبُعِ : أُضَيْبِعٌ ، لِما تَقَدَّمَ في أَوَّلِ « بابِ الهَمْزَةِ » مِمَّا رَواهُ « مُسلم »[1] في بابِ إِعْطاءِ القاتِلِ سَلَبَ المَقْتُول ، من طَرِيقَ أَبي قَتادةَ ، من حَدِيثِ اللَّيْثِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ : كَلاَّ ، لا يُعْطِيهِ لأُضَيْبِعٍ من قُرَيْشٍ ، وَيَدَعُ أَسَداً من أُسْدِ اللهِ .

وَشَذَّ الخَطابيُّ فَقَالَ : الأُضَيْبِعُ : نَوْعٌ من الطُّيُورِ .

● وَمِنْ أَسْماءِ الضَّبُعِ : جَيْأَلُ ، وَجَعارِ ، وَحَفْصَة .

● وَمِنْ كُناها[2] : أُمُّ خَنُّورٍ[3] ، وَأُمُّ طَرِيقٍ ، وأُمُّ عامِرٍ ، وأُمُّ القُبُورِ ، وأُمُّ نَوْفَلٍ[4] .

وَالذَّكَرُ[5] : أَبُو عامِرٍ ، وَأَبُو كَلْدَةَ ، وَأَبُو الهِنْبِرِ .

● وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الهَمْزَةِ » أَنَّ الضَّبُعَ تَحِيضُ كالأَرْنَبِ . تَقُولُ : ضَحِكَتِ الأَرانِبُ ضِحْكاً : أَي حاضَتْ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[6] : [من المتقارب]

وَضِحْكُ الأَرانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كَمِثْلِ دَمِ الحَرْبِ يَوْمَ اللِّقَا

---

(١) البخاري ٨/ ١١٣ ومسلم (١٧٥١) .

(٢) المرصّع ١٥٧ و ٢٣١ و ٢٤٣ و ٢٧٤ و ٣٢٤ و ٣٦٧ .

(٣) على وزن سَفُّود . ويُقال : أُمُّ خِنَّوْر ، على وزن سِنَّوْرٍ . (المرصع) .

(٤) وَيُقال : أُمُّ نُفَلٍ . (المرصع ٣٢٤) .

(٥) المرصع ٢٣٨ و ٢٨٧ و ٣٤٤ و ٣٦٧ .

(٦) البيت في اللِّسان والتّاج « ضحك » بلا نسبة ، وقد مضى .

يَعْنِي الحَيْضَ فِيمَا زَعَمَ بَعْضُهم .

● وَقَالَ ابْنُ الأَعرابيِّ في قَوْلِ ابْنِ أُخْتِ تَأَبَّطَ شَرّاً[1] : [من مجزوء المديد]

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ

أَي أَنَّ الضَّبُعَ إذا أَكَلَتْ لُحُومَ النَّاسِ ، أَوْ شَرِبَتْ دِماءَهُم ، طَمِثَتْ ، وَقَدْ أَضْحَكَها الدَّمُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[2] : [من الوافر]

وَأَضْحَكَتِ الضِّبَاعَ سُيُوفُ سَعْدٍ لِقَتْلَى ما دُفِنَّ ولا وُدِينَا

● وَكَانَ ابْنُ دُرَيْدٍ يَرُدُّ هَذَا ، وَيَقُولُ[3] : من شاهَدَ الضِّباعَ عندَ حَيْضِها ، حتَّى عَلِمَ أَنَّها تَحِيضُ ؟ وإِنَّما أَرادَ الشَّاعرُ أَنَّها تَكْشِرُ لأَكْلِ اللُّحُومِ - وَهَذَا سَهْوٌ منهُ - فَجَعَلَ كَشْرَها ضَحِكاً ؛ وَقِيلَ : مَعناهُ أَنَّها تَسْتَبْشِرُ بالقَتْلَى إذا أَكَلَتْهُم ، فَيَهِرُّ بَعْضُها على بَعْضٍ ؛ فَجَعَلَ هَرِيرَها ضَحِكاً ؛ وَقِيلَ : أَرادَ أَنَّها تُسَرُّ بِهِم ، فَجَعَلَ السُّرُورَ ضَحِكاً ، لأَنَّ الضَّحِكَ إِنَّما يَكُونُ منهُ ، كَتَسْمِيَةِ العِنَبِ خَمْراً ؛ وَتَسْتَهِلُّ الذِّئابُ : تَصِيحُ وَتَعْوِي . قَالَهُ ابْنُ سِيْدَه[4] .

● وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِها أَنَّها كَالأَرانِبِ ، تَكُونُ سَنَةً ذَكَراً ، وَسَنَةً أُنْثَى ؛ فَتُلْقِحُ في حَالِ الذُّكُورَةِ ، وتَلِدُ في حَالِ الأُنُوثَةِ . نَقَلَهُ الجاحِظُ والزَّمخشريُّ في « رَبِيْعِ الأَبرارِ » والقَزْوينيّ في « عجائِبِ المخلوقاتِ » وفي كتابِ « مُفيد العُلوم

---

(١) ديوان تأَبّطَ شَرّاً ٢٥٠ . والخلاف قديم في نسبة هذه القصيدة إلى تأَبّطَ شرّاً أَو لابن أُخته أَو للشّنفرى أَو لخلف الأحمر . وانظر ديوان تأَبّطَ شرّاً ٤٢ ـ ٤٤ . ونسبه ابن دريد في الجمهرة ١/ ٥٤٦ . إلى العدوانيّ ، ثُمَّ قَالَ : وقَالَ قومٌ : إِنَّهُ لتأَبّطَ شَرّاً .

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدي ، في ديوانه ١/ ٤٢١ .

(٣) كذا في اللّسان والتّاج «ضبع» والمخصّص ٨/ ٧١ـ٧٢ . وليس هذا من قول ابن دريد ، بل هو من قول أَبي حاتم ، كما في الجمهرة ١/ ٥٤٦ . قَالَ ابن دريد : وسأَلْتُ أَبا حاتمٍ عن هذا ، فَقَالَ : متى صحَّ عندهم أَن الضّبع تحيض ؟ وقالَ : يا بُنيَّ ، إِنَّما هي تكشر للقتلى . . .

(٤) المخصَّص ٨/ ٧١ ـ ٧٢ واللِّسان « ضحك » .

* * *



ومُبيد الهُموم » وابْنُ الصَّلاحِ في « رِحْلَتِهِ » عن أَرْسَطاطاليس ، وغيرهم[1] .

● قَالَ القَزوينيُّ[2] : وفي العَرَبِ قومٌ يُقالُ لَهُمْ : الضَّبْعِيُّونَ ، لو كان أَحَدُهُم في قَفَلٍ فِيهِ أَلْفُ نَفْسٍ ، وَجَاءَ الضَّبُعُ ، لا يَقْصِدُ أَحَداً سِواهُ .

● وَالضَّبُعُ تُوصَفُ بالعَرَجِ ولَيْسَتْ بعَرْجاءَ ، وإِنَّما يَتَخَيَّلُ ذَلِكَ لِلنَّاظِرِ ؛ وسببُ هَذَا التَّخَيُّلِ لُدُونَةٌ في مَفاصِلِها ، وَزِيادَةُ رُطُوبَةٍ في الجانِبِ الأَيْمَنِ على الأَيْسَرِ منها .

وَهِيَ مُولَعَةٌ بِنَبْشِ القُبُورِ ، لِكَثْرَةِ شَهْوَتِها لِلُحومِ بَنِي آدم .

وَمَتى رَأَتْ إِنْساناً نائِماً ، حَفَرَتْ تَحْتَ رَأْسِهِ ، وَأَخَذَتْ بِحَلْقِهِ ، فَتقتلهُ وتَشْرَبُ دَمَهُ .

وَهِيَ فاسِقَةٌ ؛ لا يَمرُّ بها حَيْوانٌ من نَوْعِها إِلاَّ عَلاها .

● وتَضربُ العَرَبُ بِها المَثَلَ في الفَسَادِ ، فَإِنَّها إِذا وَقَعَتْ في الغَنَمِ عاثَتْ ، وَلَمْ تَكْتَفِ بِما يَكْتَفِي بِهِ الذِّئْبُ ؛ فإِذا اجْتَمَعَ الذِّئْبُ والضَّبُعُ في الغَنَمِ سَلِمَتْ ، لأَنَّ كُلَّ واحِدٍ منهُما يَمْنَعُ صاحِبَهُ ؛ والعَرَبُ تَقُولُ في دُعائِها : اللَّهُمَّ ضَبُعاً وَذِئْباً[3] ؛ أَي اجمعْهُما في الغَنَمِ لِتَسْلَمَ ، ومنهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ[4] : [من البسيط]

تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْماً فَقُلْتُ لَهَا : يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْها الذِّئْبَ والضَّبُعا

قِيلَ لِلأَصمعيِّ : هَذا دُعاءٌ لَها أَم عليها ؟ فقال : دُعاءٌ لَها . وَذَكَرَ ما تَقَدَّمَ .

---

(١) الحيوان ٧/ ١٦٨ وربيع الأبرار ٥/ ٤١٨ وعجائب المخلوقات ٢٦٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٥١ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٦٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ٥٢ .

(٣) الميداني ٢/ ٨٤ والزمخشري ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، عند ذكر المثل : « أَفسد من ضبعٍ » واللّسان والتَّاج « ضبع » .

(٤) البيت بلا نسبة في مصادر المثل .

● والضَّبُعُ إذا وَطِئَتْ ظِلَّ الكَلْبِ فِي القَمَرِ ، وهو على سَطْحٍ ، وَقَعَ الكَلْبُ ، فأَكَلَتْهُ .

وَتُوصَفُ بالحُمْقِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّيَّادِينَ لَها يَقُولُونَ على بابِ وِجارِها كَلماتٍ يَصِيدُونَها بِها ، كَمَا تَقَدَّمَ في « الذّيخ » ؛ وَالجاحِظُ يَرَى هَذَا من خُرافاتِ العَرَبِ[1] .

وَتَلِدُ من الذِّئْبِ جَرْواً ، وَيُسَمَّى العِسْبَار ؛ قَالَ الراجِزُ[2] : [من الرجز]

يَا لَيْتَ لي نَعْلَيْنِ من جِلْدِ الضَّبُعْ وَشُرُكاً مِن ثَفْرِها لا تَنْقَطِعْ
كُلَّ الحِذاءِ يَحْتَذِي الحافِي الوَقِعْ

والثَّفْرُ للسِّباعِ وَكُلِّ ذاتِ مَخالِبَ ، بِمَنْزِلَةِ الحَياءِ من النَّاقَةِ .

وَحُكْمُها : حِلُّ الأَكْلِ. قَالَ الشَّافعيُّ رحمهُ اللهُ تَعالَى : « نَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ من السِّباعِ » . فَمَا قَوِيَتْ أَنْيَابُهُ فَعَدا بها على الحَيْوانِ طالِباً غيرَ مَطْلُوبٍ، يَكُونُ عَداوُهُ بأَنْيَابِهِ عِلَّةَ تَحْرِيمِ أَكْلِه، والضَّبُعُ لا يَغْتَذِي بالعَدْوَى، وَقَدْ يَعِيشُ بغيرِ أَنْيابِهِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ في « بابِ الهَمْزَةِ » في لَفْظِ « الأَسَدِ » .

وَبِحِلِّها قَالَ الإِمامُ أَحمد وإِسحاق وأَبُو ثَوْر وأَصْحابُ الحَدِيثِ ؛ وَقَالَ مَالِكٌ : يُكْرَهُ أَكْلُها ؛ والمَكْرُوهُ عندَهُ : ما أَثِمَ آكِلُهُ ، ولا يُقْطَعُ بتَحْرِيمِهِ .

واحْتَجَّ الشَّافعيُّ بما رُوِيَ عن سَعد بن أَبِي وقَّاصٍ ، أَنَّهُ كان يَأْكُلُ الضَّبُعَ ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وعَطَاءٌ .

---

(١) الحيوان ٧/ ٣٨ .
(٢) الأَشطار لأَبي المقدام ، جسَّاس بن قُطيب ، في اللّسان والتَّاج « وقع » .
وبلا نسبة في بيان الجاحظ ٣/ ١٠٩ والحيوان ٦/ ٤٤٦ والبخلاء ١٨٨ وأَمالي القالي ١/ ١١٥ والعقد ٣/ ١١٣ و ٤٢٩ و ٦/ ٢٢٨ وجمهرة ابن دريد ٢/ ٩٤٤ ، والاشتقاق ٢٩١ ومعاني الشعر للأُشنانداني ١٣٤ .

وَقَالَ أَبُو حَنيفة : الضَّبُعُ حَرامٌ ؛ وهُوَ قَوْلُ سَعيدِ بن المسيّب وَالثّوريّ ، مُحْتَجِّيْنَ بِأَنَّهُ ذُو نابٍ ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن أَكْلِ كُلِّ ذِي نابٍ من السِّبَاعِ .

● وَدَلِيلُنا ما رَوى عبدُ الرَّحمنِ بن أَبي عمَّارٍ ، قَالَ[1] : سَأَلْتُ جابِرَ بن عبدِ اللهِ عن الضَّبُعِ ، أَصَيْدٌ هِيَ ؟ قَالَ : نعم . قُلْتُ : أَتُؤْكَلُ ؟ قَالَ : نعم . قلتُ : أَقالَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ : نَعم . أَخْرَجَهُ التِّرْمذيُّ وغيرُهُ ، وَقَالَ : حسنٌ صَحيحٌ .

● وَقَالَ جابرٌ[1] : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الضُّبُعُ صَيْدٌ ، وَجَزاؤُهُ كَبْشٌ مُسِنٌّ ، وَيُؤْكَلُ » رَواهُ الحاكِمُ ، وَقَالَ : صَحيحُ الإِسْنادِ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ السَّكَن أَيْضاً في « صِحاحِهِ » .

قَالَ التِّرْمِذيُّ : سَأَلْتُ البُخاريّ عنه ، فَقَالَ : إِنَّهُ حَديثٌ صَحيحٌ .

● وفي البيهقيّ : عن عبدِ اللهِ بن مُغَفَّل السُّلَميّ ، قَالَ : قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، ما تَقُولُ في الضَّبُعِ ؟ قَالَ : « لا آكُلُهُ ولا أَنْهَى عنهُ » . قَالَ : قلتُ : « مَا لَمْ تَنْهَ عنهُ فإِنِّي آكُلُهُ » . إِسنادُهُ ضَعِيفٌ .

● قَالَ الشَّافعيُّ : وَمَا زَالَ لَحْمُ الضَّبُعِ يُباعُ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةَ من غيرِ نَكيرٍ .

وَأَمَّا ما ذَكَرَوهُ من حَديثِ النَّهْيِ عن أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ من السِّباعِ ؛ فإِنَّهُ مَحمولٌ على ما إِذا كان يَتَقَوَّى بِنابِهِ ، بِدَليلِ أَنَّ الأَرْنَبَ حَلالٌ وَلَهُ نَابٌ ، ولكنَّهُ ضَعيفٌ لا يَعْدُو بِهِ .

---

(١) التِّرمذيّ (٨٥١) و (١٧٩١) وأَبو داود (٣٨٠١) والنَّسائيّ (٢٨٣٦) و (٤٣٢٣) وابن ماجه (٣٠٨٥) ومستدرك الحاكم ١/ ٤٥٣ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[1] : « أَحْمَقُ من ضَبُعٍ » .

وَمِنَ الأَمْثَالِ الشَّهيرَةِ في ذَلِكَ ، ما رَوَاهُ البَيهقيُّ في آخِرِ « شُعَبِ الإِيْمانِ » عن أَبي عُبيدةَ مَعْمَر بن المُثَنَّى ، أَنَّهُ سَأَلَ يُونسَ بن حَبيبٍ عن المَثَلِ المَشْهورِ : « كَمُجيرِ أُمِّ عامِرٍ » . فَقَالَ[2] :

كَانَ من حَدِيثِهِ : أَنَّ قَوْماً خَرَجُوا إِلى الصَّيْدِ في يَوْمٍ حارٍّ ، فبينَما هُم كَذَلِكَ إِذ عَرَضَتْ لَهُمْ أُمُّ عامِرٍ ـ وَهِيَ الضَّبُعُ ـ فَطَرَدُوها ، فأَتْعَبَتْهُمْ حتَّى أَلْجَؤُوها إِلى خِباءِ أَعرابيٍّ ، فاقْتَحَمَتْهُ ، فَخَرَجَ الأَعرابيُّ فقَالَ : ما شَأْنُكم ؟ فَقَالُوا : صَيْدُنا وَطَرِيدَتُنا . قَالَ : كَلاَّ ، والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا تَصِلُونَ إِلَيْها ما ثَبَتَ قائِمُ سَيْفِي بِيَدِي .

قَالَ : فَرَجَعُوا وَتَرَكُوهُ ، فَقَامَ إِلى لَقْحَةٍ لَهُ فَحَلَبَها ، وَقَرَّبَ إِلَيْها ذَلِكَ ، وَقَرَّبَ إِلَيْها ماءً ؛ فَأَقْبَلَتْ مَرَّةً تَلَغُ من هَذَا ، وَمَرَّةً تَلَغُ من هَذَا ، حَتَّى عاشَتْ واسْتَراحَتْ ؛ فَبَيْنَما الأَعرابيُّ نائِمٌ في جَوْفِ بَيْتِهِ ، إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْهِ ، فَبَقَرَتْ بَطْنَهُ ، وَشَرِبَتْ دَمَهُ ، وَأَكَلَتْ حُشْوَتَهُ وتَرَكَتْهُ ؛ فَجاءَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ فَوَجَدَهُ على تِلْكَ الصُّورَةِ ، فالْتَفَتَ إِلى مَوْضِعِ الضَّبُعِ فَلَمْ يَرَها ، فَقَالَ : صاحِبَتِي واللهِ ؛ وأَخَذَ سَيْفَهُ وكِنانَته واتَّبَعَها ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَدْرَكَها فَقَتَلَها ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ : [من الطويل]

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ مَعْ غَيْرِ أَهْلِهِ   يُلاقِي الذي لاقَى مُجِيْرُ أُمِّ عامِرِ[3]

---

(١) الميداني ١/ ٢٢٥ وحمزة ١/ ١٤٩ والعسكري ١/ ٣٩٢ والزمخشري ١/ ٧٥ .

(٢) شعب الإيمان ٧/ ٤٥٣ وثمار القلوب ١/ ٥٩٦ وأَمالي ابن دريد ٢٢٣ وربيع الأَبرار ٥/ ٣٢٠ وتمام المتون ٣٧٩ والمحاسن والمساوىء ١/ ٢٠٣ والميدانيّ ٢/ ١٤٤ والمستقصى ٢/ ٢٣٢ والتَّذكرة الحمدونيَّة ٣/ ٤٢ والمزهر ١/ ٤٩٤ والمستطرف ٢/ ٤٠ والمحاسن والأَضداد ٣٩ . والأَبيات فقط في جمهرة العسكري ١/ ٥٢٥ ومجموعة المعاني ١٤٩ .

(٣) قبله في ب : =

أَدَامَ لَهَا حِيْنَ اسْتَجارَتْ بقُرْبِهِ قِراها مِن الْبَانِ اللِّقاحِ الغَزَائِرِ
وَأَشْبَعَها حَتّى إذا ما تَمَلَّأَتْ فَرَتْهُ بِأَنْيابٍ لَهَا وَأَظافِرِ
فَقُلْ لِذَوِي المَعْرُوفِ : هَذَا جزاءُ مَنْ غَدَا يَصْنَعُ المَعْرُوفَ مَعْ غَيْرِ شاكِرِ

وَمِنَ الأَمْثَالِ : قَالَ المَيدانيُّ : قَالوا[1] : « مَا يَخْفَى هَذَا على الضَّبُعِ » . يُضْرَبُ للشَّيْءِ يَتعالَمُهُ النَّاسُ ؛ والضَّبُعُ أَحْمَقُ الدَّوابِّ .

الخَواصُّ[2] : قَالَ صاحِبُ « عَينِ الخَواصِّ » : الضَّبُعُ تَجذبُ الكِلابَ كَما يَجذبُ المِغْناطِيسُ الحديدَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إذا كان كَلْبٌ على سَطْحٍ في لَيْلَةٍ مُقمرَةٍ مُضيئَةٍ ، وَوَطِئَتِ الضَّبُعُ ظِلَّهُ في الأَرْضِ ، يَقَعُ الكَلْبُ من السَّطْحِ ، فتأْكُلُهُ الضَّبُعُ .

وَشَحْمُ الضَّبُعِ إذا طُلِيَ بِهِ الجَسَدُ ، أَمِنَ من مَضَرَّةِ الكِلابِ .

وَمَرارتُها إذا يُبِّسَتْ ، وَسُقِيَتْ امرأَةٌ مِنْها قدرَ نِصْفِ دانِقٍ ، أَبْغَضَتِ المُجامَعَةَ ، وَذَهَبَتْ مِنْها الشَّهْوَةُ .

وإذا اتُّخِذَ من جِلْدِ الضَّبُعِ مُنْخُلٌ ، ونُخِلَ بِهِ البُزُورُ وزُرِعَتِ ، لا يَضُرُّها الجَرادُ . ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ محمَّد بن زكريَّا الرَّازِي في كُتُبِهِ . ا هـ .

وَقَالَ عطارد بن محمَّد : الضَّبُعُ تَهربُ من عِنَبِ الثَّعْلَبِ ؛ فإذا طُلِيَ بِعُصارَتِهِ الجَسَدُ ، أُمِنَ من مَضَرَّةِ الضَّبُعِ .

وَجِلْدُ الضَّبُعِ إذا أَمْسَكَهُ إِنْسَانٌ ، لَمْ تَنْبَحْ عَلَيْهِ الكِلابُ .

وَمَرارَتُها يُكتحلُ بِها ، تَنْفَعُ من ظُلْمَةِ البَصَرِ والماءِ في العَيْنِ ، وتُحِدُّ

= فَعَلْنا جَميلاً فأَبلونا [= فابتُلينا] بضِدِّهِ وَهَذَا لَعمري فِعْلُ كُلِّ الفواجِرِ

(١) الميداني ٢/ ٢٩٥ وحمزة ١/ ١٥٠ .

(٢) عجائب المخلوقات ٢٦٢ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٩٢ وتذكرة داود ١/ ٢٢٦ ومسالك الأبصار ٢٠/ ٥٢ .

البَصَرَ وتُقَوِّيه .

وَعَيْنُها اليُمْنَى تُقلعُ ، وَتُنْقَعُ في الخَلِّ سبعةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ تُخرجُ منهُ ، وتُجْعَلُ تَحْتَ فَصِّ خاتِمٍ ؛ فَمَنْ لَبِسَهُ لَمْ يَخَفْ سِحْراً ولا عَيْناً ما دامَ لابِسَهُ ؛ وَمَنْ كان بِهِ سِحْرٌ فَغُسِلَ ذَلِكَ الخاتمُ بماءٍ ، ثُمَّ يُسْقَى منهُ فإِنَّ السِّحْرَ يَذْهَبُ عنهُ ؛ وهو نافعٌ للرَّبْطِ وغيرِهِ من أَنْواعِ السِّحْرِ .

وَرَأْسُ الضَّبُعِ إِذا جُعِلَ في بُرجِ حَمامٍ ، كَثُرَ فِيهِ الحَمامُ .

وَلِسانُها من أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ اليُمْنَى ، لَمْ تَنْبَحْ عَلَيْهِ الكِلابُ ، وَلَمْ تُؤْذِهِ . وَحُذَّاقُ العَيَّارِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ .

وَمَنْ خافَ الضِّبَاعَ ، فَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ أَصْلاً من أُصُول العُنْصُلِ ، فَإِنَّها تَهرُبُ منهُ .

وإِذا بُخِّرَ الصَّبيُّ العليلُ سَبعةَ أَيَّامٍ بِشَعْرِ قَفا الضَّبُعِ ، فإِنَّهُ يَبْرَأُ .

وإِذا سُقِيَتِ المرأَةُ قَضِيبَ الضِّبعانِ مَسْحُوقاً وهِيَ لا تَعْلَمُ ، أَذْهَبَ عَنْها شَهْوَةَ الجِماعِ .

وَمَنْ عَلَّقَ عَلَيْهِ قِطعةً من فَرْجِها ، صَارَ مَحْبوباً لِلنَّاسِ .

وَأَسْنانُ الضَّبُعِ إِذا رُبِطَت على العَضُدِ ، تَنْفَعُ من النِّسْيَانِ وَوَجَعِ الأَسْنَانِ .

وإِذا جُلِّدَ بِجِلْدِهِ مِكْيَالٌ ، وَكِيْلَ بِهِ البَذْرُ ، أَمِنَ ذَلِكَ الزَّرْعُ من سَائِرِ الآفاتِ .

وَمِن غَرِيبِ خَواصِّها : أَنَّ من أَكَلَ دَمَها ، ذَهَبَ عنهُ الوَسواسُ .

وَمَنْ أَمْسَكَ بِيَدِهِ حَنْظَلَةً ، فَرَّتِ الضِّباعُ منهُ .

وإِذا طُلِيَ الجَسَدُ بِشَحْمِ الضِّباعِ ، أَمِنَ من عَقْرِ الكِلابِ .

وَقَالَ حُنين بنِ إِسحاق : إِذا نُتِفَ الشَّعْرُ الَّذِي في باطِنِ أَجْفانِ العَيْنِ

كُنْتُ مَعَ المُتَوَكِّلِ لَمَّا خَرَجَ إِلى دِمَشْقَ ، فَرَكِبَ يَوْماً إِلى رُصافَةِ هِشام بن عبدِ المَلِكِ بن مروان ، فَنَظَرَ إِلى قُصُورِها ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَأى دَيْراً هُناكَ قَدِيماً ، حَسَنَ البناءِ ، بَيْنَ مُزارعٍ وأَنْهارٍ وأَشجارٍ ، فَدَخَلَهُ ؛ فَبَيْنَما هُوَ يَطُوفُ إِذْ بَصُرَ بِرُقْعَةٍ قد التَصَقَتْ في صَدْرِهِ ، فَأَمَرَ بِقَلْعِها ، فإِذا فِيها هَذِهِ الأَبياتُ : [من الطويل]

أَيا مَنْزِلاً بِالدَّيْرِ أَصْبَحَ خالِياً ... تَلاعَبُ فِيهِ شَمْأَلٌ وَدَبُورُ
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بِيْضُ أَوانِسٌ ... وَلَمْ تَتَبَخْتَرْ في فِنائِكَ حُورُ[1]
وَأَبْناءُ أَمْلاكٍ غَواشِمُ سَادَةٌ ... صَغِيرُهُمُ عِنْدَ الأَنامِ كَبِيرُ
إِذا لَبِسُوا أَدْراعَهُمْ فَعَوابِسٌ ... وإِنْ لَبِسُوا تِيْجانَهُمْ فَبُدورُ
عَلَى أَنَّهُمْ يَوْمَ اللِّقاءِ ضَراغِمٌ ... وَأَيْدِيهِمُ يَوْمَ العَطاءِ بُحُورُ
لَيالِي هِشامٌ بالرُّصافَةِ قاطِنٌ ... وَفِيكَ ابْنُهُ يا دَيْرُ وَهْوَ أَمِيْرُ
إِذِ الدَّهْرُ غَضٌّ والخِلافَةُ لَدْنَةٌ ... وَأَنْتَ طَرِيبٌ والزَّمانُ غَرِيرُ[2]
وَرَوْضُكَ مُرْتادٌ وَنَوْرُكَ مُزْهِرٌ ... وَعَيْشُ بَنِي مَروانَ فِيكَ نَضِيرُ
بَلَى فَسَقاكَ اللهُ صَوْبَ غَمامَةٍ ... عَلَيْكَ بِها بَعْدَ الرَّواحِ بُكُورُ
تَذَكَّرْتُ قَوْمِي خالِياً فَبَكَيْتُهُمْ ... بِشَجْوٍ وَمِثْلِي بالبُكاءِ جَدِيرُ
فَعَزَّيْتُ نَفْسِي وَهْيَ نَفْسٌ إِذا جَرَى ... لَها ذِكْرُ قَوْمِي أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
لَعَلَّ زَماناً جارَ يَوْماً عَلَيْهِمُ ... لَهُمْ بالذِي تَهْوَى النُّفُوسُ يَدُورُ
فَيَفْرَحَ مَحْزُونٌ وَيَنْعَمَ بائِسٌ ... وَيُطْلَقَ من ضِيْقِ الوَثاقِ أَسِيْرُ
رُوَيْدَكَ إِنَّ اليَوْمَ يَتْبَعُهُ غَدٌ ... وإِنَّ صُرُوفَ الدَّائِراتِ تَدُورُ

فَلَمَّا قَرَأَها المُتَوَكِّلُ ، ارْتاعَ وَتَطَيَّرَ ، وَقالَ : أَعُوذُ بِاللهِ من شَرِّ أَقْدارِهِ ، ثُمَّ

---

(١) في أ : . . . نواعم × .

(٢) في الأصول : × وعيش بني مروان فيك نضير . ثُمَّ قال : ويروى : وروضك مرتاض . . × . وكذا وقع في نسخة من سراج الملوك كما نبَّه عليه محققه ؛ فلعلَّ الدَّميريّ وقف على تلك النُّسخة فنقل منها . فأَصلحته إلى ما ترى . ورواية ياقوت : × وأَنت طرير . . . .

دَعَا صاحِبَ الدَّيْرِ ، وسَأَلَهُ عن الرُّقْعَةِ وَمَنْ كَتَبَها ، فَقَالَ : لا عِلْمَ لِي بِهِما[١] . انتهى .

وَذَكَرَ غَيْرُهُ : أَنَّهُ بعدَ عَوْدِهِ إِلى بَغدادَ ، لَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ أَيَّاماً قَلائِلَ حتَّى قَتَلَهُ ابْنُهُ المُنتصر ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ قَتْلِهِ وَكَيْفِيَّتُهُ ، في « بابِ الهَمْزَةِ » في « الإِوَزِّ » في ذِكْرُ الخُلَفَاءِ .

وَذَكَرَ ابْنُ خلّكان في « تارِيخِهِ » في تَرْجَمَة عليّ بن محمَّد ، أَبُو الحُسَيْن الشَّابُشْتيّ[٢] : أَنَّ الواقِعَةَ كَانَتْ للرَّشِيدِ[٣] .

قَالَ : وَلَمْ نَعْرِفْ نِسْبَةَ الشَّابُشْتيّ إِلى أَيِّ شَيْءٍ[٤] .

٥٥٨ الضُّرَّيْسُ[٥] : الطَّيْهُوجُ . وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى في « بابِ الطَّاءِ المُهْمَلَةِ » .

وَمِنْ أَمْثَالِ العامَّةِ السَّائِرَةِ : « أَكْسَلُ من الضُّرَيْسِ » . لأَنَّهُ يُلْقِي رَجيعَهُ على أَولادِهِ .

---

(١) ثُمَّ عُرِفَ أَنَّ الأَبياتَ لرجل من ولد رَوْح بن زِنباع الجُذامي ، من أَخوال ولد هشام بن عبد الملك (ياقوت) . وفي مختصر تاريخ دمشق وبغية الطَّلب : وإِذا هو رجل من موالي بني أُميَّة ، من دمشق ، يُعرف بالفرخ ؛ فأَمر المتوكل بقتله .

(٢) في الأُصول : الشّبابشتيّ !!. قُلت : بهذا الاسم ترجمه ابن خلّكان ٣/ ٣١٩ . وترجمه ياقوت في معجم الأُدباء ٦/ ٢٤٢٦ والصَّفدي في الوافي ٢/ ١٩٤ باسم محمَّد بن إِسحاق . والخلاف في كنيته أَمرٌ آخر ، فهو أَبو الحسن ، أَو أَبو الحسين ، أَو أَبو عبد الله !!.

(٣) لم يذكر ابن خلّكان هذه الواقعة في ترجمة الشَّابشتي .

(٤) ذكر ابن خلّكان أَنَّهُ عثر في كتاب التَّاجيّ للصَّابي ما يفيد أَنَّ الشَّابشتي اسم ديلميّ يشبه النِّسبة وليس بنسبة .

(٥) الضَّبط من مفردات ابن البيطار ٣/ ١٠٥ قال : طيهوج : طائرٌ يعرفه عامَّتنا بالأَندلس بالضّريس ، وضاده مضمومة معجمة ، وراؤه مهملة مفتوحة مشدَّدة ، والياء ساكنة منقوطة باثنتين من تحتها ، والسِّين مهملة .

٥٥٩ الضُّغْبُوسُ : وَلَدُ الثُّرْمُلَةِ[١] . وَقَدْ تَقَدَّمَ في « بابِ الثَّاءِ المُثَلَّثَةِ » أَنَّها أُنْثَى الثَّعالِبِ .

٥٦٠ الضِّفْدِعُ : بِكَسْرِ الضَّادِ ، وَسُكونِ الفاءِ ، والعَيْنِ المُهْمَلَةِ ، بَيْنَهما دَالٌ مُهملةٌ ؛ مِثالُ الخِنْصِرِ : واحِدُ الضَّفادِعِ ؛ والأُنْثَى ضِفْدِعَةٌ ؛ وَنَاسٌ يَقُولُونَ : ضِفْدَعٌ ، بِفَتْحِ الدَّالِ .

● قَالَ الخَلِيْلُ : لَيْسَ في الكَلامِ فِعْلَلٌ إلاّ أَرْبَعَةُ أَحْرُفٍ : دِرْهَمٌ ، وهِجْرَعٌ ـ وهو الطَّوِيلُ ـ وَهِبْلَعٌ ـ وَهُوَ الأَكُولِ ـ وَقِلْعَمٌ ، وَهُوَ اسْمٌ[٢] .

● وَقَالَ ابْنُ الصَّلاحِ : الأَشهرُ فِيهِ من حَيْثُ اللُّغَةِ : كَسْرُ الدَّالِ ، وَفَتْحُها أَشْهَرُ في أَلْسِنَةِ العامَّةِ ، وأَشْباهِ العامَّةِ من الخاصَّةِ ؛ وَقَدْ أَنْكَرَهُ بَعْضُ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ .

● وَقَالَ البَطَلْيَوْسيُّ في « شَرح أَدَبِ الكاتِبِ »[٣] وَحُكِيَ أَيْضاً : ضُفْدَعٌ ؛ بِضَمِّ الضَّادِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ ، وهو نادِرٌ ؛ وَحَكَاهُ المُطَرِّزِيُّ أَيْضاً .

● قَالَ في « الكِفايَةِ » : وَذَكَرُ الضَّفادِعِ يُقالُ لَهُ : العُلْجُومُ . بِضَمِّ العَيْنِ والجِيْمِ ، وإِسْكَانِ اللاَّمِ والواوِ ، آخِرُهُ مِيمٌ .

وَيُقالُ للضِّفْدَعِ[٤] : أَبُو المُسَيِّحِ ، وأَبُو هُبَيْرَةَ ، وأُمُّ مَعْبَدٍ ، وأُمُّ هُبَيْرَةَ .

والضَّفادِعُ أَنْواعٌ كَثيرةٌ، وتكُونُ من سِفادٍ، وَتَتَوَلَّدُ من المِياهِ القائِمَةِ الضَّعيفةِ الجَرْيِ، ومن العُفُوناتِ، وعَقِبَ الأَمْطَارِ الغَزِيرَةِ، حتَّى يُظَنَّ أَنَّهُ يَقَعُ من السَّحابِ، لِكَثْرَةِ ما يُرَى منه على الأَسْطِحَةِ عَقِبَ المَطَرِ والرِّيحِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ

---

(١) اللسان « ضغبس » ٤/ ٢٥٩٠ .

(٢) عن الصِّحاح « ضفدع » ٣/ ١٢٥٠ .

(٣) الاقتضاب ٢/ ٢٠٣ .

(٤) المرصع ٣٠٢ و ٣٤٤ و ٣٠٦ و ٣٦٧ .

عن ذَكَرٍ وأُنْثَى ، وإِنَّمَا اللهُ تَعالَى يَخلقُه في تِلْكَ السَّاعَةِ من طِباعِ تِلْكَ التُّرْبَةِ[1] .

وَهِيَ من الحَيْوَاناتِ التي لا عِظَامَ لَها ، ومنها ما يَنِقُّ وَمَا لا يَنِقُّ ؛ والَّذِي يَنِقُّ مِنْها يَخْرُجُ صَوْتُهُ من قُرْبِ أُذُنِه ؛ وَتُوصَفُ بِحِدَّةِ السَّمْعِ إذا تَرَكَتِ النَّقِيقَ وَكانَتْ خارِجَ المَاءِ .

وإِذا أَرادَتْ أَنْ تَنِقَّ أَدْخَلَتْ فَكَّها الأَسْفَلَ في المَاءِ ، وَمَتى دَخَلَ الماءُ في فِيها لا تَنِقُّ .

● وَمَا أَظْرَفَ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ ، وَقَدْ عُوتِبَ على قِلَّةِ كَلامِهِ[2] : [من مجزوء الرمل]

قَالَتِ الضِّفْدَعُ قَوْلاً ... فَسَّرَتْهُ الحُكَمَاءُ :

فِي فَمِي مَاءٌ وَهَلْ يَنْـ ... ـطِقُ مَنْ فِي فِيهِ مَاءُ

● قَالَ عبدُ القاهِرِ : والثُّعْبَانُ يَسْتَدِلُّ بِصِياحِ الضِّفْدَعِ عَلَيْهِ ، فَيَأْتِي على صِياحِهِ فَيَأْكلهُ ؛ وأَنْشَدَ في ذَلِكَ يَقُولُ[3] : [من الرجز]

يَجْعَلُ فِي الأَشْدَاقِ مَاءً يَنْصُفُهْ ... حَتَّى يَنِقَّ والنَّقِيقُ يُتْلِفُهْ

قَوْلُهُ : ينصفه بِضَمِّ اليَاءِ المُثَنَّاةِ تَحت ، وإِسْكَانِ النُّونِ ، وَكَسْرِ الصَّادِ المُهملَةِ[4] . وَلَيْسَ المُرادُ هُنا العَدْلَ ، بَلِ المُرادُ حَتَّى يَبْلُغَ نِصْفَ فَكِّهِ الأَعْلَى .

---

(١) وكذا قال الزمخشري في ربيع الأَبرار ٥/ ٤٤٠ . وهذا لا يصحُّ ، وإِنَّما هي الأَعاصير تحمل من شواطىء البحار والأنهار سمكاً وضفادع ، فتُلقيها في مكان آخر . وانظر ما قاله الجاحظ في الحيوان ١/ ١٤٩ وتعقيب محققه في ١/ ٤٢٧ .

(٢) البيتان في ربيع الأَبرار ٥/ ٤٤١ بلا نسبة .

(٣) الشَّطران للذَّكواني في الحيوان ٣/ ٢٦٦ و ٢٦٧ . وهما بلا نسبة فيه ٥/ ٥٣٢ ، وعيون الأَخبار ٢/ ٩٧ .

(٤) هذا الضَّبط غير صحيح !. قال الجاحظ : بفتح الياءِ ، وضمِّ الصَّاد . ثُمَّ أَتى بشواهد .

وَقَوْلُهُ : « وَالنَّقِيقُ يُتلفهُ » أَرادَ بِهِ الضَّفادِعَ إذا صاحَتْ ، سَمِعَها الثُّعْبَانُ ، فَيَجِيءُ فَيَأْكُلُها ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ[1] : [من الطويل]

ضَفادِعُ في ظَلماءِ لَيْلٍ تَجاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْها صَوْتُها حَيَّةَ البَحْرِ

وَحَيَّةُ البَحْرِ : الأَفْعَى التي تَكُونُ في البَرِّ ، وَهِيَ تَعِيشُ في البَرِّ والبَحْرِ كَمَا تَقَدَّمَ .

ويَعرضُ لِبَعْضِ الضَّفادِعِ مثلُ ما يَعرضُ لِبَعْضِ الوُحُوشِ من رُؤْيَةِ النَّارِ حيرةٌ إذا رَأَتْها ، وَتَتَعَجَّبُ مِنْها ؛ لأَنَّها تَنِقُّ فَإِذا أَبْصَرَتِ النَّارَ سَكَتَتْ ، ولا تَزَالُ تُدْمِنُ النَّظَرَ إِلَيْها .

وَأَوَّلُ[2] نَشْئِها في المَاءِ : أَنْ تَظْهَرَ مِثْلَ حَبِّ الدُّخْنِ أَسْوَدَ ، ثُمَّ تَخرجُ منهُ وهي كالدُّعْموصِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَنبتُ لَهَا الأَعْضَاءُ ؛ فَسُبْحَانَ القادِرُ على ما يَشاءُ وَمَا يُرِيدُ ، سُبْحانَهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُو .

● وفي « الكامل »[3] لابْنِ عَدِيّ في تَرْجَمَةِ عبد الرَّحمنِ بن سَعْد بن عَمَّار ابن سَعْدِ القَرَظِ ، مُؤَذِّن النَّبيِّ ﷺ عن جابرٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَتَلَ ضِفْدَعاً ، فَعَلَيْهِ شَاةٌ ، مُحْرِماً كان أَوْ حَلالاً » .

● قَالَ سُفيانُ : يُقالُ : إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَكْثَرَ ذِكْراً للهِ منهُ .

● وَفِيهِ أَيضاً[4] في تَرجمةِ حمَّاد بن عُبيد ، أَنَّهُ رَوَى عن جابرٍ الجُعْفِيِّ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما : أَنَّ ضِفْدَعاً أَلْقَتْ نَفْسَها في

---

(١) البيت للأخطل ، في ديوانه ١/ ١٨١ وسيأتي في الأمثال .

(٢) عجائب المخلوقات ١٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٤٣ .

(٣) الكامل في الضُّعفاء ٤/ ٣١٥ طبعة دار الفكر ، ترجمة « عبد الرَّحمن بن هانىء » وهذه التَّرجمة ساقطةٌ من طبعة دار الكتب العلميّة ! .

(٤) الكامل في الضُّعفاء ٣/ ٢٩ وميزان الاعتدال ١/ ٥٩٧ ولسان الميزان ٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

النَّارِ من مَخافَةِ اللهِ ، فأثابَهُنَّ اللهُ بِها بَرْدَ المَاءِ ، وَجَعَلَ نَقيقَهُنَّ التَّسبيحَ .

● وَقَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن قَتْلِ الضِّفْدَعِ والصُّرَدِ والنَّحْلَةِ .

قَالَ : ولا أَعْلَمُ لحمَّاد بن عُبيدٍ غيرَ هَذَا الحَدِيثِ .

قَالَ البُخاريُّ[1] : لا يَصِحُّ حَدِيثُهُ ؛ وَقَالَ أَبُو حاتِمٍ[1] : لَيْسَ بِصَحِيحِ الحَديثِ .

● وَفِي كِتابِ « الزَّاهِر » لأَبي عبدِ اللهِ القُرطبيِّ[2] : أَنَّ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ : لأُسَبِّحَنَّ اللهَ اللَّيْلَةَ تَسْبيحاً ، ما سَبَّحَهُ بِهِ أَحَدٌ من خَلْقِهِ ؛ فَنادَتْهُ ضِفْدَعَةٌ من ساقِيَةٍ في دَارِهِ : يا داودُ ، تَفْتَخِرُ على اللهِ بِتَسْبيحِكَ ؛ وإِنَّ لِي لَسَبْعِينَ سَنَةً ما جَفَّ لِسانِي من ذِكْرِ اللهِ تَعالى ، وإِنَّ لي لَعَشْرَ لَيالٍ ما طَعِمْتُ خَضِراً ولا شَرِبْتُ مَاءً اشْتِغالاً بِكَلِمَتَيْنِ ؟ فَقَالَ : ما هُما ؟ قَالت : يا مُسَبَّحاً بِكُلِّ لِسانٍ ، وَمَذْكُوراً بِكُلِّ مَكانٍ ؛ فَقَالَ داودُ في نَفْسِهِ : وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ أَبْلَغَ من هَذَا .

● وَرَوَى البَيْهَقيُّ في « شُعبه »[3] عن أَنَسِ بْنِ مالِكٍ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ نَبيَّ اللهِ داودَ ، ظَنَّ في نَفْسِهِ أَنَّ أَحداً لَمْ يَمْدَحْ خالِقَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا مَدَحَهُ بِهِ ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكاً ، وهو قاعِدٌ في مِحْرابِهِ ، والبِرْكَةُ إِلى جَنْبِهِ ، فَقَالَ : يا دَاودُ ، افْهَمْ ما تُصَوِّتُ بِهِ هَذِهِ الضِّفْدِعَةُ ؛ فَأَنْصَتَ إِلَيْها ، فإِذا هي تَقُولُ : سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، مُنْتَهى عِلْمِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ المَلَكُ : كَيْفَ تَرَى ؟ فَقَالَ : وَالذِي جَعَلَني نَبيّاً ، إِنِّي لَمْ أَمْدَحْهُ بِهَذَا .

● وفي كِتابِ « فَضْلِ الذِّكْرِ » لجعفر بن محمَّد بن الحسن الفَريابيّ ، الحافِظ العلاّمة ، عن عِكْرِمَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : صَوْتُ الضِّفْدَعِ تَسْبِيحٌ .

---

(١) التاريخ الكبير ٣/ ٢٨ والجرح والتَّعديل ٣/ ١٤٣ .

(٢) المستطرف ٢/ ٤٩٦ .

(٣) شعب الإيمان ٤/ ١٣٨ ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ١١٢ وبغية الطلب ٧/ ٣٤٠٧ .

وَفِيهِ أَيْضاً عن الأَعْمَشِ ، عن أَبي صالِحٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ صَرِيرِ بابٍ ، فَقَالَ : هَذَا منهُ تَسْبِيحٌ .

● **فائِدَةٌ** : قَالَ الرَّئِيسُ ابْنُ سِيْنا[1] : إِذا كَثُرَتِ الضَّفادِعُ في سَنَةٍ ، وَزَادَتْ عن العَادَةِ ، يَقَعُ الوَباءُ عَقِبَها .

وَقَالَ القَزْوِينيُّ[2] : الضَّفادِعُ تَبِيضُ في الرَّمْلِ مِثل السُّلَحْفاةِ ، وهي نَوعانِ : جبليَّةٌ ومائِيَّةٌ .

● وَنَقَلَ الزَّمْخَشريُّ في « الفائِقِ »[3] عن عُمَرِ بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ من قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، فَرَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ رَجُلاً كالبِلَّوْرِ ، يُرَى داخِلُهُ من خارِجِهِ ، وَرَأَى الشَّيْطَانَ في صُورَةِ ضِفْدَعٍ ، لَهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ البَعُوضَةِ ، قد أَدْخَلَهُ في مَنْكِبِهِ الأَيْسَرِ إِلى قَلْبِهِ يُوَسْوِسُ لَهُ ؛ فإِذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى ذِكْرُ هَذَا أَيْضاً في لَفْظِ « الكُرْكيّ » من كَلامِ السَّهيليّ .

الحُكْمُ : يُحَرَّمُ أَكْلُها ، للنَّهْيِ عن قَتْلِها .

● وَرَوَى البَيْهَقيُّ في « سُننه » عن سَهْلِ بن سَعْد السَّاعديّ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى قَتْلَ خَمْسَةٍ : النَّملة والنَّحْلَة والضِّفْدع والصُّرَدِ والهُدْهد .

وَفِي « مسندِ أَبي داود الطَّيالسي » و« سُنُنِ أَبي داود » و « النَّسائيّ » و « الحاكِم »[4] عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عُثْمانَ التَّيْميّ ، عن النَّبيِّ ﷺ : أَنَّ طَبيباً

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٢ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٤٣ .

(٢) لم أَقف عليه في عجائب المخلوقات .

(٣) وربيع الأبرار ١/ ٣٨٩ .

(٤) أَبو داود (٣٨٧١) ومستدرك الحاكم ٤/ ٤١١ .

سَأَلَهُ عن ضِفْدَعٍ يَجْعَلُها في دواءٍ ، فَنهاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عن قَتْلِها .

فَدَلَّ على أَنَّ الضِّفْدَعَ يُحَرَّمُ أَكْلُها ، وأَنَّها غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِيما أُبيحَ من دوابِّ المَاءِ .

وَقالَ بَعْضُ الفُقهاءِ : إِنَّما حُرِّمَ الضِّفْدَعُ ، لأَنَّهُ كان جارَ اللهِ في المَاءِ الذي كان عَلَيْهِ العرشُ قبلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ ، قَالَ تَعالَى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود : ٧] .

● وَرَوَى ابْنُ عَدِيّ[1] عن عَبْدِ اللهِ بن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا تَقْتُلُوا الضَّفادِعَ ، فَإِنَّ نَقِيْقَها تَسْبِيحٌ » .

قَالَ السُّلَمِيُّ : سَأَلْتُ الدَّارقُطنيَّ عنهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ ضَعِيفٌ .

قُلْتُ : الصَّوابُ أَنَّهُ مَوقُوفٌ على عَبْدِ اللهِ بن عُمر رضي الله تعالى عنهما . قَالَهُ البَيْهَقيُّ . وَقَدْ تَقَدَّمَ في « الخُطَّافِ » .

● قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : إِنَّها تَقُولُ في نَقِيقِها : سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوس .

● وَعَنْ أَنَسٍ : لا تَقْتُلُوا الضَّفادِعَ ، فإِنَّها مَرَّتَ بنارِ إِبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَحَمَلَتْ في أَفْوَاهِها المَاءَ ، وَكَانَتْ تَرُشُّهُ على النَّارِ .

● وفي « شِفاءِ الصُّدُورِ » لابْنَ سَبُعٍ : من حَدِيثِ عبدِ اللهِ بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لا تَقْتُلُوا الضَّفادِعَ ، فإِنَّ نَقِيقَهُنَّ تَسْبِيحٌ » .

وَمِنْ أَحْكامِهِ : أَنَّهُ يَنْجَسُ بِالمَوْتِ ، كَغَيْرِهِ من الحَيْوَانِ الذي لا يُؤْكَلُ .

وَنَقَلَ في « الكِفايَةِ » عن الماوَرْدِيِّ حِكايَةَ وَجْهٍ : أَنَّهُ لا يَنْجَسُ بِالمَوْتِ ؛

---

(١) والذَّهبيّ في ميزان الاعتدال ٤/ ١١٧ وابن حجر في لسان الميزان ٨/ ٧٠ وربيع الأبرار ٥/ ٤٤١ وعجائب المخلوقات ١٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٤٣ .

وَغَلَّطَهُ شَيْخُنا في النَّقْلِ عنهُ ، وَقَالَ : لا ذِكْرَ لِهَذَا الوَجْهِ في « الحاوِي » ولا فِي غَيْرِهِ من كُتُبِهِ . ا هـ .

وإِذا مَاتَتْ في مَاءٍ قَليلٍ ، قَالَ النَّوويُّ : إِنْ قُلْنا : لا تُؤْكَلُ ، نَجَّسَتْهُ بلا خِلافٍ .

وَحَكَى الماوَرْدِيُّ في نَجَاسَتِه قَوْلَيْنِ : أَحَدُهُما يَنْجَسُ كَمَا يَنْجَسُ بِسائِرِ النَّجَاسَاتِ ، والثَّانِي : يُعْفَى عنهُ كَدَمِ البَراغِيثِ . وَالأَصَحُّ الأَوَّلُ .

● وَلَمَّا[1] قَدِمَ وَفْدُ اليَمامَةِ على أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ بَعْدَ قَتْلِ مُسيلَمَةَ ، قَالَ لَهُمْ : ما كَانَ صاحِبُكُم يَقُولُ ؟ فاسْتَعْفوهُ من ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَتَقُولُنَّ . قَالُوا : كان يَقُولُ : يا ضِفْدَعُ ابنةَ ضِفْدعٍ كَمْ تَنِقِّيْنَ ؟ أَعْلاكِ في المَاءِ وأَسْفَلُكِ في الطِّيْنِ ، لا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ ، ولا المَاءَ تُكَدِّرِينَ .

الأَمْثَالُ : قَالُوا[2] : « أَنَقُّ من ضِفْدَعٍ » . قَالَ الأَخْطَلُ[3] : [من الطويل]

ضَفادِعُ في ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجاوَبَتْ ... فَدَلَّ عَلَيْها صَوْتُها حَيَّةَ البَحْرِ

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَهُوَ كَقَوْلِهِم[4] : « على أَهْلِها دَلَّتْ براقِشُ » .

وَهيَ كَلْبَةٌ سَمِعَتْ وَقْعَ حَوافِرِ الدَّوابِّ ، فَنَبَحَتْ ، فاسْتَدَلُّوا بِنُباحِها على القَبِيلَةِ ، فاسْتَبَاحُوهُم ؛ قَالَ حَمْزَةُ بنِ بِيْضٍ[5] : [من الخفيف]

---

(١) ربيع الأبرار ٥/ ٤٤١ وثمار القلوب ١/ ٢٦١ .

(٢) لم يرد هذا المثل في كتب الأمثال .

(٣) ديوانه ١/ ١٨١ وقد مضى .

(٤) الميداني ٢/ ١٤ والعسكري ٢/ ٥٢ والزمخشري ٢/ ١٦٥ وفصل المقال ٤٥٩ والحيوان ١/ ٢٩١ وثمار القلوب ١/ ٥٨٥ والفاخر ٣٦٣ وأمثال أبي عكرمة ٦٩ .

(٥) البيتان له في الميداني والزمخشري وثمار القلوب .

لَـمْ يَكُـنْ عـن جِنـايَـةٍ لَحِقَتْنِـي   لا يَســـارِي ولا يَمِينـــي جَنَتْنـــي
بَـلْ جَنـاهـا أَخٌ عَلَـيَّ كَـرِيـمٌ   وَعَلَـى أَهْلِهـا بَـراقِـشُ تَجْنـي

الخَواصُّ[1] : قَالَ ابْنُ جُمَيْعٍ في كِتابِهِ « الإِرْشاد » : لُحُومُ الضَّفادِعِ تُغْثي النَّفْسَ ، وتُورِثُ إِسْهالاً دَمَوِيّاً ، فَيَتَغَيَّرُ منهُ لَوْنُ البَدَنِ ، ويورمُ ، وَيَختلِطُ العَقْلُ .

وَقَالَ صاحِبُ « عَيْنِ الخَواصِّ » : شَحْمُ الضَّفادِعِ الآجامِيَّةِ : إِذا وُضِعَ على الأَسْنَانِ ، قَلَعَها من غَيْرِ وَجَعٍ .

وَعظْمُ البَرِّيِّ إِذا وُضِعَ على رَأْسِ القِدْرِ ، مَنَعَها من الغَلَيَانِ .

وإِذا يُبِّسَ ضِفْدَعٌ في الظِّلِّ ، وَدُقَّ ، وَطُبِخَ مع خَطْمِيٍّ ، وَطُلِيَ بِهِ بَعْدَ طَلْيِ النُّورَةِ وَالزَّرْنِيخِ ، لَمْ ينبتْ عَلَيْهِ الشَّعْرُ بَعْدَ ذَلِكَ .

والضِّفْدَعُ إِذا طُرِحَ وهوَ حيٌّ في الشَّرابِ الصِّرْفِ مَاتَ ، فإِذا أُخْرِجَ وأُلْقِيَ في مَاءٍ صَافٍ عَاشَ .

وَنُقِلَ عَن محمَّد بن زكريَّا الرَّازِي : أَنَّ رِجْلَ الضِّفْدَعِ إِذا عُلِّقَتْ عَلَى من بِهِ النِّقْرِسُ ، سَكَّنَ وَجَعَهُ . انتهى .

وإِذا أَخَذَتِ المرْأَةُ ضِفْدَعَ المَاءِ ، وَفَتَحَتْ فاهُ ، وَبَصَقَتْ فِيهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ رَدَّتْهُ إِلى المَاءِ ، فإِنَّها لا تَحْبَلُ .

وإِذا مُسِحَتِ القِدْرُ من ظاهِرِها بِشَحْمِهِ ، وَأُوْقِدَ تَحْتَها ما عَسَى أَنْ يُوقَدَ ، لَمْ تَغْلِ أَبداً .

وإِذا رُضِخَتِ الضِّفْدَعُ ، وجُعِلَتْ على لَسْعَةِ الهَوامِّ ، أَبْرَأَتْها من وَقْتِها .

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٢ ومسالك الأبصار ٢٠/ ١٤٣ ومفردات ابن البيطار ٣/ ٩٤ وتذكرة داود ١/ ٢٢٧ .

وَمِنْ خَواصِّهِ العَجِيبَةِ : أَنَّهُ إِذا شُقَّ نِصْفَيْنِ من رَأْسِهِ إِلى أَسْفَلِهِ ، وامرأَةٌ تَنظرُ إِلَيْهِ ، غَلَبَتْ شَهْوَتُها ، وَكَثُرَ مَيْلُها إِلى الرِّجَالِ .

وإِذا عُلِّقَ لِسانُهُ على امرأَةٍ نائِمةٍ ، أَخْبَرَتْ بِكُلِّ ما عَمِلَتْ في اليَقَظَةِ .

وإِذا جُعِلَ لِسانُهُ في خُبْزٍ ، وأُطْعِمَ لِمَنِ اتُّهِمَ بالسَّرِقَةِ ، فإِنَّهُ يُقِرُّ بها .

وَدَمُهُ يُطْلَى بِهِ المَوْضِعُ الذي نُتِفَ شَعْرُهُ ، لَمْ يَنْبُتْ أَبَداً ؛ وَمَنْ لَطَّخَ بِهِ وَجْهَهُ ، أَحَبَّهُ النَّاسُ ؛ وإِذا وُضِعَ على اللِّثَةِ ، أَسْقَطَ السِّنَّ بلا تَعَبٍ .

● قَالَ القَزْوِينيُّ[1] : وَلَقَدْ كُنْتُ في المَوْصِلِ ، وَلَنا صاحِبٌ في بُسْتَانٍ بَنَى مَجْلِساً وَبِرْكَةً ، فَتَوَلَّدَتْ فِيها الضَّفادِعُ ، وَتَأَذَّى سُكَّانُ المَكَانِ بِنَقِيقِها ، وعَجِزُوا عن إِبْطَالِه ، حتَّى جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : اجْعَلُوا طِشْتاً على وَجْهِ المَاءَ مَقْلُوباً ؛ فَفَعَلُوا ، فَلَمْ يُسْمَعْ لَها نَقِيقٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَقَالَ محمَّد بن زَكَرِيَّا الرَّازِي : إِذا وُضِعَ سِراجٌ في طَاسٍ ، وجُعِلَ فَوْقَ المَاءِ، أَو فِي قَناةٍ فِيها أَصْواتُ الضَّفادِعِ، سَكَتَتْ، ولا يُسْمَعُ لَها صَوْتٌ أَلْبَتَّةَ.

التَّعبيرُ : الضِّفْدَعُ في المَنامِ[2] : رَجلٌ عابِدٌ مجتهدٌ في طاعَةِ اللهِ ، لأَنَّهُ صَبَّ الماءَ على نَارِ نُمروذٍ .

وَالضَّفادِعُ الكثيرةُ عَذابٌ ، لأَنَّها من آياتِ مُوسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ قَالَ تَعالَى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ﴾ [الأعراف : ١٣٣] الآية .

وَقَالَتِ النَّصَارَى : مَن رَأَى أَنَّهُ مَعَ الضَّفادِعِ ، حَسُنَتْ عِشْرَتُهُ مع أَقْرِبائِهِ وجِيْرانِه.

وَمَنْ أَكَلَ لَحْمَ ضِفْدَعٍ في مَنامِهِ ، نَالَ مَشَقَّةً .

---

(١) عجائب المخلوقات ١٠٣ ومسالك الأَبصار ٢٠/ ١٤٣ .

(٢) تعبير الرُّؤيا ١٩٧ وتفسير الواعظ ٣٠٧ .

وَقَالَ أَرطاميدورس : الضَّفادِعُ في المَنامِ تَدُلُّ على الخَدَّاعِينَ والسَّحَرَةِ .

وَقَالَ جاماسب : من كَلَّمَ ضِفْدَعاً في المَنامِ ، نَالَ مُلْكاً ؛ وَمَنْ رَأَى الضَّفادِعَ خرجَتْ من مَدينةٍ ، خَرَجَ مِنها العَذَابُ ؛ واللهُ أَعلمُ .

٥٦١ الضُّوَعُ : بِضَادٍ مُعجمةٍ مَضْمُومَةٍ ، وَوَاوٍ مُخَفَّفَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، وَعَيْنٍ مُهملَةٍ في آخرِهِ[١] .

قَالَ النَّوويُّ[٢] : الأَشهرُ أَنَّهُ من جِنْسِ الهوامِّ .

وَقَالَ الجَوْهريُّ[٣] : إِنَّهُ طائِرٌ من طَيْرِ اللَّيْلِ ، من جِنْسِ الهام .

وَقَالَ المُفَضَّلُ : هُوَ ذَكَرُ البُومِ ، وَجَمْعُهُ : أَضْواعٌ وَضِيْعانٌ .

الحُكْمُ : وَأَصَحُّ القَوْلَيْنِ تَحْرِيمُ أَكْلِه، كَمَا صَرَّحَ بِهِ في « شَرْحِ المُهَذّب » .

قَالَ الرَّافعيُّ هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الضُّوَعَ ذَكَرُ البُومِ ـ وَذَكَرَ ما تَقَدَّمَ ـ ثُمَّ قَالَ : فَعَلَى هَذَا إِنْ كان في الضُّوَعِ قَوْلٌ ، لَزِمَ إِجراؤُهُ في البُومِ ، لأَنَّ الذَّكَرَ والأُنْثَى من الجنس الواحِدِ لا يَفْتَرِقانِ .

قَالَ النَّوويُّ : قُلْتُ : الأَشْهَرُ أَنَّ الضُّوَعَ من جِنْسِ الهامِ فلا يَلْزَمُ اشْتِراكُهما في الحُكمِ .

وَحُكْمُهُ تَحْرِيمُ الأَكْلِ على الأَصَحِّ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ في «شَرْحِ المُهَذّب»[٤] .

٥٦٢ الضَّيْبُ : شَيْءٌ مِن دَوابِّ البَحْرِ ، على هَيْئَةِ الكَلْبِ وخِلْقَتِهِ . قالَهُ

---

(١) الظاهر أنه بإسكان الواو . قال ابن حبيب في كتابه نسيم الصَّبا ١١٩ من قصيدة :

والضُّوْعُ مُبَيَّضٌ شَبيهُ الفَلَقِ ... أَطرافُهُ مَصْبوغَةٌ بالعَلَقِ

(٢) تهذيب الأسماء واللُّغات ٢/ ١٨٥ .

(٣) الصحاح « ضوع » ٣/ ١٢٥٢ .

(٤) العبارة مكرّرة ! .

ابْنُ سِيْدَه[1] .

٥٦٣ **الضَّئيلَةُ** : الحَيَّة الدَّقِيقَةُ . قَالَه الجوهريُّ[2] . وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ « الحَيَّةِ » في « بابِ الحاءِ المُهملةِ » .

٥٦٤ **الضَّيْوَنُ** : بِفَتْحِ الضَّادِ والواوِ ، وإِسْكَانِ الياءِ المُثَنَّاةِ تَحت بَينَهما ، وبالنُّونِ في آخِرِهِ : الهِرُّ الذَّكَرُ ؛ والجَمْعُ : ضَياوِنٌ ؛ قَالَ حَسَّانُ بن ثابِتٍ رضي الله تعالى عنه[3] : [من الطويل]

ثَـرِيـدٌ كَـأَنَّ السَّمْـنَ فـي حَجَـراتِـهِ ... نُجُـومُ الثُّـرَيَّـا أَوْ عُيُـونُ الضَّيـاوِنِ

● وَقَالَتِ العَرَبُ : « أَدَبُّ من الضَّيْوَنِ »[4] ؛ وهو من الدَّبيبِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ[5] : [من السريع]

يَـــدِبُّ بِـــاللَّيْـــلِ لِجـــاراتِـــهِ ... كَضَيْـــوَنٍ دَبَّ إِلـــى قَـــرْنَـــبِ

القَرْنَبُ : الفَأْرُ . وَقَالُوا : « أَصْيَدُ من ضَيْوَنٍ »[6] و« أَغْلَمُ » و« أَزْنَى » و« وَأَنْزَى من ضَيْوَنٍ »[7] .

● **خاتِمَةٌ** : قَالَ الصِّقليُّ : لَيْسَ في الأَسْمَاءِ شَيْءٌ فِيهِ ياءٌ ساكِنَةٌ ، بَعْدَها واوٌ مَفْتُوحةٌ ، إِلاَّ ثَلاثَةُ أَسماء : حَيْوَةٌ ، وَضَيْوَنٌ ، وَكَيْوَانٌ ـ وهو زُحَلُ ـ .

---

(١) وقيل : هو شيءٌ من دوابِّ البرِّ . (اللِّسان « ضيب » ٤/ ٢٦٢٢) .

(٢) الصِّحاح « ضأل » ٥/ ١٧٤٧ .

(٣) ديوانه ١/ ٥١٩ (عرفات) و ٣٩٦ (حنفي) .

(٤) لم أَقف على هذا القول في كتب الأَمثال .

(٥) البيت بلا نسبة في الميداني ٢/ ٣٥٦ بهذه الرِّواية ، وفي العسكري ٢/ ٣٢٣ واللسان والتَّاج « فرنب » برواية : × . . . . إلى فِرْنِب . والفِرْنِبُ والقَرْنَبُ : الفأرة .

(٦) الميداني ١/ ٤١٧ وحمزة ١/ ٢٦٣ والعسكري ١/ ٥٦٨ والزَّمخشري ١/ ٢١٣ .

(٧) الميداني ٢/ ٣٥٦ والعسكري ٢/ ٣٢٣ والزمخشري ١/ ٣٩٠ .

وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الهَيْئَةِ أَنَّ دورته المُخْتَصَّة بِهِ من المَغرب إلى المَشْرِقِ تَتِمُّ في تسع وعشرينَ سنةً وثَمانيَةِ أَشْهُرٍ وَسِتَّة أَيَّامٍ ، وَسَمَّاهُ المُنَجِّمُونَ النَّحْسَ الأَكْبَرَ ، لأَنَّهُ في النُّحُوسَةِ فَوْقَ المرِّيْخ ، وأَضافُوا إِلَيْهِ الخَرابَ والهَلاَكَ والهَمَّ والغَمَّ ؛ وَزَعَمُوا أَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ يُفِيدُ غَمّاً وحُزْناً ، كَمَا أَنَّ النَّظَرَ إلى الزُّهْرَةِ يُفِيدُ فَرَحاً وسُرُوراً ؛ واللهُ أَعلمُ .

* * *

فهرس
موضوعات المجلَّد الثّاني
من حياة الحيوان الكبرىٰ
للدَّميري
حسب ترتيب المؤلّف
[ح ـ ض]

بابُ الذّال المعجمة

* * *

